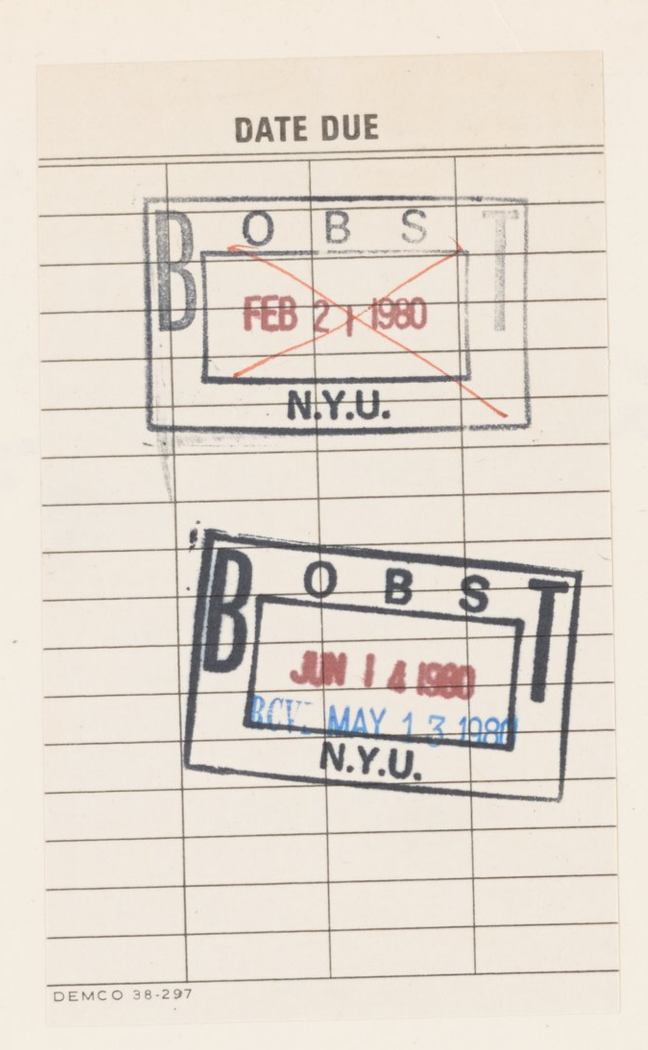
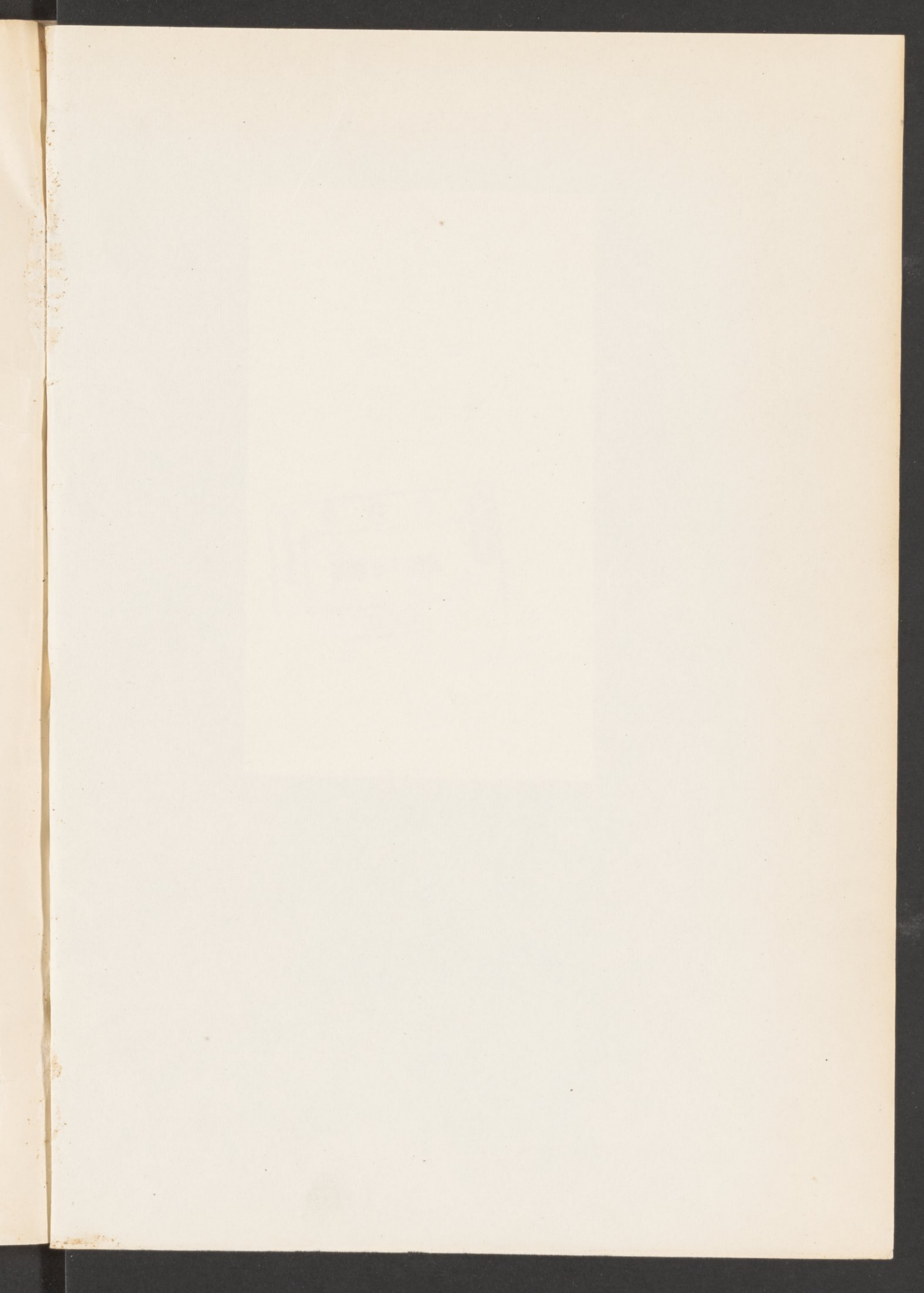






المُغرِب في حُلَى المَغرِب

الجزء الأول

من القسم الخاص بمصر



كلية الآداب

المُغرِب في حُلى المَغرِب

أكمل تأليفه

ابن سعيد الأندلسي

قدّم له

الدكتور زكي محمد حسن

وعني بنشره وتحقيقه والتعليق عليه

الدكتور زكي محمد حسن و الدكتور شوقي ضيف و الدكتورة سيدة كاشف

الجزء الأول

من القسم الخاص بمصر

مطبعة جامعة فؤاد الأول

١٩٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

تصـــدير

اتصل ثلاثتنا بكتاب "المُغرب فى حُلى المَغرب" اتصالا وثيقا ، وقضى فى صحبته سنوات طوالا ؛ فقد عرفته منذ سنة ١٩٢٩ ، حين عكفت على إعداد الكتاب الذى نشرته عن الطولونيين (١) ، فكان مرجعا أصيلا من المراجع التى أفدت منها فى إخراج هذا الكتاب . أما الدكتورة سيدة كاشف فقد كان بينها وبين "المغرب" صلة موثقة العرى متينة الأسباب ، حين كانت تعمل بين سنتى ١٩٤٣ و ١٩٥٠ فى وضع كتابها : "مصر فى عصر الإخشيديين (٢)" ، وكان "المغرب" عدتها الأولى فى تأليف هذا السفر ؛ بل إن المستشرق الجليل الأستاذ آدولف جرومان تمنى فى الحديث الذى كتبه عن كتاب "مصر فى عصر الاخشيديين" فى مجلة (Erasmus) (٣) بمدينة بازل أن تتوج المؤلفة عملها الجليل بأن تعيد طبع النص الذى كان مرجعها الرئيسى ، وهو "المغرب لابن سعيد (٤)" . أما الدكتور شوقى ضيف فقد عرف "المغرب" بعد أن نشر كتاب "الرد على النحاة (٥)" لابن مضاء القرطبى سنة ١٩٤٧ « إذ اتصل بالأندلس وآثارها اتصالا وثيقا ونظر فى المخطوطات لعله يعثر على كتاب جامع من أمهات كتبها

---

(١) Zaky Mohamed Hassan : Les Tulunides, Etude de l'Egypte Musulmane à la fin du IXe siècle. Paris 1933 (339 pages et 16 planches).

(٢) مصر فى عصر الاخشيدين . القاهرة ١٩٥٠ (مطبوعات جامعة فؤاد الأول) .

(٣) Erasmus, vol. 4, No. 19—20 pp. 624—625.

(٤) " To sum up, this new work by Dr. Kashif is to be highly appreciated, and it is to be hoped that the author will crown her meritorious work by reediting the text of her main source, Ibn Sa'id's *Mughrib*.

(٥) كتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي . القاهرة ، دار الفكر العربى سنة ١٩٤٧

الأدبية يضيف إلى الباحثين مادة جديدة ، وأتيح له أن يطلع على مخطوطة كتاب "المغرب فى حلى المغرب" ، فلم ير خيرا من هذا الكتاب » وزاد إعجابه به حتى انصرف إلى نشر القسم الأندلسى منه ، ووفق إلى إخراج الجزء الأول من هذا القسم[1] ، يحتوى ثلاثة أسفار من النص إلا قليلا ، وهى الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر فى التصنيف العام للكتاب ، وجميعها خاصة بغرب الأندلس وممالكه وكوره وبلدانه . ولكل بلدة كتابها الذى ينتظم أعلامها الممتازين ، وخير ما خلفوه من طرائف الشعر والموشحات والأزجال .

ولكن كان من حق مصر الإسلامية علينا أن نعنى بإخراج القسم الخاص بمصر من كتاب "المغرب" بوصفه مرجعا أساسيا من مراجع تاريخها السياسى والأدبى فى العصور الوسطى . وها نحن نقدّم اليوم الجزء الأول من هذا القسم .

وواضح أن أسرة ابن سعيد تضم مصر إلى بلاد المغرب فى هذا الكتاب ، وتتبع فى هذا رأى أقلية من المؤلفين المسلمين ؛ فان جمهرة هؤلاء المؤلفين قد أطلقت اسم المغرب على ما يسميه الجغرافيون المحدثون بلاد البربر أو إفريقيا الصغرى ويشمل طرابلس وتونس والجزائر ومراكش ، وإن ضم اليه بعض أولئك المؤلفين بلاد الأندلس . أما الرأى الذى يذهب إليه قليل من الكتاب المسلمين فمدّ الحدود الشرقية للمغرب إلى بحر القلزم وبذلك تنضم تحت لوائه مصر وبرقة .

***

وثلاثتنا متضامنون فى تحقيق هذا الجزء والتعليق عليه ؛ استقلت الدكتورة سيدة كاشف بتحقيق ما يخص تاريخ مصر فى عصر الولاة وفى العصر الاخشيدى ، واستقل الدكتور شوقى ضيف بتحقيق الشعر والتراجم الأدبية كما عنى بوضع

(١) المغرب فى حلى المغرب ، حققه وعلق عليه الدكتور شوقى ضيف (القاهرة ١٩٥٣ ، دار المعارف ، سلسلة ذخائر العرب ١٠) .

قسم من بيان المراجع العربية . وقمتُ بإعداد المقدّمة ، درست فيها الكتاب والمؤلفين والمخطوطة ، كما حققتُ الباب الذى يسرد تاريخ الدولة الطولونية . وعنيت الدكتورة سيدة كاشف بوضع الفهارس .

ولكننا جميعاً شركاء فى إخراج نصوص هذا القسم من « المغرب » ، والله نسأل أن يوفقنا إلى إخراج جزئه الثانى ، وأن يقيض من الانتفاع به ما لا يؤسف فى جنبه على ما بُذل فيه من جهد وعناء .

القاهرة فى { ذى الحجة سنة ١٣٧٢ / سبتمبر سنة ١٩٥٣ }

زكى محمد حسن

[illegible]

من المغرب إلى آخر القسم [illegible]

من هذا القسم [illegible] الثالثة أصنافا من [illegible]

[illegible]

ومن ما حفظوه من طرائف الشعر والموشحات والأزجال.

وبناء على ذلك من حق مصر الإسلامية علينا أن نعنى بإخراج القسم الخاص بمصر من كتاب "المغرب" بوصفه مرجعا أساسيا من مراجع تاريخها السياسي والأدبي في العصور الوسطى . وها نحن نقدم اليوم الجزء الأول من هذا القسم.

ويلاحظ أن أسرة ابن سعيد تضم مصر إلى بلاد المغرب في هذا الكتاب ، وتتبع في هذا رأي القلة من المؤلفين المسلمين ، فإن جمهرة هؤلاء المؤلفين قد أطلقت اسم المغرب على ما يسميه الجغرافيون المحدثون بلاد البربر أو إفريقيا الصغرى ويشمل طرابلس وتونس والجزائر ومراكش ، وإن ضم إليه بعض أولئك المؤلفين بلاد الأندلس . أما الرأي الذي يذهب إليه قليل من الكتاب المسلمين فمد الحدود الشرقية للمغرب إلى بحر القلزم وبذلك تنضم تحت لوائه مصر وبرقة .

*

ولاشتراكنا سويا في تحقيق هذا الجزء والتعليق عليه ، استقلت الدكتورة سيدة كاشف بالتعليق بما يخص تاريخ مصر في عصر الولاة وفي العصر الإخشيدي ، واستقل الدكتور شوقي ضيف بتحقيق الشعر والتراجم الأدبية كما تولى وضع

(١) المغرب في حلى المغرب ، حققه وعلق عليه الدكتور شوقي ضيف (القاهرة ١٩٥٣ ، دار المعارف ، سلسلة ذخائر العرب – ١٠) .

مقدمة

بقلم

الدكتور زكى محمد حسن

مقدّمة

١ — مؤلفو المُغرب

ينسب هذا الكتاب — تعميا واختصارا تارة ، وجهلا تارة أخرى[١] — إلى ابن سعيد المغربى الأندلسى ؛ ولكن الدقيق أن الذى ألفه ليس ابن سعيد وحده ، وإنما ألفه بالموارثة فى مائة وخمسة عشر عاما ستة من أدباء الأندلس ، تناولوه بالتنقيح والإضافة واحداً بعد الآخر .

وقد سُجل ذلك فى مواضع كثيرة من المخطوطة المحفوظة بدار الكتب ، فنرى مثلا فى فاتحة الجزء الرابع العبارة الآتية :

"الرابع

من كتاب المغرب

فى حلى المغرب

الذى صنفه بالموارثة ، فى مائة وخمس عشرة سنة ، ستة وهم :

أبو محمد الحجارى ، عبد الملك بن سعيد

أحمد بن عبد الملك ، محمد بن عبد الملك

موسى بن محمد ، على بن موسى"

والحق أن أولئك الستة العلماء ، ومن بينهم خمسة من أسرة بنى سعيد ، قد أعلوا ذكر هذه الأسرة حتى صار لها منزلة فريدة فى الحياة العقلية الإسلامية بالأندلس[٢] .

ويبدو أن نواة المغرب كانت كتابا اسمه « المسهب فى غرائب المغرب » ، تناوله بالحذف والإضافة والتغيير عين من أعيان الأندلس فى القرن السادس الهجرى ، هو عبد الملك بن سعيد صاحب قلعة بنى سعيد من أعمال غرناطة . وبيان ذلك أن أبا عبد الله محمد بن ابراهيم الحجارى وفد على عبد الملك بن سعيد ومدحه بقصيدة عصماء ، مطلعها :

عليك أحالنى الذكر الجميل فجئت ومن ثنائك لى دليل

---

(١) انظر Wüstenfeld : Geschichtschreiber der Araber no. 353.

(٢) راجع ماكتبه عن هذه الأسرة المستشرق الاسبانى آنخل جنذالذ بالنثيا Angel Gonzalez Palencia فى كتابه Historia de la Literatura Arabigo-Espanola pp. 159—161.

فأحسن صلته وتمكنت بينهما الألفة ، وأعجبته خبرته بأدباء الأندلس وأنه أعرف الناس بآثارهم ، فسأله أن يصنف له كتابا فيهم ، فصنف له الحجارى كتاب « المسهب فى غرائب المغرب » . وأقبل عبدالملك على هذا الكتاب ، واستنفد فى قراءته طاقته « وصيّر مطالعته ديدنا ، ثم ثار فى خاطره أن يضيف له ما أغفله الحجارى ، ويختصر ما لم يوافق غرضه ، وفيه تطويل غير مفيد . وخلفه ابناه أبو جعفر الشاعر ومحمد ، وأضافا له ما استفاداه . ولم يزل لها خزانة أدب يتزايد عمرها ، إلى أن استبد به موسى بن محمد بن عبد الملك ، وكان أعلمهم بهذا الشأن ، وذكره بالمغرب فى فنون الآداب لا يحتاج إلى تنبيه عليه ، فاعتنى به أشد اعتناء ، وأضاف إليه ما طالعه فى الكتب والتقطه من الأفواه [1] » . وجاء من بعده ابنه على بن موسى فأفرغه فى قالبه النهائى المعروف باسم « المغرب فى حلى المغرب » .

ويضم « المغرب » ترجمة خاصة لكل من هؤلاء المؤلفين الستة ، وقد نقل المقرى هذه التراجم فى كتابه « نفح الطيب » وأدمجها فى ترجمة آخرهم على بن موسى [2] . وخلاصة هذه التراجم أن عبدالملك بن سعيد ينتسب إلى عمار بن ياسر ، وأنه كان سيداً فى قومه وظل موالياً للمرابطين إلى سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤) ، حين ثارت عليهم الأندلس ، بعد أن أودت بسلطانهم فى افريقية الحركات والحروب التى هزت المغرب ومهدت لقيام الموحدين . ولما قامت ثورة الأندلسيين امتنع عبد الملك بن سعيد فى قلعته [3] ، ثم فتح أبوابها طوعا واختياراً ، وبايع عبد المؤمن أمير الموحدين وظل هو وأبناؤه يعملون لهذه الدولة الجديدة حتى توفى سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٧ م) .

وأتيح لابنه أبى جعفر أحمد أن يصل إلى منصب الوزارة فى بلاط عثمان بن عبد المؤمن صاحب غرناطة . وكان أبو جعفر شاعراً مجيداً ، وتعلق بشاعرة ممتازة هى حفصة الركونية [4] . وحدث أن عثمان بن عبد المؤمن كان كلفا بحفصة وملك حبها عنانه ، فبلغه أن أبا جعفر يقول لها : « ماتحبين فى ذلك الأسود ؟ ! — وكان عثمان أسود اللون — وأنا أقدر [أن] اشترى لك من السوق بعشرين ديناراً خيراً منه ؟ ! » فأسرها له فى نفسه وتأهب للايقاع به . وسنحت له الفرصة حين فر أخوه عبد الرحمن بن عبد الملك إلى ابن سعد (ابن مردنيش) أمير بلنسية ومرسية وزعيم المعارضين لحكم الموحدين فى الأندلس ، فاتخذ عثمان من ذلك سببا لقتله [5] .

وكان محمد بن عبد الملك بن سعيد مقدما عند أبى زكريا يحيي بن غانية كبير قواد المرابطين

---

(١) انظر مقدمة « المُشرق فى حلى المَشرق » لعلى بن موسى بن سعيد (مخطوطه بالمكتبة التيمورية رقمها ٢٥٣٢ تاريخ) ، ونفح الطيب للمقرى (طبعة دوزى وزملائه) ج ١ ص ٦٨٠

(٢) انظر نفح الطيب ج ١ ص ٦٨٢ و ج ٢ ص ١٢٤ و ٥٠٥ و ٥٤٥

(٣) تعرف فى كثير من الكتب العربية بقلعة « يحصب » بدلا من قلعة بنى سعيد . انظر شكيب آرسلان : الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية ج ١ ص ٢٩٨

(٤) أنظر ترجمة حفصة بنت الحاج الركونى وأخبارها مع أبى جعفر احمد بن عبد الملك بن سعيد فى معجم الأدباء لياقوت ج ١٠ ص ٢١٩ — ٢٢٧

(٥) انظر Angel Gonzalez Palencia : Historia de la Literatura Arabigo-Espanola pp, 93, 94, 159, 160

فى الأندلس ، ثم دخل مع أبيه عبد الملك فى طاعة الموحدين وأصبح من عمالهم النابهين . وكان على يده بناء المسجد الجامع فى اشبيلية الذى شيدت على أنقاضه فى القرن الخامس عشر الكاتدرائية الحالية والذى لم يبق منه إلا الصحن والمنارة المعروفة باسم الجيرالدا [1] . وقد قصد الشعراء محمد بن عبد الملك ، ومن بينهم الرصافى الذى قال من قصيدة له يشيد فيها بآبائه :

مات الجدود الأقدمون وغادروا ... إرث الثناء على البنين مؤبدا

إن الكرام بنى سعيد كلما ... ورثوا الندى والحمد أمجد أمجدا

قسموا المعالى بالسواء وفضّلوا ... فيها عمادهم الكبير محمّدا

وظل محمد بن عبد الملك ذائع الذكر طائر الصيت فى الحياة السياسية والأدبية فى دولة الموحدين فى الأندلس حتى توفى سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣ م) .

ونشأ ابنه موسى بن محمد بن عبد الملك يعمل تحت لواء الموحدين ؛ ولكن الانحلال كان قد دب إلى دولتهم منذ هزيمة محمد الناصر فى موقعة العقاب ، وانتهى الأمر بأن ثارت عليهم معظم أملاكهم فى الأندلس . واستطاع أبو عبد الله محمد بن يوسف سليل بنى هود أمراء سرقسطة السابقين أن يستولى على مرسية ، وأن ينادى بنفسه أميراً لها باسم المتوكل على الله . وأعلن أن الخليفة العباسى قد أقر إمارته على الأندلس ثم سارعت إلى مبايعته كثير من البلاد الأندلسية . وكان ممن بادروا بالانضمام اليه موسى بن محمد بن عبد الملك ، فولاه أعمال الجزيرة الخضراء . وحدث بعد ذلك أن سقطت قرطبة فى يد المسيحيين سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٦ م) وخضع لهم بعد ذلك كثير من القلاع والحصون . ثم توفى المتوكل محمد بن هود أو قتل على يد وزيره حاكم المرية سنة ٦٣٥ هـ (١٢٣٧ م) ودبت الفوضى إلى أمور المسلمين فى الأندلس واضطرب سلطانهم . وحسبنا أن الجيش الذى كان يقوده ابن هود تفرق لما أذيع نبأ موته ، ولم يفلح أعوان المتوكل فى أن يعيدوا الجند إلى الصفوف .

ويبدو أن صاحبنا موسى بن محمد بن عبد الملك كره أن يقيم فى الأندلس بعد وفاة المتوكل فيمم شطر المشرق ليحج إلى بيت الله الحرام ، ومر بتونس فى طريقه إلى الحجاز ومعه ابنه على . واتصل ابنه بأدبائها ولا سيما أبو العباس التيفاشى ؛ فقد صاحبه علىّ ورسخت بينهما قواعد المودة . ولكن موسى واصل السير إلى الحجاز مع ابنه على ، ونزلا الإسكندرية سنة ٦٣٩ هـ فى السنة الثانية من ولاية الملك الصالح نجم الدين أيوب على مصر . ولم يستطيعا الحج فى تلك السنة فبقيا بمصر . وانتقل موسى إلى جوار ربه فى شوال سنة ٦٤٠ هـ بعد وصوله إلى مصر بنحو ستة أشهر .

وكان موسى من العلماء الذين أوغلوا فى البحث وأمعنوا فى التنقيب ، عكف على القراءة

---

(١) أنظر زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ١٤٥ — ١٤٦ ؛ و Henri Terrasse : La Grande Mosquée Almohade de Séville (dans : Mémorial Henri Basset, pp 253—258 et pl. I et II)

لجمع أشتات الأدب والإحاطة بأصوله وفروعه . وكان ابنه على بن موسى شديد الاعجاب بسعة اطلاع أبيه حتى كتب عنه فى ترجمته :

« لولا أنه والدى لأطنبت فى ذكره ، ووفّيته حق قدره ، وله فى هذا الكتاب الحظ الأوفر ، وكان أشغفهم بالتاريخ وأعلمهم به ، وقد عاش ستا وسبعين سنة ، لم أره يوماً يخلى مطالعة كتاب أو كَتْب ما يخلد ، حتى أيام الأعياد ، وفى ذلك يقول :

يا مُفْنياً عمرَه فى الكأس والوتَرِ ... وراعيا فى الدُجى للأنجم الزُهُرِ
يبكى حبيباً جفاه أو ينادم من ... يهفو لديه كغُصن باسم الزَّهَرِ
منعّماً بين لذّات يُمحّقُها ... ولا يخلّد من فَخْرٍ ولا سِيَرِ
وعاذلاً لى فيما ظلَتُ ألزمُه ... يبدى التعجب من صبرى ومن فِكَرى
يقول مالك قد أفنيت عمرك فى ... حِبْرٍ وطِرْسٍ عن الأعصار والخَبَرِ
وظلْتَ تسهر طول الليل فى تَعَبٍ ... ولا تُرى أبدَ الأيام فى ضَجَرِ
أقصر فانى أدْرَى بالذى طمحت ... لأُفْقه همتى واسأل عن الأثَرِ
واسْمَع لقول الذى تُتْلَى محاسنُه ... من بعد ما صار مثل التُّرْب كالسُّوَرِ
جمالَ ذى الأرض كانوا فى الحياة وهم ... بعد الممات جمال الكُتْب والسِّيَرِ »

وروى المقرى فى « نفح الطيب » عن على بن موسى أن شخصاً نقل إلى والده موسى ابن محمد بن عبد الملك — وهو وال على الجزيرة الخضراء من قبل المتوكل محمد بن هود — أن عند بعض النبهاء كراريس من شعر الشعراء وأخبار الرؤساء الذين تضمهم دولة الموحدين، فأرسل اليه يستعيرها ، فأبى ، وقال : إن كانت له حاجة اليها يأت للاطلاع عليها . فضحك موسى وقال لابنه على : سر معى اليه ، فقال له : ومن يكون هذا حتى نمشى له على هذه الصورة ؟ ! فقال له : إنى لا أمشى له ، ولكن أمشى للفضلاء الذين تضمنت الكراريس أشعارهم وأخبارهم ، أتراهم لوكانوا أحياء مجتمعين فى موضع أنفْتَ أن أمشى اليهم ؟ فقال على : لا ، فقال : إن الأثر ينوب عن العين . وذهبا فأطلعا عليها ، وشكر موسى لصاحبها ، ثم قال لابنه : « إنى سررت بهذه الفائدة أكثر من الولاية ، و إن هذا والله أول السعادة وعنوان نجاحها »[1] .

أما على بن موسى فقد نشأ نشأة أدبية خالصة . و يبدو أن والده حرص على إعداده وتثقيفه ، فأتيح له أن ينهض بإتمام « المغرب » وأن يخرج عشرات الكتب فى الأدب والتاريخ وتقويم البلدان ، وذلك أنه أفاد من صحبة أبيه أيما فائدة ، وانتفع بعلم المؤدبين والمعلمين الذين اختارهم أبوه ، فضلا عن الأدباء والعلماء الذين قرأ عليهم حين عكف على الدرس

(١) المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ٦٨٠

فى اشبيلية ، كأبى الحسن على بن جابر الدبّاج [١] والأعلم البطليوسى [٢] وأبى على الشلوبينى . وقد لقى موسى فى اشبيلية طائفة من أعلام الأدباء فى الأندلس كأبى بكر محمد بن احمد الصابونى [٣] والهيثم بن أحمد بن أبى غالب بن الهيثم [٤] والطبيب الوشاح أبى الحجاج يوسف بن عتبة [٥] وأبى اسحق ابراهيم بن سهل الاسرائيلى [٦] .

نهض إذن على بن موسى بإخراج كتاب « المغرب » فى صورته الأخيرة ، فلا عجب إذا أشاد بذكره من ترجموا له ، فأجمعوا على أنه كان ممن انقطعوا لطلب العلم فبلغوا منه موضعاً جليلا وأصبح من أئمة عصره الذين يشار اليهم بالبنان . قال فيه ابن فضل الله العمرى :

« أديب مبدع ، ولبيب ممتع ، وكانوا من بيت مُلْك لا يُنَهْنَهُ بالوعيد ، وكان لهم حصن سعيد بالأندلس ، وهو حصن خيّم على الغيوم ، وتختّم بالنجوم ، وناغى الرياح ، وصافح بكفه الثريا راحا براح ، وعلا فما طلع إلا فى ذيل أفقه الصباح ، ولا اشتعل المريخ فى شرفاته إلا دون أدنى مصباح . . . . وهو صاحبى الذى أوافقه فى هذا الكتاب تارة وتارة أؤاخذه ، ومرة أعاهده ومرة أنابذه ، وكان أجمّ من البحر إمداداً ، وأسجم من القطر عِهاداً ، وله الكلام الصافى الورود ، الضافى البرود ، وما تسير شوارده ، وتنير مثل الكواكب فرائده » [٧] .

وكتب الصفدى : « ابن سعيد من أئمة الأدب المؤرخين المصنفين » [٨] .

وقال لسان الدين بن الخطيب : «هذا الرجل وُسْطَى عقد بيته ، وعلم أهله ، ودرّة قومه ، المصنف الأديب الرحال ، الطرفة ، الإخبارى ، العجيب الشأن فى التجوّل فى الأقطار ومداخلة الأعيان للتمتع بالخزائن العلمية ، وتقييد الفوائد المشرقية والمغربية [٩]» .

وقال المقرى : « أديب زمانه غير مدافع ، من اعترف له أهل الشرق بالسبق وأهل المغرب بالإبداع المغرب . . . الشهير بالمغارب والمشارق ، المحلى بجواهره صدور المهارق » [١٠] .

---

(١) انظر المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق شوقى ضيف ج ١ ص ٢٦٤

(٢) المرجع نفسه ص ٣٦٩

(٣) المرجع نفسه ص ٢٦٣

(٤) المرجع نفسه ص ٢٥٨

(٥) المرجع نفسه ص ٢٥٨

(٦) المرجع نفسه ص ٢٦٤

(٧) راجع ترجمة ابن سعيد فى مسالك الأبصار للعمرى (نسخة مصورة بدار الكتب المصرية ، رقمها ٢٥٦٨ تاريخ ، المجلد الثامن الورقة ٣٨٢) .

(٨) انظر ترجمة ابن سعيد فى الوافى بالوفيات للصفدى (نسخة صورتها من استانبول الادارة الثقافية فى جامعة الدول العربية) .

(٩) انظر نفح الطيب ج ١ ص ٦٤٠ ؛ و Angel Gonzalez Palencia: Historia de la Literatura Arabigo-Espanola p. 161.

(١٠) المرجع نفسه ج ١ ص ٤٥١ و ٦٣٤

وتذكر معظم المراجع التى ترجمت لعلى بن موسى أن ولادته كانت بقلعة يحصب فى غرناطة سنة ٦١٠هـ (١٢١٣ — ١٢١٤)[١]. وقلعة يحصب هى التى تعرف الآن باسم Alcalá la Real . وكانت تسمى أيضا قلعة بنى سعيد، كما كانت تعرف قبل نسبتها اليهم باسم قلعة أسطلير، نسبة الى عين بهذا الاسم كانت توجد بها . أما يحصب فاسم بطن من قبيلة يمنية احتل أبناؤها هذا المكان عند فتح الأندلس[٢] . وهكذا نرى أنه كان فى التاسعة والعشرين من عمره حين نزل الاسكندرية مع والده فى طريقهما إلى مكة . ويبدو أنه كان حسن الصحبة جميل العشرة، وأنه خالط أدباء مصر وشعراءها وخبر أهواءهم وتعرف دخائلهم . وهو يشير إلى ذلك فى التراجم الأدبية التى يضمها هذا النص الذى نقدمه اليوم من « المغرب » .

ومن الذين صحبهم فى مصر جمال الدين موسى بن يغمور الذى ولى نيابة السلطنة فى مصر سنة ٦٤٥هـ من قبل الملك الصالح نجم الدين أيوب، ثم استعمل على نيابة دمشق سنة ٦٤٧ هـ، وكان عاملا عليها فى بدء سنة ٦٤٨ (١٢٥٠) حين انتصر الملك المعظم توران شاه على الفرنسيين فى المنصورة. وقد توفى هذا الأمير سنة ٦٦٣ هـ وكان عالما جليلا «سمع الحديث ... ولم يكن فى الأمراء من يضاهيه فى منزلته وشجاعته وقربه من الملوك، وكان أميراً جليلا خبيراً حازماً سيوساً مدبراً جواداً ممدحا[٣] »، ووقع ابن يغمور فى نفس على بن موسى موقعاً جليلا فصنف له كتاب « رايات المبرزين وغايات المميزين » .

وكان من حسن حظ على بن موسى أن قدم إلى مصر سنة ٦٤٤ القاضى كمال الدين ابن العديم رسولا من الملك الناصر يوسف صاحب الشام إلى السلطان الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر . « ولم يكن ابن العديم قطب أهل العلم وزعيمهم فحسب ولكنه كان مقرباً من السلطان لمكان أسرته فى البلد جاهاً وعلماً »[٤] . واتصل على بن موسى بابن العديم فاختصه بمعروفه وآثره ببره، وزين له الرحلة إلى حلب ولقاء صاحبها الملك الناصر، فنشط على لفعل ذلك وقصد إلى بلاط هذا الملك سنة ٦٤٤، وظل فى حلب تترادف عليه النعم إلى أن رحل عنها سنة ٦٤٧ متجهاً إلى دمشق . ثم رحل إلى بغداد فى السنة التالية ماراً بأرمينية وأرّجان، وحج بعد ذلك إلى بيت الله الحرام ورجع من الحجاز إلى تونس سنة ٦٥٢ هـ (١٢٥٤ م) حيث نزل عند صديقه أبى العباس التيفاشى ونال الحظوة عند أبى عبد الله المستنصر بالله . وكان بلاط هذا الأمير مقصد العلماء والأدباء والسفراء منذ مدّ سلطان بنى حفص فى المغرب الأوسط واتخذ لنفسه لقب « الخليفة » و « أمير المؤمنين » بعد سقوط بغداد فى يد التتر .

---

(١) ذكر المستشرق الاسبانى آنخل جنذالذ بالنثيا أن ولادته كانت فى قلعة بنى سعيد Alcala la Real بين عامى ١٢٠٩ و ١٢١٤ . انظر : Angle Gonzalez Palencia: Historia de la Literatura Arabigo-Espanola p. 160.

(٢) انظر المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ٦٨١ وياقوت : معجم البلدان، مادة يحصب .

(٣) ابو المحاسن ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢١٩

(٤) راجع مقدمة الدكتور سامى الدهان فى « زبدة الحلب من تاريخ حلب » لابن العديم (دمشق ١٩٥١) ص ٢١ — ٢٢

وحنّ على بن موسى إلى المشرق ثانية فرحل إليه سنة ٦٦٦ هـ . وسمع فى الإسكندرية بأعمال هولاكو ، فأحب أن يسعى إليه ، وسافر إلى حلب ومنها إلى أرمينية حيث أقام فيها مدة ضيفاً على هولاكو . ويبدو أنه أوغل فى هذه الرحلة نحو الشرق فوصل إلى إيران ، ثم عاد إلى تونس وأمضى فيها بقية حياته إلى أن أدركته الوفاة سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م) .

وقد زعم ابن شاكر[١] وأبو المحاسن ابن تغرى بردى[٢] أنه مات بدمشق سنة ٦٧٣ . ولكن هذا خبر لا نعيره الثقة ؛ فإن ابن الخطيب والمقرى[٣] وابن فرحون[٤] ، وجميعهم من مؤرخى المغرب ، قد اجتمع رأيهم على أنه قضى نحبه سنة ٦٨٥ هـ ، وذهب السيوطى فى ذلك إلى رأيهم[٥] . وفضلا عن ذلك فإن فى دار الكتب المصرية بالقاهرة مصورة عن أصل لأحد كتبه بخطه ، وهو كتاب « الغصون اليانعة فى محاسن شعراء المائة السابعة » ، وفى نهايته أنه كتب سنة ٦٨٣ هـ[٦] .

ويبدو مما دونه على بن موسى فى كتبه أنه قام برحلات طويلة فى ديار الإسلام[٧] ، وأنه أفاد من مشاهداته فيما ألّف فى التاريخ وتقويم البلدان . وكان حريصا على أن يشير إلى إقامته فى أى بلد عند الكلام عنه . مصداق ذلك أنه كتب عن مراكش : « وهى مما سكنت بها وعرفتها ظاهراً وباطناً[٨] » . والراجح أنه جال فى غربى إفريقية ورأى مصب نهر السنغال . أو لعله نقل ما كتبه فى هذا الصدد عن الرحالة ابن فاطمة الذى قام برحلة بحرية جنوبى الساحل المراكشى وغرقت السفينة التى كان فيها عند الرأس الأبيض (جنوبى المستعمرة الأسبانية التى تعرف الآن باسم ساحل الذهب) ، بعد أن توغل فى كشف الساحل الإفريقى الغربى إلى أبعد مما كان معروفا عند الأوربيين حينذاك[٩] . والحق أن لعلى بن موسى بن سعيد منزلة سامية بين الجغرافيين المسلمين[١٠] ، ولكن حجبتها شهرته بين المؤرخين والأدباء . بل لقد كان واسع الاطلاع ودقيق الملاحظة فى هذا الميدان ، بحيث سجل بعض الأحداث

---

(١) فوات الوفيات ج ٢ ص ٨٩

(٢) المنهل الصافى (مخطوطة بدار الكتب المصرية رقمها ١١١٣ تاريخ) المجلد الثانى الورقة ٤٥٣

(٣) نفح الطيب ج ١ ص ٦٤٢

(٤) الديباج المذهب (ط . مطبعة العامة) ص ٢٠٨

(٥) حسن المحاضرة ج ١ (ذكر من كان بمصر من المؤرخين) .

(٦) تخبط حاجى خليفة صاحب « كشف الظنون » فى تاريخ وفاة ابن سعيد فذكر فى بعض المواضع أنه سنة ٦٨٥ (ج ٥ ص ٥٥٦ ، رقم ١٢٠٨١) وذكر فى مواضع أخرى أنه سنة ٦٧٣ (ج ٢ ص ١٠٣ وج ٣ ص ٥٢٤ وج ٤ ص ٣١١ وج ٥ ص ٤٩٨) .

(٧) ولكن ابن سعيد كان شديد الاعجاب بموطنه فى الأندلس فكتب أنه لم ير رونق الأندلس فى مياهها وأشجارها الا مدينة فاس بالمغرب الأقصى ومدينة دمشق بالشام . انظر نفح الطيب للمقرى ج ١ ص ١٢٨

(٨) أنظر القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ١٦١

(٩) أنظر زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ١٢١ — ١٢٢

(١٠) انظر Carra de Vaux : Les Penseurs de l'Islam, II, p. 14; A. Kammerer : La Mer Rouge, L'Abyssinie et l'Arabie depuis l'Antiquité, t. I, pp. 46, 48, 51 et t. II pp. 70—71.

التى كان لها شأن عظيم فى تطور العمران والتى لم يفطن إليها غيره من المؤرخين والجغرافيين ، ومن ذلك ما كتبه عن هجرات بعض سكان الهند الصينية وجزر الملايو إلى أفريقية الشرقية[1] .

ومهما يكن من الأمر فإن صاحبنا ابن سعيد عاش خمسة وسبعين عاما ، خالط فيها العلماء والأدباء ، وعكف على الدرس والتحصيل ، وأفاد من نفائس المخطوطات فى ديار الإسلام ، وأقبل على التأليف حتى خلف ثروة ضخمة من المؤلفات والمصنفات ، وصل أقلها إلينا وضاع أكثرها . وفى الصفحات التالية بيان هذه التصانيف :

١ — المُغرِب فى حُلَى المَغْرِب

وهو الكتاب الذى نقدم اليوم قسما منه ، والذى نهض على بن موسى بن سعيد بإخراجه فى صورته الأخيرة وسجل فيه الجهود الأدبية لثلاثة أجيال متعاقبة من أسرته[2] . وقد سماه ابن شاكر الكتبى فى فوات الوفيات «المغرب فى أخبار المغرب» ، وسماه أبو المحاسن بن تغرى بردى فى المنهل الصافى « المغرب فى أخبار أهل المغرب » ، وسماه حاجى خليفة فى كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون « المغرب فى محاسن حلى أهل المغرب[3] » وذكر حاجى خليفة أنه فى نحو ١٥ مجلداً ألف لمحيى الدين محمد بن محمد الصاحب بن ندى الجزرى . ولكننا لم نقف فى المراجع على ما يؤيد تأليف الكتاب للجزرى هذا ، كما لم نعثر على سيرته فى كتب التراجم .

٢ — المُشْرِق فى حلى المشرق

ألفه على بن موسى بن سعيد تنفيذاً لفكرة جرت فى خلد أبيه وتخالجت فى صدره ، وسجل فى مقدمته أن أباه هو الذى وضع تصميمه وهيأ له أسبابه ، فكتب أن أباه « ثار فى خاطره أن يقابل «المغرب» بكتاب يماثله عن المشرق ، واستعان على هذا الغرض بالمدة وكثرة الكتب والتحكم فى خزائن من صحبه من عظماء الملوك فمن دونهم ، وكثرة المخالطة والممازجة لأهل هذا الشأن ، وطول العمر المفرغ لهذا الغرض وفوائد الأسفار إلى أن قطعه انتهاء العمر . . . . . ولم أزل بالمجموعين فى حياته وبعد وفاته إلى أن بلغت من كمالهما ما لو وقف عليه لزاد نوراً فى بابه ، ولم يبرح لعينه قرة ولقلبه فى كل حين [متعة] ومسرة . وقطعت مدة طويلة فى ترتيبه ، [أنسج] وألحم ، وأقدم وأحجم ، إلى أن أصبت الهدف ، [واتبعت] والحمد لله ما سلف

---

(١) راجع G. Ferrand : Relations des Voyages et Textes Géographiques Arabes, Persans et Turcs Relatifs à l'Extrême-Orient (Paris 1913—1914) t. II, pp. 316 et seq.

(٢) من الأمثلة التى نعرفها لاشتراك فى التأليف بين أكثر من جيل فى أسرة واحدة أبو منصور أحمد ابن عبدالله بن أحمد الفرغانى الذى عاش وتوفى بمصر سنة ٣٩٨ هـ ، فقد أتم كتاباً فى التاريخ بدأه والده . أنظر ترجمته فى معجم الأدباء لياقوت ج ٣ ص ١٠٥ — ١٠٦
كما أن السخاوى أشار فى الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ١٣١) إلى أن عنده كتاباً فى التاريخ للقطب الحلبى فى أربع مجلدات « ولولده التقى محمد عليه فيه زوائد كثيرة » .

(٣) رقم ١٢٤٦٨

بما خلف ، والطل [ينزل] أمام الوّبل ، والفضل للوبل لا للطل ، على أنى معترف بالاتباع ، غير مدّع للابتداع ، منشد قول فاتح باب التأدب :

لئن نَحَبَتْ قبلى فهاج لى البكا بكاها لقلت الفضل للمتقدم »

وقد حدث بين المؤلفين من الاختلاف فى تسمية هذا الكتاب ما حدث فى تسمية المغرب ، فسماه بعضهم : المشرق فى أخبار المشرق ، وسماه آخرون : المشرق فى أخبار أهل المشرق .

وفى المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية بالقاهرة نسخة مخطوطة من هذا الكتاب رقمها ٢٥٣٢ تاريخ .

وقد أدّى التواشج والصلة الدانية بين « المغرب » و « المشرق » إلى أن عدّهما المستشرق الأسبانى « آنخل جنذالذپالنثيا » كتابا أدبيا واحدا ينقسم إلى قسمين : المغرب والمشرق (١) .

ونلاحظ شيئاً من التجديد فى كتابة الأدب والتاريخ عند أصحاب «المغرب» و « المشرق » ؛ فقد اعتدنا أن نرى الكتابة فى التاريخ العام الاسلامى مع مقدمة عن التاريخ القديم منذ الخليقة ، كما يبدو من آثار البلاذرى والدينورى واليعقوبى وابن قتيبة والطبرى والمسعودى ، ورأينا الكتابة فى تاريخ إقليم أو بلد معين من ديار الإسلام كما يبدو من آثار الازرقى وابن عبد الحكم والهمدانى وابن عساكر والبغدادى ؛ ولكن تقسيم العالم الإسلامى إلى مَشْرق ومَغْرب وتخصيص كلا منهما بكتاب أمر نراه واضحا لأول مرة على يد أصحاب « المغرب » .

٣ — عنوان المرقصات والمطربات

سماه ابن شاكر الكتبى فى فوات الوفيات وأبو المحاسن بن تغرى بردى فى المنهل الصافى : « المرقص والمطرب » . وضمنه المؤلف « من النثر زهرات ، ومن النظم بدائع أبيات ، وأبان فيه عن بلاغة فصحاء المتقدمين والمتأخرين من الشعراء » وجعله مقدمة للكتاب المسمى « جامع المرقصات والمطربات » الذى ألفه محمد بن معلى الأزدى وتحدث فيه عن محاسن الشعر والشعراء. ورتب ابن سعيد كتابه هذا على الأعصار والطبقات التى بُنى كتاب الجامع المذكور على الكلام فيها ، وهى خمسة : الأول المرقص ، والثانى المطرب ، والثالث المقبول ، والرابع المسموع ، والخامس المتروك . «فالمرقص ما كان مخترعا أو مولدا تكاد تلحقه بطبقة الاختراع لما يوجد فيه من السير الذى يمكن أزمة القلوب من يديه ويلقى محبة عليه ، والمطرب ما نقص فيه الغرض عن درجة الاختراع إلا أن فيه نفحة من الابتداع ، والمقبول ما كان عليه طلاوة عما لا يكون فيه غرض ، والمسموع ما عليه أكثر الشعر ، والمتروك ما كان كلاًّ على السمع » .

وقد طبع هذا الكتاب بمطبعة جمعية المعارف بمصر سنة ١٢٨٦ هـ . ويلاحظ أن ابن سعيد التزم فى هذا الكتاب طريقته فى « المغرب » حين اعتبر مصر من بلاد المغرب ، فقد تحدث (ص ٥٦) عن « شعراء المغرب من أول الديار المصرية الى البحر المحيط » .

---

(١) انظر Angel Gonzalez Palencia : Historia de la Literatura Arabigo-Española p. 160.

٤ — الغصون اليانعة فى محاسن شعراء المائة السابعة

وقد مر بنا أن فى دار الكتب المصرية مصورة عن أصل لهذا الكتاب بخط ابن سعيد وفى نهايته أنه كتب سنة ٦٨٣ هـ .

٥ — رايات المبرزين وغايات المميزين

ذكر فى مقدمته أنه انتقاه من كتاب المغرب. وقد مرّ بنا أنه صنفه لجمال الدين موسى بن يغمور . وهذا هو الكتاب الذى نشره المستشرق الأسبانى الأستاذ أميليو غرسيه غومس سنة ١٩٤٢ [١]، معتمدا على مخطوطة منه وجدها بمكتبة المرحوم أحمد زكى باشا وهى مصورة عن نسخة فى اسطنبول [٢] .

٦ — نشوة الطرب فى تاريخ جاهلية العرب

وقد وصلت الينا نسخة مخطوطة منه محفوظه فى مكتبة توبنجن بألمانيا [٣] .

٧ — المقتطف من أزاهر الطرف

وهو كتاب من الموشحات وصلت الينا نسخة مخطوطة منه محفوظة فى مكتبة سوهاج (٣٣ أدب) . وفى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية مصوّرة لهذه المخطوطة . وفى دار الكتب المصرية بالقاهرة مصوّرة أخرى من هذا الكتاب .

٨ — القدح المعلّى فى التاريخ المحلّى [٤]

ويضم تراجم شعراء الأندلس فى النصف الأول من القرن السابع على غرار كتاب « قلائد العقيان » للفتح بن خاقان ، وقد اختصره أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل وقدمه للأمير أبى زكريا ابن الخليفة المستنصر بالله الحفصى ، ومنه نسخة مخطوطة فى المكتبة الأهلية بباريس . وفى المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية مصوّرة لتلك المخطوطة رقمها ٢٢١٥ تاريخ .

٩ — كتاب الجغرافيا فى الأقاليم السبع ، وكتاب بسط الأرض فى طولها والعرض

نهج فيه ابن سعيد سبيل الادريسى فى « نزهة المشتاق » . وقد وصل الينا مختصر من هذا الكتاب يسمى أحيانا « وصف الكون » (المخطوطة العربية رقم ٢٢٣٤ فى المكتبة الأهلية

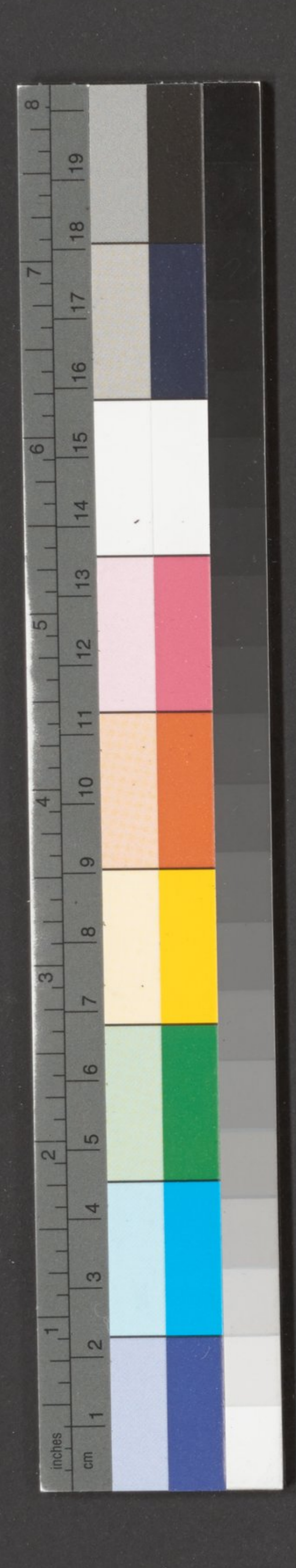
---

(١) Emilio Garcia Gomez : El Libro de las Banderas de los campeones de Ibn Saïd, 1942.

(٢) أنظر النقد الذى كتبه الدكتور شوقى ضيف عن هذه الطبعه ، فى مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد ، المجلد الثالث عشر الجزء الأول ، مايو سنة ١٩٥١ ص ٢٠٣ — ٢١٥ .

(٣) أنظر F. Trummeter : Ibn Sa'id's Geschichte der vorislamischen Araber (Stuttgart 1928)

(٤) أنظر نفح الطيب ج ١ ص ٥٣٨ ، ٥٤٢ ، ج ٢ ص ٢٠٥



بباريس والمخطوطة الشرقية رقم ١٥٢٤ بالمتحف البريطانى) ونرى فيه أن المؤلف يحدّد خط الطول وخط العرض لكل موقع جغرافى ذى شأن . والمخطوطة المحفوظة فى باريس تضم خريطة دقيقة وغنية بالأسماء الجغرافية (١) . كما وصل الينا مختصر آخر أقل جودة من المختصر الأول ، عنوانه « بسط الأرض فى طولها والعرض » ومنه مخطوطة فى المكتبة البودلية باكسفورد وأخرى فى لينينغراد (٢) .

وكتاب الجغرافيا فى الأقاليم السبع لابن سعيد هو الكتاب الوحيد الذى نعرفه من الكتب التى حذت حذو الإدريسى فى « نزهة المشتاق » واعتمدت عليه اعتمادا كبيرا ، فنرى فيه تقسيم العالم الى سبعة أقاليم ينقسم كل إقليم منها قسمين ، فضلا عن تعيين خط الطول وخط العرض لأى موقع ذى شأن ، بحيث يمكن رسم خريطة كاملة للعالم .

وكان لهذا الكتاب من تصانيف ابن سعيد أثر كبير فى الكتب الجغرافية التى ألفت بعده فقد نقل عنه أبو الفدا كما نقل عنه كثير من الجغرافيين والمؤرخين وكتّاب الموسوعات .

وثمة نص فى صبح الأعشى للقلقشندى قد يستنبط منه أن ابن سعيد ألف « معجما » فى تقويم البلدان لم يصل الينا شىء منه . قال القلقشندى (٣) ، عند الكلام على نيل مصر :

« وقد ذكر الحكماء أنه ينحدر من جبل القمر ، إما بفتح القاف والميم كما هو المشهور ، وإما بضم القاف وسكون الميم كما نقله فى « تقويم البلدان » عن ضبط ياقوت فى « المشترك » وابن سعيد فى « معجمه » .

فهو يشير هنا إلى أن أبا الفدا نقل فى كتابه « تقويم البلدان » ضبط « القمر » بضم القاف وسكون الميم عن ياقوت فى كتابه « المشترك وضعاً والمفترق صقعاً » (٤) وعن ابن سعيد فى كتابه « المعجم » .

ومهما يكن من الأمر فإن القلقشندى اعتمد على ابن سعيد فى كثير من البيانات الجغرافية التى دونها فى صبح الأعشى ولا سيما ما يختص بمواقع البلاد وخطوط طولها وعرضها (٥) .

---

(١) A. Kammerer: La Mer Rouge, l'Abyssinie et l'Arabie etc. t. I, p. 48 et pl. XII.

(٢) راجع M. Amari: Bibliotheca arabo-sicula ossia raccolta di testi Arabici che toccano la géografia, la storia, le biografie e la bibliografia della Sicilia, pp. 136 sqq.

وراجع أيضا عدد سبتمبر سنة ١٨٨١ من المجلة الايطالية الدراسات الشرقية Bolletino ital. degli studi or.

(٣) أنظر صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٩٠

(٤) طبع وستنفلد فى جوتنجن سنة ١٨٤٦

(٥) أنظر صبح الأعشى للقلقشندى ج ٣ ص ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٩٠ ، ٣٣٠ ، ٣٤٨ ، ٣٩٢ ، ٣٩٥ ، ٤٠١ ، ٤٠٦ ، ج ٤ ص ٩٨ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٠٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٩ ، ٣٢٠ — ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧ ، ٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٥١ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٨٧ ، ٣٩٠ — ٣٩٢ ، ٤٦٠ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ج ٥ ص ١٣ ، ١٥ ، ٤٠ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٧٠ — ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ — ٨٠ ، ١٠٠ — ١٠١ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، =

ومن المحتمل أن يكون ابن سعيد قد كتب رسالة لخص فيها جغرافية بطليموس [١] ، ولكن كتابه فى الجغرافيا أو بسط الأرض فيه أيضاً تلخيص للجغرافية التى كتبها هذا الفلكى الاغريقى فى القرن الثانى الميلادى والتى ذاع صيتها فى العصور الوسطى .

١٠ — الطالع السعيد فى تاريخ بنى سعيد

ذكره المقرى فى نفح الطيب (ج ١ ص ٦٤٠) والسيوطى فى حسن المحاضرة . وذكر السخاوى فى الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ١٢٨) أن اسمه « الطالع السعيد فى تاريخ قلعة بنى سعيد » أو قلعة يحصب ، مما يشير الى انه كان فى تاريخ موطن أسرة بنى سعيد وليس فى تاريخ هذه الأسرة . ومن المحتمل أن يكون ابن سعيد قد كتب فى الموضوعين كتابين مستقلين .

١١ — كنوز المطالب فى آل أبى طالب

ذكره أبو المحاسن بن تغرى بردى فى المنهل الصافى [٢] .

١٢ — الغرة الطالعة فى شعراء المائة السابعة

ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون (رقم ٨٥٧٢ ؛ ج ٤ ص ٣١١) ومن المحتمل أن يكون هو الكتاب الذى مرّ ذكره فى رقم ٤

١٣ — عُدّة المستنجز وعقلة المستوفز

تحدث فيه عن رحلته الثانية إلى المشرق ، وذكره المقرى فى نفح الطيب (ج ١ ص ٧٠٦) .

١٤ — النفحة المسكية فى الرحلة المسكية

تحدث فيه عن رحلته للحج ، وذكره المقرى فى نفح الطيب (ج ١ ص ٦٤٢) .

١٥ — حل الرسائل

ذكره أبو المحاسن بن تغرى بردى فى المنهل الصافى .

١٦ — ملوك الشعر

ذكره ابن شاكر الكتبى فى فوات الوفيات (ج ٢ ص ٩٠) والمقرى فى نفح الطيب (ج ١ ص ٦٥٧) .

= ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٨ — ١٧٥ ، ١٧٨ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ — ٢٣٥ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠ — ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣٠٤ ، ٣٢٦ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ — ٣٥٤ ، ٣٧٠ — ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٤٠٣ — ٤٠٦ ، ٤١٥

(١) انظر Angel Gonzalez-Palencia : Historia de la Literatura Arabigo-Española p. 161

(٢) نسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية رقمها ١١١٣ تاريخ ، المجلد الثانى الورقة ٤٥٣

١٧ ــ الغراميات

ذكره أبو المحاسن بن تغرى بردى فى المنهل الصافى ، وأشار اليه حاجى خليفة صاحب كشف الظنون باسم كتاب الغرائبات (رقم ١٠٣٤٧ ج ٥ ص ١٢٧) .

١٨ ــ لذة الأحلام فى تاريخ أمم الأعجام [١]

ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون (رقم ١١٠٨٧ ، ج ٥ ص ٣٠٩) وقال إنه فى نحو مجلدين .

١٩ ــ ريحانة الأدب فى المحاضرات

ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون (رقم ٦٧٥٢ ، ج ٣ ص ٥٢٤) وقال إن المؤلف جمع فيه بين عيون الأخبار ومستحسنات الأشعار .

٢٠ ــ نتائج القرائح فى مختار المراثى والمدائح

ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون (رقم ١٣٥٥٨ ، ج ٦ ص ٢٩٦) .

٢١ ــ ديوان

كتب المقرى أنه رأى ديوان شعر لابن سعيد ونقل عنه الشعر الذى اختاره فى ترجمته . وبعض المستشرقين المشتغلين بالأدب الأندلسى يحسبون ابن سعيد من الشعراء المجيدين فى الأندلس ، وقد ترجموا بعض شعره إلى الأسبانية [٢] ، ولكن الدكتور شوقى ضيف يرى أنه «شعر متوسط قلما يرتفع إلى أفق فنى عال» [٣]. والحق أن له بعض الصور الشعرية الجميلة ، ولكن معظم شعره عادى .

٢٢ ــ كتاب المحلى بالأشعار

ذكره المقريزى فى كتاب الخطط (ج ١ ص ٤٨٥ وج ٢ ص ١٨١) . وقد رجح الأستاذ بروكلمان أن يكون المقصود هنا كتاب القدح المعلى فى التاريخ المحلى [٤] ، الذى مر ذكره ، ولكننا لانرجح ذلك ، لأن كتاب القدح المعلى خاص بشعراء الأندلس ، والذى يشير إليه المقريزى خاص بمصر والنقل فيه عن تاريخ القرطى .

---

(١) انظر Angela Gonzalez Palencia : Historia de la Literatura Arabigo-Española pp. 160—161.

(٢) المرجع نفسه ص ١٠٠ — ١٠١

(٣) أنظر مقدمة الدكتور شوقى ضيف للقسم الأندلسى من المغرب ص ٨ — ٩

(٤) انظر C. Brockelmann : Geschichte der Arabischen Literatur, I, p. 337.

٢٣ — المرزمة

روى المقرى فى نفح الطيب (ج ١ ص ٦٤٠) أن ابن سعيد خلف كتابا اسمه « المرزمة » كان يشتمل على وقر بعير من رزم الكراريس .

٢٤ — حيا المحل وجنى النحل

ذكره القلقشندى فى صبح الأعشى (ج ٢ ص ٩٣ وج ١٤ ص ٣٩١) .

٢٥ — تاريخ مرتب على السنين

ذكر حاجى خليفة صاحب كشف الظنون (رقم ٢٠٩٥ ، ج ٢ ص ١٠٣) أن لابن سعيد تاريخا كبيراً رتبه على السنوات وأن له تاريخا صغيراً أيضاً ذكر فيه من لقيه من المتأخرين .

٢٦ — المعرب عن سيرة ملوك أهل المغرب

ذكره حاجى خليفة صاحب كشف الظنون (رقم ٢٣١٦) .

٢٧ — الملتقط من السلك من حلى العروس الأندلسية

ذكره حاجى خليفة صاحب كشف الظنون (رقم ١٢٨٦٠ ، ج ٦ ص ١٠٨) . والراجح أنه مقتبس من كتاب المغرب فى حلى المغرب [1] .

---

(١) اقرأ عن تصانيف ابن سعيد : رحلة محمد بن رشيد السبتى المتوفى سنة ٧١١ هـ . (مخطوطة فى الاسكوريال رقم ١٧٣٧ ، الورقة ١٠١) ، وتحفة العروس للتيجانى (مخطوطة فى المكتبة الأهلية بالجزائر ، الورقتين ١٤٥ و ١٤٦) و

Fr. Pons Boigues: Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y géografos Arábigo-Espanoles (Madrid 1898) pp. 306-310.

و M. P. Antuna: Una obra fragmentaria de Aben Said al Maghrebi, esistente en la Bibl. d'El Escorial (in Bol. Ac. d. Hists. 1925).

و C. Brockelmann: Geschichte der Arabischen Literatur, Erster Supplementband pp. 576-77.

وأقرأ مقتطفات من كتاباته عن جغرافية المغرب مترجمة فى :

E. Fagnan: Extraits inédits relatifs au Maghreb (Alger 1924) pp. 6-26

واقرأ عن آثاره فى تقويم البلدان :

W. Barthold: Geografiya Ibn Sa'ida (in Festschrift zu Ehren D. Chwolson, Berlin 1898, pp. 216-241)

و Hudud al-Alam, translated and explained by V. Minorsky pp. 205-361.

و Charles de la Roncière: La Découverte de l'Afrique au Moyen Age, I, pp. 23, 48, 49, 80, 129

٢ – الخطة فى كتاب المغرب

ليس المقصود بكلمة المُغرب فى عنوان هذا الكتاب واضحا كل الوضوح ، فقد يكون « الغَنِىّ » وقد يكون « الذى يأتى بالشئ الغريب » ؛ لأن الإغراب فى اللغة إتيان الغرب أوتحسن الحال ، أو الإتيان بالغريبْ . وأغرب أى أتى الغرب ، أو أتى بالشئ الغريب ، أو أمعن فى البلاد ، أو حسن حاله . وأغرب فى الضحك ونحوه : بالغ . أما « حلى » فجمع حلية وهى ما يزين به من المعدنيات أو الحجارة الكريمة .

ومهما يكن من شىء فإن من الطبيعى أن تكون الخطة واحدة فى كتابى « المغرب » و « المشرق » . ومن حسن الحظ أن على بن موسى بن سعيد قد سجل فى مقدمة «المشرق» خطة التأليف فيه وفى « المغرب » بقوله :

« كل من التصنيفين مرتب على البلاد، متى ذكر بلد ذكرت كوره، وأتكلم عليه وعلى كل كورة منه . . . وأبتدئ بكرسى مملكتها وقاعدة ولايتها بحسب مبلغ [علمى] من إعلام بمكانها من الأقاليم ومن بناها وما يحف بها من نهر أو منزه أو خاصة معدنية ونباتية ، ومن تداول عليها من أبناء الملوك أولى التواريخ التى لا يجب إغفالها . ثم نأخذ فى الطبقات واحدة بعد أخرى ، وهى خمس : طبقة الأمراء ، وطبقة الرؤساء وطبقة العلماء وطبقة الشعراء وطبقة اللفيف . [والأربع الأولى] مخصوصة بمن له نظم من أولى الخطط المذكورة ، ولها تفسير تقف عليه فى مواضعه . وطبقة اللفيف مخصوصة بمن ليس له نظم من أى صنف كان ، ممن لا يجب إغفاله ، وفيها من النوادر والمضحكات ما يكون [مثل] الأحماض » .

على أن هذه الخطة لم تطبق تطبيقا دقيقا فى القسم الخاص بمصر . وإذا أردنا أن نبدأ بفهمها وجب أن نتجه إلى القسم الخاص بالأندلس حيث نجد أن المؤلفين قد التزموها إلى أبعد حد . وقد وفق الدكتور شوقى ضيف فى شرح هذه الخطة ، فقال إن ابن سعيد بدأ هذا النص بالحديث عن الأندلس وخصائصها وفضائلها ، « ثم خرج إلى كور الأندلس كورة كورة وقد سمى هذا القسم كله الخاص بالأندلس « كتاب وشى الطُّرس فى حلى جزيرة الأندلس » ثم رجع فقسم الأندلس إلى غرب وموسطة وشرق ، وأفرد لكل قسم كتابا : فسمى كتاب الغوب « كتاب العُرس فى حلى غرب الأندلس » وسمى كتاب الموسطة « كتاب الشفاه اللُّعُس فى حلى موسطة الأندلس » ، وكتاب الشرق « كتاب الأنس فى حلى شرق الأندلس » ثم أخذ يقسم كل كتاب من الكتب الثلاثة إلى ممالكه . وقسم كل مملكة إلى كورها المختلفة ، ووزع على ذلك كله الطبقات الخمس

التى سماها فى مقدّمة « المشرق » . وكل مملكة ، بل كل كورة ، بل كل بلدة فى كورة نجد لها كتابا مفردا . وقد قسم الغرب إلى سبع ممالك ، وبعبارة أخرى إلى سبعة كتب هى :

١ — كتاب الحلة المذهبة فى حلى مملكة قرطبة .
٢ — كتاب الذهبية الأصيلية فى حلى المملكة الإشبيلية .
٣ — كتاب الفردوس فى حلى مملكة بطَلْيَوْس .
٤ — كتاب الخلْب فى حلى مملكة شلْب .
٥ — كتاب الديباجة فى حلى مملكة باجة .
٦ — كتاب الرياض المصونة فى حلى مملكة أشبونة .
٧ — كتاب خدع الممالقة فى حلى مملكة مالقة .

وعلى نحو تقسيمه للغرب إلى كتب سبعة باعتبار الممالك قسم الموسطة إلى أربعة كتب هى :

١ — كتاب النفحة المندلية فى حلى المملكة الطليطلية .
٢ — كتاب النفحة البستانية فى حلى المملكة الجيَّانية .
٣ — كتاب الكواكب المنيرة فى حلى مملكة ألبيرة .
٤ — كتاب النشوة الخمرية فى حلى مملكة المرية .

وقسم الشرق باعتبار ممالكه إلى ستة كتب هى :

١ — كتاب التشمير فى حلى مملكة تدمير .
٢ — كتاب الروضة النرجسية فى حلى المملكة البلنسية .
٣ — كتاب الفصوص المنقوشة فى حلى مملكة طرطوشة .
٤ — كتاب شفاء الغلة فى حلى مملكة السَّهلة .
٥ — كتاب ابتسام الثغر فى حلى جهات الثغر .
٦ — كتاب اللمعة البرقية فى حلى المملكة الميورقية .

وكل كتاب لمملكة من هذه الممالك ينقسم بدوره إلى كتب باعتبار كورها المختلفة ، فالكتاب الأول الخاص بمملكة قرطبة ينقسم إلى أحد عشر كتابا ، هى :

١ — كتاب الحلة الذهبية فى الكورة القرطبية .
٢ — كتاب الدرّة المصونة فى حلى كورة بلكونة .
٣ — كتاب محادثة السّير فى حلى كورة القُصير .
٤ — كتاب الوشى المصوّر فى حلى كورة المدوّر .
٥ — كتاب نيل المراد فى حلى كورة مراد .
٦ — كتاب المزنة فى حلى كورة كزنة .
٧ — كتاب الدر النافق فى حلى كورة غافق .

٨ — كتاب النغمة الأرِجة فى حلى كورة إستجة .
٩ — كتاب الكواكب الدرّية فى حلى كورة القبرية .
١٠ — كتاب رقة المحبة فى حلى كورة إستبة .
١١ — كتاب السوسانة فى حلى كورة اليسانة .

وكل كتاب من هذه الكتب الخاصة بالكور ينقسم بدوره إلى كتب باعتبار البلدان المهمة فى الكورة ، فكتاب الكورة القرطبية مثلا ينقسم إلى خمسة كتب ، هى :

١ — كتاب النغمة المطربة فى حلى حضرة قرطبة .
٢ — كتاب الصبيحة الغراء فى حلى حضرة الزهراء .
٣ — كتاب البدائع الباهرة فى حلى حضرة الزاهرة .
٤ — كتاب الوردة فى حلى مدينة شقندة .
٥ — كتاب الجرعة السيغة فى حلى قرية وزغة .

وبهذه الصورة تشبه كتب الأندلس فى هذا النص شجرة كبيرة ، تخرج من جذعها فروع مختلفة ، وتخرج من الفروع غصون كبيرة وتخرج من الغصون الكبيرة غصون صغيرة ، وتخرج من الغصون الصغيرة أوراق متنوعة . ومن هنا كان منهج تأليف هذا النص معقدا ، وخاصة أن كلمة « كتاب » تتردد فيه مع كل فرع وكل غصن وكل ورقة .

وفى كل قاعدة لمملكة يتحدث المؤلفون للنص عن الطبقات الخمس من أصحاب التراجم ، ولكن بأسلوب خاص ، وذلك أن القاعدة تعد عروسا لمملكتها ، وفى اصطلاح المؤلفين أن للعروس الكاملة الزينة منصة وتاجا وسلكا وحلة وأهدابا . أما المنصة فخاصة بالمعلومات الجغرافية عن القاعدة وما يتصل بذلك من متنزهاتها أو المنشآت فيها من مساجد وقصور ونحو ذلك . وأما التاج فخاص بمن حكموها . وأما السلك فخاص بأشرافها ورؤسائها من الوزراء والكتاب والقضاة ، وعلمائها من الفقهاء والنحاة والمحدثين والفلاسفة ، وشعرائها المختلفين . ولكل مجموعة من هذه المجموعات كتاب خاص بها داخل السلك . ويلاحظ أن كل من يتحدثون عنه فى السلك يكون ممن عانى صناعة الشعر . وأما الحلة فخاصة بطبقة اللفيف ممن ليس له نظم ولا شعر من الطبقات السابقة ، ولكن يحسن ألا يخلو النص منه . ويلى ذلك كله الأهداب ، وهى خاصة بالوشاحين والزجالين ، ويتبعهم بعض المضحكين وما اشتهر من نوادرهم .

وقد تنقص كتب داخل السلك ، وقد لا تأتى الحلة ، وقد لا يأتى سوى المنصة كل ذلك فى القاعدة أو العروس ، أما فى البلدان الأخرى فالعادة أن لا يتبع هذا الترتيب ، والكثير الأكثر أن تذكر كلمة مقتضبة عن البلدة يليها أهم من نبغوا فيها . وإذا كانت بلدة كبيرة وضع لها بساط وهو يقابل المنصة فى الحاضرة ، ووراء البساط السلك ، وقلما تأتى وراء ذلك أهداب ، وقد تأتى كما فى شريش [1] .

---

(١) أنظر مقدمة الدكتور شوقى ضيف للنص الأندلسى من المغرب ص ٩ — ١٣

وانتهى الدكتور شوقى ضيف إلى أن هذا النص الخاص بالأندلس « لا يطرد سياق التأليف فيه ، فقد تأتى القاعدة وليس معها أهداب ، بل ليس معها سلك ، وقد تأتى غير القاعدة ومعها السلك وقد يكون لها أهداب » .

أما خطة « المغرب » فى القسم الخاص بمصر فلا تزال غير واضحة . والراجح عندنا أن المؤلفين لم يلتزموا فى هذا القسم الخطة التى سجلها على بن موسى بن سعيد فى مقدّمة كتاب « المشرق » والتى مر الكلام عليها . وإذا كان المنهج فى هذا القسم قد خفيت أعلامه وعميت مسالكه ، فإنما يرجع ذلك إلى أن الأوراق التى تضمها المخطوطة من هذا القسم لا تكفى لكشف خطة المؤلفين فيه والكتب التى قسموه إليها ، كما يرجع كذلك إلى أن ما يعرفه المؤلفون عن مصر وتاريخها لا يمكن أن يقاس بما يعرفونه عن الأندلس ، فلا عجب إذا كان ما كتبوه عن مصر أقل إحاطة بالتفاصيل .

والراجح أن المؤلفين بدأوا بالحديث عن مصر وفضائلها على النحو الذى سلكه معظم المؤلفين المسلمين الذين كتبوا عن مصر فى العصور الوسطى[1] ، ثم خرج « أصحاب المغرب » إلى الكور المصرية فقسموها عدّة أقسام ، ولكن الذى وصل إلينا من الكتاب لا يضم الكلام على كل هذه الأقسام ، فحسبنا أن نعرض ما نعرفه فى هذا الصدد .

والذى يشير إليه الكتاب أن القسم الخاص بمصر كان يعرف باسم « كتاب الإكليل فى حلى بلاد النيل » ، وقد سجل ذلك على بن موسى بن سعيد فكتب فى نهاية الجزء السادس من الكتاب (المجلد الثانى ، الورقة ١٤٢ من المخطوطة) :

« كمل السادس من كتاب المغرب فى حلى المغرب ، وبتمامه كمل كتاب « الإكليل فى حلى وادى النيل ، الذى يشتمل عليه فلك الزهرة ، يتلوه فى السابع الفلك الثانى من الأفلاك المغربية وهو فلك عطارد الذى يشتمل عليه كتاب نفحات العنبر فى حلى بلاد البربر ، كتبه بخطه على بن سعيد مكمله برسم الخزانة الصاحبية العلية الكمالية العقيلية عمرها الله بحضرة حلب فى العشر الآخر من جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وستمائة » .

ويبدو أن المؤلفين قسموا كتاب الإكليل إلى ثلاثة كتب : الأول عن المملكة العليا والثانى عن المملكة الوسطى والثالث عن المملكة السفلى ؛ وأنهم قسموا كل مملكة منها إلى كور مشرقية وكور مغربية وأن الكلام على الكور المشرقية كان يضم كتباً عن عدّة مدن ؛ ومثله الكلام على الكور المغربية . وقد سجل المؤلفون ذلك فى فاتحة الكتاب السادس من « المغرب » بالعبارة الآتية :

« فهذا الكتاب السادس من الكتب التى يشتمل عليها كتاب النشوات الخمرية فى حلى المملكة الوسطى من الممالك المصرية ، وهو الأول من كتب الكور المشرقية عن النيل .

---

(١) انظر Zaky M, Hassan : Moslem Egypt and its Contribution to Islamic Civilisation. (Bulletin of the Faculty of Arts, Fouad I University, vol. XI, part II, December 1949, pp 115—137) pp 127—128.

وسميته كتاب لذة اللمس فى حلى كورة عين شمس[1] ، يشتمل هذا الكتاب على أربعة (كذا ، وفى الهامش خمسة) كتب : الأول كتاب منية النفس فى حلى مدينة عين شمس ، الثانى كتاب الاغتباط فى حلى مدينة الفسطاط ، الثالث كتاب النجوم الزاهرة فى حلى مدينة القاهرة ، الرابع كتاب رشف القبل فى حلى قلعة الجبل ، الخامس النفحة الحاجرية فى حلى الجزيرة الصالحية » .

أما الكلام على سائر الكور والمدن المصرية فليس فى الأوراق التى وصلت الينا من المخطوطة ما يوضح منهاجه ويحسر اللثام عنه .

ولكن القسم المصرى من « المغرب » يضم أيضا كتبا لا تتصل بالكور أو المدن وإنما تسرد تاريخ الحكام فى إطناب ظاهر ، من ذلك « كتاب الدرّ المكنون فى حلى دولة بنى طولون » (المجلد الثانى ، من الورقة الأولى إلى الورقة الحادية والثمانين) و « كتاب العيون الدعج فى حلى دولة بنى طغج » (المجلد الثالث ، من الورقة ١٣٢ ظ الى الورقة ٢٠٤) و « كتاب الروض المهضوب فى حلى دولة بنى أيوب » (المجلد الثانى ، من الورقة ٨٨ الى الورقة ١٤١) . وقد جاء فى « المغرب » تفسير هذه الخطة ، فكتب المؤلفون (فى المجلد الثانى ، الورقة ٢١٩ ظ) :

« وقد رأينا أن نفرد لبنى طولون الذين توارثوا سلطة مصر كتابا كما أفردنا لبنى عباد الذين توارثوا مملكة اشبيلية كتابا ، فإنهم ممن تحلى بهم زمانهم ودل عليهم عنوانهم » .

وكتبوا (فى المجلد الثانى ، الورقة الأولى ظ) .

« ... فإن بنى طولون لما كانوا ممن تأثلت دولتهم بالديار المصرية ، وتؤرخت عنهم من السير فيها ما فاض ذكره على البلاد المشرقية والمغربية أفردت لهم فى هذا الكتاب الذى طلعت به الكتب المتميزة كنجوم السماء ، وتولدت فى أثنائه كتولد الحباب فى صفحة الماء وسميته : كتاب الدرّ المكنون فى حلى دولة بنى طولون » .

والملاحظ فى هذه الفقرة الأخيرة أن على بن موسى بن سعيد مكمل كتاب المغرب يتحدث عن تصنيف كتاب « الدر المكنون » بصيغة المفرد المتكلم مما يدفعنا إلى أن ننسب اليه هذا الجزء من كتاب « المغرب » وأن نرجح أنه لم يعتمد فيه على أصول تركها من سبقوه فى إعداد « المغرب » .

أما عن « كتاب الروض المهضوب فى حلى دولة بنى أيوب » فقد كتب على بن موسى بن سعيد (فى المجلد الثانى ، الورقة ٨٨) .

« قال ابن سعيد مكمل هذا الكتاب : رأيت أن أفرد لبنى أيوب خلد الله دولتهم كتاباً كما أفردت لبنى طولون وبنى طغج ، إذ تدوخت دولتهم فى البلاد ودامت طاعتهم على العباد ، والكتاب المتضمن لذلك منه ما يختص بكتاب المشرق فى حلى المشرق وستقف على ذلك هنالك ،

---

(١) أخطأ ابن دقماق فظن أن هذا الكتاب مصدر من المصادر التى نقل عنها ابن سعيد . انظر الانتصار لواسطة عقد الأمصار ج ٥ ص ٤٣

ومنه ما يختص بكتاب المغرب فى حلى المغرب وهو ما يختص بالديار المصرية فمنه ما يذكر فى القاهرة ومنه ما يذكر فى قلعة الجبل ومنه ما يذكر فى الجزيرة الصالحية » .

ويبدو من هذه الفقرة أيضاً ان المسئول عن تاريخ الأخشيديين والأيوبيين فى كتاب المغرب هو على بن موسى بن سعيد نفسه . وإذا كان أصحاب المغرب لم يفردوا لتاريخ مصر فى عصر الولاة كتاباً فى المغرب فإنما ذلك لأنهم التزموا منهج الكتاب فتحدثوا عنهم فى « التاج » من « كتاب الاغتباط فى حلى مدينة الفسطاط » . وهو الجزء الأول فى القسم الذى ننشره من «المغرب» . أما تاريخ الخلفاء الفاطميين فى مصر فقد تحدث أصحاب « المغرب » عنه فى الكلام على التاج من « كتاب النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة » ، وذلك بعد أن قدموا له بنبذة مختصرة عن قيام الدولة فى بلاد المغرب وأشاروا إلى أن تفصيل الكلام على قيام الفاطميين يكون فى الكتاب المعقود للحديث عن افريقية . قال أصحاب المغرب :

"التاج

من زينة العروس القاهرية

قد تقدم أن الاصطلاح فى التاج ذكر من له ترجمة فى المدينة المذكورة من الأنبياء عليهم السلام والخلفاء والسلاطين والملوك . والقاهرة إسلامية ليس فيها ترجمة لنبى ، وأول من بناها وملكها جوهر غلام المعز لمولاه .

من كتاب الاصطفاء فى حلى الخلفاء

ذكر فى هذا المكان من اتخذ القاهرة قطباً من خلفاء العبيديين الذين خطب لهم بأمرة المؤمنين وادعوا إمامة المسلمين من لدن أول خليفة قطن فيها وهو المفر إلى آخر خليفة منهم ، وهو العاضد الذى زالت خلافته على يد السلطان الأعظم صلاح الدين .

ولنذكر أولا مقدمة فى هؤلاء الخلفاء . ويكون ذلك مختصراً ، واستيعابه فى كتاب افريقية".

وثمة إشارة إلى كتب فى « المغرب » لا تضم موضوعات قائمة بذاتها فى موضع معين من مواضع الكتاب ، وإنما تبدو كأنها مجموعات من تراجم كان المؤلفون ينقلون عنها أو هى أشبه شئ بجذاذات (فيشات) يلجأون اليها لاستمداد الحديث عن الحكام والأشراف والرؤساء والوزراء والكتاب والقضاة والعلماء والشعراء ، وذلك عند الكلام على التاج والسلك . وقد مر بنا أن المؤلفين يعدون القاعدة فى الاقليم عروساً لمملكتها ويعتبرون أن للعروس الكاملة الزينة منصة وتاجا وسلكا وحلة وأهداباً . فالمنصة خاصة بالبيانات الجغرافية والعمرانية

عن القاعدة ، والتاج خاص بالأحاديث عمن تداولوا حكمها ، والسلك خاص بمن نبغ فيها من الأشراف والرؤساء والوزراء والكتاب والقضاة والعلماء والشعراء ، والحلة خاصة بطبقة اللفيف ممن ليس له نظم ولا شعر من الطبقات السابقة ولكن يحسن أن لا يخلو النص منه ؛ أما الأهدب فخاصة بالوشاحين والزجالين ويتبعهم بعض المضحكين .

ويبدو أن كل مجموعة من هذه المجموعات أعدّ لها المؤلفون كتاباً أو أكثر ينقلون عنه كلما تحدثوا عن التاج أو السلك فى قاعدة أو مدينة . مثال ذلك « كتاب الاصطفاء فى حلى الخلفاء » ، وقد ضمنوه الكلام على الخلفاء الفاطميين عند الحديث عن التاج فى « كتاب النجوم الزاهرة فى حلى مدينة القاهرة » و « كتاب الأساطين فى حلى تراجم السلاطين » ، وقد ضمنوه « من اتخذ القاهرة سريراً ممن ملك جميع الديار المصرية » فتحدثوا فيه عن جوهر ، وتركوا الحديث عن الخلفاء الفاطميين لأنهم ذكروهم فى كتاب الاصطفاء فى حلى الخلفاء ، وتحدثوا عن السلاطين الأيوبيين ولكن بعنوان جديد هو « الروض المهضوب فى حلى دولة بنى أيوب » . وهذا مثال من اضطراب التأليف فى الكتاب ومن الأدلة على أن المخطوطة التى وصلت إلينا من المغرب كانت أوّل نسخة كتبها على بن موسى بن سعيد وكانت لا تزال تحتاج إلى بعض التعديل والتنقيح .

ومن الأمثلة الأخرى لتلك الكتب التى ترد أسماؤها فى المغرب « كتاب الياقوت فى حلى ذوى البيوت » وقد ضمنوه الكلام على النابهين من الأسرات الجليلة القدر و « كتاب الإحكام فى حلى الحكام » للمشهورين من القضاة و « كتاب الريحانة فى حلى أهل الديانة » للفضلاء من الأتقياء والعباد و « كتاب نجوم السماء فى حلى العلماء » و « كتاب عنبر الشعر فى حلى المشهورين بالشعر » و « كتاب مشارع الصفاء فى حلى الشرفاء » و « كتاب مصابيح الظلام فى حلى القابضين على درّ الكلام » و « كتاب تلقيح الآراء فى حلى الحجاب والوزراء » و « كتاب أردية الشباب فى حلى الكتاب » و « كتاب بلوغ الأعمال فى حلى ولاة الأعمال » و « كتاب الاصطفاء فى حلى الشرفاء » و « كتاب مرتع الرواد فى حلى الرؤساء والقوّاد » .

ولكن من المحتمل أيضاً أن المؤلفين كانوا يهدفون إلى جمع تراجم كل طائفة فى كتاب خاص بعد الفراغ من كتاب « المغرب » وكانوا يمهدون لهذا بنسبة التراجم المتفرقة فى « المغرب » لطائفة معينة إلى كتاب يذكرون عنوانه كلما ترجموا لفرد من هذه الطائفة .

وقد سار المؤلفون فى التراجم التى ضمنوها السلك من حلى العروس الفسطاطية على سنة شرحوها فى العبارة الآتية : « وتحقيق الفرق بين من اختص بالفسطاط من القاهرة صعب ، ولكن نأخذ بلفظة تدل على التمييز فى ذلك ونجعل من كان فى دولة بنى طولون ودولة بنى طغج وما قبلها ، إذا جهلنا حيث كان سكناه ، من أهل الفسطاط ، لأن القاهرة فى ذلك الأوان لم تكن بنيت ، ومن كان فى دولة العبيديين الخلفاء ولم نعلم تحقيق مسكنه جعلناه من أهل القاهرة » (ص ٢٠٢) .

ويضم كتاب المغرب خمسة عشر سفرا ، جاء فى آخرها الكلام على « الأرض الكبيرة » أى روما وبيزنطة وبلاد الفرنجة والألمان ، وينتهى بالعبارة التالية :

« ولهذه الأرض جزائر وممالك كثيرة وقد تقدمت صورتها وبها كمل جميع كتاب المغرب فى حلى المغرب والحمد لله وصلواته على خيرة خلقه محمد وعلى آله وصحبه وذلك بخط مكمل تصنيفه على بن سعيد فى مدينة حلب المحروسة للخزانة الصاحبية الكمالية عمرها الله بتاريخ سنة سبع وأربعين وستمائة » .

والستة الأولى من هذه الأسفار خاصة بمصر ، أما السابع والثامن والتاسع فخاصة بافريقية وبلاد البربر ، على حين أن الأجزاء الستة الأخيرة — من العاشر إلى الخامس عشر خاصة ببلاد الأندلس .

٣ – مصادر الكتاب

كتب الدكتور شوقى ضيف عن مصادر القسم الأندلسى من « كتاب المغرب [١] » فلا بأس من أن نقصر الحديث هنا على مصادر القسم الخاص بمصر . ولما كان « المغرب » يضم كثيرا من البيانات التى تدخل فى تقويم البلدان والتى تعتبر المشاهدة مصدرا أصيلا لها فإن الطبيعى أن يكون لهذا المصدر شأن عظيم فى « المغرب » .

ولا ريب فى أن الذين صنفوا هذا الكتاب — ولا سيما على بن موسى بن سعيد — لم يفيدوا من المصنفات التى اطلعوا عليها ومن الرواية الشفوية فحسب ، بل اعتمدوا على المشاهدة كل الاعتماد . والحق أن المشتغلين بالآثار والفنون الإسلامية يقدرون « كتاب المغرب » حق قدره ، لما يفيدونه مما سجله فيه على بن موسى بن سعيد معتمداً على المشاهدة . مصداق ذلك عنايتهم بما كتبه فى وصف الفسطاط [٢] والقاهرة . وكان على بن سعيد نفسه يرى أن للمشاهدة شأنا عظيما فى العلم والمعرفة فكان يدون فى المناسبات المختلفة ما يؤيد ذلك . وقد سجل فى « كتاب النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة » من « المغرب » :

« قال على بن سعيد : وقد جمعت ملتقطات من كتاب البيهق وكتاب القرطى وغيرهما من الكتب وأضفتها إلى ما عاينته وعلمته من أمر مدينة القاهرة لأنى سكنت فيها كثيرا داخلا وخارجا » .

ومما يزيدنا اطمئنانا إلى قيمة المشاهدة عند على بن سعيد أنه كان دقيق الملاحظة ، كما يتجلى فى كثير من المواضع التى يعرض فيها لوصف ما تقع عليه عيناه ، و أنه كان صريحا و بعيداً عن التأثر بالمجاملة ، لايداهن ولا يدارى . مصداق ذلك أنه عاش فى مصر بضع سنوات وكانت له مع كثير من أهل القاهرة مودة وصداقة ، ولكنه حين كتب عن القاهرة ، كان صادق الخبر ولم يخش فى الحق لومة لائم ، فقد قال يصف هذه المدينة ، فى « كتاب النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة » من « المغرب » :

« هذه المدينة اسمها أعظم منها وكان ينبغى أن تكون فى ترتيبها ومبانيها على خلاف ما عاينته ، لأنها مدينة بناها المعز أعظم خلفاء العبيديين ، وكان سلطانه قد عم جميع طول المغرب من أول

---

(١) انظر مقدمته لنص الاندلسى المطبوع فى دار المعارف ص ١٣ — ١٧

(٢) انظر من صفحة ٥ الى صفحة ١١ من الصفحات التالية فى المتن ؛ G. Wiet : Corpus Inscriptionum Arabicarum, Egypte. II. p 15. و L. Hautecœur et G. Wiet: Les Mosquées du Caire, I pp. 75, 106, 110, 157, وانظر أيضا S. Lane-poole : A History of Egypt in the Middle Ages p. 240 و E.L. Butcher : The Story of the Church of Egypt, II, pp 148-149.

الديار المصرية إلى البحر المحيط ، وخطب له فى البحرين من جزيرة العرب عند القرامطة وفى مكة وفى المدينة و بلاد اليمن وما جاورها وعلت كلمته .

وسارت مسـير الشمس فى كل بلدة وهبت هبوب الريح فى البر والبحر

لا سيما وقد عاين مبانى أبيه المنصور فى مدينته المنصورية التى الى جانب القيروان وكانت من أعظم المدائن ، وعاين المهدية مدينة جده عبيد الله المهدى ؛ لكن الهمة السلطانية ظاهرة على قصور الخلفاء بالقاهرة وهى ناطقة إلى الآن بألسن الآثار ..... والمكان الذى يعرف فى القاهرة بين القصرين هو من الترتيب السلطانى ، لأن هناك مساحة متسعة للعسكر والمتفرجين ما بين القصرين . ولو كانت القاهرة كلها كذلك كانت عظيمة القدر كاملة الهمة السلطانية ، ولكن ذلك أمد قليل، ثم تسير منه الى أمد ضيق وتمر فى ممر كدر حرج بين الدكاكين ؛ إذا ازدحمت فيه الخيل مع الرجالة كان فى ذلك ما تضيق منه الصدور وتسخن منه العيون . ولقد عاينت يوما وزير الدولة وبين يديه الأمراء وهو فى موكب جليل وقد لقى فى طريقه عجلة بقر تحمل حجارة وقد سدّت جميع الطرق بين الدكاكين ، ووقف الوزير وعظم الازدحام ، وكان فى موضع طباخين والدخان فى وجه الوزير وعلى ثيابه ، وقد كاد يهلك المشاة وكدت أهلك فى جملتهم . وأكثر دروب القاهرة ضيقة مظلمة كثيرة التراب والأزبال ، والمبانى عليها من قصب وطين مرتفعة قد ضيقت مسلك الهواء والنور بينها ..... الخ » .

أما الرواية الشفوية فعنصر أساسى من مصادر « المغرب » . وطبيعى أن تأليف الكتاب على يد ستة من أعلام الأدباء فى مائة وخمس عشرة سنة زاد من قيمة الرواية الشفوية ، لأن أولئك المؤلفين فى الأجيال المتصلة أتيح لهم أن يخالطوا العلماء والرؤساء والأدباء وأن يتقلبوا بين أفراد الشعب وأن يرووا عن القوم الأخبار والشعر .

ولا ننسى فى هذه المناسبة أن أسرة بنى سعيد كانت أسرة عظيمة الجاه ذائعة الذكر [1] ، وأن أفرادها الذين عملوا فى تأليف المغرب كانوا من أصحاب المناصب الرفيعة والرتب السامية ؛ فجده عبد الملك بن سعيد كان صاحب قلعة بنى سعيد وكان وزيرا ليحيى بن غانية ومدبرا لدولته . أما محمد بن عبد الملك فكان وزيرا جليلا بعيد الصيت وكان صاحب أعمال غرناطة وأعمال إشبيلية . وكان موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد واليا على الجزيرة الخضراء من قبل ابن هود وكان « أولع الناس بالتجول فى البلدان ومشاهدة الفضلاء واستفادة ما يرى وما يسمع » . أما على بن موسى بن سـعيد فقد اتصل بكثير من الأمراء والرؤساء [2] . كما كان من أقرباء

---

(١) ذكر المقرى فى ترجمة ابن سعيد أن الفقيه القاضى أبا عبد الله محمد بن عسكر قاضى مالقة كان له كتاب فى أنساب بنى سعيد .

(٢) كتب الدكتور شوقى ضيف فى مقدمته لقسم الأندلسى من المغرب (ص ٧) أن ابن سعيد حين رحل عن حلب سنة ٦٤٧ هـ « اتجه الى دمشق وتعرف بها على السلطان المعظم توران شاه وأصبح من ندمائه » ولعله كتب ذلك استنادا إلى أن المقرى كتب فى ترجمة ابن سعيد فى نفح الطيب أن ابن سعيد « تحول الى دمشق ، ودخل الموصل وبغداد ودخل مجلس السلطان المعظم بدمشق وحضر مجلس خلوته » =

على بن سعيد بعض ذوى النفوذ فى المغرب مثل ابن عمه الرئيس أبى عبد الله محمد بن الحسين ابن أبى الحسين سعيد بن الحسين بن سعيد بن خلف بن سعيد الذى كان مقدما عند صاحب إفريقية أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص . وقد أشار ابن خلدون فى « المقدمة » الى ما كان لبنى سعيد من منزلة جليلة فتحدث عنهم عند الكلام على ديوان الأعمال والجبايات ، قال :

« وأما فى دولة الموحدين فكان صاحبها (أى وظيفة ديوان الأعمال والجبايات) إنما يكون من الموحدين ، يستقل بالنظر فى استخراج الأموال و جمعها وضبطها وتعقب نظر الولاة والعمال فيها ثم تنفيذها على قدرها وفى مواقيتها . وكان يعرف بصاحب الأشغال وكان ربما يليها فى الجهات غير الموحدين ممن يحسنها : ولما استبد بنو أبى حفص بأفريقية وكان شأن الحالية من الأندلس فقدم عليهم أهل البيوتات ، وفيهم من كان يستعمل ذلك فى الأندلس مثل بنى سعيد أصحاب القلعة جوار غرناطة المعروفين ببنى أبى الحسن ، فاستكفوا بهم فى ذلك وجعلوا لهم النظر فى الأشغال كما كان لهم بالأندلس ودالوا فيها بينهم و بين الموحدين » .

وكان على بن موسى بن سعيد أثناء إقامته فى مصر يصاحب الكتاب والشعراء والأدباء والعلماء ، و يقيم بين ظهرانيهم و يألف من كان منهم حسن الصحبة جميل العشرة ، ويروى عنهم من الأخبار والنوادر والشعر ما أضفى على « المغرب » حيوية و إشراقا عظيمين . ومن الذين لقيهم على بن سعيد فى مصر وروى عنهم طائفة من قادة الرأى والفكر فيها ، نرى الإشارة إليهم فى التراجم التى ترد فى نهاية القسم الذى ننشره اليوم من « المغرب » . مثال ذلك قاضى قضاة الفسطاط أبو المكارم محمد بن عين الدولة (ص ٢٥٦) وناصر الدين الحسن بن شاور (ص ٢٥٨) وقطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد القسطلانى (ص ٢٦٩) والشاعر إبراهيم بن مهلهل (ص ٢٧٩) والشاعر ناصر بن ناهض الحصرى اللخمى (ص ٢٩٤) والكتّاب الزين بن جبريل المصرى وعلى بن شاهنشاه الحداد وأبو الحسن بن عبد الخالق الكنانى والرشيد أبو بكر بن عبد العظيم ابن عبد القوى والعماد السلماسى عثمان بن اسماعيل بن خليل والشاعر أبو الحسين الجزار (ص ٢٩٦) وجمال الدين بن مطروح والبهاء زهير وزكى الدين بن أبى الإصبع ونجم الدين بن إسرائيل الدمشقى وايدمر المحيوى .

كما لقى ابن سعيد فى الشام عون الدين عبد الملك بن العجمى وشهاب الدين التلعفرى والتاج ابن شقير وابن نجيم الموصلى والشرف بن سليمان الإربلى وغيرهم .

ويبدو أن على بن سعيد لم يقنع بتدوين ما كان يسمعه من الأخبار والشعر ، بل كان دائم السؤال والاستفسار ، يستخبر القوم عما يهدف إلى كشفه ، ويتعقب عن الأخبار (ص ٢٠٥ و ٢٦٧) ويمعن فى التنقيب عنها .

= ولكن هذا كله لايزال يحتاج الى تحقيق دقيق ، لأن الملك المعظم توران شاه لم يكن فى دمشق سنة ٦٤٧ وإنما كان نائبا عن أبيه فى حصن كيفا . أما دمشق فكان الملك الصالح أيوب قد عين نائبا عليها سنة ٦٤٤ الأمير جمال الدين بن مطروح ثم عزله سنة ٦٤٦ واستناب عليها جمال الدين بن يغمور .

وأما المصدر الثالث ، وهو المصنفات التى استمد منها المؤلفون هذا القسم المصرى من كتاب المغرب فكثيرة جداً . ولا ريب فى أن على بن سعيد كان خبيراً بأسواق المخطوطات على عهده ، حتى لنراه يذكر مثلا أن ديوان أبى عبد الله محمد بن ثابت الكيزانى كان مشهوراً عند الناس « وكثيراً ما يباع فى سوق الفسطاط وسوق القاهرة » (ص ٢٦١) . ويبدو فى كثير من عبارات على بن سعيد فى « المغرب » كيف كان يطرب للعثور على مخطوط أو لاستعارة كتاب نادر . مصداق ذلك قوله : « وجدت فى دفتر أعارنيه النجم الريحانى المشهور بجمع دفاتر الأدب . . الخ » (ص ٢٥٠) وقوله : « ثم وقعت على كتاب الدمية للباخرزى . . الخ » (ص ٢٥١) وقوله : « ثم وقع لى ديوان شعره (الشريف العقيلى) . . الخ »(ص ٢٠٦) .

كما كان ابن سعيد يعرف مواضع المخطوطات النادرة ؛ يؤيد ذلك ما جاء فى ترجمته فى نفح الطيب ، فقد روى المقرى أنه قال : « ودفن العادل بمدرسته العادلية بدمشق وكان أنشأها للشافعية ، وهى فى نهاية الحسن ، وبها خزانة كتب فيها « تاريخ ابن عساكر » وذيل هذا التاريخ ، واختصره أبو شامة ، سمعت عليه منه هنالك ما تيسر أيام إقامتى بدمشق » .

وأفاد ابن سعيد من مكتبة الصاحب كمال الدين بن العديم ؛ والمشهور أن ابن العديم كانت له خزانة كتب عامرة . وقد أشار إلى ذلك الأستاذ الدكتور سامى الدهان فى مقدمته لكتاب « زبدة الحلب من تاريخ حلب » فكتب : « وقد وقع لنا من خط ابن العديم وكتابته ونسخه ما يؤكد رواية ياقوت وغيره من أنه أتقن النسخ وجوّد فى الخط . ووصل إلينا من كتبه التى نقل مايدلنا على أن الرجل صرف أكثر عمره فيما ينفع العلم والعلماء ، فقد كان يؤلف حيناً ، ويجمع حيناً ، وينقل طوراً من الكتب النادرة وغير النادرة ثم يستنسخ لغيره مما يقع إليه . . ؛ وعرفنا كذلك عن خزانة الصاحب ابن العديم ما يدل على غناها »[1] . وقد سجل ابن سعيد فى عدة مواضع من «المغرب» اتصاله بخزانة ابن العديم ، فكتب أنه « نقل من خط الصاحب الكبير كمال الدين بن أبى جرادة مما اختاره من تاريخ المسبحى » (ص ٢٦٤) كما نقل عن رسالة بخط ابن العديم ، والراجح أنها من خزانته أيضاً ، بعض ما كتبه عن عبد الحكم بن أبى اسحق (ص ٢٥٧) و بعض الشعر الذى رواه لأبى الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات (ص ٢٥١) ولأبى القاسم على بن أبى المكارم وللوزير الأفضل بن بدر الجمالى [2] ، ونقل بعض ما كتبه عن الحاكم بأمر الله من كتاب أخذه من خزانة الصاحب الكبير كمال الدين بن أبى جرادة .

ومن الطريف أن على بن سعيد كان يكثر من استعارة الكتب وكان يصف بالبخل من لا يعير الكتب من خزانته . مصداق ذلك ما كتبه عن الأشرف بن الفاضل بن الأشرف البيسانى ، فى « كتاب النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة » من « المغرب » . قال : « وكان ، سامحه الله ، من عجائب الدنيا فإنه قرأ وروى وكتب من الحديث مالم يظفر به كثير ، واجتمع عنده

---

(١) انظر مقدمة الدكتور سامى الدهان فى « زبدة الحلب من تاريخ حلب » لابن العديم صفحة (م ٣٩ — م ٤٠)

(٢) فى « كتاب النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة » من المغرب .

من خزائن كتب أبيه وما استفاده من الكتب ماهو مشهور فى البلاد .. ومع هذا كله فإنه كان من أبخل الناس بأن يُسمع عليه حديث أو يعير كتاباً » .

* * *

ومهما يكن من شيء فإن على بن سعيد مكمل كتاب المغرب سار على خطة دقيقة فلم يثبت فى «المغرب» خبرا أو شعرا إلا ذكر المصدر الذى استقى منه ، فهو ينسب كل رواية إلى صاحبها ويحرص على أن يصدّر كلامه هو بعبارة : «كلام ابن سعيد فى كذا »، أو «قال على بن سعيد» ، أو «قال ابن سعيد» . أما ماينقله عن الكتب والكراريس والدفاتر والرسائل والأوراق فإنه يقدمه بإحدى العبارات الآتية : « من كتاب كذا » أو « تلخيص كذا مما اختصره والدى من كتاب كذا » أو « قال فلان » أو « ذكر - أو حكى - فلان فى كتاب كذا » أو « وقفت فى كتاب كذا على كذا » أو « ثم وقع لى كتاب كذا فنقلت منه » أو « وجدت فى دفتر أعارنيه فلان كذا» أو «ثم وقعت على كتاب كذا فوجدت كذا » أو «المعتمدعليه هنا كتاب كذا» الخ ...

ولا ريب فى أن ابن سعيد مثال يحتذى فى هذه الناحية وأن من السهل مراجعة ما ينقله على الأصول التى يذكرها ، ولا سيما حين يكون الباحث بصدد النقد العلمى لروايات مختلفة أو مشكوك فى صحتها . وإذا تذكرنا أن ذكر المصادر كان نادرا بين المؤرخين الاغريق والرومان ومؤرخى العصور الوسطى فى أوربا قدرنا هذا الفضل لمؤرخين المسلمين حق قدره ، ولا سيما لمن كان منهم مثالا طيبا فى هذا الميدان كعلى بن موسى بن سعيد .

والمصنفات التى رجع اليها أصحاب «المغرب» كثيرة جدا ، ومن بينها مؤلفات مشهورة فى التاريخ العام [1] ، مثل «مروج الذهب ومعادن الجوهر» لعلى بن الحسين المسعودى المتوفى نحو سنة ٣٤٥ ﻫ (٩٥٦ م) و « تجارب الأمم » لابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ ﻫ (١٠٣٠ م) و « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم الأندلسى المتوفى سنة ٤٥٦ ﻫ (١٠٦٤ م) و « الكامل فى التاريخ » لابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ ﻫ (١٢٣٣ م) و « بلغة الظرفاء فى ذكرى تواريخ الخلفاء» لعلى بن محمد بن أبى السرور بن عبد الرحمن الروحى المتوفى بعد سنة ٦٤٠ ﻫ (١٢٤٢ م) .

ومن بينها كتب فى تاريخ بعض الأقاليم من ديار الاسلام أو بعض الأسرات الحاكمة فيها مثل « فتوح مصر وأخبارها » لابن عبد الحكم المتوفى سنة ٢٥٧ ﻫ (٨٧١) و « سيرة أحمد ابن طولون» لأحمد بن يوسف ابن الداية المتوفى نحو سنة ٣٣٩ ﻫ (٩٥١ م) و « تاريخ مصر » لعبد الرحمن بن أحمد بن يونس المتوفى سنة ٣٤٧ ﻫ (٩٥٩م) و « كتاب فضائل مصر » لعمر بن محمد ابن يوسف الكندى [2] المتوفى بعد سنة ٣٥٠ ﻫ (٩٦١ م) و « سيرة محمد بن طغج الأخشيد »

---

(١) المقصود بالتاريخ العام عند العرب منذ القرن الثالث الهجرى إنما هو مصنفات التاريخ التى تبدأ بالخليقة ثم تعرض تاريخ العالم بوصفه تمهيدا للتاريخ الاسلامى البحت ولكنها لاتعنى بعد البعثة النبوية بغير ديار الاسلام ولا تكاد تشير الى سائر بلاد العالم الا نادرا .

(٢) انظر سيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ٣٢٩ ومقدمة المستشرق جست لكتاب الولاة والقضاة للكندى ص ١٤

لابن زولاق المتوفى سنة ٣٨٧ هـ (٩٩٧ م) و « كتاب تاريخ أفريقية والمغرب » لابراهيم بن القاسم الكاتب المعروف بالرقيق القيروانى المتوفى بعد سنة ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م) وكتاب « سيرة الأئمة » لأبى العلا عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين بن مهذب الذى توفى بعد عصر الحاكم بأمر الله أى بعد سنة ٤١١ هـ (١٥٢١ م) و « أخبار مصر » لعبيد الله بن أحمد المسبحى المتوفى سنة ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) و « كتاب تاريخ إفريقية والمغرب » للعزيز بن شداد من ولد تميم ابن المعز[1] و « كتاب الإشارة الى من نال الوزارة » لعلى بن منجب المشهور بابن الصيرفى المتوفى سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ م) و « تاريخ مصر » للقرطى المتوفى سنة ٥٦٧ هـ (١١٧٢ م) و « كتاب الكمائم » للبيهقى و « تاريخ اليمن » لعمارة اليمنى المتوفى سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٤ م) و « كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » للقاضى بهاء الدين بن شداد المتوفى سنة ٦٣٢ هـ (١٢٣٥ م) و « تاريخ إربل » لابن المستوفى أبى البركات المبارك بن أبى الفتح المتوفى سنة ٦٣٧ هـ (١٢٤٠م) و « زبدة الحلب فى تاريخ حلب » للصاحب كمال الدين ابن العديم المتوفى سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦٢ م) » .

ومن بين مراجع « المغرب » كتب فى التراجم مثل « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب » للامام الحافظ أبى عمر يوسف بن عبد البر القرطبى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧١ م) .

أما فى ميدان الأدب فقد استق المؤلفون ، فى هذا القسم المصرى ، من مصادر كثيرة ، نذكر من بينها « الكامل فى الأدب » للمبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ (٨٩٨ م) و « يتيمة الدهر » للثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) و « ديوان الشريف العقيلى » المتوفى سنة ٤٥٠ هـ (١٠٤٩ م) و « بلشكر الأدباء » لأحمد بن الحسين بن أحمد الروذبارى المتوفى نحو سنة ٤٥٠ هـ (١٠٤٩ م) و « روزنامج المحادثة » لمحمد بن الحسين الحسينى الأقساسى المتوفى بعد سنة ٤٤٩ هـ (١٠٤٨ م) و « كتاب النورين » أو « نور الظرف ونور الطرف » لابراهيم بن على الحصرى القيروانى المتوفى سنة ٤٥٣ هـ (١٠٥٢ م) و « دمية القصر وعصرة أهل العصر[2] » لعلى بن الحسن الباخرزى المتوفى سنة ٤٦٧ هـ (١٠٧٥ م) و « كتاب الحديقة » لأمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت الأندلسى المتوفى نحو سنة ٥٢٥ هـ (١١٣١ م) و « حلى العلا » لابن جبر القيروانى المتوفى بعد سنة ٥٢٥ هـ (١١٣١ م) و « منائح القرائح » لعلى بن منجب بن الصيرفى المتوفى سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ م) وديوان ابن الكيزانى المتوفى سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٧ م) و « كتاب الجنان » للقاضى أحمد بن على الرشيد بن الزبير المتوفى سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٧ م) وكتاب « خريدة القصر وجريدة العصر » لعماد الدين الاصفهانى الكاتب المتوفى سنة ٥٩٧ هـ (١٢٠١ م) و « كتاب واجب

---

(١) هو الأمير عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز بن باديس . انظر « اتعاظ الحنفا » للمقريزى (ط . الدكتور جمال الدين الشيال) ص ٤٧

(٢) جعله صاحبه ذيلا ليتيمة الدهر للثعالبى ، انظر ترجمة الباخرزى فى وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٤٦٧ . كما أن على ابن زيد بن أبى القاسم البيهقى وضع ذيلا لكتاب « دمية القصر » سماه « وشاح الدمية » ، أنظر ترجمة على بن زيد البيهقى فى معجم الأدباء لياقوت ج ١٣ ص ٢٢٦ و٢٢٩

الأدب » لموسى بن سعيد المغربى الأندلسى المتوفى سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٣ م) و« تقطيف الأزهار » المقتطف من ديوان الجزار صديق على بن سعيد ، فضلا عن كتاب اسمه « الشعراء العصرية » لمؤلف مجهول .

*
* *

وصفوة القول ان كتاب « المغرب » يشهد لأصحابه بسعة الاطلاع وغزارة المادة وكثرة الحفظ والتضلع من فنون الأدب ، فضلا عن رسوخ القدم فى أخبار ديار الإسلام . وكان على بن موسى بن سعيد يفخر بالجهود التى بذلت فى إخراج هذا الكتاب وقد أشار إلى ذلك فى مقدمته التى نقل العمرى فصولا منها فى ترجمة ابن سعيد فى « مسالك الأبصار[١] » والتى منها :

« جنيت له بالموازنة ثمرات الكتب ، ومخضت فيه بالمطاولة زبد الحقب ، فلم تقصر يده عن عصر من الأعصار ، ولا قصرت خطاه عن قطر من الأقطار ، فجاء كتاب راحة قد تعبت فيه الأسماع والأبصار والأيدى والأفكار ، وأفنيت على إظهاره إلى الوجود وظائف الأعمار ، ولم يزل يقرن بسواده وبياضه سواد الليل وبياض النهار . . . . وما برحت نار القرائح تحمى لتخليصه ، وصوائد الأذهان تذكى لتلخيصه ، حتى أبرزت حلاه الذهبية كالذهب الابريز ووقفت فى موقف التبريز » .

ومما تجدر ملاحظته أن القسم المصرى من كتاب « المغرب » ليس فيه مايشير إلى أن على ابن موسى بن سعيد قد رجع إلى شئ من الوثائق الرسمية المحفوظة فى بلاط الأمراء الذين اتصل بهم[٢] ، ولكنه نقل عن بعض المؤلفين الذين أتيح لهم الاطلاع على مثل تلك الوثائق . مصداق ذلك ما نقله من كتاب « سيرة الأئمة » لأبى العلاء عبد العزيز بن عبد الرحمن بن مهذب ، فقد جاء فيه عند الكلام على المعز لدين الله الفاطمى[٣] : « قال ووجدت فى خزانة الخاصة كتاباً من المعز إلى عبده جوهر وهو بمصر والشام ، كان فى فصل منه . . . . الخ » .

---

(١) انظر النسخة المصورة بدار الكتب المصرية (رقم ٢٥٦٨ تاريخ) المجلد الثامن الورقة ٣٨٢

(٢) اقرأ عن الوثائق والمحفوظات فى التاريخ الاسلامى J. Sauvaget : Introduction à l'histoire de L'Orient musulman pp. 19—20 و A. Grohmann : Allgemeine Einführung in die arabischen Papyri pp 27—30 وسيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ٢ و زكى محمد حسن : دراسات فى مناهج البحث فى التاريخ الاسلامى (فى مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد ، مجلد ١٢ ج ١ ، مايو سنة ١٩٥٠ ص ١٥٧ وما بعدها)

(٣) فى كتاب النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ، وسيظهر إن شاء الله فى الجزء الثانى من القسم المصرى الذى نقوم بنشره من كتاب « المغرب » .

منزلة «المُغرب» وشهرته بين التصانيف العربية

روى كمال الدين ابن العديم فى تاريخ حلب أبياتا لأبى العباس أحمد بن يوسف التيفاشى فى الاشادة بكتاب «المغرب»، قال فيها:

سَعِد الغرب، وازدهى الشرق عُجبا ... وابتهاجاً بمُغرب ابن سعيد

طلعت شمسه من المغرب تجلى ... فأقامت قيامة التقييد

لم يدعْ للمؤرخين مقالا ... لا ولا للرواة بيت نشيد

إن تلاه على الحمام تغنّت ... ما على ذا فى حسنه من مزيد

ونقل المقرى هذه الأبيات فى ترجمة ابن سعيد فى نفح الطيب وأضاف إليها أبياتا أخرى للتيفاشى أيضا، قال فيها يخاطب ابن سعيد ويشكره على كتاب «المغرب»:

أهديت لى الغربَ مجموعا بعالمه ... فى قاب قوسين بين السمع والبصر

كأنني الآن قد شاهدت أجمعه ... بكل من فيه من بدو ومن حضر

نعم ولاقيت أهل الفضل كلهم ... فى مدتى هذه والأعصر الأُخر

جزيت أفضل ما يُجزَى به بشر ... مفيد عمرٍ جديد الفضل مبتكر

وكان الشيخ حسن بن محمد العطار [1] شيخا للجامع الأزهر بين عامى ١٢٤٦ و ١٢٥٠ هـ. وقيل إنه كان آية فى حدة النظر وشدّة الذكاء، وكان فى بعض الأحيان يتناول الكتاب الدقيق الخط الذى تعسر قراءته فى أوضح النهار فيقرأ فيه على نور السراج. وربما استعار الكتاب فى مجلدين فلا يلبث عنده إلا الأسبوع أو الأسبوعين ويعيده إلى صاحبه وقد استوفى قراءته وكتب فى طرره على كثير من مواضعه.

وقد قرأ هذا الشيخ الجليل مخطوطة المغرب التى وصلت الينا وكتب بخطه فى ظهر الورقة الحادية والثمانين من الجزء الثانى العبارة التالية:

---

(١) اقرأ ترجمته فى الخطط الجديدة لعلى باشا مبارك ج ٤ ص ٣٨ وما بعدها وانظر أيضا الآداب العربية فى القرن التاسع عشر للأب لويس شيخو ج ١ ص ٥١ — ٥٢ و Brockelmann ; Gesch. der arab. Litter II p. 473.

« أنهاه مطالعة الفقير حسن بن محمد العطار داعيا لمؤلفه بالرحمة والرضوان . ولعمرى أن هذا الكتاب أحسن كتاب ألف فى علم التاريخ ، وهكذا يكون التأليف ، وما ذلك بمستغرب بالنظر لأهل الأندلس فإن لهم سبق فى كل فن ، يشهد بذلك من نظر فى كتبهم رحمهم الله » .

فهل يمكننا أن نرى فى هذا رأيه وأن نوافقه على أن « المغرب » أحسن كتاب ألف فى علم التاريخ ؟

هل خلا « المغرب » من العيب الأساسى الذى نلمسه فى معظم تصانيف التاريخ التى كتبها المسلمون فى العصور الوسطى ، وهو الطابع « الميكانيكى » فيها ، من حيث أنها سرد أو اختصار لنصوص أو كتب ألفها أسلافهم ، ومن حيث افتقارها إلى كثير من نقد الأخبار والمصادر وإلى أصول البحث العلمى الصحيح ، ومن حيث أن مصنفيها عنوا بجمع الأخبار وفاتهم فى معظم الأحيان أن ينقدوها أو يحكموا عليها ، فهى أشبه شئ بجذاذات تنتظر المؤرخ المحقق سديد المنهج ؟

هل امتاز أصحاب المغرب عن غيرهم من المؤرخين المسلمين بالبعد عن تصديق كل الروايات التى تصل إليهم ، وبأنهم تجنبوا ذكر الأشياء البعيدة عن العقل والمنطق ، وبأنهم كانوا أقدر من غيرهم على التمييز بين العناصر الخرافية والعناصر التاريخية والعناصر شبه التاريخية ؟

هل خالف أصحاب « المغرب » غيرهم من المؤرخين المسلمين فى الإقبال على نسج الخيوط من القصص والروايات بغير ترتيب تاريخى أو منهج علمى ؟

هل يستوى أصحاب « المغرب » ومؤرخ كالبلاذرى فى البحث عن الحقائق التاريخية الدقيقة وفى اختيار ما يستحق الرواية من بين ما يجمعونه من المواد ؟

هل يضارع أصحاب «المغرب» مؤرخا كابن مسكويه فى معرفة أساليب الإدارة الإسلامية، وفى الحصول على الروايات التاريخية من المصادر العليمة ، وفى ربط الحوادث بعضها ببعض وتوضيح الأسباب والنتائج ، وفى العناية بالأحوال الاقتصادية والاجتماعية ، وفى البعد عن التعصب ، وفى الميل عن الهوى ؟

هل بلغ أصحاب « المغرب » إلى ما انفرد به البيرونى من اكتساب ثقافة جديدة على الثقافة العربية ، وهل استطاعوا ، وهم المغاربة ، أن يمتازوا بمعرفة جانب من الحياة السياسية أو الإجتماعية أو العقلية لجيرانهم المسيحيين الذين كانوا يهدفون إلى طرد الاسلام والمسلمين من الأندلس ؟

هل يمكن أن يعد أصحاب « المغرب » نظراء لمؤرخ كابن خلدون استطاع أن يستنبط من الحقائق التاريخية التى ضمنها تاريخه الطويل بحوثا نفيسة فى فلسفة التاريخ وفى تاريخ الحضارة والاجتماع ، بحوثا ضمنها «مقدمته» ولانكاد نلق نظيرها فى العالم قبل القرن الماضى؟

هل بلغ أصحاب «المغرب» من الأصالة فى البحث والتقدم فى أحد ميادينه مايميزهم عن النظراء ويجعلهم أئمة هذا الميدان كما كان المقريزى مثلا إماما وعمدة فى دراسة الخطط والآثار ؟

الجواب عندنا على هذه الأسئلة جميعها بالنفى . ولسنا نميل إلى مذهب القائلين بأن كتاب « المغرب » أحسن الكتب التاريخية ومع ذلك فإن لهذا الكتاب شأناً عظيما . ولو أنه وصل الينا كاملا لكانت له بين التصانيف العربية منزلة لا يرقى اليها إلا عدد قليل من الكتب التى وصلت الينا والتى تعتبر اليوم من أمهات المراجع فى التاريخ الاسلامى والأدب العربى .

أما منزلته فى دراسة الأدب الأندلسى فقد عرض لها الدكتور شوقى ضيف فى مقدمته للنص الأندلسى الذى قام بنشره من « المغرب » وانتهى فى تلك المقدمة الى أن رجح أن هذا النص « أنفس مصدر بين أيدينا يصوّر الشعر الأندلسى فى عصوره المختلفة ، فقد رسم مؤلفوه خطوط هذا الشعر وألوانه وكادوا يجسمونها تجسيما عن طريق التراجم الكثيرة التى حشدوها فيه ، وقد بلغت نيفا وأربعين وستمائة ، وكثير من هذه التراجم كان مجهولا ، وكثير منها كان المعروف عنه قليلا ، وكثير أضيفت اليه أخبار وأشعار جديدة . وهذا كله يهيئ مادة وافرة لتأريخ الشعر الأندلسى تأريخا علميا دقيقا »[١] .

ولاحظ الدكتور شوقى ضيف أن أهم نص كتب عن الموشحات والأزجال حتى الآن هو النص الذى جاء فى مقدمة ابن خلدون ، وأن « هذا النص نقله ابن خلدون عن كتاب « المقتطف من أزاهر الطرف » لعلى بن سعيد . وعلى ابن سعيد فى حقيقة الأمر إنما لخص فى هذا النص ما كتبه هو وأسلافه عن هذين الفنين فى « المغرب » أو بعبارة أخرى فى هذا النص الذى ننشره ، إذ لم يتركوا بلدا فيه وشّاح أو زجّال إلا عرضوا له ، وأودعوا كتابهم أطرف ما تناقله الأدباء عنه . وكما أن نص ابن خلدون تلخيص و إيجاز لما كتبه مؤلفو « المغرب » عن الموشحات والأزجال ، فكذلك ما نقرؤه فى « نفح الطيب » من أشعار أندلسية هو الآخر إيجاز وتلخيص لما كتبه مؤلفو « المغرب » عن شعراء الاندلس »[٢] .

أما منزلة « المغرب » فى دراسة الأدب المصرى فمنزلة عظيمة ؛ إذ أنه احتفظ بكثير من نصوص الشعر العربى فى مصر ، وسيطرب المشتغلون بالأدب المصرى لنشر هذه النصوص بعد نشر القسم المصرى من « الخريدة » للعماد الأصفهانى ، وسوف يعتمد عليها الذين يدرسون شخصية مصر الأدبية فى العصور الوسطى[٣] . ومما يزيد فى قيمة النصوص الأدبية المصرية فى « المغرب » أن على بن سعيد لقى كثيراً من أدباء مصر وشعرائها وأفاد من الرواية الشفوية حق الفائدة ، فضلا عن أنه احتفظ بكثير من التراجم التى جاءت فى كتاب « جنان الجنان ورياض الأذهان » للرشيد بن الزبير

---

(١) أنظر مقدمة الدكتور شوقى ضيف للمغرب ص ١٨ وأميليو غرسيه غومس : الشعر الأندلسى (لجنة الجامعيين لنشر العلم ، القاهرة ١٩٥٢) ص ٣٧
وانظر أيضا و Henri Pérès : La Poesie Andalouse en Arabe classique au XI^e Siècle pp 31, 78, 85, 352 ; A.R. Nykl : Hispano-Arabic Poetry p. 361.

(٢) مقدمة الدكتور شوقى ضيف ص ١٩ وانظر أيضاً المقرى : أزهار الرياض فى أخبار عياض ج ٢ ص ٢٠٦ — ٢١٧

(٣) أنظر مقدمة الدكتور شوقى ضيف الكتاب « خريدة القصر وجريدة العصر » للعماد الاصفهانى ، ص هـ — ز .

المتوفى سنة ٥٦٣ هـ[١]، وهو أهم كتاب ألف عن الشعر المصرى فى العصر الفاطمى[٢]، وكان يقع فى أربع مجلدات لم يصل إلينا منها إلا ما نقله بعض الكتاب ولاسيما العماد الاصفهانى وعلى بن سعيد .

ومهما يكن من شىء فإن خطة « المغرب » فريدة من حيث جمعه بين الأدب والتاريخ وعنايته بتقويم البلدان والتراجم والحديث عن البيئة الجغرافية[٣] وألوان الحياة العقلية .

ولا شك فى أن ما وصل إلينا من كتاب « المغرب » يكفى لبيان ما له من المنزلة الجليلة بين المؤلفات فى التاريخ الاسلامى . وفى رأينا أن ذلك يرجع على الخصوص إلى أمور ثلاثة : الأول أنه حفظ لنا بعض كتب التاريخ ذات الشأن العظيم ، والثانى أنه ربط بين التاريخ وتقويم البلدان ، والثالث أنه اعتمد على الرواية الشفوية اعتماداً عظيما .

أما الكتب التاريخية التى كان لأصحاب « المغرب » الفضل فى نقلها إلينا فأولها كتاب سيرة أحمد بن طولون لأحمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الداية المتوفى نحو سنة ٣٣٩ (٩٥١ م). وكان هذا السفر قوام الكتاب الذى عقده أصحاب « المغرب » للكلام على الدولة الطولونية وسموه « كتاب الدر المكنون فى حلى دولة بنى طولون » (ص ٧٣) . وقد طبع هذا القسم من المغرب على يد المستشرق الألمانى فولرز سنة ١٨٩٤ . وكان المرجع الأساسى لسيرة أحمد ابن طولون إلى أن نشر المرحوم محمد كرد على سنة ١٩٣٩ مخطوطة من مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق موضوعها « سيرة أحمد بن طولون » . ومؤلف هذه السيرة أبو محمد عبد الله بن محمد المدينى البلوى و يرجع تصنيفها إلى الثلث الثانى من القرن الرابع الهجرى وكان المؤلف يهدف إلى وضع كتاب فى سيرة آل طولون « يكون أكبر شرحا وأكمل وصفاً »[٤] من كتاب أحمد ابن يوسف المعروف بابن الداية . وقد تبين عند نشر كتاب البلوى أنه اقتبس نحو الخمسين قصة من قصص ابن طولون عن ابن الداية ، ذكرها هذا فى كتابيه « سيرة ابن طولون » و « المكافأة » وزاد أربعين قصة يرجح أنها منقولة عن النسخة الأصلية من كتاب ابن الداية وهى التى لم تصل إلينا ؛ لأن الذى نقله أصحاب « المغرب » ليس إلا خلاصة هذا الكتاب (ص ٧٣ — ١٣٣) . ومع ذلك فإن ما زاده البلوى لم يغير الصورة التى استطعنا رسمها لأحمد بن طولون فى كتابنا الذى أخرجناه بالفرنسية سنة ١٩٣٣ عن الدولة الطولونية . والفرق بين البلوى وعلى بن سعيد أن الأول لم تكن له الأمانة العلمية التى امتاز بها ابن سعيد ، فنقل عن ابن الداية من دون أن يصرح بذلك .

---

(١) أنظر معجم الأدباء لياقوت ج ٤ ص ٥١ — ٦٢ ، والأدفوى : الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد ص ٤٧

(٢) راجع مقدمة الدكتور شوقى ضيف لكتاب الخريدة صفحتى ع ، ف .

(٣) وإن كان معظم الجغرافيين العرب قد عنوا بالجغرافيا الوصفية ومزجوها بالأدب والتاريخ والاجتماع والاقتصاد والفلسفة والفقه . انظر J. Sauvaget: Introduction à l'Histoire de l'Orient Musulman p. 43.

(٤) أنظر سيرة أحمد بن طولون للبلوى . تحقيق محمد كرد على ص ٣١

وكان لأصحاب « المغرب » الفضل فى حفظ كتاب آخر من المراجع الرئيسية فى تاريخ مصر الإسلامية. هو كتاب « سيرة محمد بن طغج الاخشيد » لابن زولاق . وابن زولاق من أعلام المدرسة المصرية بين المؤرخين المسلمين ، ولد سنة ٣٠٦ ﻫ وتوفى سنة ٣٨٧ ﻫ (٩٩٧ م) . ودرس على المؤرخ المصرى المشهور أبى عمر الكندى صاحب كتاب « الولاة والقضاة » أو « أمراء مصر وقضاتها » . وعنى بتاريخ مصر وألف فيه كتباً ، من بينها « سيرة الاخشيد » التى لم تصل إلينا إلا ملخصة أو منقولة فى « كتاب العيون الدعج فى حلى دولة بنى طغج » وهو اسم السفر الذى عقده أصحاب « المغرب » فى كتابهم (ص ١٤٨ — ٢٠١) لتاريخ الأسرة التى وليت حكم مصر بين عامى ٣٢٣ و ٣٥٨ ﻫ (٩٣٥—٩٦٩ م) .

ولعل الفوائد التى نجمت عن النقل على يد أصحاب « المغرب » تشير إلى أننا لا نستطيع فى العصر الحديث و بعد اختراع الطباعة أن ننكر على المؤرخين فى العصور الوسطى اختصار التصانيف التى كتبها من سبقهم من المؤرخين أو نقلها كلها فى تصانيف جديدة ينسبونها لأنفسهم ؛ ذلك أن النسخ التى كانت تكتب من المصنفات محدودة العدد ، ولم يكن كثير من طلاب العلم يستطيعون الحصول عليها ، وكان فى نقلها أو اختصارها تخليد لها و إذاعة لنفعها ، وحسب المؤلف الأمين أن يذكر المصدر الذى نقل عنه . و إذا لم يغب عنا أن العنصر الشخصى فى معظم تلك التصانيف لم يكن قوياً وأنها كانت سجلا للأخبار والأحداث أكثر منها دراسة دقيقة لها ، أدركنا أن نقلها فى ذلك الحين لا يستحق اللوم الذى ينحى به اليوم على من يقدم على مثل هذا العمل .

ومن الكتب التى كان لأصحاب المغرب الفضل فى حفظ مقتطفات منها « كتاب تاريخ مصر » لأبى سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس المتوفى سنة ٣٤٧ ﻫ (٩٥٩ م) . وكان ابن يونس من أعلام المحدثين فى مصر ، وقد ألف هذا الكتاب فى تاريخ مصر على هيئة سير لعلمائها . وقيل إنه جمع لمصر تاريخين : أحدهما وهو الأكبر يختص بالمصريين ، والآخر وهو الصغير يشتمل على ذكر الغرباء الواردين على مصر [1] . وقد ضاع تاريخ ابن يونس ولكننا نجد بعض مقتطفات منه فى هامش مخطوطة الولاة والقضاة للكندى بالمتحف البريطانى [2] وفى وفيات الأعيان لابن خلكان وفى المغرب وفى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى وفى رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر .

ومن تلك الكتب « تاريخ إفريقية والمغرب » للرقيق القيروانى . وهو ابراهيم بن القاسم الكاتب [3] صاحب التصانيف الكثيرة فى التاريخ . وكان كتابه هذا فى عدة مجلدات . وكانت صلة هذا الكاتب وثيقة بمصر منذ قدم إليها سنة ٣٨٨ ﻫ (٩٩٨ م) يحمل إلى الحاكم بأمر الله

---

(١) أنظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٩ — ٣٥٠ وسيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ٣٠٥ و ٣٢٧

(٢) أنظر مقدمة الاستاذ جست للولاة والقضاة ص ٤٤

(٣) أنظر ترجمته فى معجم الأدباء لياقوت ج ١ ص ٢١٦ وما بعدها .

هدية من الأمير باديس بن المنصور بن بلكين بن زيرى الذى حكم فى إفريقية والمغرب الأوسط بين عامى ٣٨٦ و ٤٠٦ هـ .

ومنها كتاب « سيرة الأئمة » لأبى العلا عبد العزيز بن عبد الرحمن بن مهذب المتوفى سنة ٤١١ هـ (١٠٢١م) . وموضوعه تاريخ الخلفاء الفاطميين من المهدى إلى آخر دولة الحاكم . وقد عرض أصحاب المغرب لأسرة هذا المؤلف فى كتاب النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة من « المغرب » فكتبوا أن « أصل هذا البيت من القيروان يتوارثون خطة الخزانة ، وكان وصولهم مع المعز » ويبدو أن مؤلف هذا الكتاب كان فى منزلة يستطيع معها أن يحدثنا حديث العارف بالبواطن ، فقد كان عمه أبو جعفر بن حسين بن مهذب صاحب بيت المال للخليفة المعز ، وكان أبو جعفر يحدث ابن أخيه عن محتويات بعض الوثائق والمكاتبات الرسمية ، كما يبدو من إشارة فى « المغرب » (كتاب النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة) إلى كتاب من المعز إلى جوهر كان محفوظاً فى خزانة الخاصة .

ومن تلك الكتب التى كان لأصحاب المغرب فضل فى نقل مقتطفات كثيرة منها « كتاب أخبار مصر » لعز الملك محمد بن أبى القاسم عبيد الله بن أحمد بن اسماعيل بن عبد العزيز المعروف بالمسبحى والمتوفى سنة ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) . وكان المسبحى قد التحق بخدمة الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله منذ سنة ٩٣٨ ، وتقلد بعض الولايات فى الصعيد ثم تولى ديوان الترتيب . وقد خلف عدداً كبيراً من التصانيف ، من بينها « أخبار مصر » وموضوعه تاريخ « من حلها من الولاة والأمراء والأئمة والخلفاء وما بها من العجائب والأبنية واختلاف أصناف الأطعمة وذكر نيلها وأحوال من حل بها وأشعار الشعراء وأخبار المغنين ومجالس القضاة والحكام والمعدلين والأدباء والمتغزلين وغيرهم [١] » ، وقيل إنه كان يتألف من ثلاثة عشر ألف ورقة ، فهو أطول كتاب فى تاريخ مصر ، وينتهى بحوادث سنة ٤١٤ هـ . وفى مكتبة الاسكوريال بأسبانيا أجزاء مخطوطة من هذا الكتاب ، الذى أقبل على النقل عنه أصحاب « المغرب » ثم بعض المؤرخين المصريين بعد العصر الفاطمى ولا سيما المقريزى [٢] وأبو المحاسن ابن تغرى بردى . وذكر السخاوى أن المسبحى جمع فى تاريخ كبير كثيرا من التصانيف التى ألفت قبله فى تاريخ مصر [٣] .

ومنها كتاب « بلشكر الأدباء » لأحمد بن الحسين بن أحمد الروذبارى . وقد كتب على بن موسى ابن سعيد نبذة عنه فى كتاب « النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة » من « المغرب » ، قال فيها إن أسرة هذا المؤرخ أصلها من العجم وإنه ولد فى القاهرة وأخبر فى كتابه الذى صنفه فى تاريخ خلفاء مصر وسماه « بلشكر الأدباء » أن مولده فى ربيع الأول سنة ٣٦٣ .

---

(١) انظر ترجمة المسبحى الكاتب فى وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٦٥٣

(٢) من أهم الروايات التى نقلها المقريزى عن المسبحى الرواية التى تنفى عن ست الملك ، أخت الخليفة الحاكم بأمر الله ، اشتراكها فى قتله . انظر خطط المقريزى ج ٢ ص ٢٨٩ وانظر أيضاً محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ص ١٢٤ — ١٣٤

(٣) انظر السخاوى : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٣١

ومن المحتمل أن يكون أحمد بن الحسين بن أحمد الروذبارى هذا قريبا لأبى محمد الحسن بن صالح الروذبارى الذى كان وزيرا للخليفة الفاطمى الظاهر ، وقد ذكره المقريزى فى الكلام عن الخلفاء الفاطميين حين أشار إلى أنه سنة ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م) «صرف الظاهر وزيره عميد الدولة وناصحها أبا محمد الحسن بن صالح الروذبارى، وأقام بدله أبا القاسم على بن أحمد الجرجرائى »[١]. ومهما يكن من الأمر فإن على بن سعيد قد نقل عن الروذبارى بعض أخبار الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله .

ومن الكتب التى نقل « المغرب » مقتطفات منها « تاريخ مصر » لأبى عبد الله محمد بن سعد القرطى ،كتبه فى زمن العاضد آخر الخلفاء الفاطميين (٥٥٥ — ٥٦٧ هـ) وقدمه إلى وزيره شاور . وترجم أصحاب المغرب للقرطى (ص٢٦٧ — ٢٦٨) وذكروا أنه رحل الى اليمن وأقام فى الهند مدة طويلة . ومما أعجب به على بن سعيد قول القرطى فى مقدمة تاريخه : « ولما علمت أن الحياة لاتفى لهذه الأجسام بالدوام ، ولايحصل الإنسان منها على ذخيرة باقية على بلى الجديدين إلا ما كان فى النثار والنظام ، سمت همتى إلى تخليد شىء أذكر به بعد الفناء ، وأتميز به بين أصناف العلماء ، فاعتنيت بتاريخ أهل بلدى ، من أول ماعمرت الى عصرى ، ومن الله أسأل المعونة على تقوية بصرى ويدى وفكرى » . وقد حفظ لنا ابن سعيد فى « المغرب » مقتطفات كثيرة من تاريخ القرطى ، ولاسيما فى تاريخ الدولتين الطولونية والفاطمية وفى تاريخ الدولة الاخشيدية بعد وفاة محمد بن طغج . ويبدو أن ابن سعيد نقل فى تصانيفه الأخرى مقتطفات من تاريخ القرطى [٢] .

ومن التصانيف التى كان لأصحاب المغرب فضل كبير فى حفظ مقتطفات منها كتاب « تاريخ إربل » لأبى البركات المبارك بن أبى الفتح المعروف بابن المستوفى الأربلى المتوفى سنة ٦٣٧ هـ (١٢٤٠ م) . وكان هذا المؤرخ الوزير جليل القدر فى تلك المدينة فألف فى تاريخها هذا الكتاب فى أربعة مجلدات ، ضاعت ، فلم تصل الينا منها إلا مقتطفات نقلها ياقوت الحموى وابن خلكان وابن سعيد وغيرهم . وكان ياقوت وابن خلكان يعظمان ابن المستوفى ، فإن الأول لقيه وأخذ عنه بيانات كثيرة لمعجم البلدان [٣] ، كما أن ابن خلكان بدأ دراسته على ابن المستوفى فى إربل وأفاد منه فى كتابة « وفيات الأعيان » وسجل ذلك فى ترجمته بقوله : « وجمع [أى ابن المستوفى] لإربل تاريخاً فى أربع مجلدات [٤] ؛ وقد أحلت عليه فى هذا الكتاب فى مواضع عديدة » . وكتب السخاوى أن هذا الكتاب كان يقع فى خمس مجلدات [٥] .

* * *

---

(١) خطط المقريزى ج ١ ص ٣٥٥ و ج ٢ ص ٢٨٧

(٢) جاء فى خطط المقريزى (ج ١ ص ٤٨٥ ، ج ٢ ص ١٨١) أن ابن سعيد قال فى كتاب المحلى بالأشعار عن تاريخ القرطى والمقصود هنا القرطى ، فالرواية المنقولة خاصة بقصة غرام للخليفة الفاطمى الآمر .

(٣) انظر F. G. Heer : Die historischen geographisehen Quellen in Jaqut's Geogr. Wörterbuch, p 36,

(٤) انظر وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٦٠

(٥) انظر الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٢١

أما الميزة الثانية التى جعلت لكتاب « المغرب » هذه المنزلة العالية بين التصانيف العربية فهى أن أصحابه ، ولاسيما على بن موسى بن سعيد ، ربطوا بين التاريخ والأدب وتقويم البلدان[1] ، فحذوا حذو اليعقوبى والمسعودى ومن اليهم من المؤرخين الذين اعتمدوا على الأسفار والرحلات والمشاهدات فى جمع قسط وافر مما دونوه فى تصانيفهم . والحق أن على بن موسى بن سعيد مثال طيب لما كان يفيده العلماء والأدباء المسلمون فى العصور الوسطى من الرحلة فى ديار الإسلام . ولا غرو فإن روابط الدين واللغة والثقافة كانت تجمع بين سكان البلاد الاسلامية فى العصور الوسطى فكانوا يشعرون بأنهم أبناء امبراطورية إسلامية بعيدة الأطراف . وكانت الرحلات والأسفار من أول السبل لطلب العلم فى تلك العصور ، فقد كانت الكتب نادرة والمخطوطات التى تنسخ من الكتاب الواحد محدودة ، وكان المشتغلون بالعلم يتنقلون فى ديار الإسلام للدراسة على أعلام الأساتذة ولقاء مشاهير العلماء والأدباء وقراءة المخطوطات النفيسة فى المكتبات الخاصة والعامة .

وقد مر بنا أن لسان الدين بن الخطيب كتب عن على بن موسى بن سعيد أنه « العجيب الشأن فى التجول فى الأقطار ومداخلة الأعيان للتمتع بالخزائن العلمية ، وتقييد الفوائد المشرقية والمغربية » .

ويبدو أن اتصال على بن سعيد بعظماء الرجال فى عصر ولد فيه تحمساً لتاريخ أعلام الحكام وأكسبه مواهب ظاهرة فى التنقيب عن سيرتهم . ولكن ابن سعيد لم يكن مؤرخاً بالمعنى الحديث . ويؤيد ذلك ما كتبه فى ترجمة أسامة بن زيد التنوخى (ص ٧١ من الجزء الذى ننشره هنا) : « وليس الغرض إيراد ترجمة فى هذا المكان لكل سلطان ، وإنما نأتى بترجمة لمن له حكاية مفيدة أو نظم أو نثر . . الخ » . كما أن ابن سعيد لم يستطع أن يترك لنا وصفاً أو آراء خاصة وذات شأن عن الأحداث السياسية التى عاصرها[2] . وإنما كان ميدانه الأول النقل عن المراجع التى يوثق بها ، والتى حفظ بعضها من الضياع ، أو سؤال الأدباء والعلماء عن آثارهم وآثار غيرهم من المشتغلين بالعلم والأدب . أما التجديد والكتابة فى موضوعات لم تكن بالنسبة له بعيدة المنال ، كالعلاقات بين المسيحيين والمسلمين فى الأندلس ، فلم يكن له فيهما نصيب يستحق الذكر .

* * *

---

(١) انظر المراجع الآتية ، فى منزلة ابن سعيد بين الجغرافيين ، بالاضافة الى المراجع التى مر ذكرها نقولا زيادة : رواد الشرق العربى فى العصور الوسطى ص ٧٥ و ٧ و ١٧٤ — ١٧٦ و M. Reinaud : Introduction Générale à la Géographie des Orientaux (Introduction à la traduction à Aboul Fida, 2 vol, Paris 1848) pp. CXLI-CXLIII, CCCXVI-CCCXIX, CDXXII; R. Blachère: Extraits des Principaux Géographes Arabes du Moyen Age p 250; G. Ferrand: Géographie et Cartographie musulmanes (Hespéris, XX, 1935) p. 81

(٢) وبذلك استطاع ابن سعيد أن يتجنب كثيراً من الموضوعات التى قد تضطره الكتابة فيها إلى أن يكون مداحاً مداهنا . فلم يترك كثيراً من الآراء الشخصية عن الدول القائمة فى عهده واستطاع فى بعض الأحيان أن يكون مصداقاً لقول السخاوى عن بعض المؤرخين أنهم يستطيعون إخراج « مساوىء الكبير وهناته فى هيئة المدح والمكارم والعظمة » . انظر « الاعلان بالتوبيخ » ص ٦٦ — ٦٧

أما الميزة الثالثة فى كتاب « المغرب » فالاعتماد على الرواية الشفوية زهاء قرن من الزمان ، الأمر الذى يندر أن نلقى نظيره فى كتاب آخر . وقد مر بنا الكلام على أثر الرواية الشفوية فى « المغرب » حين تحدثنا عن مصادر هذا الكتاب .

ويمكننا أن نقول فى ثقة واطمئنان أن أصحاب « المغرب » كانوا يختارون المصادر المدونة والمصادر الشفوية أحسن اختيار . مصداق ذلك اعتمادهم على كثير من التصانيف المعاصرة للأحداث التى كتبت عنها واعتمادهم على كثير من علية القوم الذين يتحدثون عن معرفة ودراية .

* * *

وكان من شأن هذه المنزلة التى عرفها المؤلفون لكتاب « المغرب » أن نهج بعضهم سبيله وسلك طريقته ، كما أقبل آخرون على النقل عنه . وقد بين الدكتور شوقى ضيف فى المقدمة التى كتبها للقسم الأندلسى الذى نشره من « المغرب » كيف أن المقرى نقل عن « المغرب » كل ما كتبه من أشعار أندلسية فى كتابه « نفح الطيب » كما نقل عنه معظم ما كتبه فى وصف جزيرة الأندلس وخصائص أهلها وفضائلهم[1] ؛ ونضيف نحن أن المقرى نقل عن ابن سعيد كثيراً مما كتبه فى الموازنة بين المصريين والأندلسيين[2] ؛ على أن النسخة التى كانت بين يدى المقرى من كتاب «المغرب» ليست هى النسخة التى وصلت إلينا والمحفوظة فى دار الكتب ، فقد لاحظ الدكتور شوقى ضيف ، فى القسم الخاص بالأندلس[3] ، أن نسخة المقرى فيها زيادات كثيرة ولا تتطابق فى أشعارها وأخبارها وتراجمها مع ما فى نسختنا ، وفضلا عن ذلك كله فقد كتب المقرى فى ترجمة ابن سعيد فى نفح الطيب العبارة الآتية :

« وُجد بخطه (أى على بن موسى بن سعيد) ـ رحمه الله تعالى ـ آخر جزء من كتاب «المغرب» ما نصه : أجزت الشيخ القاضى الأجل أبا الفضل أحمد بن الشيخ القاضى أبى يعقوب التيفاشى أن يروى عنى مصنَّفى هذا وهو « المغرب فى محاسن المغرَب » ويُرويه من شاء ، ثقة بفهمه واستنامة الى علمه ، وكذلك أجزت لفتاه النبيه جمال الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر بن خَطْلَخ الفارسى الأُرموى أن يرويه عنى ويُرويه من شاء ، وكتبه مصنفه على بن موسى بن محمد بن عبد الملك ابن سعيد فى تاريخ الفراغ من نسخ هذا السفر »[4]

وهذه الاجازة ليست فى نسختنا ، الأمر الذى يقطع بأن النسخة التى اطلع عليها المقرى كانت نسخة أخرى .

---

(١) راجع مقدمة الدكتور شوقى ضيف للقسم الأندلسى من المغرب ص ١٩ — ٢٠ و ٢٤

(٢) انظر نفح الطيب للمقرى ج ١ ص ٦٨٦ ، ٦٩٣

(٣) انظر مقدمته لهذا القسم ص ٢٤ — ٢٥

(٤) المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ٦٨٢

كما لاحظ الأستاذ محمد بن تاويت الطنجى فى بحوثه عن ابن خلدون أن هذا المؤرخ الكبير كان يعتمد كثيراً على ابن سعيد فى النسب والتاريخ [١].

أما القسم الخاص بمصر فى «المغرب» فقد أفاد منه كثير من المؤرخين المصريين وعلى رأسهم ابن دقماق [٢] والمقريزى . وكان المقريزى يعظم على بن سعيد ويجل شأنه ، ونراه فى كتاب الخطط يشير إليه فى تقدير لم يظفر به كثيرون غيره عند شيخ المؤرخين المصريين ؛ فيقول عنه : «العلامة على بن سعيد» [٣] وسماه فى موضع آخر «حافظ المغرب» [٤] . وقد اقتبس منه كثيراً مما كتبه عن الفسطاط والقاهرة [٥] . ومع ذلك ، فإن المقريزى كان ينظر فيما ينقله عن ابن سعيد وكانت شخصيته الجبارة وعلمه الغزير يأبيان عليه أن يثق بكل ما جاء فى «المغرب» . مصداق ذلك العبارة الآتية التى نقرأها فى الخطط (ج ١ ص ٢٨٨) : «وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب : وأما فسطاط مصر فإن مبانيها كانت فى القديم متصلة بمبانى مدينة عين شمس وجاء الإسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن وعليه نزل عمرو بن العاص وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب إليه . وهذا وهم من ابن سعيد ، فان فسطاط عمرو إنما كان مضروبا عند درب حمام شمول بخط الجامع . هكذا هو بخط الشريف محمد بن أسعد الجوانى [٦] النسابة وهو أقعد بخطط مصر وأعرف من ابن سعيد» .

وقد نقل المقريزى عن كتاب «المغرب» نبذة طويلة مما كتبه ابن سعيد فى وصف مدينة القاهرة [٧] ، قال فيها : إن اسم هذه المدينة أعظم منها وكان ينبغى أن تكون فى ترتيبها ومبانيها على خلاف ما شاهده ، وإن «من عيوب القاهرة أنها فى أرض النيل الأعظم ويموت الإنسان فيها عطشاً لبعدها عن مجرى النيل لئلا يصادرها ويأكل ديارها . واذا احتاج الإنسان إلى فرجة فى نيلها مشى فى مسافة بعيدة بظاهرها بين المبانى التى خارج السور إلى موضع يعرف بالمقس ، وجوّها لايبرح كدرا بما تثيره الأرجل من التراب الأسود . . . وعند ما يقبل المسافر عليها يرى سوراً أسود كدرا وجوا مغبرا ، فتنقبض نفسه ويفرّ أنسه» ثم تحدث ابن سعيد عن الحياة فى القاهرة فقال :

«وهواءها ردئ ، لا سيما إذا هب المريسى من جهة القبلة ، وأيضا رمد العين فيها كثير والمعايش فيها متعذرة . . وهى مستحسنة للفقير الذى لايخاف على طلب زكاة ، ولا ترسيما وعذابا ،

---

(١) أنظر «التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً» تأليف عبد الرحمن بن خلدون ، نشر محمد ابن تاويت الطنجى ص ٥ ؛ وأنظر مقدمة ابن خلدون (الكلام على الاقليم الأول) وانظر أيضاً J. Spencer Trimingham : Islam in the Sudan p. 59

(٢) أنظر ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، ج ٤ ص ٣ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٢١ وج ٥ ص ٣٥ ، ٥٣

(٣) انظر خطط المقريزى ج ٢ ص ١٨٣

(٤) انظر المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة ص ٦٨

(٥) انظر خطط المقريزى ، ج ١ ص ٣٤٠ — ٣٤٢ و ٣٦٦ وج ٢ ص ٢٨ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، ١٧٠ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ٤٥٩

(٦) اقرأ عن هذا المؤلف ماكتبه الأستاذ فييت فى صفحة ١٧٩ بالجزء الثانى من طبعته لخطط المقريزى ، وراجع ما أشار إليه من المصادر القديمة .

(٧) أنظر خطط المقريزى ج ١ ص ٣٦٦ — ٣٦٨

ولا يُطلب برفيق له إذا مات ، فيقال له : ترك عندك مالا ؟ ! فربما سجن فى شأنه أو ضرب وعصر والفقير المجرد فيها مستريح من جهة رخص الخبز وكثرته ، ووجود السماع والفرج فى ظواهرها ودواخلها ، وقلة الاعتراض عليه فيما تذهب اليه نفسه ، يحكم فيها كيف شاء ، من رقص فى السوق أو تجريد أو سكر من حشيشة أو غيرها أو صحبة المردان وما أشبه ذلك ، بخلاف غيرها من بلاد المغرب . وسائر الفقراء لا يعترضون بالقبض للأسطول إلا المغاربة ، فذلك وقف عليهم لمعرفتهم بمعاناة البحر ، فقد عم ذلك من يعرف معاناة البحر منهم ومن لا يعرف . وهم فى القدوم عليها بين حالين : إن كان المغربى غنيا طولب بالزكاة ، وضيقت عليه أنفاسه حتى يفر منها ، وإن كان مجردا فقيرا حمل الى السجن حتى يجئ وقت الأسطول . . . . ولا ينكر فيها إظهار أوانى الخمر ولا آلات الطرب ذوات الأوتار ، ولا تبرج النساء العواهر ، ولا غير ذلك مما ينكر فى غيرها من بلاد المغرب . وقد دخلت فى الخليج الذى بين القاهرة ومصر ، ومعظم عمارته فيما يلى القاهرة ، فرأيت فيه من ذلك العجائب . وربما وقع فيه قتل بسبب السكر ، فيمنع فيه الشرب ، وذلك فى بعض الأحيان . وهو ضيق ، عليه فى الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم الطرب والتهكم والمخالعة ، حتى ان المحتشمين والرؤساء لا يجيزون العبور به فى مركب . . . الخ » .

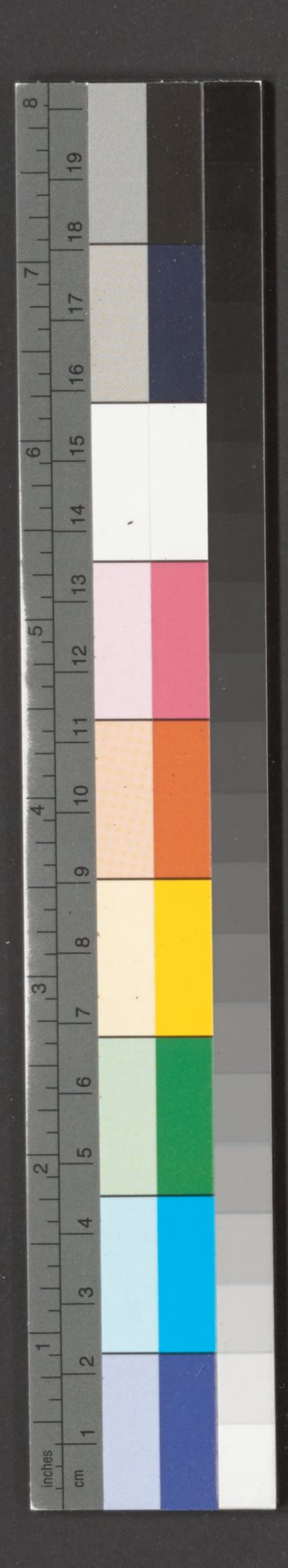
ورد المقريزى على هذا كله بتوقيع موجز ، فعقب على هذه النبذة الطويلة بقوله : « انتهى . وفيه تحامل كثير » . ولكن المقرى [1] نقل هذا الوصف فى ترجمة ابن سعيد بنفح الطيب ، ورد على المقريزى بعبارة موجزة ، نصها : « قال المقريزى : وفيه تحامل كثير — انتهى . ومن نظر بعين الإنصاف علم أن التحامل فى نسبة التحامل إليه ، والله تعالى الموفق » .

وأفاد أبو الفدا فى تاريخه من كتاب المغرب . وكان يعتبره مرجعاً فريداً . مصداق ذلك ما ذكره فى حوادث سنة خمس وأربعين وست مائة (ج ٢ ص ١٨٥) عن وفاة الشلوبينى ، قال : « توفى فيها عمر بن محمد بن عبد الله المعروف بالشلوبينى باشبيلية ، كان فاضلا إماماً فى النحو شرح الجزولية ، وصنف فى النحو غير ذلك . . والشلوبينى نسبة إلى شلوبين ، وهو حصن منيع من حصون الأندلس من معاملة سواحل غرناطة على بحر الروم ، منه عمر الشلوبينى المذكور . هذا مانص عليه ابن سعيد المغربى فى كتابه الكبير المسمى بالمغرب فى أخبار أهل المغرب ، فى المجلدة الخامسة عشرة بعد ذكر غرناطة . ومن هنا يتحقق أن الذى نقله القاضى شمس الدين بن خلكان ومن تابعه أن الشلوبين هو الأبيض الأشقر بلغة أهل الأندلس وهْمٌ محض لعدم وقوفهم على كتاب المغرب فى حلى أهل المغرب المذكور » .

وعلى كل حال فإن كتاب « المغرب » عظم قدره وارتفعت منزلته بين المؤلفين المسلمين فى العصور الوسطى ، ويبدو أن المخطوطات التى نسخت منه كانت قليلة وأن الذى استطاع

---

(١) نذكر أن المقرى ولد فى تلمسان بالمغرب وتعلم فى فاس ومراكش وأفاد من مكتبة السلاطين الاشراف السعديين التى آل جزء منها إلى مكتبة الاسكوريال ، ثم نزل القاهرة سنة ١٠٢٨ هـ (١٦١٩م) وتوفى بها سنة ١٠٤١ هـ (١٦٣٢ م) .



أن يظفر بقراءته كان يعد ذلك حظا طيبا . مصداق ذلك ما كتبه كثير منهم فى المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية . وسوف يأتى الكلام على هذه التوقيعات فى الصفحات التالية .

أما فى العصر الحديث فقد فطن المستشرقون إلى قدر هذا الكتاب حين أتيح لبعضهم الاطلاع على الأجزاء التى وصلت إلى دار الكتب المصرية من المخطوطة النفيسة التى كتبها بخطه على بن سعيد . وقد نبه إلى ذلك المستشرق الألمانى فولرز سنة ١٨٨٩ حين لم يكن فى دار الكتب إلا السفر الخامس عشر الخاص بالأندلس[١] . ولما وصلت إلى الدار أجزاء أخرى من تلك المخطوطة أقبل المستشرقون على فحصها لعلهم يستطيعون نشرها، ولكن اضطراب أوراقها ونقص أجزاء كبيرة منها كانا عقبة فى هذا السبيل .

وفى سنة ١٨٩٤ نشر المستشرق فولرز — الذى كان مديراً لدار الكتب — الجزء الخاص بسيرة أحمد بن طولون من كتاب المغرب[٢] . ومع أن هذه الطبعة لم تنزه عن الأخطاء فإنها طيبة فى مجموعها ، ولكن المقدمة التى كتبها الناشر بالألمانية مختصرة ، ولا تكشف عن مجهود موفق فى التعريف بكتاب « المغرب » ومؤلفيه ، فضلا عن أنها ضعيفة وفيها كثير من الخبط ، ولعل سبب ذلك أن الناشر لم يفهم خطة « المغرب »[٣] .

وفى سنة ١٨٩٩ نشر المستشرق تلكوست الجزء الخاص بالدولة الأخشيدية والتراجم فى كتاب « الاغتباط فى حلى مدينة الفسطاط[٤] » ، ويؤلف هذا كله السفر الرابع من كتاب المغرب . ولكن هذه الطبعة لم يكن ليكترث لها أو يلتفت إليها ، لو وجد غيرها أو كانت المخطوطة قريبة المنال . وذلك لأنها طبعة غثة وغنية بالأغلاط ، ولم يفلح الناشر فى تصحيح النص أو تقويم مافيه من عوج واضطراب ؛ أو هو أفلح فى إفساده وزيادة اضطرابه . فضلا عن أن المقدمة التى كتبها الناشر ليست سديدة المنهج ولا غزيرة المادة ولا تفلح فى التعريف بالكتاب أو المؤلفين . فلا عجب إذا رأينا المستشرق الدكتور جرومان يتمنى أن يعاد طبع هذا النص .

---

(١) راجع مقال الاستاذ فولرز فى مجلة الجمعية الشرقية الالمانية سنة ١٨٨٩
Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft, 1889, p. 107,

(٢) K. Vollers : Fragmente aus dem Mughrib des Ibn Said. Bericht uber die Handschrift und das Leben Ahmed ibn Tulun von Ibn Sa'id nach Ibn ed-Daja, Berlin 1894.

(٣) من أمثلة الخلط فى الكتابة ، والتأليف الذى لا يرجع إلى محصول ، ما كتبه مؤلف مصرى زعم أن ابن سعيد نقل سيرة ابن طولون واتخذها مقدمة لكتابه (كذا !) ، كما زعم فى الصفحة التالية أن ابن سعيد كتب تكملة لكتاب الولاة للكندى من وفاة الاخشيد إلى قدوم المعز وأنه فى كتابه « المغرب فى حلى المغرب » ينقل جزءاً من كتاب لابن زولاق اسمه « العيون الدعج فى حلى دولة بنى طغج » وهذه سلسلة من الاخطاء يأخذ بعضها برقاب بعض وتنكر أن صاحبها درس تلك التصانيف التى يشير اليها أو فهم خطتها . أنظر : Aly Mohamed Fahmy : Muslim Sea-Power in the Eastern Mediterranean pp. 12-13

(٤) K. L. Tallqvist : Ibn Sa'id al-Maghribi, kitab al-mugrib fi hula al-magrib, Buch IV : Geschichte der Ihsiden und Fustâtenische Biographien. Arabischer Text nach der einzig vorhanden Hs. zu Kairo mit Anmerkungen und Registern hrsg. von K. L. Tallqvist. Leiden 1899

وفى سنة ١٩١٠ نشر المستشرق موريتز نبذة من كتاب « المغرب » خاصة بجزيرة صقلية ، وعنوانها « الألحان المسلية فى حلى جزيرة صقلية » ، وذلك فى المؤلف الذى أخرجه بعض علماء الدراسات الشرقية فى مناسبة العيد المئوى لمولد المستشرق الإيطالى أمارى [١] .

ومنذ أشهر نشر الدكتور شوقى ضيف الجزء الأول من القسم الأندلسى فى « المغرب » . وهو يحتوى ثلاثة أسفار من النص إلا قليلا ، وهى الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر فى التصنيف العام للكتاب ، وجميعها خاص بغرب الأندلس وممالكه وكوره وبلدانه . وهذه طبعة طيبة ، وإذا كان هذا الجزء قد خلا من الفهارس فلعل الناشر قد قصد إلى وضع الفهارس فى ذيل الجزء الثانى وللجزئين معا .

وننشر اليوم الجزء الأول من القسم المصرى فى المغرب ، وهو يحتوى على « كتاب الاغتباط فى حلى مدينة الفسطاط » ويضم الموضوعات التالية :

المنصة

وفيها البيانات الجغرافية والعمرانية عن مدينة الفسطاط .

التاج

ويشتمل على تراجم عمرو بن العاص وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن سعد ابن أبى سرح وقيس بن سعد والأشتر ومحمد بن أبى بكر وأسامة بن زيد التنوخى ، ثم على كتاب « الدر المكنون فى حلى دولة بنى طولون » ويليه بدء ترجمة محمد بن سليمان ، ثم كتاب « العيون الدعج فى حلى دولة بنى طغج » .

السلك

ويشتمل على تراجم أحمد بن طباطبا ، وابنه أبو محمد القاسم بن أحمد الرسى ، ثم الشريف أبى الحسن على بن الحسين بن حيدرة العقيلى ، وأبى ابراهيم الحسين بن ابراهيم بن أحمد الرسى ، والعلوى الحسينى الزينبى المعروف بزبدة ، وابن جدار ، وأبى الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات ، وأبى الفرج الموفقى الكاتب المصرى ، وصالح بن رشدين ، والبرهان ابراهيم بن الفقيه نصر ، وأبى المكارم محمد بن عين الدولة ، وعبد الحكم بن أبى إسحق ، وناصر الدين الحسن بن شاور ، وأبى عبد الله محمد بن ثابت بن ابراهيم الكيزانى ، وأبى الحسن منصور بن اسماعيل الفقيه ، وأبى عبيد الله محمد بن عبيد الله المسبحى ، وأبى عبد الله محمد بن سعد القرطى ، وشمس الدين أبى الخير مبشر بن القسطلانى ، وقطب الدين أبى بكر محمد بن أحمد بن على بن محمد بن الحسن القسطلانى ، ومعلى بن المعلى الطائى ، والجمل الشاعر الأكبر ، والحسين الجمل الأصغر ، والشاعر

(١) B. Moritz: Ibn Sa'id's Beschreibung von Sicilien (in Centenario della Nascita di Michele Amari, volume Primo pp. 292-305. Palermo 1910).

المريمى القاسم بن يحيى بن معاوية ، وسعيد قاضى البقر الشاعر ، وأبى الفتح بن البينى ، وأبى هريرة أحمد بن أبى عصام ، وعلى بن يونس المنجم المصرى ، والماهر المحجوب المصرى ، وأمين الدين بن أبى الوفاء المشهور بابن العصار ، والنبيه ابراهيم بن مهلهل ، والمكرم بن نقاش السكة ، وعلم الدين بن الموصص ، والمجاهد طناش الخياط ، والنجيب بن طلحة ، والبرهان ابراهيم بن جبريل المصرى ، والجمال ناصر بن ناهض الحصرى اللحمى ، وعبد الدائم المعلم ، والجمال أبو الحسين الجزار .

الحلة

وتضم ترجمتى أحمد بن خالد الصريفينى وأبى بكر محمد بن على الماذرائى .

وبقية الحلة تراجم لمجموعة من القضاة منقولة عن الكندى ، وقد سقطت منها طائفة وبقيت طائفة ، هى غوث بن سليمان الحضرمى ومحمد بن مسروق ثم بقية ترجمة العمرى ثم ترجمة هاشم البكرى ، وابراهيم بن الجراح ، وعيسى بن المنكدر ، وهرون بن عبد الله ، وأبو بكر محمد الخوارزمى ، والحارث بن مسكين ثم ورقتين من ترجمة القاضى بكار سقط رأس الترجمة قبلهما .

الأهداب

وتضم ترجمة سيبويه المصرى بعد أن سقطت الورقة الأولى منها ، ثم يشتمل على نوادر منقولة من تاريخ المسبحى ثم ترجمة لساكن البليق .

٥ — عود إلى إهداء « المغرب » لابن ندى الجزرى

ذكرنا فى الصفحة الثامنة عشرة من هذه المقدّمة أن حاجى خليفة كتب فى « كشف الظنون » أن كتاب « المغرب » أُلّف لمحيي الدين محمد بن محمد الصاحب بن ندى الجزرى ، وقلنا إننا لم نقف فى المراجع على ما يؤيد تأليف الكتاب للجزرى هذا ؛ كما أننا لم نعثر على سيرته فى كتب التراجم . ولكن وضح لنا الأمر بعد طبع الصفحة المذكورة ، فآثرنا أن نعود إليه لننفض عنه غبار اللبس ، فقد تبين أن القول بأن كتاب « المغرب » أهدى إلى محيي الدين محمد بن محمد بن سعيد ابن ندى الجزرى أمر لاتخالطه شبهة ولايجوز أن يعترينا فيه شك ، إذ أن الذى سجله هو عز الدين ابن أيبك الصفدى . وقد مر بنا أن هذا المؤرخ الكبير قد ملك مخطوطة « المغرب » المحفوظة فى دار الكتب وكتب على غلاف السفر الرابع منها : « طالعه وانتقى منه مالكه خليل بن أيبك ابن عبد الله الصفدى عفا الله عنه » كما أشار فى ترجمة على بن موسى بن سعيد فى « الوافى بالوفيات » إلى كتاب « المغرب » وقال « ملكته بخطه » أى بخط علىّ الذى يترجم له .

وقد تحدث الصفدى عن هذا الإهداء فى الترجمة التى كتبها للصاحب محيي الدين محمد بن محمد ابن سعيد بن ندى الجزرى فى كتاب « الوافى بالوفيات »[1]. وخلاصة هذه الترجمة أن محيي الدين الجزرى توفى سنة ٦٥١ (١٢٥٣ م) أى بعد أن أهدى إليه الكتاب بنحو أربع سنوات[2] .

وكان الصاحب محيي الدين قد استقل بتدبير الملك بالجزيرة بعد وفاة والده شمس الدين . وكان فاضلا يحب العلم ، ويرعى العلماء ويقربهم إليه ، فكانوا — على حدّ قول الصفدى — : « يتحفونه بالفوايد ويؤلفون له التصانيف الحسنة ، فمن كان عنده الإمام رشيد الدين الفرغانى والشيخ أثير الدين الأبهرى وصدر الدين الخاصى وضياء الدين أبو طالب السنجارى والشيخ شرف الدين التيفاشى صاحب « فصل الخطاب » وهو فى أربعة وعشرين مجلداً ، والشيخ شهاب الدين أبو شامة ، ونور الدين ابن سعيد المغربى الأديب ونجم الدين القمراوى وغير هؤلاء . وهؤلاء كانوا أعيان ذلك العصر ، كل فرد منهم فرد زمانه فى فنه . وله صنف ابن سعيد كتاب « المغرب فى محاسن أهل المغرب » وكتاب « المشرق فى أخبار المشرق » وذكره فى أول كتابه وذكر له ترجمة طويلة » .

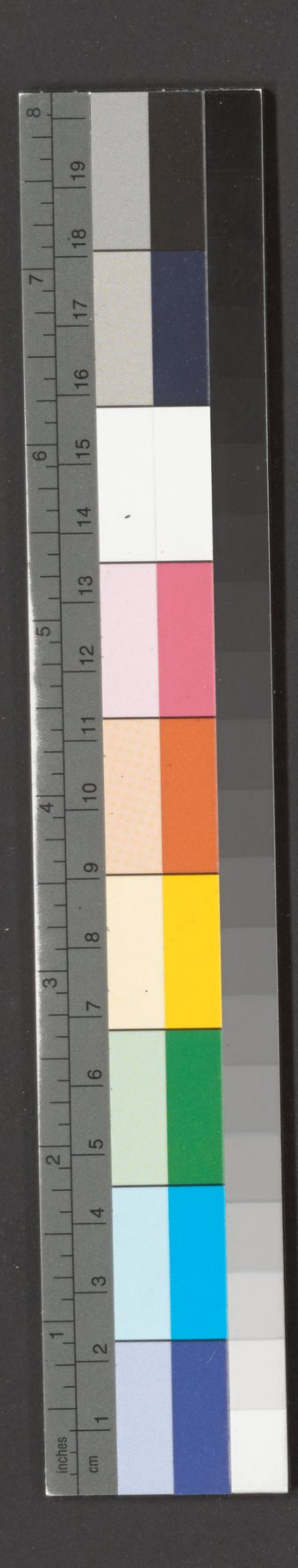
وأشار الصفدى بعد ذلك إلى أن ابن ندى الجزرى كان يحذو حذو البرامكة ويقتدى بسيرتهم وأن كثيراً من الشعراء أقبلوا على مدحه ؛ ومن بينهم زكى الدين بن أبى الأصبغ[3] وصاحبنا

---

(١) أنظر الصفدى : الوافى بالوفيات ج ١ ص ١٧٢ (طبع المستشرق ريتر فى اسطنبول سنة ١٩٣١)

(٢) مر بنا أن التواريخ المدونة فى نهاية كل سفر من أسفار المخطوطة ، والتى تسجل تاريخ الفراغ منها ، تقع بين سنتى ٦٤٥ و ٦٤٧

(٣) هو زكى الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر المصرى المتوفى سنة ٦٥٤ هـ .



ابن سعيد المغربى . ولكننا لم نعثر فى الشعر الذى نقله المقرى فى « نفح الطيب » من ديوان ابن سعيد على أى أبيات فى مدح ابن ندى الجزرى ، فالراجح أن قصائده فى مدح هذا المحسن الكبير قد ضاعت فى ديوان شعره الذى قال المقرى إنه كان « متعدد الأسفار » وكان ابن سعيد قد رتبه على حروف المعجم . والحق أن معظم ما نقله المقرى من هذا الديوان كان فى وصف الطبيعة والمدن والحنين إلى بعض بقاع الأندلس وليس فيه إلا القليل من قصائد المدح .

وذكر الصفدى فى ترجمة محيي الدين بن ندى الجزرى أنه صنف مصنفات منها « لطايف الواردات » و « كتاب معالم التدبير » و « كتاب مراشد الملك » و « كتاب ضوابط الملك » و « كتاب وظايف الريسة » و « كتاب التذكرة الملوكية » .

وقد أشار ابن سعيد إلى ابن ندى الجزرى فى القسم الذى ننشره الآن من كتاب المغرب حين نقل أبياتاً لعلم الدين أيدمر (صفحة٩) وقال إنه عتيق وزير الجزيرة . فالوزير المقصود هنا هو محيي الدين محمد بن محمد بن سعيد بن ندى الجزرى . كما أشار ابن دقماق إلى أيدمر فى الجزء الرابع من كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار (ص ١١٠) وسماه علم الدين أيدمر « المحيوى » . وترجم له ابن شاكر الكتبى فى الوافى بالوفيات (ج ١ ص ٩٦) ، وجاء فى هذه الترجمة :

« أيدمر المحيوى فخر الترك عتيق محيي الدين محمد بن محمد بن سعيد بن ندى ، قال ابن سعيد المغربى فى كتاب « المشرق » فى ترجمة هذا : بأى لفظ أصفه ، ولو حشدت جيوش البلاغة لفضله لم أكن أنصفه ، نشأ فى الدوحة السعيدية فنمّت أزاهره ، وطلع بالسماء البيانية فتمّت زواهره . . . الخ » .

وكتب المستشرق باسكوال دى جايانجوس فى منتصف القرن الماضى أن حاجى خليفة صاحب « كشف الظنون » رأى مخطوطة من كتاب « المغرب » واقتبس منها وسجل أن ابن سعيد أهدى هذا الكتاب إلى محيي الدين محمد بن محمد الجزرى . وأضاف هذا المستشرق أنه لا شك عنده فى أن محيي الدين هذا هو الذى يذكره كثيراً أبو الفدا وغيره من الجغرافيين [١] .

ولسنا نعرف تماما من الذى يعنيه باسكوال دى جايانجوس بهذه الإشارة ؛ لأن محيي الدين الجزرى الذى ترجم له الصفدى ليس له شأن مباشر بالجغرافيين ؛ وربما كان الذى يقصده دى جايانجوس هو الجزرى الذى كان من مهندسى الحيل (الميكانيكا) فى القرن السابع الهجرى وصاحب « كتاب الحيل الجامع بين العلم والعمل » ،

---

(١) انظر : Al-Maqqari : History of the Mohammedan Dynasties in Spain ; extracted from the "Nafhu-t-tib wa tarikh lisanu d-din Ibn il-Khatib" Translated by Pascual de Gayangos (2 vols, London 1840—43) p 478.

الذى ألفه لأحد الأمراء من بنى أرتق [١] سنة ٦٠٢ هـ (١٢٠٥ م) ؛ ولكن اسم هذا الجزرى المهندس هو بديع الزمان أبو العز بن اسماعيل بن الرزاز الجزرى وليس هو وزير الجزيرة الذى أهدى إليه « المغرب » .

وقد كنا فى البداية نرتاب فى قصة إهداء «المغرب» إلى محمد بن ندى الجزرى لأننا لم نكن نعلم أنها وردت فى مرجع قديم كالوافى بالوفيات للصفدى . فضلا عن أننا قرأنا فى ترجمة ابن سعيد فى نفح الطيب للمقرى ما يوحى بأن كتاب « المغرب » أهدى إلى الناصر صلاح الدين يوسف بن عبد العزيز بن محمد بن الظاهر غازى بن صلاح الدين ، صاحب حلب . فقد روى المقرى أن ابن سعيد رحل صحبة كمال الدين ابن العديم إلى حلب ودخل على أميرها الناصر صلاح الدين « فأنشده قصيدة أولها :

جُدْ بما لتى الخيال من الكَرى   لا بُدّ للضيف المُلِمَّ من القِرى

فقال كمال الدين : هذا رجل عارف ورّى بمقصوده من أول كلمة ! — وهى قصيدة طويلة — فاستجلسه السلطان وسأله عن بلاده ومقصوده برحلته ، فأخبره أنه جمع كتابا فى الحلى البلادية والعلى العبادية المختصة بالمشرق وأخبره أنه سماه « المشرق فى حلى المشرق » وجمع مثله فسماه « المغرب فى حلى المغرب » فقال : نعينك بما عندنا من الخزائن ونوصلك إلى ما ليس عندنا بخزائن الموصل وبغداد ، وتصنف لنا « المغرب » ، نخدم على عادتهم ، وقال : أمر مولاى بذلك إنعام وتأنيس » .

ولكن جاء فى ترجمة ابن سعيد بنفح الطيب ما يشير إلى أنه ألف للناصر صاحب حلب كتاب « ملوك الشعر » الذى ذكرناه بين تصانيفه (صفحة م ٢٢) ، فقد روى المقرى حديثاً لابن سعيد عن الشاعر شهاب الدين محمد بن يوسف بن مسعود التلعفرى (نسبة إلى التل الأعفر) المتوفى سنة ٦٧٥ هـ ، نصه : « قال ابن سعيد : وحظى الشهاب التلعفرى بمنادمته الملوك ، وكونهم يقدمونه ، ويقبلون على شعره ، وعهدى به لا ينشد أحد قبله فى مجلس الملك الناصر — على كثرة الشعراء وكثرة من يعتنى بهم — ولما جمعت للملك الناصر كتاب « ملوك الشعر » جعلت ملك شعر الشهاب البيت الرابع من القطعة المتقدمة [٢] ، فإنه كان كثيراً ما ينشده وينوه به » .

ومهما يكن الأمر فإن إهداء « المغرب » كان لابن ندى الوزير فى الجزيرة . ويبدو أن ابن سعيد — رغم ما انعقد من صداقة بينه وبين بعض الأدباء والرؤساء فى مصر —

---

(١) أنظر أحمد تيمور باشا : التصوير عند العرب (اخراج الدكتور زكى محمد حسن) ص ٨٠ ، ١٠٧ ، وابن حجر : الدرر الكامنة ص ٢٠٩ ، وأحمد تيمور باشا : المهندسون الاسلاميون ، بمجلة الهندسة سنة ١٩٢٣ ص ٧١ — ٧٢ و Carra de Vaux : les Penseurs de l' islam II pp 172—176

(٢) نص هذا البيت الذى عده ابن سعيد « ملكا » لما قال التلعفرى من شعر هو :

وتفردت بالجمال الذى خلـّـ   لاك مستوحشا بغير رفيق

لقى من الإجلال والتعظيم فى الشام وبلاد الجزيرة أكثر مما لقى فى مصر . مصداق ذلك قصيدته الطويلة التى حنّ فيها إلى الأندلس ومطلعها :

هـذه مصرُ ، فأين المغربُ ؟! قد نأى عنى فعينى تسكبُ

ثم عرج فيها على ذكر « المواضع المبهجة التى قطع بها العيش غضاً خصيباً ، وصحب بها الزمان غلاما ، ولبس الشباب برداً قشيبا . وانتقل بعد ذلك إلى الشكوى من حاله فى مصر فقال :

هـذه حالى ، وأما حالتى ، فى ذُرى مصرَ فِفكرٌ مُتعَبُ
ها أنا فيها فريد مهمَلٌ وكلامى ولسانى معربُ !
وأرى الألحاظ تنبو عندما أكتب الطِّرس ، أفيه عقرب ؟ !
وأُنادى : مغربياً ، ! ليتنى لمْ أكنْ للغرب يوماً أُنسب
نسبٌ يُشْرِكُ فيه خاملٌ ونبيهٌ ، أين منه المهرب ؟ !
أترانى ليس لى جَدٌّ له شهرة ؟! أو ليس يُدرى لى أبُ ؟ !

وقد روى المقرى أن ابن سعيد قال عن مصر البيتين الآتيين :

كم ذا تقيم بمصر مُعَذَّباً بذويها !
وكيف ترجو نداهم والسُّحب تبخل فيها ! ؟

والحق أن أهل المغرب كانوا يلقون فى الشام من كرم الوفادة الشئ الكثير . وقد أشار ابن بطوطة إلى ذلك فى الفصل الذى عقده فى رحلته للكلام على « ذكر الأوقاف بدمشق و بعض فضائل أهلها وعوائدهم[1] » .

---

(١) انظر رحلة ابن بطوطة (الطبعة الثانية بطبعة التقدم) ج ١ ص ٦٣ و زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ص ٨٤ و ٨٥ و ١٤٣ و ١٤٤

٦ ــ مخطوطة المغرب

كانت دار الكتب المصرية سنة ١٨٨٩ تضم من هذه المخطوطة سفرا واحدا، هو الجزء الخامس عشر الخاص بالأندلس ، وقوامه ١٨١ ورقة . وكان قد آل اليها من تركة مصطفى باشا فاضل[١] .

وفى سنتى ١٨٩٢ و ١٨٩٣ كانت لجنة حفظ الآثار العربية تشرف على أعمال إصلاح وترميم فى جامع المؤيد بالقاهرة ، وقد عثر خلال العمل على كمية من ورق المخطوطات فى قاعة بعيدة عن الأنظار، فأمر ديوان الأوقاف بنقلها إلى الجامع الأزهر. وتبين أن معظم هذه الأوراق من مخطوطة كتاب «المغرب» واستطاعت دار الكتب بعد مكاتبات طويلة أن تقنع الشيخ شمس الدين محمد الانبابى شيخ الأزهر فى ذلك الحين ــ بالموافقة على تسليم تلك الأوراق ــ وعددها ٨٦٥ ورقة ــ اضمها الى المخطوطة المحفوظة بدار الكتب[٢] . وقد تم ذلك ولا تزال بعض أوراق المخطوطة تحمل العبارة الآتية : « مستخرج من دشت المؤيد ، ومضاف فى ١١ مايو سنة ١٨٩٣ ، نمرة ٤٦ يومية ١٠٣ م تاريخ خصوصية ؛ تبع ٧٥٣٣ عمومية » .

وهكذا استطاعت دار الكتب المصرية أن تظفر بالجزء الأكبر من مخطوطة من أنفس المخطوطات العربية فى العالم كله وترجع أهمية هذه المخطوطة إلى الأمور الآتية :

أولا ــ أنها بخط على بن موسى بن سعيد صاحب الفضل فى إتمام « المغرب » وإخراجه فى الصورة التى نعرفها فى هذه المخطوطة .

ثانيا ــ أنه كتبها لخزانة ابن أبى جرادة المعروف باسم ابن العديم الذى استضافه فى حلب بين عامى ٦٤٤ و ٦٤٧ هـ . وكانت كتابتها بين سنتى ٦٤٥ و ٦٤٧ هـ ؛ وأثبت بخطه على غلاف كل سفر من أسفارها إحدى العبارتين التاليتين أو ما فى معناهما :

« نسخه بخطه برسم الخزانة الجليلة الصاحبية الكمالية عمرها الله بدوام مالكها سيد الأصحاب رئيس صدور الشام علم العلماء الصاحب الكبير كمال الدين بن أبى القاسم ابن أبى جرادة العقيلى خلد الله إحسانه وعطر شكره زمانه ، مكمل تصنيفه على بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد» .

أو : «كتبه بخطه للخزانة الجليلة المعمورة بطول بقاء السيد الكبير المحسن المنعم الإمام العالم كمال الدين ابن أبى جرادة العقيلى أحيا الله رسوم الفضائل ببقائه وأبق رونقها وبهجتها بدوام

---

(١) انظر : K. Vollers: Fragmente aus dem Mughrib p. I

(٢) انظر المرجع نفسه . ووازن بين هذه الرواية وما جاء فى تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان ج ٣ ص ٢٠٧ بشأن عثور السيد محمد الببلاوى على هذه الأوراق فى جامع المؤيد سنة ١٢٧٨ ، الأمر الذى لا يؤيده ما كتبه الدكتور فولرز مدير الكتبخانة فى ذلك الحين .

سعده وارتقائه متفىء ظله المنتعش بإحسانه على بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف ابن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد . . . بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد . . . العنسى الأندلسى » .

كما أن فى نهاية كل سفر تاريخ الفراغ من كتابته وتقع كل هـــذه التواريخ بين سنتى ٦٤٥ و ٦٤٧ هـ .

ثالثا — أنها انتقلت من خزانة ابن العديم الى المؤلف المشهور صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى المتوفى بدمشق فى شوال سـنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٣ م) . وقد كتب على غلاف السفر الرابع منها العبارة التالية :

« طالعه وانتق منه مالكه خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدى عفا الله عنه » .

فضلا عن أن الصفدى أشار إلى وجود هـــذه المخطوطة فى حوزته حين ذكر كتاب «المغرب» فى ترجمته لعلى بن سعيد فى « الوافى بالوفيات » ، فقال « ملكته بخطه » أى بخط على بن سعيد صاحب الترجمة . ولسنا ندرى أين ومتى آلت هذه المخطوطة الى الصفدى ، ولاسيما أنه ولى كتابة السر فى صفد ثم فى مصر فحلب وانتهى به المطاف فى دمشق .

رابعا — أن عليها علامات قراءة أخرى تشهد بأن بعض أعلام المؤرخين المصريين قد قرأوها فنرى على غلاف السفر الرابع :

« استفاد منه داعيا لمالكه ابراهيم بن دقماق عفا الله عنه ورحمه آمين » [1] ونقرأ عليه أيضا :

« طالعه أحمد بن عبد الله الأوحدى سنة ٨٠٢ هـ » .

و « استفاد منه داعيا لمالكه أحمد بن على المقريزى سنة ٨٠٣ هـ [2] » .

فضلا عن إشارات إلى قراءات أخرى [3] ، نحو «فتح الله سنة ٨١٠» واسم «خليل بن عمر المحتاج الأشعرى» و«محمد بن محمد بن القصاص المصرى البكرى الوفائى سنة ٩٧٤ هـ» و« الشريف أحمد بن محمد الحنفى الحموى سنة ١٠٨٧ هـ» و«محمد بن محمد الأمير سنة ١١٩١ هـ» و« الشيخ حسن العطار» . وقد كتب الأخير على غلاف السفر الثالث من الكتاب العبارة الآتية : « نظر هذه المجلدة وطالعها من أولها الى آخرها الفقير حسن بن محمد العطار ، ولقد كنت كثير الشغف والغرام برؤية هذا الكتاب الذى أظن أنه لم يؤلف مثله أحد فى بابه إلى أن ظفرت بهذه المجلدة بالخزانة المؤيدية عام ثلاث وأربعين بعد المائتين والألف ، أسأل الله أن يطلعنى على بقية هذا الكتاب بمنه وكرمه» .

---

(١) عاش ابن دقماق الى نهاية القرن الثامن للهجرة والراجح أنه توفى بعد سنة ٧٩٣ هـ (١٣٩١ م) .

(٢) أضاف المقريزى على غلاف السفر الثالث نبذة فى سيرة ابن سعيد نقلها عن « الاحاطة » ولا تكاد تختلف عن الذى احتفظ به المقرى فى « النفح » .

(٣) كتب أحد القراء على غلاف السفر الثالث بيتين من الشعر الفارسى للشاعر سعدى .

وهذا كله يدل على غاية العناية بالكتاب ، و يجعل للمخطوطة قيمة ممتازة ، ويشهد بما كان لها من أثر على أعلام المؤرخين والكتاب ، كما أنه يؤيد ما يرجح عندنا عن ندرة المخطوطات التى نسخت من هذا الكتاب .

خامسا — أن على أجزاء المخطوطة صيغة وقف عظيمة الشأن نصها :

« وقف هذا الجزء الملك المؤيد أبو النصر شيخ على الجامع المؤيدى وأن لايخرج منه » وإلى جانبها ختم السلطان المؤيد الذى حكم مصر بين عامى ٨١٥ و ٨٢٤ هـ (١٤١٢—١٤٢١م).

ويشهد هذا كله بأن هذه المخطوطة انتقلت إلى مصر فى نهاية القرن الثامن الهجرى أو على وجه التحديد قبل سنة ٧٩٣ هـ التى كان ابن دقماق لا يزال حياً فيها[١] . ومن المحتمل أن يكون الذى نقلها إلى القاهرة هو خليل بن أيبك الصفدى نفسه . ثم آلت إلى السلطان المؤيد شيخ ، هدية أو مشتراة ، فأوقفها على الجامع الذى شيده بين عامى ٨١٨ و ٨٢٣ هـ (١٤٠٥ — ١٤١٠ م)[٢] . وأشار المؤرخ شمس الدين السخاوى المتوفى سنة ٩٠٢ إلى وجود هذه المخطوطة فى جامع المؤيد[٣] .

والذى يرجح عندنا أن جزءاً من هذه المخطوطة قد فقد من جامع المؤيد قبل سنة ١٢٤٣ هـ (١٨٢٧ م) ، لأن الشيخ حسن العطار حين طالع المخطوطة فى تلك السنة كتب فى العبارة التى مرت بنا : « أسأل الله أن يطلعنى على بقية الكتاب بمنه وكرمه » .

* * *

لهذا كله كانت مخطوطة المغرب جليلة القدر ظاهرة الأهمية . و بلغ عدد أو راقها التى استقرت فى دار الكتب ألفاً وخمسين ورقة . وقد سارعت الدار إلى تغليفها فى أر بعة مجلدات ؛ ولكنها حين فعلت ذلك ضمت كثيراً من أوراقها فى غير نظام أو ترتيب . وكان التلف قد دب إلى بعض تلك الأوراق . فجاء وصفها فى فهرس الدار على النحو الآتى[٤] :

« أربعة مجلدات . بقلم مغربى واضح ، بخط مكمل تأليفه محمد بن سعيد . . فرغ من كتابة آخرها فى مدينة حلب المحروسة للخزانة الصاحبية الكمالية سنة ٦٤٧هـ ، بها خروم وتقديم وتأخير وترقيع وتقطيع ، المجلد الأول يبتدئ من الكتاب الثانى من الكتابين اللذين يشتمل عليهما كتاب المملكة الباجية ، وهو كتاب الأقراط المكللة فى حلى حصن مارتلة ، وينتهى إلى أثناء ترجمة حبلاص الشاعر الرندى ، ويشتمل على أخبار وتراجم أهل الأندلس . والمجلد الثانى

---

(١) راجع مقدمة المستشرق فولرز للجزئين الرابع والخامس اللذين تولى نشرهما من كتاب الانتصار لواسطة عقد الامصار لابن دقماق .

(٢) أنظر Max van Berchem : Corpus Inscriptionum Arabicarum, Egypte, I. pp 335—341

(٣) أنظر السخاوى : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٣٢

(٤) أنظر فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار لغاية شهر ديسمبر سنة ١٩٢٨ م ، الجزء الخامس ص ٣٥٣ — ٣٥٤

يبتدئ من كتاب الدرّ المكنون فى حلى دولة بنى طولون ، وينتهى إلى آخر ترجمة أسامة بن زيد التنوخى ، ويشتمل على أخبار الدولة الطولونية والأيوبية وقضاة مصر وعلمائها وشعرائها .
والمجلد الثالث يبتدئ من كتاب مشارع الصفا فى حلى الشرفا ، ويتلوه فى الجزء الخامس : ومن كتاب الأحكام فى حلى الحكام . . . الخ . ويشتمل على أخبار بعض الأشراف من بنى أمية بالأندلس ، وعلى كتاب منية النفس فى حلى مدينة عين شمس ، وكتاب الاغتباط فى حلى مدينة الفسطاط ، وكتاب رشف القبل فى حلى قلعة الجبل ، وكتاب العيون الدعج فى حلى دولة بنى طغج (الأخشيد).
والمجلد الرابع يبتدئ من الجزء الخامس عشر الذى يبتدئ من الكتاب الثانى من الكتب التى يشتمل عليها كتاب مملكة تدمير ، وهو كتاب الاستعانة فى حلى قرية منتانة ، وينتهى إلى آخر الكتاب ، ويشتمل على محاسن أهل الأندلس [١٠٣م] » .

وشر ما فى هذا التغليف أنه تم من دون بحث سابق لرد كل الأوراق إلى مواطنها الأصلية من تتابع الكلام . ونستطيع أن نجزم أن هذا البحث ليس سهلا ، ولكن تعرّف مواضع التسلسل فى بعض الأوراق لم يكن عسيرا . أنظر مثلا إلى النص فى القسم المصرى الذى ننشر اليوم الجزء الأول منه ، فسوف ترى فى الصفحة الثانية عشرة أن النقل عن « كتاب فضائل مصر » للكندى وأن الكلام يقع فى المجلد الثالث من المخطوطة إلى أن تنتهى الورقة الثامنة والسبعين من المجلد ، على حين أن بقية النص يقع فى الورقة الحادية والخمسين بعد المائة من المجلد الثانى ويستمر النص إلى الورقة التاسعة عشرة بعد المائتين ثم يبدأ « كتاب الدرّ المكنون فى حلى دولة بنى طولون » فترى أننا مضطرون إلى العودة إلى أول المجلد الثانى . ويستغرق هذا الكتاب إلى الورقة الحادية والثمانين . ثم يبدأ السفر الرابع من كتاب المغرب وفيه « كتاب العيون الدعج فى حلى دولة بنى طغج » فترى أنه يقع فى المجلد الثالث ابتداءً من الورقة الثانية والثلاثين بعد المائة إلى أن ينتهى فى الورقة الرابعة بعد المائتين ويعقبة مباشرة وفى المجلد نفسه « السلك من حلى العروس الفسطاطية » .

ومن أمثلة هذا الاضطراب فى ترتيب أوراق المخطوطة أننا نجد فى الورقتين ١٤٤ و١٤٥ من المجلد الثانى فهرسا لمجموعة من التراجم ولكننا نرى أن بعضها قد سقط وأن الترجمة التى ترد فى الورقة ١٤٦ هى العاشرة فى الفهرس (وهى ترجمة القاضى غوث بن سليمان الحضرمى) وتنتهى الترجمة السادسة عشرة (وهى ترجمة القاضى عيسى بن المنكدر) فى الورقة ١٤٩ . وأما التراجم المشار إليها فى الورقة ١٤٥ فإنها لا تقع فى هذا المجلد الثانى وإنما نراها فى المجلد الثالث ابتداء من الورقة ٢٤٢ . وهى منشورة فى الجزء الذى نقدّمه الآن ، وأولها ترجمة قاضى قضاة الفسطاط أبو المكارم محمد بن عين الدولة (ص ٢٥٦) .

وهذه المخطوطة مكتوبة بخط كبير يبدو لأول وهلة واضحا كل الوضوح ، ولكن فيه من الأخطاء والبعد عن الدقة والقواعد الخطية المعروفة ما يثير شيئا من العسر والمشقة فى قراءة بعض الكلمات . وهو خط مغربى ولكن يبدو أن ابن سعيد قد حاول فيه أن يقلد الخطوط المستعملة فى المشرق بخاء خطه هنا شبيها بالثلث . ومن المحتمل أن يكون ابن سعيد قد تحوّل

تدريجياً من الخط المغربى الصريح إلى خط غير بعيد عن الخطوط الشائعة فى المشرق . والمشاهدة فى الصور ، التى تراها عقب هذه المقدّمة لبعض صفحات المخطوطة ، أكثر بيانا وإيضاحا من الوصف .

وطول أوراق المخطوطة ٣٣,٥ س . م . وعرضها ٢٤,٥ س . م . والمكتوب من الصفحة ٢٥ س . م . طولا فى ١٨ س . م . عرضا وعدد سطورها أربعة عشر سطرا أو خمسة عشر . وقد تطرق التلف إلى بعض الأوراق ، فطمست جوانب منها أو تآكل أعلاها أو أسفلها أو تمزقت بعض أجزائها . وفى صفحات المخطوطة بعض الشكل ، وفى هوامشها ملاحظات وتصويبات بخطوط مختلفة ، وفى بعض العنوانات إصلاح ولا سيما فى السجعات التى تتألف منها أسماء الكتب ، فقد كان ابن سعيد يعدل عن سجعة مكتوبة إلى أخرى خير منها وأحسن فى رأيه ونظره ، كما كان يترك بياضا للسجعة كأنما استعصت عليه فآثر أن يترك موضعها خالياً ليعود إليه فيما بعد . وهذا كله يشهد بأن نسختنا هذه هى أوّل مخطوطة كتبها ابن سعيد من « المغرب »[1] .

وحدث سنة ١٩٤٧ أن كان معهد المخطوطات فى جامعة الدول العربية يواصل عمله فى تصوير المخطوطات النفيسة فعثر مندوبوه — بمكتبة فى بلصفورة من أعمال سوهاج — على قطعة جديدة من كتاب « المغرب » ، جاء وصفها على النحو الآتى ، فى صفحة ٤٣٤ من الفهرس التمهيدى الذى وضعه المعهد للمخطوطات المصوّرة حتى أواخر شهر أكتوبر سنة ١٩٤٨ :

« المغرب فى حلى المغرب — (السفر السادس[2]) لأبى الحسن على بن موسى بن سعيد الأندلسى (٦٨٥ هـ) .

٢٥٢ ق ، ٢٥ × ٣٣ س . م ، بخط المؤلف ، عليه توقيعات ابن دقماق والصفدى والسيوطى والأوحدى والمقريزى . وهذا الجزء يكمل النسخة التى فى دار الكتب المصرية . . » .

وهكذا أضيف إلى المخطوطة المحفوظة بدار الكتب نحو ٢٥٠ ورقة جديدة كانت قد نزعت منها ونقلت إلى بلصفورة ، كما نزع من قبلها السفر الخامس عشر ونقل إلى مكتبة مصطفى باشا فاضل ثم استقر فى « الكتبخانة » قبل أن تظفر بسائر الأسفار التى وجدت فى جامع المؤيد ، وعلى هذا الجزء الخامس عشر صيغة الوقف على الجامع المؤيدى وهى الصيغة الموجودة على سائر الأجزاء . وبذلك بلغ عدد الأوراق التى وصلت إلينا من هذه المخطوطة النفيسة نحو ١٣٠٠ ورقة .

وبذل الدكتور شوقى ضيف مجهوداً كبيراً فى ترتيب هذه المخطوطة حين عقد العزم على نشر النص الأندلسى فيها ، فقد أعاد لأوراق هذا النص ترتيبها ونسقها الأصلى ووجد أن السفر الأوّل

---

(١) أنظر مقدمة الدكتور شوقى ضيف للنص الأندلسى من المغرب ص ٢٥ — ٢٦

(٢) ليس هذا هو السفر السادس من « المغرب » لأن السفر السادس خاص بمصر ومعظمه موجود فى الاوراق المحفوظة بدار الكتب ولا يضم نصا من القسم الأندلسى كالأوراق التى وجدت فى بلصفورة .

من أسفار هذا النص قد فقد « وهو السفر العاشر بين أسفار المغرب الخمسة عشر ، ولكن الأسفار الخمسة الأخرى من الحادى عشر إلى الخامس عشر بقيت إلا أوراقا قليلة سقطت منها . وربما كان أهم ماسقط من الأجزاء الخمسة تاج إشبيلية أو حديث مصنفى المغرب عن المعتمد ابن عباد وأسرته . . . وهذه الأجزاء أو الأسفار الخمسة تبتدئ بترجمة الحكم الربضى فى الجزء الحادى عشر ، ومعنى ذلك أن الجزء أو السفر العاشر استقل بالمقدمات الطويلة عن وصف جزيرة الأندلس ومآثرها وخصائص أهلها وفضائلهم [١] » . ولاحظ الدكتور شوقى ضيف أن هذا الجزء المفقود منقول فى « نفح الطيب » للمقرى ، كما لاحظ أن نسخة « المغرب » التى نقل عنها المقرى متأخرة عن نسخة دار الكتب وفيها زيادات كثيرة [٢] .

أما القسم الخاص بمصر فالضائع منه يبدو أكثر مما ضاع من القسم الأندلسى ، فإن السفرين الأول والثانى — وهما من الأسفار الستة الخاصة بمصر — لم يصل إلينا شئ منهما . بينما وصلت إلينا أوراق من السفر الثالث تبدأ بالكلام على مدينة عين شمس كما وصل إلينا السفر الرابع ويضم تاريخ الدولة الأخشيدية ومجموعة من التراجم . وفى الأوراق الخاصة بتاريخ الأيوبيين نرى العبارة الآتية بعد ترجمة الملك المنصور محمد ابن العزيز :

« كمل الجزء الخامس من كتاب المغرب فى حلى المغرب ، والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد نبيه خاتم النبيين وعلى آله وصحبه الطاهرين ، يتلوه إنشاء الله تعالى فى السادس ترجمة السلطان الأفضل » .

وفى آخر تلك الأوراق الخاصة بالأيوبيين نرى العبارة التالية ، وقد مرت الإشارة إليها :

« كمل السادس من كتاب المغرب فى حلى المغرب وبتمامه كمل كتاب الإكليل فى حلى بلاد النيل الذى يشتمل عليه فلك الزهرة يتلوه فى السابع الفلك الثانى من الأفلاك المغربية وهو فلك عطارد الذى يشتمل عليه كتاب نفحات العنبر فى حلى بلاد البربر ، كتبه بخطه على بن سعيد مكمله برسم الخزانة الصاحبية العلية الكمالية العقيلية عمرها الله بحضرة حلب فى العشر الآخر من جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وستمائة » .

أما الاسفار السابع والثامن والتاسع — وهى الخاصة ببلاد البربر — فلم تصل إلينا :

وعندنا أن نشر ما وصل إلينا من أوراق القسم المصرى قوامه نشر كتاب الاغتباط فى حلى مدينة الفسطاط ، وهو الذى نقدمه الآن ، ثم كتاب النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة .

ويضم الكتاب الأول الكلام على مدينة الفسطاط (المنصة) وعلى ولاتها (التاج) من قبل الخلفاء مع تلخيص لحوادث الفتح ثم تاريخ الدولتين الطولونية والأخشيدية وتلى هذا كله مجموعة من التراجم والمختارات الشعرية تؤلف السلك من حلى العروس الفسطاطية .

---

(١) أنظر مقدمة الدكتور شوقى ضيف للنص الأندلسى من المغرب صفحة ٢٣ — ٢٤

(٢) المرجع نفسه ص ٢٥

أما كتاب النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة فيتألف من الكلام على مدينة القاهرة (المنصة) وعلى الخلفاء الفاطميين والسلاطين الأيوبيين ثم على مجموعة من تراجم الرؤساء والعلماء صُدِّرت بالعبارة التالية :

« قد نورد من تراجم الفسطاط هنا من لا تحقق سكناه بها أو من غفلنا عن إيراده هناك . والمدينتان فى حكم واحدة ، والأغلب أن من كان فى المدة التى كانت القاهرة فيها مبنية ولا يتحقق مسكنه من المدينتين نورد ترجمته فى القاهرة . وأكثر المحترمين والرؤساء لهم منازل فى القاهرة ومنازل فى الفسطاط » .

أما ماعدا هذين الكتابين فأوراق قليلة عن عين شمس وتاريخ سيدنا يوسف والملوك القدماء .

* * *

هذه مقدّمة عن كتاب « المغرب » وأصحابه ومخطوطته ، لم نشأ أن نسهب فيها بدراسة النص الذى ننشره دراسة تحليلية دقيقة . أما طريقتنا فى تحقيقه فلسنا نرى محلا لعرضها هنا ، وحسبنا أنها تتحدث عن نفسها ، وسوف يرى القارئ أننا لم ندخر وسعا فى الرجوع إلى كتب التراجم وإلى المعاجم والتصانيف المختلفة فى التاريخ والأدب وتقويم البلدان ، لتحقيق النص وتقويمه والكشف عن غوامضه .

وقد روى المقرى فى نفح الطيب أن ابن سعيد كتب فى مقدّمة « المغرب » : « وبعد ، فهذا كتاب راحة قد تعبت فى جمعه الأسماع والأبصار والأفكار ، وكل عناء سهل إذا أنجح القصد ، وقد بدئ فيه من سنة ثلاثين وخمسمائة ، ومنتهاه إلى غرّة سنة إحدى وأربعين وستمائة » .

وروى أيضاً أن على بن موسى بن سعيد تحدث يوماً إلى والده فى اختلاف مذاهب الناس ، فقال موسى لابنه على متمم هذا الكتاب :

« متى أردت أن يسلم لك أحد فى هذا التأليف — أعنى المغرب — ولا يعترض ، أتعبت نفسك باطلا وطلبت غاية لا تدرك » .

ونحن نقلب النظر فى هذين القولين حين نختم مقدّمتنا هذه ، والحمد لله ونسأله سبحانه التوفيق والسداد .

القاهرة فى { ذى الحجة سنة ١٣٧٢
سبتمبر سنة ١٩٥٣ }

زكى محمد حسن

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله

اما بعد حمد الله والصلاة على سيدنا محمد نبيه وآله

وصحبه هذا الكتاب الثاني من الكتب التي يشتمل

عليها كتاب لذة الانفس في حلى كورة عين الشمس وهو

كتاب الاغتباط

في حلى مدينة الفسطاط

هي عروس لها منصة وتاج وسلك وحلة واهداب

المنصة

من كتاب الكمائم واما فسطاط مصر فان مبانيها

كانت في القديم متصلة بمباني مدينة عين شمس وجاء

الاسلام وبها بنيان يعرف بالقصر حوله مساكن وعليه

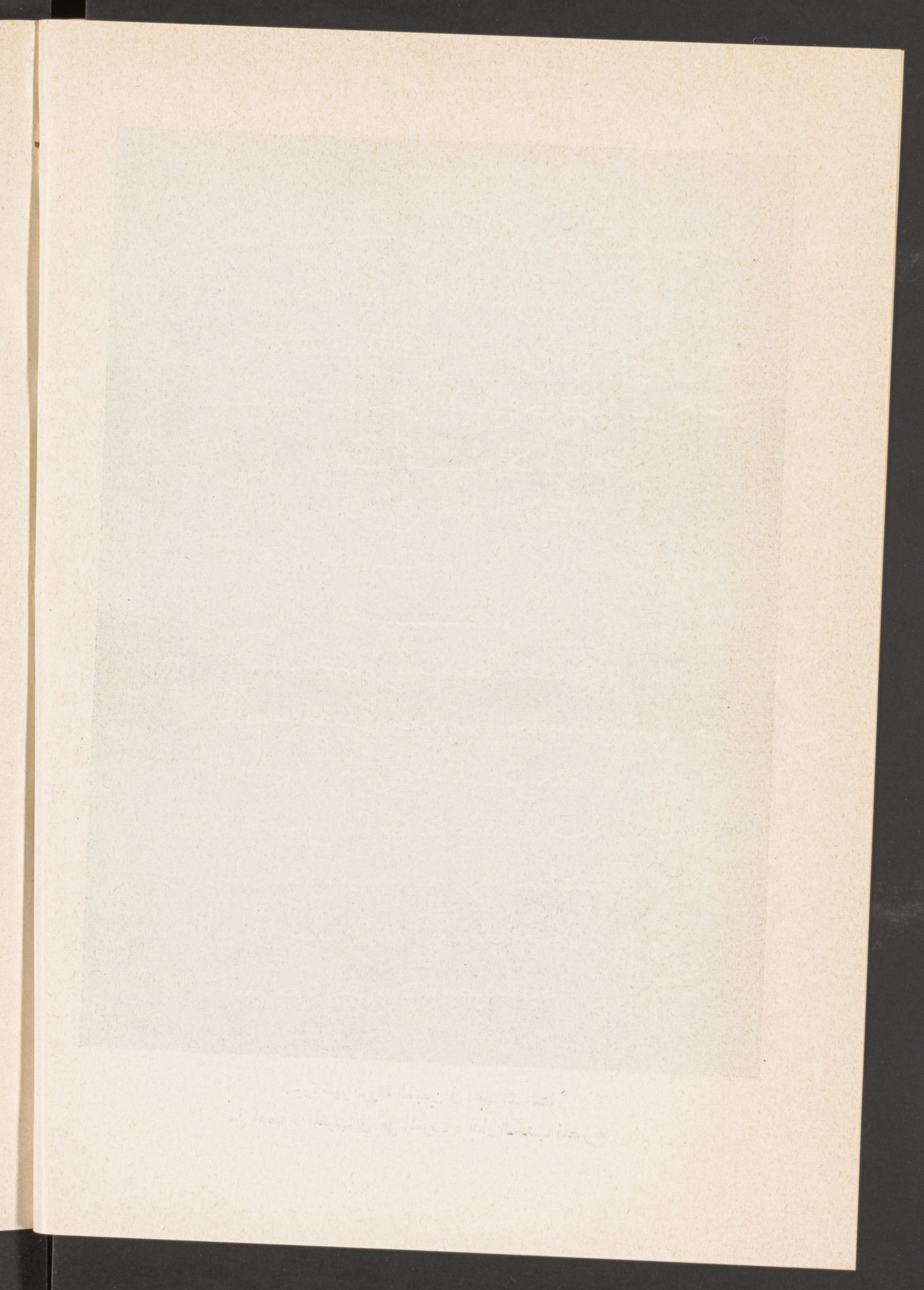
نزل عمرو بن العاص وضرب فسطاطه حيث المسجد

الجامع الآن المنسوب اليه ثم لما فتحها قسم المنازل على

القبائل ونسبت المدينة اليه فقيل فسطاط

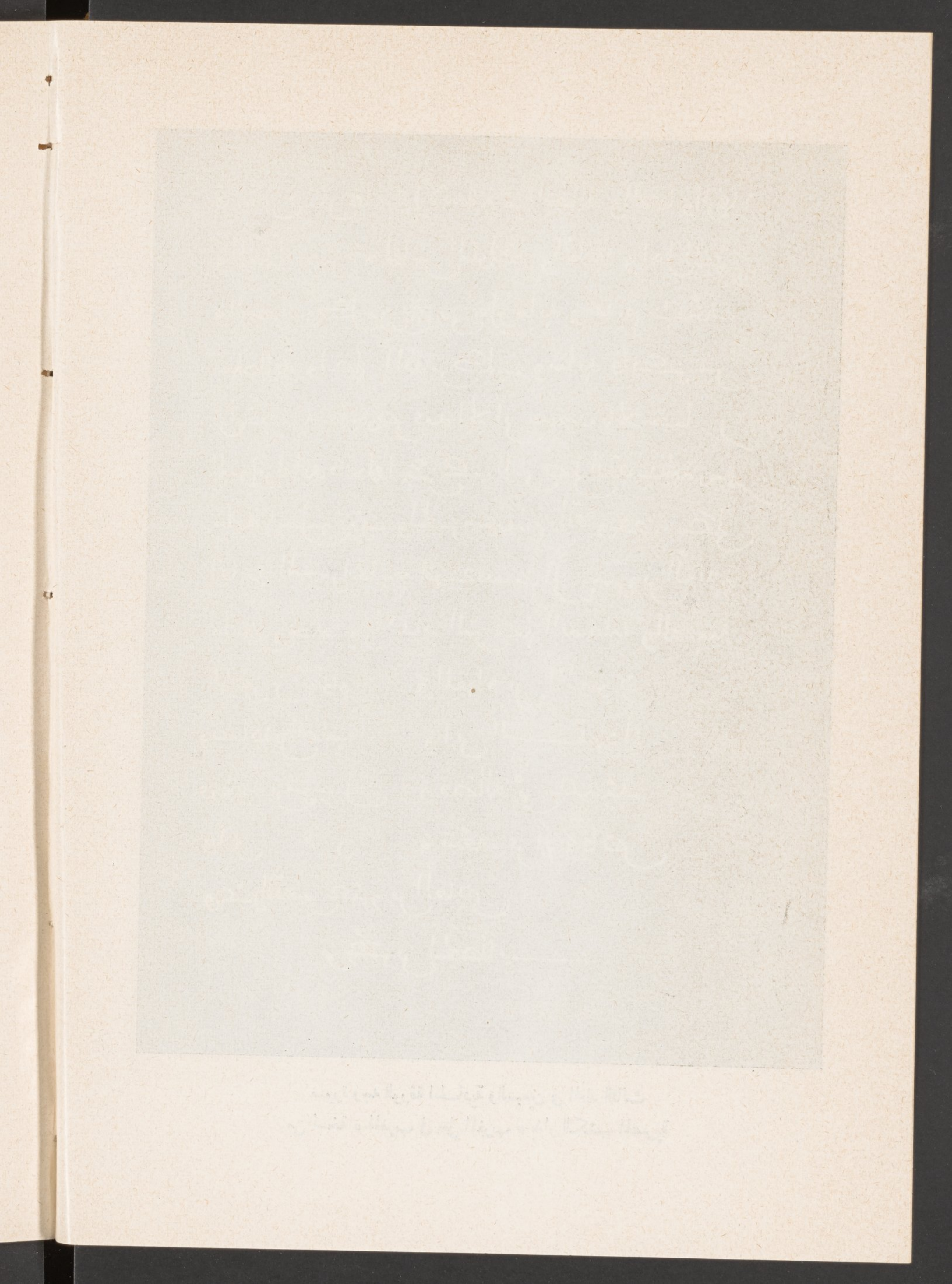
عليها بعد ذلك ولاة مصر فاتخذوها

صورة ظهر الورقة السبعين فى المجلد الثالث
من نسخة « المغرب فى حلى المغرب » بدار الكتب المصرية



فاما من كان بها في الاسلام من الصحابة والفقها والزهاد
والعلماء ومن دخلها من الملوك والخلفاء واهل العلم
والشعراء وكل من برع من اهلها ماية وتقدم عند
سلطانه واعلى الله من كلمته وشانه فاكثر من
ان نحصيه واخص فيه الان بسمعت بالاخبار
المتواترة انه دخلها ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم
مائة رجل ونيف والخبر مستفيض انه وقف على
اقامة المسجد الجامع الذي ينسب الى عمرو بن العاص
ثمانون رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه واله مثل
الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود
وعبادة بن الصامت وابي الدرداء
وربيعة بن شرحبيل وفضالة بن عبيد
وابي ذر وسعد بن ابي وقاص
وعبد الله بن عمرو بن العاص
بن عمر بن الخطاب

صورة وجه الورقة الحادية والسبعين فى المجلد الثالث
من نسخة « المغرب فى حلي المغرب » بدار الكتب المصرية



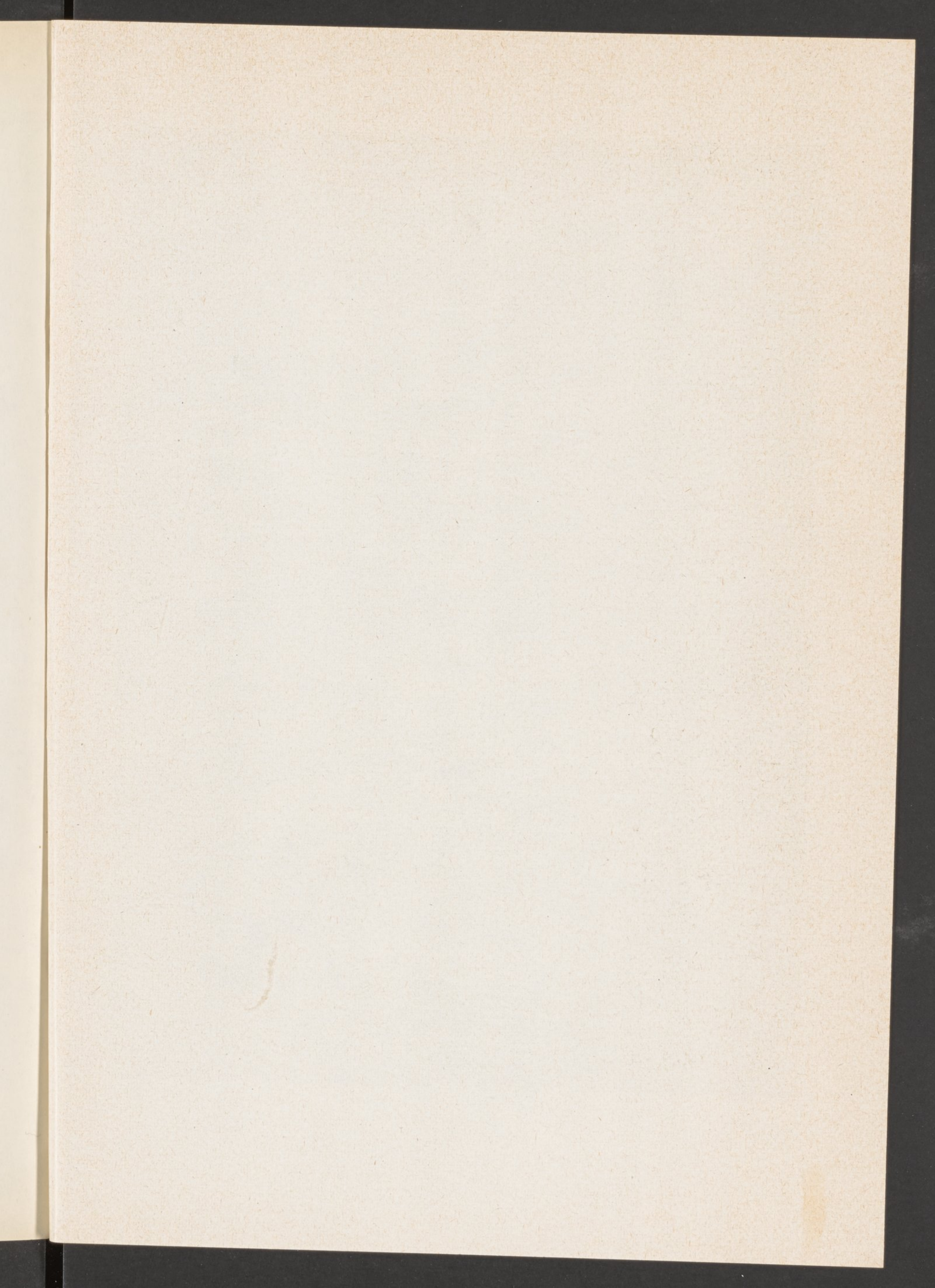
الرابع
من كتاب المغرب
في حلى المغرب

الذي صنفه بالموارثة في مائة وخمس عشرة سنة
ستة وهم
ابو محمد الحجاري عبد الملك بن سعيد
احمد بن عبد الملك محمد بن عبد الملك
موسى بن محمد علي بن موسى

كتبه بخطه للخزانة العلية الجليلة
الصاحبية الكمالية عمرها الله ببقاء
صدر الصدور الشامية رئيس الصحبة الحنفية
سيد الوزراء والاصحاب الصاحب الكبير
كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد بن
هبة الله بن ابي جرادة العقيلي احيا الله
بطول حياته دولة الفضل وابقى بعزه امر تقاء
نجح الوسائل

كمل تصنيفه باعانته علي بن موسى بن محمد
ابن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد
ابن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله
ابن سعد بن عمار بن ياسر العنسي المدلجي

صورة وجه الورقة الثانية والثلاثين بعد المئة
من نسخة « المغرب فى حلى المغرب » بدار الكتب المصرية



كتاب

الاغتباط فى حلى مدينة الفسطاط

من كتب المغرب فى حلى المغرب

٧٠ ظ
٣

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله

أما بعد حمد الله والصلاة على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه ، فهذا الكتاب الثانى من الكتب التى يشتمل عليها كتاب لذة اللمس فى حلى كورة عين الشمس وهو :

كتاب الاغتباط فى حلى مدينة الفسطاط

هى عروس ، لها منصة وتاج وسلك وحلة وأهداب.

المنصة

من كتاب الكمائم [١] : وأما فسطاط مصر فان مبانيها كانت فى القديم متصلة بمبانى مدينة عين شمس ، وجاء الاسلام وبها مبنى [٢] يُعرف بالقصر ، حوله مساكن ، وعليه نزل عمرو بن العاص وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع الآن المنسوب إليه ، ثم لما فتحها قسم المنازل على القبائل ، ونسبت [٣] المدينة إليه ، فقيل فسطاط عمرو ، [وتداولت] [٤] عليها بعد ذلك ولاة مصر ، فاتخذوها [سرير السلطنة [٥]] / وتضاعفت عمارتها ، فأقبل الناس من كل جانب إليها ، وقصروا أمانيهم عليها ، إلى أن رسخت بها دولة بنى طولون ، فبنوا إلى جانبها المنازل المعروفة بالقطائع ، وبها كان مسجد ابن طولون الذى هو الآن إلى جانب القاهرة . وقد أمعنت السؤال عنها فأخبرت أنها مدينة مستطيلة ، يمر النيل مع طولها ، وتحط فى ساحلها المراكب

٨٠ و
٣

---

(١) هذا الكتاب للبيهقى ، وينقل عنه ابن سعيد هنا وفى كتاب القاهرة وقد احتفظ المقريزى فى الخطط (طبعة بولاق سنة ١٢٧٠ هـ) ج ١ ص ٣٤٠ بهذه الفقرة ، واحتفظ بها أيضاً المقرى فى النفح (طبعة دوزى وزملائه) ج ١ ص ٦٨٥

(٢) فى الخطط والنفح : بناء .

(٣) فى النفح : ونسب .

(٤) فى الكلمة بعض طمس وهى هكذا فى النفح والخطط .

(٥) الأصل مطموس هنا ، والزيادة من الخطط والنفح جميعاً .

الآتية من شمال النيل ومن جنوبه بأنواع الفوائد ولها [1] متنزهات . قال ابن سعيد : وسأذكرها فيما بعد . قال : وهى فى الاقليم الثالث ، ولا ينزل فيها مطر إلا فى النادر ، وترابها تثيره [2] الأرجل ، وهو قبيح اللون ، تتكدر [3] منه أرجاؤها ، ويسوء بسببه هواؤها ، ولها أسواق ضخمة إلا أنها ضيقة ، ومبانيها بالقصب والطوب طبقة على طبقة ، ومذ بنيت القاهرة للخلفاء الاسماعيليين المتوثبين عليها من المغرب ضعفت مدينة الفسطاط وفرط فى الاغتباط [4] [بها بعد] [5] الافراط ، وبينهما نحو ميلين ، وأنشدت فيها / للشريف العقيلى :

80 ظ
3

أحنّ إلى الفسطاط شوقا وإننى ... لأدعو لها أن لا يحل بها القطر
وهل فى الحيا من حاجة لجنابها [6] ... وفى كل قطر من جوانبها نهر
تبدت عروساً والمقطم تاجها ... ومن نيلها عقد كما انتظم الدر

ومن كتاب [7] أبجار : والفسطاط هى قصبة مصر ، والجبل المقطم بشرقيها وهو متصل بجبل الزمرد .

ومن كتاب [8] ابن حوقل : والفسطاط مدينة حسنة ، ينقسم النيل لديها ، وهى كبيرة نحو ثلث بغداد ، ومقدارها نحو فرسخ ، على غاية العمارة والطيب [9] واللذة ، ذات رحاب فى محالها وأسواق عظام ، فيها ضيق [10] ومتاجر فخام ، ولها [11] ظاهر أنيق وبساتين نضرة ، ومتنزهات على مر الأيام خضرة . وبالفسطاط قبائل وخطط للعرب [12] ، تنسب إليها [13] كالكوفة

---

(1) فى النفح : وبها

(2) فى النفح : ينتن .

(3) فى النفح : تستكدر .

(4) فى النفح : الاعتناء .

(5) الأصل مطموس هنا والزيادة من النفح والخطط جميعاً .

(6) فى النفح : لجنانها .

(7) هو كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق للادريسى المتوفى عام 560 هـ . ألفه لأجار أو رجار الثانى ملك صقلية وهو كتاب عظيم الشأن فى دراسة تاريخ المغرب .

(8) هو كتاب صورة الأرض لأبى القاسم ابن حوقل النصيبى أشهر الرحالة المسلمين فى القرن الرابع ، وسنقارن النص على الطبعة الثانية من هذا الكتاب (طبعة ليدن سنة 1938) ص 145 وما بعدها وقد احتفظ المقريزى فى الخطط والمقرى فى النفح بهذه الفقرة عن ابن سعيد وأوردها بعقب الفقرة السابقة .

(9) فى ابن حوقل : على غاية العمارة والخصب والطيبة .

(10) هذه الجملة (فيها ضيق) ليست فى ابن حوقل .

(11) فى ابن حوقل : إلى ظاهر أنيق وهواء رقيق .

(12) أنظر فى خطط الفسطاط ، سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص 244 — 245 والخريطة المقابلة لصفحة 352

(13) فى ابن حوقل : تنسب إليها محالهم .

والبصرة إلا أنها أقل من ذلك [١] . وهى سبخة الأرض غير نقية التربة ، وتكون الدار بها سبع طبقات وستا وخمسا وربما يسكن [٢] فى الدار [المائتان من [٣] الناس] / وفى الفسطاط دار تعرف [٤] بدار عبد العزيز [٥] ، يصب فيها لمن بها فى كل يوم [٦] أربعمائة راوية من ماء [٧] . ومعظم بنيانهم بالطوب ، وأسفل [٨] دورهم غير مسكون . وبها مسجدان للجمعة [٩] بنى أحدهما عمرو بن العاص فى وسط الفسطاط [١٠] ، والآخر على [١١] الموقف [١٢] ، بناه أبو العباس أحمد بن طولون . وكان خارج الفسطاط [١٣] أبنية بناها أحمد بن طولون ميلا فى ميل [١٤] ، يسكنها جنده ، تعرف بالقطائع ، كما [١٥] بنى بنو الأغلب خارج القيروان رقادة . وقد خربتا فى وقتنا هذا . وأخلف [١٦] الله بدل القطائع بظاهر مدينة الفسطاط القاهرة .

ومن كتاب [١٧] الكندى : ذكر أهل مصر أن موسى [١٨] بن عيسى الهاشمى وكان أمير مصر قال يوما وهو بالميدان الذى بطرف المقابر : أتتأملون الذى أرى ؟ قالوا : وما الذى يرى الأمير ؟

---

(١) فى ابن حوقل : أقل من ذلك فى وقتنا هذا .

(٢) فى ابن حوقل : سكن .

(٣) الأصل مطموس والزيادة عن ابن حوقل والخطط والنفح .

(٤) فى ابن حوقل : تعرف بدار عبد العزيز بن مروان وكان يسكنها .

(٥) وهذه الدار بناها والى مصر ابراهيم بن صالح (١٦٥ — ١٦٧ هـ) وقد وهبها عند خروجه من مصر لآل عبد الرحمن بن عبد الجبار . وقد عرفت هذه الدار بعد ذلك بدار عبد العزيز . أنظر الكندى : الولاة والقضاة ص ١٢٤

(٦) فى ابن حوقل : فى كل يوم عهدنا هذا .

(٧) فى ابن حوقل هنا زيادة هى : وفيها خمسة مساجد وحمامان وغير فرن لخبز عجين أهلها .

(٨) فى ابن حوقل : وأكثر سفل .

(٩) فى ابن حوقل : لصلاة الجمعة .

(١٠) فى ابن حوقل : الأسواق .

(١١) فى ابن حوقل : بأعلى .

(١٢) الموقف : بقعة مشهورة شمالى الفسطاط ، أنظر : البلوى : سيرة أحمد بن طولون ص ٣٣٤ ، والكندى : الولاة والقضاة ص ١٢٤ و ٢٩٢ و ٤٠٧ ، ابن دقماق : الانتصار ج ٤ ص ١٠ ، المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٣٩ ، Casanova: Essai de Reconstitution Topographique de la Ville d'al Foustat ou Misr. p. 65

(١٣) فى ابن حوقل : مصر

(١٤) فى ابن حوقل : مثله .

(١٥) فى ابن حوقل : كبناء .

(١٦) هذه العبارة تلخيص لكلام لابن حوقل .

(١٧) هو كتاب فضائل مصر للكندى وإن كنا نلاحظ أن هذه الفقرة غير موجودة فيه ، ومع ذلك احتفظ بها المقريزى فى الخطط ج ٢ ص ١٥٣ وقال إن هذه الفقرة خير ماقيل فى وصف بركة الحبش بعد أن حدد هذه البركة وعرف بها . ومن الأخطاء الشائعة أن الكندى هذا هو أبو عمر محمد بن يوسف الكندى صاحب كتاب الولاة والقضاة ، والحقيقة أن مؤلف كتاب فضائل مصر هو عمر ابن الكندى المشهور (راجع سيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ٣١٩) وسينقل عنه ابن سعيد فيما بعد فقرة أخرى .

(١٨) هو والى مصر من قبل هرون الرشيد .

قال : أرى ميدان رهان ، وجنان نخل وبستان ، شجر ومنازل [سُكنى [1] وذروة] جبل وجبّان [2] أموات ونهراً عجّاجا / وأرض زرع ومرعى [3] ما شية ومرتبع [4] خيل وصائد [5] بحر وقانص وحش وملاح سفينة وحادى إبل ومفازة رمل وسهلا وجبلا فى أقل من ميل فى ميل [6] .

٧٩ ظ
٣

ومن رسالة ابن خداى : ثم نزلنا فسطاط مصر خامس المحرم سنة ثمان وعشرين ، ونفضت غبار الجفار [7] ، ومسحت عنى أذى القفار ، وحمدت الله تعالى ذكره ، على ما منح من السلامة والاستبشار ، وخوّل من الاستقامة والاستظهار ، واستقبلنى جماعة من مشايخها وعدولها المذكورين وعجم التجار المشهورين ، ونزلت حجرة مليحة مكتراة بين جيران سراة ، تنطوى ثيابهم على محبة للصحابة رضوان الله عليهم وممالأة . ثم أثنى على عموم الديار المصرية ، ثم قال : وهى مدينة [8] قد دخلها من الأنبياء عليهم السلام إبراهيم وإسماعيل ويعقوب ويوسف واثنا عشر نبياً من ولد يعقوب وموسى وهارون ويوشع وعيسى ودانيال عليهم السلام / ، فأما من كان بها فى الاسلام من الصحابة والفقهاء والزهاد والعلماء ومن دخلها من الملوك والخلفاء وأهل العلم والشعراء وكل من برع من أهل زمانه ، وتقدم عند سلطانه ، وأعلى الله من كلمته وشأنه ، فأكثر من أن أحصيه وأخوض فيه ، إلا أنى سمعت بالأخبار المتواترة أنه دخلها ممن صحب النبى صلى الله عليه وسلم مائة رجل ونيف . والخبر مستفيض أنه وقف على إقامة المسجد الجامع الذى ينسب إلى عمرو بن العاص ثمانون رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله مثل الزبير ابن العوام ، والمقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت ، وأبى الدرداء ، وربيعة بن شرحبيل [9] ، وفضالة بن عبيد ، وأبى ذر ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن عمر ابن الخطاب / وعمار بن ياسر ، ومن يجرى مجراهم [10] . ومن التابعين مثل الشعبى ، وابن عُليّة ، وحفص

٧١ و
٣

٧١ ظ
٣

(1) الأصل مطموس هنا .
(2) فى الخطط : وجبانة .
(3) فى الخطط : ومراعى .
(4) فى الخطط : ومرتع .
(5) فى الخطط : وساحل بحر وصائد نهر .
(6) فى الخطط : فهذه ثمانية عشر متنزها فى أقل من ميل فى ميل .
(7) يطلق الجفار على الرمال الممتدة بين مصر وفلسطين وما بها من نخيل ومنازل ومياه . انظر ابن حوقل ص ١٥٧ والكندى : الولاة والقضاة ص ٥٠٦
(8) بقية الفقرة التالية لابن خداى تلتقى مع فقرة طويلة فى فضائل مصر للكندى (نشر أويسترب) ص ٢١ وقد تزيد عنها بعض الأسماء وقد تنقص .
(9) فى فضائل مصر : وربيعة بن شرحبيل بن حسنة
(10) ذكر الكندى من الصحابة أيضاً عقبة بن عامر ورافع بن مالك وعمرو بن علقمة وخارجة بن حذيفة وعبد الله بن سعد بن أبى سرح وأبا رافع مولى النبى (ص) ومحمد بن مسلمة ومسلمة بن مخلد وأبا أيوب الأنصارى . . . ومعاوية بن حديج وعمرو بن العاص .

الفرد ومنصور بن عمار . ومن الفقهاء مثل يزيد بن أبى حبيب والليث[1] بن سعد وعبد[2] الله ابن وهب وعبد[3] الله بن لهيعة وابن عبد الحكم والشافعى[4] . ومن الزهاد مثل حيوة بن شريح وسليم بن عمر وإبراهيم بن ادهم وأبى الربيع الزيدى وإدريس الخولانى وذى النون[5] المصرى . ومن الخلفاء معاوية ومروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز ومروان بن محمد والسفاح و (المنصور[6]) / والمأمون والمعتصم والواثق . ومن الشعراء نصيب وجميل وكثير عزة وابن قيس الرقيات والأحوص وأبو ذؤيب وأبو نواس ودعبل[7] . قال : وأما من فضل مصر على سائر الأمصار فابو نضرة النفارى[8] .

٧٢ و
و

كلام[9] ابن سعيد فى الفسطاط : كان خبرها قد ملأ سمعى من الكتب وما أتلقاه من الحجاج الصادرين ، وأنا واقف من شأنها بين اختلاف لقلة اتفاق الأغراض وتشتت الأهواء ، فلما وصلت إلى الاسكندرية من إفريقية ركبت فى الخليج إلى النيل الأعظم ، ثم سرت فيه إلى أن وصلت إلى منية السيرج فى شمالى القاهرة ، فركبت منها فى البر إلى القاهرة ، وعاينت ما سأذكره إن شاء الله فى كتاب القاهرة . ولما [استقرر[10]] ت بالقاهرة تشوفت[11] إلى معاينة الفسطاط / فسار معى إليها أحد أصحاب العزمة[12] ، فرأيت عند باب زويلة من الحمير المعدة لركوب من يسير إلى الفسطاط جملة عظيمة لا عهد لى بمثلها فى بلد ، فركب منها حمارا ،

٧٢ ظ
٣

---

(١) أضاف الكندى : وله مذهب منفرد به .

(٢) قال الكندى بعده : يفوق بتصنيفه جماعة من الفقهاء المصنفين وله من تصنيفه نحو مئة جزء

(٣) عقب عليه الكندى بقوله : له منزلة فى الفقه والحديث والأخبار .

(٤) ذكر الكندى من الفقهاء أيضاً أسد بن موسى والطحاوى وسعيد بن أبى عفير وابن قديد وابن أبى خيثمة . . . وقال عقبهم : وكل واحد منهم قد فاق أهل عصره وبرز عليهم فى الفقه والعلم والأخبار وأيام الناس والأفتنان فى سائر العلوم .

(٥) ذكر الكندى من الزهاد أيضاً سليمان بن قاسم وسعيد الأدم .

(٦) فى الأصل بياض والتكملة من الكندى .

(٧) من بين الشعراء الذين ذكرهم الكندى معلى الطائى .

(٨) عبارة الكندى هنا : وأما [من] ذكر مصر وفضلها على غيرها من الأمصار وما خصت به وأوثرت به على غيرها فروى أبو نصر العبارى (الغفارى) قال : مصر خزانة الأرض كلها ، وسلطانها سلطان الأرض كلها قال الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام (اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم) ولم تكن تلك الخزائن بغير مصر ، فذكرها الله تعالى بخزائن الأرض . وفى ابن عبد الحكيم ص ١١٤ « أو بصرة » .

(٩) احتفظ المقرى فى النفح ج ١ ص ٦٨٦ بكثير من هذا الكلام ، وكذلك احتفظ المقريزى فى الخطط بفقر من هذا الكلام كثيرة . وسنقارن النص عليهما ونشير إلى المواضع المختلفة فى الخطط معينين صفحاتها .

(١٠) الأصل مطموس هنا والزيارة من النفح والخطط ج ١ ص ٣٤١

(١١) فى الخطط والنفح : تشوقت .

(١٢) فى النفح : القرية ولعلها الغربة .

وأشار إلى أن أركب حماراً آخر ، فأنفت من ذلك جرياً على عادة ماخلّفته من [1] بلاد المغرب ، فأعلمني أنه غير معيب على أعيان مصر . وعاينت الفقهاء وأصحاب البزة والشارة الظاهرة يركبونها ، فركبت ، فعندما استويت راكباً أشار المكارى على الحمار فطار بى وأثار من الغبار الأسود ما أعمى عينى ودنس ثيابى ، وعاينت ماكرهته . ولقلة معرفتى بركوب الحمار وشدة عدوه على قانون لم أعهده ، وقلة رفق المكارى [2] ، وقعت [3] فى تلك الظلمة المثارة من ذلك العجاج ، وقلت :

لقيت بمصر أشد البوار ... ركوب الحمار وكحل الغبار
وخلفى مكارٍ يفوت [4] الريا ... ح لا يعرف ال[رفق مهما [5]] استطار
/ أناديه مهلا فلا يرعوى ... إلى أن سجدت سجود العثار
وقد مد فوقى رواق الثرى ... وألحد فيه [6] ضياء النهار

فدفعت إلى المكارى أجرته ، وقلت له : إحسانك إلىّ أن تتركنى أمشى على رجلىّ ، ومشيت إلى أن بلغتها ، وقدرت فى [7] الطريق بين القاهرة والفسطاط ، وحققته بعد ذلك نحو الميلين . ولما أقبلت على الفسطاط أدبرت عنى المسرة ، وتأملت أسواراً مثلمة سوداء ، وآفاقاً مغبرة ، ودخلت من بابها ، وهودون غلق ، يفضى [8] إلى خراب مغمور بمبانٍ [9] مشتتة الوضع غير مستقيمة الشوارع ، قد بنيت من الطوب الأدكن والقصب والنخيل ، طبقة فوق [10] طبقة ، وحول أبوابها من التراب الأسود والأزبال ما يقبض نفس النظيف ، ويغض طرف الظريف ، فسرت وأنا معاين لاستصحاب تلك الحال إلى أن سرت فى أسواقها [الضيقة [11]] فقاسيت من ازدحام الناس فيها بحوائج [12] السوق / والروايا التى على الجمال ما لا يفى به إلا مشاهدته ومقاساته إلى أن انتهيت إلى المسجد الجامع فعاينت من ضيق الأسواق التى حوله ما ذكرت به ضده

٧٣ و
٣

٧٣ ظ
٣

---

(١) فى الخطط : فى .
(٢) المكارى بضم الميم مكرى الدواب والجمع مكارون ويغلب على الحمار والبغال .
(٣) فى الخطط : وقفت .
(٤) فى الخطط والنفح : يفوق
(٥) الأصل مطموس والتكملة من الخطط والنفح جميعا .
(٦) فى النفح : فيها .
(٧) كلمة « فى » حذفت من الخطط .
(٨) فى الخطط : مفض .
(٩) فى الخطط : سيئة .
(١٠) فى النفح : على .
(١١) الزيادة من الخطط والنفح والكلمة مطموسة فى الأصل .
(١٢) فى الخطط : لحوائج .

في جامع إشبيلية وجامع مراكش ، ثم دخلت إليه فعاينت جامعاً كبيراً قديم البنية [(١)] غير مزخرف ولا محتفل في حُصره التي تدور مع بعض حيطانه وتبسط [(٢)] فيه ، وأبصرت العامة رجالا ونساءً قد جعلوه معبراً بأوطئة أقدامهم ، يجوزون فيه من باب إلى باب ليقرب عليهم الطريق ، والبياعون يبيعون فيه أصناف المكسرات والكعك وما جرى [(٣)] مجرى ذلك ، والناس يأكلون منه في أماكن عدة ، غير محتشمين لجرى العادة عندهم بذلك ، وعدة صبيان بأواني ماء يطوفون على من يأكل ، قد جعلوا ما يحصل لهم منهم رزقا ، وفضلات مآكلهم مطروحة في صحن الجامع وفي زواياه ، والعنكبوت قد عظم نسجه في الـ [سقوف [(٤)]] / والأركان والحيطان ، والصبيان يلعبون في صحنه ، وحيطانه مكتوبة بالفحم والحمرة بخطوط قبيحة مختلفة مختلة من كتب فقراء العوام [(٥)] ، إلا أن مع هذا كله على الجامع المذكور من الرونق وحسن القبول وانبساط النفس ما لا تجده في جامع إشبيلية مع زخرفته والبستان الذي في صحنه وما يتبع ذلك مما ذكر هنالك . ولقد تأملت ما وجدته فيه من الارتياح والأنس دون منظر يوجب ذلك ، فعلمت أنه [(٦)] سر مودع من وقوف الصحابة رضوان الله عليهم في ساحته عند بنائه ، واستحسنت ما أبصرته فيه من حلق المصدرين [(٧)] لإقراء القرآن والفقه والنحو في عدة أماكن ، وسألت عن مواد [(٨)] أرزاقهم ، فأخبرت أنها من فروض في الزكاة وما أشبه ذلك ، ثم أخبرت أن اقتضاءها [(٩)] يصعب إلا بالجاه والتعب ، فتنغص عندي تلك القاعدة التي وجدتها من اجتماع العلماء على أرزاق / تفرغ المعلم للتعليم ، وتنشط المتعلم للاستفادة . ثم انفصلنا من هنالك إلى ساحل النيل ، فرأيت ساحلا كدر التربة غير نظيف ، ولا متسع الساحة ، ولا مستقيم الاستطالة ، ولا عليه سور أبيض يبهج العيون بلونه وحسن استقامته ، إلا أنه مع ذلك كثير العمارة بالمراكب وأصناف الأرزاق التي تصل من جميع أقطار [(١٠)] النيل ولئن قلت إني لم أبصر على نهر ما أبصرته على ذلك الساحل فإني أقول حقا . والنيل هنالك

٧٤ و / ٣

٧٤ ظ / ٣

---

(١) في الخطط والنفح . البناء .

(٢) في النفح : وتنبسط .

(٣) في النفح : وما سوى ذلك .

(٤) الكلمة طمست في الأصل وهي هكذا في الخطط ، وفي النفح : السقف .

(٥) في الخطط والنفح : العامة .

(٦) في النفح : أن ذلك .

(٧) في النفح : المتعددين .

(٨) في الخطط : موارد .

(٩) في النفح : اقتضاء ذلك .

(١٠) في الخطط : أقطار الأرض والنيل .

ضيق لكون الجزيرة التى بنى فيها سلطان الديار المصرية الآن قلعته[١] قد توسطت الماء ومالت إلى جهة الفسطاط ، وبحسن سورها المبيض الشامخ حسن منظر الفرجة فى ذلك الساحل . وقد ذكر ابن حوقل[٢] الجسر الذى يكون ممتداً من الفسطاط إلى الجزيرة ، وهو غير طويل ، ومن الجانب الآخر إلى البر الغربى المعروف ببر الجيزة جسر آخر [من الجزيرة[٣]] / إليه ، وأكثر جواز الناس بأنفسهم ودوابهم فى المراكب ، لأن هذين الجسرين قد احترما بحصولهما[٤] فى حيز قلعة السلطان . ولا يجوز أحد على الجسر الذى بين الفسطاط والجزيرة راكباً ، احتراماً لموضع السلطان . وبتنا فى ليلة ذلك اليوم بطيارة[٥] مرتفعة على جانب النيل فقلت :

٧٥ و
٣

نزلنا من الفسطاط أرفع[٦] منزل	بحيث امتداد النيل قد دار كالعقد
وقد جمعت فيه المراكب سحرة	كسرب قطا أضحى يرف على ورد
وأصبح يطغو[٧] الموج فيه ويرتمى	ويطفو حنانا[٨] و[هو[٩]] يلعب بالنرد
غدا[١٠] ماؤه كالريق ممن أحبه	فمدت عليه حلية[١١] من حلى الخد
وقد كان مثل الزهر[١٢] من قبل مده	فأصبح لما زاده المد كالورد

قلت[١٣] هذا لأنى لم أذق فى الحياة أحلى من مائه وأنه يكون قبل المد الذى يزيد به ، فيفيض على أقطاره ، أبيض ، فاذا جاء[١٤] عباب النيل صار أحمر وقد أكثر الشعراء

---

(١) هو الملك الصالح نجم الدين أيوب . انظر النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ج ٨ ص ٣٢٠
(٢) انظر هنا ابن حوقل ص ١٤٦
(٣) الأصل مطموس والزيادة من النفح والخطط .
(٤) فى النفح : لحصولهما .
(٥) نوع من القوارب كان يجرى فى أنهار العراق . وقد عرف منذ القرن الرابع الهجرى . انظر آدم متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ٢ ص ٣٣٣ وما ذكره من مراجع .
(٦) فى الخطط والنفح : أحسن .
(٧) يطغو : يطغى وفى الخطط : يعلى وفى النفح : يطفو .
(٨) فى النفح : ويطرب أحيانا .
(٩) الزيادة من الخطط .
(١٠) فى النفح : حلا .
(١١) فى النفح : حلة .
(١٢) فى النفح : النهر.
(١٣) فى النفح : وقلت .
(١٤) فى الخطط والنفح : كان .

فى ذكر ذلك ، وتقدم منه ماتقدم ، وأنشدنى / علم الدين فخر الترك أيدمر [١] عتيق وزير الجزيرة فى مدح الفسطاط وأهلها :

٧٥ ظ
٣

حبـذا الفسطاط من والدة ۞ جنبت أولادهـا در [٢] الجفـا

يرد النيــل إليها كــدرا ۞ فاذا مازج أهليهـا صفـا

لطفـوا فالمزن لا يألفــهم ۞ خجـلا لمـا رآهم ألطفـا

ولم أر فى أهل البلاد ألطف من أهل الفسطاط ، حتى إنهم ألطف من أهل القاهرة . وبينهما نحو ميلين . وقدتقدم أنها فى الاقليم الثالث وذكر مايدبرها من النيّرات ومايقتضى ذلك . وجملة الحال أن أهل الفسطاط فى نهاية من اللطافة واللين فى الكلام ، وتحت ذلك من الملق وقلة المبالاة برعاية قدم [٣] الصحبة ، وكثرة الممازجة والألفة ما يطول ذكره [٤] . وقد تقدم منه ما تقدم . ولقد تكررت إليها مرات ، وصحبت فيها بتوالى السنين جملة ناس فما فارقتها وأنا راض من أهلها بغير مكارم بنى القسطلانى الفقهاء المالكية ، فانهم يصدقون / ويرعون الصحبة ويوفون بالعهد ويؤدون الأمانة ، لا تبرح الأضياف تغشى منازلهم على ما تيسر من مكارمهم فى حالى اليسر والعسر ، وهم فى ذلك على طول الأيام ، لازمين طريقة واحدة فى الكرم والصبر . ورأيت من شاعرها جمال الدين أبى الحسين الجزار [٥] مالم أره فى كثير من شعراء البلاد وأدبائها ، فانه فارقنى بعد صحبة سنين وأنا أشكره وأوده أكثر من شكرى وودى له فى أول سنة صحبته فيها . وطالما قصد القاهرة لاستدعائى إلى كرامته بالفسطاط ، وبت عنده فى نهاية من السرور والانبساط ، وكم سعى فى حقى وشهرة ذكرى ، جزاه الله خيرا على بعد داره ، ولا أسمع إلا ما يسر من أخباره .

٧٦ و
٣

يجزيك أو يثنى عليك وإنّ من ۞ أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

---

(١) ترجم له ابن شاكر فى فوات الوفيات (طبع المطبعة الأميرية سنة ١٢٩٩ هـ) ج ١ ص ٧٧ وقال إنه عتيق محى الدين محمد بن سعيد بن ندا أحد أعيان الجزيرة فى شمال العراق . وانظر فى ترجمة ابن ندا هذا كتاب الوافى بالوفيات (طبع استانبول) ج ١ ص ١٧٢

(٢) فى النفح : دار .

(٣) فى النفح : قدر .

(٤) إلى هنا تنتهى الفقرة فى الخطط والنفح ، ويتلوها كلام سيأتى فيما بعد .

(٥) سيترجم له ابن سعيد فيما بعد .

وخرجت (١) معه مرة إلى ظاهر الفسطاط حيث بركة الحبش التى يقول فيها أبو الصلت (٢) :

لله يومى ببركة الحبش ونحن (٣) بين الضياء والغبش
/ والنيل تحت الرياح مضطرب كصارم فى يمين مرتعش

٧٦ ظ
٣

وعاينت من هذه البركة أيام فيض النيل عليها أبهج منظر ، ثم زرتها أيام غاض معظم الماء ، وبقيت فيها مقطعات بين خضر من القرط والكتان تفتن الناظر ، وفيها أقول :

يا بركة الحبش التى يومى بها طول الزمان مبارك وسعيد
حتى كأنك فى البسيطة جنة وكأن دهرى كله بك عيد
يا حسن ما يبدو بك الكتان فى نوّاره أو زرّه معقود
والماء منك سيوفه مسلولة والقرط فيك رواقه ممدود
وكأن أبراجاً عليك عرائس جليت وطيرك حولها غرّيد
يا ليت شعرى هل زمانك عائد فالشوق فيه مبدىء ومعيد (٤)

وبت (٥) ليالى كثيرة بقرافة الفسطاط ، وهى فى شرقيها ، بها منازل لأعيان (٦) الفسطاط والقاهرة وقبور عليها مبانٍ معتنىً بها ، وفيها القبة العظيمة العالية المزخرفة التى فيها قبر الامام الشافعي رحمة / الله عليه ، وبها مسجد جامع ، وترب كثيرة عليها أوقاف للقراء ومدرسة كبيرة للشافعية ولا تكاد تخلو من طرب ولا سيما فى الليالى القمرية (٧) ، وهى معظم مجتمعات أهل مصر ، وأشهر متنزهاتهم ، وفيها أقول :

٧٧ و
٣

إن القرافة قد حوت ضدين من دنيا وأخرى فهى نعم المنزل
يغشى الخليع بها السماع مواصلا ويطوف حول قبورها المتبتل
كم ليلة بتنا بها ومدامنا (٨) لحن يكاد يذوب منه الجندل

---

(١) هذه الفقرة فى الخطط ج ٢ ص ١٥٥ ولم يحتفظ بها المقرى فى النفح .
(٢) فى الخطط : أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى . وهو شاعر وأديب مشهور . له الرسالة المصرية نشرها الأستاذ عبد السلام هرون فى الحلقة الأولى من نوادر المخطوطات . وقد زار مصر سنة ٤٨٩ ، وسجن بها ومكث فيها عشرين سنة . توفى سنة ٥٢٨ هـ .
(٣) فى الخطط : والأفق .
(٤) إلى هنا تنتهى هذه الفقرة فى الخطط .
(٥) هذه الفقرة فى الخطط ج ٢ ص ٤٤٤
(٦) فى الخطط : الأعيان بالفسطاط .
(٧) فى الخطط : المفخرة .
(٨) فى الخطط : ونديمنا .

والبدر قد ملأ البسيطة نوره فكأنما قد فاض فيها [1] جدول
وبدا يضاحك أوجها حاكينه لما تكامل وجهه المتهلل [2]

وأما [3] ما يرد على الفسطاط من متاجر البحر الاسكندرانى والبحر الحجازى فانه فوق ما يوصف ، وبها مجمع ذلك لا بالقاهرة ، ومنها يجهز إلى القاهرة وسائر البلاد . وبالفسطاط مطابخ السكر والصابون ومعظم ما يجرى هذا المجرى لأن القاهرة بنيت للاختصاص بالجند ، كما أن جميع [زى [4]] الجند هو بالقاهرة أعظم منه بالفسطاط ، وكذلك / ما ينسج ويصاغ وسائر ما يعمل من الأشياء الرفيعة السلطانية . والخراب فى الفسطاط كثير . والقاهرة أجد وأعمر ، وأكثر زحمة ، بسبب انتقال السلطان لها [5] ، وسكنى الأجناد فيها . وقد نفخ روح الاعتناء والنمو فى مدينة الفسطاط الآن لمجاورتها للجزيرة الصالحية . وكثير من الجند قد انتقل إليها للقرب من الخدمة ، وبنى على سورها جماعة منهم مناظر تبهج الناظر [6] . وفوق [7] القرافة فى شرقيها جبل المقطم وليس له علو ولا فيه اخضرار ، وإنما يقصد للبركة ، وهو نبيه الذكر فى الكتب ، وفى سفحه مقابر أهل الفسطاط والقاهرة .

٧٧ ظ
٣

ومن كتاب [8] الكندى : وأما فضل مقبرتها فذكر أهل العلم أن الطور من المقطم وأنه داخل فيما وقع عليه القدس فى قوله تعالى : « وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا » وقال : [إنك بالوادى المقدس] وقال تبيع [9] : منازل الفسطاط فى القدس ، وقال كعب : كلم الله تعالى / موسى من الطور إلى أطراف المقطم من القدس ، وروى [10] أن موسى عليه السلام سجد ، فسجدت معه كل شجرة من المقطم إلى طرا ، ويروى أنه مكتوب فى التوراة وادى [11] فتح مقدس [12] يريد وادى مسجد موسى عليه السلام بالمقطم عند مقطع الحجارة وأن موسى كان يناجى ربه

٧٨ و
٣

(١) فى الخطط : منه .
(٢) إلى هنا تنتهى الفقرة فى الخطط .
(٣) الفقرة التالية فى النفح ج ١ ص ٦٨٨ والخطط ج ١ ص ٣٤٢
(٤) مطموسة فى الأصل والتكملة من الخطط والنفح جميعا .
(٥) فى الخطط والنفح : إليها .
(٦) إلى هنا تنتهى الفقرة فى النفح والخطط . وقال المقريزى إن ابن سعيد يعنى بالعبارة الأخيرة ما بنى على شقة مصر من جهة النيل .
(٧) العبارة التالية ذكرها المقريزى فى النفح ج ٢ ص ٤٤٤
(٨) أنظر فى الفقرة التالية كتاب فضائل مصر للكندى ص ٣٤
(٩) هو تبيع بن عامر الكلاعى ، أنظر الخطط ج ١ ص ٢٤
(١٠) روى المقريزى فى الخطط ج ١ ص ١٢٤ كثيراً من النصوص المنقولة هنا عن الكندى .
(١١) فى الكندى والخطط : وإذا .
(١٢) فى الكندى : مقدس جديد وفى الخطط : مقدّس .

عند [1] ذلك الوادى . وروى أسد بن موسى قال : شهدت جنازة مع ابن لهيعة ، فجلسنا حوله ، فرفع رأسه ، فنظر إلى الجبل ، فقال : إن عيسى بن مريم عليه السلام مر بسفح هذا الجبل ، وعليه جبة صوف ، وقد شد وسطه بشريط ، وأمه إلى جانبه ، فالتفت إليها وقال : يا أماه هذه مقبرة أمة محمد صلى الله عليه وسلم . وسار [2] عمرو بن العاص فى سفح المقطم ومعه المقوقس ، فقال له : ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات كجبال الشام ، فلو شققنا فى أسفله نهراً من النيل وغرسناه نخلا ؟ فقال المقوقس وجدنا فى الكتب أنه كان أكثر / الجبال شجراً [3] ونباتاً وفاكهة ، وكان ينزله المقطم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام . فلما كانت الليلة التى كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام أوحى إلى الجبال إنى مكلم نبياً من أنبيائى على جبل منكم ، فسمت [4] الجبال كلها وتشامخت إلا جبل بيت المقدس ، فانه هبط وتصاغر ، فأوحى الله إليه لم فعلت ذلك ؟ وهو به أخبر ، فقال : إعظاما وإجلالا لك يارب ، فأمر الله الجبال أن يحبوه كل جبل مما عليه من النبت ، فجاد له [5] المقطم بكل ما عليه من النبت ، حتى [6] بقى كما ترى ، فأوحى الله إليه إنى معوضك على فعلك بشجر الجنة أو غراس الجنة . فكتب بذلك عمرو إلى عمر رضى الله عنه ، فكتب إليه : إنى لا أعلم شجر [7] الجنة غير المسلمين ، فاجعله لهم مقبرة ، ففعل ، فغضب المقوقس من ذلك ، وقال : ما على هذا صالحتنى ؟ فقطع له عمرو قطيعاً نحو بركة الحبش يدفن فيه النصارى . / وروى عبد الله بن لهيعة أن كعب الأحبار سأل رجلا يريد مصر ، فقال له : أهدلى [8] تربة من سفح مقطمها ، فأتاه منه بجراب ، فلما حضرت كعبا [9] الوفاة أمر به ، ففرش فى لحده تحت جثته . والاجماع [10] على أنه ليس فى الدنيا مقبرة أعجب منها ولا أبهى ولا أعظم ولا أنظف [11] من أبنيتها وقبابها وحجرها ، ولا أعجب تربة منها ، كأنها الكافور والزعفران ، مقدسة فى جميع الكتب ، وحين تشرف عليها تراها كأنها مدينة بيضاء ، والمقطم عال عليها كأنه حائط من ورائها .

٧٨ ظ
٣

١٥١ و
٢

---

(١) فى الكندى والخطط : بذلك .
(٢) فى الكندى : وسأل .
(٣) فى الكندى : أشجارا وكذلك فى الخطط .
(٤) فى الكندى : فسمت .
(٥) فى الكندى : فجاء .
(٦) فى الكندى : فصار .
(٧) فى الكندى : شجرة .
(٨) فى الخطط : أهدنى .
(٩) فى الكندى : للكعب .
(١٠) انظر فى بقية النقل عن الكندى هنا الخطط ج ٢ ص ٤٤٤
(١١) فى الكندى : ولا أنظف ولا أعلى .

التاج

مصر القديمة دخلها من الأنبياء عليهم السلام من تقدم اسمه ، وليس فيها ترجمة لنبي . والغرض أن نذكر من وليها سلطاناً مقدماً أو مستبداً إلى أن بنيت القاهرة وصارت قطباً للخلفاء الفاطميين . ولا نذكر من تراجم السلاطين الذين تقدمت أسماؤهم/ عند الكلام على سلاطين الديار المصرية إلا من في ترجمته فائدة تمس الحاجة لذكرها . ومثل إسماعيل بن صالح العباسى الذى وليها وولى مثل مملكة حلب ، وله هناك تراجم أقارب ، فالأولى أن يذكر فى موضع ولايته التى نشأ فيها ورسخ بيته .

١٥١ظ
٢

عمرو بن العاص

النسب

من كتاب النسب[1] لابن حزم : عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمر هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . وأم عمرو سبية من عنزة تسمى النابغة . وأخوه من أمه عقبة بن نافع الفهرى صاحب إفريقية . وأخوه لأبيه هشام بن العاص من الصحابة . وابنه عبد الله بن عمرو الصاحب المشهور ، وله عقب كثير .

الترصيع
١٥٢و
٢

ولد عمرو بن العاص بالطائف على ما ذكره البيهقى فى الكمائم وغيره . ومركز نشأته بمكة مع أقاربه من قريش . ودخل/ الاسكندرية قبل الاسلام ، وسافر إلى الشام واليمن والحبشة .

ومن الاستيعاب[2] لابن عبد البر أنه أسلم سنة ثمان قبل يوم الفتح ، وهاجر هو وخالد بن الوليد إلى المدينة ، وولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمان ، فلم يزل عليها حتى قبض ، وأمّره فى غزوة ذات السلاسل ، وبعثه عمر إلى مصر فافتتحها ، وأقره عثمان عليها ، ثم عزله . واعتزل عمرو فى ناحية فلسطين وكان يأتى المدينة أحياناً ، ويطعن على عثمان فى خلال ذلك ، فلما قتل عثمان سار إلى معاوية وشهد معه صفين . وولاه معاوية مصر ، فلم يزل عليها إلى أن توفى بها يوم الفطر سنة ثلاث وأربعين وهو ابن تسعين سنة ودفنه ابنه عبد الله بالمقطم .

التاريخ

---

(١) هو كتاب جمهرة أنساب العرب لأبى محمد على بن سعيد بن حزم الأندلسى وقد نشره ليفى بروفنسال بدار المعارف بمصر . ونسب عمرو بن العاص فيه ص ١٥٤ . ولم يلتزم ابن سعيد هنا عبارة ابن حزم ولا كل ما ذكره عن عمرو بن العاص وأمرته .

(٢) هو كتاب الاستيعاب فى معرفة الأصحاب للحافظ أبى عمر يوسف بن عبد الله المعروف بابن عبد البر النمرى القرطبى . وترجمة عمرو بن العاص فيه ص ٤٤٧ من طبعة حيدر أباد الدكن سنة ١٣١٩ هـ . ولم يلتزم ابن سعيد هنا أيضا عبارة ابن عبد البر ، بل لخص وأجمل .

التعريف

١٥٢ ظ
٢

وهو محسوب فى الدهاة ومقدم عند قريش فى الجاهلية وبعثوه إلى الحبشة فى شأن من أجاروه من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم . ولما أسلم صار فى أمراء / الصحابة رضوان الله عليهم . وقد حكى صاحب الاستيعاب أن النبى صلى الله عليه وسلم أمره فى غزوة ذات السلاسل ، وكان فى الجيش أبو بكر وعمرو أبو عبيدة . وذكره ابن [١] عبد الحكم وغيره فيمن روى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم . وذكر صاحب الاستيعاب أنه كان من فرسان قريش فى الجاهلية وشعرائهم ، وهو أحد الدهاة المقدمين فى الرأى والمكر وقال : كان عمر رضى الله عنه إذا استضعف رجلا فى عقله ورأيه قال : أشهد أن خالقك وخالق عمرو بن العاص واحد . وقد قال عبد الله بن العباس لأبى موسى الأشعرى لما برز للكلام معه فى التحكيم بين على ومعاوية أعلم أنك قد رميت بحجر الأرض . وفى الاستيعاب أنه لما حضرته الوفاة قال : اللهم إنك أمرتنى فلم أئتمر، وزجرتنى فلم أزدجر [٢] ووضع يده فى موضع الغل فقال : اللهم لا قوى فأنتصر ، ولا برىء فأعتذر / ولا مستكبر ، بل مستغفر ، لا إله إلا أنت ، فلم يزل يرددها حتى مات . واشتهر من نظمه قوله ، على أنه يروى لأرطاة [٣] بن سهية المرى .

التوشية

١٥٣ و
٢

النظم

إذا تخازرت ومابى من خزر [٤] ثم كسرت العين من غير عور

ألفيتنى ألوى [٥] بعيد المستمر [٦] أحمل ماحُمِّلت من خير وشر

كالحية النضناض [٧] فى أصل الحجر

وقال لمعاوية حين ولاه مصر :

فان تعطنى مصراً فأربح بصفقة أخذت بها شيخاً يضر وينفع

وذكر غير واحد أن معاوية استشار عمرو بن العاص فى عبد الله بن هاشم بن عتبة بن أبى وقاص الزهرى لكون أبيه كان من أعدائه ومن أنصار على رضوان الله عليه ، فأشار عليه بقتله ،

---

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين المتوفى سنة ٢٥٧ هـ وهو من أقدم مؤرخى مصر وأشهر كتبه (فتوح مصر وأخبارها) وقد نشر قسما منه هنرى ماسسيه سنة ١٩١٤ باسم (كتاب فتوح مصر وأخبارها) ثم نشر من بعده تورى Torrey الكتاب كاملا (نيوهيفن سنة ١٩٢٢)

(٢) فى الاستيعاب : أنزجر .

(٣) شاعر فصيح معدود من شعراء العصر الاموى لم يسبقه ولم يتأخر عنه ، ترجم له أبو الفرج فى كتاب الاغانى الجزء الحادى عشر ص ١٣٤ من طبعة الساسى .

(٤) الخزر : كسر العين أو ضيقها ، والتخازر : النظر بمؤخر العين .

(٥) الوى : شديد الخصومة والجدل .

(٦) بعيد المستمر بفتح الميم الثانية : قوى فى الخصومة لا يسأم المراس .

(٧) النضناض : التى لا تستقر فى مكان أو التى إذا نهشت قتلت من ساعتها أو التى تخرج لسانها تنضنضه أى تحركه .

١٥٣ ظ
٢

فقال معاوية : إني لم أر في العفو إلا خيرا ، فخرج عمرو مغضبا / وكتب إلى معاوية :

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني وكان من التوفيق قتل [ابن هاشم][1]

أليس أبوه يامعاوية الذى أعان علياً يوم حز الغلاصم[2]

فقاتلنا حتى جرت من دمائنا بصفين أمثال البحور الخضارم[3]

وهذا ابنه والمرء يشبه عيصه[4] ولابد أن تلقى به جد نادم

فبعث بها معاوية إلى عبد الله بن هاشم فكتب إليه :

معاوى إن المرء عمراً أبت له ضغينة خب[5] غشها غير نائم

رأى لك قتلى يابن هند وإنما يرى ، ما رأى عمرو ، ملوك الأعاجم

وإنهم لا يقتلون أسيرهم إذا كان منه بيعة للمسالم

فان تعف عني تعف عن ذى قرابة وإن تر قتلى تستحل محارمى

ومن كتاب حلى العلا لابن جبر[6] القيرانى : أن عمارة بن الوليد المخزومى أخا خالد بن الوليد كان فاتكا غزلا معجباً بالنساء ، وسافر مع عمرو بن العاص فى البحر إلى النجاشى ، فراود زوج عمرو ، ودفعه يوما عن السفينة فى البحر ، فنجا بسباحته ، فاضطغن [له] / ذلك إلى أن أعلمه عمارة أن زوج النجاشى قد علقت به وأنه يدخل عندها ، فقال له : إن كنت صادقا ، فقل لها تدهنك من دهن النجاشى ، ففعل ذلك ، وأعطته قارورة منه ، فجاء بها إلى عمرو ، وأعطاه منه ، فأعلم عمرو النجاشى ، وأراه الدهن ، فدعا النجاشى بالسواحر ، فنفخن فى إحليل عمارة ،

١٥٤ و
٢

---

(١) الاصل مطموس هنا ، والزيادة يقتضيها السياق

(٢) الغلاصم جمع غلصمه وهى اللحم بين الراس والعنق أو ملتقى اللهاة والمرىء أو رأس الحلقوم وحز الغلاصم يعنى قطع الرقاب .

(٣) الخضارم : الواسعة الكثيرة المياه .

(٤) العيص : الاصل .

(٥) الخب : المكر والدهاء .

(٦) هو يحى بن حسن بن جبر ، وقد نقل العماد عنه قطعة كبيرة فى حديثه عن مصر بكتابه الخريدة . أنظر النسخة المصورة بدار الكتب المصرية الورقة ١٣١ حيث يذكر أنه كان حيا سنة ٥٢٥ ه .

فهام وصار فى عداد الوحش ، وفى ذلك يقول عمرو بن العاص :

أأن [١] كنت ذا بردين أحوى مرجلا [٢] فلست براع لابن عمك محرما
إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه ولم ينه قلباً غاوياً حيث يمما
قضى وطرا منه يسيراً وأصبحت إذا ذكرت أفعاله [٣] تملأ الفما

ولما ذكر الكندى فى كتاب [فضائل] مصر الإسكندرية [٤] قال : وبها الملعب الذى كانوا يجتمعون فيه لا يرى أحد [٥] منهم شيئا / دون صاحبه ولا يتظالمون ، ينظر وجه كل واحد منهم تلقاء وجه صاحبه إن عمل أحد منهم شيئاً أو تكلم ، أو لعب لوناً [٦] من الألوان سمعه الباقون ، ونظر القريب والبعيد سواء . وفيه كانوا يترامون بالكرة ، فمن دخلت كمه ولى مصر ، وكان عمرو بن العاص قد دخل مصر تاجراً فى الجاهلية بالأدم والقطن ، فشهد هذا الملعب فيمن ينظر ، فدخلت الكرة كمه ، فأنكروا ذلك وقالوا : ما كذبتنا هذه الكرة قط ! أنى لهذا الإعرابى ولاية مصر ! فأعادوها فأقبلت إلى كمه ، وعادت مرات ، فزاد تعجبهم [٧] إلى أن جاء الله بالاسلام فكان من أمره ما كان .

الحكايات ١٥٤ ظ ٢

و تلخيص فتح مصر مما اختصره والدى من تاريخ الرقيق [٨] : قال أصحاب الأخبار : كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه قد بعث عمرو بن العاص إلى فلسطين بعد افتتاح دمشق ، فلما أفضت الخلافة إلى عمر رضى الله عنه كتب إلى عمرو يأمره أن يمضى إلى / مصر غازيا فكتب إليه عمرو يخبره بقلة من معه من المسلمين ، فأمده عمر بالزبير بن العوام وبجماعة من المهاجرين والأنصار ، فتقوى بهم ، وتوجه مسرعا ، فبعد أن أنفذ عمر رضى الله عنه من أنفذ من المسلمين مدداً لعمرو ، اجتمع أعلام الصحابة ، فدخلوا عليه ، وقالوا : إنك غررت بالمسلمين ! إن أهل مصر عدد لا يحصى ، وبها ملوك ، كثيرة أموالهم ورجالهم ، فلما سمع ذلك دعا علياً

١٥٥ و ٢

(١) فى الأغانى : وإن .
(٢) أحوى : من الحوة وهى الحمرة إلى السواد ، ومرجلا : من رجل الشعر أى سرحه .
(٣) فى الأغانى : أمثالها .
(٤) أنظر كتاب فضائل مصر ص ٢٦ وما بعدها .
(٥) فى الكندى : أحدهم .
(٦) فى الكندى : لعبا من الالعاب .
(٧) فى الكندى : فتعجبوا من ذلك .
(٨) هو إبراهيم بن القاسم ويعرف بالرقيق القيروانى ، ترجم له ياقوت فى معجم الادباء (طبع القاهرة) ١ ص ٢١٦ وقال : له تصانيف كثيرة فى علم الاخبار ، ومنها كتاب تاريخ إفريقية والمغرب ، عدة مجلدات . ثم نقل ياقوت مديحا لابن رشيق فيه وفى حذقه للأخبار والتاريخ وذكر أنه قدم مصر سنة ٣٨٨ هـ بهدية من باديس بن زيرى إلى الحاكم بأمر الله .

رضى الله عنه واستشاره ، فأشار عليه أن يوجه إلى عمرو رسولاً على بريد ، فان ألفاه وقد دخل حيز مصر فلا يرجع ، فان ذلك وهن على المسلمين ، وإن أدركه قبل أن يدخل حيزها فليرجع .
فأدركه الرسول ولم يدخل حيز مصر ، فدفع إليه الكتاب ، وقال له : إقرأه ، ونفذ ما فيه ، فقال : إذا نزلت قرأته ، ومضى مجداً فى السير وأتعب الناس إلى أن دخل عمل مصر ، فقرأ الكتاب / وجمع الناس ، فحضر الزبير وأشراف الناس وقرأ عليهم الكتاب ، وقال : قد دخلت مصر ولست براجع ، فمضى لوجهه وأيده الله بنصره ، ففتحها ، وذلك فى سنة عشرين . وبعث بخبرها معاوية بن حُـدَيج الكندى ، وكان عند وصوله إلى المدينة ، ووصل نهاراً ، أناخ بباب عمر وانتظره إلى أن خرج ، فلما رآه وقد عرفه ، قال : أنت الذى أناخ ببابى أوْ لا ؟ قال : نعم ، قال : فما منعك أن تدعونى ؟ قال : خشيت أن تكون قد نمت وقت القائلة ، فقال عمر : كيف أنام ولى عسكر فى سبيل الله ! لو فعلت لكنت أجرأ البرية على الله تعالى ، ثم قال ما وراءك ؟ فقال : فُتحت مصر ، فحمد الله تعالى ودعا دعاءً طويلا ، وسجد شكراً لله ، ثم ناوله الكتاب ، فلما استوفى قراءته قال : لا تخرّبوها ، ولا تفسدوها ، ولا تعرضوا لأهل قراها ومنازلها واتركوهم عبيداً للمسلمين .

١٥٥ ظ
٢

/ فانصرف معاوية إلى عمرو ومن معه من المسلمين فأخبرهم ، فأخذوا منها الذهب والفضة والجوهر وتركوها بجميع ما فيها للمسلمين . وفتح عمرو بن العاص طرابلس من بلاد إفريقية ، واستأذن عمر رضى الله عنه فى غزو إفريقية فلم يأذن له ، وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إفريقية مفرقة لأهلها غير مجمّعة ، ماؤها قاسٍ ، ما شربه أحد من المسلمين إلا اختلفت قلوبهم ، فأضربَ عمرو عن غزوها ، ولم يزل أميراً على مصر إلى أن قتل عمر رضى الله عنه . فلما ولى عثمان رضى الله عنه عزل عمراً وولى مصرعبدالله بن سعد بن أبى السرح العامرى ، وكان أخا عثمان من الرضاعة ، فكان يبعث بالمسلمين فى جرائد الخيل ، فيسبون من أطراف إفريقية ويغنمون ، فكتب بذلك إلى عثمان ، فكان سبب فتح إفريقية على ماهو مذكور فيها .

١٥٦ و
٢

ومن كتاب[1] ابن عبد الحكم : / وكان عمرو بن العاص قد دخل فى مصر فى الجاهلية وعرف طرقها ورأى كثرة ما فيها ، وكان سبب دخول عمرو إياها أنه قدم إلى بيت المقدس لتجارة فى نفر من قريش فاذا هم بشماس من شمامسة الروم من أهل الإسكندرية قدم للصلاة

١٥٦ ظ
٢

(١) هو كتاب فتوح مصر الذى مر ذكره وسنعمد هنا فى المقابلة على طبعة تورى ص ٥٣

فى بيت المقدس ، فخرج فى بعض جبالها يسيح ، وكان عمرو يرعى إبله وإبل أصحابه ، وكانت رعية الإبل نوباً بينهم ، فبينما عمرو يرعى الإبل[1] إذ مر به ذلك الشماس وقد أصابه عطش شديد فى يوم شديد الحر ، فوقف على عمرو فاستسقاه ، فسقاه عمرو من قربة له ، فشرب حتى روى ونام الشماس مكانه ، وكانت إلى جانب الشماس حيث نام حفرة فخرجت منها حية عظيمة ، فبصر بها عمرو ، فنزع لها بسهمه[2] ، فقتلها . فلما استيقظ الشماس نظر إلى حية عظيمة ، قد نجاه[3] الله منها ، / فقال لعمرو : ما هذه ؟ فأخبره عمرو أنه رماها ، فقتلها ، فأقبل إلى عمرو ، فقبل رأسه ، وقال له : قد أحيانى الله بك مرتين : مرة من شدة العطش ، ومرة من هذه الحية ، فما أقدمك هذه البلاد ؟ قال : قدمت مع أصحاب لى نطلب الفضل فى تجارتنا ، فقال له الشماس : كم[4] تراك ترجو أن تصيب فى تجارتك ؟ قال : رجائى أن أصيب ما أشترى به بعيراً ، فانى لا أملك إلا بعيرين ، فأملى أن أصيب بعيراً آخر ، فتكون ثلاثة أبعرة ، فقال له الشماس : أرأيت دية أحدكم[5] ، كم هى ؟ قال : مائة من الإبل ، قال له الشماس : لسنا أصحاب إبل إنما نحن أصحاب دنانير ، قال : تكون[6] ألف دينار ، فقال له الشماس : إنى رجل غريب فى هذه البلاد ، وإنما قدمت أصلى فى كنيسة بيت المقدس ، وأسيح فى هذه البلاد[7] شهراً ، جعلت ذلك نذراً على نفسى وقد قضيت ذلك وأنا أريد الرجوع إلى بلادى فهل لك أن تتبعنى إلى بلادى ، ولك عهد الله وميثاقه / أن أعطيك ديتين ، لأن الله عز وجل أحيانى بك مرتين ، فقال له عمرو : وأين بلادك ؟ قال : مصر فى مدينة يقال لها الاسكندرية ، فقال له عمرو : لا أعرفها ولم أدخلها قط ، فقال له الشماس : لو دخلتها لعلمت أنك لم تدخل قط مثلها ، فقال عمرو : وتفى لى بما تقول وعليك بذلك العهد والميثاق ؟ فقال له الشماس : نعم لك بالله[8] علىّ العهد والميثاق أن أفى لك وأردك[9] إلى أصحابك ، فقال عمرو : وكم يكون مكثى فى ذلك ؟ قال : شهراً ، تنطلق معى ذاهباً عشراً ، وتقيم عندنا عشراً ، وترجع فى عشر ، ولك علىّ أن أحفظك ذاهباً ، وأن أبعث معك بمن[10] يحفظك راجعاً ، فقال له عمرو : أنظرنى حتى أشاور فى ذلك

١٥٧ و
٢

١٥٧ ظ
٢

(١) فى ابن عبد الحكم : إبله .
(٢) فى ابن عبد الحكم : بسهم .
(٣) فى ابن عبد الحكم : أنجاه .
(٤) فى ابن عبد الحكم : وكم .
(٥) فى ابن عبد الحكم : أحدكم بينكم .
(٦) فى ابن عبد الحكم : يكون .
(٧) فى ابن عبد الحكم : الجبال .
(٨) فى ابن عبد الحكم : لك الله على بالعهد والميثاق .
(٩) فى ابن عبد الحكم : وأن أدرك .
(١٠) فى ابن عبد الحكم : من .

أصحابى ! فانطلق عمرو إلى أصحابه ، فأخبرهم بما عاهده عليه الشماس ، وقال لهم : تقيمون علىّ حتى أرجع إليكم ، ولكم علىّ العهد أن أعطيكم شطر ذلك ، على أن يصحبنى رجل منكم آنس به فقالوا له : نعم .

١٥٨ و
٢

/ وبعثوا معه رجلا منهم فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس إلى مصر حتى انتهى إلى الاسكندرية فرأى عمرو من عمارتها وكثرة أهلها وما بها من الأموال والخير ما أعجبه ، وقال : ما رأيت مثل مصر قط وكثرة مافيها من الأموال . ونظر إلى الاسكندرية وعمارتها وجودة بنائها وكثرة أهلها وما بها من الأموال ، فازداد عجبا ، ووافق ذلك عيداً فى الاسكندرية عظيما [(١)] ، يجتمع فيه ملوكهم وأشرافهم ، ولهم أكرة من ذهب مكللة ، يترامى بها ملوكهم ، وهم يتلقونها بأكمامهم ، وفيما أختبروا من تلك الأكرة على ما وضعها من مضى منهم أنها من وقعت الأكرة فى كمه ، واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم . فلما قدم عمرو الاسكندرية أكرمه الشماس الاكرام كله ، وكساه ثوب ديباج [(٢)] ، وجلس عمرو والشماس مع الناس فى ذلك المجلس حيث يترامون بالأكرة وهم يتلقونها بأكمامهم / فرمى بها رجل منهم ، فأقبلت تهوى حتى وقعت فى كم عمرو ، فعجبوا من ذلك ، وقالوا : ما كذبتنا هذه الأكرة قط إلا هذه المرة ، أترى هذا الأعرابى يملكنا ! هذا ما لا يكون أبدا ! وإن ذلك الشماس مشى فى أهل الاسكندرية وأعلمهم أن عمراً أحياه مرتين وأنه قد ضمن له ألفى دينار ، وسألهم أن يجمعوا ذلك فيما بينهم ، ففعلوا ، ودفعوها إلى عمرو ، فانطلق عمرو وصاحبه ، وبعث معهما الشماس دليلا ورسولا ، وزودهما وأكرمهما ، حتى رجع وصاحبه إلى أصحابهما . فبذلك عرف عمرو مدخل مصر ومخرجها ، ورأى منها ما علم أنها به أفضل البلاد وأكثرها مالا ، فلما رجع عمرو إلى أصحابه دفع اليهم فيما بينهم ألف دينار وأمسك لنفسه ألفا ، قال عمرو : فكان أول مال اعتقدته وتأثلته .

١٨٥ ظ
٢

١٥٩ و
٢

قال [(٣)] : ولما قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الجابية قام إليه عمرو بن العاص ، فخلا به / فقال : يا أمير المؤمنين ائذن لى أن أسير إلى مصر ، وحرضه عليها ، وقال : إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم ، وهى أكثر الأرض أموالا [(٤)] ، فتخوف عمر على المسلمين ، فكره ذلك ، فلم يزل عمرو يعظم أمرها عند عمر ويخبره بحالها ويهون عليه فتحها ، حتى ركن لذلك عمر ، فعقد له على أربعة آلاف رجل كلهم من عك ، ويقال بل ثلاثة آلاف وخمسمائة ، وقيل ثلثهم

---

(١) فى ابن عبد الحكم : ووافق دخول عمرو الاسكندرية عيداً فيها عظيما .
(٢) فى ابن عبد الحكم : ثوب ديباج ألبسه إياه .
(٣) أنظر فى الفقرة التالية ابن عبد الحكم ص ٥٦ وما بعدها .
(٤) فى ابن عبد الحكم عبارة تالية لم يروها ابن سعيد وهى : وأعجزها عن القتال والحرب .

من غافق ، فقال له عمر : سر وأنا مستخير الله فى مسيرك ، وسيأتيك كتابى سريعاً إن شاء الله ، فان أدركك كتابى آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئاً من أرضها فانصرف ، وإن أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابى فامض لوجهك ، واستعن بالله واستنصره ، فسار عمرو بن العاص من جوف الليل ، ولم يشعر به أحد من الناس ، واستخار عمر الله فكأنه تخوف على المسلمين فى وجههم ذلك ، فكتب إلى عمرو بن العاص أن ينصرف / بمن معه من المسلمين ، فأدرك الكتاب عمراً وهو برفح ، فتخوف عمرو إن هو أخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد إليه عمر ، فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه ، وسار كما هو حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش فسأل عنها ، فقيل إنها من مصر ، فدعا بالكتاب ، فقرأه على المسلمين ، فقال عمرو لمن معه : ألستم تعلمون أن هذه القرية من مصر [١] ؟ ولم يلحق كتابه حتى دخلنا أرض مصر ، فسيروا وامضوا على بركة الله . ويقال : بل كان عمرو بفلسطين فتقدم بأصحابه إلى مصر بغير إذن فكتب فيه إلى عمر ، فكتب اليه عمر وهو دون العريش ، فحبس الكتاب فلم يقرأه حتى بلغ العريش ، فقرأه ، فاذا فيه : من عمر بن الخطاب إلى العاصى بن العاصى ، أما بعد فانك سرت إلى مصر ومن معك ، وبها جموع الروم وإنما معك نفر يسير ولعمرى لو كانوا ثكل أمك ما سرت بهم فان لم تكن بلغت مصر فارجع . / فقال عمرو : الحمد لله أية أرض هذه ؟ قالوا : من مصر ، فتقدم كما هو .

١٥٩ ظ
٢

١٦٠ و
٢

قال [٢] وكانت صفة عمرو قصيراً ، عظيم الهامة ، ناتىء الجبهة ، واسع الفم ، عظيم اللحية ، عريض ما بين المنكبين ، عظيم الكفين والقدمين .

قال [٣] فلما بلغ المقوقس قدوم عمرو بن العاص إلى مصر توجه إلى الفسطاط فكان يجهز على عمرو الجيوش ، وكان على القصر [٤] رجل من الروم يقال له الأعيرج والياً عليه ، وكانت تحت يد [٥] المقوقس . وأقبل عمرو [٦] حتى إذا كان بالعريش أدركه النحر ، فضحى عن أصحابه يومئذ بكبشين [٧] . وكان رجل ممن كان خرج معه حين خرج من الشام إلى مصر أصيب

---

(١) فى ابن عبد الحكم : قالوا بلى . قال : فان أمير المؤمنين عهد إلى وأمرنى إن لحقنى كتابه ولم أدخل أرض مصر أن أرجع ولم يلحقنى كتابه حتى دخلنا أرض مصر ، فسيروا وامضوا على بركة الله .

(٢) لا يزال ينقل من ابن عبد الحكم . أنظر ص ٥٨

(٣) يروى أيضاً عن ابن عبد الحكم الصفحة نفسها وما بعدها .

(٤) القصر هو حصن بابليون أو قصر الشمع .

(٥) فى ابن عبد الحكم : يدى .

(٦) فى ابن عبد الحكم : وأقبل عمرو حتى [إذا كان بجبل الحلال نفرت معه راشدة وقبائل من لخم فتوجه عمرو حتى] .

(٧) فى ابن عبد الحكم : بكبش .

بجمل له ، فأتى إلى عمرو ، فاستحمله [1] ، فقال له عمرو : تحمّل مع أصحابك ، حتى تبلغ أوائل العريش [2] ، فلما بلغ العريش جاء فأمر له بجملين ، ثم قال : لن تزالوا بخير ما رحمتكم أئمتكم ، فاذا لم يرحموكم هلكتم وهلكوا ، فتقدم عمرو فكان أول موضع قوتل فيه [3] الفرما قاتله الروم قتالا شديداً نحواً من شهر / ثم فتح الله على يديه . وكان عبد الله بن سعد بن أبى سرح على ميمنته منذ توجه من قيسارية [4] إلى أن بلغ الغاية وفرغ من حربه . وكان بالاسكندرية أسقف للقبط يقال له أبو ميامين ، فلما بلغه قدوم عمرو بن العاص إلى مصر كتب إلى القبط يعلمهم أنه لا تكون للروم دولة وأن ملكهم قد انقطع ، ويأمرهم بتلقى عمرو ، فيقال : إن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو أعواناً . ثم توجه عمرو لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى نزل القواصر [5] ، فقال بعض أهل القواصر لبعض : ألا تعجبون من هؤلاء القوم يقدمون على جموع الروم وإنما هم فى قلة من الناس ؟ فأجابه رجل منهم فقال : إن هؤلاء القوم لا يتوجهون إلى أحد إلا ظهروا عليه ، حتى يقتلوا خيرهم . وانتهى عمرو إلى بلبيس ، فقاتلوه بها نحواً من شهر ، حتى فتح الله عليه ، ثم مضى لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى أم دنين [6] فقاتلوه بها قتالا شديداً .

/ وأبطأ عليه الفتح ، فكتب إلى عمرو يستمده ، فأمده بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف ، فقاتلهم ، وسار حتى نزل على الحصن ، فحاصرهم حتى سألوه أن يسير منهم بضعة عشر أهل بيت ، ويفتحوا له الحصن ، ففعل ذلك ، ففرض عليهم عمرو لكل رجل من أصحابه ديناراً وجبّة وبُرنساً وعمامة وخفين . وسألوه أن يأذن لهم أن يهيئوا له ولأصحابه صنيعاً ، ففعل ، فلما فرغوا من طعامهم قال لهم [7] عمرو كم أنفقتم ؟ قالوا عشرين ألف دينار [8] ، فجاءه النفر من القبط ، فاستأذنوه إلى قراهم وأهليهم ، فقال لهم عمرو : كيف رأيتم أمرنا ؟ قالوا : لم نر إلا حسناً ، فقال الرجل الذى قال فى المرة الأولى ما قال لهم : إنكم لن تزالوا تظهرون على كل من لقيتم ،

١٦٠ظ
٢

١٦١و
٢

---

(١) فى ابن عبد الحكم : يستحمله .

(٢) فى ابن عبد الحكم : العامر .

(٣) الفرما : كانت شرقى تنيس على ساحل البحر ، ويظهر أنها كانت بالقرب من بورسعيد الحالية ، وهى مدينة Pelusium بلوزم القديمة .

(٤) من ثغور فلسطين إلى الجنوب من حيفا .

(٥) فى معجم ياقوت : موضع بين الفرما والفسطاط . أنظر حاشية الأستاذ ثبيت فى الجزء الثالث (ص ٢٢٧) من طبعته لخطط المقريزى .

(٦) قرية كانت بين النيل والقاهرة ويظهر أنها هى التى سميت فيما بعد بالمقس . وفى موقعها الآن جامع أولاد عنان وشارع ابراهيم باشا وحديقة الأزبكية .

(٧) فى ابن عبد الحكم : سألهم .

(٨) فى ابن عبد الحكم : قالوا عشرين ألف دينار ، قال عمرو : لا حاجة لنا بصنيعكم بعد اليوم ، أدوا إلينا عشرين ألف دينار .

حتى تقتلوا خيركم رجلا ، فنضب عمرو [1] ، فلما بلغ عمراً قتل عمر بن الخطاب أرسل وراء [2] ذلك القبطى ، فوجده قد هلك . فعجب عمرو من قوله . ولما حُدث/ أنه إنما قتله أبو لؤلؤة رجل نصرانى ، قال : لم يعن هذا ، إنما يعنى [3] من قتله المسلمون . ولما قتل عثمان عرف أن ما قال القبطى [4] حق .

١٦١ظ
٢

قال [5] ولما فرغوا من صنيعهم أمر عمرو بن العاص بطعام فصنع لهم وأمرهم أن يحضروا لذلك . فصنع لهم الثريد والعراق وأمر أصحابه بلباس الأكسية واشتمال الصماء والقعود على الركب . فلما حضرت الروم وضعوا كراسى الديباج وجلسوا عليها وجلست العرب إلى جوانبهم . فجعل الرجل من العرب يلتقم اللقمة العظيمة من الثريد وينهش من ذلك اللحم فيتطاير على من إلى جنبه من الروم ، فاستبشعت الروم ذلك ، وقالوا : أين أولئك الذين كانوا أتونا قبل ؟ فقيل لهم : أولئك أصحاب المشورة وهؤلاء أصحاب الحرب .

وقالوا [6] : كان عمر بن الخطاب قد أشفق على عمرو فأرسل الزبير فى أثره فى اثنى عشر ألفا فشهد معه الفتح .

قال [7] : وقد كان عمرو بن العاص قد دخل إلى صاحب الحصن فتناظرا/ فى شىء مما هم فيه ، فقال عمرو : أخرج واستشير أصحابى ، وقد كان صاحب الحصن أوصى الذى على الباب إذا مر عليه [8] عمرو أن يلقى عليه صخرة فيقتله ، فمر عمرو وهو يريد الخروج برجل من العرب ، فقال له : قد دخلت فانظر كيف تخرج ، فرجع عمرو إلى صاحب الحصن فقال له : إنى أريد أن آتيك بنفر من أصحابى ، حتى يسمعوا منك مثل الذى سمعت ، فقال العلج فى نفسه : قتل جماعة أحب إلى من قتل واحد ، وأرسل إلى الذى كان أمره بما أمره به من قتل عمرو أن لا يعرض له رجاء أن يأتيه بأصحابه فيقتلهم وخرج عمرو [9] .

١٦٢و
٢

---

(١) فى ابن عبد الحكم : فغضب عمرو وأمر به فطلب إليه أصحابه وأخبروه أنه لايدرى ما يقول حتى خلصوه .
(٢) فى ابن عبد الحكم : أرسل فى طلب .
(٣) فى ابن عبد الحكم : عنى .
(٤) فى ابن عبد الحكم : الرجل .
(٥) لا يزال ابن سعيد ينقل عن ابن عبد الحكم : أنظر ص ٦٠
(٦) أنظر ابن عبد الحكم ص ٦١
(٧) أنظر ابن عبد الحكم ص ٦٢
(٨) فى ابن عبد الحكم : به .
(٩) إلى هنا ينتهى النقل من ابن عبد الحكم .

ومن كتاب تجارب الأمم لابن مسكويه[1] : صعد عمرو بن العاص إلى الأرطبون[2] بأجنادين ، وكان أدهى الروم ، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب ، وجعل عمرو ينفذ إلى الأرطبون رسلا فلا يشفونه ، ولا يقدرون من الأرطبون[3] على سقطة ، فعزم على / أن يتولاه بنفسه ، فدخل عليه كأنه رسول ، فأبلغه ما يريد ، وسمع كلامه ، وتأمل أمره[4] ، حتى عرف ما أراد . وقال الأرطبون فى نفسه : والله إن هذا لعمرو[5] ثم دعا حرسيا ، وساره بقتله إذا مر عليه[6] ، وفطن عمرو ، فقال للأرطبون : أنا[7] واحد من عشرة بعثنا عمر مع هذا الوالى لنكاتفه ، ويشهدنا معه أموره ، فأرجع وآتيك بهم الآن ، فاذا رأوا[8] ما رأيته فقد رآه أهل العسكر[9] ، وإن لم يروا رددتهم لمأمنهم[10] ، فدعا رجلا ، وساره بأن يذهب إلى الحرسى ، فيرده إليه ، وقال لعمرو : انطلق فجىء بأصحابك ، فخرج عمرو ، ورأى أن لا يعود لمثلها ، وعلم الرومى أنه قد خدعه ، فقال : هذا أدهى الخلق ، فبلغت عمرو رضى الله عنه فقال : غلبه[11] عمرو ، لله عمرو !

١٦٢ظ
٢

ومن كتاب[12] ابن عبد الحكم : ولما أبطأ الفتح على عمرو بن العاص قال الزبير : إنى أهب نفسى لله ، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين ، فوضع سلما إلى جانب / الحصن من ناحية سوق الحمام ، ثم صعد ، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعا ، فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن فكبر[13] ومعه السيف ، وتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفاً من أن ينكسر .

١٦٣و
٢

---

(١) أسماه ياقوت مسكويه فقط بدون ابن . وهو فيلسوف ومؤرخ مشهور توفى سنة ٤٢١ عن سن عالية وقد خدم فى دولة البويهيين واتصل بابن العميد والصاحب بن عباد وخدمهما وأشهر كتبه تجارب الأمم وقد نشره كيتانى Ceatani فى مجموعة جب التذكارية وهو كتاب فى التاريخ وصل به إلى حوادث عام ٣٦٩ هـ . والفقرة المنقولة منه هنا فى الجزء الأول ص ٣٨٠ . انظر J. Sauvaget : Introduction à l'Histoire de l'Orient musulman pp 132-133.

(٢) فى تجارب الأمم : أرطبون .

(٣) فى تجارب الأمم : حصونه .

(٤) فى تجارب الأمم : أرطبون .

(٥) فى تجارب الأمم : إن هذا العمر أو الذى يأخذ عمرو برأيه وما كنت لأصيب القوم بأعظم عليهم من قتله .

(٦) فى تجارب الأمم : وساره بقلقلة وقال اخرج فقم بمكان كذا وكذا ، فاذا مر بك هذا فاقتله .

(٧) هنا عبارة ساقطة أيضا هى : قد سمعت منى ، وسمعت منك فأما ماقلت فقد وقع منى موقعا وأنا واحد من عشرة .

(٨) فى التجارب : فى الذى عرضت مثل رأيى .

(٩) فى التجارب : والأمير .

(١٠) عقب هذه العبارة فى التجارب : وكنت على رأس أمرك فقال : نعم .

(١١) فى التجارب : خدعه عمرو ، وغلبه .

(١٢) انظر فتوح مصر وأخبارها ص ٦٣

(١٣) فى ابن عبد الحكم : يكبر معه السيف .

فلما اقتحم الزبير وتبعه من تبعه ، وكبّر وكبّر من معه ، وأجابهم المسلمون من خارج ، لم يشك أهل الحصن أن العرب قد اقتحموا جميعاً ، فهربوا . فعمد الزبير وأصحابه إلى باب الحصن ، ففتحوه ، واقتحم المسلمون الحصن . فلما خاف المقوقس على نفسه ومن معه سأل [1] عمرو ابن العاص الصلح ، ودعاه إليه ، على أن يفرض للعرب على القبط دينارين دينارين [2] ، فأجابه عمرو إلى ذلك . وكان مكثهم على باب القصر حتى فتحوه سبعة أشهر .

قال : وقد قيل إن المسلمين لما حاصروا باب اليون [3] وكان به جماعة من الروم ، وأكابر القبط ورؤسائهم ، وعليهم المقوقس / فقاتلوهم بها شهراً ، فلما رأى القوم الجد منهم على فتحه والحرص ، ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه خافوا أن يظهروا عليهم . فتنحّى المقوقس وجماعة من أكابر القبط وخرجوا من باب القصر القبلى ودونهم جماعة يقاتلون العرب ، فلحقوا بالجزيرة موضع الصناعة اليوم ، وأمروا بقطع الجسر وذلك فى جرى النيل . وزعم بعض مشايخ مصر [4] أن الأعيرج كان قد تخلف فى الحصن بعد المقوقس ، فلما خاف فتح الحصن ركب هو وأهل القوة والشرف ، وكانت سفنهم ملصقة بالحصن ، ثم لحقوا المقوقس [5] بالجزيرة .

١٦٣ ظ
٢

قال : فأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص : إنكم قوم قد ولجتم فى بلادنا وألححتم علينا [6] وطال مقامكم فى أرضنا ، وإنما أنتم عصبة يسيرة ، وقد أظلتكم الروم ، وجهّزوا إليكم ، ومعهم العدة [7] والسلاح وقد أحاط بكم هذا النيل ، وإنما أنتم أسارى فى أيدينا فابعثوا إلينا رجالا منكم / نسمع كلامهم [8] ، فلعله أن يأتى الأمر فيما بيننا وبينكم على ماتحبون ونحب ، وينقطع عنا وعنكم هذا القتال ، قبل أن تغشاكم جموع الروم ، فلاينفعنا الكلام ولا نقدر عليه ، ولعلكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفاً لطلبتكم ورجائكم ، فابعث إلينا رجالا من أصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شىء . فلما أتت عمرو بن العاص رسل المقوقس قال [9] لأصحابه :

١٦٤ و
٢

---

(١) فى ابن عبد الحكم : فحينئذ سأل .
(٢) فى ابن عبد الحكم : على كل رجل منهم .
(٣) أنظر A. Butler : Babylon of Egypt (Oxford 1914) وبتلر : فتح العرب لمصر (تعريب محمد فريد أبو حديد) ص ٢٠٩ وما بعدها .
(٤) فى ابن عبد الحكم : أهل مصر .
(٥) فى ابن عبد الحكم : بالمقوقس .
(٦) فى ابن عبد الحكم : على قتالنا .
(٧) فى ابن عبد الحكم : من العدة .
(٨) فى ابن عبد الحكم : من كلامهم .
(٩) فى ابن عبد الحكم : لما أتت عمرو بن العاص رسل المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس فقال . . .

أترون أنهم يقتلون الرسل ويحبسونهم ، ويستحلون ذلك فى دينهم . وإنما أراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين . فرد عليهم عمرو مع رسله : إنه ليس بيني وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال: إما أن دخلتم فى الاسلام فكنتم إخواننا ، وكان لكم ما لنا ، أو[1] أبيتم فأعطيتم الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، وإما أن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين .

فلما رجعت[2] رسل المقوقس اليه قال: كيف رأيتموهم؟ قالوا: رأينا قوماً الموت أحب الى أحدهم/ من الحياة ، والتواضع أحب اليه من الرفعة ، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة ، انما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد فيهم من العبد ، واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد ، يغسلون أطرافهم بالماء ، ويتخشعون فى صلاتهم . فقال عند ذلك المقوقس : والذى يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد ، ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض وقدروا[3] على الخروج من موضعهم . فرد إليهم المقوقس رسله [وقال[4] :] ابعثوا الينا رسلا منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم الى ماعساه أن يكون فيه صلاح لنا ولكم.

١٦٤ظ
٢

فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت . ويقال : إنه أدرك الاسلام/ من العرب عشرة نفر ، طول كل واحد منهم عشرة أشبار ، عبادة بن الصامت أحدهم . قال[5] : وأمره عمرو أن يكون متكلم القوم وأن لا يجيبهم إلى شىء دعوه إليه إلا إلى إحدى هذه الخصال الثلاثة ، فان أمير المؤمنين قد تقدم لى فى ذلك ، وأمرنى أن لا أقبل منهم[6] إلا خصلة من هذه الخصال الثلاث . وكان عبادة بن الصامت أسود ، فلما ركبوا السفن إلى المقوقس ودخلوا عليه تقدم عبادة ، فهابه المقوقس لسواده ، فقال : نحوا عنى هذا الأسود وقدموا غيره يكلمنى ، فقالوا جميعاً : إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا ، وإنما نرجع جميعاً إلى قوله ورأيه ، وقد أمره الأمير دوننا بما أمره به وأمرنا أن لا نخالف رأيه وقوله ، قال : فكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم وإنما ينبغى أن يكون دونكم ؟ قالوا : كلا إنه وإن كان أسود كما ترى فانه من أفضلنا موضعاً ،/ وأفضلنا سابقة وعقلا ورأياً ، وليس ينكر السواد فينا ، فقال المقوقس لعبادة : تقدم يا أسود ، وكلمنى برفق ، فانى أهاب

١٦٥و
٢

١٦٥ظ
٢

(١) فى ابن عبد الحكم : وإن .
(٢) فى ابن عبد الحكم : جاءت .
(٣) فى ابن عبد الحكم : وقووا .
(٤) زيادة من ابن عبد الحكم يقتضيها السياق .
(٥) أى ابن عبد الحكم .
(٦) فى ابن عبد الحكم : شيئاً سوى .

سوادك ، وإن اشتد كلامك[1] ازددت لذلك هيبة ، فتقدم إليه عبادة ، فقال : قد سمعت مقالتك وإن فيمن خلفت من أصحابى ألف رجل أسود ، كلهم أشد سواداً منى ، وأفظع منظراً ، ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منك لى ، وأنا قد وليت وأدبر شبابى ، وإنى مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوى ، لو استقبلونى جميعاً ، وكذلك أصحابى . وذلك أنا إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد فى الله واتباع رضوانه ، وليس غزونا عدونا ممن حارب الله ، لرغبة فى دنيا ، ولا طلباً للاستكثار منها ، إلا أن الله عز وجل قد أحل ذلك لنا ، وجعل ماغنمنا من ذلك فيئاً[2] ، وما يبالى أحدنا أكان له قنطار من ذهب أم كان لا يملك إلا درهما ، لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها / يسد بها جوعته ليله ونهاره ، وشملة يلتحفها ، فان كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه ، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه فى طاعة الله ، واقتصر على هذا الذى بيده[3] لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ، ورجاءها[4] ليس برجاء[5] ، إنما النعيم والرجاء[6] فى الآخرة . وبذلك أمرنا ربنا وأمرنا به نبينا ، وعهد إلينا أن لا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا ما يمسك جوعته ، ويستر عورته ، وتكون همته وشغله فى رضاء ربه وجهاد عدوه . فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله : هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط ؟ لقد هبت منظره ، وإن قوله لأهيب عندى من منظره ، وإن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض ، ما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها .

١٦٦ و
٢

ثم أقبل المقوقس على عبادة ، فقال : أيها الرجل الصالح قد سمعت مقالتك ، وما ذكرت عنك وعن أصحابك ، ولعمرى ما بلغتم ما بلغتم إلا بما ذكرت ، وما ظهرتم على / من ظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها ، وقد توجه الينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده ، قوم معروفون بالنجدة والشدة ، لا يبالى أحدهم من لقى ولا من قاتل[7] ، وإنا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم ، ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم ، وقد أقمتم بين أظهرنا[8] أشهراً وأنتم فى ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ، ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بأيديكم ، ونحن تطيب أنفسنا على أن نصالحكم بأن نفرض لكل رجل منكم دينارين[9] ولأميركم مائة دينار ولخليفتكم

١٦٦ ظ
٢

(١) فى ابن عبد الحكم : كلامك على .
(٢) فى ابن عبد الحكم : حلالا .
(٣) فى ابن عبد الحكم : ويبلغه ما كان فى الدنيا .
(٤) فى ابن عبد الحكم : ورخاؤها .
(٥) فى ابن عبد الحكم : برخاء .
(٦) فى ابن عبد الحكم : والرخاء .
(٧) فى ابن عبد الحكم : ممن لا .
(٨) فى ابن عبد الحكم : شهرا
(٩) فى ابن عبد الحكم : دينارين دينارين .

ألف دينار ، فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوام لكم به . فقال عبادة ابن الصامت : يا هذا لا تغرن نفسك ولا أصحابك ، أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم ، وأنا لا نقوى عليهم ، فلعمرى ما هذا بالذى تخوفنا به ولا يكسرنا[1] عما نحن فيه . إن كان ما قلتم حقا ، فذلك والله أرغب/ ما نكون فى قتالهم وأشد لحرصنا عليهم لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه ، إن قتلنا من آخرنا كان أمكن لنا من[2] رضوانه وجنته . وما من شىء أقر لأعيننا ولا أحب إلينا من ذلك ، وإنا منكم حينئذ لعلى إحدى الحسنيين : إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا ، وإنها لأحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا ، وإن الله عز وجل قال لنا فى كتابه : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين » . وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحا[3] أن يرزقه الشهادة وأن لا يرده إلى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده ، وليس لأحد منا هم فيما خلفه ، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده ، وإنما همنا ما أمامنا . وأما قولك إنا فى ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن فى أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ، ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن عليه ، فانظر/ الذى تريد فبينه لنا ، فليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منك ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث فاختر أيتها شئت ، ولا تطمع نفسك فى الباطل . بذلك أمرنى الأمير وبه أمره أمير المؤمنين ، وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل إلينا : إما أجبتم إلى الاسلام الذى هو الدين الذى لا يقبل الله غيره ، وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته ، أمرنا الله أن نقاتل من خالفه ورغب عنه ، حتى يدخل فيه ، فان فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا وكان أخانا فى دين الله ، فان قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم فى الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولن[4] نستحل أذاكم ولا التعرض لكم ، وإن أبيتم إلا الجزية فأدوا إلينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، نعاملكم على شىء نرضى به نحن وأنتم ، فى كل عام أبداً ما بقينا وبقيتم ، ونقاتل عنكم من ناوأكم وعرض لكم فى شىء من أرضكم ودمائكم وأموالكم ، ونقوم بذلك عنكم إذ كنتم/ فى ذمتنا ، وكان لكم به عهد علينا ، وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت من آخرنا أو نصيب منكم ما نريد[5] . هذا ديننا الذى ندين الله تعالى به ، ولا متجوّز[6] فيما بيننا غيره ، فانظروا لأنفسكم ،

١٦٧ و / ٢

١٦٧ ظ / ٢

١٦٨ و / ٢

---

(١) فى ابن عبد الحكم . ولا بالذى يكسرنا .
(٢) فى ابن عبد الحكم : فى .
(٣) فى ابن عبد الحكم : ومساء .
(٤) فى ابن عبد الحكم : ولم .
(٥) فى ابن عبد الحكم : ماتريد منكم .
(٦) فى ابن عبد الحكم : ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره .

قفال له المفوقس : هذا مالا يكون أبداً ! ما تريدون إلا أن تتخذونا لكم عبيداً ما كانت الدنيا ! فقال له عبادة : هو ذاك ، فاختر ما شئت ، فقال له المقوقس : أفلا تجيبونا إلى خصلة غير هذه الخصال الثلاث ؟ فرفع عبادة يديه ، فقال : لا ورب هذه السماء ورب هذه الأرض وربنا ورب كل شىء ، ما لكم عندنا خصلة غيرها فاختاروا لأنفسكم ، فالتفت المقوقس عند ذلك ، فقال لأصحابه : قد فرغ القوم فما ترون ؟ فقالوا : أو يرضى أحد بهذا الذل ؟ أما ما أرادوا من دخولنا فى دينهم فهذا ما لا يكون أبداً أن نترك دين المسيح ابن مريم وندخل فى دين لا نعرفه [1] ، لو رضوا منا أن نضعف لهم ما أعطيناهم مراراً كان أهون علينا . فقال / المقوقس لعبادة : قد أبى القوم فما ترى ، فراجع صاحبك على أن نعطيكم فى مرتكم هذه ما تمنيتم وتنصرفون . فقام عبادة وأصحابه ، فقال المقوقس عند ذلك لمن حوله : أطيعونى وأجيبوا القوم إلى خصلة من هذه الثلاث ، فوالله مالكم بهم طاقة ، ولئن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبنهم إلى ما هو أعظم [2] كارهين ، فقالوا : وأى خصلة نجيبهم إليها ؟ قال : إذن أخبركم ، أما دخولكم فى غير دينكم فلا آمركم به ، وأما قتالهم فأنا أعلم أنكم لن تقووا عليهم ولن تصبروا صبرهم ، ولا بد من الثالثة ، قالوا : فنكون لهم عبيداً أبداً ! ؟ قال : نعم تكونون عبيداً مسلطين فى بلادكم آمنين على أنفسكم وأموالكم وذراريكم خير لكم من أن تموتوا عن آخركم وتكونوا عبيداً تباعون وتمزقون فى البلاد مستعبدين أبداً أنتم وأهلكم وذراريكم ، فقالوا : فالموت أهون علينا ، وأمروا بقطع الجسر من الفسطاط والجزيرة والقصر .

١٦٨ ظ ٢

واجتمع / من القبط والروم جمع كثير ، فألح عليهم المسلمون عند ذلك بالقتال وعزموا على من فى القصر حتى ظفروا بهم ، وأمكن الله منهم ، فقتل منهم خلق كثير ، وأسر من أسر ، وانحازت السفن كلها إلى الجزيرة ، وصار المسلمون قد أحدق بهم الماء من كل وجه ، لا يقدرون على أن ينفذوا نحو الصعيد ولا إلى غير ذلك من المدائن والقرى ، والمقوقس يقول لأصحابه : ألم أعلمكم بهذا وأخافه عليكم ، ما تنتظرون !؟ فوالله لتجيبنهم إلى ما أرادوا طوعاً أو لتجيبنهم إلى ما هو أعظم منه كرهاً ، فأطيعونى من قبل أن تندموا . فلما رأوا منهم ما رأوا وقال لهم المقوقس ما قال ، أذعنوا بالجزية ورضوا بذلك على صلح يكون بينهم يعرفونه ، وأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص : إنى لم أزل حريصاً على إجابتك إلى خصلة من تلك الخصال التى أرسلت إلى بها ، فأبى ذلك علىّ من حضرنى من الروم والقبط ، فلم يكن لى أن أفتات عليهم فى أموالهم ، وقد عرفوا / نصحى لهم ، وحبى صلاحهم ، ورجعوا إلى قولى ، فاعطنى أماناً أجتمع أنا فى نفر من أصحابى وأنت فى نفر

١٦٩ و ٢

١٦٩ ظ ٢

(١) فى ابن عبد الحكم هنا : وأما ما أرادوا من أن يسبونا ويجعلونا عبيداً أبداً فالموت أيسر من ذلك لو رضوا . . .

(٢) فى ابن عبد الحكم : أعظم منها .

من أصحابك ، فان استقام الأمر فيما بيننا تم ذلك لنا جميعاً ، وإن لم يتم رجعنا إلى ما كنا عليه ، فاستشار عمرو أصحابه فى ذلك ، فقالوا لا نجيبهم إلى شىء من الصلح ولا الجزية ، حتى يفتح الله علينا وتصير [الأرض[1]] كلها لنا فيئاً وغنيمة كما صار لنا القصر وما فيه ، فقال عمرو : قد علمتم ما عهد لى أمير المؤمنين فى عهده ، فان أجابوا إلى خصلة من الخصال الثلاث التى عهد إلىّ فيها أجبتهم إليها وقبلت منهم ، مع ما قد حال هذا الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم . فاجتمعوا على عهد بينهم واصطلحوا على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط ديناران[2] على كل نفس شريفهم ووضيعهم وضعيفهم وقويهم ومن بلغ الحلم منهم ، وليس على الشيخ الفانى ولا الصغير الذى لم يبلغ الحلم ولا على النساء شىء ، / وعلى أن للمسلمين عليهم النزل لجماعتهم حيث نزلوا ، ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام[3] ، وأن لهم أرضهم وأموالهم لا يُعرض لهم فى شىء منها .

١٧٠ و
٢

فشرط هذا[4] على القبط خاصة ، وأحصوا عدد القبط يومئذ ممن بلغ منهم الحلم[5] وفرض عليهم الديناران ، ودفع[6] ذلك عرفاؤهم بالأيمان ، فكان جميع من أحصى يومئذ بمصر أعلاها وأسفلها من جميع القبط[7] أكثر من ستة آلاف ألف نفس ، فكانت فريضتهم يومئذ اثنى عشر ألف ألف دينار فى كل سنة .

قال : وشرط المقوقس للروم أن يخيروا فمن أحب منهم أن يقيم على مثل هذا أقام عليه[8] لازما له مفترضاً عليه ممن أقام بالاسكندرية وما حولها من أرض مصر كلها ، ومن أراد الخروج منها إلى أرض الروم خرج ، وعلى أن للمقوقس الخيار فى الروم خاصة ، حتى يكتب إلى ملك الروم يعلمه ما فعل ، فان قبل ذلك ورضيه جاز عليهم / وإلا كانوا جميعاً على ما كانوا عليه ، وكتبوا به كتاباً ، وكتب المقوقس إلى ملك الروم كتاباً يعلمه على وجه الأمر كله ، فكتب اليه ملك الروم يقبح رأيه ويعجزه ، ويرد عليه ما فعل ، ويقول فى كتابه : إنما أتاك من العرب اثنا عشر ألفاً ، وبمصر من كثرة عدد القبط ما لا يحصى ، فان كان القبط كرهوا القتال

١٧٠ ظ
٢

(١) زيادة من ابن عبد الحكم يقتضيها السياق .
(٢) فى ابن عبد الحكم : ديناران ديناران . أنظر فى فساد هذه الرواية سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ٣٨ وما بعدها .
(٣) فى ابن عبد الحكم : مفترضة عليهم
(٤) فى ابن عبد الحكم : هذا كله .
(٥) فى ابن عبد الحكم : الجزية .
(٦) فى ابن عبد الحكم : رفع .
(٧) فى ابن عبد الحكم : من جميع القبط فيما أحصوا وكتبوا ورفعوا .
(٨) فى ابن الحكم : على ذلك .

وأحبوا أداء الجزية إلى العرب واختاروهم علينا فان عندك بمصر [1] والاسكندرية من الروم أكثر من مائة ألف معهم العدة والقوة ، والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت ، فعجزت عن قتالهم ، ورضيت أن تكون أنت ومن معك من الروم فى حال القبط أذلاء ! ، ألا تقاتلهم [2] فيمن معك من الروم حتى تموت أو تظهر عليهم ! ؟ فانهم فيكم على قدر قوتكم وكثرتكم وعلى قدر قلتهم وضعفهم كأكلة فناهضهم القتال ولا يكن لك رأى غير ذلك .

١٧١ و
٢

وكتب ملك الروم بمثل ذلك كتاباً إلى جماعة الروم فقال المقوقس / لما أتاه كتاب ملك الروم : والله إنهم على قلتهم وضعفهم أقوى وأشد منا على كثرتنا وقوتنا ، إن الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا ، وذلك أنهم قوم ، الموت أحب اليهم [3] من الحياة ، يقاتل الرجل منهم وهو مستقتل ، يتمنى أن لا يرجع إلى أهله ولا بلده ولا ولده ، ويرون لهم أجراً عظيما فيمن قتلوا منا ، ويقولون إن [4] قتلوا دخلوا الجنة ، وليس لهم رغبة فى الدنيا ولا لذة إلا قدر بُلْغَةَ العيش من الطعام واللباس ، ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياة ولذتها ، فكيف نستقيم نحن وهؤلاء ؟ وكيف صبرنا معهم ؟ واعلموا معشر الروم أنى [5] والله لا أخرج مما دخلت فيه ولا ما صالحت العرب عليه ، وإنى لأعلم أنكم سترجعون غداً إلى قولى ورأيى ، وتتمنون [6] أن لو كنتم أطعتمونى ، وذلك أنى قد عاينت ورأيت وعرفت مالم يعاين الملك ولم يره ولم يعرفه ، ويحكم ، أما يرضى أحدكم أن يكون آمناً فى دهره على نفسه وماله وولده بدينارين فى السنة ؟

١٧١ ظ
٢

/ ثم أقبل المقوقس إلى عمرو بن العاص ، فقال له إن الملك قد كره ما فعلت ، وعجّزنى وكتب إلىّ وإلى جماعة الروم أن لا نرضى بمصالحتك ، وأمرهم بقتالك ، حتى يظفروا بك أو تظفر بهم ، ولم أكن لأخرج مما دخلت فيه وعاقدتك عليه ، وإنما سلطانى على نفسى وعلى من أطاعنى ، وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم ، ولم يأت من قِبَلهم نقض ، وأنا متم لك على نفسى والقبط متمون لك على الصلح الذى صالحتهم عليه وعاهدتهم ، وأما الروم فأنا منهم برىء ، وأنا أطلب إليك أن تعطينى ثلاث خصال ، قال له عمرو : ماهى [7] ؟ قال : لا تنقض بالقبط وأدخلنى معهم وألزمنى مالزمهم ، وقد اجتمعت كلمتى وكلمتهم على ما عاهدتك عليه ، فهم متمون لك على ما تحب ، وأما الثانية إن سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم ، فلا تصالحهم حتى تجعلهم

---

(١) فى ابن عبد الحكم : بمصر من الروم .
(٢) فى ابن عبد الحكم : ألا تقاتلهم أنت ومن معك
(٣) فى ابن عبد الحكم : إلى أحدهم .
(٤) فى ابن عبد الحكم : إنهم إن .
(٥) فى ابن عبد الحكم : والله إنى .
(٦) هكذا فى ابن عبد الحكم وفى الأصل : تتمنوا .
(٧) فى ابن عبد الحكم : هن .

فيئاً وعبيداً ، فانهم أهل ذلك لأنى نصحتهم فاستغشونى ، ونظرت لهم فاتهمونى ، وأما الثالثة فانى أطلب إليك إن أنا مت أن تأمرهم أن يدفنونى / فى أبى [1] يحنس بالاسكندرية ، فأنعم له عمرو بذلك ، وأجابه إلى ماطلب ، على أن يضمنوا له الجسرين جميعاً ، ويقيموا لهم الأنزال والضيافة والأسواق والجسور [2] ما بين الفسطاط إلى الاسكندرية ، ففعلوا ، وصارت لهم القبط أعوانا كما جاء فى الحديث .

ويقال إن المقوقس إنما صالح عمرو بن العاص على الروم وهو محاصر الاسكندرية .

ولما بلغ عمرو الاسكندرية حاصر أهلها ثلاثة أشهر ، وألح عليهم ، وخافوه ، وسأله المقوقس الصلح عنهم ، كما صالحه على القبط على أن يستنظر رأى الملك . قيل : ولما صالح المقوقس عمراً على أن يسيّر من الروم من أراد المسير ويقيم [3] من أراد الإقامة [4] على أمر قد سماه ، فبلغ ذلك هرقل ملك الروم ، فتسخط أشد السخط [5] ، وأنكره أشد الإنكار ، وبعث الجيوش ، فأغلقوا الإسكندرية [6] ، وآذنوا عمراً بالحرب وسأله المقوقس الخصال الثلاث المتقدمة الذكر ، وذكر أن القبط صارت / أعوانا لعمرو على الروم ، وأن [7] الروم استجاشت واستعدت ، وقدمت منهم مراكب كثيرة على الإسكندرية من أرض الروم بالعدة والسلاح ، وواقعهم [8] عمرو بكوم شريك بظاهر الإسكندرية ، فاتصل القتال [9] به بينهم ثلاثة أيام ، ثم فتح الله للمسلمين ، وولّى الروم أكتافهم ، ونزل عمرو على الإسكندرية ، فتحصن الروم بحضرتها ، والقبط يمدون عمراً بالأطعمة والعلوفة .

وروى أن عبد العزيز بن مروان حين قدم الإسكندرية سأل عن فتحها ، فقيل له : لم يبق ممن أدرك فتحها إلا شيخ كبير من الروم ، فأمرهم ، فأتوه به ، فلما سأله عما حضر من فتح الإسكندرية قال : كنت غلاماً شاباً ، وكان لى صاحب ابن بطريق من بطارقة الروم ، فأتانى ، فقال : ألا تذهب بنا حتى ننظر إلى هؤلاء العرب الذين يقاتلوننا ؟ فلبس ثياب ديباج وعصابة ذهب وسيفاً محلى ، وركب برذوناً سميناً كثير اللحم ، وركبت أنا برذوناً خفيفاً ، فخرجنا من الحصون كلها /

١٧٢ و
٢

١٧٢ ظ
٢

١٧٣ و
٢

---

(١) فى ابن عبد الحكم : فى كنيسة أبى يحنس وفى خطط المقريزى ج١ ص٢٩٣ : بجسر الاسكندرية .

(٢) فى ابن عبد الحكم : والأسواق والجسور .

(٣) فى ابن عبد الحكم : ويقر .

(٤) فى ابن عبد الحكم : الاقامة من الروم .

(٥) فى ابن عبد الحكم : التسخط .

(٦) فى ابن عبد الحكم : أبواب الاسكندرية .

(٧) فى ابن عبد الحكم : وسمعت بذلك الروم فاستعدت واستجاشت .

(٨) فى ابن عبد الحكم : وخرج إليهم عمرو بن العاص متوجها إلى الاسكندرية فلم يلق أحداً حتى بلغ ترنوط ، فلقى بها طائفة من الروم ، فقاتلوه قتالا خفيفاً ، فهزمهم الله ومضى عمرو بمن معه حتى لقى جميع الروم بكوم شريك .

(٩) فى ابن عبد الحكم : فاقتتلوا .

حتى برزنا على شرف ، فرأينا قوماً فى خيامهم [1] عند كل خيمة فرس مربوط ورمح مركوز ، ورأينا قوماً ضعفاء فعجبنا من ضعفهم ، فقلنا كيف بلغ هؤلاء القوم مابلغوا ؟ فبينا نحن وقوف ننظر إليهم ونعجب ، إذ خرج رجل منهم من بعض تلك الخيام ، فنظر ، فلما رآنا حل فرسه فمعكه ، ثم مسحه ، ووثب على ظهره ، وهو عرى ، وأخذ الرمح بيده ، وأقبل نحونا ، فقلت لصاحبى : هذا والله يريدنا ، فلما رأيناه مقبلا إلينا ، لايريد غيرنا أدبرنا مولين نحو الحصن وأخذ فى طلبنا ، فلحق صاحبى ، لأن برذونه كان ثقيلا كثير اللحم ، فطعنه برمحه ، فصرعه ، ثم خضخض الرمح فى جوفه حتى قتله ، ثم أقبل فى طلبى وبادرته ، وكان برذونى خفيف اللحم ، فنجوت منه ، حتى دخلت الحصن ، فلما دخلت الحصن أمنت ، فصعدت على سور الحصن أنظر إليه ، فاذا هو لما يئس [2] منى رجع فلم يبال بصاحبى الذى قتله ، ولم يرغب فى سلبه ، ولم ينزعه عنه ، وقد كان سلبه ثياب الديباج وعصابة / من ذهب ، ولم يطلب دابته ، ولم يلتفت إلى شىء من ذلك ، وانصرف من طريق أخرى ، وأنا أنظر إليه وأسمعه يتكلم بكلام ويرفع [3] صوته ، فظننت أنه إنما يقرأ بقرآن العرب ، فعرفت عند ذلك أنهم إنما قووا على ما قووا عليه ، وظهروا على البلاد ، لأنهم لايطلبون الدنيا ولا يرغبون فى شىء منها ، حتى بلغ خيمته ، فنزل عن فرسه ، فربطه ، وركز رمحه ، ودخل خيمته ، ولم يعلم بذلك أحداً من أصحابه ، فقال عبد العزيز عند ذلك : صف لى ذلك الرجل وهيئته وحاله ، فقال : نعم هو قليل دميم ، ليس بالتام من الرجال فى قامته ولا فى لحمه ، رقيق ، آدم ، كوسج [4] ، فقال عبد العزيز عند ذلك : إنه ليصف صفة رجل يمانى .

١٧٣ظ
٢

وكان ملك الروم يقول : لئن ظهرت العرب على الاسكندرية إن ذلك انقطاع ملك الروم وهلاكهم ، لأنه ليس للروم كنائس أعظم من كنائس الاسكندرية وإنما كان عيد الروم - حين غلبت العرب على الشام - بالاسكندرية [5] ، فأمر / بجهازه ومصلحته لخروجه إلى الاسكندرية ، حتى يباشر قتالها بنفسه إعظاماً لها ، وأمر أن لايتخلف عنه أحد من الروم وقال : ما بقاء الروم بعد الاسكندرية ! ؟ فلما فرغ من جهازه صرعه الله فأماته ، وكفى المسلمين مئونته . وكان موته فى سنة تسع عشرة ، فكسر الله بموته شوكة الروم ، فرجع جمع كبير ممن كان قد توجه

١٧٤و
٢

(١) فى ابن عبد الحكم : خيام لهم .
(٢) فى ابن عبد الحكم : آيس .
(٣) فى ابن عبد الحكم : ويرفع به .
(٤) الكوسج الناقص الأسنان .
(٥) فى ابن عبد الحكم بعد ذلك : وقال الملك لئن غلبوا على الاسكندرية لقد هلكت الروم وانقطع ملكها .

إلى الاسكندرية واستأسدت العرب عند ذلك ، وألحت بالقتال على أهل الاسكندرية ، فقاتلوهم قتالا شديداً . قال : وخرج طرف من الروم من باب حصن الاسكندرية ، فحملوا على الناس ، فقتلوا رجلا من مَهرَة ، فاحتزوا رأسه ، وانطلقوا به ، فجعل المهريون يتغضَّبون ويقولون : لا ندفنه [1] إلا برأسه . فقال عمرو : تتغضبون كأنكم تتغضَّبون على من يبالى بغضبكم ! احملوا على القوم إذا خرجوا فاقتلوا منهم رجلا ، ثم ارموا برأسه يرموكم برأس صاحبكم ، فخرجت الروم إليهم ، فاقتتلوا ، فقتل من الروم رجل من بطارقتهم فاحتزوا / رأسه ، فرموا به إلى الروم فرمت الروم برأس المهرى إليهم ، فقال : دونكم الآن فادفنوا صاحبكم . وقال عمرو بن العاص [2] : أما مهرة فقوم يَقتلون ولا يُقتلون ، وأما غافق فقوم يُقتلون ولا يَقتلون ، وأما بَلِىّ [3] فأكثرها رجلا صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفضلها فارساً .

١٧٤ ظ
٢

وقيل إنه لما حاصر المسلمون الاسكندرية قال لهم صاحب المقدمة : لا تعجلوا حتى آمركم برأى ، فلما فتح الباب دخل رجلان فقتلا ، فبكى صاحب المقدمة ، فقيل له : لم بكيت ، وهما شهيدان ؟ فقال : ليت أنهما شهيدان ، ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يدخل الجنة عاصٍ ، وقد أمرت أن لا يدخلوا حتى يأتيهم رأيى ، فدخلوا بغير إذنى .

وروى أن عمرو بن العاص قاتل الروم بالاسكندرية يوما من الأيام قتالا شديداً ، فلما استحرّ القتال بينهم بارز رجل من الروم مسلمة بن مخلد ، فصرعه الرومى ، وألقاه عن فرسه ، وأهوى إليه ليقتله ، حتى حماه رجل من أصحابه ، وكان مسلمة لا / يقام لسبيله ، ولكنها مقادير ، ففرحت بذلك الروم ، وشق ذلك على المسلمين ، وغضب عمرو لذلك . وكان مسلمة كثير اللحم ثقيل البدن ، فقال عمرو بن العاص عندذلك : ما بال الرجل المسته [4] الذى يشبه النساء يتعرض مداخل الرجال ويتشبه بهم ! فغضب لذلك مسلمة ، ولم يراجعه . ثم اشتد القتال ، حتى اقتحموا حصن الاسكندرية ، فقاتلهم العرب فى الحصن ، ثم جاشت عليهم الروم حتى أخرجوهم جميعاً من الحصن إلا أربعة نفر بقوا فى الحصن ، وأغلقوا عليهم باب الحصن ، أحدهم عمرو بن العاص والآخر مسلمة بن مخلد [5] ، وحالوا بينهم وبين أصحابهم ، ولا يدرى الروم من هم ، فلما رأى ذلك عمرو وأصحابه التجأوا إلى ديماس [6] من حماماتهم ، فدخلوا فيه ، فاحتزوا به ، فأمروا روميا أن يكلمهم بالعربية ،

١٧٥ و
٢

(١) فى ابن عبد الحكم : لا ندفنه أبداً .
(٢) عبارة ابن عبد الحكم : وكان عمرو بن العاص يقول : ثلاث قبائل من مضر . . .
(٣) راجع عن هذه القبيلة عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب ج ١ ص ١٠٤ — ١٠٧ وما أشار إليه من المراجع القديمة .
(٤) المسته : السمين .
(٥) فى ابن عبد الحكم : ولم تحفظ الآخرين .
(٦) الديماس : الحمام .

فقال لهم: إنكم صرتم[1] بأيدينا أسارى فاستأسروا ولا تقتلوا أنفسكم . فامتنعوا عليهم ، ثم قال لهم :

١٧٥ ظ
٢

إن فى أيدى أصحابكم منا رجالا أسروهم ، فنحن نعطيكم العهود / على أن نفادى بكم أصحابنا ولا نقتلكم . فأبوا عليهم ، فلما رأى ذلك الرومى منهم قال لهم : هل لكم إلى خصلة ، وهى نصف فيما بيننا وبينكم أن تعطونا العهد ونعطيكم مثله على أن يبرز منكم رجل ومنا رجل ، فان غلب صاحبنا صاحبكم استأسرتم لنا وأمكنتمونا من أنفسكم ، وإن غلب صاحبكم صاحبنا خلينا سبيلكم إلى أصحابكم ؟ فرضوا بذلك ، وتعاهدوا عليه ، وعمرو ومسلمة وصاحباهما فى الحصن بالديماس ، فتداعوا إلى البراز ، فبرز رجل من الروم قد وثقت الروم بنجدته وشدته ، وقالوا : يبرز رجل منكم لصاحبنا فأراد عمرو أن يبرز ، فمنعه مسلمة ، وقال : ما هذا ؟ فتخطىء مرتين ، تشذ من أصحابك وأنت أمير ، وإنما قوامهم بك ، وقلوبهم معلقة نحوك لا يدرون ما أمرك ، ولا ترضى حتى تبارز وتتعرض للقتل ، فان قتلت كان ذلك فلاًّ على[2] أصحابك ، وأنا[3] أكفيك إن شاء الله ،

١٧٦ و
٢

فقال عمرو : دونك فربما فرجها الله بك ، فبرز / مسلمة والرومى فتجاولا ساعة ، ثم أعانه الله عليه ، فقتله ، فكبّر مسلمة وأصحابه ، ووفى لهم الروم بما عاهدوهم عليه ، ففتحوا لهم باب الحصن ، فخرجوا ، ولا يدرى الروم أن أمير القوم فيهم ، حتى بلغهم بعد ذلك ، فأسفوا[4] ، وأكلوا أيديهم تغيظاً على مافاتهم .

فلما خرجوا استحيا عمرو مما كان قال لمسلمة حين غضب ، فقال عمرو عند ذلك : استغفر لى ما كنت قلت لك ، فاستغفر له ، وقال عمرو : والله ما أفحشت قط إلا ثلاث مرات : مرتين فى الجاهلية ، وهذه الثالثة ، وما منهن مرة إلا وقد ندمت واستحييت ، وما استحييت من واحدة منهن أشد مما استحييت مما قلت لك ، ووالله إنى لأرجو أن لا أعود إلى الرابعة ما بقيت .

قال : وأقام عمرو محاصراً الاسكندرية أشهراً فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : ما أبطئوا بفتحها إلا لما أحدثوا . قال : ولما أبطأ على عمر فتح مصر كتب إلى عمرو : أما بعد

١٧٦ ظ
٢

فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصر / إنكم تقاتلونهم منذ سنين[5] ، وما ذلك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحبّ عدوكم ، وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق نياتهم ، وقد كنت وجهت لك أربعة نفر ، وأعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنت أعرف

(١) فى ابن عبد الحكم : قد صرتم .
(٢) فى ابن عبد الحكم : بلاء .
(٣) فى ابن عبد الحكم : مكانك وأنا أكفيك .
(٤) فى ابن عبد الحكم : فأسفوا على ذلك .
(٥) فى ابن عبد الحكم : سنتين .

إلا أن يكونوا غيّرهم ما غيّر غيرهم ، فاذا أتاك كتابى هذا فاخطب الناس وحضّهم على قتال عدوهم ، ورغبهم فى الصبر والنية ، وقدّم أولئك الأربعة فى صدور الناس ، ومر الناس جميعاً أن تكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد ، وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة ، فانها ساعة تنزّل الرحمة ، ووقت الاجابة ، وليعجّ الناس إلى الله تعالى ويسألوه النصر على عدوهم . فلما أتى عمراً الكتاب جمع الناس وقرأ عليهم كتاب عمر ، ثم دعا أولئك النفر ، فقدمهم أمام الناس ، وأمر الناس أن يتطهروا ويصلوا ركعتين ، ثم يرغبوا إلى الله عز وجل ، ويسألوه النصر ، ففعلوا ، ففتح الله عليهم .

١٧٧و
٢

ويقال / : إن عمرو بن العاص استشار مسلمة بن مخلد ، فقال : أشر عليّ فى قتال هؤلاء ، فقال له مسلمة : أرى أن تنظر إلى رجل له معرفة وتجارب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعقد له على الناس ، فيكون هو الذى يباشر القتال ويكفيكه ، فقال عمرو : من ذلك ؟ فقال : عبادة بن الصامت ، قال : فدعا عمرو عبادة ، فأتاه ، وهو راكب على فرسه ، فلما دنا منه أراد النزول ، فقال له عمرو : عزمت عليك إن نزلت ! فناولنى سنان رمحك ، فناوله إياه ، فنزع عمرو عمامته عن رأسه وعقدله ، وولاه قتال الروم ، فتقدم عبادة مكانه ، فصافّ[1] الروم وقاتلهم ، ففتح الله على يديه الاسكندرية من يومهم ذلك .

وقيل : لما أبطأ على عمرو بن العاص فتح الاسكندرية استلقى على ظهره ، ثم جلس ، فقال : إنى فكرت فى هذا الأمر فاذا هو لا يصلح آخره إلا من أصلح أوله ، يريد الأنصار ، فدعا عبادة بن الصامت ، فعقد له ، ففتح الله على يديه الاسكندرية / من يومه ذلك .

١٧٧ظ
٢

وكانت محاصرة الإسكندرية تسعة أشهر بعد موت هرقل وخمسة قبل ذلك ، وفتحت يوم الجمعة لمستهل المحرم سنة عشرين . وعن مالك بن أنس أن مصر فتحت سنة عشرين . قال : فلما هزم الله تبارك وتعالى الروم وفتح الاسكندرية ، ذهب[2] الروم فى البر والبحر ، فخلف عمرو بن العاص بالاسكندرية ألف رجل من أصحابه ، ومضى ومن معه فى طلب من هرب من الروم فى البر ، فرجع من كان هرب من الروم فى البحر إلى الاسكندرية ، فقتلوا من كان فيها من المسلمين ، إلا من هرب منهم ، فبلغ ذلك عمرو بن العاص ، فكرّ راجعاً ، ففتحها وأقام بها ، وكتب إلى عمر بن الخطاب : إن الله قد فتح علينا الاسكندرية عنوة بغير عقد ولا عهد . فكتب إليه عمر بن الخطاب يقبح رأيه ويأمره أن لايجاوزها . قال ابن لهيعة ، وهو فتح الاسكندرية الثانى . قال : وكان سبب فتحها أن رجلا يقال له ابن بسامة كان بوابا ، فسأل

---

(١) فى ابن عبد الحكم : فصادف .
(٢) فى ابن عبد الحكم : هرب .

١٧٨ و
٢

عمرو بن العاص أن يؤمنه على نفسه وأرضه/ وأهل بيته ، وأن يفتح له الباب ، فأجابه عمرو إلى ذلك ، ففتح له ابن بسامة الباب ، فدخل عمرو ، وكان مدخله هذا من ناحية القنطرة التي يقال لها قنطرة سليمان من [(١)] ناحية كنيسة الذهب [(٢)] . قال : وقتل من المسلمين ، من حين كان من أمر الاسكندرية ما كان إلى أن فتحت ، اثنان وعشرون رجلا .

ثم وجه عمرو إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بشيراً [(٣)] بالفتح معاوية بن حديج ، فقال له معاوية : ألا تكتب معى [كتاباً [(٤)]] فقال عمرو : وماتصنع بالكتاب ؟ ألست رجلا عربياً تبلغ الرسالة وما رأيت وحضرت ؟ قال معاوية : بعثنى عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بفتح الاسكندرية ، فقدمت المدينة فى الظهر [(٥)] ، فأنخت راحلتى بباب المسجد ، ثم دخلت المسجد ، فبينا أنا قاعد فيه ، إذ خرجت جارية من منزل عمر بن الخطاب ، فرأتنى شاحباً على ثياب السفر ، فأتتنى ، فقالت : من أنت ؟ فقلت أنا رسول [(٦)] عمرو بن العاص ، فانصرفت عنى ثم أقبلت تشتد [(٧)] ، أسمع حفيف إزارها على ساقها ، حتى دنت منى ، فقالت : قم/ فأجب أمير المؤمنين يدعوك [(٨)] ، فلما دخلت ، فاذا بعمر بن الخطاب يتناول رداءه باحدى يديه ، ويشد إزاره بالأخرى ، فقال : ما عندك ؟ قلت : خير ياأمير المؤمنين ، فتح الله الاسكندرية ، فخرج معى إلى المسجد ، فقال للمؤذن : أذن فى الناس الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، ثم قال لى قم ، فأخبر أصحابك ، فقمت فأخبرتهم ، ثم صلى ودخل منزله ، واستقبل القبلة ، فدعا بدعوات ، ثم جلس ، فقال : ياجارية هل من طعام ؟ فأتت بخبز وزيت ، فقال : كل ، فأكلت على حياء ، ثم قال : كل فان المسافر يحب الطعام فلو كنت آكلا لأكلت معك ، فأصبت على حياء ، ثم قال : ياجارية هل من تمر ؟ فأتت بتمر فى طبق ، فقال : كل ، فأكلت على حياء . ثم قال : ماذا قلت يامعاوية حين أتيت المسجد ؟ قال : قلت : أمير المؤمنين قائل ، قال : بئس ما قلت أو بئس ماظننت ، لئن نمت النهار لأضيّعن الرعية ، ولئن نمت الليل لأضيعن نفسى ، فكيف بالنوم مع هذين يامعاوية ؟ ؟ !

١٧٨ ظ
٢

(١) فى ابن عبد الحكم : وكان مدخل عمرو بن العاص الأول من باب المدينة الذى من ناحية كنيسة الذهب .
(٢) زاد ابن عبد الحكم : وقد بقى لابن بسامة عقب بالاسكندرية إلى اليوم .
(٣) فى ابن عبد الحكم : وافداً إلى عمر بن الخطاب بشيرا له .
(٤) زيادة يقتضيها السياق .
(٥) فى ابن عبد الحكم : الظهيرة .
(٦) فى ابن عبد الحكم : معاوية بن حديج رسول .
(٧) تشتد : تسعى .
(٨) فى ابن عبد الحكم : يدعوك فتبعتها .

١٧٩ و
٢

ثم كتب عمرو بن العاص بعد ذلك إلى عمر بن الخطاب رضى الله/ عنه : أما بعد فانى فتحت مدينة لا أصف ما فيها غير أنى أصبت فيها أربعة آلاف ألف بنية [١] وأربعة آلاف حمام وأربعين ألف يهودى ، عليهم الجزية . وأربعمائة ملهى للملوك .

وقيل : إنه وجد فيها أثنى عشر ألف بقال يبيع البقل الأخضر ، وقيل : إنه ترحل ، من الاسكندرية فى الليلة [٢] التى خافوا فيها دخول عمرو ، سبعون ألف يهودى ، وكان عدة من كان بالاسكندرية من الروم ثمانين [٣] ألفاً من الرجال ، فلحق بأرض الروم أهل القوة وركبوا السفن ، وكان بها مائة مركب من المراكب الكبار ، فسار فيها ثلاثون ألفاً ، حملوا فيها ما قدروا عليه من المال والمتاع والأهل ، وبقى من بقى من الأسارى [٤] ، فأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان ، فاختلف الناس على عمرو فى قسمهم ، وكان أكثر الناس يريدون القسمة ، فقال عمرو : لا أقدر على ذلك ، حتى أكتب إلى أمير المؤمنين ، فكتب إليه يعلمه بفتحها وشأنها ، ويعلمه أن المسلمين طلبوا / قسمها . فكتب إليه عمر : لا تقسمها ، وذرهم يكون خراجهم فيئاً للمسلمين وقوة لهم على جهادهم لعدوهم ، فأقرها عمرو ، وأحصاها [٥] ، وفرض عليهم الخراج ، فكانت مصر صلحاً كلها بفريضة دينارين على كل رجل ، لا يُزاد على أحد منهم فى جزية رأسه أكثر من دينارين إلا أنه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الأرض والزرع إلا الاسكندرية [٦] ، فانهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليهم ، لأن الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ، ولم يكن لهم صلح ولا ذمة .

١٧٩ ظ
٢

وقد كانت قرى من قرى مصر قاتلت ، فسبوا منها قرية [٧] ، فوقع سبيها بالمدينة وغيرها ، فردّهم عمر بن الخطاب إلى قراهم ، وصيّرهم وجماعة القبط ذمة [٨] . قال يزيد بن أبى حبيب : يقول مصر كلها صلح إلا الاسكندرية ، فانها فتحت عنوة . وعن عبيد الله بن أبى جعفر قال : سألت شيخاً من القدماء عن فتح مصر فقال : هاجرنا / إلى المدينة أيام عمر بن الخطاب وأنا محتلم ، فشهدت فتح مصر ، قلت له : فان ناساً يذكرون أنه لم يكن لهم عهد ، فقال : ما يبالى أن لا يصلى

١٨٠ و
٢

(١) هكذا أيضا فى ابن عبد الحكم ولعلها محرفة عن بغية .
(٢) فى ابن عبد الحكم : فى الليلة التى دخلها عمرو بن العاص .
(٣) فى ابن عبد الحكم : مائتى ألف .
(٤) فى ابن عبد الحكم : من الأسارى ممن بلغ الخراج .
(٥) فى ابن عبد الحكم : وأحصى أهلها .
(٦) يريد أهل الأسكندرية .
(٧) فى ابن عبد الحكم: فسبوا منها قرية يقال لها بلهيب وقرية يقال لها الخيس وقرية يقال لها سلطيس. راجع عن هذه القرى ابن مماتى : قوانين الدواوين .
(٨) فى ابن عبد الحكم : أهل ذمة .

من قال إنه ليس لهم عهد ، قلت : فهل كان لهم كتاب ؟ قال : نعم ، كتب ثلاثة : كتاب عند طلما صاحب أجنا[1] وكتاب عند قزمان صاحب رشيد ، وكتاب عند يُحنّس صاحب البرلس . قلت : كيف كان صلحهم ؟ قال : دينارين على كل إنسان جزية وأرزاق المسلمين . قلت : أفتعلم ما كان من الشروط ؟ قال : نعم ستة شروط ، لا يخرجون من ديارهم ، ولا تنزع نساؤهم ولا كفورهم[2] ولا أرضوهم ولا يزاد عليهم .

قال : وكتب عقبة بن عامر إلى معاوية بن أبى سفيان يسأله أرضاً يسترفق فيها عند قرية عقبة ، فكُتب له معاوية بألف ذراع فى ألف ذراع ، فقال مولى له كان عنده : انظر أصلحك الله أرضاً صالحة. فقال عقبة : ليس لنا ذلك ، إن فى عهدهم شروطاً ستة: أن لا يؤخذ من أنفسهم شىء ولا من نسائهم ولا من أولادهم ، ولا يزاد عليهم / ويدفع عنهم موضع الخوف من عدوهم ولا يؤخذ من أرضهم شىء وأنا شاهد لهم بذلك .

١٨٠ظ
٢

قال : ولما فتح عمرو بن العاص مصر صولح على جميع من فيها من الرجال من القبط ممن راهق الحلم إلى ما فوق ذلك ، ليس فيهم امرأة ولا صبى ولا شيخ ، على دينارين دينارين ، فأحصوا ذلك ، فبلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف . وقال للقبط : إن من كتمنى كنزاً عنده فقدرت عليه قتلته . وإن قبطياً من أهل الصعيد يقال له بطرس ذُكر لعمرو أن عنده كنزاً فأرسل إليه فسأله ، فأنكر وجحد ، فحبسه فى السجن ، وعمرو يسأل عنه هل يسمعونه يسأل عن أحد فقالوا لا ، إنما سمعناه يسأل عن راهب فى الطور ، فأرسل عمرو إلى بطرس فنزع عمرو خاتمه من يده ، ثم كتب إلى ذلك الراهب أن ابعث إلى بما عندك وختمه بخاتمه ، فجاءه رسوله بقلة شامية مختومة بالرصاص ففتحها فوجد فيها مكتوباً[3] : مالكم تحت الفسقية الكبيرة/ فأرسل عمرو إلى الفسقية ، فحبس عنها الماء ، ثم قلع البلاطة التى تحتها[4] ، فوجد فيها اثنين وخمسين أردبا ذهبا مضروبة ، فضرب عمرو رأسه عند باب المسجد . فذكر أن القبط أخرجوا كنوزهم شفقا أن يبغى على أحد منهم فيقتل كما قتل بطرس ، ويقال : بلغ عمراً أن قبطيا من قبط مصر يظهر الروم على عورات المسلمين ويكتب لهم بذلك واستقرّ هذا عنده ، فاستحل به ماله ، واستخرج منه بضعة وخمسين أردبا دنانير .

١٨١و
٢

---

(١) انظر معجم ياقوت فى مادة أجنا حيث يقول إنه سأل عنها فى مصر فلم يجد من يعرف إلا إخنا بالخاء وراجع أيضاً بتلر : فتح العرب لمصر ص ٣٠٢ — ٣٠٤

(٢) لعلها محرفة عن كنوزهم .

(٣) فى ابن عبد الحكم : صحيفة مكتوبا فيها .

(٤) فى ابن عبد الحكم : قلع منها البلاط الذى تحتها .

قال ابن عبد الحكم : وقال آخرون : بل فتحت مصر عنوة بلا عقد ولا عهد وأورد فى فتحها عنوة روايات : منها أن عمرو بن العاص سُمع يقول : قعدت مقعدى هذا وما لأحد من قبط مصر علىَّ عهد ولا عقد إلا أهل أنطابلس [1] ، فان لهم عهداً بوفائه [2] . وقال سفيان بن وهب الخولانى : إنا لما فتحنا مصر بغير عهد قام الزبير بن العوام ، فقال : اقسمها ياعمرو بن العاص ، فقال عمرو : والله لاأقسمها ، فقال الزبير : والله/ لنقسمنها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ، قال عمرو : والله لا أقسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين ، فكتب إليه عمر : أقرها حتى يغزو منها حَبلُ الحَبَلة . وعن زيد بن أسلم قال : كان تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه وبين أحد ممن عاهده فلم يوجد فيه لأهل مصر عهد . قال : وكتب حيان بن شريح [3] إلى عمر بن عبد العزيز يسأله أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم ، فسأل عمر عراك بن مالك ، فقال عراك : ما سمعت لهم بعهد ولا عقد ، وإنما أخذوا عنوة بمنزلة العبيد ، فكتب عمر إلى حيان أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم . وروى أن عمرو بن العاص كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى رهبان يترهبون بمصر فيموت أحدهم وليس له وارث ، فكتب له عمر إن كان منهم من له عقب فادفع ميراثه إلى عقبه ، ومن لم يكن له عقب ، فاجعل ماله فى بيت مال المسلمين ، فان ولاءه/ للمسلمين . وعن ابن شهاب كان فتح مصر بعضها بعهد وذمة ، وبعضها عنوة ، فجعلها عمر بن الخطاب رضى الله عنه جميعاً ذمة ، وحملهم على ذلك ، فمضى ذلك منهم إلى اليوم .

١٨١ظ
٢

١٨٢و
٢

وذكر [4] أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبناءها [5] همَّ أن يسكنها ، وقال : مساكن قد كفيناها ، فكتب إلى عمر بن الخطاب يستأذن فى ذلك ، فسأل عمر الرسول : هل يحول بينى وبين المسلمين ماء ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل ، فكتب عمر إلى عمرو : إنى لا أحب أن تنزل المسلمون منزلا ، يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف ، فتحول عمرو ابن العاص من اسكندرية إلى الفسطاط . وعن يزيد بن أبى حبيب أن عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبى وقاص وهو نازل بمدائن كسرى وإلى عامله بالبصرة وإلى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندرية أن لا تجعلوا بينى وبينكم ماء متى أردت أن أركب إليكم راحلتى حتى أقدم/ عليكم قدمت . فتحول سعد بن أبى وقاص من مدائن كسرى إلى الكوفة ، وتحول صاحب البصرة

١٨٢ظ
٢

(١) أنطابلس هى بنطابولس أو برقة وقيل مدينة فيها . راجع خطط المقريزى (طبعة فييت) ج ١ ص ٥٦
(٢) فى ابن عبد الحكم : يوفى لهم به .
(٣) فى ابن عبد الحكم : سريج .
(٤) يريد ابن عبد الحكم ، أنظر ص ٩١
(٥) زاد ابن عبد الحكم : مفروغا منها .

من المكان الذى كان فيـــه ، فنزل البصرة ، وتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية إلى الفسطاط .

قال : وإنما سميت الفسطاط لأن عمرو بن العاص لما أراد التوجه إلى الاسكندرية لقتال من بها من الروم أمر بنزع فسطاطه ، فاذا فيه يمام قد فرخ ، فقال عمرو : لقد تحرم منا بمتحرم ، فأمر به فأقر كما هو ، وأوصى به صاحب القصر ، فلما قفل المسلمون من الاسكندرية قالوا : أين ننزل ؟ فقالوا : الفسطاط ، لفسطاط عمرو الذى كان خلفه ، وكان مضروبا فى موضع الدار التى تعرف اليوم بدار الحصا عند دار عمرو الصغيرة اليوم . وبنى عمرو المسجد وكان ما حوله حدائق وأعنابا ، فنصبوا الحبال حتى استقام لهم ووضعوا أيديهم ، فلم يزل عمرو قائما حتى وضعوا القبلة ، ووضعها[1] معه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واتخذ فيه منبراً / ، فكتب إليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أما بعد فقد بلغنى أنك اتخذت منبراً ، ترقى به على رقاب المسلمين ، أو ما بحسبك أن تقوم قائما ، والمسلمون تحت عقبيك ؟ ! فعزمت عليك لما كسرته . وكتب عمرو إلى عمر : إنا قد اختططنا لك داراً عند المسجد الجامع ، فكتب إليه عمر : أنى لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر ؟ ! وأمره أن يجعلها سوقا للمسلمين . قال ابن لهيعة : هى دار البركة ، فجعلت سوقا ، فكان يباع فيها الرقيق .

١٨٣ و
٢

قال : وكان من حفظ من الذين شهدوا فتح مصر من الصحابة من تقدم ذكر بعضهم[2] عند ذكر المسجد الجامع . قال : واختط[3] عمرو بن العاص لنفسه فى الموضع الذى فيه دار ابن أبى الرزام ، واختط عبد الله ابنه هذه الدار الكبيرة التى عند المسجد الجامع وهو الذى بناها هذا البناء ، وبنى فيها قصرا على تربيع الكعبة الأولى . واختط حول دار عمرو والمسجد قريش والأنصار وأسلم وغفار وجهينة وغيرهم[4] / قال : وأقر عمر القصر لم يقسمه . واختط الزبير ابن العوام داره التى بسوق وردان اليوم والخطة لبلىّ ، وفيها السلم الذى كان الزبير نصبه وصعد عليه الحصن ، وفيها كان عبد الله بن الزبير ينزل إذا قدم مصر . ووردان هو مولى عمرو بن العاص ، وكان روميا ، وولى بعد ذلك فى أيام معاوية خراج مصر . وكانت[5] المعافر قد نزلت إلى جنب

١٨٣ ظ
٢

---

(١) العبارة فى ابن عبد الحكم : وإن عمرا وأصحاب رسول الله (صلعم) الذين وضعوها .
(٢) ذكر ابن عبد الحكم هنا (ص ٩٣) بعض الصحابة الذين شهدوا الفتح .
(٣) عبارة ابن عبد الحكم : واختط عمرو بن العاص داره التى هى له اليوم عند باب المسجد بينهما الطريق وداره الأخرى اللاصقة إلى جنبها ... ويقال بل اختط عمرو لنفسه فى الموضع الذى فيه دار ابن أبى الرزام .
(٤) فى ابن عبد الحكم : ومن كان فى الراية ممن لم يكن لعشيرته فى الفتح عدد مع عمرو
(٥) انظر ابن عبد الحكم ص ١٢٧

عمرو بن العاص ، فآذاهم البعوضُ ، وكان جرى النيل ، فشكوا ذلك إلى عمرو ، وسألوه أن ينقلهم ، فقال : لا أجد قوما أحمل لى من أصحابى ، فنقل قريشا إلى موضعهم ونقل المعافر إلى موضعها[1] . وقال عمرو لأصحابه : اغتنموا فكأنى أنظر إلى المسجد وما حوله قد صار فيه الناس ورغبوا فيه وإلى موضعهم قد خرب ، فكان كما قال .

وذكر ابن عبد الحكم من خطط القبائل بالفسطاط ما أطال فيه[2] مما هو من غرض كتابه ، وليس من غرض هذا الكتاب . قال : واستحبت همدان / ومن والاها الجيزة ، فكتب عمرو ابن العاص إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعلمه بما صنع الله للمسلمين وما فتح الله عليهم وما فعلوا فى خططهم وما استحبت همدان ومن والاها من النزول بالجيزة ، فكتب إليه عمر يحمد الله على ما كان من ذلك ، ويقول له : كيف رضيت أن تفرق[3] أصحابك ؟ لم يكن ينبغى لك أن ترضى لأحد من أصحابك أن يكون بينك وبينهم بحر ، لاتدرى مايفجؤهم ، فلعلك لاتقدر على غياثهم ، حتى ينزل بهم ما تكره ، فأجمعهم إليك ، فان أبوا عليك وأعجبهم موضعهم فابن عليهم من فىء المسلمين حصنا . فعرض عمرو ذلك عليهم ، فأعجبهم موضعهم بالجيزة[4] ، فبنى لهم الحصن الذى بالجيزة فى سنة إحدى وعشرين ، وفرغ من بنائه فى سنة اثنتين وعشرين .

١٨٤ و
٢

قال[5] : وأصاب الناس بالمدينة جهد شديد فى خلافة عمر بن الخطاب فى سنة الرمادة ، فكتب إلى عمرو بن العاص / وهو بمصر : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص ، سلام ، أما بعد ، فلعمرى ياعمرو ما تبالى إذا شبعت أنت ومن معك أن أهلك أنا ومن معى ، فياغوثاه ثم ياغوثاه ! فكتب إليه عمرو : لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص ، أما بعد فيالبيك ، ثم يا لبيك ! وقد بعثت إليك بعير ، أولها عندك وآخرها عندى ، والسلام عليك ورحمة الله . فبعث إليه بعير عظيمة أولها بالمدينة وآخرها بمصر ، يتبع بعضها بعضا . فلما قدمت على عمر وسع بها على الناس ، ودفع إلى كل أهل بيت بالمدينة وما حولها بعيراً بما عليه من الطعام ، وبعث عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص يقسمونها على الناس ، فدفعوا إلى أهل كل بيت بعيراً بما عليه من الطعام ليأكلوا الطعام وينحروا البعير ويأكلوا لحمه ويتأدموا بشحمه ، ويحتذوا جلده ، وينتفعوا بالوعاء الذى كان

١٨٤ظ
٢

(١) زاد ابن عبد الحكم : التى هى به اليوم .

(٢) راجع ابن عبد الحكم ص ٩٨ — ١٢٩ وابن دقماق : الانتصار ج ٤ ص ٣ — ٥ وخطط المقريزى ج ١ ص ٢٩٧ — ٢٩٨ وسيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ٢٤٤ — ٢٤٦

(٣) فى ابن عبد الحكم : تفرق عنك .

(٤) زاد ابن عبد الحكم : ومن والام على ذلك من رهطهم يافع وغيرها وأحبوا ما هنالك .

(٥) أنظر ابن عبد الحكم ص ١٦٢

١٨٥ و
٢

فيه الطعام لما أرادوا / من لحاف أو غيره ، فوسع الله بذلك على الناس . فلما رأى ذلك عمر حمد الله كثيرا ، وكتب إلى عمرو بن العاص أن يقدم عليه هو وجماعة من أهل مصر ، فقدموا عليه ، فقال عمر : يا عمرو إن الله قد فتح على المسلمين مصر وهى كثيرة الخير والطعام ، وقد أُلقى فى روعى لما أحببت من الرفق بأهل الحرمين والتوسعة عليهم ، حين فتح الله عليهم مصر ، وجعلها قوة لهم ولجميع المسلمين ، أن أحفر خليجاً من نيلها حتى يسيل فى البحر ، فهو أسهل لما نريد من حمل الطعام إلى المدينة ومكة ، فان حمله على الظهر يبعد ، ولا نبلغ منه ما نريد ، فانطلق أنت وأصحابك ، فتشاوروا فى ذلك ، حتى يعتدل فيه رأيكم .

فانطلق عمرو ، فأخبر من كان معه من أهل مصر ، فثقل ذلك عليهم ، وقالوا : نتخوف أن يدخل فى هذا ضرر على مصر ، فنرى أن تعظم ذلك على أمير المؤمنين ، وتقول إن هذا الأمر لا يعتدل ، ولا يكون ، ولا نجد اليه سبيلا ، فرجع عمرو بذلك إلى عمر / فضحك عمر حين رآه ، وقال : والذى نفسى بيده لكأنى أنظر إليك يا عمرو وإلى أصحابك حين أخبرتهم بما أمرنا من حفر الخليج ، فثقل عليهم ، فقالوا : يدخل فى هذا ضرر على أهل مصر ، فنرى أن تعظم ذلك على أمير المؤمنين وتقول له : إن هذا الأمر لا يعتدل ولا يكون ولا نجد إليه سبيلا . فعجب عمرو من قول عمر وقال : صدقت والله يا أمير المؤمنين . لقد كان الأمر على ما ذكرت ، فقال له عمر : إنطلق يا عمرو بعزيمة منى ، حتى تجدَّ فى ذلك ، ولا يأتى عليك الحول ، حتى تفرغ منه إن شاء الله . فانصرف عمرو فجمع لذلك من الفعلة ما بلغ منه ما أراد ، ثم احتفر الخليج الذى فى حاشية الفسطاط الذى يقال له خليج أمير المؤمنين ، فساقه من النيل إلى القلزم ، فلم يأت الحول حتى جرت فيه السفن ، فحمل فيه ما أراد من الطعام إلى المدينة ومكة ، فنفع الله بذلك أهل الحرمين وسمى خليج أمير المؤمنين . ثم لم يزل يحمل فيه الطعام حتى حمل فيه بعد عمر / ابن عبد العزيز ، ثم ضيعته الولاة بعد ذلك ، فترك وغلب عليه الرمل وانقطع ، فصار منتهاه إلى ذنب التمساح من ناحية القلزم[١] .

١٨٥ظ
٢

١٨٦ و
٢

قال : ويقال إن عمرو بن العاص قال لعمر بن الخطاب حين قال له عمرو إن العرب قد تشاءمت بى وكادت تهلك على رجلى ، وقد عرفت الذى أصابها ، وليس جند عن الأجناد أرجى عندى أن يغيث الله بهم أهل الحجاز من جندك ، فان استطعت أن تحتال لهم حيلة ، حتى يغيثهم الله ، فقال عمرو : [٢] قد عرفت أن كانت تأتينا سفن فيها تجار من أهل

(١) فى ابن عبد الحكم : طحا القلزم .
(٢) زاد ابن عبد الحكم : ماشئت ياأمير المؤمنين .

مصر قبل الاسلام ، فلما فتحنا مصر انقطع ذلك الخليج واستد[1] ، وإن شئت أن نحفره ، فتأتى[2] فيه السفن بالطعام إلى الحجاز فعلت ، فقال له عمر : نعم فافعل . فلما خرج عمرو من عند عمر ذكر ذلك لرؤساء أهل أرضه من قبط مصر ، فقالوا له : ماذا جئت به ، أصلحك الله ! تنطلق فتخرج طعام أرضك وخصبها إلى الحجاز وتخرب هذه ! فان/ استطعت فاستقل من ذلك ، فلما ودع عمر بن الخطاب قال له : ياعمرو انطلق إلى ذلك الخليج ، فلا تنسين حفره ، فقال له : يا أمير المؤمنين إنه قد انسد ، وتدخل فيه نفقات عظام ، فقال له : ياعمر ، أما والذى نفسى بيده إنى لأظنك حين خرجت من عندى حدثت بذلك أهل أرضك ، فعظموه عليك ، وكرهوا ذلك ! أعزم عليك إلا ما حفرته ، وجعلت فيه سفنا ، فقال له عمرو : يا أمير المؤمنين إنه متى ما يجد أهل الحجاز طعام مصر وخصبها مع صحة الحجاز لا يخفوا إلى الجهاد ، قال فانى سأجعل من ذلك أمراً : لا يحمل فى هذا البحر إلا رزق أهل المدينة وأهل مكة . فحفره عمرو ، وعالجه ، وجعل فيه السفن .

٨٦ ظ
٢

وقيل إن رجلا أتى إلى عمرو بن العاص من قبط مصر ، فقال : أرأيت إن دللتك على مكان تجرى فيه السفن حتى تنتهى إلى مكة والمدينة تضع عنى الجزية وعن أهل بيتى ؟ قال : نعم ، فكتب إلى عمر ، فكتب إليه أن افعل . فلما قدمت السفن إلى الحجاز خرج عمر حاجا أو معتمرا ، فقال/ للناس : سيروا بنا ننظر إلى السفن التى سيرها الله إلينا من أرض فرعون ، حتى أتتنا .

١٨٧ و
٢

قال[3] : وأتى رجل من أهل مصر إلى عمر بن الخطاب ، فقال : يا أمير المؤمنين عائذ بك من الظلم ! قال : عذت بمعاذ[4] قال : سابقت ابن عمرو بن العاص ، فسبقته ، فجعل يضربنى بالسوط ، ويقول : أنا ابن الأكرمين ، فكتب عمر إلى عمرو : يأمره بالقدوم عليه ، ويقدم[5] ابنه معه ، فقدم ، فقال عمر : أين المصرى ؟ خذ السوط ، فاضرب ، فجعل يضربه بالسوط ، وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين[6] ، ثم قال عمر للمصرى : ضع على صلعة عمرو ، فقال : يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذى ضربنى وقد اشتفيت منه ، فقال عمر لعمرو : مذكم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ! قال : يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتنى .

---

(١) زاد ابن عبد الحكم : وتركته التجار .
(٢) فى ابن عبد الحكم : فننشىء فيه سفنا يحمل فيه الطعام إلى الحجاز فعلته .
(٣) أنظر ابن عبد الحكم ص ١٦٧
(٤) فى ابن عبد الحكم : معاذاً .
(٥) فى ابن عبد الحكم : بابنه .
(٦) فى ابن عبد الحكم : الألميين .

قال[1] : ولما تم للمسلمين الفتح بمصر بعث عمرو جرائد الخيل الى القرى ، فأقام[2] المسلمون سنة لم يعلموا بمكان الفيوم ، حتى أتاهم رجل ، فذكرها لهم فأرسل عمرو معه ربيعة بن حبيش[3] الصدفى / فلما سلكوا فى المجابة ، لم يروا شيئاً ، فهموا بالانصراف ، فقالوا : لا تعجلوا ، سيروا ، فان كان كذب فما أقدركم على ما أردتم ، فلم يسيروا إلا قليلا ، حتى طلع لهم سواد الفيوم ، فهجموا عليها ، فلم يكن عندهم قتال ، وألقوا بأيديهم .

١٨٧ظ
٢

وبعث عمرو نافع بن عبد القيس الفهرى ، وكان نافع أخا العاص بن وائل لأمه ، فدخلت خيولهم أرض النوبة صوائف كصوائف الروم ، فلم يزل الأمر كذلك حتى عزل عمرو ابن العاص عن مصر ، وأمر عبد الله بن سعد بن أبى سرح فصالحهم .

قال[4] : وكان البربر بفلسطين ، وكان ملكهم جالوت ، فلما قاتله داود عليه السلام فقتله ، خرج البربر متوجهين إلى المغرب ، حتى انتهوا إلى لوبية ومراقية[5] ، وهما كورتان من كور مصر الغربية مما يشرب من ماء السماء ، ولا يناله النيل ، فتفرقوا هنالك ، فتقدمت زناتة ومغيلة[6] إلى المغرب وسكنوا الجبال ، وتقدمت لواتة ، فسكنت أرض أنطابلس وهى بُرقة ، وتفرقت[7] وانتشرت[8] حتى بلغوا السوس / ونزلت هوّارة مدينة لِبْدَة[9] ، ونزلت نفوسة إلى مدينة سبرة[10] ، وجلا من كان بها من الروم من أجل ذلك ، فسار عمرو بن العاص فى الخيل حتى قدم برقة ، فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية ، على أن يبيعوا من أحبوا من أبنائهم فى جزيتهم . وعن أبى العالية الحضرمى قال : سمعت عمرو بن العاص على المنبر يقول لأهل أنطابلس

١٨٨و
٢

---

(١) ابن عبد الحكم ص ١٦٩

(٢) عبارة ابن عبد الحكم : فأقامت الفيوم سنة لم يعلم المسلمون بمكانها .

(٣) زاد ابن عبد الحكم : ابن عرفطة .

(٤) ابن عبد الحكم ص ١٧٠

(٥) فى ياقوت : إذا قصد القاصد من الاسكندرية إلى إفريقيا فأول بلد يلقاه مراقية ثم لوبية . أنظر بتلر : فتح العرب لمصر ص ٩ — ١١ وما أشار اليه من المراجع القديمة .

(٦) من قبائل البربر وكذلك لواتة وهوارة ونفوسة .

(٧) زاد ابن عبد الحكم : فى هذا المغرب .

(٨) فى ابن عبد الحكم : وانتشروا فيه .

(٩) فى معجم ياقوت : مدينة بين برقة وإفريقية ، وقيل بين طرابلس وجبل نفوسة . انظر خريطة الامبراطورية العباسية فى أول كتاب الولاة والقضاة للكندى (طبعة جست) .

(١٠) فى ابن عبد الحكم : سيرت ، وكذلك فى معجم ياقوت وقال إنه وجدها مضبوطة هكذا فى ابن عبد الحكم ، وقال : إنها مدينة طرابلس وسوقها القديم . واسمها باللاتينية (Sabrata) وترسمها معظم المراجع صبرة بالصاد : انظر بتلر : فتح العرب لمصر ص ٣٧٣ — ٣٧٤

عهد يوفى لهم قال : ولم يكن يومئذ يدخل برقة جابى خراج ، إنما كانوا يبعثون بالجزية إذا جاء وقتها .

ووجه عمرو بن العاص عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة [١] ، وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين [٢] . ثم قال : سار عمرو بن العاص حتى نزل أطرابلس فى سنة ثلاث وعشرين [٣] ، فحاصرها شهراً ، لا يقدر منهم على شيء إلى أن وجد فرصة من جهة البحر ، فدخلها عليهم ، وغنم ما كان فى المدينة ، فكتب عمرو إلى عمر : إن الله عز وجل قد فتح علينا أطرابلس وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام ، فان رأى أمير المؤمنين / أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل ، فكتب إليه عمر : ألا إنها ليست بافريقية ، ولكنها المفرقة ، غادرة مغدور بها ، لا يغزوها أحد ما بقيت . قال : فأتى عمرو بن العاص كتاب المقوقس يذكر له فيه أن الروم يريدون نكث العهد ونقض ما كان بينهم وبينه ، وكان عمرو قد عاهد المقوقس أن لا يكتمه أمراً يحدث ، فانصرف عمرو راجعاً مبادراً لما أتاه . وقد كان عمرو يبعث الجريدة من الخيل ، فيصيبون الغنائم ، ثم يرجعون .

١٨٨ ظ
٢

وتوفى عمر رحمة الله عليه ، ومصر على أميرين : عمرو بن العاص بأسفل الأرض ، وعبد الله ابن أبى سرح على الصعيد . ولما ولى عثمان الخلافة طمع عمرو [٤] أن يعزل له عبد الله ابن أبى سرح عن الصعيد ، فوفد إليه ، وكلمه فى ذلك ، فقال له عثمان : ولاه عمر بن الخطاب الصعيد ، وليس بينه وبينه حرمة ولا خاصة ، وقد علمت أنه أخى من الرضاعة ، فكيف أعزله عما ولاه غيرى ؟! قيل وقال / له : إنك فى غفلة عما كانت تصنع بى أمه ، إن كانت لتخبأ لى العُراق من اللحم فى رُدنها ، حتى آتى ، فغضب عمرو ، وقال : لست راجعاً إلا على ذلك . فكتب عثمان إلى عبد الله ابن أبى سرح يؤمره على مصر كلها ، فجاء الكتاب وهو بالفيوم ، فجعل لأهل المراكب جعلا على أن يصبحوا به الفسطاط ، فقدموا به الفسطاط قبل الصبح ، فأرسل إلى المؤذن ، فأقام الصلاة حين طلع الفجر وعبد الله بن عمرو بن العاص ينتظر المؤذن يدعوه إلى الصلاة لأنه خليفة أبيه ، فاستنكر الاقامة ، فقيل له : صلى عبدالله ابن أبى سرح بالناس . وآل عبدالله ابن أبى سرح يزعمون

١٨٩ و
٢

---

(١) المقصود من هنا زويلة السودان . أنظر اليعقوبى : البلدان ص ٣٤٥ وراجع عن زويلة السودان وزويلة المهدية مادة زويلة فى معجم البلدان لياقوت .

(٢) أنظر البكرى : وصف أفريقية ص ١٠ وابن عذارى : البيان المغرب ج ١ ص ٢ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٢٤ — ١٢٥

(٣) فى ابن عبد الحكم روايتان : إحداهما تجعل الغزو سنة ٢٢ والثانية تجعله سنة ٢٣ وبها أخذ ابن سعيد . وقد زاد هنا فنزل على القبة التى على الشرف من شرقيها .

(٤) زاد ابن عبد الحكم هنا لما رأى من عثمان .

أن عبدالله ابن أبى سرح أقبل من غربى المسجد بين يديه شمعة ، وأقبل عبد الله بن عمرو من نحو داره بين يديه شمعة ، فالتقت الشمعتان عند القبلة . وأقبل عبد الله بن عمرو حتى وقف على عبد الله ابن أبى سرح ، فقال : هذا بغيك ودسك ! فقال عبد الله / ابن أبى سرح : ما فعلت ، وقد كنت أنت وأبوك تحسدانى على الصعيد ، فتعال ، حتى أوليك الصعيد وأولى أباك أسفل الأرض ، ولا أحسدكما عليه ! فلبث عليها عبد الله ابن أبى سرح أميراً محموداً ، وغزا فيها ثلاث غزوات كلهن لهن شأن : إفريقية والأساود [1] وذات الصوارى [2] .

١٨٩ ظ
٢

وقد كانت الاسكندرية انتقضت وجاءت الروم [3] فى المراكب حتى أرسوا بالاسكندرية فأجابهم من بها من الروم ، ولم يكن المقوقس تحرَّك ولا نكث . وقد كان عثمان بن عفان عزل عمرو بن العاص وولى عبد الله ابن أبى سرح ، فلما نزلت الروم بالاسكندرية سأل أهل مصر عثمان أن يقر عمراً ، حتى يفرغ من قتال الروم ، فان له معرفة بالحرب وهيبة فى العدو ، ففعل ، وكان على الاسكندرية سورها ، فحلف عمرو لئن أظفره الله عليهم ليهدمن سورها ، حتى تكون مثل بيت الزانية تؤتى من كل مكان ، فخرج إليهم عمرو فى البحر والبر ، وضَوى [4] / إلى المقوقس من أطاعه من القبط ، فأما الروم فلم يطعه منهم أحد ، فقال خارجة بن حذافة لعمرو : ناهضهم قبل أن يكثر مددهم ، ولا آمن أن تنتقض مصر كلها ، فقال عمرو : لا ولكن أدعهم حتى يسيروا إلىَّ ، فانهم يصيبون من مروا به ، فيخزى الله بعضهم ببعض . فخرجوا من الاسكندرية ومعهم من نقض من أهل القرى ، فجعلوا ينزلون القرية ، فيشربون خمورها [5] ، ويأكلون أطعمتها ، وينتهبون ما مروا به . فلم يعرض لهم عمرو حتى بلغوا نقيوس [6] ، فلقوهم فى البر والبحر ، فبدأت الروم والقبط ، فرموا بالنشاب فى الماء رمياً شديداً ، حتى أصابت النشاب يومئذ فرس عمرو فى لبته وهو فى البر ، فعقر ، فنزل عنه عمرو ، ثم خرجوا من البحر ، فاجتمعوا هم والذين فى البر ، فنضحوا المسلمين بالنشّاب ، فاستأخر المسلمون عنهم شيئاً ، وحملوا على المسلمين حملة ، ولى المسلمون منها [7] ، وكانت الروم قد جعلت صفوفا خلف صفوف وبرز يومئذ بطريق ممن جاء من / أرض الروم على فرس عليه

١٩٠ و
٢

١٩٠ ظ
٢

(١) أنظر عن الاساود فى النوبة وعن غزوتهم : كتاب الولاة والقضاة للكندى ص ١٢

(٢) فى ابن عبد الحكم : ويوم ذى الصوارى .

(٣) زاد ابن عبد الحكم : عليهم منويل الخصى .

(٤) ضوى : لجأ وانضم .

(٥) فى الأصل : خمراً ، والتصحيح عن ابن عبد الحكم .

(٦) اقرأ عن موقع نقيوس فى مصر السفلى بتلر : فتح العرب لمصر ص ١٥ — ١٦

(٧) زاد ابن عبد الحكم : وانهزم شريك بن سمى فى خيله .

سلاح مذهب ، فدعا إلى البراز ، فبرز إليه رجل من زبيد يقال له حومل [١] ، فاقتتلا طويلا برمحين يتطاردان ، ثم ألقى البطريق الرمح ، وأخذ السيف ، وألقى حومل رمحه وأخذ سيفه ، وكان يعرف بالنجدة ، وجعل عمرو يصيح بحومل : أبا مذحج ! فيجيبه : لبيك ! والناس على شاطىء النيل فى البر على تعبئتهم وصفوفهم ، فتجاولا ساعة بالسيفين ، ثم حمل عليه البطريق ، فاحتمله ، وكان نحيفاً ، فاخترط حومل خنجراً كان فى منطقته أو فى ذراعه فضرب به نحر العلج أو ترقوته ، فأثبته ووقع عليه ، فأخذ سلبه . ثم مات حومل بعد ذلك بأيام رحمة الله عليه ، فرؤى عمرو يحمل سريره ، بين عمودى نعشه ، حتى دفنه بالمقطم . ثم شد المسلمون عليهم ، فكانت هزيمتهم ، فطلبهم المسلمون حتى ألحقوهم بالاسكندرية ، ففتح الله عليهم ، وقتل أمير الروم [٢] .

١٩١ و
٢

وأمعن عمرو بن العاص فى قتلهم / بالاسكندرية ، فكلم فى ذلك ، فأمر برفع السيف [٣] ، وبنى فى ذلك الموضع الذى رفع فيه السيف مسجداً ، وهو المسجد الذى بالاسكندرية المعروف بمسجد الرحمة ، وإنما سمى بذلك لرفع عمرو السيف هنالك [٤] . وهدم سورها كله . وجمع عمرو ما أصاب منهم ، فجاءه أهل القرى ممن لم يكن نقض ، فقالوا : قد كنا على صلحنا ، وقدم علينا هؤلاء اللصوص ، فأخذوا متاعنا ودوابنا وهو قائم فى يديك . فرد عمرو عليهم ما كان لهم من متاع عرفوه وأقاموا عليه البينة .

وكان سبب نقض الاسكندرية هذا أن صاحب أخنا [٥] قدم على عمرو بن العاص ، فقال : أخبرنا ما على أحدنا من الجزية فنصير لها ، فقال عمرو وهو يشير إلى ركن كنيسة : لو أعطيتنى من الركن إلى السقف ما أخبرتك ، إنما أنتم خزانة لنا ، إن كثر علينا كثرنا عليكم ، وإن خفف عنا خففنا عنكم ، فغضب [٦] وخرج إلى الروم / فقدم بهم . فهزمهم الله ، وأسر القبطى [٧] المذكور . فأتى به إلى عمرو ، فقيل له : اقتله ، فقال : لا ، بل انطلق فجئنا بجيش آخر . وقيل له : لو أتيت ملك الروم ؟ فقال : لو أتيته قتلنى وقال قتلت أصحابى .

١٩١ ظ
٢

قال : عاش عمر بن الخطاب بعد فتح مصر ثلاث سنين ، فقدم عليه فيها عمرو مرتين وفى المرة الثانية استخلف ابنه عبد الله بن عمرو . وعن يزيد بن أبى حبيب أن عمرو بن العاص

---

(١) زاد ابن عبد الحكم : يكنى أبا مذحج .
(٢) زاد ابن عبد الحكم : منويل الخصى .
(٣) زاد ابن عبد الحكم : عنهم .
(٤) انظر بتلر : فتح العرب لمصر ص ٤٠٦ — ٤١٣
(٥) فى ابن عبد الحكم : إخنا .
(٦) زاد ابن عبد الحكم : صاحب إخنا .
(٧) فى ابن عبد الحكم : النبطى .

دخل على عمر بن الخطاب وهو على مائدته جاثيا على ركبتيه وأصحابه كلهم على تلك الحال ، وليس فى الجفنة فضل لأحد يجلس ، فسلم عمرو على عمر فرد عليه السلام فقال : عمرو بن العاص ! قال : نعم ، فأدخل عمر يده فى الثريد ، فملأها ثريدا ، ثم ناولها عمرو بن العاص ، فقال خذ هذا ، فجلس عمرو ، وجعل الثريد فى يده اليسرى ، ويأكل باليمين ، ووفد أهل مصر ينظرون إليه ، فلما خرجوا قال الوفد لعمرو/ : أى شىء صنعت! ؟ فقال عمرو: إنه والله لقد علم أنى بما قدمت به من مصر لغني عن الثريد الذى ناولنى ، ولكنه أراد أن يختبرنى ، فلو لم أقبلها للقيت منه شرا .

١٩٢ و
٢

وقال : دخل عمرو بن العاص على عمر بن الخطاب وقد صبغ رأسه ولحيته بسواد ، فقال عمر : من أنت ؟ فقال . أنا عمرو بن العاص ، قال عمر : عهدى بك شيخا وأنت اليوم شاب ، قد عزمت عليك إلا ما خرجت ، فغسلت هذا !

وقال : قدم عمرو بن العاص من مصر مرة على عمر ، فوافاه على المنبر يوم الجمعة ، فقال : هذا عمرو بن العاص قد أتاكم ، ما ينبغى لعمرو أن يمشى على الأرض إلا أميرا ، وقال عمرو : ما كنت بشىء أتجرَ مني بالحرب .

ولما حضرته الوفاة دمعت عيناه ، فقال عبد الله بن عمرو : يا أبا عبد الله أجزع من الموت يحملك على هذا ؟ قال : لا ولكن ما بعد الموت ، فذكر له مواطنه التى كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والفتوح التى / كانت بالشام ، فلما فرغ عبد الله من ذلك ، قال : كنت على أطباق ثلاثة لو مت على بعضهن علمت مايقول الناس : بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فكنت أكره الناس لما جاء به أتمنى لو أنى قتلته ، فلو مت على ذلك لقال الناس مات عمرو مشركا عدواً لله ولرسوله ، من أهل النار ، ثم قذف الله الإسلام فى قلبى ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبسط إلىّ يده ، ليبايعنى ، فقبضت يدى ، ثم قلت : أبايعك على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى ، وأنا أظن أنى حينئذ لا أحدث فى الإسلام ذنباً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو إن الإسلام يجبّ ما قبله من خطيئة ، وإن الهجرة تجبّ ما بينها وبين الاسلام ، فلو مت على هذا الطبق لقال الناس : أسلم عمرو ، وجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نرجو لعمرو خيراً[1] عند الله ، ثم أصبت إمارات وكانت فتن ، وأنا مشفق من هذا الطبق ، فاذا / أخرجتمونى فأسرعوا بى ، ولا تتبعنى مادحة ولانار ، وشدوا علىّ إزارى فانى مخاصم ، وسنوا علىّ التراب سناً ، فان يمينى ليست بأحق بالتراب من يسارى ، ولا تدخلن القبر خشبة ولا طوبة ، ثم إذا أقبرتمونى فامكثوا عندى قدر

١٩٢ ظ
٢

١٩٣ و
٢

---

(١) زاد ابن عبد الحكم : كثيراً .

نحر جزور وتقطيعها استأنس بكم . وقال عمرو : فوالله إن كنت لأشد الناس حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ملأت عيني منه ، ولا راجعته بما أريد ، حتى لحق بالله تعالى ، حياءً منه .

وقيل : إنه لما حضرته الوفاة دمعت[1] عيناه ، فبكى ، فقال له ابنه عبد الله : يا أبت ما كنت أخشى أن ينزل بك أمر من أمر الله إلا صبرت عليه ، قال له يا بني إنه نزل بأبيك خلال ثلاث : أما أولاهن فانقطاع عمله ، وأما الثانية فهول المطلع ، وأما الثالثة ففراق الأحبة ، وهي أيسرهن ، اللهم أمرت فتوانيت ، ونهيت فعصيت ، اللهم من شيمتك[2] العفو والتجاوز .

١٩٣ ظ
٢

ولما تقدم عبد الله بن عمرو ليصلي على أبيه قال : والله / ما أحب أن لي بأبي أبا رجل من العرب ، وما أحب أن الله يعلم أن عيني دمعت عليه جزعاً وأن لي حمر النعم ، ثم كبر ودفن بالمقطم من ناحية الفج ، وكان طريق الناس يومئذ إلى الحجاز ، فأحب أن يدعو له من مر به ، وقال عبد الله بن الزبير في موته :

ألم تر أن الدهر أخفت صروفه[3] … على عمرو السهمي تجبى له مصر

فأضحى نبيذاً بالعراء وضلت … مكائده عنه وأمواله الدثر

ولم يغن عنه جمعه واحتياله … ولا كيده لما[4] أتيح له الدهر

قال[5] ابن عبد الحكم : عمرو بن العاص أول أمير أمر على أهل مصر في الاسلام ، ولهم عنه أكثر من عشرين حديثاً ، منها مارواه حبيب بن أوس الثقفي أن عمرو بن العاص حدثه قال : لما انصرفنا من الخندق جمعت نفراً من قريش بيني وبينهم خاصة ، فقلت لهم : تعلمون[6] والله أني أرى أمر محمد يعلو ماخالفه من الأمور علوا منكراً فهل لكم في رأي قد رأيته ، قالوا : وما هو ؟ قال : قلت : نلحق بالنجاشي فنكون / عنده ، حتى ينقضي مابيننا وبين محمد ، فان ظفرت قريش رجعنا إليهم ، وإن ظهر[7] محمد أقمنا عنده ، فلأن أكون تحت يد[8] النجاشي أحب إلى من أن أكون تحت يد[9] محمد ، قالوا : أصبت ، قال : فقلت : اجمعوا له أدما فانه أحب مايهدى

١٩٤ و
٢

(١) في ابن عبد الحكم : ذرفت .
(٢) في ابن عبد الحكم : شيمك .
(٣) في ابن عبد الحكم : ريوبه .
(٤) في ابن عبد الحكم : حق .
(٥) أنظر ابن عبد الحكم : ص ٢٤٨
(٦) في ابن عبد الحكم : تعلموا .
(٧) في ابن عبد الحكم : ظفر .
(٨) في ابن عبد الحكم : يدي .
(٩) في ابن عبد الحكم : يدي .

إليه من بلادنا ، قال : ففعلنا ثم خرجنا ، فبينا نحن قد دنونا منه إذ نظرت إلى عمرو بن أمية قد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى ، قال : فقلت : هذا والله عمرو بن أمية قد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى ، ولو قدمت بهداياى إلى النجاشى ، ثم سألته إياه أعطانيه ، فقتلته ، فرأت قريش أنى قد اجترأت حين أقتل رسول محمد ، قال : فلما دخل عليه عمرو بن أمية ، وفرغ من حاجته دخلت إليه [(١)] ، فحييته بما كنا نحييه ، فقال النجاشى : مرحباً ! ما أهديت إلىّ ياصديقى ؟ قال : قلت : أيها الملك قد أهديت إليك هدايا ، قال : ثم قدمت إليه هداياى ، فقبلها ، ولهجت بما قال لى ، قال : فقلت له : أيها الملك إنى / قد رأيت ببابك رسول محمد وهو [(٢)] عدو ، أعطينيه أضرب عنقه ، فانه رسول رجل هو عدو لنا ، قال : فمد يده ثم غضب وضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، قال : فوددت لو أنى انشقت لى الأرض ، فدخلت فيها فرقاً منه ، ثم قال : تسألنى رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى أعطيكه لتقتله !! قال : قلت : أيها الملك ، وإن ذلك لكذلك من أنه يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى ! ؟ قال : نعم والذى نفس النجاشى بيده ويحك ياعمرو فأطعنى واتبعه ، والذى نفسى بيده ليظهرن هو ومن تبعه [(٣)] على من سواهم كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، قال : قلت : أفتبايعنى له على الاسلام ؟ قال : نعم ، قال : فبسط يده ، فبايعنى له ، فخرجت على أصحابى ، وقد حال رأيى عما كان عليه منهم ، قال : فانطلقت تهوى بى راحلتى حتى لقيت خالد بن الوليد ، قال : قلت : أين يا أبا سليمان ؟ قال : أريد والله أن أذهب فأسلم ، فقد والله / استقام الشأن واستبان الميسم ، قال : فقلت : وأنا والله . قال : فانطلقنا حتى جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلنا عليه المسجد ، فتقدم خالد ، فبايعه ، ثم تقدمت ، فبايعت ، فقلت : يارسول الله أبايعك على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى ، ولم أذكر ما تأخر ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بايع ياعمرو فان الإسلام يجبّ ما كان قبله وإن الهجرة تجبّ ما كان قبلها .

١٩٤ ظ
٢

١٩٥ و
٢

قال : وكانت وفاة عمرو يوم عيد الفطر سنة ثلاث وأربعين وصلى عليه عبد الله ابنه ودفن بالمقطم . قال : قُبر فى المقطم ممن عُرف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة نفر : عمرو بن العاص السهمى وعبد الله بن الحارث بن جزء الزبَيدى وعبد الله بن حُذافة السهمى وأبو نضرة [(٤)] الغفارى وعقبة بن عامر الجهنى .

---

(١) فى ابن عبد الحكم : عليه .
(٢) زاد ابن عبد الحكم : لنا .
(٣) فى ابن عبد الحكم : اتبعه .
(٤) فى ابن عبد الحكم : أبو بصرة .

ومن كتاب الأمثال النبوية للعسكرى [1] : أن عمرو بن العاص يوم تحكيم الحكمين قال لمعاوية/ وأصحابه : أكثروا لأصحاب على من الطعام فانه والله مابطن قوم إلا فقدوا بعض عقولهم وما مضت عزيمة رجل قط كان بطينا ، فلما وجد ما قال صحيحاً قال معاوية : البطنة تذهب الفطنة .

١٩٥ ظ
٢

ومن كتاب التجارب [2] لابن مسكويه : أن أول انحلال فى أمر عثمان بن عفان رضى الله عنه أن كان قوم يشيعون ذلك شبيه السر ، إلى أن شرب الوليد بن عقبة وحده عثمان على ماشهر ، وولى سعيد بن العاص مكانه على الكوفة ، ثم لم يرضوه ، وطلبوا أبا موسى الأشعرى ، فقدمه عليهم ، ثم أحضر عثمان معاوية وعبد الله بن سعد ابن أبى سرح وسعيد بن العاص وعمرو ابن العاص وأمثالهم من ثقاته ، واستشارهم ، فقال عبد الله بن عامر : أرى لك يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك وأن تجمرهم [3] فى المغازى ، حتى يذلوا بذلك ، فلا يكون هم أحدهم إلا نفسه وما هو فيه من علف دابته وقمل فروته . ثم أشار كل بما رآه ، واستشار/ عمرا ، فقال : أرى أنك قد ركبت الناس بما يكرهون ، فاعتزم أن تعتزل [4] ، فان أبيت فامض قدماً ، فقال له عثمان : أهذا الجد منك ؟ فسكت عنه عمرو حتى إذا تفرق القوم قال عمرو : لا والله يا أمير المؤمنين لأنت أعز على من ذلك ، ولكن قد علمت أن الناس قد علموا أنك جمعتنا لتستشيرنا وستبلغهم أقوالنا ، فأردت أن يبلغهم قولى فيثقوا بى ، فأقود لك خيراً وأدفع عنك شراً .

١٩٦ و
٢

ومن كتاب واجب الأدب [5] : ولما ولى على بن أبى طالب الخلافة انزوى عمرو ابن العاص إلى معاوية ، وكان منه فى إظهار الطلب بثأر عثمان ما هو مشهور فى كتب التاريخ . وتلخيص ذلك أنه لما وصل النعمان بن بشير الأنصارى بقميص عثمان الذى قتل فيه مخضباً بالدم وبأصابع زوجته التى قطعت حين أكبت عليه ، ودافعت عنه ، أشار على معاوية أن يشهر ذلك لعامة الناس على المنبر ، وقال له : حرك لها حوارها تحن ، فلما أبداه لهم ، وتكلم عليه/ فى شأن قتل عثمان بما حرك القلوب لطلب ثأر عثمان والانتصار له وتركها على أحر من الجمر ، آلى رجال من أهل الشام أن لا يأتوا النساء ولا يمسهم الماء للغسل إلا من الاحتلام ، ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان ومن عرض دونهم ، حتى تفنى أرواحهم . ولما أكثر معاوية

١٩٦ ظ
٢

---

(١) هو أبو هلال المتوفى فى سنة ٣٩٦ هـ ، ولم نقف على كتابه هذا .
(٢) أنظر التجارب ج ١ ص ٤٧٣ وما بعدها . وابن سعيد هنا يلخص ولا يلتزم اللفظ .
(٣) التجمير : حبس الجيش فى أرض العدو بحيث لا يرجع أحد منه إلى بلده .
(٤) زاد فى ابن مسكويه : فانك قد وليت الناس بنى أمية وحملتهم على رقابهم فاعتزل .
(٥) هذا الكتاب لوالد المؤلف : موسى بن سعيد أحد مؤلفى كتاب « المغرب » الستة . أنظر النفح للمقرى ج ٢ ص ١٢٤

من إبداء القميص للناس ، قال له عمرو : إنه ليس بقميص يوسف ، فلا تكثر من إظهاره للناس ، فتخلقه العيون ويبرد شأنه ، وكان منه فى أمر التحكيم ماهو مشهور .

قال ابن مسكويه فى كتاب التجارب [1] : إن علياً رضى الله عنه نادى معاوية فى بعض أيام صفين : يامعاوية لِمَ يُقتل الناس بيننا ، هلم أحاكمك إلى الله فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور؟ فقال له عمرو : أنصفك الرجل ، فقال له معاوية : ما أنصف ، وإنك لتعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلا قتله ، فقال عمرو : مايجمل بك أن لاتبارزه ! قال : طمعت فيها بعدى .

١٩٧ و
٢

ومن واجب الأدب : ولما أعاد/ عمرو على معاوية إشارته عليه بالمبارزة لعلى حلف معاوية ليبارزه عمرو ، فخرج عمرو لمبارزة على ، فلما نظر إلى المنية قد أطلت عليه من سنانه كشف عورته ، وقال : عورة المؤمن حمى ، فرد على عنه بصره ، وسلِمَ عمرو بهذه المكيدة ، وإلى ذلك أشار أبو فراس الحمدانى فى قوله :

ولاخير فى دفع الردى بمذلة كما ردها يوما بسوءته عمرو

ولما اشتد الخطب فى حرب صفين ، وظهر أصحاب علىّ على أصحاب معاوية وكاد صبح الظفر يتبلج لأهل الحجاز على أهل الشام رأى عمرو بن العاص مكيدة رفع المصاحف على رؤوس الرماح ورأى أنها سبب لاختلاف القوم وافتراقهم فرفعوها ، وقالوا : هذا كتاب الله بيننا وبينكم ، من لثغور الشام بعد أهل الشام ؟ من لثغور العراق بعد أهل العراق ؟ فرقت قلوب الناس ، وقد كان منهم النصب والملال ، فقالوا : نجيب إلى كتاب/ الله ، وآل ذلك إلى أن اتفقوا على تحكيم الحكمين بين على ومعاوية ، فاختار أهل الشام عمرو بن العاص ، واختار الأشعث والأقوام الذين صاروا خوارج بعد ذلك من أصحاب على أبا موسى الأشعرى ، ثم كتبوا : هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين على ، فقال عمرو : اكتبوا اسمه واسم أبيه ، هو أميركم ، فأما أميرنا فلا ! فقال الأحنف : لا تمح اسم إمارة المؤمنين ، فانى أتخوف إن محوتها أن لا ترجع إليك ، لا تمحها وإن قتل الناس بعضهم بعضا ، فأبى على ملياً من النهار ، ثم إن الأشعث قال : امح هذا الاسم ترحه الله ، فمحى ، فقال على : الله أكبر ، سُنة بسنة ، ومثل بمثل ، والله إنى لكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية إذ قالوا : لانشهد أنك رسول الله فامح هذا واكتب اسمك واسم أبيك ، فكتبه ، فقال عمرو : سبحان الله نشبه بالكفار ونحن مؤمنون ! فقال له على : يابن النابغة ومتى لم تكن للمؤمنين عدوا ؟ فقام وقال : /لا يجمع بينى وبينك مجلس أبدا ، فقال على : وإنى لأرجو أن يطهر الله

١٩٧ ظ
٢

١٩٨ و
٢

[1] لم ينشر من « تجارب الأمم » الحلقة التى فيها هذا النص والنصوص التالية .

مجلسى منك ومن أشباهك . ثم خرج الأشعث بالكتاب يقرؤه على الناس ، حتى مر على عروة ابن أدية ، فقال عروة : تحكمون فى أمر الله الرجال ! لا حكم إلا لله ! فصارت هذه الكلمة هجيرى الخوارج ، وخلا عمرو وأبو موسى الأشعرى ، وجرى بينهما كلام اتفقا فيه فى الباطن على خلع على ومعاوية وتقديم عبدالله بن عمر بن الخطاب ، فلما برزا للناس قال أبو موسى لعمرو: تقدم واخلع صاحبك ، فقال عمرو: سبحان الله أتقدم عليك وأنت فى موضعك وسنك وفضلك ، تقدم أنت ، فقدمه ، فقال أبو موسى : أيها الناس قد اجهدنا ولم نأل الاسلام وأهله خيرا ، ولم نر أصلح للأمة من خلع هذين الرجلين ، وقد خلعت عليا ومعاوية كخلعى خاتمى هذا ، فقام عمرو فقال : لكنى خلعت صاحبه عليا كما خلع ، وأثبت معاوية ، فافترقا على سب ،/ لكون عمرو قد أظهر للناس ضدما اتفق فى الباطن عليه مع الأشعرى .

١٩٨ ظ
٢

ومن كتاب واجب الأدب : أن عمرو بن العاص فكر فيما يخدع به أبا موسى الأشعرى فأظهر له أن المصلحة فى خلع الامامين : على ومعاوية وتقديم عبد الله بن عمر بن الخطاب . وكانت بنت الأشعرى عند عبد الله ، فاستماله الى مراده بذلك ، فمال . ثم إن معاوية احتال على عمرو بن العاص حتى زاره فى بيته ، وأحضر طعاما وجلس أصحاب معاوية وأصحاب عمرو فضاق عن الجميع المكان ، فدس معاوية إلى أصحابه أن يقدموا أصحاب عمرو ، وكلما فرغ رجل من أصحاب عمرو جلس فى مكانه رجل من أصحاب معاوية ويغلق الباب فى وجه من يفرغ إلى أن تكامل أصحاب معاوية على الطعام وخرج أصحاب عمرو عن الباب ، فقال معاوية لعمرو : بايعنى بالخلافة وإلا قتلتك ، ونظر عمرو إلى اجتماع أصحاب / معاوية وخروج أصحابه ، فعلم أن حيلة معاوية تمت عليه ، فقال : لا أبايعك إلا على شرط أن تكون لى مصر طعمة ، فقال . لك ذلك ، فقال معاوية للكاتب اكتب ، ولا ينقض شرط بيعة ، فقال عمرو : اكتب ولا تنقض بيعة شرطا ، وتمت الخلافة لمعاوية ببيعة عمرو لما شاع ذلك فى الناس وخرج إلى مصر كما اشترط .

١٩٩ و
٢

قال ابن مسكويه : وتذكر الخوارج أصحاب النهروان الذين قتلهم على رضى الله عنه ، فترحموا عليهم ، وقالوا : ما نرضى بالبقاء بعدهم ، فلو قتلنا أئمة الضلال لرجونا الأمن والفرار ، فتحالف عبد الرحمن بن ملجم والبرك بن عبد الله وعمر بن بكر التيمى بأن يأتى كل واحد منهم واحدا من الثلاثة : على ومعاوية وعمرو ، فيغتال كل صاحبه ، فأما ابن ملجم فقال : أنا أكفيكم عليا ، وكان من قتله له ما هو مذكور فى ترجمته ، وقال البرك : أنا أكفيكم معاوية ، وقال / عمر بن بكر : أنا أكفيكم عمرا . فتعاهدوا وأخذوا أسيافهم ، فسموها ، واتعدوا لسبع عشرة من رمضان أن يثب كل واحد منهم على صاحبه . فأما البرك فقعد لمعاوية وهو خارج للصلاة ، فضربه فى أليته

١٩٩ ظ
٢

ونجاه الله منه إلا أنه قطع له عرق النكاح فلم يولد له بعد . وأما عمر بن بكر فجلس لعمرو ، فاتفق أن اشتكى عمرو بطنه وأمر خارجة بن أبي حبيبة وكان على شرطه أن يصلى بالناس فضربه فقتله ، فأُخذ وانطلق به إلى عمرو ، وسمع السلام عليه بالامارة . فقال من هذا ؟ قالوا عمرو قال : فمن قتلت ؟ قالوا خارجة ، فقال : والله يا فاسق ما ظننته غيرك ، فقال عمرو : أردتنى وأراد الله خارجة !

قال ابن سعيد : وفى رواية أن القاتل قال : أردت عمراً وأراد الله خارجة . وما أحسن ما قال ابن عبدون الأندلسى فى قصيدته التى يرثى بها ابن الأفطس ملك بطليوس :

٢٠٠ و / ٢

/ وليتها إذ فدت عمرا بخارجة　　فدت عليا بما شاءت من البشر

ومن واجب الأدب : أن عمرو بن العاص نُظر إليه وهو والى مصر على بغلة هرمة ، فقيل له : أتركب هذه وأنت والى مصر ؟ فقال : لا ملل عندى لدابتى ما حملتنى ، ولا لامرأتى ما أحسنت عشرتى ، ولا لصديقى ماحفظ سرى ، إن الملل من كواذب الأخلاق .

الاضافة

كان عمرو بن العاص فى الجاهلية قد صحب مشركى قريش على المظاهرة فى عداوتهم للنبى صلى الله عليه وسلم ، وتوجه إلى النجاشى فى شأن الاستنصار لهم عليه ، ثم هاجر وصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتصرف له فى الامارة على الجند والبلاد ، ثم فتح مصر لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وولاه إمارتها ، ثم قسمها بينه وبين عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، الصعيد لعبد الله وغير ذلك لعمرو ، ثم عزله عثمان وولى عبد الله بن سعد ، ثم ولاه لحاجته له فى استرجاع / الاسكندرية حين نكث فيها الروم وحاربوا المسلمين ، فأشار أهل مصر على عثمان بأن ليس لها إلا عمرو ، ثم عزله وولى عبد الله بن سعد ، ثم ولاه مصر معاوية بن أبى سفيان بعد ما أطال صحبته ، وعضده على طلب الخلافة وكان منه ما تقدم ذكره .

٢٠٠ ظ / ٢

عبد الله بن عمرو بن العاص

النسب

أبوه عمرو الذى تقدمت ترجمته ، والعقب لعمرو منه .

الترصيع

وذكر ابن عساكر فى تاريخ [1] الشام أن أمه ريطة بنت منبه بن الحجاج السهمى .

وقال : اختلف الناس أين مات ، فقال بعضهم مات بمكة ، وقال آخرون بالطائف ، وأما أهل مصر فيقولون بمصر ، ودفن فى داره بمصر ، وأما ولده فيقولون بالشام .

---

(١) لم نجد لعبد الله بن عمرو ترجمة فى تاريخ دمشق لابن عساكر (النسخة المخطوطة بالمكتبة التيمورية) ولعلها سقطت منها .

وذكر القرطبى [1] فى تاريخ مصر أن معاوية أمسك عليه ولاية مصر بعد أبيه ، ثم عزله ، فسكن بالاسكندرية عابداً ومرابطاً للجهاد . ولما مات معاوية كان / بالاسكندرية ، فطولب بها بالبيعة ليزيد بن معاوية ، فلم يره أهلا للخلافة ، وكان منه من التوقف والكلام فى يزيد ما كان وقد سكن الشام مع معاوية أيام معاضدته له مع أبيه فى حرب على رضى الله عنه ، وولى الكوفة لمعاوية .

٢٠١ و
٢

قال ابن عساكر : توفى [2] ليالى الحرة فى ولاية يزيد بن معاوية سنة أربع وستين ، وقيل توفى بالطائف سنة خمس وستين ، وقيل بمكة ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ، وكان بينه وبين أبيه فى السن عشرون سنة وقيل اثنتا عشرة سنة .

التاريخ

شهر بالعبادة ، وعرف بقيام الليل وصيام النهار وكثرة الرواية للحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وولى الكوفة إمارة لمعاوية ، وولى مصر نيابة عن أبيه وبعد موته لمعاوية كما ذكر فيما تقدم .

التعريف

من تاريخ ابن عساكر : له صحبة للنبى صلى الله عليه وسلم وقال [3] : استأذنت النبى صلى الله عليه وسلم فى الكتابة عنه فى حال / الغضب والرضى ، فأذن لى ، وإنى أحفظ عن النبى صلى الله عليه وسلم ألف مثل . وكان قرأ الكتب ، وكان يصوم النهار ويقوم الليل ويرغب عن غشيان النساء ، فدعاه النبى صلى الله عليه وسلم فى الائتساء به فى الافطار والنوم وإتيان النساء وأن يختم القرآن فى كل سبعة أيام . وقيل : كان اسمه العاص [4] ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، وقيل أبو نصر ، وقيل أبو محمد .

التوشية والحكايات
٢٠١ ظ
٢

وكان رجلا سميناً [5] طوالا أحمر عظيم البطن . وكان إسلامه قبل فتح مكة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم أهل البيت : عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله . وعن عبد الله بن عمرو

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن سعد القرطبى وسيترجم له ابن سعيد فيما بعد حيث يذكر أنه صنف فى مدة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين كتابا فى تاريخ مصر ويذكر أيضاً أنه صنف هذا التاريخ باسم الوزير شاور .

(٢) اختلف الرواة فى تحديد السنة التى توفى فيها عبد الله وفى طبقات ابن سعد أنه توفى سنة ٧٧ ه ، كما تقول إحدى الروايات لعهد عبد الملك ، وفى أسد الغابة سنة ٧٣ ه فى رواية أخرى والأرجح أنه توفى أثناء سنتى ٦٤ ، ٦٥ ه .

(٣) أنظر فى هذا الحديث مسند ابن حنبل (طبعة مصر) ج ٢ ص ١٦٢ ، ج ٢ ص ٢١٥ وأنظر أسد الغابة فى معرفة الصحابة (طبع سنة ١٢٨٦ ه) ج ٣ ص ٢٣٣

(٤) انظر طبقات ابن سعد القسم الثانى من المجلد السابع (طبعة إدورد سخاو) ص ١٨٩ وأسد الغابة ج ٣ ص ٢٣٣

(٥) انظر فى صفته الكتابين السابقين .

قال (١) : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتى ، فقال : ياعبد الله ألم أُخبَر أنك تكلفت قيام الليل وصيام النهار ؟ قال : قلت : إنى لأفعل ، فقال : إن من حسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام / فالحسنة بعشر أمثالها ، فكأنك قد صمت الدهر كله ، قال : قلت : يارسول الله إنى أجد قوة وإنى أحب أن تزيدنى ، قال : فخمسة أيام ، قال : قلت : إنى أجد قوة وإنى أحب أن تزيدنى ، قال : سبعة أيام ، قال فجعل يستزيده ويزيده يومين يومين ، حتى بلغ النصف ، فقال : إن أخى داود كان أعبد البشر ، وكان يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر . إن لأهلك عليك حقاً ، وإن لعينك عليك حقاً ، وإن لضيفك عليك حقاً . قال : وكان عبد الله بعد ما كبر وأدركه السن ، يقول : لأن كنت قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلى من أهلى ومالى .

٢٠٢ و
٢

وعن عبد الله بن عمرو قال (٢) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ القرآن فى شهر ، فقلت : إنى أقوى (٣) ، فقال : اقرأه فى خمس وعشرين ، قلت إنى أقوى قال : اقرأه فى عشرين ، قلت إنى أقوى ، قال : اقرأه فى خمس عشرة ، قلت : إنى أقوى ، قال : اقرأه فى عشر ، قلت : إنى أقوى ، قال : اقرأه فى خمس / ، قلت : إنى أقوى ، قال لا .

٢٠٢ ظ
٢

وعنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : كيف تصوم ؟ قال : أصوم ولا أفطر ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : صم وأفطر ، وأفطر وصم ، وصم من الشهر ثلاثة أيام ، فقال : زدنى يارسول الله فان لى قوة ، قال : فلم أزل أناقضه ويناقضنى حتى قال : أحب الصوم إلى الله عز وجل صوم داود ، كان يصوم يوما ويفطر يوما فلما كبر عبد الله قال : لأن أكون انتهيت إلى ما أمرنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلىّ مما طلعت عليه الشمس ، ولكن لا أدع فريضة فرضها علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعنه (٤) أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم : كيف أقرأ القرآن ؟ قال : أقرأه فى سبع ليال ، فما زلت أناقضه ، حتى قال لى : اقرأه فى يوم وليلة . وعنه قال : جمعت القرآن ، فقرأت به فى ليلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأه فى شهر ، قال : قلت : يارسول الله دعنى / أستمتع من قوتى وشبابى ، قال : اقرأه فى عشرين ، قال : قلت : يارسول الله دعنى أستمتع من قوتى وشبابى ، قال : اقرأه فى عشر ، قال . قلت : يارسول الله دعنى أستمتع من قوتى وشبابى ، قال فأبى .

٢٠٣ و
٢

(١) انظر فى هذا الحديث مسند ابن حنبل حيث ورد فيه بصور مختلفة كما فى ج ٢ ص ١٥٨ ، ج ٢ ص ١٨٨ ، ج ٢ ص ١٩٠ ، ج ٢ ص ١٩٤ ، ج ٢ ص ١٩٥ ، ج ٢ ص ١٩٨ ، ج ٢ ص ٢١٦

(٢) أنظر فى هذا الحديث مسند ابن حنبل إذ ورد فيه على صور متعددة كما فى ج ٢ ص ١٦٢ ، ج ٢ ص ١٦٣ ج ٢ ص ١٦٥ ، ج ٢ ص ١٨٩ ، ج ٢ ص ١٩٥ ، ج ٢ ص ١٩٩ ، ج ٢ ص ٢٠٠ وانظر أسد الغابة ج ٣ ص ٢٣٣

(٣) فى المسند تارة : أقوى من ذلك ، وتارة : أقوى على أكثر من ذلك ، قارن ج ٢ ص ١٥٨ ؛ ج ٢ ص ١٦٥

(٤) انظر فى لفظ هذا الحديث المسند ج ٢ ص ١٦٣ ، ج ٢ ص ١٩٩

وعنه [١] أنه رأى فى المنام كأن فى إحدى يديه عسلا وفى الأخرى سمنا كأنه يلعقهما فأصبح ، فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : تقرأ الكتابين : التوراة والقرآن ، فكان يقرؤهما . وفى رواية : فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ،فقال : إن عشت تقرأ الكتابين: التوراة والفرقان ، فكان يقرؤها . وعنه قال : كنت يوما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تدرى من معنا فى البيت ؟ قلت : من يارسول الله ؟ قال : جبريل عليه السلام ، قلت : السلام عليك ياجبريل ورحمة الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه قد رد عليك . وقال [٢] : حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل/ قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضل عبد الله على أبيه .

٢٠٣ظ
٢

وقال [٣] أبو هريرة : ما كان أحد أحفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منى إلا عبد الله بن عمرو ، فانى كنت أعى بقلبى ، ويعى بقلبه ويكتب ، استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأذن له . وقال أيضاً : ليس أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثاً عن النبى صلى الله عليه وسلم منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فانه كان يكتب وكنت لا أكتب .

وعن مجاهد قال [٤] : دخلت على عبد الله بن عمرو بن العاص ، فتناولت صحيفة تحت رأسه ، فتمنّع على ، فقلت : تمنعنى من كتبك ! ، فقال : إن هذه الصحيفة الصادقة التى سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بينى وبينه أحد ، فاذا سلم لى كتاب الله وسلمت لى هذه الصحيفة والوهط [٥] لم أبال ما صنعت الدنيا .

وقال ابن عباس : إن عنده لعلما ، ولقد كان يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحلال والحرام .

وعن عروة بن الزبير أن عائشة قالت له : يابن أختى إنى قد أخبرت أن عبد الله بن عمرو حاج فى عامه هذا ، فالقه ، فانه قد حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة .

٢٠٤و
٢

---

(١) أنظر فى هذا الحديث المسند ج ٢ ص ٢٢٢ والاصابة لابن حجر (طبعة الخانجى) ج ٤ ص ١١٢
(٢) قارن هذا الحديث بأسد الغابة ح ٣ ص ٢٣٣
(٣) قارن هذا الحديث بالاصابة ج ٤ ص ١١٢ وأسد الغابة ج ٣ ص ٢٣٣ والمسند ج ٢ ص ١٩٢
(٤) أنظر فى هذا الحديث طبقات ابن سعد قسم ثانى من المجلد السابع ص ١٨٩ وكذلك أسد الغابة .
(٥) الوهط ، كما فى أسد الغابة : أرض كانت له يزرعها ، وفى المسند ج ٢ص ١٧٦ انه حائط (بستان) له بالطائف .

وقال ابن اسحق : حدثنى من لا أتهم من أصحابنا أن كعب الأحبار قدم مكة وبها عبد الله ابن عمرو بن العاص ، فقال كعب : سلوه عن ثلاث ، فان أخبركم بهن ، فهو عالم ، سلوه عن شىء من الجنة وضعه الله للناس فى الأرض ، وسلوه ما أول ما وضع بالأرض ؟ وما أول شجرة غرست بالأرض ؟ فسئل عبدالله عنها ، فقال : الشىء الذى وضعه الله للناس فى الأرض هو الركن الأسود ، وأول ما وضع بالأرض برهوت ، ماء باليمن ترده هام الكفار ، وأما أول شجرة غرسها الله فى الأرض فالعوسجة التى قطع منها موسى عصاه ، فلما بلغ ذلك كعبا قال : صدق الرجل والله عالم .

وسمع يقول [1] : لخير أعمله اليوم أحب إلىَّ من مثله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم / تهمنا الآخرة ولا تهمنا الدنيا ، وإنا اليوم قدمالت بنا الدنيا . وقال عبد الله بن عمرو : إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ، ولا تبغضوا إلى أنفسكم عبادة الله عز وجل ، فان المنبت لا بلغ بعدا ولا أبقى ظهرا ، واعمل عمل امرىء يظن أن لا يموت إلا هرما ، واحذر حذر امرىء يحسب أنه يموت غدا .

٢٠٤ظ
٢

وقال ابن أبى مليكة : بينا عبد الله بن عمرو بن العاص يصلى وراء المقام وهو يبكى وقد كسف أو خسف القمر إذ مر به العلاء بن طارق فوقف يسمع ، فقال : ما يوقفك يا ابن أخى تعجب من أن أبكى ! والله إن هذا القمر يبكى من خشية الله ، أما والله لو تعلمون علم اليقين لبكى أحدكم حتى ينقطع صوته ، ولسجد حتى ينقطع صلبه . وكان يقول : ما أعطى إنسان شيئا خير من صحة وعفة وأمانة وفقه .

قال : وكانت [2] راية عمرو بن العاص يوم اليرموك يحملها ابنه عبد الله . وعن الليث بن سعد : كانت قيسارية بالشام أميرهم عبد الله بن عمرو وموت هرقل لسنة / عشرين . وعن خليفة العصفرى قال : قال أبو عبيد : كان على الميمنة يعنى بصفين مع معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص . وقال خليفة فى تسمية عمال معاوية على الكوفة : عبد الله بن عمرو حين احتمع عليه الناس ، ثم عزله من أيامه ، وولى المغيرة بن شعبة .

٢٠٥و
٢

وعن حنظلة بن خويلد العنزى قال [3] : بينا أنا عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان فى رأس عمار ، يقول كل واحد منهما أنا قتلته ، فقال عبد الله بن عمرو : ليطب به نفساً أحد كما لصاحبه ،

---

(١) انظر فى هذا الحديث أسد الغابة ج ٣ ص ٢٣٤

(٢) انظر هنا أسد الغابة حيث يقرر ابن الأثير ذلك ايضا .

(٣) انظر فى هذا الحديث المسند ج ٢ ص ١٦٤ ، ج ٢ ص ٢٠٦

فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: تقتله الفئة الباغية، فقال معاوية: ألا تنحى عنا مجنونك ياعمرو؟ فما بالك معنا؟ قال: إن أبى شكانى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أطع أباك ما دام حيا ولا تعصه، فأنا معكم، ولست أقاتل.

وعن إسماعيل بن رجاء عن أبيه قال [1]: كنت فى حلقة فيها أبو سعيد الخدرى وعبد الله ابن عمرو فى مسجد الرسول صلى الله عليه / وسلم إذ مر بنا حسين بن على، فسلم، فرد عليه القوم، فسكت عبد الله بن عمرو، حتى إذا فرغوا رفع عبد الله بن عمرو صوته، فقال: وعليك ورحمة الله وبركاته، ثم أقبل على القوم، فقال: ألا أخبركم بأحب أهل الأرض إلى أهل السماء؟ قالوا: بلى، قال: هو هذا الماشى ما كلمنى كلمة منذ ليالى صفين، ولأن يرضى عنى أحب إلى من أن تكون لى حمر النعم، فقال أبو سعيد: ألا تعتذر إليه؟ قال: بلى. فتواعدا أن يغدوا إليه، فغدوت معهما، فاستأذن أبو سعيد، فأذن له، فدخل ثم استأذن لعبد الله بن عمرو، فلم يزل به حتى أذن له، فلما دخل قال أبو سعيد: يا بن رسول الله إنك لما مررت أمس وأخبره بالذى كان من قول عبد الله بن عمرو، فقال له حسين: أعلمت ياعبد الله أنى أحب أهل الأرض إلى أهل السماء؟ قال: إى ورب الكعبة، قال فما حملك على أن قاتلتنى وأبى يوم صفين؟ فوالله لأبى كان خيراً منى، قال: أجل ولكن عمراً شكانى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله / إن عبد الله يقوم الليل ويصوم النهار، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ياعبد الله بن عمرو [قم] وصل ونم وأفطر وأطع عمراً، قال: فلما كان يوم صفين أقسم على، فخرجت، أما والله ما كثّرت لهم سوادا ولا اخترطت لهم سيفا، ولا طعنت برمح، ولا رميت بسهم [2].

وعن عبد الله بن عمرو قال [3]: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف بك إذا بقيت فى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم ومواثيقهم، وكانوا هكذا، نخالف بين أصابعه؟ قال: تأمرنى بأمر يارسول الله؟ قال: تأخذ ما تعرف وتدع ما تنكر وتعمل بخاصة نفسك وتدع الناس وعوام أمرهم، قال: فلما كان يوم صفين قال له أبوه عمرو بن العاص: يا عبد الله بن عمرو اخرج فقاتل، قال: يا أبتاه أتأمرنى أن أخرج أقاتل وقد سمعت ما سمعت يوم يعهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعهد [4]؟ قال: أنشدك بالله ياعبد الله بن عمرو ألم يكن آخر ما عهد إليك رسول الله

٢٠٥ظ
٢

٢٠٦و
٢

(١) رويت هذه القصة وما معها من حديث فى أسد الغابة ج ٣ ص ٢٣٤

(٢) فى أسد الغابة عقب ذلك: قال فكأنه.

(٣) انظر فى هذا الحديث المسند ج ٢ ص ١٦٢، ج ٢ ص ٢١٢

(٤) فى أسد الغابة: ما عهد.

٢٠٦ظ
٢

صلى/الله عليه وسلم أن أخذ بيدك فوضعها فى يدى ، ثم قال : أطع أباك ، قال : اللهم بلى ، قال : فانى أعزم عليك أن تخرج ، فتقاتل ، فخرج عبد الله بن عمرو ، فقاتل يومئذ متقلدا بسيفين [١] .

وعن أبى مليكة قال [٢] : قال عبد الله بن عمرو : مالى ولصفين ؟ مالى ولقتال المسلمين ؟ لوددت أنى مت وقال أبو بكر قتلت قبله بعشرين سنة ! أما والله على ذلك ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم ، وما كان رجل أجهد مني من رجل لم يفعل شيئا من ذلك وذكر أنه كانت الراية بيده .

وعن محمد بن قيس قال : كان عبد الله بن عمرو بن العاص فى زمن عمر وعثمان يجلس بمصر يحدث ، وكان يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنها ستكون فتنة عمياء صماء ، الراقد فيها خير من اليقظان ، والجالس فيها خير من القائم ، والماشى فيها خير من الساعى ، فلما كانت الفتنة التى كانت بين معاوية وعلى حضر عبد الله بن عمرو صفين فقاتل فيها ، فاستعمل معاوية بذلك عبد الله بن/عمرو بن العاص على مصر [٣] ، فلما قدم عبد الله مصر جلس ذلك المجلس الذى كان يجلسه فى زمن عمر وعثمان يحدث كيف كان القتال بصفين ، فقال له رجل من أهل مصر : قاتلت أنت وأبو عبد الله ؟ قال : بلى ، قال : والله لا أكلمك كلمة بعدها ! سمعت أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنها ستكون فتنة عمياء صماء ، الراقد فيها خير من اليقظان ، واليقظان فيها خير من الجالس ، والجالس فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى ، فقاتلت أنت ، وسمعت أنا هذا الحديث منك ، وما فتحت بابى إلا لصلاة مكتوبة ، حتى تصرمت الفتنة .

٢٠٧ و
٢

وعن سليمان بن الربيع قال : انطلقت فى رهط من نساك أهل البصرة إلى مكة ، فقلنا لو نظرنا رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحدثنا إليه ، فدللنا على عبد الله بن عمرو بن العاص فأتينا منزله ، فاذا قريب من ثلاثمائة راحلة ، قال : فقلنا على كل هؤلاء حج عبد الله بن عمرو ؟! قالوا : نعم/هو ومواليه وأحباؤه ، قال : فانطلقنا إلى البيت ، فاذا برجل أبيض الرأس واللحية بين بردين عليه عمامة ليس عليه قميص ، قال : فقلنا : أنت عبدالله بن عمرو ، أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل من قريش ، وقد قرأت الكتاب الأول ، وليس أحد نأخذ عنه أحب إلينا ، أو قال ، أعجب إلينا ، منك فحدثنا الحديث لعل الله أن ينفعنا به ، فقال : من أنتم ؟ فقلنا : من أهل العراق ، قال : إن من أهل العراق قوما يكذبون ويُكذَّبون ويسخرون ، قال : قلنا :

٢٠٧ظ
٢

(١) فى أسد الغابة : وندم بعد ذلك .
(٢) انظر أسد الغابة وطبقات ابن سعد ، ثان من السابع ، ص ١٩٠
(٣) ليس صحيحا أن معاوية استعمل عبد الله بن عمرو بن العاص على مصر وإنما الصحيح أنه عينه واليا على الكوفة سنة ٤١ هـ

ما كنا لنكذّبك ولا نكذب عليك ولا نسخر منك ، حدثنا بحديث لعل الله أن ينفعنا به ، قال ، فحدثهم بحديث .

وفى رواية مطولة : أن سليمان بن ربيعة الغنوى حدث أنه حج مرة فى إمرة معاوية ، ومعه المنتصر بن الحارث الضبى ، فى عصابة من قراء أهل البصرة ، فلما قضوا نسكهم قالوا والله لا نرجع حتى نلقى رجلا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مرضياً يحدثنا بحديث يستطرف نحدثه أصحابنا إذا رجعنا إليهم ، فلم نزل نسأل حتى دللنا على عبد الله /بن عمرو بن العاص ، وهو نازل بأسفل مكة ، فعمدنا إليه ، فاذا نحن بثقل عظيم ، يرتحلون ثلاثمائة راحلة ، فيها مائة راحلة ومائتا زاملة ، فقلنا : لمن هذه ؟ فقالوا لعبد الله بن عمرو ، فقلنا : أكل هذا له ؟ لقد كنا نحدث أنه أشد الناس تواضعاً ، فقالوا لنا من أنتم ؟ قلنا من أهل العراق ، قالوا : العجب منكم حق يا أهل العراق ، أما هذه المائة راحلة فلاخوانه يحملهم عليها ، وأما المائتا زاملة فلمن نزل عليه من أهل الأمصار وله ولأضيافه ، فعجبنا من ذلك ، فقالوا : لا تعجبوا من هذا فان عبد الله ابن عمرو رجل غنى ، وأنه يرى حقاً عليه أن يكثر من الزاد لمن نزل عليه من الناس ، فقلنا : دلونا عليه ، فقالوا إنه فى المسجد الحرام ، فانطلقنا نطلبه حتى وجدناه ، فى دبر الكعبة ، فاذا هو يصلى ، قصير أوقص أصلع ، بين بردين وعمامة ، ليس عليه قميص ، قد علق نعليه فى شماله ، فقلنا : ياعبد الله بن عمرو وإنك رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثنا حديثاً ينفعنا الله به بعد اليوم / فقال لنا : ومن أنتم ؟ قلنا : لا تسأل من نحن ، وحدثنا غفر الله لك ، فقال : ما أنا بمحدثكم شيئاً حتى تخبرونى من أنتم ، فقلنا : وددنا أنك لم تسألنا وأعفيتنا وحدثتنا ببعض الذى سألناك عنه ، فقال : والله لا أحدثكم شيئاً حتى تحدثونى من أى الأمصار أنتم ؟ فلما رأيناه ألحّ ولجّ وحلف قلنا : نحن ناس من أهل العراق قال : كلكم أهل العراق ، إنكم تكذبون وتكذّبون وتسخرون ، فلما بلغ وتسخرون وجدنا منه وجداً شديداً ، فقلنا : معاذ الله أن نسخر بمثلك ! أما قولك الكذب فوالله لقد فشا الكذب فينا وفى الناس ، وأما التكذيب فوالله إنا لنسمع بالحديث لم نسمع من أحد سواه فانا نكاد أن نكذبه وأما أن نسخر فان أحداً لا يسخر بمثلك من المسلمين فوالله إنك اليوم لسيد المسلمين فيما نعلم ، وإنك لمن المهاجرين الأولين ، ولقد بلغنا أنك قرأت القرآن على عهد محمد صلى الله عليه وسلم وأنه لم يكن فى الأرض قرشى أبر بوالديه منك وأنك كنت أحسن الناس عينين ، فأفسد عينيك البكاء /وأن أصحابك كانوا يسمونك البكاء ، ثم لقد قرأت الكتب كلها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما أحد أفضل منك علما فى أنفسنا وما نعلم من العرب رجلا كان يرغب عن فقهاء

٢٠٨ و
٢

٢٠٨ ظ
٢

٢٠٩ و
٢

أهل مصره حتى يرحل إلى مصر آخر يبتغى العلم عند أحد من العرب غيرك ، فحدثنا غفر الله لك
قال : ما أنا بمحدثكم حتى تعطونى موثقا لاتكذبون على ولا تكذبونى ولا تسخرون ، قلنا :
خذ علينا ما شئت من المواثيق ، قال : عليكم عهد الله وميثاقه أن لا تكذبونى ولا تكذبوا
على ولا تسخروا بما أحدثكم ، فقلنا له : علينا ذلك ، فقال : الله عليكم به وكيل ، قلنا : نعم ،
قال . اللهم اشهد ، ثم قال عند ذلك : أما ورب هذا المسجد الحرام والبلد الحرام واليوم الحرام
والشهر الحرام ليوشك لبنى قطور بن كركر قوم خنس الأنوف صغار الأعين كأن وجوههم المجان
المطرقة فى كتاب الله المنزل أن يسوقوكم بخراسان وسجستان سياقا عنيفا ، قوم / يوفرون اللمم ،
وينتعلون الشعر ، ويحترون السيوف على أوساطهم ، حتى ينزلوا الأبلّة ، قال : وكم الأبلّة من
البصرة ؟ قلنا : أربعة فراسخ ، قال : ويعقدون بكل نخلة من نخل دجلة رأس فرس ، ثم يرسلون
إلى أهل البصرة : اخرجوا قبل أن ننزل عليكم ، فيخرج أهل البصرة من البصرة ، فيلحق
لاحق ببيت المقدس ويلحق لاحق بالمدينة ، ويلحق آخر بمكة ، ويلحق آخرون بالأعراب ،
ثم يسيرون حتى ينزلوا البصرة فيلبثوا بها سنة ثم يرسلوا إلى أهل الكوفة أن اخرجوا منها قبل
أن ننزل عليكم ، فيخرج أهل الكوفة منها ، فيلحق لاحق ببيت المقدس ، ويلحق لاحق
بالمدينة ، ويلحق آخر بمكة ، ويلحق آخرون بالأعراب ، فلا يبقى فى الأرض من المسلمين
إلا قتيل أو أسير فى أيديهم فى ذمة .

٢٠٩ظ
٢

قال : فانصرفنا عنه وساءنا الذى حدث ومشينا من عنده غير بعيد ، ثم انصرف إليه المنتصر
ابن الحارث ، فقال : ياعبد الله بن عمرو إنك قد حدثتنا بحديث قد قطعنا وإنا لا ندرى من يدركه
منا ، فحدثنا هل بين يدى ذلك من / علامة ؟ قال : نعم لا يعدم عقلك بين يدى ذلك أمارة ، قال :
فقال له المنتصر : وما الأمارة ؟ فقال الأمارة العلامة ، قال : وما تلك العلامة ؟ قال : إذا رأيت
إمارة الصبيان قد طبقت الأرض فاعلم أن الذى حدثتك قد جاء .

٢١٠و
٢

وعن هرون بن رباب أن عبد الله بن عمرو لما حضرته الوفاة قال انظروا فلانا لرجل
من قريش فانى كنت قلت له فى ابنتى قولا ما أحب أن ألقى الله بثلث . النفاق فأشهدكم أنى قد
زوجته . وعن المدائنى قال : يقال : إن عبد الله بن عمرو أتى له قريب من مائة سنة ، قال محمد بن
أبى السرى : كان عبد الله بن عمرو بن العاص قد صار إلى قريته بعسقلان ، وهى حُبس من
عمرو بن العاص لولده ، فلم يزل بها عبد الله بن عمرو حتى مات ودفن بقرية يقال لها أملامس
قبره بها معروف ، وهى من عسقلان على فرسخين .

النثر
٢١٠ظ
٢

من تاريخ ابن عساكر قال عمرو بن العاص لولده عبد الله : يابنى ما الشرف ؟ قال : قال كف الأذى وبذل الندى ، قال : فما المروءة ؟ قال : عرفان الحق وتعاهد/ الصنيعة ، قال : فما المجد ؟ قال : احتمال المغارم واقتناء المكارم . وفى حديث طويل أنه سأله ما الغى ؟ قال : طاعة المفسد وعصيان المرشد ، قال : فما البله ؟ قال عمى القلب وسرعة النسيان . وقال عبد الله بن عمرو لأخواله من بنى عنزة : يابنى أمى إنه ليس الواصل الذى يصل من وصله ويقطع من قطعه ، قالوا : فمن ذاك ؟ قال : ذاك المنصف ، ولكن الواصل الذى يصل من وصله ويصل من قطعه ، وليس الحليم الذى يحلم عمن يحلم عنه ، ويجهل على من جهل ، قالوا : فمن ذلك ؟ قال : المنصف ، إنما الحليم الذى يحلم عمن يحلم عنه ، ويحلم عمن جهل عليه .

النظم

أنشد له ابن عساكر فى تاريخه وغيره :

لو شهدت جُمْل مقامى ومشهدى	بصفين يوما شاب منها الذوائب
عشية جا أهل العـراق كأنهم	سحاب ربيع دفّعته الجنـائب
وجئناهم نردى كأن جيـادنا	من البحر مد موجه متراكب
فدارت رحانا واستدارت رحاهم	سراة النهار ما تولى المناكب
فقالوا لنـا إنا نرى أن تبـايعوا	علياً فقلنا بل نرى أن تضاربوا

٢١١و
٢

/ وأنشد له فى ابن له من سبع سنين مثل الدينار لدغته حية فمات ، قال ، ويروى هذا الشعر لعبد الله بن عروة بن الزبير :

فلولا الموت لم يهلك كريم	ولم يصبح أخو عز ذليلا
ولكن المنية لا تبـالى	أغراً كان أم رجلا جليلا
لقد أهلكت حية بطن واد	كريمـاً ما أريد به بديلا
مقيما ما أقام جبـال قدس	فليس بزائـل حتى تزولا

الاضافة

صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مع شيعة معاوية بالشام أيام محاربة على رضوان الله عليه ، وولاه معاوية الكوفة . وعلى ولايته الكوفة حكاية ذكرها ابن مسكويه فى كتاب تجارب الأمم ، وهى أنه لما استعمل معاوية عبد الله بن عمرو على الكوفة وأباه على مصر أتاه المغيرة بن شعبة فقال : استعملت عبد الله بن عمرو على الكوفة وأباه على مصر ، تكون أنت بين لحيي الأسد ! فعزله عنها ، واستعمل المغيرة/ على الكوفة ، وبلغ عمرو بن العاص ما قال المغيرة

٢١١ظ
٢

لمعاوية ، فدخل على معاوية فقال : أتستعمل المغيرة على خراج الكوفة ، فيغتال المال ويذهب به ، فلا تستطيع أن تأخذه منه ؟! استعمل على الخراج رجلا يهابك ويتقيك . فعزل المغيرة عن الخراج ، واستعمله على الصلاة ، فلقى المغيرة عمراً ، فبدأ عمرو ، وقال : أنت المشير على أمير المؤمنين بما أشرت فى عبد الله ؟ قال : نعم ، قال : فهذه بتلك .

وقد تقدم فى تاريخ ابن عساكر أن معاوية ولاه مصر وتقدم أنه امتنع من بيعة يزيد ، وانزوى فى قرية بجهة عسقلان حتى مات فيها .

عبد الله بن سعد بن أبى سرح

النسب

من كتاب النسب [1] لابن حزم : عبد الله بن سعد بن أبى سرح بن الحارث بن حبيب ابن جذيمة [2] بن مالك بن حل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة [3]

الترصيع ٢١٢ و ٢

وهو أخو عثمان بن عفان رضى الله عنه من الرضاعة . موطن/آبائه ونشأته مكة ، وهاجر إلى المدينة ثم ارتد إلى مكة ، وغزا مصر مع عمرو بن العاص ، ثم ولى الصعيد لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم ولاه عثمان رضى الله عنه جميع مصر ، ثم أخرجه عنها ابن حذيفة فأقام بالرملة ، ومات بعسقلان .

التاريخ

من الاستيعاب [4] : أسلم قبل الفتح وهاجر وولاه عثمان مصر سنة خمس وعشرين ، وفتحت على يديه إفريقية سنة سبع وعشرين ، وغزا غزوة الصوارى من أرض الروم سنة أربع وثلاثين ومات سنة ست أو سبع وثلاثين .

التعريف

ذكر ابن عبد البر أنه كان فارس بنى عامر بن لؤى ، وكان كاتبا للنبى صلى الله عليه وسلم ومقدما على ميمنة عمرو بن العاص حين فتح مصر وولى سلطنة مصر .

التوشية والحكايات

من كتاب الاستيعاب : أسلم قبل الفتح وهاجر ، وكان يكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ارتد مشركا [5] إلى قريش بمكة ، فلما كان يوم الفتح أمر رسول الله

---

(١) أنظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٦٠

(٢) أنظر أبو المحاسن بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٨٨ حاشية ١

(٣) راجع مادة « عبد الله بن سعد » فى دائرة المعارف الاسلامية وما أشارت إليه من المراجع القديمة . وانظر الولاة والقضاة للكندى ص ١١ وما بعدها .

(٤) أنظر الاستيعاب لابن عبد البر ص ٣٩٣ — ٣٩٤ والكلام هنا فيه تلخيص .

(٥) فى الاستيعاب : وصار إلى قريش بمكة .

٢١٢ظ
٢

صلى الله عليه وسلم بقتله ولو وجد تحت أستار الكعبة / فاستأمن له عثمان فآمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحسن إسلامه بعد ، ولم يظهر منه بعد ذلك شيء ينكر عليه . وولاه عثمان مصر ، وفتحت على يديه إفريقية [١] . وكان صاحب ميمنة عمرو بن العاص فى افتتاحه مصر وفى حروبه هناك . وهو هادن النوبة الهدنة الباقية الى اليوم ، وغزا غزوة الصوارى . ثم قدم على عثمان واستخلف [٢] السائب بن هشام العامرى [٣] ، فانتزى محمد بن أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس ، فخلع السائب ، وتأمر على مصر ، ورجع عبد الله بن سعد من وفادته ، فمنعه محمد من دخول الفسطاط ، فمضى إلى عسقلان فأقام بها حتى قتل عثمان ، وقيل بل أقام بالرملة حتى مات فرارا من الفتنة ، ودعا [٤] فقال : اللهم اجعل خاتمة عملى صلاة الصبح ، فصلى [٥] ، فقرأ فى الركعة الأولى بأم القرآن والعاديات وفى الثانية بأم القرآن وسورة [٦] ، ثم سلم عن يمينه وذهب يسلم عن يساره ، فقبض الله روحه . / وذكر القرطبى أنه اعتزل بالرملة ولم يبايع عليا ولا معاوية ، وأخذ يجتهد فى العبادة ليختم عمله بخير ينسى ويكفر ماكان منه ويزيل عنه أحدوثة ارتداده بعد كتابته للنبى صلى الله عليه وسلم وافترائه عليه فى قوله إنه كان إذا كتب الوحى عن النبى صلى الله عليه وسلم فيملى عليه عزيزا حكيما يكتب غفورا رحيما بدله وما جرى ذلك المجرى فلا ينكره رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢١٣و
٢

قيس بن سعد [٧]

النسب

ابن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبى خزيمة [٨] بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة ابن كعب بن الخزرج الانصارى . أبوه سعد الذى هم الأنصار أن يبايعوا له بالخلافة إثر وفاة / النبى صلى الله عليه وسلم يوم سقيفة بنى ساعدة ، وله عقب بالشام .

٢١٣ظ
٢

---

(١) فى الاستيعاب : سنة سبع وعشرين .
(٢) فى الاستيعاب : واستخلف على مصر .
(٣) فى قول آخر أنه استخلف عقبة بن عامر الجهنى . انظر الكندى : الولاة والقضاة ص ١٣
(٤) فى الاستيعاب : ودعا ربه .
(٥) فى الاستيعاب : فتوضأ ثم صلى الصبح .
(٦) هكذا فى الاستيعاب .
(٧) أنظر الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٠ وما بعدها .
(٨) فى التهذيب للنواوى (ص ٢٧٤) حزيمة بفتح الحاء المهملة .

التوصيع والتاريخ

ومن كتاب ابن يونس[1] : ولى مصر لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه فى سنة ست وثلاثين وعزله سنة سبع وثلاثين . وهو معدود فى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

التعريف

وكان مقدما عند على بن أبى طالب يوليه الجيوش وولاة مصر كما تقدم . وهو معدود فى الأجواد . قال ابن عبد البر فى كتاب الاستيعاب[2] : يقال : لم يكن فى الأوس والخزرج أربعة مطعمون يتوالون فى بيت واحد إلا قيس بن سعد بن عبادة بن دُليم .

التوشية

وكان طوالا[3] سناطا دون لحية ، وكانت الأنصار تقول : وددنا أن اشترينا لحية لقيس ابن سعد بنصف أموالنا .

الحكايات

ومن حكاياته فى الجود أنه اعتل ، فافتقد الأنصار فى علته وغيرهم من إخوانه ، فغاب عنه منهم جماعة ، فقال : مالهم لم يعودونى ! ؟ فقيل له : إنهم يستحيون من مطلهم بمالك عليهم من الديون ، فأمر من ينادى : ألا إن من لقيس بن سعد / قبله دين ، فهو فى حل منه ! فازدحم الناس على بابه حتى كسروا العتبة . ولما فرق علىّ ولاته على البلاد ولى على مصر قيس بن سعد ، فلم يتم له فيها أمر .

٢١٤ و / ٢

قال ابن مسكويه : افترق الناس فى مصر على قيس بن سعد ، وقال بعضهم : إنْ قَتَل علىٌّ قتلة عثمان بن عفان ، وإلا فنحن على جديلتنا . قال : وجعل معاوية يشيع أن قيس بن سعد من شيعته ، ويقول لأصحابه لا تسبوه ، ويحتال فى مكايدة عزله بوجوه وتزوير كتبٍ حتى عزله على .

ومن كتاب واجب الأدب : لما كان قيس بن سعد من أجواد العرب ودهاتها المشهورين بحسن الرأى فيها شغل قلب معاوية فى ولايته مصر ، فلم يزل يعمل فى عزله بالدسائس حتى عزله على وولى مكانه محمد بن أبى بكر ، فتم له عليه قتله وأخذ مصر من يديه . ولما قتل على رضى الله عنه كان قيس بن سعد المشار إليه فى التقديم على الجيوش والمذكور / بالنباهة فى تلك الحروب .

٢١٤ ظ / ٢

وذكر ابن مسكويه : أن الحسن بن على ، رضوان الله عليهما ، بعد موت على رحمة الله عليه نزل المدائن ، وعلى مقدمته قيس بن سعد فى اثنى عشر ألفا .

(١) هو أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد الصدفى المشهور بابن يونس ، ترجم له ابن خلكان فى الوفيات (طبعة ديسلان) ج ١ ص ٣٨٩ وقال عنه إنه جمع لمصر تاريخين أحدهما خاص بالمصريين والثانى بالغرباء الوافدين عليها . توفى سنة ٣٤٧ هـ أنظر سيدة كاشف : مصر فى عصر الأخشيديين ص ٣٠٥ و ٣٢٧

(٢) ترجم له ابن عبد البر فى الاستيعاب ص ٥٣٨ ترجمة ضافية أطال فيها وأتى ببعض طرائفه وأخباره .

(٣) السناط والسنوط : أن يكون فى الذقن شىء من الشعر ولا يكون فى العارضين شىء منه بتاتاً .

ومن واجب الأدب : كان قيس بن سعد قد حرص على أن لا يسلم الحسن الخلافة لمعاوية لما تمكن بينه وبين معاوية من العداوة ، فلما أسلمها سماه مذلّ المؤمنين فى عوض أمير المؤمنين ، وانحرف بمن قبله عن معاوية حتى كتب له أمانا بما أراده .

قال ابن يونس : شهد قيس فتح مصر واختط بها وولها لعلى ، وروى عنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ولما ولى مصر بنى داره ، فلما حضرته الوفاة قال : إنى كنت بنيت دارى بمصر وأنا والٍ واستعنت فيها بالولاية ، فهى للمسلمين ، فنزلها الولاة .

النثر ٢١٥و / ٢

من كتاب الكامل [1] للمبرد : أن معاوية كتب لقيس بن سعد : أما بعد فانك يهودى ابن يهودى ، إن غلب أحب الفريقين / إليك عزلك ، واستبدل بك ، وإن غلب أبغضهما اليك قتلك ومثّل بك ، وقد كان أبوك فوّق سهمه ورمى غرضه ، فأكثر الحزّ وأخطأ المفصل حتى خذله قومه وأدركه يومه فمات غريبا بحوران . فكتب إليه قيس : أما بعد فانك وثن ابن وثن ، لم يقدم إيمانك ، ولا حدث [2] نفاقك ، دخلت فى الدين كرها ، وخرجت طوعاً ، وقد كان أبى فوّق سهمه ورمى غرضه فسعيت عليه أنت وأبوك ونظراؤك فلم تشقوا غباره ، ولم تدركوا شأوه ، ونحن أنصار الدين الذى خرجت منه ، وأعداء الدين الذى دخلت [3] فيه .

النظر

وكتب [4] ملك الروم إلى معاوية : إن الملوك قبلك كانت تراسل الملوك منا ويجهد بعضهم فى أن يغرب على بعض ، أفتأذن فى ذلك ؟ فأذن له ، فوجه برجلين : أحدهما طويل جسيم ، والآخر أيّد [5] فوجه معاوية قيسا ومحمد بن الحنفية ، فلما مثل قيس لما استدعى له نزع سراويله فرمى بها إلى العلج / فلبسها ، فنالت ثندوته [6] ، فأطرق مغلوباً [7] ، فقيل له : لم تبذلت هذا التبذل بحضرة معاوية هلا وجهت إلى غيرها ؟ فقال :

٢١٥ظ / ٢

أردت لكيما يعلم الناس أنها ... سراويل قيس والأنام [8] شهود

---

(١) أنظر الكامل (طبعة W. Wright) ص ٢٩٨

(٢) فى الكامل : ولم يحدث .

(٣) فى الكامل : خرجت إليه .

(٤) أنظر الكامل ص ٢٩٦ وقد كذب ابن عبد البر هذه القصة فى الاستيعاب ص ٥٤٠ .

(٥) هنا فى الكامل : فقال معاوية لعمرو : أما الطويل فقد أصبنا كفؤه وهو قيس بن سعد بن عبادة وأما الآخر الأيد فقد احتجنا إلى رأيك فيه فقال : هنا رجلان كلاهما إليك بغيض : محمد بن الحنفية وعبد الله ابن الزبير ، فقال معاوية من هو أقرب إلينا على حال ، فلما دخل الرجلان وجه إلى قيس بن سعد بن عبادة يعلمه فدخل قيس فلما مثل بين يدى معاوية نزع سراويله .

(٦) الثندوة : ما اسود حول الحلمة .

(٧) فى الكامل : فحدثت ان قيسا ليم فى ذلك .

(٨) فى الكامل : والوفود .

وألا يقولوا غاب قيس وهذه　　سراويل عادىٍّ نمته ثمود

فانى من القوم اليمانين سيد　　وما الناس إلا سيد ومسود

وبذ جميع الخلق أصلى ومنصبى　　وجسم به أعلو الرجال مديد

وقال[1] ابن الحنفية : إن شاء فليجلس ويعطنى[2] يده حتى أقيمه أو يقعدنى ، وإن شاء فليكن القائم وأنا القاعد . فاختار الرومى الجلوس ، فأقامه محمد ، وعجز الرومى عن إقعاده ، ثم اختار أن يكون محمد هو القاعد ، فجذبه وأقعده وعجز الرومى عن إقامته ، فانصرفا مغلوبين .

الاضافة — صحب النبى صلى الله عليه وسلم واختص بعلى بن أبى طالب رضوان الله عليه . وكان على جيوشه وجيوش الحسن من بعده إلى أن صار فى أصحاب معاوية كرها بالأمان / .

٢١٦ و
٢

الأشتر[3]

النسب — جملة أمره أنه ، على ما ذكر ابن يونس ، مالك بن الحارث بن يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن مسعد بن مالك بن النخع بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج — وذكر ابن حزم[4] وغيره من أصحاب النسب أن ولده بالكوفة تناسلوا ، وكان لهم من الشرف ما هو مذكور مشهور ، ومنهم ابن الأشتر الذى قتل عبيد الله بن زياد قاتل الحسين رحمة الله عليه .

الترصيع — أصل النخع من بلاد اليمن ، ونزلوا بالشام ، ونزل الأشتر الكوفة ، وتناسل بها ولده ، وولاه علىٌّ مصر ، ومات مسموماً بالقلزم .

التاريخ — قال ابن يونس : ولاه على رضى الله عنه مصر بعد قيس بن سعد ، فسار حتى بلغ القلزم ، فمات بها ، يقال مسموماً فى شهر رجب سنة سبع و ثلاثين وهو معروف بالشجاعة والامارة وولاية سلطنة مصر ، وكان على يقدمه / فى حروبه ، ويثوبه به .

٢١٦ ظ
٢

الحكايات — وحكايته فى ولايته مصر أن عليا رضى الله عنه قدمه عليها ، واعتنى به ، وكتب له كتاباً جليلا فيه وصايا يعتمد عليها . وقد ضمنه الحمدونى كتاب التذكرة . فذكر المؤرخون أن معاوية

---

(١) فى الكامل : ثم وجه إلى محمد بن الحنفية ، فدخل ، فخبر بما دعى له ، فقال الخ .

(٢) فى الكامل : وليعطنى .

(٣) انظر الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٣ وما بعدها .

(٤) انظر كتابه جمهرة أنساب العرب ص ٣٨٩

دس عليه صاحب المنزل الذى نزل عنده بالقلزم ، فسقاه عسلا مسموماً كان منه حتفه قبل أن يدخل سرير السلطنة بمصر ، ويستولى عليها . فلما بلغ معاوية موته قال كلمته المشهورة : إن لله أجناداً منها العسل . وللأشتر أبياته المشهورة :

بقّيت وفرى[1] وانحرفت عن العلا ولقيت أضيافى بوجه عبوس

إن لم أشن على ابن هند غارة لم تخل يوماً من نهاب نفوس

خيلا كأمثال السعالى[2] شزّبا[3] تعدو بقوم فى الكريهة شوس[4]

حمى الحديد عليهم فكأنه لمعان برق أو ضياء شموس

الاضافة — والذى اشتهر بصحبته والاضافة إليه علىّ رضوان الله عليه .

٢١٧ و
٢

/ محمد بن أبى بكر[5]

النسب — عبد الله[6] بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى ابن غالب . ومن ولده القاسم بن محمد أحد الفقهاء السبعة الذين كانوا قدوة بالمدينة وعليهم مدار الفتيا . ومن الاستيعاب[7] أن أم محمد أسماء بنت عميس الخثعمية التى تزوجها بعد أبى بكر

الترصيع — رحمة الله عليه علىّ رضى الله عنه . وولد بذى الحليفة أو بالشجرة ، ونشأ فى حجر علىّ بالمدينة ، وكان معه فى أموره وولاه مصر ، وبها قتل ، قال ابن سعيد : وقد زرت قبره فى مدينة الفسطاط .

التاريخ — من الاستيعاب أنه ولد عام حجة الوداع فى عقب ذى القعدة ، وقتل فى سنة ثمان وثلاثين .

التعريف والتوشية — ومن كتاب القرطبى أن عليا ولاه مصر فى إثر موت الأشتر . من كتاب مروج الذهب : كان يدعى عابد قريش لنسكه ، ورثاه على رضى الله عنه ، وذكر / ابن قتيبة فى كتاب المعارف[8] أنه كان من نساك قريش .

٢١٧ ظ
٢

---

(١) الوفر : المال ، يقول : اختزنت مالى ولم أنفقه فيما يكسبنى الذكر الجميل — وواضح أنه يدعو على نفسه بذلك إن لم يشن الحرب على معاوية .

(٢) السعالى : الغيلان .

(٣) شزبا : ضمراً ، جمع ضامر .

(٤) الشوس : جمع أشوس وهو الغضبان .

(٥) انظر الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٦ وما بعدها .

(٦) انظر فى النسب جمهرة انساب العرب لابن حزم ص ١٢٦ — ١٢٧

(٧) ترجم له ابن عبد البر فى الاستيعاب ص ٢٤٢

(٨) انظر المعارف (طبعة وستنفلد) ص ٨٧

الحكايات

من كتاب مروج الذهب[1] : لما سار عمرو بن العاص إلى مصر وعليها من قبل علىّ محمد ابن أبى بكر قاتله فهزمه عمرو ، وحصل محمد فى يده ، فجعله فى جلد حمار ، وضرمه بالنار ، فهلك ، فجزع عليه على ، وقال ما جزعت على هالك منذ دخلت فى هذه الحروب جزعى عليه ، كان لى ربيبا ، وكنت أعده ولداً ، وعند الله أحتسبه .

وذكر القرطبى فى تاريخه أنه لما كان يوم الجمل مد يده إلى خدر أخته عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، فقالت : من هذا ! ؟ حرّقه الله بالنار ! فأجيبت فيه دعوتها . وبعد ذلك فانها جزعت عليه حين قتل جزعا شديداً ، وآلت أن لا تأكل مشوياً ، ولا تنظر إليه ، لأنه يذكرها باحراقه .

وفى كتب التواريخ أنه كان ممن سعى فى قتل عثمان رحمة الله عليه . وذكر القرطبى أن عثمان كان قد ولاه مصر لما طعن الناس عليه فى ولاية عبد الله بن سعد على / مصر ، فخرج متوجها تلقاء مصر ، فجىء إليه بعبد على جمل قد وجد عنده كتاب من عثمان بخاتمه إلى عبد الله ابن سعد يحذره فيه من أن يغلبه محمد بن أبى بكر على مصر ، ويبادر بالحيلة فى أمره وقتله ، فقامت قيامة محمد لما وقف على ذلك الكتاب وعدل عن وجهه . ووقف على الكتاب علياً ووجوه الصحابة ، فقرروا عثمان عليه ، فقال : ما كتبت ولا أذنت ! فقالوا : إن كنت كتبت أو أذنت ، فقد أتيت أمراً عظيما ، إن كان خاتمك قد غلب عليه غيرك وتصرف فيه بغير إذنك فقد ضعفت عن أمور المسلمين واستوجبت الانعزال عنها . وأخذ محمد فى التحريض عليه والاشتداد فى أمره إلى أن دخل عليه فى النفر الذين قتلوه ، فيقال إنه أمسك بلحية عثمان ، وقال له : أين عبد الله ابن سعد والوليد بن عقبة ومروان ؟ هل تراهم أغنوا عنك شيئا ! ؟ فقال له يابنى لو أن أباك رأى مقامك منى لساءه ، فاستحيى ، وأرسل لحيته ، فمال عليه القوم الذين / قتلوه ، قال : ولذلك حنق عليه العثمانيون لما ظفروا به فى مصر وحرقوه . وقد كان أخوه عبد الرحمن مع عمرو ابن العاص ، فكلمه فى شأنه ، فاعتذر بأن الأمر خارج عن يده وأن الطالبين بدم عثمان لابد لهم من قتله .

٢١٨ و
٢

٢١٨ ظ
٢

ومن كتاب ابن يونس : لما حان أن يقتل محمد بن أبى بكر ، قال له عمرو بن العاص : ادعيت أماناً ، ادعيت شيئاً ، كأنه يلقنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما يُجير على الناس أدناهم ، فضرب عنقه .

الاضافة

عامة اختصاصه وإضافته إلى على رضى الله عنه ، وقاتله عمرو بن العاص بأمره ، وقال القرطبى إن قاتله معاوية بن حُدَيج الكندى ، وكان عثمانياً ، وهو الذى ولى سلطنة إفريقية .

---

(١) قارن مروج الذهب (طبع المطبعة البهية) ج ١ ص ٣٩

أسامة بن زيد التنوخي

ولى سلطنة مصر وخراجها على ما ذكره القرطى لسليمان بن عبد الملك ، وإنما أثبت ترجمته بين تراجم من قبله ومن بعده لحكاية مشهورة ذكرها القرطى والكندى [1]

٢١٩ و / ٢

/ وهى أن سليمان كتب إليه : احلب الدّر ، حتى ينقطع ، احلب الدم ، حتى ينصرم ، قال : فتلك أول شدة دخلت على أهل مصر ، فقال يوما سليمان وقد أعجبه فعل أسامة : أسامة لا يرتشى دينارا ولا درهما ، فقال له عمر بن عبد العزيز : أنا أدلك على من هو شر من أسامة ولا يرتشى دينارا ولا درهما ، قال : من هو ؟ قال : عدو الله إبليس . فغضب سليمان وقام من مجلسه ، فلما توفى سليمان وولى عمر وجه فى عزل أسامة قبل دفن سليمان ، وولى حيان بن شريح ، وأمره أن يحبس أسامة فى كل جند ستة أشهر ، قال : وأسامة بنى المقياس القديم .

فصل : قال على بن سعيد : قد تقدم تسمية من ولى سلطنة مصر من عمرو بن العاص إلى سلطانها فى هذا الزمان ، وذكرنا ممن قبل الإسلام من ذكرنا فى حُجْلى الكلام على مصر . وليس الغرض إيراد ترجمة فى هذا المكان لكل سلطان ، وإنما نأتى بترجمة لمن له حكاية مفيدة أو نظم أو نثر . ومثل اسماعيل / بن صالح العباسى الذى ولى سلطنة مصر ، وولى مملكة حلب وعبد الله بن طاهر الذى ولى سلطنة مصر وسلطنة خراسان ، فان ترجمة من يكون على هذه الصفة الأولى بها أن تكون فى موضع سلطانه المخصوص بأهله ومواراته عن بيته .

٢١٩ ظ / ٢

وقد رأينا أن نفرد لبنى طولون الذين توارثوا سلطنة مصر كتابا كما أفردنا لبنى عباد الذين توارثوا مملكة إشبيلية كتابا ، فانهم ممن تحلى بهم زمانهم ودل عليهم عنوانهم .

---

(١) لم يذكر الكندى أسامة بن زيد بين ولاة مصر الذين ولوا على الصلاة ، إذ كان متوليا للخراج فحسب فى عهد سليمان بن عبد الملك . انظر الحكاية المذكورة هنا فى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ج ١ ص ٢٣١ ومابعدها . وانظر أيضاً سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٦٩

١ ظ / ٢

/ بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا محمد نبيه أما بعد حمد الله ، والصلاة على خيرة خلقه محمد نبيه الكريم وآله وصحبه . فان بنى طولون لما كانوا ممن تأثلت دولتهم بالديار المصرية ، وتؤرخت عنهم من السير فيها مافاض ذكره على البلاد المشرقية والمغربية أفردت لهم فى هذا الكتاب الذى طلعت به الكتب المتميزة كنجوم السماء ، وتولدت فى أثنائه كتولد الحباب فى صفحة الماء وسميته :

"كتاب الدر المكنون فى حلى دولة بنى طولون"

وبانى دولتهم ومؤسس فخرهم أحمد بن طولون ، ولولا هولما كان لهم كتاب مفرد ، فبسيرته يضرب المثل ، وبها يتحلى ذكر الدول . فنأتى بترجمته ، ثم بتراجم ولده إلى آخر دولتهم .

أحمد بن طولون

٢ و / ٢

/ أكثر الناس من ذكر سيرته فى تواريخهم ، وعلى انفراد . وقد اعتمدت فى هذا المكان أن أقتصر على كتاب المستحسن من أخبار أحمد بن طولون لأبى جعفر أحمد بن يوسف ابن ابراهيم الكاتب ، المعروف بابن الداية [١] وهو أحد خواص دولتهم . وآتى بعد الفراغ من ذلك بما أقتطفه من غير الكتاب المذكور .

كان طولون من الطغرغر [٢] ، حمله نوح بن أسد ، عامل بخارى الى المأمون ، فيما كان موظفا عليه من المال والرقيق والبراذين [٣] وغير ذلك فى كل سنة . وولد له أحمد بن طولون

---

(١) انظر سيرته فى ياقوت : معجم الأدباء ج ٢ ص ١٥٧ — ١٦٠ وراجع : Zaky M. Hassan : les Tulunides pp 11-12 والمصادر التى اشار اليها والبلوى : سيرة احمد بن طولون ص ٦ — ٨

(٢) عشيرة تركية . والراجح انها طغزغز بالزاى المعجمة . راجع عن الخلاف فى نطقها وكتابتها مقال الأستاذ بارتولد عن « طغزغز » فى دائرة المعارف الاسلامية وما اشار إليه من المصادر . وانظر ايضاً K. Vollers : Fragmemte aus dem Mughrib des Ibn Sa'id. S.4 وابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣ حاشية ٢

(٣) جمع برذون وهى دابة الحمل الثقيلة والتركى من الخيل .

سنة عشرين ومائتين ، من جارية تعرف بقاسم . وتوفى طولون سنة أربعين ومائتين ولأحمد عشرون سنة ، فقام به رفقاء أبيه ، حتى ثبتت مرتبته وتصرف فى خدمة السلطان ، فانتشر له من حسن الذكر فى قلوب الأولياء مازاد به على طبقته ، وتعالم وجوه الأتراك بصونه [1] وبدينه ، حتى كان محله عندهم محل / من يؤتمن على الأسرار والأموال والفروج .

٢ ظ
٢

قال : وكان أحمد بن طولون مع نفاسته وجلالته فى نفوس الأتراك شديد الازراء عليهم ، يستصغر عقولهم وآدابهم ، ويذكر أنهم قد تسنموا من المراتب مالا يستحقون ، وأن حرمة الدين بهم مهتوكة ، وفرائضه معطلة ، فقال لأحمد بن محمد بن خاقان [2] يوما : إلى كم ياأخى نقيم على هذا الاثم لا نطأ موطئا إلا كتب علينا خطيئة ؟! والصواب أن نسأل الوزير عبيد الله بن يحيى أن يكتب لنا بأرزاقنا إلى الثغر نقيم به فى ثواب قائم ، وجهاد متصل ، قال : فركنت إلى هذا ورفعنا إلى عبيد الله قصة ، فسبب أرزاقنا فى الثغر ، فلما انتهينا إلى طرسوس ، ورأى ما الناس عليه من الأمر بالمعروف ومجانبة المنكر أنست نفسه ، وزال استيحاشه ، وتبع المحدثين ، ولم يكن يدخل إلى منزله من التشاغل بهم إلا ليلا . قال : فكنت إذا رأيته بهذه الحال أيست من أن يتصرف فى شىء من أعمال السلطان ، فلما حان قفولنا قال . لا تستبطئونى / فانى مقيم .

٣ و
٢

فلما دخلت سر من رأى استقبلتنى أمه بالبكاء وقالت : مات ابنى ! فحلفت لها أنى خلفته سالما واستبانت ذلك بجماعة ممن قفل معنا . فلما خرجنا إلى طرسوس لقيت أحمد بن طولون ، وقد زاد نبله وتعالم الناس فضله فقلت : يا أخى إن كنت أردت الله بمقامك فى هذا البلد فقد أخطأت مما لحق أمك من الجزع وأهلك من الاضاعة ، وكرر عليه الجماعة وقالوا : مسلكك لا يكون إلا لوحيد ، وأما من كان له والد أو والدة أو ولد فما يحل له ، فرق ووعدنى بالشخوص معى إذا قفلت . وانقضت علائقه ، ثم قفلنا وهو معنا ونحن خمسمائة رجل ، والخليفة يومئذ المستعين بالله ومعنا خادم لأمه فى جملة الغزاة ، وكان المستعين اشتهى عليه أشياء لا يسمح ملك باخراجها من بلده ، وعمل الخادم الحيلة حتى أخرجها وسرنا حتى إذا بلغنا الرها استقبلنا جماعة من الأعراب ، فقال أهل البلد : الصواب أن تدخلوا / الحصن ، وتقيموا عندنا إلى أن يتفرقوا بعد أيام ، فقال أحمد بن طولون من بين الجماعة : لا يرانى الله مختفيا من هؤلاء !

٣ ظ
٢

---

(١) فى Vallers : Fragmente : « بصوته » بالتاء .

(٢) كان صديقا لأحمد بن طولون . ولعله من أسرة الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان . ويبدو أنه قدم إلى مصر ، فقد نقل عنه ابن الداية حديثاً عن اختيار ابن طولون جعفر بن عبد الغفار كاتباً له وسوف يأتى هذا الحديث فى الصفحات القادمة . كما ذكر الكندى احمد بن محمد بن خاقان بين الذين خرجوا مع الخليفة المعتمد من سامرا حين أراد اللحاق بابن طولون (الولاة والقضاة ص ٢٢٥) . وقد يكون ابن طولون أوفده إلى سامرا لاقناع المعتمد بالرحيل . انظر Zaky M. Hassan : Les Tulunides pp 29, 214.

أغلقوا الباب واحتفظوا من حصنكم . ثم قال للغزاة : أنا أتقدمكم ، فمن خاف فليناد : يا أحمد الحقني . وسرنا كتيبة واحدة ، فتسرعت إلينا قطع من خيلهم فرد أكثرهم والتأمت جماعة علينا ، فكان مثل الجمل الهائج حتى انهزمت منه وتفرقت عنه[1] . وزاد مقدار أحمد بن طولون فى أعين أهل الرفقة ، ولم يزل يطوى الأرض حتى دخل العراق ، وحمل الخادم ما كان أعده للمستعين إليه ، فاستحسنه . وقال له الخادم : يا أمير المؤمنين ، كاد هذا أن يهلك مع أنفسنا لولا أن من الله علينا ، وقدر لنا رجلا من موالى الأتراك يعرف بأحمد بن طولون ، وقص عليه قصته ، فاستحضر المستعين ألف دينار ، وقال : إحمل هذا المال إليه ، وعرفه بمحبتى له ، وأنى راغب فى اصطناعى / له ، إلا أنى أخاف أن يظهر ما بقلبي له فيقتله الأتراك . وقال للخادم : أرنيه إذا دخل ، فأراه إياه .

٤ و
٢

قال أحمد بن خاقان : حدثنى أحمد بن طولون أن المستعين كان يومىء إليه بالسلام فى كل دخلة سراً ، وتوالت عليه جوائزه حتى أخصب رحله ، وحسنت حاله ، ووهب له المستعين فى ذلك الوقت جارية اسمها مياس ، فولدت له أبا الجيش فى النصف من المحرم سنة خمسين ومائتين .

وتنكرت الأتراك على المستعين ، واستقر الأمر بعد ذلك على أن يصير المعتز على الخلافة ، ونفى المستعين إلى واسط مع أصلح من يختار ويرضى به الأتراك ، فوقع الاختيار على أحمد بن طولون ومضى به إلى واسط ، فأحسن أحمد بن طولون عشرته ، وشكر حسن بلائه عنده ، وأطلق له التنزه والصيد ، وكره أن يدخل للمستعين حشمة منه ، فألزمه أحمد بن محمد الواسطى[2] ، وكان يومئذ حديث السن ، حلو المشاهدة ، حاضر النادرة ، / وماج غلمان المتوكل ، وخافوا على المعتز من كيد يلحقه من المستعين ، وتجمع الأولياء إليه واضطربت لذلك قبيحة أم المعتز ، فكتب إلى أحمد بن طولون بقتله والبعثة برأسه إليهم ، ويقلد بعد ذلك واسط ، فكتب إليهم : والله لا أرى الله وأنا قد قتلت خليفة بايعته أبداً ! فأنفذوا إليه سعيداً الحاجب ، وتقدم إلى أحمد بن طولون بتسليم المستعين إليه ، وأن يرجع إلى سر من رأى . فسمعت أحمد بن محمد الواسطى يحدث ويقول : بكرت مع المستعين وقد ركب ليتنسم فرأينا غبرة خيل ، فأنفذ غلاما يركض ليعرف خبرها ، فرجع وقال : هو سعيد الحاجب فقال لى : ياأبا عبد الله أستودعك الله ، فقد جاء جزار بنى هاشم ، فلم تمض إلا ساعة حتى تسلمه واستبعد به ، وضرب خيمة ، ثم دخل به فيها ، وخرج ، وألقاها على ما فيها وركب دابته وسار ،

٤ ظ
٢

---

(١) انظر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٤ — ٥ والبلوى : سيرة أحمد ابن طولون ص ٣٦ — ٣٧

(٢) دخل هذا الشاب مصر بعد ذلك مع ابن طولون وأصبح كاتبه وموضع ثقته كما سيأتى فيما يلى . انظر سيرة ابن طولون للبلوى ص ٢٣ و ٤٢ و ٥٧ و ٩١ و ١١٣ — ١١٥ و ٢٤٦ — ٢٤٨ و ٢٦٤ و ٣١٨ و ٣٣٧ و ٣٣٨

٥ و / ٢

فلما بعد نظرنا إلى ما فى الخيمة ، فاذا جثة المستعين ، وقد حمل الرأس [(١)] / فلم يبرح أحمد بن طولون حتى غسل الجثة وكفنها وواراها ودخل. أحمد بن طولون سرمن رأى وقد زاد محله فى قلوب الأتراك ، ووسموه [(٢)] بحسن التوقف وجميل المذهب ، فوقع اختيار باك باك عليه فى خلافته على مصر [(٣)] فقلده إياها [(٤)] .

فحدثنى نسيم بعد وفاة أحمد بن طولون — وكان أخص الناس به — قال : عرضت على مولاى جوهراً وأعلاقا نفيسة كانت فى خزانة له ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : كانت غاية ما وعدنا به على قتل المستعين ولاية واسط ، فتركت ذلك لله عز وجل فعوض الله ولاية مصر والشامات وسعة الأحوال معها .

ونحرج أحمد بن طولون الى مصر ، ومعه أحمد بن محمد الواسطى ، وكان يخصه ، وأبو يوسف يعقوب بن اسحاق [(٥)] كاتب قرة الوزيرية [(٦)] ، ودخل مصر يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين . فحدثنى الحسن بن رافع الكاتب قال : جلست / فى بعض الدكاكين والناس مجتمعون لتأمله عند دخوله ، وجلس معى فى الدكان شاب مكفوف ينسب إلى أبى قبيل صاحب الملاحم [(٧)] قال : فسأله رجل كان معنا عما يجده فى كتبهم له فقال : هذا رجل صفته كذا وكذا وهو يتقلد هو وأولاده أربعين سنة . قال الحسن بن رافع : فوالله ما تم كلامه

د ظ / ٢

---

(١) انظر الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ١١ ص١٤٦ — ١٤٧ والمسعودى : مروج الذهب ج ٧ ص ٣٧٠ وما بعدها والبلوى : سيرة أحمد بن طولون ص ٤٠ — ٤١

(٢) فى Vollers : Fragmente : « ووسموه »

(٣) انظر Zaky M. Hassan : Les Tulunides p 33 والطبرى · تاريخ الامم والملوك ج ١١ ص ١٥٧

(٤) ذهب ابن بطريق (التاريخ ص ٦٧) الى ان أحمد بن طولون كان قد تزوج ابنة باكباك والأرجح ان ابن بطريق خلط بين باكباك وبارجوخ الذى خلفه على اقطاع مصر وكان حما ابن طولون كما سياتى ، وانما المشهور ان باكباك كان قد تزوج أم احمد بن طولون بعد وفاة زوجها . انظر ما اقتطفه وستنفلد عن جمال الدين بن ظافر الأزدى فى كتاب أخبار الدول F. Wustenfeld ; Die Statthalter von Agypten zur Zeit der Chalifen S. 58

(٥) اقرأ بعض اخباره فى البلوى : سيرة احمد بن طولون ص ٤٢ و ٤٦ و ١٦٤ — ١٦٧

(٦) كذا فى المخطوطة وفى Vollers : Fragmente S. 8 والراجح عندنا ان العبارة « كاتب قرنه الوزير به » وإن كان من المحتمل ان ابا يوسف هذا كان كاتباً لقرة ام صاحب الزنج وهى من قرية اسمها ورزنين انظر تاريخ الطبرى ج ١١ ص ١٧٤

(٧) انظر سيرة هذا المكفوف والقصة التى نحن بصددها هنا فى القفطى : تاريخ الحكماء ص ٣٣٣ — ٣٣٤

وقد اشار السيوطى إلى هذه القصة فى حسن المحاضرة عند الكلام على ابن طولون فى باب ذكر امراء مصر من حين فتحت إلى ان ملكها بنو عبيد وقال عن هذا الشاب المكفوف ان اسمه الملاحم .

حتى مر بنا أحمد بن طولون فوالله لقد كانت صفته وخلقه وقده وشمائله على ما حكى المكفوف، ولم يغادر شيئا منه.

وكان يوسف بن ابراهيم والدى تقدم الى غلام له أن يرصد بالاسطرلاب دخول أحمد بن طولون مساكن فسطاط مصر فرجع اليه وذكر أنه وجد الطالع فى ذلك الوقت ثلاث عشرة درجة من العقرب وكان عنده يزيد بن عبدالله[1] قرابة ذى الرئاستين المتقلد على معونة[2] مصر قبل مزاحم ابن خاقان فقال: دخل وطالعه برج قران قامت فيه دولة بنى العباس، والشمس متمكنة/ مما يلى أفضل الأوتاد، فان صدق قول المنجمين فيه ملك هذا البلد وولده قرانين، وهو قريب من أربعين سنة. قال أحمد بن يوسف: فلما حدثنى الحسن بن رافع بما سمعه من المكفوف وشاهده من كلام يزيد بن عبد الله عجبت من اتفاق القولين مع مدة الطولونية فانها كانت ثمانى وثلاثين سنة.

٦ و / ٢

وكان عامل الخراج يومئذ بمصر أحمد بن المدبّر، وعامل البريد[3] شقير الخادم[4] غلام قبيحة أم المعتز المعروف بأبى صُحبة واستقباله، وأهدى أحمد بن المدبّر إلى أحمد بن طولون من المال والدقيق والخيل مامقداره عشرة آلاف دينار، فرد ذلك أجمع، فقال أحمد بن المدبر لكاتبه على بن الحسين بن سعيد المدائنى[5]: اكتب لى كتاباً إلى الوزير تُعلمه أن هذا الرجل لا ينبغى أن يتقلد إلا بحضرة السلطان أو ماقرب منها. فقال على بن الحسين: ولم ذاك؟ قال ابن المدبر: همّة تردُّ مامقداره عشرة آلاف دينار لا تؤمن على طرف/ من الأطراف[6]، فدافع[7] على ابن الحسين بالكتاب.

٦ ظ / ٢

(١) كان واليا على مصر من سنة ٢٤٢ الى سنة ٢٥٣ هـ. انظر سيرته فى الكندى: الولاة والقضاة ص ٢٠٢ وما بعدها و Zaky M. Hassan: op. cit. pp 35

(٢) المتقلد على المعونة هو الوالى او صاحب الشرطة. انظر Wiet: Corpus II pp 30, 54, 231 وما يشير اليه من المراجع وسيدة كاشف: مصر فى عصر الاخشيديين ص ٤٩ و ٥٢

(٣) انظر عن وظيفة صاحب البريد ابو يوسف: كتاب الخراج ص ٢٢١ و Zaky M. Hassan: op. cit. pp 199—202 وما أشار اليه من مراجع وحسن ابراهيم حسن وعلى ابراهيم حسن: النظم الاسلامية ص ٢٥٤ — ٢٥٩ وما ذكراه من مراجع.

(٤) انظر تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٦١٥ — ٦١٦ والبلوى: سيرة احمد بن طولون ص ٤٥ و ٥٦ و ٥٨ و ٨٨

(٥) الراجح أنه على بن الحسين بن شعيب المدائنى الذى سيأتى ذكره والذى قلده ابن طولون الخراج مع ابراهيم الاطروش بعد عزل ابن المدبر، جاء اسمه فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ١٧٨) على بن الحسن ابن شعيب المداينى. أنظر Zakey M. Hassan: op. cit. p. 78

(٦) فى كتاب المكافأة لأبن الداية (ص ١٣١): «ماينبغى أن يثق السلطان بمن لم يكن لعشرة آلاف دينار فى عينه قدر على طرف من أطراف مملكته».

(٧) لعلها فوافق أو فدفع.

وكان لأحمد بن المدبر مائة غلام من مولدى الغور[1] ، لهم تمام خَلْق وبأس فى أنفسهم ، ومعهم مقارع تامة مقمعة بفضة يقفون بها فى مجالسه ، فتكون له بهم هيبة ، فبعث إليه أحمد ابن طولون : كنت بعثت إلينا بهدية ذات قيمة فرددناها عند وقوع الاستغناء عنها ، وأنا أسألك أن تعوضنى عنها مائة غلام عندك من مولدى الغور[2] . فقال ابن المدبر لعلى بن الحسين كاتبه : قد ظهرت فى هذا الرجل علامة أخرى ، وهى أنه يردّ الأعراض والأموال ويستهدى الرجال . فوجههم إليه فنقصت هيبة مجلسه ، وثقل أحمد بن طولون على قلب ابن المدبر .

وكان الحسن بن شعرة[3] مضحك المتوكل قد انضوى إلى ابن المدبر فكان ينادر بأحمد ابن طولون ويحكيه فى إشارته وكلامه فيضحك بهذا ابن المدبر فى الخلوة ، وانتهى ذلك إلى / أحمد ابن طولون ، فدعاه ونهاه عما اتصل به ، وحلف له أنه إن عاود إلى شىء من ذلك أتى على نفسه فلم ينته واتصل به معاودته فأمسك عنه . واضطرب السعر ، فركب أحمد بن طولون ، فلما بلغ مسجد عبد الله وازدحم الناس للنظر إليه من علو دار الحسن بن شعرة سقط من علو داره مِرْكن[4] ، فمسح كفل دابته ، فسأل عن الدار فقيل : للحسن بن شعرة فدعاه وضربه ثلاثمائة سوط لما كان فى قلبه عليه ، لا لسقوط المركن ، وطاف به فمات[5] .

واستمال أحمد بن طولون معمرا الجوهرى[6] وأخذ كتبه إلى وجوه التجار بضمان جميع ما سألهم خليفته حمله بالحضرة[7] إلى من ينقطع الأمر بينه وبين من يتولى المصانعات[8]

(١) الغور بضم الغين إقليم جبلى بين هراة وباميان وحدود كابل وغزنة . انظر ياقوت : معجم البلدان وراجع G. le Strange : The lands of the Eastern Caliphate pp 416—417

(٢) فى سيرة احمد بن طولون للبلوى (ص ٤٥) : « قد كنت ، أعزك الله ، أهديت لنا هدية وقع الاستغناء عنها ، فلم نجز تغنم مالك ، كثره الله ، فرددناها توفيرا عليك . وأحب أن تجعل العوض منها الغلمان الذين رأيتهم بين يديك ، فأنا إليهم أحوج منك »

(٣) سماه ابن الداية فى المكافأة حسين بن شعرة وسماه البلوى فى سيرة ابن طولون حسن بن شعرة انظر أيضاً Zaky M. Hassan : op. cit. p. 190

(٤) المركن كمنبر (ج مراكن) اناء لغسل الثياب او زرع الزهور .

(٥) وردت هذه القصة ببعض التفصيل فى كتاب المكافأة لابن الداية (ص ١٣٢ — ١٣٤) وفى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ١٤٨ — ١٥٠) .

(٦) هو معمر بن محمد الجوهرى ويبدو انه كان من الأثرياء وكان له وكلاء وعملاء فى العراق . وقد ذكره الكندى بين الذين أوفدهم ابن طولون الى ابنه العباس بعد أن ثار عليه وسار إلى برقة (الولاة والقضاة ص ٢٢١ — ٢٢٢) .

(٧) الحضرة مقر الخليفة أو الأمير . اقرأ عن تطور معناها Max van Berchem ; Corpus Inscriptionum arabicarum. Egypte, I, pp 551—552 .

(٨) المصانعة المداهنة والمداراة والرشوة ، ومنه المثل « من صانع بالمال لم يحتشم من طلب الحاجة » .

٧ و
٢

عن أحمد بن طولون [١]، وكاتب الحسن بن مخلد [٢]، وأجزل برّه، واستدعى كتب مجاوريه [٣] ومعامليه الواردة، فكان أول ماورد عليه منه كتاب شقير الخادم عامل البريد بمصر يخبر فيه أن أحمد بن طولون / على التغلب والعصيان بمصر. وقد كان خبر الحادث بالمعتز وافى فى تلك الجمعة، فأحضره أحمد بن طولون راجلا من منزله، وتعتع فى طريقه تعتعة أشفت به على الهلكة، وشق عنه فأقام يستغيث، ثم حمله بعد أن سقطت قوته، ووكل به، وصرفه إلى منزله فمات من غد ذلك اليوم [٤].

٧ ظ
٢

وأنفذ الحسن بن مخلد بعد هذا كتابا من ابن المدبر إلى المعتز بمثل ذلك، فوثب محمد بن هلال وشجعه على تقليد الخراج [٥]، وأنفذ كتبه إلى يارجوخ حتى ورد تقليد ابن هلال على ابن المدبر، فقوّى يده على الاستخفاف به، ولم يزل عنده بحال سيئة محتبساً [٦] حتى ولى المعتمد فكتب برد الخراج إلى يد ابن المدبر، فرام أن يكافىء ابن هلال على سوء بلائه عنده، فلم يمكنه مع انحراف ابن طولون عنه.

---

(١) فى سيرة أحمد بن طولون للبلوى (ص ٦٠) « واستمال احمد بن طولون معمر الجوهرى، وكان له محل جليل بمصر وبغداد، وأخذ كتبه إلى أخيه ببغداد وإلى حدرى وجباب الجوهريين، وكانا أجل اهل سر من رأى، وإلى جماعة من وجوه التجار بها بأن يدفعوا إلى خليفته بالحضرة كل ما أحب من مال وإن احتاج الى ضمانهم عنه فى شىء يحتاج اليه من المصانعة ضمنوا وكتبوا له بذلك، ليأخذ العوض منه بمصر ».

(٢) هو الحسن بن مخلد بن الجراح الوزير العباسى وقد حدث بعد ذلك أن نفاه الخليفة الى الرقة فسار الى ابن طولون فأكرم وفادته ثم وقع بينهما ما حمل الأمير على حبسه.
أنظر تفصيل ذلك فى سيرة ابن طولون للبلوى ص ١٧٣ — ١٧٥

(٣) فى Vollers : Fragmente S. 10 محاوريه بالحاء المهملة والمقصود ان ابن طولون طلب من الحسن بن مخلد المكاتبات التى يرسلها الى سامرا أعداؤه فى مصر.

(٤) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٥٨ — ٥٩) : « فأحضر أحمد بن طولون شقيرا الخادم راجلا من داره؛ وتقدم بأن يتعتع ويكد فى عدوه من داره بمصر إلى الميدان؛ وكان شقير الخادم مبدنا مرفها؛ وقصد احمد بن طولون، لعله بذلك منه؛ أن يقتله التعب، فلم يصل اليه إلا وقد كادت نفسه تخرج. فلما مثل بين يديه أمر بأن تحضر السياط والعقابان فأحضرا وأمر بشده فى العقابين وغفل عنه، فاستفاق ساعة وسقطت قوته ووقع، وتبين فيه الموت فلم يضرب، وأمر برده إلى داره راكبا، فلما حصل فيها مات آخر نهار يومه، وأنفذ أحمد بن طولون اليه العدول حتى شاهدوه عريانا وأنه مات من غير ضرب ولا سبب غير فناء أجله ».

(٥) كان لابن هلال مكانة طيبة فى مصر وكان قد تودد إلى ابن طولون وسأله أن يطلب من الخليفة تعيينه على الخراج ونجح ابن طولون فى هذا بفضل علاقته برجال الدولة فى العراق.

(٦) أى قويت يد ابن طولون على الاستخفاف بابن المدبر. وقد جاء فى تاريخ اليعقوبى (ج ٢ ص ٦١٦) أن ابن طولون قبض على ابن المدبر فقيده وألبسه جبة صوف ووقفه فى الشمس فأقام بهذه الحال ثلاثة أشهر أنظر ايضاً البلوى : سيرة احمد بن طولون ص ٥٩

ورد بارجوخ إلى أحمد بن طولون الأعمال الخارجة عن معونة مصر إلى يده [١] فتسلم من اسحاق بن دينار الاسكندرية [٢] ومن أحمد/بن عيسى الصعيدى [٣] برقة .

٨ و
٢

وكان عيسى بن شيخ متقلدا لفلسطين والأردن ومتغلبا على دمشق ، وتغنّم اضطراب الموالى بالحضرة ، فحمله أن يتغلب على مصر ، وحمل ابن المدبر سبعمائة ألف دينار ، وخمسين ألف دينار إلى السلطان ، فأخذها . وكتب السلطان الى أحمد بن طولون فى التأهب لعيسى بن شيخ ، وضبط أعماله بأثبات [٤] الرجال ، والى صاحب الخراج بازاحة علته فى النفقات [٥] ، فوجدها أحمد بن طولون فرصة ، فأثبت جيشاً كثيفا ، وابتاع من الحمران والسودان [٦] خلقا كثيراً ، وأنفذ السلطان إلى عيسى بن شيخ الخادم المعروف بعرق الموت [٧] ومعه الكزبرى [٨] وأبو نصر الفروزى [٩] الفقيهان لمطالبته بالأموال التى اقتطعها من مصر ، ووجبت عليه من مال عمله ، وأنفذ معهم بعهده على أرمينية ، فلم يعترف بدرهم [١٠] وذكر أن نفقات الرجال استهلكته . وبويع المعتمد

---

(١) كان ابن طولون قد اصهر إلى يارجوخ القائد التركى الذى أقطع مصر بعد قتل باكباك على يد الخليفة الجديد المهتدى بالله (الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ١١ ص ٢٠٤) فلما صار اقطاع مصر الى يارجوخ كتب الى ابن طولون يبشره بذلك ويقول له : « تسلم من نفسك لنفسك » وزاده ولاية الأسكندرية وبرقة . انظر Zaky M. Hassan: op. cit. pp 45—47

(٢) جاء فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٤٨) ان ابن طولون خرج الى الأسكندرية لتسلمها فلما قرب منها « تلقاه اسحق بن دينار ، وقد كان وقف على ماجرى ، وتوقع صرفه عنها فخرج إليه حتى لقيه بأبعد المواضع ، فلما رآه ترجل له ، وأعطاه بحق الرياسة عليه ، فأحشم ذلك منه احمد بن طولون وكان حييا ، رقيق الوجه ، فاستحيا منه ان يصرفه عن البلد فأقره عليه » .

(٣) سماه البلوى فى سيرة ابن طولون (ص ٨١) احمد بن عيسى الصعدى . ولعل الأستاذ كرد على كان قد أخطأ فى قراءة النسبة حين كتب فى هذه السيرة (ص ٤٦) حاشية نقلها عن ابن الداية وقال فيها إن ابن طولون تسلم من احمد بن عيسى الصعيد وبرقة . والصواب عندنا ان ابن طولون لم يتسلم الصعيد من احمد بن عيسى وإنما كان تابعاً له قبل ان يصير اقطاع مصر الى يارجوخ وقد حدثنا الكندى عن اشتغاله باخضاع اثنين احدهما لجأ الى هذا الاقليم والآخر شق عصا الطاعة فيه (الولاة والقضاة ص ٢١٢ — ٢١٣) والراجح ان كرد على قرأ « الصعيد وبرقة » بدلا من « الصعيدى برقة »

(٤) الأثبات ثقات القوم والمقر ثبت .

(٥) أى ان يطلق له من المال ما اراد لذلك .

(٦) لعل المقصود اشترى العبيد روما وسودانا ، كما فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٥١) .

(٧) قال الثعالبى فى كتاب ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب (ص ٥٤٨) : « عرق الموت يضرب مثلا لأشد الشدة ، وكان الحسين الخادم خادم المعتضد والمكتفى الذى كان يتولى البريد يلقب بعرق الموت ، وقيل ان المكتفى لقبه بذلك » .

(٨) سماه البلوى فى سيرة ابن طولون (ص ٥٠) الكريزى . وسماه الطبرى (ج ١١ ص ٢١٥) محمد بن عبيد الله الكريزى القاضى .

(٩) سماه البلوى فى سيرة ابن طولون (ص ٥٠) ابا نصر المروزى . وسماه الطبرى (ج ١١ ص ٢١٥) اسماعيل بن عبد الله المروزى المعروف بأبى نصر .

(١٠) فى Vollers.: Fragmente S. 12 « بودم » .

٨ ظ / ٢

فلم يدع له عيسى بن شيخ على منابره ، ولا أخذ بيعته / على أصحابه ، وتمكب لبس السواد[١] ، ليوهمهم به ، واستعمل الحسين الخادم بأن دفع إليه عهده على ارمينية[٢] .

وأنفذ من الحضرة أماجور التركى[٣] متقلدا لدمشق فى ألف رجل ، فلما قرب وجه اليه عيسى بن شيخ بابنه منصور وكان شديد البأس وخليفة له يعرف بأبى الصهباء ، وأمرهما بمنعه من دخول دمشق ، وكان معهما وجوه أصحاب عيسى بن شيخ . والتقى أماجور ومنصور فرزق النصر عليه وقتل منصور فى المعركة ، وأُسر أبو الصهباء ، فضرب أماجور عنقه وصلبه على باب دمشق . وتحرك عيسى لقتل منصور ولده وخليفته وصناديد عسكره ، وخرج إلى نواحى أرمينية على طريق الساحل ، وتسلم أماجور أعمال الشام ، وذلك سنة سبع وخمسين ومائتين .

وخرج أحمد بن طولون الى الاسكندرية فى سنة ثمان وخمسين ومائتين فأوقع فيها بأخيه موسى ابن طولون ونفاه إلى الثغر ، وبكاتبه يعقوب بن اسحق ، وخلده / المطبق[٤] .

٩ و / ٢

قال أحمد بن يوسف : قلت لأبى جعفر محمد بن موسى بن طولون — وكان لى صديقا ، وبى حفيا — وقد رحل الى مصر بعد قتل أبى الجيش : لم تطل مدة أبى عمران موسى مع الأمير أبى العباس أحمد بن طولون بمصر وأحب أن أقف على السبب فى ذلك ، وما الذى فرق بينهما ؟؟ قال : لما دخل والدى إلى هذا البلد أمر فيه ونهى كما يفعل الشقيق مع الشقيق ، فثقل ذلك على أحمد بن طولون فقصد من قدم والدى العناية به ، فأمسك عن الأمر والنهى وقال له : أيست منك مرتبة فى الدنيا فولنى الاسكندرية فانها ثغر من الثغور فوعده بها[٥] . وكان أحمد بن طولون يتوقع ولاية الثغور الشامية ، وذكر له ولاية طرسوس وقدر بهذا أحمد بن طولون إحياء ذكره بالثغر ، لأنه كان أغلب البلدان على قلبه[٦] وآثره لديه . وكان أخوه موسى صديقا لأبى يوسف يعقوب بن اسحق كاتبه فصار اليه ، وقال له : قد اقتصرت من أخى على موضع / أتعبد فيه ، وليس ينجز وعدى فيها ! فضمن له أبو يوسف إحكام أمرها معه . وقال ذلك يعقوب لأحمد بن طولون فقال : أنا والله محتشم من اسحاق بن دينار ، وقد تلقانى من الاسكندرية

٩ ظ / ٢

---

(١) أى عدل عن لبس السواد وهو لباس العباسيين وشعارهم .

(٢) كذا فى المخطوطة . والقصة فى سيرة ابن طولون للبلوى مع بعض التعديل (ص ٥٠ — ٥١) ومنها « واستعمل حسين الخادم مداراته بأن دفع اليه عهده على ارمينية » .

(٣) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٥٢) ماجور الأفرنجى

(٤) المطبق سجن تحت الارض .

(٥) وردت هذه القصة ببعض التفصيل فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٤٦ — ٤٧) .

(٦) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٤٧) « أغلب البلدان على قلبه محبة » وبها يستقيم المعنى .

بالألطاف [1] وحسن التواضع مما يوجب زيادته فى عمله ، فكيف صرفه عنه ! فردّ فكره عن هذه الناحية وتلطف فى هذا تلطفا يزول به استيحاش أخى مني ، واحذر أن يعلم أنى جاريتك فيه بحرف . قال : أفعل . ولقى موسى بن طولون يعقوب بن اسحاق وكانا يجتمعان على التعجب من مصادر أحمد بن طولون ومواردها [2] ، وأن الحظ يسوى أمره ، ويحسن قبيحه ، فسأله موسى : هل جرى فى أمر حاجته مع أحمد بن طولون شيء ، قال : قد كلمته ، فذكر تحشمه من صرف ابن دينار لما استقبله به من الألطاف والاكرام واستكتمنى هذا . فانصرف عن أبى يوسف وقد ملىء غيظاً ، فكان أول ما قال لأخيه : يا هذا الرجل ، أعطنى جوازا [3] حتى أخرج عنك وأستريح منك ! فقال له أحمد — وكان صبوراً على سوء / اللقاء — : ولم ذاك ؟ قال : لأنى سألتك شيئاً أكف به خوض الشامتين فبخلت به على ، ووالله ما أظنك تخرج من الدنيا سالما بقطع رحمك وتفضيل غلمانك على أقرب الناس منك ، فلعن الله جوارك ! وأراحني منك ! فأمر ببطحه وضربه بيده عشرين مقرعة ، ونفاه إلى الثغر ، وأمر له بمال ، فحلف أنه لا يأخذه ولا يصحبه له شيء . فلما نفى قبض على يعقوب وأنفذه من الاسكندرية إلى المطبق ، واعتد عليه بأنه أبدى سراً من أسراره ، فأقام به إلى موسم أربع وستين ومائتين ، ثم أطلقه إلى منزله بسر من رأى ، فخرج على طريق مكة ، وكف لسانه بالعراق ، ولم يذكر أحمد بن طولون بكلمة قبيحة : فزاد ذلك فى عين الموفق وتقدم عنده .

١٠ و
٢

قال : وحدثنى براقة الحاسب — وكان صديقاً ليعقوب بن اسحاق قبل نكبته — قال : صار إلى مصر مولى يعقوب بن اسحاق بعد انصراف أحمد بن طولون من الاسكندرية إلى الفسطاط يدعونى إلى مولاه ، وكان مواصلا لى / قبل ذلك ، ويذكر أن يعقوب بن اسحاق قد استبطأنى ، فتهيبت ذلك ، فقال : قد تقدم إلى قيم المطبق أن يُفرد من جملة المحبَّسين ، ويطلق الأذن لمن قصده من حشمه وذوى عياله ، فمضيت ، فوجدته فى غرفة واسعة ، فقال لى : يا أبا زكريا قد تفرغت إلى العرض عليك والاقتباس منك ، فألزمنى ، فعمل زيج السند هند [4] بأسره ، وعمل صدراً من أحكام النجوم ، فأقمت أنقطع إليه فى محبسه خمس سنين وأشهراً حتى أطلق .

١٠ ظ
٢

---

(١) الألطاف : الهدايا

(٢) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٤٩) : من مصادر أمور أحمد بن طولون ومواردها .

(٣) اقرأ عن جوازات السفر فى فجر الأسلام Zaky M. Hassan : op. cit. pp 179, 207—209 وسيده كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ١٩٨ — ١٩٩

(٤) الزيج : كتاب فيه جداول فلكية تحسب بها حركات الكواكب ويستخرج التقويم ، انظر نللينو : علم الفلك ص ٤٢ وراجع شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل للشهاب الخفاجى وكتاب الالفاظ الفارسية المعربة للسيد أداشير .

وضاقت بأحمد بن طولون دار الأمارة وبأصحابه الأفنية ، فبنى الميدان وأضاف إليه القطائع فاجتمع إليه أمره وضبط حاشيته .

ولما صح عند أماجور ما اجتمع عند أحمد بن طولون من الرجال خافه ، فكتب إلى السلطان أنه قد اجتمع لأحمد بن طولون مالم يجتمع لابن الشيخ ، وأنه يخاف سورته على هذه النواحي ، وأنه قد غلب على مصر [1] . فكتب إلى أحمد بن طولون يأمره باستخلاف خليفة / على مصر ، ويشخص إلى الحضرة ، ليدبر أمر السلطان والمملكة [2] فعلم أحمد بن طولون أن هذا تدبير عليه ، وأنفذ أحمد بن محمد الواسطي كاتبه إلى الحضرة ، واستكتب جعفر بن عبد الغفار .

١١ و
٢

قال : وحدثني أحمد بن خاقان — وكان صديقاً لأحمد بن طولون — قال : لما استكتب أحمد ابن طولون جعفر بن عبد الغفار اضطرب بما حمله فقلت له : يحتاج موضع هذا الكاتب من هو أوفى منه وزناً . فقال لي : أنا أحتمله لأنه مصري . فقلت له : أراك أيها الأمير تفضل الكاتب المصري على الكاتب البغدادي . قال : لا والله ، ولكن أصلح الأشياء لمن ملك بلداً أن يكون كاتبه منه ، وأن يكون شمل الكاتب فيه ، فانه يجتمع له في ذلك البلد أمور صالحة ، منها أن تكون بطانة الكاتب وحاشيته في ذلك البلد فيعود مرفقه على فريق من أهله ، ومنها رغبته في اعتقاد [3] المستغلات به فيكون ضماناً [4] لجناياته [5] ، وهو مع هذا وشمله ظاهرون / ومستقرون في خدمتي ، والكاتب العراقي ليس كذلك لأنه يعتقد المستغلات في بلده النائي عنه [6] وعني ، ويستبطن [7] الرباع [8] . ومن يشير عليه أن يعمر بلده الذي يعمل فيه وهوفي كل وقت متطلع إلى بلده ! فبهذا السبب زهدت في كتاب سر من رأى مع علمي بتقدمهم في الكتابة والرجاحة ، فصوبت قوله ، ورأيت عذره [9] .

١١ ظ
٢

---

(١) في سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٥٦) أن ماجور كتب إلى الحضرة : أما بعد فانه قد اجتمع لاحمد بن طولون أكثر مما كان يجتمع لاحمد بن عيسى بن شيخ ، والخوف منه أكثر ، إذا كان فيه من الفضل ماليس في احمد بن شيخ » .

(٢) في سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٥٦ — ٥٧) أن الخليفة كتب الى ابن طولون : « أما بعد فانا رأينا أن نرد اليك أمر دارنا بالحضرة وتدبير مملكتنا ، فاذا قرأت كتابنا هذا فاستخلف على قصرك من أحببت ، والبلد لك وباسمك ، واشخص الينا لما ندبناك اليه ورأيناك أهلا له ، والسلام » .

(٣) اعتقاد المال : جمعه .

(٤) في Vollers : Fragmente S. 15 صفانا .

(٥) أي لما يجتنى منه .

(٦) كذا في المخطوطة وفي Vollers : Fragmente S. 15 . وفي سيرة ابن طولون للبلوى (ص ١٠٧) « في البلد النائي عني » .

(٧) في Vollers : Fragmente S. 15 « يستبطي » .

(٨) الرباع جمع ربع بمعنى الدار وما حولها . وقد تكون الرياع بالياء من الريع بمعنى الغلة .

(٩) وردت هذه القصة مع بعض التعديل والتفصيل في سيرة ابن طولون للبلوى (ص ١٠٦ — ١٠٧)

وكان بارجوخ من أكبر عدد أحمد بن طولون ، لتوالى بره عليه ، والصهر الواقع بينهما ، وقد انفرد بمرتبة باك باك بعد قتله ، فسعي فى أمره وحمل الواسطي إلى الوزير مالا ، فأعفى من الشخوص [١] ، وأطلق له ولده وسائر حرمه .

فلما ثبتت وطأة أحمد بن طولون اشتد خوف ابن المدبر منه ، فكتب إلى أخيه ابراهيم بن المدبر يسأله التلطف له فى الصرف عن مصر ، فورد عليه كتاب بتقليد خراج فلسطين والأردن ودمشق ، فاستعمل ابن المدبر التلطف والحيلة فى التخلص ، وخرج وقد صانع أحمد بن طولون بهبة ضياع / كان ملكها بمصر ، وعقد نكاح بين أبى الجيش وبين طفلة [٢] من ولده ، وشيعه أحمد بن طولون .

١٢ و
٢

وورد على الخراج أحمد بن محمد بن أخت أبى الوزير [٣] فى سنة ثمان وخمسين ومائتين ، وتقدم إلى أحمد بن طولون فى استحثاثه بالأموال فتتابع حمله إلى المعتمد ، وأعلمه ألا يستتر مايحمله عن الأولياء إلا أن تكون عمالة الخراج فى يده وأنه لا يخفى عن الموالى والمطالبين ما يصل اليه ، والخراج فى يد غيره [٤] ، فأنفذ المعتمد نفيسا الخادم بتقليده خراج مصر والمعونة والخراج بالثغور الشامية ، ووجه نسيما الخادم بصالح بن أحمد بن حنبل [٥] ، وكان قاضى الثغور ومحمد بن أحمد الجذوعى [٦] وكان قاضى واسط وكتب إليه معهم إعفاءه مما يطالبه به فيما كثر فيه من أثبات الرجال ، وشهدا بذلك على أن يحمل ما جرى الرسم بحمله من المال والطراز .

فخرج أعلام مصر والوجوه بها يشكرون سيرة أحمد بن طولون / فى بلدهم ، ومعهم أصحاب أخبار من قبله ينهون إليه كلام كل واحد منهم [٧] .

١٢ ظ
٢

(١) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٥٧) ان الوزير الحسن بن مخلد قال للواسطى كاتب ابن طولون حين تسلم المال والهدايا : « لن تزعجه عن عمله ولا يقبل فيه قول ساع سعى فيه » .

(٢) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٦٠) : « وبين ابنته لخلة » .

(٣) سماه البلوى فى سيرة ابن طولون (ص ٦٠) ابا تراب أحمد بن شجاع ابن أخت الوزير وسماه الكندى الولاة والقضاة ص ١٧ م ، أبا أيوب أحمد بن محمد بن شجاع .

(٤) المعروف أن الموفق أخا الخليفة المعتمد كان قد غلبه على أمره . ولعل المعتمد كان يريد أن يصله من خراج مصر ما يخفى أمره على الموفق والمحيطيين به فاشترط ابن طولون على الخليفة ان يعينه على الخراج ايضا .

(٥) ترجم له محمد بن القاضى ابى يعلى ابن الفراء فى طبقات الحنابلة والخطيب والبغدادى فى تاريخ بغداد

(٦) ترجم له الصفدى فى الوافى بالوفيات والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد وسماه محمد بن محمد الجذوعى

(٧) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٧٣) : « فأخرج أحمد بن طولون شيوخ مصر ووجوهها الى العراق ، يشكرون سيرته فيهم ، وضبطه لبلدهم ، وأنفذ معهم أصحاب أخبار من حيث لا يعلمون بهم ، يحصون عليهم ما يكون من واحد واحد وينهونه إليه عند عودتهم ، فعادوا ولم يعرف سىء منهم ، فشكرهم ذلك وأحسن برهم وزادت محبته لهم » .

وأقر الخراج فى يد أبى أيوب من قبله وجعل عبد الله بن دشومة أميناً عليه ، وصير نعيما [١] عينا عليهما ، وقلد الأملاك سليمان بن ثابت المعروف بأبى دشومة [٢] .

وحدثنى شعيب بن صالح قال : كان عبد الله بن دشومة شهماً واسع الحيلة ، بخيل الكف ، وكان زاهداً فى شكر الشاكرين ، يرى الثناء حيلة من حيل القاصدين على المقصود ، ولا يهش إلى شىء من أعمال البر . وكان أحمد بن طولون رقيباً على نفسه فى أكثر ما يجرى على يديه من الأشياء ، يتصدق فى أثرها [٣] ، ويتضرع إلى ربه فى تمحيص ماثبت عليه فيها ، ويتأول فيما يأتيه بما تريه الحجة فى أكثر سطواته ، فلما رد إليه المعتمد الخراج رغب بنفسه عن أدناس المعاون [٤] ، وأجمع على إسقاطها وحياطة عمود الخراج ، ومنع المتقبلين من الفسخ ، وحظر / الارتفاق [٥] على العمال ، وتجريد العناية فى عمارة ما تقلده من مصر ، فشاور عبد الله بن دشومة فقال : يؤمننى الأمير — أيده الله — على صدقه والقول فيه بما عندى ؟ قال : قد أمنك الله من غضبى عليك فيما تلقانى به . قال : أيها الأمير ، الدنيا والآخرة ضرتان ، والشهم من لم يخلط إحداهما بالأخرى ، والمفرط من خلط فيما بينهما فتتلف أعماله ، وأفعال الأمير أيده الله أفعال الجبارين ، وتوكله توكل الزاهدين ، وليس مثله ركب خطة لم يحكمها ، ولو كنا نثق بالنصر وطول العمر لما كان شىء آثر عندنا من التضييق على أنفسنا فى العاجل فى عمارة البلد فى الآجل ولكن الانسان قصير العمر ، كثير المصائب ، مرمى بأغلظ الآفات ، فتركه ما يستدق له تضييع ، ولعل الذى حماه نفسه يكون سعادة لمن يأتى بعده ، فيفوز بما حرمه ، وقد اجتمع للأمير من هذا

١٣ و
٢

---

(١) هو نعيم المعروف بأبى الذؤيب أو أبى الذئب ، غضب عليه ابن طولون بعد ذلك ، ففر وتزيا بزى راهب فى دير من الديارات . أنظر سيرة ابن طولون للبلوى (١٣٠—١٣٣)

(٢) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٧٣) : المعروف بأبى ريشة . أنظر أيضاً ابن الداية : المكافأة ص ١١٤—١١٥

(٣) فى المرجع نفسه آن ابن طولون كان رقيبا على نفسه يتصدق فى أثر الاساءة ، إذا جرت منه إلى إنسان ، بالصدقات الجزيلة .

(٤) فى المرجع نفسه (ص ٧٤) «أدناس المعاون ومرافقها» وقد جاء فى خطط المقريزى (ج ١ ص ١٠٣) وأول من أحدث مالا سوى مال الخراج بمصر أحمد بن محمد بن مدبر لما ولى خراج مصر بعد سنة خمسين ومائتين ، فانه كان من دهاة الناس وشياطين الكتاب فابتدع فى مصر بدعا صارت مستمرة من بعده لا تنقض فأحاط بالنطرون وحجر عليه بعد ما كان مباحا لجميع الناس وقرر على الكلأ الذى ترعاه البهائم مالا سماه المراعى وقرر على مايطعم الله من البحر مالا وسماه المصايد إلى غير ذلك فانقسم حينئذ مال مصر إلى خراجى وهلالى . وكان الهلالى يعرف فى زمنه وما بعده بالمرافق والمعاون فلما ولى الأمير أبو العباس أحمد بن طولون امارة مصر وأضاف اليه أمير المؤمنين المعتمد على الله الخراج والثغور الشامية رغب وتنزه عن أدناس المعاون والمرافق وكتب باسقاطها فى جميع أعماله وكانت تبلغ بمصر خاصة مائة ألف دينار » أنظر أيضاً : Zaky M. Hassan op. cit. pp 245-246.

(٥) الارتفاق : الانتفاع .

١٣ ظ
٢

القائم (١) ما مقداره فى السنة مائة ألف دينار ، وإن فسخ ضياع الامتراء (٢) ، والتزم الاقتضاب / تزايد المال ، وضبط به أمر دنياه ، وهذه طريق خدمة الدنيا وأحكام أمر الرئاسة بها ، وكل ما عدل به إلى غيره فهو مفسدة لها ، هذا قولى ، والأمير على رأى فيما يراه . قال لى شعيب ابن صالح : فبات فى تلك الليلة مفكراً فيما قاله ابن دشومة ، فرأى فيما يرى النائم صديقاً له كان بالثغر من علية الزهاد ، وقد مات وأحمد بن طولون فى الثغر ، وهو يقول له : بئس ما أشار عليك من استشرته فى أمر الارتفاق واعلم أنه لا يترك أحد لله شيئاً إلا عوضه الله ما يزيد عليه ولا يخالفه فى مكسب إلا خسّره أعظم منه فارجع إلى ربك ، وإن كان التكاثر والتفاخر قد شغلاك عنه فى هذه الدنيا الدبرة ، وامض على ما عزمت عليه ، وأنا أضمن لك عن الله عز وجل أعظم العوض منه قريباً غير بعيد . فلما أصبح دعا بابن دشومة فأخبره بما رأى ، فقال له : أشار عليك رجلان أحدهما فى اليقظة والآخر فى النوم ، وأنت لما فى اليقظة / أوجد وبضمانه أوثق . فقال : ذرنى من هذا ، وأزاله ولم يلتفت إلى كلامه . وركب للصيد ، فلما طعن فى البرية حاست يد دابته فى فتق بناء فى وسط رمل فوقف عليه وكشفه فرأى مطلباً (٣) واسعاً ، فأمر أن يعمل فيه فوجد فيه من المال والزبرجد ما قيمته ألف ألف دينار ، وهو المطلب الذى شاع أمره ، وكتب إليه من العراق بسببه وتعالم الناس المال ، وأنفق صدراً منه فى العين والمسجد والمارستان ووجوه البر . ودعا ابن دشومة فقال له : أنت بئس المشير ومالك دين ترجع إليه ، ولولا أنى أمنتك لقتلتك . وتغير قلب أحمد بن طولون عليه ، وسقط محله منه فرفع إليه بعد ذلك أنه أجحف بالناس فى الانفاق ، فاستصفى ماله ، وأقام فى حبسه حتى مات .

١٤ و
٢

واحتد أمر العلوى البصرى (٤) وكان خروجه فى سنة أربع وخمسين ومائتين ، فأنفذ المعتمد رسولا فى حمل الموفق من مكة إلى الحضرة وكان المهتدى نفاه إليها ، فعقد المعتمد العهد بعده للمفوض / ثم لأبى أحمد ، ولقبه الموفق ، وكُتب بينهما كتاب ارتهن فيه أيمانهما بالوفاء فيما

١٤ ظ
٢

---

(١) أى مما عزم على إسقاطه من المرافق والمعاون .

(٢) هكذا فى المخطوطة وفى Vollers : Fragmente S, 18 . والأرجح « الأمراء » .

(٣) المطلب الكنز وقد شاع هذا الاستعمال عند المؤلفين المصريين فى العصور الوسطى فكتبوا عن أهل الدفائن والمطالب وعقد المقريزى الفصل التاسع فى الجزء الأول من كتاب الخطط « لذكر الدفائن والكنوز التى تسميها أهل مصر المطالب » . والراجح أن معظم هذه الكنوز كانت من الآثار المصرية القديمة . راجع سيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ٢٦٦ — ٢٦٧ و Zaky M. Hassan : op. cit. pp. 54, 211,310.

(٤) صاحب الزنج . راجع اخبار ثورته فى الطبرى : تاريخ الامم والملوك ج ١١ ص ١٨٧ وما بعدها والمسعودى : مروج الذهب ج ٨ ص ٣١ وما بعدها .

وقعت عليه الشرائط ، وقسم المملكة بينهما ، فجعل غربها للمفوض ، واستخلف عليه موسى بن بغا ، فاستكتب موسى عبيد الله بن سليمان بن وهب ، وشرقها للموفق ، وتقدم إلى كل واحد منهما ألا ينظر فى عمل صاحبه ، وأن تكون النفقة على كل من خراج القسم الذى هو فيه ، وخلد الكتاب الكعبة .

واعتنق الموفق محاربة العلوى البصرى ، واضطرب المشرق وتقعد ولاته بما كانوا يحملون [1] وعلموا بخروج العلوى ، فشكا الموفق حاجته إلى المال ، وتأخرت أموال مصر لأن الحمل كان إلى المعتمد سراً ، فأنفذ نحريراً خادم المتوكل إلى أحمد بن طولون فى حمل الأموال والطراز والرقيق والخيل والشمع [2] ، وكتب إليه المعتمد سراً : إن الذى حرك إخراج نحرير إليك أبو أحمد ، وقد أنفذ نحريراً عينا عليك ، ومعه كتب إلى سائر قوادك / بالتضريب [3] عليك ، فلما ورد نحرير اعتقله فى دار الميدان وتلطف لأخذ الكتاب فوجد ابتداءات وأجوبة ، وكان أحد من كاتبه خادما للسلطان يعرف ببدر الحقيقى [4] ، وكان إليه ضياع أبى أحمد بن المتوكل وغيرها من الاقطاعات والخيل والطراز فقتله ، وأحمد بن عيسى الصعيدى [5] ، فانه ضربه ثلاثمائة سوط وحلق رأسه ولحيته ، ثم حمل أحمد بن طولون معه ألف دينار ومائتى ألف دينار ورقيقاً وخيلا وطرازا وجميع ما جرى الرسم به ، وخرج إلى العريش مشيعا له ، ومعه العدول ، حتى يسلم ذلك إلى خليفه [6] أماجور .

١٥ و
٢

(١) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٧٩) : « وأفرد [المعتمد] الموفق لمحاربة العلوى البصرى ، وأخرجه اليه وقواه ، وضم اليه الجيوش ، فلما كبر عليهم أمر العلوى البصرى ، وطالت محاربته ، انقطعت مواد خراج الشرق عن أبى أحمد الموفق وتقاعد الناس عن حمل المال الذى كان يحمل ، واحتجوا فى ذلك بأشياء ، منها خروج العلوى وما لحقهم منه وأخذه من أموالهم ، ومنها خوفهم من أن يؤخذ ما يحملونه فى الطريق ، لكثرة أصحاب العلوى وانتشارهم فى الطرق ، ومنهم من يتربص بالحمل لينظر كيف تكون الأمور ولمن يصح الأمر » .

(٢) فى المرجع نفسه (ص ٨٠) أن الموفق أرسل نحريرا الخادم الى ابن طولون لحمل المال « وورد فى عقب الكتاب اليه كتاب من المعتمد ، يأمره بحمل المال اليه على رسمه مع ما جرى الرسم بحمله مع المال فى كل سنة من الطراز والرقيق والخيل والشمع والخيش وغير ذلك » . والأرجح ما جاء فى البلوى لأن الموفق كان يطلب المال ليستعين به فى حرب الزنج . أما الخليفة فكان يطالب المال مع ما كان يرسل اليه من الطراز والرقيق والخيل والشمع وما إلى ذلك من خيرات مصر .

(٣) التضريب التحريض .

(٤) لعلها الخفيفى . وفى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٨١) أن بدرا هذا هو صاحب القيسارية الوقائية التى تعرف بقيسارية بدر .

(٥) فى المرجع نفسه الصفدى .

(٦) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٨١) : « وجه [ابن طولون] الى صاحب ماجور بالعريش فأحضره وسلمه [أى نحريرا] والمال اليه » .

وتقدم أبو أحمد الى موسى بن بغا فى صرف أحمد بن طولون عن مصر وتقليدها أماجور فامتثل موسى أمره ، وكتب إلى أماجور كتاب التقليد فتوقف أماجور عن إيصاله للعجز عن مناهضة أحمد بن طولون . وخرج موسى بن بغا من الحضرة والعمال على أن يدوسوا عمل المفوض بأسره [1] ، وكتب الى/أماجور [كتاب التقليد ، فتوقف [2]] وأحمد بن طولون يستحث الأموال ، وكان معتزما [3] على تسليم مصر إلى أماجور ، فلما بلغ الرقة عمل أحمد بن طولون على محاربته وحصن الجزيرة وقدر أن يجعلها معقلا لحرمه وحرم جيشه وذخائرهم ، وتمعد لقتال موسى وهمّ فى منعه ، فأقام موسى بالرقة عشرة أشهر ، واضطرب الأتراك بمقامه ، وطلبوا أرزاقهم ، واستتر عبيد الله بن سليمان بن وهب كاتبه [4] ، فلما زاد الأمر عليه رجع موسى إلى الحضرة ، وأقام بها أشهراً يسيرة ثم توفى فى صفر سنة أربع وستين ومائتين .

١٥ ظ
٢

ومات عبيد الله بن خاقان فى هذه السنة [5] . ولما صحت عنده [6] وفاة موسى بن بغا أحضر جعفرا المدائنى صاحبه [7] بمصر ، وكان ترفا ، كثير اللحم ، فسُعى به راجلا الى الميدان فى يوم قائظ ، وكان أحمد بن طولون يحقد عليه خلافاً له فى كثير مما حاوله [8] ، وإدلالا بمكان صاحبه ، فدعا له بالسياط فلحقه من التعتعة ما كان أغلظ من ضربه بالسياط ورده الى/منزله على أمر فظيع ، فمات فى تلك الجمعة ، واحتاز ضياعه ، وألزم كاتبه أنذونة خمسين ألف دينار [9] .

١٦ و
٢

---

(١) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٨٥) : « وخرج موسى بن بغا عن الحضرة مقدرا أنه يدوس عمل المفوض الذى فيه نقض الشرط ، لما قويت به يد الموفق ، باستيلائه على الأمر وطاعة الجيوش بأسرها له ، فلم يكن له مخالف غير احمد بن طولون ، وقصد بمشارفته الاعمال حمل الاموال منها » .

(٢) كذا فى المخطوطة وفى Vollers : Fragmente S 20. والواضح أن ما بين الحاصرتين زائد ، وأساسه أن الناسخ قد نقل ما بعد كلمة اماجور فى المرة التى جاءت فيها قبل هذه المرة .

(٣) اى موسى بن بغا .

(٤) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٨٧) : « فاضطرب عليه أمر الاتراك ، وطالبوا بأرزاقهم مطالبة عظيمة ، استتر منها كاتبه عبيد الله بن سليمان ، لتعذر المال عليه وخوفا على نفسه منهم » .

(٥) فى الطبرى : تاريخ الامم والملوك ج ١١ ص ٢٤٦ ان عبيد الله توفى فى ذى القعدة سنة ٢٦٣

(٦) اى عند ابن طولون .

(٧) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٨٨) : « وقبض احمد بن طولون من وقته على احمد المدائنى صاحب موسى بن بغا ، وكان بمصر يتقلد ضياع صاحبه بها التى أقطعه السلطان إياها » .

(٨) فى المرجع نفسه : «وكان احمد بن طولون يحقد عليه خلافا كان له كبيرا فيما كان يحاوله » .

(٩) فى المرجع نفسه (ص ٨٨ — ٨٩) أن ابن طولون طالبه بالمال ولما اخذ خطه به « رده الى داره فمات فى تلك الجمعة . فاحتاز احمد بن طولون الضياع بما كان كتب به خطه ، وقبض على جميع نعمته ، وقبض على انذونة كاتبه ، فأخذ منه خمسون الف دينار » .

واستقصر الموفق حمل المال[1] من أحمد بن طولون ، وذكر أن الحساب يوجب عليه أضعاف ما حمله مع نحرير ، وكتب الى أحمد كتابا يعنفه ويهدده فيه ، فكتب اليه أحمد بن طولون[2] :

« أما بعد أطال الله بقاء الأمير ، وأدام عزه ، فقد وصل كتاب الأمير أيده الله ، وفهمته ، وقد كان الأمير أسعده الله حقيقا بحسن التخير لنفسه ، وإعمال الفكر فيما تنتظم به أسباب الصلاح بدركه ، وأن تؤديه رويته ، وتسهل به معرفته الى إمالة مثلى واطبائه[3] ، ويصيره عدته التى يعتمد عليها ، وفيئته التى يرجع اليها ، إذ كنت باب السلطان وسيفه الذى يصول به ، وسنانه الذى يتقى الأعداء بحده ، وكان كدى فيما أنصب فى طلبه ، وأحتمل المؤن والكلف بسببه ، وأجعل الفكر منصرفا اليه ، والعناية بأجمعها موفورة عليه ، من اجتلاب كل / موصوف بشجاعة ، وغناء[4] وكفاية ، والتوسعة عليهم فى أرزاقهم ، وتعهدهم بالمعاون والصلات وجميع الأسلحة والكراع ، والاستكثار من العدد والعمال إنما هو لصيانة هذه الدولة وحياطتها ، والذب عنها ، والقصد لمن قدح فيها ، وغض منها .

ومن كان من هذه المولاة بسبيلى ، والمناصحة بمحلى ، كان حرياً بأن يُعرف له حقه ، ويُوفى من الاعظام والاكرام نصيبه ، ويُعطى من التقديم والايثار قسطه ، ولا يُجعل حظه فيما يثاب به الأولياء ، ويجازى به النصحاء ، من أموال تحمل إليهم ، وصلات وإقطاعات تخرج لهم ، مما جعله الأمير أعزه الله حظى من مثوبته ، ونصيبى من بره وتكرمته ، مما لا يزال الأمير أيده الله يقصدنى به من المكروه ، ويوئبه[5] علىّ وعلى عملى من التدبير ، ويلتمسه منى من حمل المال والمعاون حتى كأنى أكلف على الطاعة جعلا ، وألزم للمناصحة ثمناً . وإنما عهدى بالمحاول لذلك ، والمستدعى وقوع[6] ماجاز إلا أن يقصد بمكروه / ثم يكلف من الطاعة مؤونه ونائبة[7] .

على أنى لا أعرف السبب الذى يتيح الوحشة ويوقعها ، ولا الأمر الذى يدعو إليها ويوجبها إذ لم يكن بينى وبينه معاملة توقع مشاجرة ، أو تحدث منافرة ، وكان[8] العمل الذى أنا بسبيله

١٦ ظ / ٢

١٧ و / ٢

(١) كذا فى المخطوطة ، والمقصود ما حمل من المال .

(٢) ورد هذا الكتاب فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص٨٢ — ٨٥) وفى خطط المقريزى (ج٢ ص١٧٩) أقصر مما جاء هنا ومع بعض التعديل فى العبارات .

(٣) طباه واطباه اطباءً دعاه .

(٤) فى المخطوطة «عناء» بالعين المهملة وفى سيرة ابن طولون البلوى (ص٨٣) غناء وبها يستقيم المعنى .

(٥) لعل المقصود يؤلبه .

(٦) لعل الصحيح « المستدعى وقوعه » .

(٧) فى السطرين الأخيرين اضطراب قد يوضحه ما جاء فى خطط المقريزى (ج ٢ ص ١٧٩) ونصه « وعهدى بمن استدعى ما استدعاه الأمير من طاعته أن يستدعيه بالبذل والاعطاء والارغاب والارضاء والاكرام لا أن يكلف ويحمل من اطاعه مؤونة وثقلا » .

(٨) فى المخطوطة « كأن » وفى البلوى والمقريزى « لأن » .

ليس له ، والمكاتبة فى أموره ليست إليه ، وتقليدى ليس من قبله ولا ولاته [1] ، والأمير جعفر قد قسم الأعمال والعمال ، وصار لكل واحد قسم تفرد له دون صاحبه وعمل تجرى عليه أموره دون غيره ، وشرط لكل منهما وعليه فى وقت أخذ البيعة له : مَنْ نقض عهده ، وخفر ذمته ، ولم يف بما أكده على نفسه ، فالأمة بريئة من بيعته ، وفى حلّ وسعة من خلعه .

وكان ما عاملنى به الأمير أيده الله — على ما أنا بسبيله من قبل غيره — من تجهيز الجيوش نحوى ، وإعمال الحيل فى إفساد عملى ، ناقضاً لشرطه ، ومفسداً لعهده .

١٧ ظ
٢

وحقاً أقول : لقد التمس أوليائى ، وأكثروا الطلب فى إزالة اسمه ، وإسقاط / رسمه عند مصير الخارجين من العراق إلى حيث صارو إليه من نواحى عملى ، ومحاولتهم العيث والإفساد فيه ، فآثرت الابقاء ، [2] إذ لم تبق علىّ ، واستعملت الأناة إذ لم تستعملها فىّ ، ورأيت الاحتمال والكظم أشبه بذوى المعرفة والفهم ، وأدنى إلى الظفر ، فصبرت نفسى على أحر من الجمر ، وأمر من الصبر ، مما لا يتسع له الصدر .

والأمير أيده الله أولى من أعاننى على ما أوثره من لزوم عهده ، وأتوخى من توكيد عقده ، بحسن العشرة ، والانصاف فى المعاملة ، وكف الأذى والمعرفة ، ولم يضطرنى [3] بهذه الأفعال التى لا أعرف دركا فى استعمالها ، وحظا فى ارتيادها ، والذى قدمت فى صدر كتابى ذكر التعجب من وقوعها إلى ركوب خطة فى أمره قد علم الله كراهيتى فى ركوبها وإلى أن أجعل ما عددته لحياطة هذه الدولة المتكاثفة ، والعساكر المتضاعفة ، التى قد ضرست رحاها الحروب [4] ، وجرت عليهم محن الخطوب ، على الاختيار والابتلاء ، / وجروا من الله على عادة الظهور والاعتلاء ، [مصروفا إلى نقضها] [5] .

١٨ و
٢

وإن قبلنا وفى حيزنا من يرى أنه أحق بهذا الأمر من الأمير أيده الله وأولى بتقليده ، ولو أمنونى على أنفسهم فضلا أن يرجعوا منى إلى ميل إليهم وقيام بنصرتهم ، لاشتدت شوكتهم ، واستفحل أمرهم ، وصعبت على السلطان مقارعتهم . وقد علم الأمير أكرمه الله أن من بازائه [6] منهم قد فض كل جيش أنهضه إليهم ، على أنه لا ناصر له غير من يجتمع إليه من لفيف البصرة ،

(١) كذا فى المخطوطة . وفى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٨٣) « ولايته » .

(٢) يستعمل المؤلف « إذ » بمعنى « وإن » .

(٣) فى البلوى (ص ٤٨) : لا يضطرنى . وفى خطط المقريزى (ج ٢ ص ١٧٩) : وأن لا يضطرنى

(٤) فى البلوى والمقريزى : « التى قد ضرست رجالها من الحروب » .

(٥) يبدو أن النص هنا ينقصه المفعول الثانى للفعل « اجعل » فأضفنا ما بين الحاصرتين نقلا عن البلوى والمقريزى .

(٦) الاشارة هنا الى صاحب الزنج . وفى Vollers : Fragmente S. 22. « من بان انه » بدلا من «من بازائه» ، وهو خطأ .

وأدناس العامة ، فكيف من يجد من يظن أنه ركن وثيق ، وناصر منيع ، وعدداً من الأبطال والأجناد كثيراً ! وليس مثل الأمير أيده الله فى أصالة رأيه وحزم تدبيره ، ونظره فى عواقب أموره قصد لمائة ألف عنان هى عدة له فجعلها عليه من غير أن يتجشم لها ثقلا ويحتمل بسببها مؤونة وغرما ، فان يكن من الأمير أيده الله إعتاب إلى رجوع عما استعفيته منه إلى ما هو أشبه بفضله ، والأولى بنبله ، وإلا رجوت أن يكون/ الله من وراء كفاية أمره ، وحسم مادة شره ، وأجرى بنا [١] من الحياطة على أجمل عادته ، والسلام » .

١٨ ظ
٢

ولما ورد كتاب أحمد بن طولون على الموفق أحفظه [٢] ، وأعلم المعتمد أن الثغور تحتاج إلى أن [٣] يقيم فيها من يغزو بأهلها ، وأن أحمد بن طولون إنما يبعث إليها من لا يشتغل بها واستقر الرأى على محمد بن هارون التغلبى [٤] ، وكان يتولى الموصل ، فأشخص إلى باب السلطان من ضيعته المعروفة بالمسمعية من ديار ربيعة ، فلما صار إلى الموصل ركب سفينة فى دجلة لعلة وهاجت الريح فألقته إلى شاطىء دجلة ، فظفر به أصحاب مساور الشارى [٥] ، فقبضوا عليه وقتلوه [٦] .

فرجع اختيار الموفق على الثغور إلى محمد بن على بن يحيى الأرمنى [٧] . وحاول سيما الطويل [٨] دخول أنطاكية فمنعه محمد بن على بن يحيى منها ومن الثغر فكتب إلى أهل طرسوس مؤلباً عليه فوثبوا به وقبضوا يده ، واعتقلوه بداره ، وقتل ودفن فيها ، فأحفظ ذلك الموفق فقلد أرجوان بن أولغ طرخان [٩] / التركى فى سنة ستين ومائتين ، وأمره أن يقبض على سيما فخرق فى أيامه .

١٩ و
٢

---

(١) فى البلوى والمقريزى : « وإجراءنا » .

(٢) يذكر البلوى فى سيرة ابن طولون (ص ٨٥) والمقريزى فى الخطط (ج ٢ ص ١٧٩) ان وصول هذا الكتاب هو الذى دفع الموفق الى تكليف موسى بن بغا بعزل ابن طولون عن مصر وتقليدها ماجورا . وقد أشار ابن سعيد الى هذا الحادث هنا فذكره فى الصفحات السابقة ولكنه جعله سابقا على إرسال الكتاب الذى نحن بصدده .

(٣) فى المخطوطة « مَن » .

(٤) هو محمد بن هارون بن المعمر .

(٥) الشارى الخارجى والشراة الخوارج ، لقبوا بذلك لقولهم إنا شرينا أنفسنا فى طاعة الله .

(٦) انظر بيان ذلك فى الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ١١ ص ٢٣٢

(٧) لعله محمد بن على الارمنى المعروف بأبى نصر . انظر الطبرى : تاريخ الامم والملوك ج ١١ ص ١١٢

(٨) من قواد الجند الترك . انظر الطبرى : تاريخ الامم والملوك ج ١١ ص ٢٠٦ ، ٢٥٢

(٩) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٩٠) «ارخوز بن يولغ بن طرخان التركى» . هو ارخوز الذى ذكر الطبرى انه كان والى الثغور ثم عزل فرابط هناك (تاريخ الامم والملوك ج ١١ ص ٢٥٣) .

وأخر عن المرتبين بلؤلؤة [1] أرزاقهم وماكان يحمل اليهم من الادام والزيت وغير ذلك ، فضجوا وكتبوا إلى طرسوس : إنا نخرج من لؤلؤة ، ونترك القلعة ونسلم جميع ذلك الى الروم [2] ! فأعظم أهل طرسوس هذا ، وجمعوا خمسة آلاف دينار [3] على أن يحملوها إلى من بلؤلؤة ، فاستدعى أرجوان حمل المال على يده [4] ، فدفعوا المال اليه ، فاستأثر به ، ولم يدفع إلى المقيمين بلؤلؤة شيئاً منه فانصرفوا عن لؤلؤة وقلعتها ، واضطرب أهل الثغر من هذا ، وضجوا فى الطرقات فكتب الى أحمد بن طولون فى تقليد الثغور [5] وإنفاذ طائفة من أصحابه إليها لضبطها ، فكتب إلى موسى بن طولون فى تقليدها فأبى ذلك ، فكتب إلى ابراهيم بن عبد الوهاب [6] ، فامتنع فأنفذ طخشى بن بلبن [7] إليها ، وأوصاه بحسن العشرة لهم وجميل السيرة فيهم ، واحتمال الهفوة ، ففعل ، وحسنت / سيرته بطرسوس ، وأقام فيها إلى أن مات بها .

١٩ ظ
٢

وحدثنى شعيب بن صالح قال : اجتاز أحمد بن طولون فى شارع الحمراء القصوى بدار مشرفة يتطلع منها رجل شيخ وسيم فلما رآه الشيخ بادر بادخال رأسه ، وأغلق الطاق الذى كان يشرف منه ، قال : فقال للقاسم بن شعبة [8] وكان معه : أحضرنى شيخاً وسيماً فى هذه الدار

(١) قلعة قرب طرسوس ذكرها ياقوت فى معجم البلدان .

(٢) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٩٠) : « وكتبوا الى أهل طرسوس يعرفونهم أنهم إن لم ينفذوا اليهم بما يحتاجون اليه على رسمهم سلموا القلعة الى الروم » .

(٣) فى المرجع نفسه « خمسة عشر الف دينار » .

(٤) فى المرجع نفسه : « فقال لهم ارخوز : انا احمل اليهم المال من قبلى لتصلح بينهم » .

(٥) كتب ابن الاثير فى تاريخ الكامل فى حوادث سنة ٢٦٣ ان الصقالبة سلمت فيها لؤلؤة الى الروم وكان سبب ذلك أن احمد بن طولون قد أدمن الغزو بطرسوس قبل أن يلى مصر فلما ولى مصر كان يؤثر أن يلى طرسوس ليغزو منها أميرا فكتب الى ابى احمد الموفق يطلب ولايتها فلم يجبه الى ذلك واستعمل عليها محمد بن هرون التغلبى فركب فى سفينة فى دجلة فألقتها الريح الى الشاطىء فأخذه أصحاب مساور الشارى فقتلوه واستعمل عوضه محمد بن على الارمنى واضيف اليه انطاكيه فوثب أهل طرسوس فقتلوه فاستعمل أرخوز بن يولغ بن طرخان التركى فسار اليها وكان غرا جاهلا فأساء السيرة وأخر عن أهل لؤلؤة أرزاقهم وميرتهم فضجوا من ذلك وكتبوا الى أهل طرسوس يشكون منه ويقولون إن لم ترسلوا الينا أرزاقنا وميرتنا والا سلمنا القلعة الى الروم ! فأعظم ذلك أهل طرسوس وجمعوا من بينهم خمسة عشر الف دينار ليحملوها اليهم فأخذها أرخوز ليحملها الى أهل لؤلؤة فأخذها لنفسه فلما أبطأ عليهم المال سلموا القلعة الى الروم فقامت على أهل طرسوس القيامة لأنها كانت شجا فى حلق العدو ولم يكن يخرج الروم فى بر أو بحر إلا رأوه وانذروا به . واتصل الخبر بالمعتمد فقلدها احمد بن طولون واستعمل عليها من يقوم بغزو الروم ويحفظ ذلك الثغر » .

(٦) هو ابراهيم بن عبد الوهاب اليتيم ، كان من أشد أنصار ابن طولون فى طرسوس . انظر سيرة ابن طولون للبلوى ص ٩١ ، ٣١٠

(٧) فيما يلى « بن بلزد » وفى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٩١) « بن بلبرده » .

(٨) كان شعبة من أكابر أصحاب ابن طولون . وعين ابنه القاسم فى وظيفة رئيسية من وظائف الشرطة لابن طولون ثم صرف عنها . أنظر ابن الداية : كتاب المكافأة ص ٣٢ — ٣٣ والبلوى : سيرة ابن طولون ص ٢٤٢ — ٢٤٤ و Zaky M. Hassan: op. cit. pp 180-181 .

الشارعة [1] إلى دارى ، فسبقه القاسم بن شعبة إلى الميدان ، فلما جلس دعا به ، وقال : من أين أنت ؟ قال : من الطالقان [2] وسأله عن قدومه ، ودعا له بالسياط ، فقال : لا تعجل على ، إنى كاتب خبر السر فى هذه البلدة لتصحيح ما يورده أصحاب الأخبار ، قال له : أنت العطار [3] ؟ قال : نعم ، فقال له أحمد بن طولون : قد وصف لى عنك صدق لهجة ، ومحل لطافة ، فكيف رضيت لنفسك بخدمتهم فى هذه الشقة البعيدة على هذا الخطر الغليظ ؟ ! وأنا أدعوك إلى أن تخدمنى فيما أخدمتهم فيه . فقال : أيد الله الأمير ، القوم اصطنعونى وسبقوك / إلىّ ، ولا أكون عليهم بعد أن كنت لهم ، ولو صبرت على ألم العقوبة لما اعترفت ، وما علمت منذ خروجى إلى مصر أنك تستبقينى إن ظفرت بى ، ولأن يقتلنى الوفاء أحب إلى من أن يحيينى الغدر ، ولا أنا ممن يعدل خوفاً من بأسك بما يحول عنه فى الأمان منك ، وإحراق النار أسهل عليه من تغيير شيمته ، واستحالة طويته . فقال أحمد : منعنى من الاساءة إليك ما ظهر لى من الفضل فيك ، ووالله لا نلتك بمكروه أبدا ، فاختر لنفسك أيهما آثر عندك : المقام ببلدى مع مجانبة الخلاف علىّ ، أو الانصراف عنه . قال : الانصراف عنه إن تطولت به ، فبره ، وأحسن اليه ، وأخرجه مكرما ، فورد كتاب طيفور [4] خليفة أحمد بن طولون يخبره أن العطار ورد على الموفق فأطاب ذكرك ، وأحسن وصفك [5] .

٢٠ و
٢

وحدثتنى نعت أم ولد أحمد بن طولون قالت : اجتمع عندى جوار أهدين إلى مولاى فلم يطلبهن ، وشوقته / اليهن بحسن الوصف لهن ، فوصف شغلا [6] . ودخل إلى يوما من الأيام وهو منشرح ، فذكرت له الجوارى ، فقال : اعرضى علىّ واحدة واحدة ، فنظر الى أولاهن ، فقال : حسنة والله ! ثم أمر بعض خدمه بالمصير بها الى بعض غلمانه ، وأن يقول له : اطلب بحياتى منها الولد ، سرك الله وكثرك ، ولم يزل يفعل بواحدة واحدة مثل هذا حتى استوفى عدتهن ، فتبين الغيظ فى وجهى ، فضحك وقال : أراك مغيظة ؟ ! فقلت : يامولاى آثرت غلمانك على نفسك ! ؟ فقال : قد ارتفعت عن [7] اللذة بهذه الأشياء ، وإنما ألذ بحراسة دولة ،

٢٠ظ
٢

(١) الشارعة القريبة من الطريق .

(٢) الطالقان ناحية من بلاد طخارستان وأخرى من بلاد قزوين . راجع ياقوت . معجم البلدان و G. Le Strange : The Lands of the Eastern-Caliphate pp. 172, 219, 220, 224, 423, 424, 432.

(٣) لعلها « القطان » فقد سماه البلوى فى سيرة ابن طولون (ص ١٣٤) « القطان الطالقانى » .

(٤) كان طيفور التركى ممثل ابن طولون فى سامرا و بغداد ينقل إليه أخبار البلاط والأمراء وذوى الرأى ويستميلهم لصاحبه بالرشوة والهدايا . أنظر البلوى : سيرة ابن طولون ص ٦٠ و ٦١ و ١٠٩ و ١٣٩ و ١٥١ و ١٦٧ و ٢٨٦ و ٢٩٠ و ٣٥٥ و Zaky M. Hassan; op. cit. pp. 202-204

(٥) وردت هذه القصة بإسهاب وتفصيل فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ١٣٣ — ١٤٠) .

(٦) فى المرجع نفسه (ص ١١٠) : « فذكر لى شغل قلبه عن ذلك » .

(٧) فى المخطوطة « عنى » . وفى Vollers ; Fragmente S. 26 « عن » وهو أصلح النص .

واحياء سنة ، وضبط نعمة ، ومن سلك هذه السبيل اضطر الى من يضافره على أموره ، وهؤلاء الغلمان عندي ينتسبون الىّ انتساب الأبناء الى الآباء ، وشهواتهم مقصورة على الأكل والشرب والنكاح ، وأنا أوثرهم بما نصبوا له ، وأرتفع عنه وبالله إنى لأجد فى فهم الرجل عنى ، وأفهامه أياى من الالتذاذ أكثر مما / يجد مجامع الحسناء من لذة جماعها . فقلت له : وفق الله سيدى ، وأحسن عونه !

٢١ و / ٢

وحدثنى نسيم الخادم [١] أن أحمد بن طولون كان مذعورا من خروج أبى عبد الرحمن العمرى فوافاه الخبر بقتل غلمان أبى عبد الرحمن إياه وانتشر أمره [٢] ، ثم صار اليه جماعة منهم يقاربون العشرة ومعهم رأس فقالوا : نحن غلمان العمرى ، وهذا رأسه ، فجمع أحمد بن طولون الخاص والعام وأدخلهم اليه ، واستحضر قوما استأمنوا اليه [٣] ، فسألهم عن الرأس فأجمعوا أنه رأس أبى عبد الرحمن العمرى ، وأن الغلمان من خاصته ، فقال لهم أحمد بن طولون : أكان مسيئا إليكم ؟ قالوا : لا والله لقد كان محسنا الينا ومفضلا علينا ! قال : فما حملكم على قتله ؟ قالوا : طلبنا الحظوة عندك ، والمكافأة منك . فقال : قتلتم مولاكم المحسن اليكم بالتطرب الى المزيد ! ثم أمر بهم وأخذتهم السياط حتى سقطوا ، وضربوا على رؤسهم فماتوا / بأجمعهم ، وأمر بدفن رأس أبى عبد الرحمن العمرى .

٢١ ظ / ٢

قال وحدثنى نسيم الخادم : طلب أحمد ابن طولون سعيد بن نوفل طبيبه ، فقيل له : مضى يستعرض ضيعة يشتريها ، فأمسك حتى حضر ، ثم قال له : ياسعيد اجعل ضيعتك التى تستغلها صحبتى ، وواصل مراعاتها ، ولا تقطعها ، واعلم أنك تسبقنى الى الموت إن كان موتى على فراشى ، وأنى لا أمكنك بشىء من الاستمتاع بعدى . فقال بعض الغلمان : ما سمعت حثا لمتطبب على مبالغة فى سعى أحسن من هذا .

قال أبو كامن شجاع بن أسلم الحاسب [٤] : لما أطلقنى أحمد بن طولون ألزمنى الصناعة [٥] فدعانى يوما ، فقال كل ماتعمل لى من العدة ، فانه يكتفى بالقليل مع تقدم هيبتى فى صدور الناس

---

(١) كان من أتباع ابن طولون وعنه روى ابن الداية كثيراً من أخبار هذا الأمير .
(٢) فى المكافأة لابن الداية (ص ١١٧) : « وانتشار أمره » .
(٣) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٦٧) : « فدعا بجماعة من أهل الصعيد ممن يعرف العمرى »
(٤) عينه ابن طولون رئيسا لدار الصناعة التى كانت تصنع السفن ، ويبدو انه كان قد سجنه قبل ذلك .
(٥) المقصود دار صناعة السفن . راجع سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ٩٤ — ٩٧ و سيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ١٩٩ و ٢٤٨ — ٢٥٠ و ٢٨٨ و Zaky M. Hassan: op cit p. 207

٢٢٢و
٢

الا المراكب فان البحر لا يتقيني ، ولا يخاف سورتي ، وليس يعمل فيه إلا وثاقة الصنعة ، وتقديم الاحتياط ، فقدموا الحزم في المراكب ، واستزيدوا من الانفاق عليها تسلموا/ بتوفيق الله من معرة البحر .

وقال شعيب بن صالح . كان أحمد بن طولون يقول : أنا أدفع بمالي عن رجالي ، وبرجالي عن نفسي ، ومافي الأرض من رجل أبغض إليّ من رجل دالته تزيد على كفايته .

وحدثني خادم برجواري [1] خليفة أحمد بن طولون وكان بالحضرة قال : كان الأولياء إذا اضطربوا في طلب الأموال ، قال لهم الموفق أو من يقوم مقامه بسر من رأى : مصر خزانة السلطان ، وفيها أمواله فليخرج اليها أحدكم ! ولأحمد بن طولون مال موضوع عند أكابر التجار قد أوقفه لردع القواد عن النهوض اليه ، فاذا تحرك القائد إلى الخفوف لمحاربة أحمد بن طولون ، فيصير اليه معاملوه من التجار يقولون له : إن كان عزمك الى مصر فاقضنا ديوننا فانه لا يرجى قفول من حارب مائة ألف عنان ! ويتلطف مودع المال في المصير اليه ، ويقول : ماينبغي لك أن تفسد مابينك وبين احمد بن طولون ، فقد حمل اليك أمس/ كذا وكذا ، وقال لك : يا أخي وابن عمي ما يغمني في عسكر السلطان غيرك ، فينبسط الرجل ، وتزول عنه أذيته .

٢٢٢ظ
٢

وحدثني موسى بن طولون قال : كتب إلى أحمد بن طولون خليفته طيفور : أنه ما ينعقد للأولياء مجلس إلا ابتدأ رجل من الموالي — ذهب عني إسمه — فيقع في أحمد بن طولون ، والتحريض عليه ، وذكره بأقبح ما يجرى على الألسنة فيه . فكتب [2] إلى طيفور : قد وجهت إليك كتاباً فأوصله إليه على خلوه منه . وكان الكتاب من أحمد بن طولون أنه قد كان يطلب رجلا يعتمد عليه لاصلاح أموره [3] ، وتعريفه بما يجرى عليه من التدبير فلا يجده وأن يكشف للناس وقوع التدبير فيه [4] ، وأنه قد وجد عنده من ظهور انحرافه عنه ، وسوء قوله فيه بما قد تستر عن الناس ما نصبه له [5] ، ويسأله الزيادة من ذكره [6] ، ومكاتبته له بجميع ما يحتاج إليه من سر ما ينعقد من الموفق عليه . وكتب [7] إلى ثقته في حمل

---

(١) في Vollers : Fragmente S 28 « بن جوداى »
(٢) أي ابن طولون .
(٣) يقصد رجلا يعتمد عليه في مهماته بحاضرة الخلافة .
(٤) فلا يجده ... الخ : في سيرة ابن طولون للبلوى (ص ١٠٨) « فعسر ذلك عليه ، خوفاً أن ينكشف أمره » .
(٥) بما قد تستر .. الخ . يقصد ما قد يستر عن الناس ما يطلب منه القيام به .
(٦) يقصد ذكره بالسوء على نحو ما كان يفعل من قبل .
(٧) أي ابن طولون .

٢٣ و / ٢

/ ألفى دينار إليه ، فتجاوز الرجل ما عليه أصحاب الأخبار وظهر أمره للموفق فضربه بالسوط ، وطرحه فى المطبق ، واستراح منه أحمد بن طولون [(١)] .

وحدثنى أبو جعفر المروزى قال : دعانى أحمد بن طولون ، ودفع إلى رقعة ، وقال : عَيِّن من فيها [(٢)] فانهم سَجنة حبس القاضى ، وانظر إلى الدارج [(٣)] منهم والمستقبل [(٤)] وأثبت لى أحوالهم . فسألت عنهم ، وأثبت كل واحد من المحبوسين وخصومهم ، ومنزلته فى الجِدَة والعُدم [(٥)] ، وأحضرته إياها ، فدعا ابن مفضل وقال : اجتمع مع أبى جعفر المروزى على القضاء فيمن كان مختلا [(٦)] ومصالحة من توسط ، وصلحت حال خصمه ، وخلص ممن كان فى حبس القاضى بجملة من ماله ، ثم قال لى : ياأبا جعفر ذخيرتنا ما عُمِّر للآخرة ، ومن أنا عند الله لولا أخذى بيد الضعيف ، وقصمى [(٧)] الجبار اللاهى عن الله بسخفه ودنسه !

٢٣ ظ / ٢

وحدثنى أبو جعفر المروزى قال : كان أحمد بن طولون من أئمة الحفاظ لكتاب الله عز وجل ، وكان يسأل عمن / كان حفظه جيداً من أئمة المساجد ، فيطرقه فى الصبح متنكراً حتى يتبين منزله . فدعانى يوما ، وقال : أتعرف مسجد المنامة بحضرة كذا وكذا ؟ قلت : نعم ، أعرفه وإمامه ، وهو حسن الصوت . قال : فاحمل معك ثلاثين دينارا ، وصر إليه ، فانى لا أشك أنه مضيق فآنسه حتى تبسطه اليك ، وادفع الدنانير اليه ، واسأله عن دينه فاقضه عنه ، وصر الى حتى أعرف ماأتيت . قال لى أبو جعفر : عجبت من معرفته وتغلغلها الى ذلك وهو طرف ناءٍ عنه فمضيت اليه ، فوجدته فى المسجد ، وقد استمر به النعاس ، فسألته عن حاله ورغبت اليه فى الانبساط ، فشكا قلة وضعفا ، وذكر أن امرأته مخضت فى آخر الليل ، وليس يصل الى شىء مما يحتاج اليه ، وأنه وقف فى المحراب لصلاة الغداة ، فكان كلما سمع طلقها غلط فى قراءته ، فدفعت اليه الثلاثين دينارا ، وسألته عن دينه / فقال : ثلاثة عشر دينارا فقضيته ، ولم أصل الى أحمد ابن طولون فى ذلك اليوم ، فصرت فى غده ، وقصصت عليه قصته فقال : صدق ، ولقد وقفت خلفه أمس ، فرددت عليه فى مواضع كثيرة ، ووقفت اليوم ،

٢٤ و / ٢

---

(١) وردت هذه القصة ببعض التعديل والتفصيل فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ١٠٧ — ١٠٩)
(٢) أى سل عمن فيها وابحث حالتهم .
(٣) لعله يقصد « الماضى » من درج درجا بمعنى مضى لسبيله .
(٤) « الدارج منهم والمستقبل » فى سيرة ابن طولون للبلوى . « الدارج الحال منهم المستقل » .
(٥) الجدة الغنى والقدرة والعدم فقد المال .
(٦) « على القضاء فيمن كان مختلا » اى على دفع المال عمن كان فقيراً من المسجونين وفاء لدين .
(٧) قصم الشىء كسره وقصم الرجل أهلكه .
(٧) وردت هذه القصة ببعض التعديل والتفصيل فى سيرة ابن طولون للبلوى (١٨٤ — ١٨٥) .

فوجدته يقرأ القراءة التى أعرفها ، فاحذر أن تعرفه عائذتى عليه ، فيتنقص بها . ومازال يتعاهده على يدى [1] .

وحدثنى سعد الفرغانى [2] قال : ركب أحمد بن طولون يريد الجيزة ، وكان يُخلى له الجسر قبل مسيره عليه ، فبلغ الجسر الثانى ، وكان أُعجل مَن عليه [3] ، وفيهم شيخ ضعيف على حمار هزيل ، ومعه صبى ، وقد جاء من نواحى الجيزة ، فلما أعجل فى المسير سقط الحمار وأشرف أحمد بن طولون ، وليس على الجسر غيره وغير الصبى ، والحمار ، وقد جهدهم الجهد ، فقال لى : تقدم اليهم وامنعهم من إزعاجه ، وسار حتى بلغه . وقال : قف عليه حتى يلحقونى به ، فما أشك أنه متظلم ، واستخبره فى / مسيرك معه عن سبب دخوله الفسطاط . قال سعيد : فوقفت عليه حتى عبر الجسر ، فسألته عن حاله فقال : ماترك لى وكيل ابن دشومة بذات الساحل [4] شيئا أرجع اليه ، وكنت مستوراً من المزارعين . وكان ابن دشومة يومئذ أمينا على أبى ذؤيب [5] فأخبرته الخبر ، فلما حضر ابن دشومة الجيزة ، قال له : الضياع تشبه البساتين والمزارعون شجرة ، تقتل الأشجار ، وترجو أن تجنى الثمار ؟ ! فأحضر كاتبك الى ذات الساحل ، والمختار [6] الساعة ! وقال لى : توكل بهم حتى ينصف الرجل . قال سعد الفرغانى : وأنفذنا رجلا ذا قدرة ومنزلة حتى أحضرها . وابن دشومة فى اعتقال حتى اجتمعوا وبذلوا له مايرضيه ، وأحمد بن طولون يطالعنى برسله ليتبين ما عملته حتى بلغ الرجل أمله ، وأمر له بعشرة دنانير ، وقال : اشتر بها حمارا لايقف بك على الجسر اذا عبر الأمير عليه ، فانصرف . / المزارع وهو يبكى فرحا [7] .

٢٤ ظ
٢

٢٥ و
٢

وحدثنى طاهر الكبير الخادم [8] قال : ألزمنى أحمد بن طولون القيام على برج الحمام الهدا ودار [9] فى غداة من الغدوات على الأبرجة فبلغ إلى برجى ، ووضع له كرسى ، وأمرنى أن أخرج اليه مافيه من الفراخ ، فأخرجت اليه ثمانية أفراخ زغبا كانت فيه فسرحت بين يديه وحوله ، فتشاغل عنها لتسرح ، وهو يحصيها ، فدخل البرج سبعة ، فسألنى عن الثامن فقلت :

---

(١) وردت هذه القصة بتفصيل وإسهاب فى سيرة ابن طولون للبلوى ص ١٨٦ — ١٨٩
(٢) كان من قواد ابن طولون وعنه روى ابن الداية كثيرا من أخباره .
(٣) اعجل من عليه أى أمروا بأن يسرعوا العبور .
(٤) ذات الساحل قرية من عمل الجيزة . انظر ابن مماتى : كتاب قوانين الدواوين ص ١٤٢
(٥) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ١٩٠) : أبى أيوب .
(٦) مختار الناحية رئيسها أو عمدتها
(٧) وردت هذه القصة باسهاب وفى سيرة ابن طولون للبلوى ص ١٨٩ — ١٩٢
(٨) من أتباع ابن طولون وعنه روى ابن الداية بعض أخبار هذا الأمير .
(٩) حمام يدرب على الانتقال من مرحل إلى مرحل فيقطع المسافات البعيدة . انظر ابن سيدة : المخصص ج ٨ ص ١٧٠

سلك خلف الأمير ! فقال : خذه ، فمددت يدى اليه فارتعدت هيبة له ، فلما تبين ذلك منى أمرنى بالتنحى عن مكانى، ونظر الى موطىء قدمى من الأرض فسجد عليه ، ومرغ صفحته فيه، ومضى[1] .

وقال أبو جعفر بن عبد كان[2] : ورد على أحمد بن طولون كتاب ملك الروم يسأله الهدنة[3] ، فأفكر ساعة ، ثم قال : اكتب الى طخشى بن بلزد : ان ملك الروم سألنا الهدنة مدة كذا وكذا ، ولم يحمله على هذا الاشفاق من سفك/ دماء المسلمين ، ولا الرأفة بهم ، وأحسب أنه خرّب للروم حصون أوتشعثت قلاع ، أو لحقه من أعدائه أمور احتاج فيها الى مدة هذه الهدنة ، ومن الخسران المبين أن تكون مدة هذه الهدنة مربحة للروم ، ومخسرة للمسلمين ، فاذا قرأت كتابى فأحصن[4] من الثغور ما أخلق[5] واحتاج الى تجديد مرمة ، وتقدم فى إصلاحه مما حصل فى أيدى وكلائى من مال ضياعى وفرق فيمن أضرت به الهدنة من ضعفاء الغزاة ما يكفيهم ، وطالعنى بما عملت له فانى أراعيه . قال ابن عبدكان : فلم يحضرنى فى الكتاب أحسن من معانى ألفاظه ، فلم أتجاوزها[6] .

قال : وحدثنى نسيم الخادم أن أحمد بن طولون ركب الى الأهرام ، وجاز وحجابه بجماعة عليهم جباب صوف ، وفى أيديهم مساح ومعاول فسألهم أحمد بن طولون عما يعانونه فقالوا : نحن قوم نطلب المطالب ، فقال لهم : لا تخرجوا الا بشورى[7] ، ورجل من قبلنا ، وسألهم عما وقع لهم[8] من/ الصفات ، فذكروا أن فى صميم[9] الأهرام منها مطلبا عجزوا عنه يحتاج فى اثارته الى خلق كثير ، وأنه يوصف بوفور المال ، فنظر الى شيخ يعرف بالرافقى من أهل الثغر فضمه اليهم ، وتقدم الى عامل معونة الناحية فى ارتياد ما يحتاج اليه من فعلة وغيرهم ، فوافاه الرافقى ، وذكر أنه أفضى فى المطلب الى علامات تدل على قرب ما فيه فركب بنفسه ، فوجد

٢٥ ظ
٢

٢٦ و
٢

---

(١) « ونظر إلى موطىء قدمى . . الخ » . فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ١٩٤) : « فتنحيت فوضع خده على التراب ، فى الموضع الذى كانت قدمى عليه ، وبكى وأقبل يمرغ خديه ولحيته فى التراب ، ويتضرع إلى الله جل اسمه ، ويسأله العفو عنه ، وإلهامه الشكر على نعمه عنده » .

(٢) محمد بن عبد كان كاتب ابن طولون ، ترجم له الصفدى فى الوافى بالوفيات . انظر سيرة ابن طولون للبلوى ص ٧ و ٩ ـ ١٠ و ١١٠ و ١٢ و ١١٤ و ٤١٤ و ١٠٧ و ١٤٨ و ٢٦٠ و Zaky M. Hassan ; op cit pp.280-282

(٣) مهد ملك الروم لهذا الطلب بهدايا بعث بها إلى ابن طولون ، راجع احداث سنة ٢٦٥ من تاريخ الكامل لابن الاثير (ج ٧ ص ١١٧)

(٤) فى المخطوط « فأحضر » بالضاد المعجمة والراء المهملة ولعلها احصن بمعنى اجعلها حصينة .

(٥) أخلق بمعنى خرب من أخلق الثوب صار باليا .

(٦) وردت هذه القصة ببعض التعديل فى سيرة ابن طولون البلوى (ص ١٠٩ — ١١٠)

(٧) فى سيرة ابن طولون البلوى (ص ١٩٥) : إلا بمنشور .

(٨) فى المرجع نفسه : عما رفع اليهم .

(٩) فى المرجع نفسه : فى سمت .

الحفر والأمارة فوقف حتى كشفوا عن حوض مملوء دنانير ، وعلى غطائه بالبربطية [1] كتاب ، ففسر فكان : أنا فلان بن فلان الملك الذى ميز الذهب من سواه [2] وغشه وأدناسه ، فمن أراد أن يعلم فضل ملكى على ملكه ، فلينظر الى عيار دنانيرى على دنانيره ، فان مخلّص الذهب مخلّص فى الحياة ، وبعد الوفاة . قال نسيم : فأمر لكل رجل منهم بمائة دينار ووفى الصناع أجرتهم ، ووهب لى منه عشرة دنانير وحمل جميع المال ، فكان أجود عيارا من السندى [3] والمعتصمى ، وتشدد أحمد بن طولون فى العيار بعد ذلك حتى لحق بالسندى [4] . / ٢٦ ظ ٢

وحدثنى نسيم الخادم أن أحمد بن طولون ركب فى غداة باردة ، فاجتاز بشاطىء النيل فوجد على جروفه شيخاً صياداً ، عليه ثوب خلق لايواريه ، ومعه صبى فى مثل حاله من العرى وقد رمى الشبكة فى البحر ، فرثى لهما ، وقال لى : يا نسيم ادفع إلى هذا الصياد عشرين دينارا ، فتأخرت عنه حتى دفعت إليه الدنانير ، ولحقت به . ثم رجع عن الموضع الذى كان قصده ، فاجتاز بالصياد فوجده ملقى قد فارق الدنيا والصبى يبكى ويصيح ، فظن أحمد أن بعض سودانه قتله وأخذ الدنانير منه ،فوقف بنفسه عليه وسأل الصبى عن خبره ، فقال : هذا الغلام — وأشار إلى أحد الغلمان — وضع في يده شيئاً ومضى فلم يزل يقلبه من يمينه إلى شماله ، ومن شماله إلى يمينه حتى سقط . فقال لى : فتشه ، فوجدناها معه ، فأحضر ابن طولون عميد الناحية / وتقدم إليه فى أن يبتاع له منزلا ، ويجرى عليه رزقا ، وأردنا الصبى على أن يقبض دنانير أبيه إليه فأبى ، وقال : أخاف أن تقتلنى كما قتلت أبى ، ثم قال أحمد بن طولون : إن الغنى يحتاج إلى تدريج ، وإلا قتل صاحبه . ٢٧ و ٢

وحدثنى أبو العباس الطرسوسى [5] قال : ما رأيت أصح أزكانا [6] من أحمد بن طولون ،

---

(١) كذا فى المخطوطة وفى خطط المقريزى ج ١ ص ٤١ ، وفى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ١٩٦) : بالبزنطية . وكان الأستاذ فييت قد أصلحها فى طبعته من كتاب الخطط للمقريزى (ج ١ ص ١٨١) « بالبرابية » أى لغة البرابى وهى المعابد المصرية القديمة . ثم رجع عن هذه القراءة من دون أن يستقر على قراءة اخرى . راجع تعليقاته فى الجزء الثالث (ص ٣١٧) من طبعته للخطط . وانظر القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٢٦ والأب انستاس الكرملى : النقود العربية وعلم النميات ص ٥٦

(٢) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ١٩٦) « من شؤونه » بمعنى مما يشينه .

(٣) نسبة الى السندى بن هاشك الذى تولى ضرب السكة لهارون الرشيد واشتهرت سكته بجودة العيار راجع كتاب النقود القديمة الاسلامية للمقريزى ، فى كتاب النقود العربية للكرملى ص ٤٨ — ٤٥

(٤) راجع Zaky M. Hassan : op. cit pp 210-212

(٥) يبدو أنه كان من جواسيس ابن طولون أو أصحاب خبره . انظر سيرة ابن طولون للبلوى ص ١٢٢ — ١٢٣

(٦) فى المخطوطة أركانا بالراء المهملة . والصواب إزكانا بالزاى المعجمة بمعنى فطنة من زكن ظن وازكن الشيء ظن فيه ظناً فأصاب .

ولا أقوى فراسة ، ولقد رأى يوما وهو سائر رجلا واقفا مع النظارة فقال لبعض الحجاب : الحقنى بهذا الشيخ ! فلما جلس أدخل عليه ، فقال : السياط ! فقال الشيخ : لا تعجل علىّ أيها الأمير ، فأنا أصدقك ! وأخرج ضبارة[(١)] صغيرة فيها كتب مختومة فقال : أين هو[(٢)] ؟ قال : عند صاحبى ، فأحضر صاحبه ، وخلا به ، ثم مضى بموكلين ، وجاء بشيخ خراسانى ، شديد العجب ، قوى القلب ، فأطلق الشيخ ، ووجه بصاحبه إلى المطبق وخلف الخراسانى عنده ، وكان رسولا للموفق قد حمله كتباً إلى قواد أحمد بن طولون . فتبين التعجب / منى لاصابته ، فقال : ويحك ، رأيت هذا الشيخ وقد تجمع لى ، وقد طلب الرجوع عن مسيرته[(٣)] فكانت حركته قوية ، ثم أقام على لزوم سنّته فى المسير فكانت حركته أضعف فعلمت أنه مريب .

٢٧ ظ
٢

وحدثنى أبو العباس الطرسوسى أن أحمد بن طولون رأى فى يوم خميس فى الداخلين إليه رجلا من الأولياء ، فتأمله تأملا شديداً ، ثم أمر باعتقاله ، فلما انقضى المجلس ، وخرج المسلمون عليه دعا به ، وقال : من دسك إلى ؟ فان خبرك قد وصل إلى من البارحة ؟ قال أبو العباس : تحرت فى أمره ، فأقر له أنه صاحب خبر لمن أسر له به ، فأمر به للحبس ، فقلت : ياسيدى هذا وحى ؟ فقال : كفرت ويلك ! لا والله ما أوحى إلى ، وما هذه منزلتى ولكنى أزكن ، وأستدل ، وأعدل شهادة شيء بشيء فقليلا ما يخطئنى . ثم قال : علمت السبب الذى وقعت على هذا الرجل من أجله ، أنه صاحب خبر ؟ قلت : لا والله/قال : رأيت فى النوم البارحة هذا الشخص بعينه فى صورته وهيئته ، وقد دخل إلى قصرى ، وكأنه يروم الدخول إلى ، فمنع ، فكأنه يتسلق إلى طاق فى المجلس ، ليرى ما أعمل ، فكانت عبارة هذه الرؤيا تخبرنى بأن هذا يتجسس عن أخبارى ، فلما أنعمت النظر إليه ، وجدته كما قدرته[(٤)] .

٢٨ و
٢

وحدثنى ابن عبدكان[(٥)] ، أن احمد بن طولون جلس فى مستشرف فى بعض البساتين يأكل مع خاصته من أصحابه فرأى من بعيد سائلا فى ثوب خلق ، وحال سيئة ، فوضع بده فى رغيف كبير ودجاجة وفرخ وقطع لحم وفالوذج ، وأمر بعض الغلمان بالنزول به إليه ، ورجع

---

(١) الضبارة الحزمة .

(٢) فى النص اضطراب يرجع إلى نقص ظاهر فى عبارته فالراجح أن الشيخ أشار إلى وجود جاسوس آخر زميل له فسأله الأمير أين هو . وقد وردت هذه القصة بكثير من التعديل فى سيرة ابن طولون للبلوى ص ١٢٢ — ١٢٤

(٣) فى Vollers : Fragmente S. 34 : مسيره

(٤) وردت هذه القصة ببعض التعديل فى سيرة ابن طولون للبلوى ص ١٢٥ — ١٢٦

(٥) وردت هذه القصة فى المرجع نفسه (ص ١٢٦ — ١٢٨) ولكنها مروية عن تركان بن عبد الله ابن الامام وفيها تعديل وإسهاب .

الغلام ، وقد رأى الزلة [1] قد وقعت فى يد السائل ، وألح نحوه بالنظر فما مضت ساعة حتى قال للغلام : جئني به فمثل بين يديه فاستنطقه فأحسن جوابه ، ولم يضطرب من هيبته ، فقال له : الكتب التى معك [2] ! ؟ وأصدقنى من بعث بك ؟ فقد صح عندى أنك صاحب / خبر . وأحضر السياط ، فاعترف له بذلك ، فقال له طبارجى [3] — وكان ذا دالة عليه ، وذا موقع منه — : هذا والله أيها الأمير السحر ! ! فقال : ما هذا سحر ، ولكنه قياس صحيح ، رأيت هذا الرجل على ما هو به من سوء الحال ، فوجهت إليه طعاما يشره إليه الشبعان من طيبه ومضى موصله إليه ، فما هش إليه ، وما مديداً له ، وأحضرته فتلقانى من القول والاحتجاج بما لا يستقل به الفقير ، فلما تبينت زيادة ظاهرة بقوة نفسه ، واجتماع ذهنه ، علمت أنه صاحب خبر .

٢٨ ظ
٢

وحدثنى تركان عن أبيه أنه كان معه فى سحر من الأسحار ، وكان يركب مع نفر من خواصه ، ويجتاز بموضع من الفسطاط على حالة منكرة ، يتطلع منها على الأسرار فى الليل فكنت معه حتى رأى صوائح يبكين ويصحن ، فقال لصندل المزاحمى : انزل إليهن ، وفتشهن ! وأخرج من وسطهن رجلين مستترين ، وكان قد بعث / فى طلبهما ، ووقف من النساء على الدار حتى خرجن منها فحبس ساكنها ، وأمر بالرجل إلى المطبق ، ثم ضحك ، فقال له طبارجى : يا سيدى كيف تبينت هذا وقد رأينا عدة من صوائح فلم تفتش غير هؤلاء ؟ فقال أحمد بن طولون : كل من رأيته فى هذه الليلة من الصوائح تصيح بحرقة ، وعلى غير تصنع ، غير هؤلاء ، فانى رأيت صياحهن بتخاجؤ [4] وتصنع ، فعلمت أن معهن رجلين ، لأن من شأن النساء التصنع الرجال ، فكان الأمر على ما ظننت .

٢٩ و
٢

وحدثنى شعيب بن صالح ، أنه كان لأحمد بن طولون ثقة [5] على كثير من أسراره يطالع به ما غاب عنه [6] ، فلما زاد محله انصرف عنه الناس إليه فى حوائجهم ، وبسط يده فى الانفاق [7] ، فاكتسب مالا عظيما ، وانكشف عند أحمد بن طولون ، وعلم أن قصده الانفاق [8] ،

---

(١) الزلة بضم الزاى الصنيعة

(٢) فى المرجع السابق (ص ١٢٦) : الكتب التى معك هاتها .

(٣) من أصحاب ابن طولون وقواده وكانت له إمرة الجيش الذى أوفده هذا الأمير لاخضاع ابنه العباس . أنظر سيرة ابن طولون للبلوى ص ٢٦٤ — ٢٦٨ ، ٣١٥ ، ٣٣٨

(٤) مصدر تخاجأ بمعنى تباطأ .

(٥) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ١٢٩) : رجل يثق به .

(٦) يطالع به . الخ ؛ فى المرجع نفسه : يطالعه بها وما غاب عنه منها .

(٧) فى المرجع نفسه : « للارتفاق » ، أى للكسب والانتفاع ، بدلا من « فى الانفاق » .

(٨) فى المرجع نفسه « الارتفاق » بدلا من « الانفاق » .

دون تجريد النصيحة له ، فهرب منه [١] ، وشق ذلك على أحمد بن طولون ، لاشتماله على ما عنده من أسراره ، فرأى فيما يرى / النائم كأنه كشف عن قبر فظهر له فيه ثعبان عظيم ، فقبض على عنقه واستخرجه من القبر ، وجعله فى جرة عظيمة ، وسد رأسها ، فأصبح وركب إلى العين التى كان احتفرها بالمعافر [٢] ، فرأى جنازة امرأة هناك ، وخلفها مقدار عشرة أنفس ، وقد أخرجت بالغداة من بعض سكك المعافر ، فقال : أين حفرتم لهذه المرأة ؟ فاضطرب الجماعة ، فحطها عن أعناق الرجال ، وكشف الغشاء ، فأصاب فيه الرجل الهارب ، وقد رام الخروج عن الفسطاط بهذه الحال ، فسلمه إلى من استصفاه [٣] ، وألقاه فى بعض محابسه المنسية .

٢٩ ظ
٢

وقال لى شعيب بن صالح : كنت مع أحمد بن طولون بالصحراء حتى رأى حمالا يحمل شيئا كثيرا ، وهو تحته منبهر مضطرب فقال : لو كان اضطراب هذا الحمال من ثقل لغاصت رأسه فى عنقه وهى بارزة خلفه ، وما هذ إلا زمع [٤] وروع مما يحمل . ثم استوقفه ، وحط المن فاذا فيه جارية قد قتلت / وقطعت فقال له : أرنى الدار ، وكم الجماعة ؟ فقال : أربعة قال : بيتوك عندهم ؟ قال : نعم وأعطونى هذا الدينار . قال : فحضرت قتلها ؟ قال : لاولكنهم أحضرونى بعد قتلها وتقطيعها ، فأمر بقتل الأربعة ، وأمر بضرب الحمال مائة زوج وتخليته [٥] .

٣٠ و
٢

وحدثنى ابراهيم بن كامل المصرى وجماعة من المصريين أنه كان بعين شمس صنم بمقدار الرجل المعتدل الخلق من كذان [٦] أبيض محكم الصنعة ، يتخيل من استعرضه أنه ناطق ، فوصف لأحمد بن طولون فاشتاق الى تأمله فنهاه ندوسة [٧] عنه ، وقال : مارآه وال قط إلا عزل

---

(١) فى المرجع نفسه : « فاما وقف الرجل على علم أحمد بن طولون به هرب منه » .

(٢) فى المخطوط « المعابر » وفى Vallers: Fragmente S 37 « المقابر » . وفى سيرة ابن طولون البلوى (ص ١٢٩) : « المعافر » . والأخيرة هى الصحيحة لأن المعروف فى كتب الخطط والآثار أن ابن طولون بنى قناطره المشهورة بظاهر المعافر ، وقد سماها المقريزى المغافر بالغين المعجمة وهى خطة من خطط الفسطاط تنسب إلى قبيلة نزلت بمصر منذ بداية الفتح . انظر الكندى : الولاة والقضاة ص ٤٤ و ٤٥ و ١١٥ و ٢٥٥ و ٣٥٣ و ٣٨١ والمقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٩٨ وعمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب ج ٣ ص ١١٥ وما ذكره من المراجع القديمة .

(٣) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ١٢٦) : استصفى جميع ماله .

(٤) الزمع : الجزع .

(٥) وردت هذه القصة ببعض التعديل فى سيرة ابن طولون للبلوى ص ١٣٠

(٦) الكذان حجارة رخوة نخرة . الواحدة كذانة .

(٧) فى سيره ابن طولون للبلوى (ص ٢٨٩) أن ندوسة كان خادما نصرانيا لأبن طولون وكان ثقة عنده فى جميع أحواله فى داره . ولعله كان يشغل فى قصره وظيفة « الخازن » وتشبه وظيفة الخازندار فى العصر المملوكى . أنظر القلقشندى . صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٨٥ و ج ٥ ص ٤٦٢ — ٤٦٣ وسيدة كاشف : مصر فى عصر الأخشيديين ص ١٥١

فركب اليه ، وكان هذا فى سنة ثمان وخمسين ومائتين وتأمله ، وبلغ محبته منه ، ثم دعا القطاعين فأمرهم باجتثاثه من الأرض ، ولم يترك منه شيئا ، ثم قال لندوسة خازنه : ياندوسة من صرف منا صاحبه ؟ فقال ندوسة : أنت أيها الأمير . وعاش أحمد بن طولون بعدها اثنتى عشرة سنة أميرا .

٣٠ ظ / ٢

وحدثنى شعيب بن صالح / قال : حسّن معمر الجوهرى لأحمد بن طولون التجارة فحمل اليه مالا على أن يشغله فى كتان ، فرأى فيما يرى النائم كأنه يمشمش عظاما ، فدعا بالعسال المفسر ، وكان حاذقا بالعبارة[1] فقص عليه مارآه فقال : يسف الأمير إلى مكسب لايشبه خطره ، ودخل[2] اليه ابراهيم بن قراطغان — وكان أحد من يتقلد صدقاته — فقال: امض الى أبى الحسن معمر فخذ منه ثمن الكتان وتصدق به .

وحدثنى نسيم قال : تظلمت عجوز أعرابية تعرف بأم عقيل الى أحمد بن طولون من تسخير أجمال لها ، وكانت فصيحة اللسان ، حسنة البيان ، فتقدم برد أجمالها ، وأمر بعض الحجاب أن يلحقه بها الى داره ، فوافت فتقدم فى إطعامها ، وأن يخلع عليها أثوابا ضخاما ، ودخلت مجلسه ، وهومع خواص له يشرب ، فحدثته بما استحسنه ، وأنشدته مااستطابه ، وهى فى ذلك حائرة من صفاء كأس بيده ، ورقة شراب فيه ، فأمر لها بكأس / ، فقالت : أيها الأمير هذا شراب ما خالط دمى قط . قال : خذيه ، وشمى رائحته ، وانظرى الى لونه ، قالت كل مافيه يدعو اليه ، فلما عزم عليها شربته ، ثم ضحكت بعده ضحكا لا سبب له ، فقالت : أيها الأمير ، وإن الرجل بالحضرة ليسقى نساءه من هذا الشراب ؟! قال : نعم : قالت : زنين ورب الكعبة ! فضحك ، فقال لها ، ولِمَ ؟ قالت : تحرك على — أعز الله الأمير — ساكن ماشكوته منذ ثلاثين سنة ، ولا والله لاعاودته أبدا ! فكانت تتفقد أحمد بن طولون فى كل وقت فيجزل عائدتها .

٣١ و / ٢

وحدثتنى نعمت قالت : أدخل أحمد بن طولون إلى حرمه أم عقبة فى ليلة جمعة ، وقال : لا تُعلمى أحد من حرمى بشرب جرعة نبيذ ، فتأملت بناته فصبت إلى فاطمة شقيقة العباس بفتل عينيها ، ولم تكن بأحسنهن ، فقال لها أحمد بن طولون : كيف خصصت هذه دون جماعتهن ؟ قالت : أيها الأمير كأنها والله تنظر من عينى ناقتى / سرحاد ، فأضحكت جميعنا .

٣١ ظ / ٢

وحدثنى الحسن بن مهاجر قال : دخلت أم عقبه إلى أحمد بن طولون بابنها عقبة وأنا بين يديه ، فسألته التقدم فى تصرفه[3] ، فقال لى : أنظر له شغلا يعود عليه ، وكان البريد إلىّ ،فقلدته بريدناحيته ، وأجريت له عشرة دنانير فى كل شهر . وإنى لقائم بين يدى أحمد بن طولون

(١) أى بتعبير الرؤيا .

(٢) فى المخطوطة رحل بالراء والحاء المهملة ولكن الأرجح عندنا أنها دخل بالدال والخاء المعجمة .

(٣) أى فى أن يفوض إليه عملا من الأعمال .

حتى دخلت أم عقبة فقالت : أنا شاكرة لله والأمير ، ذامة لهذا الرجل — تريدنى — قال : ولم ذاك ؟ قالت : أمرته باشتغال ابنى فى عائدٍ [١] ، فشغله فيما لا يُرخص [٢] عنه عاره وشناره ، والجوع الكريم أولى من الشبع اللئيم ، فاذا لم يكن غير هذا تركته ، ولم أتعرض لمقت الله وسب عباده . فضحك أحمد بن طولون ، وأمرنى أن أجرى عليه العشرة الدنانير ، وأعفيه من البريد [٣] .

٣٢ و
٢

وحدثنى نسيم قال : ما خلت دار مولاى قط من كاتب خفى الشخص ، موثق عنده ، يعرف بكاتب السر يراصد فى/سائر يومه مناظرته لمن ناظر ، فيكتب الابتداء والجواب [٤] .

وحدثنى نسيم قال: كان لأحمد بن طولون فى القربص [٥] ألف بدرة ، وكان أحمد بن طولون يراها ولا يراها من كان بين يديه وباب البيت مفتوح ، ولم يكن يمضى يوم الا تأمله ، فدخله فرأى يوما بدرة من البدر قد انحنت ، فتقدم بوزن ما فيها ، فوجدها قد نقصت أربعين دينارا ، فقال لى : من تظن بها ؟ فقلت : ما يدخل هذا البيت غيرنا ، وأنا راعى أمرها ! قال : تشاغل بها ، فلاحظت البيت من بعد ، ووكلت اهتمامى به ، فرأيت غرابا فى الدار وكان شديد الأنس ، تعجب أحمد ابن طولون فصاحته [٦] قد دخل البيت ، ونقر خياطة البدرة ، وأخرج دينارا فى منقاره ، فسرت خلفه الى شق بين بلاطين فألقاه فيه ، ووافى أحمد بن طولون ، فأخبرته الخبر ، فدعا بالمبلطين وقلعوا بلاطى الشق فوجدوا دنانير نقصان البدرة فختمها ، وضحك أحمد بن طولون /وقال : لو كانت لمسكين ما وجدها ! ثم قال : يانسيم المقبل محروس [٧] .

٣٢ ظ
٢

---

(١) أى فى عمل نافع .
(٢) أى لا يغسل .
(٣) وردت هذه القصة ببعض التعديل فى سيرة ابن طولون البلوى ص ٢٠٨ — ٢٠٩
(٤) انظر المرجع نفسه ص ٢١٠ و Zaky M; Hassan : op. cit. . p 209 •
(٥) فى Vollers : Fragmente S 40 « المقربص » . وفى سيرة ابن طولون البلوى (ص ٢١٠) « تقرنص » فأصلحها الأستاذ محمد كرد على إلى « مقرنص » بمعنى الدلايات أو الأجسام الزخرفية المعمارية الصغيرة التى تزين بها وجهات المساجد وأسقف القصور وما إلى ذلك من المعاثر . ولكن « القربص » الوارد فى المخطوط هنا كلمة معربة معروفة . ومن معانيها حليات وزخارف فى السقف . والراجح عندنا أنها هى المقصودة هنا لان إخفاء المال فى مثل هذه الحليات أسهل من إخفائه فى الحليات الاخرى المدلاة والمعروفة باسم « المقرنص » . أنظر R. Dozy ; Snpplement aux Dictonnaires Arabes, II, p. 324.
(٦) « تعجب احمد . . الخ » فى سيرة ابن طولون البلوى (ص ٢٠١) : « وكان مولاى يعجب بصياحه » .
(٧) فى المرجع نفسه : « لو كانت هذه الدنانير لمسكين أو متجمل ما وجدها ، ولكن يا بنى المقبل محروس » .

وحدثتني نعت قالت : كان لأحمد بن طولون زوجة من بنات الموالى تزوجها بمصر ، وكانت حسنة الموقع منه ، جميلة الصورة ، يقال لها أسماء ، فقالت : يامولاى ليس خلوتك منها على حسب محلها منك ! ؟ قال لى : هى صغيرة الكف ، قصدة الحلقة ، فأخاف أن يكون هذا فى ولدى منها [1] .

وحدثنى أبو جعفر بن عبد كان قال : كنت أنشىء كتب أحمد بن طولون السلطانية ، وأنفذها فترد علينا أجوبة بغير ما صدرت الكتب به ، فأعلمته بهذا فضحك وقال : الأجوبة فى الكتب على شىء ألحقته فيها لم أطلعكم عليه [2] .

وحدثنى ابن قراطغان [3] وكان موثقا عنده : قال : ألزمنى أحمد بن طولون صدقاته ، وكانت غزيرة ، فقلت له يوما : ربما امتدت الى الأكف المطرفة والمعصم بالسوار ، والكف الناعم فامنع من هذه الطبقة ؟ فقال لى : المستورون الذين يحسبهم/ الجاهل أغنياء من التعفف ، فى هذه الطبقة نزلت [4] ، احذر أن ترد عنك يدا امتدت اليك ، وأعط من استعطاك ، فعلى الله أجره .

٣٣ و
٢

وحدثنى اسحاق بن ابراهيم عمى قال : كان ابن مفضل حازم الرأى ، ذكى الحس ، ولم يكن يقعد به إلا بخل كان فيه ، ولجاج تملكه . واستولى على أمر أحمد بن طولون [5] ، وكانت نفقات مطبخه [6] ورواتبه من ضياع إقطاعه ، فوقّع إلى ابن المفضل : لا تنفق من مال أقطاع الضياع درهما واحدا ، فانى أجمعه لطرسوس . ووافاه عند انقضاء الشهر نفيس الطباخ ، يستدعيه إطلاق النفقات على المطابخ ، فقال له ابن المفضل : قد حظر [7] علىّ الجهة التى كنت أطلق لك منها ، قال : فتحتال لى حتى استأمره [8] . قال : ما عندى . قال : فأعطل ؟ قال : ذلك إليك فدخل نفيس إلى أحمد بن طولون ، وعرفه الخبر ، فأحضر ابن مفضل ، فقال : ما كانت عندك حيلة

---

(١) وردت هذه القصة ببعض التعديل فى المرجع نفسه (ص ٢١٢) .

(٢) وردت هذه القصة ببعض التعديل فى المرجع نفسه (ص ١١٢) .

(٣) فى المخطوط أقراطغان والصواب ابن قراطغان . وهو ابراهيم بن قراطغان . انظر سيرة ابن طولون للبلوى ص ١٩٨

(٤) يشير إلى الآية الكريمة (سورة البقرة آية ٢٧٣) « للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم » .

(٥) كان وكيلا له ومتصرفا فى نفقات قصره . انظر سيرة ابن طولون للبلوى ص ١٤٠ — ١٤١

(٦) اى مطبخ ابن طولون .

(٧) اى الامير .

(٨) « قال : فتحتال . . . . الخ » : فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ١٤١) : « فقال له نفيس : فتحتال لى بما تنفقه اليوم ، وتستأذن الامير الليلة فيما يستأنف » .

٣٣ ظ
٢

فى نفقات المطابخ يوما واحدا أو يومين إلى أن نحكم أمرها ؟ قال : لو سهلت لى أمرها / لما توقفت ، وانها لمتعذرة على . قال : احلف بالله وبرأسى أنك ما تملكها ، فحلف على ذلك . ودعا سوارا الخادم وكان جريئا — من خدمه — صفيق الوجه ، فقال : حز نعمته ولا يفتك منها شىء ، واحمل إلىّ ما وجدته من العين له الساعة . فجاءه بثمانية وسبعين ألف دينار ، وسلمه[1] إلى سوار ، فكان آخر العهد به ، وباع ما أجازه به فبلغ نيفاً وعشرين ألف دينار .

وحدثنى شعيب بن صالح أن نفس أحمد بن طولون شنئت استخدام الكتاب منذ أشرف من ابن مفضل على دغل نفسه ، وسوء طويته ، وجرأته على اليمين على ربه ، فسأل عمن كان يكتب لحسين الخادم المعروف بعَرق الموت ، وكان هذا حسين الخادم — حسن العقل ، راجح الوزن — يتقلد البريد بمصر ، وكان أحمد ذا معرفة به من الحضرة ، وكان على ثقة من اختياره ، فقيل له : الحسين بن مهاجر[2] ، فأحضره وسأله عن بلده ، وسبب تعلقه بحسين الخادم ، فقال : أيد الله الأمير ، لقينى بالرقة ، وكان / والدى يتوكل لحسين الخادم فى ضياع يملكها ، فاجتاز به[3] فى مسيره إلى مصر متقلداً للبريد ، فطالع ما جرى على يده فحمده ، وتأملنى فيما كنت أرفعه من حساب والدى ، فمال إلى ، وأقر الضياع على ما كانت عليه من إشراف والدى عليها . وقال له : لم أستصحب من كتاب العراق أحدا ، لما معهم من الجرأة ، ولطف الحيلة ، وهم للعامل الخائن أوثق[4] منهم للناصح ، وأنا أقنع بابنك ، وإنى رأيت اجتهاده فى إصابته موافقتى ، وليس فيه إلا العجز فى الخدمة عن استيفاء ما أوثره ، وهو يتخارج[5] معى ، فقال له أبى : إن أخاه قد ألفه شديداً . فقال : أخرجه معه ، فانه إن كان فوقه فى السن فهو دونه فى الكتابة ، وأنا أوثره وما أتاه . قال الحسين بن مهاجر : والتزم الحسين الخادم تأديبى وتقويمى حتى إذا تبين اضطلاعى بما يسند إلىّ سلم إلى ديوان البريد ، وقال : يابنى : احذر أن تُرى فى دار غيرى ، ولا تسكن إلى أحد / سكونك إلى ، فان تفويضى إليك يوجب لى هذا عليك . وليكن إيثارك لحسن الذكر أكثر منه لكسب المال ، وايثارك للصواب أكثر منه لحسن الذكر . ولا تستأثر عن[6] إنفاق ما تكسبه بابتياع الأعراض النفسية ، والملابس الرفيعة ، فانك لا تزيد بها إلا فى عين ناقص الفهم

٣٤ و
٢

٣٤ ظ
٢

(١) أى سلم ابن طولون ابن مفضل .
(٢) سماه البلوى فى سيرة ابن طولون « الحسن بن مهاجر » .
(٣) فى المخطوطة وفى Vollers : Fragmente S 52 : « فاختاره » والصواب « فاجتاز به » .
(٤) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ١٤٣) : اوفق .
(٥) كذا فى المخطوطة وفى Vollers : Fragmente S.43 ولعلها يتخرج بمعنى يتدرب ويتعلم .
(٦) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ١٤٣) : « ولا تنزعن إلى » .

والحال ، لأن من قوى تمييزه إنما يطالع ما صدر عنك من فضل ، ويستعرضه منك[1] من طبع . وإذا غلب عليك ايثار شىء يحسن به ظاهرك ، فطالع ثمنه[2] فى حاصلك ، واعلم أنه فى يدك متى شئت من غير أن تسرف فيه إلى الحاسد لك ، والباغى عليك . ولا تذكر لأحد من حديثى ما يسهل عليك اذاعته فيجترىء به على إظهار سرٍّ لى . واطو ماتستدعره[3] منى طى الصحيفة . واحرص ألا يسبقك أحد إلى مطالعتى بما أستطلعه . وقد أمرت [لك][4] بكذا وكذا دينارا ، فاشتمل على أمرى وقابل ما ابتدأتك به بما يقضى عنك سوالفى لديك[5] وفقك الله وسددك .

قال له أحمد بن طولون : فمن / خدمت بعده ؟ قال : ما انشرحت لسواه ، ومعولى فيما يعمنى[6] على ما اقتنيته ، أسلفه لقوم أثق بوداتهم وحسن معاملتهم ، وأصرف الفضل الى ما ينوبنى ، وأرد الأصل الى موضعه . قال : فكم صرف اليك الحسين الخادم ؟ قلت : أربعة آلاف دينار ، وهى أكثر ماكان فى حاصله فى ذلك الوقت . فقال لى أحمد بن طولون : ما أحب من همتى لكاتبى ما وصلك به الحسين الخادم ، فهذا المال قليل لك . فخلع عليه ، ولزم وصية الحسين الخادم ، فلم ينكر منه أحمد بن طولون شيئاً ، [ألا يحامله على سائر الناس له[7]] .

٣٥ و
٢

قال أحمد بن يوسف : سألت عن مائة ألف الدينار التى وصى بها أحمد بن طولون للحسين ابن مهاجر فقيل لى : هى المائة ألف دينار التى احتيزت من ابن مفضل عينا ، وثمن متاع ، كانت معزولة ناحية حتى حملها الى الحسين[8] .

وحدثنى سعيد الفرغانى قال : لما قتل أبو الجيش الحسين بن مهاجر وجد له ثمانون / ألف دينار ، فقال خازنه : هذه المائة ألف دينار التى وصله بها أحمد بن طولون ، فرق فى أهله عشرين ألفا ، وبقيت هذه الثمانون ألف ، وكان يقتات أرزاقه .

٣٥ ظ
٢

وحدثنى : أحمد بن خاقان ، قال : سمعت أحمد بن طولون يقول للحسين بن مهاجر : قد صحت عندى نصيحتك [وأنت غير محتاج أن تتحامل على أحد][9] تحرز به الحجة

---

(١) فى المرجع نفسه : فيك .
(٢) فى المرجع نفسه : يمنه .
(٣) تستدعره أى تظنه من سوء الخلق . فى المرجع السابق (ص ١٤٤) : « تستعرضه » .
(٤) ما بين الحاصرتين زيادة ، من سيرة ابن طولون للبلوى ص ١٤٤
(٥) بما يقضى . . . الخ ، فى المرجع نفسه بما : « يقضى عنك سوء الفىء لديك » .
(٦) فى المرجع نفسه : « يقيمنى » .
(٧) فى المخطوطة : « ولا تحامل على سائر الناس له » وفى المرجع السابق : « الا تحامله على الناس له ليحظى بذلك عنده »
(٨) وردت هذه القصة فى المرجع نفسه ببعض التعديل والاطناب (ص ١٤٢ — ١٤٥) .
(٩) فى المخطوطة : « من أن تحتاج إلى تحامل على أحد » والتصويب عن المرجع السابق ص ١٤٥

عندى ، والعذر لى ، فميز الناس تميز عادل ، وتلق شرارهم بغلظة وخيارهم برأفة ، واعلم أن حقدك عليهم فى نصيحتى [تجنى به من الأثام] [1] والاستيحاش أكثر مما تحوز لى من الطاعة ، وتزرع لى فى القلوب بغضة لا تأتى عليها الأيام وتتوارثها الأعقاب . واطلب الشكر من مستحقه ، فليس يكرهه إلا ناقص المعرفة بالسياسة ، غير خبير بما فى باطن النصيحة .

وجرى فى مجلس لمحمد بن عبد كان ذكر محبوب بن رجاء [2] والحسين بن مهاجر . فطعن عليهما أكثر من حضر المجلس ، فقال محمد بن عبد كان : الصدق أجمل / ما يؤثر ، وكان فى كل واحد منهما فضل ، أما محبوب فسريع الجواب ، حسن الاستماع [3] ، حلو الكتابة . وأما الحسين بن مهاجر فموقر النفس ، بعيد الغور ، مستصغر لصحبة من صحبه ، لا يؤثر على تدبير أمره عنده شيئا من أعراض الدنيا .

٣٦ و
٢

وقال ابن مهاجر لمحبوب : أمرنى الأمير أن أجلس فى حلقك حتى تفصل ما حملته من الحساب الذى رفعته . فقال محبوب : إن جلست فى حلقى قذفتك فى المخرج [4] ! فقال محبوب للحسين : أنت حدث السن والصواب أن تستشعر خوف الأمير . فقال : ما أخافه ، فقام محبوب بها وقعد ، ورفعها صاحب الخبر الى أحمد بن طولون ، فدعا بهما . فقال : ما هذا الكلام الذى جرى بينكما ؟ فقال محبوب : ذكر الحسين أنه لا يخاف الأمير ، فقال . هو ذا يسمع ! فقال : أيها الأمير قد استفرغت جهدى فى نصيحتك ، وأمنت جورك ، وليس مع هذين ما يخيفنى منك [5] . فقال : بارك الله فيك .

وحدثنى أحمد بن القاسم [أخو عبيد الله [6]] قال : بعث الى أحمد بن طولون بعد أن مضى نصف الليل ، فوافيته وأنا مذعور ، فأدخلت إلى داره ، وسعى بى حتى وقعنا إلى بيت مظلم ، فقيل لى : سلم على الأمير ، فقلت : السلام على الأمير ورحمة الله وبركاته ، فقال : وعليك السلام ، فقال : لأى شىء يصلح هذا البيت ؟ فقلت : للفكر . فقال : ولم ذاك ؟ فقلت : لأنه ليس فيه شىء يشغل الطرف . قال : أحسنت ، بارك الله فيك ، امض الى العباس ، فقل له : يقول لك

٣٦ ط
٢

---

(١) فى المخطوطة « على قديم الأيام » وما بين المعقوفتين تصويب لذلك .

(٢) كاتب من كتاب ابن طولون . انظر سيرة ابن طولون للبلوى ص ١٢ و ١١٢ و ١٣١ و ١٤٥ — ١٤٨ و ٢٤٧ و ٣١٨

(٣) فى المرجع نفسه (ص ١٤٥) : « الانتزاع »

(٤) يبدو أن شيئاً قد سقط من النص فى هذا الموضع ففى سيرة ابن طولون للبلوى ص ١٤٦ : « ... فى المخرج : فأضحك جميع من حضر . وانقطع ابن مهاجر ساعة ثم تناظرا » .

(٥) فى المخطوطة : « وليس فى هذين ما يختفى منك » والتصويب عن المرجع السابق ص ١٤٦

(٦) فى المرجع نفسه : (أخو عبد الله بن القاسم كاتب العباس بن أحمد بن طولون) . والمعروف أن أحمد بن القاسم ممن روى عنهم ابن الداية كثيراً من أخبار ابن طولون .

أميرك ، أغد على ، وامنعه من أكل شىء — وكان العباس قليل الصبر على الجوع ، ورام يتناول شيئا من الطعام فمنعته وركب معى ، وكان يوم خميس ، وأبطأ الناس حتى بان العباس بشدة الجوع وخرج بعد ذلك الى أبيه فوجد المائدة بين يديه فدعاه اليها ، وقدم فى أول الطعام سمانى زيرباجا[1] ، فانهمك العباس لفرط جوعه فيه ، وامتدت يده الى صغائر الأطعمة فعندها شبع فى صدر الطعام ، وأحمد بن طولون متوقف/حتى جىء بدجاج وبطة صغيرة مبزرة[2] ، فأخذ يأكل ووضع بين يدى العباس ، فلم يجد فيه مساغا ، فقال له : ياعباس لا تلق بهمتك على صغير الأمور فتغنيك عن كبارها ولا يكون موضع لما يجل قدره ويحسن موقعه ، وهذا نظير تشاغلك بالسمانى عن الفنق[3] وطيب الأطعمة . وليس يتصل بى أنك أخذت على حاجة أقل من خمسمائة دينار ، لا يجد منها صاحبها مسا ولا إجحافا عليه فيها ، إلا غضبت عليك . ولا تستدع البر على الحوائج ، ولكن أقمه مقام الهدية التى تقبلها ، إن جاءتك عفوا ، ولا تقتضيها[4] إن تأخرت عنك ، وكافىء عنها بأحسن منها ، فان أعظم الفقر فقرك إلى رعيتك ، وإنما أردت بحضورك اليوم معاتبتك[5] .

37و
2

وحدثنى هارون بن ملول[6] قال : وقف [بعض بنى الجراح المصريين][7] لأحمد بن طولون وقد انصرف من صلاة الجمعة ، فقال : أيها المسرف على نفسه ، راقب ربك فقد أرعيت أصحابك دينك[8] ، وأخفت/الناس خوفا منعهم من صدقك ، وأنا لسان جميعهم اليك . فأمر بعض الحجاب بالقبض عليه واحضار مشايخ مصر ووجوههم ، وكانوا متوافرين ، فلما اجتمعوا وافى كاتب خبر السر برقعة يصف فيها قول ابن الجراح لأحمد بن طولون ، وقال لأحمد بن أعين كاتبه : اقرأها عليهم ، فقرأ الرقعة ، فقال : ما الذى أنكرتموه ، ولم تصيروا إلى ؟ فحلفوا له أنهم ما أنكروا له قط فعلا ، ولا بعثوا اليه أحدا ، فأحضره وقال : أليس ذكرت أن أهل هذه المدينة نصبوك فيما أنكروه ؟ فقال : نيتى بهذا المظلوم والمقهور ومن مسه جور أصحابك بسوء رعايتهم ، فقال :

37ظ
2

---

(1) السمانى من الطيور . والزيرباج معناه بالفارسية طعام من كمون وكان يطلق فى القرن السابع الهجرى (١٣ م) على طعام من السكر واللوز والخل . راجع Dozy ; Supplément aux Dictionnaires Arabes وانظر كتب الأطعمة عند العرب .

(2) أى مملوءة بالبزور وهى التابل الذى يطيب به الغذاء .

(3) الفنق المنعمة والسمينة ، فى Pollers : Fragmente S 46 : « الفتق » بالتاء .

(4) فى المخطوطة وفى Vollers : Fragmente S 46 : « إن جاءتك عفها ولا تقبضها » .

(5) وردت هذه القصة ببعض التعديل فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٢١٢ — ٢١٤) .

(6) من أتباع ابن طولون وممن كانوا يصحبونه فى زياراته للتفتيش على أحياء المدينة ويحضرون مجالسه للنظر فى المظالم ، وعنه نقل ابن الداية بعض أخبار هذا الامير .

(7) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٢١٤) : « بعض من ينتحل التصوف من المصريين » .

(8) أى جعلت دينك مرعى لهم .

لست أعجل عليك ، فخبرنى بما اتضح لك إنكاره . قال : لى ثلاثة أيام أتجسس على بعض أصحابك وأتلطف حتى وقفت على أن امرأة طبالة ، لا سبيل له علها ، تدخل اليه وتبيت عنده ، واشترى رجل من أصحابك غلاما أمرد من بعض التجار ، فنصب له طرة وقرطقه [1] بأثواب لا يسمح بها إلا فاسق. فقال له أحمد/ بن طولون: دللتنا على عوراتك ، وأعلمتنا أنك من المتجسسين و[أهل] الظن السوء ، ولله ستر على خلقه ، لا ينهتك بما التمست ، وأنا أرى أنك إلى التأديب أحوج منا إلى التأنيب . فقال رجل : أيد الله الأمير ، رام أن يترأس للدنيا بالكذب علينا ! وأنا أشهد ، وقسامة [2] من المسلمين معى أن منزله الذى يسكنه غصب ، وأن طعمته [3] إخافة [المستورين] [4] وضج الحضور بتصديق قوله ، فأمر بضربه مائة سوط ، وطاف به وحبسه .

83 و
2

وحدثنى محمد بن موسى أنه كان لأحمد بن طولون صديق بسر من رأى من أولاد الموالى ، قد برع فى الكتابة وحسن الافتنان ، فلما استقامت أحوال أحمد بن طولون بمصر كتب إليه يسأله زيارته ويرغبه فى قصده لما يقدر من وفر العائد عليه فى ذلك ، فأجابه بأن السفر يثقل عليه واليسير يقنعه ، وأنه على أضعاف ما عليه أحمد بن طولون من الشوق اليه ، فلما أسرف الأمر بين/ الموفق وأحمد بن طولون ، ورد كتابه اليه ، يخبره بأن شوقه اليه قد زاد عليه ، وأنه ينتظر إذنه فى القدوم عليه ، فسر أحمد بهذا ، وأذن له فى الشخوص ، فكتب إلى طيفور — خليفته بالحضرة — يسأله عن حال الرجل ومنزلته ، وتعريفه إلى من ينقطع ، فلم تمض إلا مدة يسيرة حتى وافى ، وأخرج [5] اليه جماعة وجوه أصحابه ، واستقبلوه ، ودخل مكرما ، وفرش له فى الميدان دارا ، وأعد له فيها جميع ما يحتاج اليه . وتلقاه أحمد بن طولون أحسن تلق ، وتخاليا ، ثم وضع الطعام بينهما ، وأخذا فى الحديث بعد الأكل إلى أن صليت العشاء الآخرة ، فقال له : تحتاج إلى الراحة ، وصرفه إلى داره المفروشة ، ومعه طائفة من أصحابه وحجابه . فلما بعد عنه قال لخاقان الطرسوسى : [6] سلمه إلى أبى مصلح [7] ، واقبض على رحله ، وحصله

38 ظ
2

---

(1) أى ألبسه القرطق وهو قباء ضيق وقصير تلبسه النساء ، راجع المعرب للجواليقى ص ٢٦٤ وانظر : R. Dozy : Dictionnaires Detaillé des Noms des Vêtements chez les Arabes p 362

(2) القسامة الجماعة .

(3) الطعمة : جهة الارتزاق والمكسب .

(4) الزيادة عن سيرة ابن طولون للبلوى ص ٢١٦

(5) فى المخطوطة : « خرج » والأرجح أنها « أخرج » كما جاء فى سيرة ابن طولون للبلوى ، (ص ١٥١) حيث وردت القصة ببعض التعديل والاطناب .

(6) من قواد ابن طولون وكان فى طليعة الجيش الذى أرسله هذا الأمير الى الشام قبيل وفاته . انظر المرجع السابق (ص ٣٢٠) .

(7) هو موسى بن مصلح الذى كان عاملا على سجون ابن طولون . وقد نقل عنه ابن الداية بعض أخبار المحبوسين . انظر كتاب المكافأة ص ١٥ و ٨٩ و Zaky M. Hassuan. op. cit- 204-206

ومن معه تحصيلا [1] لا يفوتك منه شىء . وكان إذا فعل فعلا يبعد عنه من عوائد الناس ، ذكر / عذره فيه ، فقال محمد بن موسى سمعته يقول : استدعيت شخوص هذا الرجل ، وحاله ضعيفة ، فتثاقل على ، فلما كان فى هذا الوقت سألنى الإذن له فى الشخوص إلى فأجبته إلى ذلك وكتبت إلى خليفتى طيفور بتعريف خبره ، فأعلمنى أنه قد حسنت حاله ، وزاد من السلطان محله ، فآثرت مشاهدته ، لأنى قدرت أن الموفق دسه إلى فى حال التشديد بينى وبينه حتى يصلح ما تشعث بيننا ، فلما حضر لم يدع للموفق حسنة ورماه بكل قبيح ورأيت صورته قد انقلبت إلى الشر ، وما أشك أن معه ما يصدق سوء ظنى فيه ، ثم استحضر غلامين كانا معه ، ومشتملين على أمره ، فهددهما على صدقه فأقرا بكتب كانت معه ، فأحضر سفطا فيه ثمانون كتابا من الموفق إلى وجوه غلمانه يعدهم بتقليد البلدان الخطيرة ، والجوائز السنية إن فتكوا به فقبض على الكتب ، وأهلك الرجل .

٣٩ و
٢

وحدثنى / محمد بن عبيد الله الخراسانى الدهان قال : نزل فى حارتنا شاب من أهل بلخ ، حسن الصورة ، فصبيح ، حافظ لكتاب الله وسنن نبيه ، فخلا بقلوبنا ، وأم بنا فى مسجد الحارة ولزمنا مسجده فى كل عشية ، لكثرة مواعظه ، فانا جلوس معه فى عشية من العشايا حتى طلع علينا كهل من الخراسانية ، وعليه لبادة ، وفى يده خنجر مشهور ، فلما رآه إمام الحارة قام وهرب منه ، وعدا صاحب اللبادة خلفه ، وتوجأه [2] بذلك الخنجر فقتله ، فسقناه إلى السلطان ، وهو معنا لين القياد ، غير خاضع لأحد منا ، فرفع معنا إلى أحمد بن طولون فقال له : ما الذى حملك إلى قتله ؟ قال : أيها الأمير كان هذا الرجل جارى ببخارى ، وكان حسن المجاورة شائع الستر ، فدخلت يوما من الأيام إلى منزلى على غفلة من أهلى ، فوجدته مفترشاً حرمتى ، ففزعت إلى السيف ، [فعمدت إليها فقطعتها ، وهرب منى] [3] ، وشهر أمرى فى الجيران ، وطلبه / السلطان ، وأطلق لى قتله ، فلم أجده ، وخبرت بخروجه عن بخارى ، فتركت كل ما أنا بسبيله ببلدى وطالبته فكنت لا أدخل بلدا إلا قيل لى : قد رحل عنه ، إلى أن دخل مصر ، وقد أخذت بطائلتى [4] ، وما أبالى متى قتلت بعده . فسألنا أحمد بن طولون عن المقتول ، فقلنا له : هرب منه ساعة رآه ، فقال : كثر الله فى الرجال مثلك ، انصرف مكلوءا ، فأقام عندنا تلك العشية ، وخرج من غده إلى بلده .

٣٩ ظ
٢

٤٠ و
٢

وسمعنا أحمد بن أيمن يقول : لأحمد بن طولون ساع يسعى بالكتاب والمعاملين ، ويعرف

(١) أى اجمع ما معه ومع أصحابه جمعا .

(٢) وجأه وتوجأه ضربه .

(٣) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ١٥٥) «وإلى أن آخذه فهرب منى ، فعمدت إلى الامرأة فقتلتها»

(٤) الطائلة العداوة .

بأبى الذؤيب [1] ، حسن الموقع منه ، قد أجدى عليه بنصحه ، وكان ربما أكل معه ، وربما جلس بين يديه ينادمه ، فاجتمعنا مع هذا الساعى فقال أحمد بن طولون لكنيز المغنى : أشتهى صوتاً ما سمعته منذ خرجت من سر من رأى ، قال : وما هو يا سيدى ؟ فقال : هذا البيت :

ألا شفيتم غليلا لا أفارقه نفسى فداؤك من ذى غلة صاد

٤٠ ط / ٢ / فحملنى النبيذ وما استهوانى من تقريب أحمد بن طولون وإيناسه على أن قلت : أنا أحسنه ، ففرح أحمد بن طولون واندفعت أغنيه إياه — وكان أحمد بن أيمن ذا جثة عظيمة ، وعقيرة جهيرة ، حسنة الايقاع — فطرب [أحمد بن طولون] [2] طربا شديداً ، ثم صفق بيديه [فسبقته إلى سخف الطرب ، وقمت] [3] فرقصت على إيقاع اللحن ، فزاد سروره ، وغمزنى على أبى الذؤيب الساعى ، فتزالقت على البساط ، وألقيت نفسى عليه ، فألم وأخذ يبكى كما يبكى الصبى لسوء أدبه ، فزبره [4] أحمد بن طولون ، فقال له أبو الذؤيب : لم يوجعنى أيد الله الأمير ما وقع علىّ من جسمه ، وإنما آلمنى ما كان على ظهره من البدر [5] التى اختزلها ، وخان فيها الأمير ، فقال : ارفع هذا إلى الصحو ، ولا تخلط الجد بالسخف ، فتبينت أنى قد غلطت فى فرط الانبساط . قال أحمد : فما مضت إلا مديدة حتى أوقع بى ، وحبسنى ، [فلم أخرج إلا فى عتق وفاته] [6] .

٤١ و / ٢ / وحدثنى الفارسى — وكان رئيساً من السعاة لأحمد بن طولون — قال : دعانى يوما فقال : قد خفى عنى أمر فلان — وسمى رجلا ذهب عنى اسمه — من الأتراك فما وقفت قط منه على خبر ، وكأنه ببلد آخر ومن العجب أن يضبط هذا الرجل نفسه على نقص نحيزته [7] فقلت : قد عاينت أمر هذا الرجل فوجدته يركب إلى دار الأمير ، وتؤخذ له حوائج مطبخه ، وما يحتاج اليه لسائر يومه ، فاذا رجع أغلق الباب ، فلم يفتحه إلا فى الساعة التى يركب فيها اليك . فقال لى أحمد بن طولون : فأنا أحب أن أعرف ما يفعل فى سائر يومه إذا أغلق الباب . فالتمست داراً تلازق داره وأظهرت أنى أحتاج اليها لعامة من الأولياء ، ودخلتها فوجدتها مشرفة

---

(١) فى سيرة ابن طولون البلوى (ص ٢١٧) « أنه كان من أبناء قبط مصر » .
(٢) الزيادة عن المرجع نفسه (ص ٢١٨) .
(٣) فى المرجع نفسه قال أحمد [بن أيمن] « فحملنى سخف الطرب لما رأيته من سرور الامير إلى أن قمت »
(٤) زبره عن الامر منعه ونهاه عنه .
(٥) جمع بدرة وهى الكمية العظيمة من المال .
(٦) فى المرجع السابق : « وأخذ جميع ما كان لى ، وما خرجت من حبسه إلا بعد وفاته ، أطلقنى ابنه ابو الجيش » .
(٧) النحيزة الطبيعة .

٤١ ظ / ٢

على دار التركى تتبين منها قاعتها وبعض مجلسها ، وتبينت منه أنه كان يأكل شيئاً ورأيت أقداحاً تدخل اليه وهو جالس على المائدة / وطيفوريات [١] تخرج من طعامه ، وكان الزمان صيفا ، ثم انسبلت الستور بعد ذلك ، فعلمت أنه قد نام . فلما كان وقت العصر وافى الفراش ففرش قاعة الدار ، وألقى خمراً ، وفرش على الحصير فرشاً ، وخرج فجلس ، وجلست جارية معه ، وما بينهما ثالث ، ووضعت صينية بين يديه ، وأخرى بين يدى الجارية . وأخذت العود فغنته أحسن غناء ، وشرب أجمل شرب حتى استوفى خرداذية [٢] كان مقدارها رطلين وخرداذية أخرى ، فما استوفاها حتى خلط فى كلامه واحتد وقال لجاريته : يافلانة ، خلا أحمد بن طولون بهذا البلد يلعب فيه ! فقالت له الجارية : دعنا من هذا ، وخذ فيما نحن فيه ، اسمع يا سيدى هذا الصوت الطيب ، وقطعت كلامه بصوت آخر أخذت فيه أحسن مأخذ ، فوالله ما انثنى اليه ، وقال لها : ويحك ! فى عنقى بيعة للخليفة ، وليس يحل لى أن أمسك ، وعزمى أن أضرب أحمد بن طولون فى مقبله / بخنجر ، ولا أبالى أن أقتل بعده ، فانى كنت أدخل الجنة ، ويدخل النار ، يا جارية هو والله عاص. قالت : يا سيدى دعنا من هذا ، واشرب ما فى الكأس على هذا الصوت الطيب ، وغنت ، وشرب الكأس ، وزاد أمره ، وأخرجه الغيظ من التحفظ ، وقال لخادم له : افتح الباب حتى أخرج إلى هذا العاصى فأقتله أو يقتلنى ، فزادت الجارية فى مداراته ، ولم تزل تقبل رأسه وفمه حتى نام . قال الفارسى : وأنا أكتب كل كلمة صدرت عنه ، ثم بكرت بالغداة إلى أحمد بن طولون ووضعت الرقعة بين يديه ، فلما قرأها ضحك ساعة ، وتغيظ أخرى ، ثم أمسك حتى دخل اليه ، فلما حاول القيام مع نظرائه قال له : اجلس الساعة ، فلما لم يبق بين يديه مسلم غيره قال له : أسأت اليك قط ؟ قال : لا والله يا سيدى . قال : ألم أرزقك ، وأدر إحسانى إليك ؟ قال : نعم . قال : فما هذا الذى تقوله على النبيذ ؟ قلت البارحة كذا وكذا ، وما زالت / جاريتك تسكنك فما سكنت ، وتلا عليه ما كان فى الرقعة ، فوقع صعقاً [٣] ، ثم أخرجه إلى طرسوس ، وكتب له برزقه هناك .

٤٢ و / ٢

٤٢ ظ / ٢

---

(١) الطيفورية والطوفريه صحن بعيد القعر . أنظر R. Dozy : Supplément aux Dictionnaires Arabes, II p 48.

(٢) الخرداذى أبريق للخمر كان يصنع عادة من البلور الصخرى وله عنق ضيق وجسم يزداد اتساعا من أعلى إلى أسفل . انظر زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ٤٤ — ٤٥

(٣) وردت هذه القصة بكثير من الاسهاب والتعديل فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ١١٨ — ١٢٢) ، ومن ذلك أن هذا التركى ، عندما ووجه بتهمته « رفع رأسه إلى السماء وقال : رفعته علينا فصبرنا ، وملكته رقابنا وأرزاقنا فأطعنا ، وأعطيته الدنيا كلها فلم نبال ، ماقنعت له بهذا كله ، حتى صرت له صاحب خبر علينا ، فرفعت إليه ماتخرجه حماقة النبيذ من الناس إذا هم شربوا ، كل هذا تتقرب من قلبه ! فضحك ابن طولون حتى استلقى ، على شدة تزمته » .

وحدثني يعقوب بن صالح صاحب العجيفي — وكان يتولى شرطة أسفل[1] — أن رجلا من التجار تغلب عليه السلامة ابتاع غلاماً خادماً لابن مفضل[2] بمائتي دينار ، وأخذ جوازا إلى الشام باطلاق التاجر وخادمه ، وخرج ، فلما بلغ العريش ، وكان الرجل الوالي يعرف بحبيب المعرّ[3] قد نصبه [أحمد بن طولون] لتأمل الكتب ونفيس الأمتعة ، فتأمل الجواز فقال : كان حق هذا الخادم أن يحلّى[4] ، ولست أطلقه إلا بعد استئذان الأمير فيه ، فكتب إلى أحمد ابن طولون بخبره ، فكتب أحمد باشخاصه ، فلما وافى دخل اليه الخادم ومولاه فقال له : من أين لك هذا الخادم ؟ فقال : اشتريته من الواسطى كاتبك [مما باعه لابن مفضل][5] . قال: وإلى أين ؟ قال: إلى بلدى حتى أرجو ما أجد فيه من الربح . قال : اكتبوا له / جوازا حلّوا فيه الخادم وأطلقوا سبيلهما فقال : أيها الأمير فعلى من نفقتى فى مجيئى ورجوعى ؟ قال أحمد بن طولون : وكم نفقتك فيهما ؟ قال عشرة دنانير . قال : ادفعوها له . وتحقق أنه من أهل السلامة ، فأخرج لأخذ الجواز ، فرفع أصحاب الأخبار أنه تكلم بما يكره أحمد بن طولون فأمر بحبسه فى المطبق . فلما دخله رأى فيه جماعة من غرمائه من الكتاب والقواد ، فأنس بهم ، وقضوه ما كان له عليهم ، واستأنف معاملتهم ، وأسلف المحبسين على تكك كانوا يعملونها ، وابتاع من المطبق رحالات[6] يستعملونها ، وكتب الى أخ له أن يبيع الخادم ، ويحصل ثمنه ، وأقام مع غرمائه مقام مستوطن ، فذكره أحمد ابن طولون فأمر باطلاقه . قال يعقوب : قلنا له : انصرف قد تطول عليك الأمير باطلاقك . قال : كيف أخرج من موضع أكثر ما أملكه فيه ؟ ولى فيه أسلاف[7] ومستغل وديون ؟ فزجرناه ، فضج وبكى ، وكان يتلهف / على الدخول الى المطبق . ورفع خبره الى أحمد بن طولون فكثر تعجبه ، وأحضره ، وقال : ويحك أتختار المطبق على إطلاقك ؟ فقال : أيها الأمير أكثر ما أملكه فى حبسك ، وأحب الأشياء إلىّ المقام فيه ، فان لى به معاشا ، فان كان لابد من إخراجى فأخرنى بمقدار ما أستنظف أسبابى[8] قال : وكم تحب أن تؤخر ؟ قال : ثلاثة أشهر .

٤٣ و / ٢

٤٣ ظ / ٢

---

(١) قد يكون المقصود شرطة الفسطاط ، راجع عن الشرطة العليا والشرطة السفلى سيدة كاشف : مصر فى عصر الأخشيديين ص ١٧٢ — ١٧٣ وما ذكرته من المراجع . ولكن الأرجح عندنا أن المراد هنا شرطة أسفل الارض أى الدلتا ، ولا سيما أننا نعرف أسماء أصحاب الشرطة فى الفسطاط على عهد ابن طولون ولم يكن من بينهم يعقوب بن صالح أو العجيفى انظر : Zaky M, Hassan: op cit. pp. 195-196

(٢) هو وكيل ابن طولون الذى مر بنا حديث نكبته على يد هذا الامير .

(٣) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٢١٨) : « حبيب المعرى » .

(٤) فى المرجع نفسه (ص ٢١٩) : « قد كان يجب أن يحكى فى هذا الجواز حلية هذا الخادم » .

(٥) فى المرجع نفسه : « مما باعه من تركة ابن مفضل » .

(٦) الرحالة : السرج من جلود لا خشب فيه .

(٧) الأسلاف : القروض .

(٨) أى استوفى مالى أو آخذه كله .

قال أحمد بن طولون : ويحك ، أمجنون أنت ؟ قال : لا والله ، الا صحيح ، ولكنه معاش قال : فما تشفق على نفسك من حره ؟ — وكان الزمان قائظا — قال : ياسيدى القيسارية[1] إذا ازدحم الناس فيها أشد حره منه ، فأجيب إلى ما سأل .

ولما دخلت سنة أربع وستين ومائتين تحولت لأبي يوسف سنة محمودة رجا فرجة فيها ، فعمل قصيدة طويلة ، وكتب الى أبي عبد الله أحمد بن محمد الواسطى رقعة يشكو فيها أمره اليه ، ويتلطف له فى قراءة قصيدته عليه فى خلوة ويتبعها بما يحسن أن يأتى به ، وهى :

٤٤ و / ٢

/الشعر صعب على المكروب والعانى وليس أعجب شىء فيض ملآن

وهذه القصيدة طويلة ، فورد جواب أحمد بن محمد الواسطى : إنى قد قرأت القصيدة وهو جالس منشرح الصدر ، فبكى لبعضها ، وضحك لبعضها ، فقلت : قد طال أمره أيد الله الأمير ، وأفضى به غضب الأمير الى مرثية عدوه له . فقال : ما غضبت عليه ، ولو غضبت لجرى مجرى غيره ممن اصطفيت جميع ما يملكه ، وأنلته نهاية المكروه حتى خفى أمره واستتر حديثه ، وهو يتأنس بقاصديه ويتعلم حساب النجوم والشعر ، ولكنى عتبت عليه وقد زال العتب عن قلبى . قلت له : فما يمنع الأمير ، أيده الله ، من التطول عليه بالرضا عنه ؟ فقال : كلام لأنوشروان : الملك المتمكن من نفسه لا يغضب سريعا ، ولا يرضى سريعاً وإنما ذلك من أخلاق النساء ومن قاربهن ، [فلذلك أطلت حبسه . فأمسكت عن إعادة قول عليه ،] [2] فأنت يا أبا يوسف كنت أجدر بحبس ما كنت عنه غنيا من القول : فقال لى [3] : أما تتأمل فظاظة أبي عبد الله على فى مثل هذه/الحال ، وذمه إياى بما كان يجب أن يحمدنى به ولكن المحن تقلب أعيان الحسنات إلى المساوىء ! ؟ وسألت أبا بكرة القاضى كلام أحمد بن طولون فى أمره فركب اليه ، واتفق فى تلك الساعة خبر يسر أحمد بن طولون ، فأمر باطلاقه ، وتخلية سبيله إلى بغداد ، فخرج على طريق مكة ، لأنه كان يريد الحج إن فرج عنه .

٤٤ ظ / ٢

وورد الخبر الى أحمد بن طولون بوفاة أماجور فى شعبان سنة أربع وستين ومائتين وأن أصحابه أقاموا عليا ابنه وهو صبى مقام أبيه فى الرئاسة عليهم ، وتولى تدبيره أحمد بن دوغباش التركى[4] ، فخلا ذرع[5] أحمد بن طولون بوفاة عبيد الله بن يحيى وموسى بن بغا وأماجور . وكتب

---

(١) القيسارية السوق . أنظر R. Dozy : Supplément aux Dictionnaires Arabes, II, p 432 وراجع مادة « قيسارية » فى دائرة المعارف الاسلامية .

(٢) الزيادة عن سيرة ابن طولون البلوى ص ١٦٧

(٣) فى المرجع نفسه : « فلما وصل إليه الجواب من أبي عبد الله قال لمن حضره من إخوانه : »

(٤) سماه الكندى فى الولاة والقضاة (ص ٢٢٠) « أحمد بن دوغباش » وسماه البلوى فى سيرة ابن طولون (ص ٩٢) « أحمد بن دعباس » و « أحمد بن دعباج »

(٥) خلا ذرعه : أى خلا قلبه من الهموم والنموم .

إلى على بن أماجور كتابا يعزيه فيه بأبيه ، ويذكر حاجته إلى مشارفة الثغور الشامية ، ويوعز إليه فى إقامة الميرة لعساكره ، فرد عليه على بن أماجور أحسن جواب ، فاستخلف أحمد بن طولون ابنه العباس ، وضم اليه أحمد بن محمد الواسطى/الكاتب ، وعسكر فى شوال سنة أربع وستين ومائتين فى منية الأصبغ (١) ، واستكتب أبا الضحاك محبوب بن رجاء . وشخص أحمد بن طولون ، فوجد محمد بن أبى رافع (٢) المتقلد الرملة من قبل أماجور ، وقد أقام له الأنزال والدعوة ، فأقره وشخص حتى وافى دمشق فاستقبله على بن أماجور وأحمد بن دوغباش ، فترجلا له ، وأقاما دعوته ، ووجد أحمد بن وصيف (٣) بدمشق ، وكان نفاه المهتدى اليها ، فأحسن لقاءه وميرته (٤) .

٤٥ و
٢

وأقام أحمد بن طولون بدمشق أياما حتى استوسق له أمرها ، ودعى له على منابرها ، واستخلف أحمد بن دوغباش عليها ، ورحل إلى حمص ، ومعه أكبر القواد الذين كانوا مع أماجور [وتلقاه عيسى الكرخى ، وكان يتقلدها ،] (٥) وترجل له [وعمل على أن يقره أيضا على عمله] (٥) وضجت الرعية من سوء سيرته فعزله عن حمص ، وولاها يمن التركى .

وتتابعت كتبه إلى سيما الطويل يعلمه أنه يرضى بإقامة الدعوة له فى سائر عمله وينصرف عنه ، [فامتنع سيما من ذلك] (٦) وسار أحمد بن طولون حتى صدر (٧) إلى أنطاكية ، وقد دخل سيما الطويل/ اليها ، وتحصن وتوثق بمنعتها ، وانها لم تفتح قط عنوة وكان سيما قد أساء الى الرعية ، وتتبع النعم فأزالها ، وشرقت به نواحي أعماله ، فأقام أحمد بن طولون على المدينة ، وعسكره مما يلى الباب المعروف بباب فارس ، ورمى الحصن بالمنجنيق والنفط ، وطلب الحيلة فتعذرت عليه فلما طال ذلك ، وأجهد أهل أنطاكية الحصار بعثوا الى أحمد بن طولون فدلوه على الطريق الذى يكون اليه المدخل من سور المدينة ، وكان قد دخل (٨) أصحاب أحمد بن طولون المدينة ، ونصبوا أعلامه

٤٥ ظ
٢

---

(١) شمالى القاهرة على مقربة من ضاحية الدمرداش ، منسوبة إلى الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان .
(٢) سماه الكندى فى الولاة والقضاة (ص ٢١٩) والبلوى فى سيرة ابن طولون (ص ٩٢) « محمد بن رافع » .
(٣) هو ابن وصيف التركى القائد المشهور . أنظر الطبرى : تاريخ الامم والملوك ج ١١ ص ٦٥ و ٢١١
(٤) والراجح أنه التحق منذ ذلك الوقت بجيش ابن طولون وكان من قواد الجيش الذى أرسله هذا الامير لقتال ابنه العباس . أنظر الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٢٣ .
(٥) الزيادة عن سيرة ابن طولون للبلوى ص ٩٣
(٦) الزيادة عن المرجع نفسه ص ٩٤
(٧) صدر إلى المكان : صار إليه .
(٨) فى المخطوطة وفى Vollers : Fragmente S 56 « حل » . والصواب عندنا : « فدخل » . وفى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٩٥) : « فلما كان فى الليل دخل أحمد بن طولون وأصحابه منه » .

على الحصن وأحرقوا موضعا من باب فارس، فسقط باب الحديد، ووقف سيما الطويل على باب فارس يحارب بنفسه، فرماه قوم من أصحاب المنازل والدور من ورائه، فانهزم، ودخل أحمد بن طولون المدينة، وكان ذلك فى المحرم سنة خمس وستين ومائتين وقتل سيما الطويل، وقبض على أمواله وكاتبه [(١)].

٤٦ و / ٢

وشخص فى هذه السنة، فدخل طرسوس فى خلق كثير / وعز منيع.

قال أحمد بن يوسف: حدثنى أبو العباس الطرسوسى المتولى لغسل أحمد بن طولون عندوفاته، وكان صادق اللهجة، عفيف الطعمة، قال: كان بطرسوس رجل من خشن الصوفية، قد خرج من نعمة جليلة وحال حسنة إلى الله، وتعلم عمل الحزم [(٢)]، وكان يقتاته، ولا يغب الخروج فى النفير راجلا [(٣)]، وكان أحمد بن طولون بمقامه [(٤)] بطرسوس مواصلا له، ومتعجبا من حسن ألفاظه فقال لى فى عشية من العشايا: تقدمنى إلى منزل فلان فانى فى أثرك، واحذر أن يرى فيك من هيبتى ما تعجله به، وصر إليه خاضعا، وأعلمه شوقى اليه، وسله عن رأيه فى مصيرى اليه.

قال أبو العباس: فصرت اليه، فألفيته فى منزله فقلت: الأمير أبو العباس أحمد بن طولون يقرئك السلام، ويذكر شدة شوقه اليك، وهو بأثرى فقال: والله لقد كنت مغضبا عليه، ولقد رددتنى إليه بالرسالة، فحكيت ما شرط له من لين الجانب فى الرسالة / اليه، فقال: يجىء متى شاء.

٤٦ ظ / ٢

فأسرعت فوجدته فى طريقه اليه فى عدة يسيرة، فأخبرته ففرح، ثم بادر حتى وصل اليه، فلما قرب منه، قام اليه وقال: هذا ما توجبه الطاعة لأولى الأمر، وأحمد بن طولون يبكى، فقال بعد أن استقرا فى خلوتهما: ما الذى أنكرت من ربك حتى شردت عنه هذا التشريد ؟! إنك مع تباعدك منه لم تخرج من قبضته، فارحم نفسك من تحميلها [(٥)] ما لا تحتمل، [ولا تسكن إلى هذه الدنيا، إلى ما لا يخف معك] [(٦)]، واعلم أنك مردود إلى الله بعملك. وأحمد بن طولون لا يزيد على البكاء، فالتفت الشيخ إلى فقال: أما ترى كيف يتضور ؟ ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: بصره رشده، وارحمه من سخطك عليه، فانصرف فى حفظ الله فانى أخاف أن تعدينى بحب الدنيا، وطاعة الائتمار، ولست أنساك [عند ذكرى الله [(٧)]] إن شاء الله. قال أحمد بن يوسف:

---

(١) ورد حديث هذه الجملة باسهاب وتعديل فى سيرة ابن طولون البلوى (ص ٩١ — ٩٧)
(٢) فى المرجع نفوسه (ص ٩٨): « يتقوت من عمل الخوص ».
(٣) فى المرجع نفسه (س ٩٦): « وكان لا يقطع الخروج إلى الثغور راجلا ».
(٤) فى المرجع نفسه: « بمقامه فى ابتداء أمره ».
(٥) فى المخطوطة: « تحملها » والتصويب عن سيرة ابن طولون للبلوى ص ١٠٠
(٦) فى المرجع نفسه: « ولا تستكثر من الدنيا مالا يخف معك حمله ولا ينفعك إذا دعا بك ربك »
(٧) فى المخطوطة « عند ذكرى لك ». وفى سيرة ابن طولون البلوى: « عند ذكرى » والراجح عندنا: « عند ذكرى الله ».

٤٧ و
٢

قلت لأبى العباس : كيف وعيت هذا الكلام من الزاهد ، وأعدته هذه الإعادة ؟ ! / [قال] والله ما هذا فى طبعى ، ولكنه كان مع أحمد بن طولون كاتب السر يكتب كل ما ينطق به الزاهد ، فتدبراه بعد ، وقال إن أحمد بن طولون كان إذا أراد إنفاذ أحد من أصحابه فى رسالة ، أمر كاتب السر بتحرير تلك الرسالة وحفظها ، فاذا حضر الرسول ليودعه قال : ما الذى تقول للذى وجهت اليه ؟ فان أداها أنفذه ، وإن قصر عنها حبسه ، واستبدل به .

وأحب الأشياء كان لأحمد بن طولون أن يغزو فى الوقت الذى وافى طرسوس فانه عمل على ذلك حتى ورد عليه الخبر بخلاف ابنه العباس عليه ، وحمله ما وجد من المال والسلاح مع أحمد بن محمد الواسطى وأيمن الأسود [1] مقيدين فانكفأ راجعاً إلى مصر ، فلما دخلها وجد العباس قد أخذ له ألفى ألف دينار ، [وأسلف من التجار مائتى ألف ، وتقدم إلى أبى أيوب باجرائها عن جماعة من المتقبلين ففعل] [2] . وحمل أحمد بن محمد الواسطى ، وأيمن الأسود فى الحديد .

٢
٤٧ ظ

وكان السبب فى خلاف العباس : أنه خلا به قواد استخلصهم ، وكانوا يخافون أحمد بن طولون ، ويؤثرون الانحراف عنه ، منهم على بن الحزور [3] ، وأحمد بن صالح الرشيدى ، وأحمد بن القاسم ابن أسلم ، وكان يوجف بأحمد بن طولون ، فحسنوا له التغلب على مصر ، والفتك بأحمد بن محمد الواسطى .

وكان العباس مقشعر القلب من هيبة أبيه ، وله بطانة مقدمة فى علم العرب من النحو والشعر وما جرى مجراه ، يعرفون بجعفر بن جدار [4] ، وأحمد بن المؤمل [5] ، ومحمد بن سهل المنتوف [6] : لا علم لهم بسياسة جيش ، ولا تدبير أمر ، فرام العباس أن يضعهم من مصر فيما يوازى محلهم عنده ، فمنعه أحمد بن محمد من ذلك ، وخاف دخول الخلل فى الأعمال ، وقد كان أوصاه قبل خروجه عن مصر ، فقال له : يا بنى ! أحمد بن محمد قد عجم أمرى ، وخبر ما يصلحه

(١) كان من أصدق أتباع ابن طولون وأشدهم إخلاصاً له

(٢) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٢٤٩) : « استسلف من التجار ثلاثمائة ألف دينار وأمر صاحب الخراج أن يضمنها لهم ويكتب لهم بها على العاملين ففعل ذلك خوفا منه » .

(٣) فى كتاب الولاة والقضاة للكندى (ص ٢٢٠) : « على ابن اعور » ، وفى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٢٤٥) : « على بن ماجور » .

(٤) شاعر مشهور ذكره ابن عبد ربه فى العقد الفريد (ج ٥ ص ٣٤٨) . وقد سمى فى بعض النسخ وفى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ١٧٧ و ٢٤٥) ابن حدار وابن حذار وابن جرار . انظر أيضاً الولاة والقضاة للكندى ص ٢٢١ و ٢٢٤ و ٢٦٩

(٥) المعروف بأبى معشر . انظر سيرة ابن طولون للبلوى ص ٢٤٦ و ٢٦٩

(٦) فى المرجع نفسه (ص ٢٤٦) : « محمد بن ازهر المعروف بالمنتوف » .

فأقبل عليه ، وفوض اليه ، وتضافرا على حسن الأثر فيما أنتما بسببه ، فكانت هذه الطائفة تزرى على أحمد بن محمد مع سلامة ما يعانيه ، وصيروا / موافقة[1] عنده من العباس[2] ، فتوالت كتبه بخطه إلى أحمد بن طولون (بما يلحقه من سوء الاعتراض ، ويمنعه من استيفاء الرسوم السلطانية ، بقبض اليد بتخطى هذه الطائفة[3]) ، فكان محبوب بن رجاء — للعداوة التى بينه وبين أحمد بن محمد — ينفذ الكتاب بعد الكتاب إلى العباس ، فيزيد فى غضبه على أحمد بن محمد ، ويقول له : ليس تحسن الاستعانة ، فقلق أحمد بن محمد ، ولم يحتمل الامتهان فاستتر ، وصمد له العباس حتى استثاره من الموضع الذى كان فيه ، فهجم داره فوجد الأجوبة عن كتبه وفيها مايدل على غيظ أحمد بن طولون على العباس ، ويوصيه بحسن المداراة إلى أن يوافى ، فساء ظنه بأبيه ، وزاد تخوفه فجمع ما استدف[4] له ، وخرج فى تلك الجماعة فى لمة وافرة ، وأحمد بن محمد فى أسره إلى برقة .

٤٨ و
٢

فأنفذ أحمد بن طولون أبا بكرة بكار بن قتيبة[5] ، والصابونى القاضيين ، ومعمر بن محمد الجوهرى ، وكتب له كتابا ألان له / فيه جانبه . ووعده ألا يسوءه ، وحركه على القفول إليه ، وحمله زياداً المعرى[6] مولى أشهب ، وكان زياد فصيحا ، حسن الابانة . فدخلوا عليه ، فرحب بهم ، فقال له زياد : يا سيدى ، سيدى الأمير ، أيده الله ، يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : يا قرة عينى ، وأقرب الناس إلى ، وأبرهم لدى ، وأعزهم على ،خفرت ظنى بك أقوى ما كان أملى فيك ، وأرجى ما كنت لك من غير إساءة قد قدمتها لك ، [ولا خطيئة ركبتها فيك][7] ، ولم ترع حسن تربيتى لك ، وعظم إشفاقى عليك ، [وإنى أحبك لاحياء ذكرى][8] ، وصيانة شملى ، فأرضيت عدوى ، وأسخطت وليى ، وأبهجت حاسدى ، وسبحان الله ما تخاف ثمرة

٤٨ ظ
٢

---

(١) فى المخطوطة « موافقة » وفى Vollers : Fragmente ص ٥٩ : « مرافقة » . والمواقفة الوقوف فى الحرب والخصومة .

(٢) راجع سيرة ابن طولون للبلوى ص ٢٤٦ — ٢٤٧

(٣) فى المرجع نفسه : « يذكر فيها ما يلحقه من سوء اعتراض العباس ، ومنعه له من استيفاء الرسوم السلطانية بمصر ، وأنه مقبوض اليد ، ويذكر الطائفة التى استولت عليه ، وتخطيها فى البلد إلى ما ليس من عملها » .

(٤) استدف تهيأ وأمكن .

(٥) انظر بعض أخبار هذا القاضى فى كتاب الولاة والقضاة للكندى (الملحق ص ٥٠٥ — ٥١٤) و Zaky M. Hassan: op. cit pp 260-265

(٦) فى الولاة والقضاة للكندى (ص ٢٢١) وفى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٢٤٩) : « زيادة المدنى » .

(٧) فى المخطوطة . « ولا خطة ركبتها منك » . والتصويب عن سيرة ابن طولون للبلوى ص ٢٥٠

(٨) فى المرجع نفسه : « وإنى رشحتك لمنزلتى وقدرت بك حياة ذكرى » .

العقوق [١] ؟! فان رجعت إلى فكأنك لم تذنب وإن تمادى بك الاغترار شخصت إليك بنفسى، ولم أكن بأول من خسر سعيه، وأخلف تقديره. وبكى زياد ومن حضره، وتدمع العباس [٢].

فحدثنى إسحاق بن ابراهيم عمى قال: قال لى زياد: فانصرفنا، وما تخالجنى شك أنه يرجع / معنا لما تبينته منه، تخلت به طائفته، وخافت أحمد بن طولون، فقال له أحمد بن حدار: ليس فينا من يحسن السبح فى بحر غدر أبيك، فارحمنا وانظر لنا ولنفسك! قال زياد: ولما اجتمعنا عنده وتنجزته جواب كتابى قال لى: يا زياد إن أبى ما نوى لى خيراً قط. فقلت له: يا سيدى كيف يليق هذا بضميرك، وأنت تعلم أنه ما طلعت الشمس على أحب إليه منك؟ فالتفت إلى بكار فقال: يا أبا بكرة المستشار مؤتمن وأنا أقلدك أمرى، أسألك بالله، هل تأمنه على؟ فقال بكار: قد حلف لى أبوك ألا يسوءك، فاما أن يفى لك بما حلف أو لا يفى فليس مما أعلمه، [وهذا لله عز وجل دونى] [٣].

ولم تزل بطانة العباس تحرض العباس على أبيه خوفا من وقعهم فى يديه حتى كتب اليه كتبا غليظة، ودعته نفسه للخروج إلى افريقية، ورأى أن ما معه من الأموال والعدة يقيمه فى الوصول إليها، فحسن له أصحابه ذلك، لتبعد نجعته عن أبيه، وصغروا عنده إبراهيم بن أحمد ابن محمد/ بن الأغلب صاحب إفريقية، [وكاتب وجوه البربر فتسرعت اليه جماعة كبيرة العدة، صغيرة العُدة] [٤]، وفرق فيهم صدراً [٥] مما كان معه من المال، وتخلف عنه أكثر القبائل، وقالوا: بيننا وبين قوم ثأر، ولا نأمن عند نزوحنا سوء الخلافة فى أموالنا وحُرَمنا، فرأى أن من حصل معه يكفيه وكتب إلى إبراهيم بن أحمد [٦] يخبره أن كتب المعتمد وردت عليه بتقليد افريقية، وأنه قد أقره فيها، ويأمره باقامة الدعوة له، وخرج بأكثر تلك الأموال

٤٩ و
٢

٤٩ ظ
٢

---

(١) فى المرجع نفسه زيادة بعد هذه الجملة، نصها: «وقانيها الله جل اسمه فيك وثمرة المجاذاة على الاساءة، صرفها الله بكرمه عنك».

(٢) يبدو أن زياداً قدم للعباس بعد هذه الكلمة الكتاب الذى حمله إليه من أبيه أحمد بن طولون. وقد أتى البلوى بجزء من نصه. انظر المرجع السابق ص ٢٥١

(٣) فى المرجع نفسه (ص ٢٥٢): «وما يعلم الغيب إلا الله جل اسمه»

(٤) كذا فى المرجع نفسه (ص ٢٥٣). والعبارة مضطربة فى المخطوطة ونصها. «وكانت وجوه البربر قد تسرعت إليه جامعة كثيرة المدد صغيرة النجدة».

(٥) صدر الشىء: طائفة منه.

(٦) هو ابراهيم بن أحمد بن محمد بن أغلب أمير إفريقية من سنة ٢٦١ إلى سنة ٢٨٩ هـ (٨٧٤ — ٩٠٢ م).

العظيمة ، والنعم والذخائر معه ، إلى أن انتهى إلى حصن يعرف بلبدة [1] ففتحه أهله له ، وخرج اليه عامل ابن الأغلب ، فأطلق العباس لأصحابه نهب الحصن ، وقتلوا الرجال ، وفضحوا النساء ، وذاع الخبر ، واستغاثت طائفة من أهل هذا الحصن إلى إلياس بن منصور النفوسى رئيس الأباضية [2] ، فدخله منه غضب شديد ، وحمية غليظة ، وكان العباس قد كتب إلى النفوسى أن أقبل بسمعك وطاعتك ، وإلا وطئت بلدك / بخيلي ورجلي ، وأبحت حماك ، وهذا معتزل [3] ذو منعة ونجدة ، وله أهل كثير عددهم ، ولم يؤد إلى ابن الأغلب طاعة قط ، فقال إلياس ابن منصور النفوسى : قل لهذا الغلام : أما إنك أقرب الكفار منى ، وأحقهم بمجاهدتى ، فقد بلغنى من قبيح أفعالك مالايسعنى التخلف معه عن جهادك ، وأنا على أثر رسالتى اليك .

٥٠ و / ٢

وقد كان إبراهيم بن الأغلب أنفذ إلى محمد بن قرهب عامل طرابلس بخادم يعرف ببلاغ فى جمع من أهل القيروان كثير ، فكان القتال بينهم مهاوشة وانصرفوا على غير مناجزة ، وصبح الناس إلياس بن منصور النفوسى فى اثنى عشر ألف مقاتل مستنصرين ، وزحم الخادم من خلفه فأطبق الجيشان عليه ، فقتل أكثر من كان معه ، واستبيحت أمواله وذخائره ، وما كان حمله معه من مصر من السلاح والخيل ، وأفلت بحشاشة نفسه ، وكان معه أيمن الأسود مقيداً ، فخلصه تقييده من القتل ، لأنهم علموا أنه حرب له ورجع / العباس على برقة .

٥٠ ظ / ٢

وكان أطلق أحمد بن محمد الواسطى بضمان جماعة من وجوه برقة إحضاره متى شاء ، فكان فى أيديهم مكرما ، فلما رجع بتلك الحال أعاده إلى حبسه ، وتمسك بمن بقى معه من رجال على شىء كان خزنه قبل خروجه إلى افريقية ، وشاع بالفسطاط أن العباس قتل [فسر من حضر] [4] أحمد بن طولون جزعه بما تأدى اليه ، ولم يتهيأ له التصنيع فيه ، وكان الناس يرون غمه مما جنى عليه العباس ، وأنه لم يكتف بما حمله من مصر حتى أوقع أثرا غليظا بينه وبين ابراهيم بن الأغلب والياس بن منصور النفوسى ، وأنه إن حاول الانتصار منهما أجحف بنفسه ، وإن أمسك

---

(١) مدينة على البحر الأبيض المتوسط شرق مدينة طرابلس وكان اسمها القديم Leptis Magna . انظر معجم البلدان لياقوت (مادة لبدة) و M. Vonderhyden : La Berberie Orientale sous la Dynastie des Benoul-Arlab p 43 و Harry Hazard : Atlas of Islamic History, map 9.

(٢) فرقة من الخوارج تنسب إلى عبد الله بن أباض . وقد انتشرت دعوتها فى شمال افريقية . وجمهرة الأباضية اليوم فى طرابلس وتونس وعمان وزنجبار . راجع الملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ٢٤٤ وانظر مادة « اباضية » فى دائرة المعارف الاسلامية وما أشارت اليه من المراجع القديمة .

(٣) لعلها « بمعزل » وفى سيرة ابن طولون البلوى (ص ٢٥٤) : « وبلد النفوسى بمعزل عن الناس ممتنع لنجدته وكثرة أهله وقوتهم » .

(٤) فى المرجع نفسه : « فتبين الناس فى وجه »

عنهما نقص موقعه ، وبدت عورة من عوراته [فلم يزل مغموما مهموما] [١] حتى صحت عنده سلامته .

وحدثنى أحمد بن أبى يعقوب — وكان يتولى خراج برقة من قبل أحمد بن طولون فى الوقت الذى خرج فيه العباس فأقره عليه — قال : ما عاشرت رئيساً قط أجرأ على نفس ونقمة/من العباس ، ولا أقسى قلبا عند استرحام منه . ولقد انصرف إلينا من هزيمته ، وقد تضاعف سوء ظنه ، وندم على تفريطه فيما كان بذله له أبوه ببرقة ، فأبكى العيون . ولحظ ثلاثة خدم صغار يتشاورون ، فأمر بالتفرقة فيما بينهم ، وسأل كل واحد منهم عما جاراه صاحباه ، فاختلفت أقوالهم لصغرهم ، وضعفهم عن الاحاطة بما جرى بينهم ، فأمر أن تحفر لهم حفيرة ، وألقوا فيها ، وألقى التراب عليهم وهم أحياء ، وطمس الأرض عليهم . قال لى : لم يكن فى داره إلا خادم يعرف بأبى نصر ، ذهب عنى اسمه ، وإنى معه جالس إذ خرج خادم معه قطن مندوف ، فقال للخادم [٢] خذه فجىء بالقطن مثل اللحاف ، وقام فما بعد حتى رجع الىّ ، فقال : والله لا تأخرت عنه العقوبة على هذه الأفعال السيئة ! قلت : وما ذاك ؟ قال : أنكر على حظى له مالا يبالى به [٣] ، فلفه فى هذا القطن ، وأخذ الشمعة بيده ، فلم يزل يشعلها فى جوانبه حتى احترق الخادم واحترق القطن .

وأوقع أحمد/بن محمد الحيلة على العباس حتى هرب من حبسه ، فلقى أحمد بن طولون ، وقد خرج الى الاسكندرية ، وعزم على الرحيل الى برقة ، فصغر أمره عنده [٤] ، واجتمع أحمد بن محمد وطبارجى على الخروج اليه مخرجا ، فقبض عليه وأدخل على قتب بغل إلى الفسطاط سنة سبع وستين ومائتين ، وقبض على كاتبه ومن خرج معه إلى ما خرج اليه ، ونصبت دكة عظيمة ، رفيعة السمك ، وجلس أحمد بن طولون فى علو يقاربها ، وكان العباس قائما بين يدى أحمد بن طولون فى خفتان ملحم [٥] وعمامة وخف ، وبيده سيف مشهور ، فضرب ابن جدار

٥١ و
٢

٥١ ظ
٢

---

(١) الزيادة عن المرجع نفسه ص ٢٥٦

(٢) فى المخطوطة « الخادم » .

(٣) لعل المقصود أن الخادم اختلس مالا كثيراً يستحق الاهتمام على رغم أنه كان محظوظا عند الأمير متمتعاً بثقته .

(٤) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٢٦٤) أن الواسطى قال لابن طولون : « حاله أصغر من ذلك ، وأنا أكفيك أمره مع بعض قوادك ، والصواب أن ترجع إلى بلدك ، ومقر عزك » .

(٥) الملحم نسيج من الحرير والقطن ، أنظر R. Dozy : Dictionnaire detaillé des noms des vêtements chez les Arabes p. 113 وراجع أيضاً C. J. Lamm : Cotton in Medieval Textiles of the Near East pp 198 — 199

ثلاثمائة سوط وتقدم اليه العباس فقطع يديه ورجليه من خلاف ، وألقى من الدكة إلى الأرض ، وفعل ذلك بالمنتوف وأبى معشر وجماعة ضربوا بالسوط حتى ماتوا بعد أيام .

وحدثني نسيم أنه رأى أحمد بن طولون فى عشية ذلك اليوم ، وقد أحضر العباس ، وكان أحب ولده اليه ، وبطحه /وأوقف عليه غلامين بمقرعتين ، وهو يقول : أوجع ! والدمع يجرى من عينيه ، فما رفع عنه حتى ضرب مائة زوج ، وكأن أحمد بن طولون — مما نزل به من البكاء — هو المضروب .

٥٢ و
٢

وحمل أبو الفتوح محمد بن الفتح بن خاقان أخته خديجة بنت الفتح بن خاقان إلى أحمد بن طولون ، وكان المعتمد عقد نكاحا بينهما فى سنة ستين ومائتين ، فقلد أحمد بن طولون محمد بن الفتح ديار مضر ، فأنفذ محمد بن الفتح إلى أحمد بن طولون كتب الحسن بن مخلد اليه ، وكان الحسن بن مخلد قد نفى إلى الرقة فكتب أحمد بن طولون الى محمد بن الفتح فى حمل الحسن بن مخلد اليه مكرما ، فورد الحسن الى الفسطاط ، فأظهر أحمد بن طولون إكرامه وتبجيله ، ولم يكن فى وجه الحسن تهيب له ، ولا تبجيل لمحله ، وكأنه فى بسطه بمنزلة رئيس نزل على بعض عماله ، فأحفظ ابن طولون هذا منه ، ونادم أحمد طولون بعد ذلك فغنى بالنبطية ، ثم زاد عليه النبيذ / فجعل يصفق ، وأخرق بنفسه ، فأمر أحمد بن طولون بجر رجله وحبسه ، فلم يزل محبوسا ، وخرج إلى الشام ، ابن ومات فدفن فى قصر عيسى بن شيخ المعروف بالحساسى[١] .

٥٢ ظ
٢

وحبس أحمد بن طولون أبا الضحاك محبوب بن رجاء فى المطبق ، وقال له : أنت كنت السبب فى خروج العباس بالتضريب[٢] بينه وبين الواسطى بانفاذ كتبه إلى العباس .

وقد كان الحسن[٣] وصف عن أحمد بن المدبر لأحمد بن طولون من شدة الانحراف عنه والتأليب عليه ، ومكاتبة الموفق فيما اختزل من الأموال ما لا يكون عليه أحد ، فأنفذ أحمد بن طولون سعداً الفرغانى فى إشخاصه ، ولم يعلم أحمد بن المدبر أنه استقر فى نفس أحمد بن طولون عليه ما قرره الحسن بن مخلد ، فلما وافى حبسه كتب إلى أحمد بن طولون بهذا الشعر وهو يتوهم أن أمره سهل ، وذنبه صغير :

رأيت قبيل الصبح فى النوم أننا ‏ ‏ جميعاً على سطح ينيف بنا السطح

---

(١) فى سيرة ابن طولون البلوى (ص ١٧٥) : « الحشاشى » .
(٢) التضريب : الاغراء .
(٣) المقصود الحسن بن مخلد .

إذا فارس يهوى إلى السطح معلماً [١] أخوشكة [٢] باهى [٣] به السيف والرمح
فلم أر حلماً [٤] مثله صدق وافد على سرعة ما كاد يسبقها اللمح
فان كان لى ذنب فحلمك واسع ومَن على المضطر بالعفو والصفح [٥]
وما كنت ذا شعر ولكن جراحة من الهم فى صدرى وقد شعث [٦] الجرح

٥٣ و
٢

وكان أحمد بن طولون قد اعتقله فى حجرة مفروشة ، وأخدمه فيها خادمين ، وكانت تدخل اليه كل يوم مائدة ، فلما وردت الرقعة بهذا الشعر أخرجه ثم قال له : تفككك وتفهلكك [٧] يدلان على أنك ما وقفت على علمى بما قصدتنى به مرة بعد أخرى من كيدك ، وشراسة طبعك ، وجرأتك على ربك ! وهبك اعتقدت أنه تجوز علىّ حيلتك ، تراك توهمت أن هذا يجوز على عالم الغيب والشهادة ؟! والله لقد أمكننى فى أوقات كثيرة قتلك ، وتبينت أنك تسعى على ، فما منعنى من ذلك محبة لك ، ولكنى أحببت اتقاء [٨] الله فى اليمين التى حلفتها لك . وأحضر الكتب التى سلمها اليه الحسن بن مخلد ، وقال له : ويلك ، هذه كتب من آمن بالله طرفة عين ! والله/ [لولا ما فى يمينى] [٩] لضربتك الساعة بالسياط واخرج سحباً من بين يديه .

٥٣ و
٢

وأفحش أحمد بن المدبر على أحمد بن طولون ، فأمر بالرد عليه [وعمل أحمد بن محمد الواسطى أبياتا] [١٠] فى الجواب عن الأبيات التى لابن المدبر المتقدمة ، ويقال إنها لم تكن له ، وإنما هى لمحمد بن عبد الغفار [١١] :

أأحمد كان السطح يابن محمد منيفاً ولو عاليته خسف السطح
متى كنت فى الأحلام تذكر [١٢] صادقا فتصدق فى رؤياك إذ وضح الصبح

---

(١) فى المرجع السابق « معلنا » .
(٢) الشكة : السلاح .
(٣) فى المرجع السابق « يزهى » .
(٤) فى المخطوطة « خلقا » . والتصويب عن المرجع السابق ص ١٧٦
(٥) فى المرجع نفسه : « وحكم الكتاب العفو والكظم والصفح » .
(٦) فى المرجع نفسه : « ثعب » .
(٧) فى المرجع نفسه : « تفكهك » .
(٨) فى المخطوطة : « انتقام » .
(٩) فى المرجع نفسه (ص ١٧٧) : « لولا ما فى قلبى من يمينى » .
(١٠) ما بين المعقوفتين زيادة من المرجع نفسه .
(١١) فى تاريخ ابن عساكر أن ابن طولون لما قرأ قصيدة ابن مدبر دعا كاتبه ابن جدار وقال له : اقرأ فقرأها ، فقال لابن جدار : أجبه فقال : بالرضا أم بالسخط فقال : بالسخط ، فقلب الرقعة وكتب فى ظهرها هذه الأبيات .
(١٢) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ١٧٧) : « لله » .

ولكن أدام الله عز أميرنا — وتمت له البشرى وجله[1] النجح

فمازال ميمون النقيبة ماجداً — أخا عزمات لا يطيش بها الجمح

وما زال فى الهيجاء أول فارس — له يضحك السيف المهند والرمح

ولم يزل أحمد بن طولون يأمر بالتقصى على أحمد بن مدبر وهو فى الحبس الذى حبسه فيه حتى مات. ثم دعا بأبى[2] أيوب فألزمه غرم ما أخذه العباس من التجار وقال له: لم يقنعك أنك استسلفت لعدوى مالا حتى قضيته من مالى! وسعى له أبو مقاتل بن أيوب بأبيه والمعروف بأبى حفص أخيه، فضربهما بالسياط/ فماتا، وظفر بما كان لهما[3].

٥٤ و
٢

وقلد أحمد بن ابراهيم الأطروش وعلى بن الحسين بن شعيب المدائنى الخراج ثم وجد لعلى بن الحسين رقعة إلى ابن المدبر يشكو فيها غمه، وأنه من هذا العمل الذى قلده خائف، ويسأل الله كفايته فحبسه حتى مات فى حبسه، وأقر أحمد بن ابراهيم على الخراج.

وكان أحمد بن اسماعيل بن عمار المعروف بسبع شعرات قد قدم مع أحمد بن طولون من الشام فقلده الأملاك، وما خرج عن الخراج وصرف به الحسين[4] بن سليمان بن ثابت، وتقدم إلى أحمد بمطالبة الحسين، وقد ثبت أمر الحسين بن سليمان ورفعه على أبيه[5]، وما أداه إلى ذلك إلا قبيح الفعل.

وأشار أحمد بن اسماعيل بن عمار على أحمد بن طولون بمشورة فبعد بها[6]، فبسط لسانه على جهة الاشفاق عليه، وذكر أنه ينزو بالرئاسة، وان فيه لجاجا [لا يأمنه عليه][7] فحبسه.

٥٤ ظ
٢

وغلب الحسن بن مهاجر/ عليه [فصعبت أيامه بفرط الاستقصاء فيها، ورغبته فى جمع الأموال، ومنع من كان يبسط عليه عائدته[8]]. فسمعت أحمد بن محمد الواسطى يحدث أحمد بن ابراهيم

---

(١) فى المرجع نفسه (ص ١٧٨): «ودام له».

(٢) فى المخطوطة «بابن». والتصويب عن المرجع السابق (ص ٢٤٩).

(٣) فى المرجع نفسه (ص ٢٤٩): «وسعى اليه فى ذلك الوقت المعروف بأبى مقاتل ابن أبى ثابت بأبيه لما رأى إنحراف أبيه عنه، وبأخيه المعروف بأبى حفص لتقديم أبيه أخاه عليه فغاظ عليه سعايته بابيه فقبض عليه وعلى أخيه جميعا وضربهما بالسوط فماتا، فأخذ ما كان لهما، وعطفه ذلك على أبيهما».

(٤) فى المرجع نفسه (ص ١٧٩): «الحسن».

(٥) أنظر كتاب المكافأة لابن الداية (ص ١١٤ — ١١٥) وسيرة ابن طولون للبلوى (ص ٢٤٢ — ٢٤٣)

(٦) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ١٧٩): «فتعداها».

(٧) فى المراجع نفسه: «لا يؤمن عليه منه».

(٨) فى المرجع نفسه (ص ٢٧١): «فحسن له جمع الأموال ومنعه من سماحته وجريه على عادات كانت له جميلة فقبل رأيه وتغيرت سماحته واستقصى ابن مهاجر على الناس ومنع كل من كان يبسط عليه عائدته ويشمله معروفه وفائدته وظهر ذلك فانحرفت عنه القلوب وتغيرت له النفوس».

الأطروش بعد وفاة أحمد بن طولون بأيام يسيرة قال : فارقت الماضى [1] رحمه الله وهو أمير ، ورجعت اليه من برقة وهو تاجر ، فتطيرت يشهد الله من هذا لأنى [2] ما رأيت سمحاً دق نظره إلا عند حضور منيته .

وتنكر لؤلؤ [3] على أحمد بن طولون مولاه ، لأنه وجهه إلى ديار مضر ، وكان أحمد ابن طولون إذا أنكر على لؤلؤ شيئاً أوقع بكاتبه ، وقال : هذا منك وليس منه ، وكان كاتبه يومئذ محمد بن سليمان . وامتدت يد لؤلؤ إلى ما فضل من أموال تلك الأعمال عن رجاله ، وقد كان حقها أن توفر على أحمد بن طولون ويحملها اليه ، فخاف من الرجوع إلى مولاه ، وحسن له محمد بن سليمان / الاستئمان إلى الموفق .

۵۵ و
٢

فحدثنى نسيم بعد وفاة أحمد بن طولون أنه خرج متنزها ، وكان يقرب منه قوس البندق [4] ويولع به فى نزهته ، فنزل من ذلك المتنزه فى مرج حسن ، وأخذ قوس البندق بيده فرمى حماما فصرعه ، ووجد فى أصل جناحه رقعة : « قد استراح مولاى ، خذوا حذركم ، واستتروا وكل مالكم معكم ، فقد عصى الأمير لؤلؤ ، وقبل الخلع [5] » فأمرنى تلك الساعة باحضار خادم كان لشقرون جارية لؤلؤ ، وكان يتحرك فقال : « من كان منكم عليلا فى عسكر لؤلؤ ؟ ولمن تسرح حمام ؟ قال : ليس فى دارنا طائر يسرح به [6] » فوكل بعبيد الله بن سليمان [7] ، وأسر الوجد بلؤلؤ [8] ، لأنه كانت معه قطعة كثيرة من صنائعه وثقاته ، ورجا أن ترده تلك الطائفة إليه .

وأوهم كافة الناس أن وجده بما كان يلحق المعتمد من الموفق من / التقصير ، ويخافه عليه من القتل ، وأنه لا يسعه فى أيمانه المؤكدة للمعتمد أن يقصر فى أمره ، فأنفذ فى سنة ثمان وستين ومائتين [رسولا] [9] إلى المعتمد ، وكتب معه كتابا هذا معناه : « قد منعنى

۵۵ ظ
٢

---

(١) يقصد أحمد بن طولون .

(٢) فى المخطوطة « إلا » والتصويب عن المرجع السابق (٢٧٢)

(٣) من غلمان ابن طولون . وكان أقربهم إلى قلبه محلا . انظر : Zaky M. Hassan : Les Tulunides pp. 77-89, 94, 123, 147

(٤) البندق : واحدتها بندقة وهى ما يقذف من كرات الحجر أو الزجاج أو المعدن وهى أيضاً القوس الذى يرمى به . انظر R. Dozy : Snpplémen aux Dictionnaires Arabes, I, p. 118

(٥) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٢٨٠) « قد استراح مولاى محمد فخذوا حذركم وارفعوا كل شيء فقد عصا الأمير لؤلؤ »

(٦) فى المرجع نفسه : «من منكم له حمام هدى؟ ومن لكم عليل فى عسكر لؤلؤ ؟ فقال له : ليس فى دارنا يامولاى حمام هدى ، ولكن لعبيد الله بن سليمان أخى كاتبنا محمد طيور تسرح ، وقد كان منموما بعلة أخيه محمد بن سليمان » .

(٧) فى المرجع نفسه : « فأمر مولاى بالقبض على عبيد الله بن سليمان من ساعته » .

(٨) المقصود الوجد على لؤلؤ اى الغضب .

(٩) ما بين المعقوفتين زيادة ، عن سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٢٨٠)

الطعام والشراب والنوم خوفي على أمير المؤمنين أطال الله بقاءه من مكروه[1] يلحقه، وأصبحنا بأصحاب أمير المؤمنين في رده ومقارعه، فحنث الأيمان المؤكدة له في أعناقنا، وقد اجتمع عندي مائة ألف عنان، مؤلفة قلوبهم، مجتمعة آراؤهم، شديد بأسهم، وأنا أرى لسيدي أمير المؤمنين — أدام الله عزه بالنصر والتمكين — الانجذاب إلى مصر، فان أمره يرجع بعد الامتهان إلى نهاية العز ولا يمكن فيه ما يخافه في كل لحظة منه عليه»، فأظهر الخليفة الخروج إلى مصر[2].

حدثني اسحاق بن ابراهيم وأحمد بن محمد الواسطي أن أحمد بن طولون قال له: أليس من الصواب خروجي بجميع جيشي صفقة واحدة؟ حتى/أنتاش[3] أمير المؤمنين من تلاعب أبي أحمد[4] وغيره، وأنقل كرسي الخلافة إلى مصر، فان بيعته تقتضي هذا؟ فقلت له: ما تبلغ معرفتي الكلام في هذا، وفي محبس الأمير جماعة للمشاورة، ففكر فقال: أحضرني أحمد[5] ابن اسماعيل بن عمار، فأخرج من محبسه، فأدخل إليه وكان في ثوب غليظ خلق. قد اسود من دخان السراج. فلما مثل بين يديه استدناه فدنا، ثم وقف بازائه فاستزاده في الدنو فقال: أكره أن أوذى الأمير برائحتي، فقال أحمد بن طولون: دعوتك لأستشيرك في شيء من أمري. فقال: وأين الرأي مني أيها الأمير؟ فقال: أنت أثقل وزناً [من][6] أن يختل عليك ما التمسته فيك. قال: يقول الأمير أيده الله. فقال أحمد بن طولون: إن أبا أحمد قد أساء لأمير المؤمنين المعتمد وتخطى أمره، وتمكن من عناده، لأنه استدعى حملة الجيوش المطيفية بهم، لقتال البصري وصيرها عدة/له، وقد خفت حنث يميني له بالبيعة في القعود عنه، وعزمت أن أخرج له بنفسي ورجالي، فأنصر دعوته، فما عندك في هذا؟ قال أحمد بن اسماعيل: من الخطر العظيم خروج الأمير بنفسه، وجماعة عدده، لأن الحرب سجال، والظفر بحسب التوفيق، وأخاف أن تلحق الأمير — وأعوذ بالله — هزيمة، فلا تكون له بعدها قائمة. ويحتاج الأمير أن يكون من وراء من تقدمه، ويعلم أنه مادة له، وقد نهج الأمير من نصر المعتمد، وما يؤثره من رد أمره إليه مالا يراه المعتمد له ولا لغيره، لأنه مشغول بشهواته عن حسن التدبير، وجميل المكافأة. وما أشك أن الأمير لو حماه من أخيه، ونقله إلى هذا البلد لما آثره على تقديم من كان يقدمه

٥٦ و
٢

٥٦ ظ
٢

---

(١) في المخطوطة «مكر» والتصويب عن المرجع السابق.

(٢) في المرجع السابق (ص ٢٨١): «فان رأى أمير المؤمنين، أيده الله ذلك صوابا قدمه إن شاء الله وأظهر الخروج لهذه القصبة».

(٣) أي أنقذ.

(٤) يقصد الموفق

(٥) في سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٢٨١): «محمد»

(٦) زيادة نقلناها عن المرجع نفسه.

ممن لايدفع عنه ولايحمل شيئاً من ثقله ، ولا يزيد على أن يلهيه ويطيب له موارد أمور يخاف ضررها عليه ، حتى يكون الأمير قائما بين يديه . وذلك الشخص جالساً منبسطاً ، ولعل / هذا أن يخرج الأمير إلى أكثر ما يخرج إليه أخوه فيه ، وقد أمكن الأمير بهذا الحادث منقصته وإسقاط دعوته وتأليب الأولياء عليه[1] . فقال الأمير أحمد بن طولون : حسبك ، وأمر برده إلى الحبس.

٥٧ و
٢

فقال أحمد بن محمد الواسطى : قلت لأحمد بن طولون : كان جزاؤه على هذا الراى السديد الرد إلى الحبس ؟ ! فقال : تأملت أمره فوجدته قد نصحنى فى دنياى وغشنى فى آخرتى وهذا ماحضره من الرأى وهو بهذه الحال ، فكيف إذا لبس اللين ، وأكل الطيب ، وأمر ونهى ؟ .

قال : وتوالت الأخبار من الحضرة أن الناجم بالبصرة قد شارف القبض عليه فى آخر سنة تسع وستين ومائتين ، فحرك ذلك أحمد بن طولون . وتمكن يازمان من طرسوس بعد وفاة موسى بن طولون وابراهيم بن عبد الوهاب اليتيم ، وطرد خليفته طخشى عنها[2] ، وشخص أحمد بن طولون من دمشق إلى الثغر ليصلحه ، وخاف من / التدبير عليه ، فسلك طريقاً متجانفة شاقة ، وجعل يوجه إلى المناظر[3] والمخائض ، لئلا تقع عليه حيلة ، حتى صار إلى المصيصة ، فأقام بها ، ووجه إلى يازمان يدعوه إلى طاعته والانقياد إلى أمره ، ويبذل له الأمان أو يخيره بين أن يخرج عنها موفوراً سالما ، أو يقيم بها على أنه من قبله ، فلم يجبه إلى واحدة منها ، وزحف أحمد بن طولون إلى أذنة ، فأقام بها أياما ، ثم رجع إلى طرسوس ، وقد تحصن يازمان بها ونصب المنجنيقات والعرادات[4] على سورها . فلما صار أحمد بن طولون إلى مرج طرطوس ونزلت عساكره به ، وكان ذلك فى كانون الثانى أوان شدة البرد والمطر ، خرق يازمان نهر طرسوس الأعظم المعروف بالبردان فغرق المرج وما حول مدينة طرسوس ، وغرق عسكر أحمد بن طولون ومضاربه ، فلم يتهيأ له مقام ساعة فرحل ليلا ، وتقدم إلى أذنة ، فأصبح أهل طرسوس ، فنهبوا / جميع ماخلفه أحمد بن طولون فى عسكره.

٥٧ ظ
٢

٥٨ و
٢

وطال مقام أحمد بن طولون بأذنة ، ووقع الموت فى غلمانه لأنهم بقوا عراة فى شدة البرد ، وسقطت الدواب فلما مضى له عشرون يوما ارتحل عنها ، وقد كظم غيظه ، وقال : والله لارآنى الله

(١) جاء كلام ابن عمار ببعض التفصيل والزيادة فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٢٨٢ — ٢٨٥)

(٢) انظر المرجع نفسه ص ٣١٠ — ٣١١

(٣) فى المرجع نفسه (ص ٣١٠) : « القناطر »

(٤) العرادة آلة حربية لرمى الحجارة وهى أصغر من المنجنيق . أنظر عبد الرحمن زكى : السلاح فى الاسلام ص ٤٠

أجهز جيشاً إلى طرسوس أبدا ، إذ كانت سكن الاسلام[1] ، وارتحل عنها ، وصار إلى المصيضة ، وأقام بها ثلاثة أيام وقد ابتدأت به علته التى مات منها ، فما بلغ أنطاكية إلا وهى زائدة عليه ، وكان به بدء هيضة ، وكانت من ألبان الجواميس أسرع فيها واستكثر منها ، والتمس طبيبه سعيد ابن نوفل[2] فوجده قد خرج فى بيعة بعيدة[3] ، فأبطأ عليه ، وتمكن غيظه عليه فى التأخير .

ثم زاد الأمر به ، وجاءه طبيبه فقال له : لى يومين عليل ، وأنت شارب نبيذ ! أفما[4] كان سبيلك أن تسأل عن حالى ، فما الصواب الساعة ؟ / قال : لا تقرب الغذاء ، ولو أقمت الليلة وغداً . فقال : أنا والله جائع ، وما أصبر . قال : هذا جوع كاذب ، لبرد معدتك . فلما كان نصف الليل استدعى شيئا يأكله فجىء بفراريج حارة ، وبعض دجاجة ، وقطعة من جدى بارد ، فأكل ، وانقطع الاسهال عنه .

٥٨ ظ
٢

فحدثنى نسيم قال : خرجت وسعيد قائم فى الدار فقلت له : أكل الأمير البارحة كذا وكذا فامتنع عليه الإسهال فقال : الله المستعان ! ضعفت قوته الناهضة بقهر الغذاء ، وسيتحرك حركة منكرة ، قال : فوالله ما وافى السحر من الليلة المقبلة حتى جاءه أكثر من ثلاثين مجلسا وطلب مصر ، وثقل عليه ركوب الدواب ، فعملت له عجلة ، وكانت تجر بالرجال ، ووطئت له ، فلما بلغ الفرما شكا إزعاجها ، فركب إلى ساحل الفسطاط ، وركب من الساحل الى داره فى قبة .

قال عمى لسعيد بن نوفل طبيبه : إن كان لسان الأمير / أيده الله فصيحا ، فطبعه أعجمى ، ولما دخل الفسطاط أحضر الحسن بن زيرك[5] ، وشكا إليه سعيد بن نوفل فسهل عليه أمر علته ، وأعلمه أنه ترجى له السلامة منها عن قرب ، وخفت علته بالدعة والطمأنينة واجتماع الشمل ، وهدوء النفس إلى حسن القيام ، وتبرك بالحسن بن زيرك .

٥٩ و
٢

وكان كثير التخليط ، واشتهى على بعض جواريه سمكا قريصا[6] ، فأحضرته سرا فأكل منه ، فما تمكن فى معدته حتى تتابع الاسهال ، فقيل له : يحتاج الأمير إلى أطباء مصر لينتابوا داره

---

(١) ذكر البلوى فى سيرة ابن طولون (ص ٣١١) أن هذا الأمير كتب من أذنه إلى يازمان كتابا قال فيه : «أما والله أيها الناقص الأنذل لولا إرادة إبقائى على ثغور المسلمين وكراهتى أن أفتح عليها العدو مرة تكون سبباً لهلاكها لعلمت أن مثلك لا يقاوم غلاما من غلمانى ولا يعشره فلما انتصرت بما فتحته ففرقت به ما لا يمكن دفعه إلا بما فيه هلاك الثغر انصرفت كافاً يدى محافظاً لله عز وجل والجماعة ساكنى الثغر لا محافظة لك ولا عجزاً عن حملتك الضعيفة والسلام » .

(٢) سماه البلوى فى سيرة ابن طولون (ص ٣١٣) وابن أبى أصيبعة فى طبقات الأطباء (ج ١ ص ١٧٨ و ج ٢ ص ٣٦ ، ٨٣) . أنظر Zaky M. Hassan: op. cit. p. 90—91 .

(٣) فى المخطوطة « لعيده » . والراجح عندنا أن صحتها « بعيدة » .

(٤) فى المخطوطه « وما » .

(٥) هو طبيب آخر من أطباء ابن طولون . انظر سيرة ابن طولون للبلوى ص ٣١٣ و ٣٢١ — ٣٢٣

(٦) القريص : لغة فى القريس وهو اليابس الجامد .

فى غداة كل يوم يتفقون على ما يأخذه غذاء . فحميت كبده من سوء فكره وخوفه ، وتشاغل عن المطعم والمشرب لكثرة ما جربوه عليه ، حتى زادت علته وتفرغ لأشياء كان تشاغل عنها ، فضرب أبا بكرة بكار بن قتيبة ، وأقامه للناس فى الميدان ، وأمر بتحريق سواده ، وأوقع بابن هرثمة [1] ، واستصفى / ماله وحبسه .

٥٩ ط
٢

وحدثنى نسيم قال : دعانى أحمد بن طولون ، وقد مضى بضعة من الليل ، فقال لى : ادخل إلى بكار بن قتيبة ، فان كان يصلى فانتظره إلى فراغه ، وقل له : أنت تعلم ميلى اليك قديما ، وإكرامى لك ، وأنه لم يفسد محلك إلا أمر الخلع [2] ، قال : ففتحت باب الحجرة الذى هو بها ، فوجدته قائما يصلى ، فقلت : رسول الأمير ، فوالله ما تجوز فى صلاته ، ولم يزل إلى أن قضاها وسلم وجلس ، فقلت : الأمير يقول لك كذا وكذا . قال : وما يريد بى إلا ثلم دينى . ثم قال : قل له : يعز علىّ أن يكون حرصك على ما تفارقه أكثر من ميلك الى ما تنقلب اليه ، وقد أعنّتنى بأنك تكلفنى التصديق ببلاغات [3] ، فخف الله فى أمرى فانى شيخ فانٍ [4] ، وقد والله نصحتك ، والسلام .

ثم قال أحمد بن طولون لسعيد بن نوفل : والله لا تمتعت بالحياة بعدى ! لأنى أعلم أنك تريد موتى ، فعجلته لك ! / ، فأمر بضربه ثلاثمائة سوط ، وطاف به ينادى عليه : هذا جزاء من اؤتمن فخان . ونهب منزله ، فمات بعد يومين .

٦٠ و
٢

وحدثنى جماعة من رهبان دير القصير [5] وقد جرى ذكر أحمد بن طولون فترحموا عليه ، وقالوا : طالبنا ابن المدبر بجزية رءوسنا ، ووافى أحمد بن طولون الدير ، لأنه كان يخلو فيه للرأى ، وكان يأنس إلى راهب لهم يسمى « أبا أندونة [6] » ، وكان حسن العقل فشكوا اليه ابن المدبر ، وهو يتقلد الخراج بمصر ، فوقع إليه باعفائنا ، وقال : لا تجعلوا توقيعى هذا مثل السيف

---

(١) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٣١٧) انه فعل به ذلك « لأنه كان رفع اليه انه قال : توهمنا انا نخدم إمارة ولم ندر انها خلافة ، إلا انها خلافة وسخة مخوفة العاقبة » .

(٢) اى خلع الموفق من ولاية العهد .

(٣) فى المرجع السابق (ص ٣٣٢) : « بالبلاغات التى لا يعدلها الحكام » .

(٤) فى المرجع نفسه زيادة هنا ، نصها « وأنت عليل مدنف ، ولعل التقاءنا بين يدى الله عز وجل قريب » .

(٥) الأرجح انه القصير بالفتح كأمير ، ولكنه يضبط أحيانا القصير بالتصغير ، وهو دير فى الطريق إلى حلوان على مقربة من المعصرة الحالية . انظر الشابشتى : كتاب الديارات ص ١٨٤ وياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ١٦٢ — ١٦٤ والعمرى : مسالك الأبصار ص ٢٦٣ — ٢٦٦ والمقريزى : الخطط ج ٢ ص ٥٠٢

(٦) فى سيرة ابن طولون للبلوى ص ١١٨ « اندونة » .

الذى يضرب به صاحبه ، ولـكن استعملوا المداراة والاستكانة فى إيصاله ، وأظهروه بعد ذلك ، ليرى حجتكم . قال الرهبان : فما احتجنا إلى إيصال توقيع بعده ، ولا مراجعة قول .

وحدثنى نسيم أن أحمد بن طولون لما جمع غلمانه وأوصاهم بحسن النظر والتضافر أعلمهم أن الخليفة بعده أبو الجيش خمارويه بن أحمد / بن طولون ، فسكنوا إلى ذلك ، لأنهم كانوا يخافون العباس أن يستخلف عليهم ، لأنه كان سىء الظفر وكان منهم من قبض عليه ، ومنهم من ضربه ، ومنهم من استخف به بأمر أبيه ، فأنسوا إلى مكان أبى الجيش وهذا كان قبل وفاته بأيام ، وكان العباس متلوماً على وفاة أبيه يرتقب الغلبة على موضعه ويتوهم أن أبا الجيش لا يقوى قلبه على مناهضته . فلما قضى أحمد بن طولون اجتمع الحسن بن مهاجر وأحمد بن محمد الواسطى وخواص الأولياء والغلمان على البعثة إلى العباس بخادم من خدم أبيه ، وأخذ البيعة عليه ، وأراه أن أباه يستحضره لرأى رآه فيه ، فلم نشعر إلا بموافاته فقامت الجماعة له ، وأبو الجيش داخل فى مجلس أبيه فى جمع بين يديه فعزاه أحمد بن محمد الواسطى فى أبيه وبكى وبكت الجماعة ، ثم أحضر المصحف ، وقال له الواسطى : بايع أخاك أبا الجيش . فقال العباس : أبو الجيش / ليس يسومنى هذا السوم ! ومحال أن يكون أحد ممن حضر أشفق عليه منى ، فقال أبو عبد الله : ما أصلحت منك هذه المحنة شيئا ! أبو الجيش أميرك وسيدك ، ومن استحق من أبيك بحسن طاعته التقديم عليك . وقام طبارجي وسعد الأيسر حتى أخذا سيفه ومنطقته وعدلا به الى حجرة من الميدان ، فأمن الخائف من العباس . ولما اتسقت بيعة أبى الجيش فى رقاب الأولياء ، [و][1] أخرج العباس بعد ذلك اليوم ميتا من تلك الحجرة .

٦٠ ظ / ٢ — ٦١ و / ٢ — ٦١ ظ / ٢

وطاف غلمان أحمد بن طولون يمجون بالبكاء فى الطرقات ، والرعية يبكون معهم وأهل الدعارة[1] ، وأزمعوا على إخراجه مع العصر ، وجاء رجل من خشن الصوفية يعرف بالرمامى فقال : لا نتخلف عن جنازه هذا الرجل ، فانى أعلم أنه من أهل الجنة[2] . وأحمد بن طولون بينهم على سرير مدرج فى ثوب وشى سعيدى كافورى ، وأبو الجيش راكب خلفه ، وصلى أبو الجيش عليه ، وواراه ، وأقام جواريه عليه / مأتما ، ورقصن عليه بالعيدان والألحان . وتحرم جماعة من غلمانه شرب النبيذ .

قال أحمد بن يوسف : وجد لأحمد بن طولون رقعة فيها : دخلت إلى مصر يوم الأربعاء متقلداً لمعونتها لسبع بقين من شهر رمضان من سنة أربع وخمسين ومائتين ، وقد مضى من سنى أربع وثلاثون سنة ويوم واحد . قال أحمد بن يوسف : فصح عندى أنه عاش خمسين سنة .

---

(١) كذا فى المخطوطة .

(٢) ينقص النص هنا وصف جنازة ابن طولون . انظر البلوى ص ٣٤٤ — ٣٤٥

وحدثني أحمد بن دعيم — وكان من قواد أحمد بن طولون ، وترك الديوان بعد وفاته ، وحسنت طريقته — قال : رأيت أحمد بن طولون بعد وفاته وهو جالس بحال جميلة ، فسألته عن حاله فقال : يابن دعيم ، ما ينبغى لمن سكن الدنيا أن يحتقر حسنة فيرجها ، ولا سيئة فيركبها ، عدل بى عن النار إلى الجنة بتثبتى على متظلم عيي اللسان ، شديد التهيب ، فسكنت منه ، وصبرت عليه حتى قامت حجته ، وتقدمت فى إنصافه ، وما على رؤساء الدنيا فى / الآخرة أشد من ترويع الحاجب .

٦٢ و
٢

وحدثني أحمد بن أبى أوفى إمام هارون بن خمارويه قال : رأيت فيما يرى النائم أحمد بن طولون فى حالة حسنة ، فكأنى أسائله عما لقى ، فقال لى : غفر لى مع عظيم ما اقترفته . فقلت : أين مستقرك من الجنة ؟ فقال : ما استقر أحد فى جنة ولا نار ، ولكنه تلوح لنا دلالة المعرفة والرحمة .

وقال أحمد بن يوسف الكاتب : خلف أحمد بن طولون ثلاثة وثلاثين ولداً ، الذكور سبعة عشر ، والاناث ست عشرة .

وحدثني على بن مهاجر فى أيام أبى الجيش قال : خلف أحمد بن طولون عشرة آلاف ألف دينار ، وأطبقت جريدته من الموالى على سبعة آلاف رجل ، ومن الغلمان على أربعة وعشرين ألف غلام ، ومن الخيل الميدانية على سبعة آلاف رأس ، ومن الجمال على ألفين وسبعمائة جمل [١] ، ومن البغال ستمائة بغل [٢] ، ومن المراكب الحرابية [٣] مائة مركب [٤] ، ومن الدواب لركابه / مائتان وثلاثون دابة [٥] . وكان خراج مصر فى تلك السنة مع ما ينضاف إليها من ضياع الأمراء بحضرة السلطان أربعة آلاف ألف دينار ، وثلثمائة ألف دينار [٦] ، وأنفق على الجامع فى بنائه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار وأنفق على البيمارستان ومستغله ستين ألف دينار وعلى العين ومستغلها أربعين ألف دينار [٧] ، وعلى حصن الجزيرة والجيزة ثمانين ألف دينار [٨] ، وعلى صدقاته

٦٢ ظ
٢

(١) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٣٤٩) : ثلاثة آلاف جمل .
(٢) فى المرجع نفسه : ألف بغل .
(٣) المراكب الحرابية مراكب القتال . انظر R.Dozy : Supplément aux Dictionnaires Arabes I p.265 .
(٤) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٣٤٩) : « مائتى مركب حربى كبار بآلاتها » .
(٥) فى المرجع نفسه : « ومن الخيل لركابه ثلاثمائة وخمسين فرسا » .
(٦) انظر المقريزى : الخطط ج ١ ص ٩٩ وابن إياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٤٠ و Zaky M. Hassan : Les Tulunides p 245.
(٧) فى سيرة ابن طولون للبلوى (ص ٣٥٠ — ٣٥١) : « وعلى العين التى بالمعافر مائة ألف واربعون الف دينار » .
(٨) فى المرجع نفسه : « وأنفق على حصن الجزيرة مائتى ألف دينار ، وأنفق على بناء الميدان مائة وخمسين ألف دينار ، وأنفق على مرمات الثغور وعلى حصن يافا مائتى الف دينار » .

فى كل شهر ألف دينار، وما يجريه على جماعة المسجديين [1] وما كان يجريه السلطان خمسمائة دينار ورواتب مطابخه وعلوفته فى كل يوم ألف دينار وما يحمل لصدقات الثغور فى كل شهر خمسمائة دينار، وما يقيمه من الأنزال والوظائف فى كل شهر ألفى دينار.

وأرانى قرهوية كاتب ابن مهاجر ثبت ما حمله إلى الحضرة للمعتمد، وفرق فى جماعة [من حاشيته] [2] لأربع سنين أولها سنة اثنتين وستين ومائتين، ومما/ تقدمت به سفاتجه، ولم يظهر تفريقه، فكان مبلغه ألفى ألف دينار، ومائتى ألف دينار.

٦٣ و
٢

وقلت يوما لعلى بن مهاجر: أيما أوسع نفقة: أبو الجيش أو أحمد بن طولون؟ فقال: أبو الجيش أوسع صدراً وأكثر إنفاقاً، وأحمد بن طولون كان يجد فى نفقته، وهذا يهزل فيها.

وحدثنى أحمد بن عبد العزيز الحريزى — وكان فى خزانة أحمد بن طولون [وقدم] [3] من العراق معه — قال: فرق أبو الجيش كسوة أحمد بن طولون فلحقنى منها نصيب، فما خلا ثوب منها من رفو، ووجدت فى بعضها رقعة.

وقال لى الحريزى أيضاً: سمعت أحمد بن طولون يقول: ينبغى للرئيس أن يجعل اقتصاده على نفسه، ويسمح على شمله وقاصديه، فانه يملكهم.

كمل كتاب ابن الداية

فى سيرة أحمد بن طولون

(١) فى المرجع نفسه (ص ٣٥١): من أهل المسجد وأبناء الستر والمتجملين وأولاد النعم.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة، عن المرجع نفسه (ص ٣٦٣).

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة، عن المرجع نفسه (ص ٣٥٦)

٦٣ ظ
٢

/ أبو الجيش خمارويه
ابن أحمد بن طولون

مجموع ما تتضمنه ترجمته من تاريخ ابن الأثير الذى سماه بالكامل . كانت له وقعة الطواحين بالرملة ، مع المعتضد فى مدة الخليفة المعتمد فانهزم خمارويه إلى مصر ، وانهزم المعتضد إلى الشام ، وبقى العسكران يتجالدان بالسيوف إلى أن كان الظفر لعسكر خمارويه ، فكتب له بالبشارة ، ففرح وتصدق ، وخجل من انهزامه ، وعادت له الشام بعد ما كان المعتضد قد استولى عليها [١] وهزم خمارويه ابن أبى الساج صاحب الجزيرة [٢] ، وانتهى إلى بلد [٣] .

قال : وذبح خمارويه بعضُ خدمه على فراشه فى ذى الحجة من سنة اثنتين وثمانين ومائتين بدمشق ، وقتل من خدمه الذين اتهموا نيف وعشرون وكان سبب قتله / أنه سُعِي إليه

٦٤ و
٢

أن جوارى داره اتخذت كل واحدة منهن خصياً كالزوج ، فهم باختبار ذلك ، وتقرير [٤] الجوارى فشعر الخدم بذلك فبادروه بالقتل [٥] .

ومن كتاب القرطى : كان أحمد بن طولون قد رشح ابنه العباس لولاية الأمر ، لأنه كان الأكبر والأظهر والغالب على الحال وبه كان يكنى ، إلا أنه أفرط فى الجور والقسوة ، والتبغض لأصحاب أبيه ، وزاد فى ذلك إلى أن ثار على أبيه ، وانتزح بالأموال التى جمعها إلى افريقية ، وآل أمره إلى أن حصل فى يد أبيه ، فضربه وسجنه وقطعه عن الولاية والتنويه ، وعدل بالأمر إلى خمارويه ، وكان ذا جود وتحبب إلى أصحاب أبيه ونفقات عظيمة ، ومروءات شائقة . وعندما ولى الأمر بادر بالاستراحة من أخيه / العباس فقتله ، وخلا له وجه السلطنة .

٦٤ ظ
٢

وجرى له من المنازعة مع المعتضد ، وهو يدير خلافة المعتمد ما جرى لأبيه أحمد بن طولون مع الموفق أبى المعتضد ، وآل الأمر بينهما إل موافقة الجيوش واضطرام الحروب

---

(١) انظر ابن الاثير : تاريخ الكامل ج ٧ ص ١٤٩ و ١٥٠ و Zaky M. Hassan op. cit. pp 111-113:

(٢) الذى حدث أن نزاعا قام بين أبى الساج واسحق بن كنداج وأن الاول استنجد بخمارويه ودخل فى طاعته فنصره على ابن كنداج وخطب ابن أبى الساج لخمارويه فى الجزيرة والموصل سنة ٢٧٣ ، ثم ثار ابن أبى الساج على خمارويه سنة ٢٧٥ فسار اليه خمارويه وهزمه فى البداية عند ثنية العقاب بقرب دمشق . انظر ابن الاثير : تاريخ ج ٧ ص ١٥٢ و ١٥٤ و Zaky M.Hassan : op cit. pp 115-116

(٣) مدينة قديمة على دجلة بين الموصل ونصيبين . أنظر ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٢٦٥

(٤) قرره بالامر جعله يعترف به .

(٥) انظر ابن الاثير : تاريخ الكامل ج ٧ ص ١٦٩ .

— وكان خمارويه سريع النهضة للحرب ، جوّالا فيها ، وكم وصلت خيله إلى تخوم العراق ، ودوخت الجزيرة . ولما هزم المعتضد الهزيمة التي شتتت عساكره وكسرت فيه عزائمه عدل عن الشدة إلى اللين ، وعن التبعد إلى التقرب ، فرأى أن يتزوج قطر الندى بنت خمارويه ، وكانت أكمل نساء عصرها في الجمال والأدب ، فوصل في حملها إلى العراق ابن الجصاص ، أمين المعتضد [1] ، وكان مشهورا بالغفلة ، والكلام المضحك ، وأحضره خمارويه وتطايب معه ، وأدى الاسترسال في المجانة / إلى أن قال له خمارويه في أثناء حديث كان فيه ازدراء بخمارويه : قوّاد ! فقال : في الحلال أيها الأمير — يشير إلى ما وصل فيه من رسالة الزوجية بين المعتضد وقطر الندى .

٦٥ و
٢

ولما سار معها إلى بغداد اتفق أن تقدم يوما يحادث خصياً من الخدم الموكلين بها ، وهو أمام القبة التي كانت فيها ، فجعلت بغلته تكثر الضرط ، فقال له أحد الموكلين بالقبة : قد تنتت على السيدة فتأخر . فقال : الذي تتوجه إليه أنتن من ذلك . وإنما أشار إلى ما كان المعتضد يشكوه من خصيتيه ، وخروج المادة منها ، وانتفاخها ونتنها .

وكان أول ما خرج من الديار المصرية بقطر الندى رأى كلبا على كلبة ، فقال : بشرى خير ! ودلالة اجتماع ! فضحك جميع من سمعه ، حيث جعل المثل في بنت سلطان تزف إلى خليفة بكلب / وكلبة .

٦٥ ظ
٢

ولما دخل على المعتضد قال له : كيف وديعتك ؟ قال : قد والله جئتك بزبدة إن وضعت عليها خصية من خصيتيك ذابت — يشير إلى ما كان بخصيي المعتضد من الانتفاخ — فاشتد ضحك المعتضد ، على شدة قسوته .

ولما دخلت قطر الندى على المعتضد أعجب بها ، ورأى ما بهره من جمالها وأدبها وكمالها فاتفق له معها من الحكايات التي يجب أن تؤرخ أن وضع رأسه يوما في حجرها فنام ، حتى غط في نومه ، فتلطفت في ميل رأسه من حجرها ، ووضعته على مخدة ، وقامت إلى أن انتبه المعتضد من نومه ، فوجد رأسه على مخدة ونظر إلى قطر الندى ، فلم يجدها معه في البيت ، فاشتد غيظه ، واستدعاها ، فقال لها — بكلام منزعج — : ما هذا الذي صنعت ؟ أضع رأسي في حجرك وأستأمنك على روحي ، فتتركيني وتمرين عني ؟! فقالت : إن فيما أوصاني به أبي ، ألا أجالس /

٦٦ و
٢

---

(١) كذا في المخطوط . والصواب أن الحسين بن عبدالله المعروف بابن الجصاص كان من أتباع خمارويه . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ١١ ص ٣٤١ وابن الاثير : تاريخ الكامل ٧ ص ١٦٤ والمقريزي : الخطط ج ١ ص ٣١٩ وابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٦١ — ٦٢

بين النيام ولا أنام بين الجلوس [1] ، فأعجب ذلك المعتضد ، وقال : نعم ما أوصاك به أبوك . وصارت الأمثال فى قصر الخليفة تضرب بأدب قطر الندى .

وناولها يوما قدح خمر لتشربه فقالت : يا أمير المؤمنين ، ما شربته قط ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول عن النساء : ناقصات عقل ودين ، والرجال إن شربوا الخمر ، فنى عقولهم وأديانهم ما يحتمل حيفها ، والنساء بضد ذلك ، فاشتد ولعه بما سمع منها وأعفاها .

وقال لها يوما : ما أحسن ما أدبك أبوك ؟ ! فقالت : إنى لم أكن أبصر أبى ، ولكنى تأدبت بأدب جواريه ، فقال : ذلك أحسن وأشرف .

٦٦ ظ
٢

قال : وتمكن خمارويه من البلاد والعباد وملك الديار المصرية والبلاد الشامية ، ومد / يده لبلاد الجزيرة ، وتأثل سلطانه المتوارث ، إلى أن أخذه الله أعظم ما كان وأقدر ، فذبحه غلمانه على فراشه . واتصل خبر ذبحه بالمعتضد قبل أن يتصل بابنته قطر الندى ، واتفق أن دخل المعتضد على قطر الندى فى أثر ذلك ، فأحست فتوراً منه فيما كان يعاملها به من البر ، فقالت : أحسن الله عزاءك يا أمير المؤمنين فى خمارويه ، وجعل من غلمانك خير خلف منه ، فقال لها أبلغك قتله ؟ قالت : لا والله ما يدخل إلىّ خبر من غير جهتك . قال : فمن أين عرفت ذلك ؟ قالت : يعفينى أمير المؤمنين أيده الله من هذا . قال : لا بد من ذكر ذلك . قالت : كان أمير المؤمنين طول حياة خمارويه يتحرز فيما يبدى لى من البر والتلطف فأعلم باتصال ذلك ، رعية لمكان أبى ، فلما رأيتك اليوم قد استرسلت فيما عاملتنى به / ولم أعلم لى ذنبا أستوجب به ذلك ، فكرت فخطر بخاطرى أن خمارويه مات ، فاستحيا المعتضد واعتذر ، ثم قال لها : فما بالك لا يظهر عليك أثر الحزن عليه والبكاء بعد موته ؟ فقالت : فرحى بك يغلب على حزنى عليه ، والرضا بحياتك يقهر السخط بموته ، فقبل رأسها ، وحلف لها أنه يرعاها فى موت أبيها أكثر من رعيه لها فى حياته .

٦٧ و
٢

قال : وكان خمارويه محسنا للأجناد والشعراء وسائر من يرد عليه ، وكان قد اختص به الشاعر المريمى المصرى [2] ، وكان خمارويه قد أكثر الاحسان له ، وفيه يقول :

يقولون لى مابال رحلك دائما	بمصر وإنى لست عن غيرها أرضى
وكيف رحيلى عن بلاد غدا بها	أبو الجيش والنيل الذى ملأ الأرضا ؟!

---

(١) انظر ترجمة خمارويه فى وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ١ ص ٢١٨) وابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٦٣

(٢) هو القاسم بن يحيى المريمى . انظر الكندى : كتاب الولاة والقضاة ص ٢٣٦ — ٢٣٨ و Zaky M. Hassan : Les Tulunides pp. 270-271

وقد وفد عليه البحترى فى دمشق ، فأحسن له وأثابه على مدحه .

٦٧ ظ
٢

ومما ظهر له من الأخلاق الملوكية / والهمم الأبية والمنازع السلطانية أن تاجراً من أغنياء خراسان وفد على دمشق ورأس ماله نحو مائة ألف دينار ، وعنده من الذخائر مايليق أن يقدم إلى عظماء السلاطين ، فلما استقر بحضرة خمارويه قدم رقعة فيها تسمية ماجاء به من الذخائر إلى خمارويه ، فلما وقف عليها ، كان فيها ما استحسنه وفيها مالايحتاج إليه ، فقال له خازنه : نأخذ منه مايحتاج إليه الأمير بما يقدره أرباب التجارة ، ونصرف عليه مالايحتاج إليه ؟ فاغتاظ وقال : هذا فعل مثلك ممن لاتسمو نفسه إلى جسيمات الأمور ومخلدات المكارم وحسن الأحدوثة ! والذى تقتضيه المروءة والهمة أن نأخذ منه ما قدم إلينا ، ولانرد عليه منه شيئاً ، لأن فى رد مالاحتاج كسراً لمراده وضعفاً منا عن اتساع الهمة ، لأن ماصغر عن قدرنا يكون على قدر غلماننا / وحاشيتنا ، والسلطان كالبحر ، ماوضعت فيه من السفن صغيراً أو كبيراً حمله . ويُقدر الجميع ، فيزاد على قيمته ضعفاً ، لأنه لم يقدمه لنا ليربح فيه مايربحه من التجار فى السوق ، ومابقى عنده من سائر بضاعته يوصى عليه فى السوق ، ولايؤخذ منه ضمان ولاغير ذلك مما يلزم التجار ، فقد تحرم بنا ، وأراد الراحة بالاتصال بجهتنا .

٦٨ و
٢

قال خازنه : فضحكت ، فقال : ما يضحكك ؟ قلت : ذكرت فيما يشبه هذه القصة حكاية جرت من العباس بن الأمير أحمد بن طولون — وهو أخو أبى الجيش خمارويه ، الذى قتله على الملك — قال : وما هى ؟ قال : كنت ممن خدمه فى طريقه إلى إفريقية ، فبينا نحن ببرقه إذ وصل إلى ساحلها مركب من بلاد إفريقية ، نزل منه تاجر ذو مال ، ولديه من الأمتعة وغير ذلك ما يليق بخزانه السلطان ، فأمر وكيلا له أن ينزل / إلى التاجر ، ويطالع جميع ما جلبه ، وكل ما صلح للخزانة يكتبه ويضمه ، فلما نزل الوكيل إليه ، واجتمع به ، قال التاجر : كل ما أتيت به إن رضى به الأمير فهو فى حل من ثمنه ، فأنا غلام الأمير وقاصد بلاده ، فشكره ، ثم طالع جميع ما معه فوجد شيئاً كثيراً مما يليق بالخزانة ، فكتبه وجعله ناحية ، وأعلم العباس بما انتهى إليه من ذلك ، وبلغه قوله ، فقال العباس : أعلمه أنى قد رضيت قبول ما جلبه ، ولكنى أصرف عليه مالا احتاج إليه ، وآخذ مالى فيه غرض ، فرجع الوكيل وأعلم التاجر ففرح ، وظن أنه إذا قبل مايحتاج إليه عوضه بما جرت به عادة كرماء الملوك . ولما تسلم الوكيل جميع ما كتبه ، وحمله إلى خزانة العباس جعل التاجر ينتظر الجائزة الملوكية حتى طال عليه ذلك ، ولم يحس بأمارة إحسان ، فاجتمع بالوكيل ، وقال له : اعلم أنى قد تخلصت من / ثمن الجميع مماوردت به على بلادكم إلا ما رفعته إلى الأمير ، وأنا منتظر إحسانه الذى أحدث به فى البلاد ، فرفع الوكيل قول التاجر

٦٨ ظ
٢

٦٩ و
٢

إلى العباس فانزعج واغتاظ وقال : ما يقنع بأنى لم آخذ جميع ماله ! وقد بدرت منه الكلمة التى استحل أخذه بها ، فيستتر بستر الله ، وينصرف بما سلم له ؟!

قال الوكيل : فتعجبت من همته ، وبعده من المروءة والعدل وما كان عليه أبوه ، ولم يكن بد من إعلام التاجر بما صدر عنه لأريحه وأستريح منه ، فلما أعلمته بذلك قال لى : مثل هذا لا يصدر عن أمير يؤمن بالله واليوم الآخر ، ولكنه منك ، وقد أكلت مالى ، وجعلت الأمير سبباً له ، وليس لى بد من الوقوف إليه ، ومطالعته بقصتى . فقلت له : أنت قد خسرت بعض مالك ، فبالله ألا ما استغنيت عن الخوض فيما ضاع منه ؛ واقتصرت على الاقتناع / بما بقى معك قبل أن تخسر جميع مالك وروحك ! قال : ومن يفعل هذا ؟ نحن نأمن من النصارى فى البحر واللصوص فى البر ، ونأتى إلى حضرة الأمير ونخاف نهب المال والروح ؟! فقال له الوكيل : هو ما تسمع ، وسترى وقد نصحت لك .

قال : فكتب قصة ورفعها فى قصصه وترك الأمير حتى جاز على مكان ارتقب جوازه فيه ، فأشار اليه بالورقة ، فأشار إلى أخذها منه فلما وقف عليها أمر بأن يصفع ويتعتع إلى منزله ، فقاسى شدة عظيمة ، ولما استراح بعض أيام من تلك الشدة عاود انتظار العباس والصياح بقوله : أنصفنى منك أيها الأمير! وأكثر الاستغاثة عليه . قال الوكيل : نخلا بى العباس وقال : انظر فى أن تريحنى من هذا التاجر النذل ، فقلت : أيها الأمير لا أعرف وجها للراحة منه إلا بأن يدفع له ماله . قال : فاغتاظ غيظا ما عهدته منه ، وقال : والله لولا / أنك بعقيب سلب مال وسجن لألزمتك بما ترتب له من المال قال: وكان لى فى سجنه مدة ، وما خرجت منه إلا بعد ما نهب مالى واستصفاه . قال : فقلت : الحمد لله الذى خلصنى منك . فكأنه سكن وضحك ، ثم أطرق فقال : رأيت من الرأى أن تؤنسه وتقول له : كان الأمير غالطاً فى حديثك ، وقد نبهته لك ، فأمر لك بأضعاف ما تستحقه قبله وتيسير أمرك حتى ترجع إلى بلادك . وتستدعيه إلى منزلك لضيافته ومنادمته ، فاذا استقر قتلته واسترحنا منه وأخذنا ما بقى له من المال . فقلت له : أيها الأمير هذا ما لا أفعله أبداً ! ! قال : فاغتاظ وقال : والله إن لم تفعله لأفعلنه بك ، فقال الوكيل : إذ ولا بد من هذا فعسى أن يكون المباشر لقتله غيرى . قال : علىَّ بفلان — لعبد أسود طويل القامة ، غليظ الشفتين ، أحمر العينين ، لم تخطر الرحمة قط على باله — فلما وقف/ بين يديه أمره بأن يقتل الشخص الذى أعرفه به على صورة وصفها له ، فتلقى ذلك العبد بفرح وسرور ، وقال : ما للأمير من يقتله غيرهذا ؟ قال : أما الآن فلا ، ثم خرج العبد ينتظرنى حتى أجمع بينه وبين التاجر ، فقال لى العباس : مثل هذا ينبغى للملوك أن يصطفوه ويحسنوا له ، قال : فجاوبته فى خاطرى بما يليق ، وأبديت له الرضا بآرائه الفائلة .

٦٩ ظ
٢

٧٠ و
٢

٧٠ ظ
٢

قال : ولما اجتمعت مع التاجر وآنسته وأعلمته بأن الأمير أمرنى بضيافته ومنادمته حتى نكفر ما أسلفنا له سر بذلك ، وتأهب للوصول إلى منزلى ، ثم وصل فى آخر نهار خُتمت فيه حياته ، فقدمت له طعاما ، فأكلنا ثم تنادمنا ، فرأيت أحسن الناس منادمة وأطيبهم مفاكهة ، فبينا نحن فى ذلك إذ دخل علينا العبد الأسود ، فاقشعر منه وانقبض فجعلت أبسطه ، فقال لى : يا سيدى / إن هذه المنادمة لم تجعل إلا سببا لما يسر النفس فاذا حضر عليها من يسوء البصر ، قدح ذلك فى مسرة النفس ، وقدر الله تفرق كل ما جمعته من أشتات المسرة بمنادمتك مذ دهمتنا هذه الطلعة المظلمة المزعجة . قال : فما انتظر منه العبد إلا أن يواجهه بهذا الكلام فسبه ، وقال : ألمثلى تواجه بهذا ؟ وجذب سكيناً فضربه فى خاصرته ، فما سمعت منه إلا : ما أشأم يوما عاملت فيه بنى طولون ! ! فما رحمت أحداً قط رحمتى له . فغسل العبد دمه وأغلى برمة حتى طن ماؤها فسلقه فيها وصنع به ما جرت عادته عليه . وأعلمت فى غداة تلك الليلة الأمير بما كان ، ففرح بالراحة من التاجر ، وكان له أخ ذو مال على انحياز ، فوجه من قبض على ما بقى من مال التاجر ، وادعى أن أخاه قتله ليأخذ ماله ، فاستولى على مال الأخوين ، / وأثر ذلك توجه إلى أن يأخذ إفريقية من يد ابن الأغلب بمثل هذه السياسة وهذى التقوى فهزم وآل أمره إلى القتل . قال : والعجب أن الأسود الذى ذكر أنه أولى ما يعده الملوك ويحسنون له هو الذى تولى قتله يوم الراحة منه بسبب المنازعة فى ملك أخيه .

٧١ و
٢

٧١ ظ
٢

قال : ولما أخبرت بهذا أبا الجيش سجد لله شكراً على ما رزقه من القناعة بما أعطاه ، وأفضل عليه من الالهام للافضال وحسن الأحدوثة ، ثم قال : ما كان لله ليهمل الظلم وسفك الدماء ، والحمد لله الذى لم تتقلد دم العباس دون قصاص ، فكم له من مثل التاجر المظلوم قد سفك دمه ، وهتك حرمه ! ؟ ثم قال : والله لقد أذكرتنى بالعبد الأسود ، ترى أين هو اليوم ؟ قلت : هو فى خواص عبيدك ببابك . فقال : ومثل هذا ينبغى للملك أن يبقيه ؟ ! أخرج إليه واستدعه . قال : فاستدعيته ، فلما حضر بين يديه أنسه ، / وبسط منه ، وضاحكه ، وأخذ معه فى أحاديث العباس ، وما كان يباشره له من عذاب الناس والمثلة بهم وقتلهم ، فحكى له العجائب ، فلما فرغ لم يظهر له إلا استحسان ما سمع منه ، وظن العبد أنه يؤهله لما كان يؤهله له العباس ، فعندما خرج أمر بالقبض عليه ، وأن يقتل شر قتلة ، فامتثل ذلك فيه .

٧٢ و
٢

قال : ولما أراد الله تمام أجل خمارويه سلبه الرأى ، فكان سبب قتله أن خادما أعلمه أن الخدم الذين بقصره قد اتخذ كل واحد منهم حرمة من حرمه يغازلها ويحاكيها ، وقد فشا ذلك فى القصر — وكان فى خمارويه إفراط غيرة ، فحملته على أن أظهر ما يعزم عليه ،

وهم به ، وتحدث وأرهب قبل أن يفعل ، فتجمع الخدم المذنبون وقالوا : قد اطلع على مثل هذا الأمر ، وليس مما تحتمله الملوك ، وقد أيقنا منه بالهلاك لامحالة ، فالرأى أن نبادره بما / يريده منا ، فقال خادم منهم مجرب : إنكم لا تيقنون أنه يقتلكم ، لأنكم غير فحول ، وذنبكم أيسر ، ولعله ينظر فى ستر هذا الشأن ، بتسكينه وقلة الخوض فيه وتأخير العقوبة ، فينظر كل واحد منكم لنفسه ، ولعل الله يستره إذا فر أمام المنية ، وإنكم إن قتلتم مولاكم قتلتم عن آخركم . فقال غيره : أنا أعلم خلق الأمير ، والله بعد ما سمع هذا ، وتقرر فى ذهنه لايحيينا ، ونحن إن أبقيناه فان قتلنا منه مستيقن ، وإن قتلناه فقد يقبض على جميعنا و نقتل ، وقد ينجو بعضنا ويقتل بعضنا ، وقد يتشاغل أهله وولده بقتله ونفر نحن . ولا نترك ما يكون القتل فيه مظنونا بما يكون فيه مستيقنا . فكأن الجماعة صوبت رأى هذا الخادم الأخير ، فبادروا خمارويه وذبحوه على فراشه ، واضطربوا بعد ذبحه / حتى إن بعضهم أمسكهم جوارى القصر ، وسقطت السكاكين من أيديهم خورا ، وقبض على جميعهم فقتلوا عن آخرهم .

٧٢ ظ / ٢

٧٣ و / ٢

العباس بن أحمد بن طولون

من كتاب القرطى ما تقدم فى ترجمة أخيه أبى الجيش ، من أن أباه قد عزم على ولايته الأمر بعده فعدل عن ذلك لما فعله من القيام عليه بمصر بعد خروج أبيه إلى الشام ، وهربه بالأموال العظيمة التى كان قد أعدها بمصر لأموره المهمات ، وأنه آل أمره إلى أن بادر أخوه أبو الجيش عندما بايعه أصحاب أبيه بعد موته فقتله .

قال القرطى : كان العباس من أراذل أبناء الملوك ، جمع من الخلال التى تبعده من الرئاسة فى الدنيا والفوز فى الآخرة / مالم يجمعه ابن ملك : فمنها أنه كان نهاية فى شدة القسوة ، لايرحم صغيراً ولا كبيراً ، ولا يراعى أباً ولا ابناً . وله فى ذلك العجائب :

٧٣ ظ / ٢

منها أن جارية له ، كان من أولع الناس بحبها ، فولدت منه ولدا ، فأحس منها تيهاً بسببه ، فسكر ليلة ومال ليقبلها فانحرفت عنه ، فقال لها : والله لولا أنك غلبت على قلبى وملكت قيادى بحبك لقتلتك شر قتلة ، ولكن أنا أفجعك أشد فجعة بولدك الذى به تهت على ، ومن أجله ظهرت فيك هذه الدالة . ثم دعا بولدها — وهو صغير لم تفطمه — فضرب به إلى الحائط فانتثر دماغه ، فاضطربت الجارية وأحمت من ساعتها ، وقضت نحبها فى يوم تلك الليلة .

ومنها أنه اتفق مع أقوام على أن يقتلوا أباه ، فدخل أحدهم على أبيه ليلا ، فوجده وهو يصلى فى محراب ويتضرع ، ويدعو إلى الله / فى ألا يؤاخذه بما يتقلده من ذنوب ما لا يعلم

٧٤ و / ٢

من الرعية ، ويقول : هذه ناصيتى بيدك فخذنى فى الدنيا قبل الآخرة ، فتوقف الرجل ، وقال : لا والله لا أقتل ملكا على هذه الحالة ! وخرج ، فأعلم العباس فقال : كذبت ، إنما أنت جبنت وخفت فاختلقت هذه الحكاية ، وإلا فالأمير أقل دينا من أن يصلى بالليل ، ويتضرع هذا التضرع وهو خال عن عيون الناس ، ثم قال : حياة هذا خطر على حياتى ، فأمر عبيده بقتله ، فقتلوه .

ولما حصل فى سجن أبيه ، وتحدثوا أن أباه يقدم بعده على الناس ابنه خمارويه تحيل بكل وجه من جهة الرجال والنساء على الراحة من خمارويه ، سماً أو قتلا ، فنجاه الله منه ، وجعل العاقبة له .

قال : ومن خلاله المذمومة الجور على الرعية ، وأخذ أموالهم ، ونهب أنفسهم ، وقلة الوفاء لمن يصحبه ، وشدة العقوبة على صغير / الذنب ، وفساد الرأى بعد ما يحكمه بحضرته أهل المشاورة ، والنهامة فى الأكل والشرب حتى كان يأتى فى مجالسه من ذلك بما يكون فيه أشد فضيحة . وقد سمعت أنه كان مع شدة القسوة والأنفة ممن يخر على جبهته ، ويمكن الأغصان من ربوته . وله مع هذا شعر يدخل به فى شعراء الملوك والأمراء ، كقوله :

٧٤ ظ
٢

اشْرَبْ على النيل إذا ما المطَر ... نُثر فيه مثلَ نثرِ الدرر
وانظر إلى الروضات فى شطه ... كأنما تحكى عليه الطرر
لا تسقنى الكأس على ذكر من ... غاب وكرر ذكر من قد حضر

وقوله :

متى أرقى إلى ما فى ضميرى ... من الهمم العلية والمعالى
ولِمْ لا والسيوفُ بها اعتضادى ... ولا أبْنى بغير شبا العوالى
كفاكم من سمات المجد أنى ... زخرت الحمد إذ بَدّدت مالى

وأنشد له ابن الداية فى كتاب السيرة / الطولونية قوله فى وقعته ، عند دخوله إلى أوائل إفريقية ، ومحاربته لجيش ابن الأغلب قال : وكان جيد الشعر :

٧٥ و
٢

لله دَرّى إذ أعدو على فرسى ... إلى الهياج ونار الحرب تستعر
وفى يدى صارم أفرى الرؤوس به ... فى حدّه الموت لا يبقى ولا يذر
إن كنت سائلة عنى وعن خبرى ... فها أنا الليث والصمصامة الذكر
ابن لطولون أعزى إن سألت فما ... فوقى لمفتخر بالمجد مفتخر
لو كنت شاهدة كرّى بلبدة إذ ... بالسيف أضرب والهامات تبتدر

قال القرطى : واتفقت للعباس بن أحمد بن طولون فى توجهه إلى إفريقية حكاية ينبغى ألا تخلى من التاريخ ، وذلك أنه لما فر عن أبيه ، ورام أخذ إفريقية من يد ابن الأغلب أقدم على بلاده إقدام السيل ، لايعبأ بما أمامه ، فحذره ذوو الآراء من أصحابه ، فأبى إلا إقداما ولجاجاً ، ونفّذ له كتاباً يزعم أن أمير المؤمنين المعتمد قد ولاه ملك إفريقية / وأنه يتركه فيها نائبا عنه حتى يصل ، فيأمر أهل البلاد التى على طريقه بأن يعدوا الميرة لجيشه ويحسنوا النزل ، فلم يلتفت إليه ابن الأغلب واستجهله . ثم إنه كان بينه وبين بلاد ابن الأغلب الياس بن منصور النفوسى فى العدد العظيم والجيل المانع ، فكان الأولى أن يداريه ، ويستعين به على مراده من بلاد ابن الأغلب ، ويعده ويعجل له ماتيسر من الجوائز ، بل عاجله بالمكروه ، وأخذ يرعد له ويبرق ، ويكتب له بما يوحشه وينفره ويوغر صدره ، حتى صار الياس فى جانب ابن الأغلب ، وكفاه مئونته فى محاربته . وإنه لما وجه ابن الأغلب جيشه إلى محاربة العباس صابحوا العباس ، وكان فى قلة بالنظر إلى جموعهم . فلما نظر إليهم وعلم موقعه منهم أمر أن يؤخذ جميع مافى عسكره من الجمال / والبغال وسائر الدواب ، ويجعل خلف جبل يسترها من عسكر ابن الأغلب ، وتكون على بعد ، ويركب كل دابة راجل ، ويأخذ فى يده بنداً ، وكان عنده بنود كثيرة ، وصنع من الطيالس والريط وما أشبه ذلك أعلاما ، وجعلها فى عصى بأيدى الركبان المذكورين ، ووقفوا فى الموضع الذى حد لهم وتقدم هو بعسكره فى عدة ظاهرة . فصادم جيش ابن الأغلب ، فأقبلوا عليه إقبال السيل ، واستخفوا عدده ، فأمر بضرب الطبل ، وكان أمارة لخروج أصحاب البنود الذين أعدهم خلف الجبل . فخرجوا على غفلة بأعلامهم التى ملأت آفاقهم فعندما وقعت عليهم عيون العسكر الأفريقى ظنوا أنهم جمهور العسكر ، وأن الذين قاتلوهم مقدمة لهم ، فألقوا بأيديهم وأقصروا عن طلب العباس بن طولون ، ومن انهزم معه ، ولم يصدق العباس بالنجاة منهم ، فر على وجهه / حتى تخلص مع جملة من أصحابه ، ولم يشعر العسكر الافريقى إلى تلك الحيلة إلا بعد مانجا العباس ومن خف معه من أصحابه ، فحينئذ أقبلوا على بقايا عسكره نهباً وأسراً وقتلا ، وكانت نجاته بحشاشة نفسه فى تلك المكيدة .

٥٧ ظ / ٢

٧٦ و / ٢

٧٦ ظ / ٢

قال : ومن قبائحه أنه تسكر ليلة ، وأراد التفرج فى النيل مع ندماءَ له ، فصاحوا بملاح ، واكتروا منه مركباً فلما سكر عربد ، فقال الملاح : هذا لا يليق إلا بالزط ! وما اعتدت مثل هذا فى مركبى ، فقال لغلمانه : ارموه فى النيل ، وغرقوا مركبه ! فاجتمعوا على الملاح ، ورموه على رأسه فى النيل ، وخرجوا عن المركب وغرقوه .

واتفق أن كانت أثقاله وحرمه فى سفر على جمال هلكت بالجهد وعلة دبت من بعضها إلى بعض ، فمر به تاجر من أغنياء التجار وله جمال كثيرة ، فأشفق مما رآه من / رمى أثقاله وحرمه

٧٧ و / ٢

فى الأرض ، وعرض عليه ما احتاج من جماله ، فأخذ منها قدر ما يحتاج ، وأقامت أثقال التاجر فى إحدى الضياع حتى وجد ما يحملها عليه ثم لحقه إلى مصر ، فطلب جماله ، ورجا منه ما يرجى من ملك تسلف عنده هذه اليد ، فأعلم أن جماله قد بيعت ، وخرجت أثمانها فيما ينفقه العباس ، وكتب له فى ذلك ، فأيأسه . وكانت هذه الأفعال الذميمة مناقضة لأفعال أبيه ، فذلك الذى أبعده منه .

موسى بن طولون

من كتاب القرطى : كان فى صحبة أخيه أحمد أيام تقلبه ، فلما استقر أحمد بن طولون فى مملكة مصر تبسط عليه تبسط الاخوة ، وظن أنه ممن تجوز عليهم دالة الأقارب وتبسط ذوى الأرحام وتحكمهم ، فجعل يقبض يده ، ويكسر / جاهه ، وظل موسى يظهر الانحراف عنه ، والتسخط بدولته ، وكان ينظم نظما ربما أعانه على تمامه من كان يصحبه من ذوى الآداب ، فمن ذلك قوله فى أخيه :

٧٧ ظ
٢

أخى صرت أرجوه وقد كان يرجونى ! وأصبحت أثنيه وأصبح يجفونى !
فياليته خلى سبيلى ولم يكن إلى مصر ذات الذل والجور يدعونى
ويحسبنى من دونه فى متانة وقد خلته فى كل مرتبة دونى

قال : وآل الحال بينهما إلى أن خاطبه موسى فى مجلس سلطانه بما لا تحتمله نخوة السلطان ، فأمر بضربه ، ونفاه إلى طرسوس ، وأتبعه بمال ليتزود به فقال : أنا ألأم الناس إن أخذت حق ما انتهك من جسمى بضربى ثمنا ! ولم يزل بثغر طرسوس إلى أن مات قبل أخيه رحمهما الله .

جيش بن خمارويه بن أحمد بن طولون

من كتاب القرطى : به كان يكنى أبوه أبو الجيش خمارويه . ولما ذبح خمارويه خدمه اجتمع / جنده على ابنه جيش ، ونصبوه سلطانا لما أراده الله من ذهاب الدولة الطولونية ، فاشتغل بصفع من انضم اليه من الأراذل ، وكان أحدهم يصفع الآخر فى مجلس منادمته فيثب من جلوسه إذا جاءت صفعة قوية ويصيح : هذه والله أقوى من صفعة فلان . وكان له مضحك ساقط يضع فى مخرجه فجلة ، ويجعل خروفا يرعى ورقها ، وهو يمشى على أربع ، والمجلس قد ارتج ضحكا .

٧٨ و
٢

وكان أكبر أصحاب أبيه وأرباب الدولة طغج ، فلما رأى هذا الادبار فى الدولة امتنع بالشام ، وأسقط الدعاء لبنى طولون على منابر دمشق وما حصل فى طاعته . وكان ذلك أول رسوخ دولة طغج وبنيه وملكهم بمصر وذهاب دولة بنى طولون .

ونمى الجيش أن أصحاب الدولة قد انتقدوا عليه هذه الأفعال الذميمة ، وأشفقوا من ذهاب الملك المتوارث / على يديه ، فعزموا على تقديم أحد عمين له كانا فى حبسه ، فبادر بقتلهما ، ورمى برأسيهما إلى الجند ، فدخل الناس فى السلاح ، وبادروا إلى القصر وأحاطوا به من كل جهة ، فظهر منه من الخوف والهلع أشد مما يظهر من النساء ، ونادى غلاما له : هات السيف . فقال له : السيف معلق منك ، وأنت تطلب السيف ؟! والله لقد بعد فساد دولتك من الصلاح ، فأمر به أن يضرب ثلاثين مقرعة . قال أحد العقلاء — ممن حضره فى تلك الحالة — : لقد حرت فى أى شىء أتعجب منه فى تلك الأمور المدبرة التى صدرت منه ، أمن طلبه السيف وهو مقلد به ، أم من أمره على الغلام بالعقوبة فى ذلك الحين ، أم من تحديده ثلاثين مقرعة فى عقوبته ! ! ثم إن الجند والعامة اقتحموا عليه القصر وقتلوه .

وكانت مدته نحو / تسعة أشهر ، قطعها فى تخلف وإدبار ، وقضاها بين صفع وكأس تدار وفى أمره يقول أحد شعراء ذلك العصر :

دولة طولون مضت مثلما ... تذرى هشيم الروض هوج الرياح
جيشهم قـــد غاله جيشه ... نخر ما بين الظبا والرماح
فابكِ على دولتهم مثلما ... تبكى عيون السحب ميت البطاح
كانوا حلى الأيام حتى إذا ... نادى الردى بينهم ، لا براح
ساروا إلى غاياتهم وانقضت ... أيامهم فالصون منهم مباح
جرى عليهم حكم أيامهم ... كمثل ما يقبل حكم القداح

هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون

من كتاب القرطى : لما قتل الجند جيش بن خمارويه اتفق رأى أصحاب الدولة الطولونية على أخيه هارون فى حال صباه ، وعلى كونه لم يؤنس منه رشد ، ولكن الضرورة تلجىء الى أكل الميتة / ولم تزل أحوال الدولة فى اضطراب واختلال ، وخرجت البلاد الشامية عنها ، وانحاز فيها طغج .

قال : وفى مدته فى سنة أربع وثمانين ومائتين رأى الناس ظلمة وحمرة فى السماء شديدة حتى كان الرجل ينظر إلى وجه الآخر فيراه أحمر ، فمكثوا كذلك من العصر إلى العشاء الآخرة ، وخرج الناس من منازلهم يدعون الله ويتضرعون .

قال : وكان هارون على عجزه لا يغب الحركة والمقارعة ، و بُلى بمحمد بن سليمان الكاتب ، نهض إليه من العراق فى الجيوش من قبل الخليفة المكتفى ، فكانت بينهما وقعات فنيت فيها الأموال وهلكت الرجال وسئمت الأبطال ، وآل أمره إلى أن وقعت مخاصمة وعصبية بين أصحابه ، فتقاتلوا ، فنهض هارون — وكان ذلك مما ظهر منه من التهور والخرق — فرام أن يصلح / بينهم ، فرماه بعض المغاربة برمح فقتله ، وكان ذلك فى سنة اثنتين وتسعين ومائتين .

٨٠ و
٢

شيبان بن أحمد بن طولون

من كتاب القرطى : لم يكن شيبان بن أحمد بن طولون ممن يخاف عليه توثب على الملك ، ولم يعبأ به جيش بن خمارويه بن طولون لما قتل عميه اللذين تقدم ذكرهما ، ثم انه تخرج بالفتنة ، وامتدت إليه الأعناق بعد قتل هارون ، وبادر الى أموال كان هارون قد جمعها من التجار والمعونة برسم محاربة محمد بن سليمان الكاتب الذى ولاه المكتفى عمل مصر ، فأباح للجند نهبها ، فخلا لهم تقديمه . وكان فى طى ذلك مضرة عظيمة لو تنبه لها مافعلها ، وذلك أنه أمر بنهب تلك الأموال التى جمعت بالشدائد فى مدة طويلة ، فنهبت فى ساعة واحدة / ثم إنها تقسمت من غير عدل ولا ترتيب ولا رضا . ولما تمت طلب الجند أرزاقهم المستحقة قبل الدولة فلم يجد شيبان ما يرضيهم به ، ورام جمع أموال غيرها فلم يستطع ، فاضطربت حاله ، وفسد تدبيره ، واختل عسكره ، وفر رجاله شيئا فشيئا إلى محمد بن سليمان المحارب لآل طولون . فلما أعيته الحيل ولم تكن له طاقة بالمطاولة جمع وجوها من أصحاب دولته ، وقال لهم : إنى أرى هذه الدولة قد نادى غرابها بالرحيل ، ولم يبق منها إلا قدر التقاء الجمعين ، فما ترون ؟ فقد فرغت الأموال ، وفرت الرجال ، ونفذ الاحتيال ؟ فبكى الأولياء بين يديه وقالوا : بل نصبر حتى نموت كراما ، دولة قد تأثلت وتوورثت يأتى كاتب من صنائعها يريد ذهاب رسومها بالكلية ؟ ! لا يتحدث عنا بذلك . فقال : إنما تكون الحيلة والتجلد عند تقدير المنفعة ، وأما الآن / ولا تقدير لمنفعة ، وقد تحققنا الخذلان ، فلأى شىء نلقى بأيدينا إلى التهلكة ؟ ! فقام أحد المتكلمين من أصحاب الدولة ، وأراد عتب شيبان على ما كان منه من بذل الأموال فى ساعة واحدة ، وسوء التدبير فى ذلك . فقال : على رسلك ، فذلك عين الصواب لأنى أحرزت بذلك المال حصول الملك ، ولو يوماً واحداً فكفانى من الفخر أن أكون ثابت الاسم فى صحيفة الدولة على أى حال ، وأيضا فانى تيقنت أن الدولة مدبرة ، فقلت : أهب هذه الأموال ، وأبدى من سعة الصدر والاحسان ما أن ملكت معه ، وتراجعت الدولة كان ذلك عاضداً لما أستقبله من تشييد حسن الأحدوثة ، وإن انقطع ملكى لم ينقطع

٨٠ ظ
٢

٨١ و
٢

عنى حسن المقالة ، وكنت محبباً للناس ، وربما نظروا إلىّ قبل أنفسهم فى السلامة . ولما سمعوا هذا الكلام منه قالوا : لاحياة للجسد إلا بالرأس / والرأس قد ذهب عنا ، فمالنا واللجاج ، والتمسك ؟ ! ! ونظروا من ذلك الحين فى الاستئمان إلى محمد بن سليمان على عهد ، فآمنهم ، واستولى على سلطنة مصر ، وحوى دار ملكها ، وذلك فى صفر سنة اثنتين وتسعين ومائتين .

٨١ ظ
٢

كملت دولة آل طولون

محمد بن سليمان

من كتاب القرطى : كان محمد بن سليمان من صنائع أحمد بن طولون فى ديار مضر بالرقة وغيرها ، وكان قد خدمه فى مصر ، ودرى أمورها ، وتحقق ممالكها ، وكان أحمد بن طولون قد أحقده فى نفسه وفى أقاربه ، فلم يزل يغرى ولاة الأمر فى بغداد بقصد مصر إلى أن ولى هارون بن خمارويه سلطنة مصر فسأل محمد بن سليمان أن يعان بالجيوش فى قتال [(١)] . . . .

---

(١) لا تضم المخطوطة الآن الأوراق التى تتضمن بقية الكلام على محمد بن سليمان والحديث عن سائر الولاة الذين تقلدوا حكم مصر فى الفترة الواقعة بين سقوط الدولة الطولونية وقيام الدولة الاخشيدية .

١٣٢ و
٣

الرابع

من كتاب المُغرب

فى حلى المَغرب

الذى صنفه بالموارثة فى مائة وخمس عشرة سنة ، ستة وهم :

أبو محمد الحجارى ، عبد الملك بن سعيد

أحمد بن عبد الملك ، محمد بن عبد الملك

موسى بن محمد ، على بن موسى

كتبه بخطه للخزانة العلية الجليلة الصاحبية الكمالية عمرها الله ببقاء صدر الصدور الشامية رئيس الأئمة الحنفية سيد الوزراء والأصحاب الصاحب الكبير كمال الدين أبى القاسم عمر بن أحمد ابن هبة الله بن أبى جرادة العقيلى أحيا الله بطول حياته دولة الفضائل وأبقى بدوام بقائه نجح الوسائل .

مكمل تصنيفه باعانته على بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن حلف بن سعيد بن محمد ابن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر العنسى الأندلسى .

١٣٢ظ
٣

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وآله ، أما بعد حمد الله والصلاة على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه فهذا

كتاب العيون الدعج فى حلى دولة بنى طغج [1]

اعتمدت أن أذكر فى هذا الكتاب ما تمس اليه الحاجة عند المحاضرة في دولة بنى طغج الذين توارثوا سلطنة مصر من أول ملك محمد بن طغج لها إلى أن أخذها جوهر غلام المعز الاسماعيلى منهم . والنقل فى ذلك من كتاب الحسن بن زولاق فى سيرة محمد بن طغج وغيره من الكتب التى تأتى أسماؤها مذكورة فى أماكن الاحالة عليها .

محمد بن طغج الأخشيد

من كتاب ابن زولاق : كان أبو جعفر أحمد بن يوسف بن ابراهيم الكاتب قد عمل سيرة أحمد ابن طولون / أمير مصر ، وسيرة ابنه أبى الجيش ، وانتشرتا فى الناس وقرأتهما عليه ، وحدثت بهما عنه مع غيرهما من مصنفاته . ثم عملت أنا ما فاته [2] من سيرتهما . ولما فتح الأخشيد محمد بن طغج مصر ، واحتوى على بلادها مع الشامات ، عمل له محمد بن موسى بن المأمون الهاشمى فى آخر أيام الاخشيد كتابا ترجمه بسيرة الاخشيد يتقرب به اليه . وقد تأملته ولم أجد فيه سيرة، إنما هو مدح إلى الذم أقرب ، لأنه ذكر نفقاته واقتصاده وأخلاقه ومحبته للسلم والمكافأة وقال فى أوله : ذكر ما فى كتاب الله من الدلالة على فضل الاخشيد: قال الله تعالى « وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا » [3] فنشر فى الناس بخل الاخشيد ، ثم انتزع آيات من القرآن فى الحلم والصفح والعفو ، ثم قال : وهذه صفاته، فوصفه بالجبن والهلع . فهذا جميع معنى الكتاب/ ولم يذكر أبوته ولا موضعه ولا ولاياته ولا حروبه ولا سفراته ولا أفعاله مع أعدائه ولا ما جمعه من الأموال والعبيد والكراع . ولقد حضرت أنا ابن المأمون هذا وقد سئل فى سنة اربع وثلاثين ، والاخشيد بالشام فى سفرته التى توفى فيها ، وقد طلب منه هذا الكتاب فقال لطالبه : قلت للاخشيد عند خروجه إن الناس يطلبون منى هذا الكتاب لينسخوه فادفعه اليهم ؟ فقال : لا . قد بيّن [4]

١٣٣و
٣

١٣٣ظ
٣

---

(١) هذا العنوان سماه ابن سعيد ، وهو عنوان كتابه عن الدولة الأخشيدية . وليس صحيحاً أنه لابن زولاق كما كتب بعض علماء التاريخ الاسلامى من المحدثين (الدكتور حسن ابراهيم حسن : الفاطميون فى مصر ص ٥ والمجمل فى التاريخ المصرى ص ٢٢٤ ، والدكتور على ابراهيم حسن : استخدام المصادر وطرق البحث فى التاريخ المصرى الوسيط ص ١٣٨) : وإنما الصحيح أن الكتاب لابن سعيد . وقد نقل فيه عن كتاب سيرة الأخشيد لابن زولاق وعن غيره من الكتب، كالكامل لابن الاثير، وتاريخ مصر للقرطى.

(٢) فى المخطوطة « أياما فاتته » .

(٣) سورة الفرقان آية ٦٧

(٤) تبدو هكذا فى المخطوطة . وفى طبعة تلكوست « قد تبين » . ولعلها « فديتك » .

هذا المنع من الاخشيد أنه قد عرف معنى الكتاب وأنه إلى الهجاء أقرب ، لأنه كان فطنا جيد الرأى . وكنت قد سئلت فى سنة خمسين وثلاثمائة عن أبى الحسن على بن الاخشيد أن أعمل سيرة أبيه فعملت هذه السيرة ووصلت اليه وحسن موقعها منه وأحسن عليها المكافأة وجعل ذلك جاريا فى كل سنة هو ووالدته ولم أضمن هذه السيرة إلا / ماشاهدته أوأخبرنى بهمن أثق به حسبما أمكننى . وقد كان أبو عمر محمد بن يوسف الكندى عمل أخبار أمراء مصر وختمه بوفاة الاخشيد وذكر له أخباراً يسيرة وقد أتممت أنا هذا الكتاب بسيرة أونوجور وأخيه على وكافور وأحمد ابن على بن الاخشيد والقائد جوهر إلى أن دخل المعز لدين الله عليه السلام مصر وصارت دار خلافته [١] وقد زدت فى هذه السيرة أشياء بعد على بن الاخشيد [٢] .

١٣٤ و
٣

ذكر الأخشيد

هو أبو بكر محمد بن طغج بن جف بن بلتكين بن فورى بن خاقان [٣] صاحب سرير الذهب [٤] ملك جاجاخ وهو ملك فرغانة . وتفسير طغج عبد الرحمن . وكان جف جد الاخشيد قد سار من فرغانة إلى المعتصم فأكرمه وأقام معه إلى أن توفى المعتصم فصحب ابنه الواثق إلى أن توفى ثم صحب أخاه المتوكل إلى أن توفى جف [٥] / فى الليلة التى قتل فيها المتوكل . وكان طغج سريا عطرا . وكان أحمد بن طولون قد قلده ديارمصر [٦] . ولما توفى أحمد بن طولون صار طغج مع ابنه أبى الجيش فولاه دمشق وطبرية الى أن قتل أبو الجيش وولى ابنه جيش فأقام ستة أشهر وخلط فخلع . وكان أول من خلعه طغج وبويع أخوه هرون بن أبى الجيش فولى طغج دمشق وطبرية [٧] .

١٣٤ ظ
٣

---

(١) المعروف أن ابن زولاق كتب ذيلا لكتاب الولاة للكندى أتم فيه تاريخ الدولة الأخشيدية ووصل إلى بداية الدولة الفاطمية . ولكن التذييل الذى نشر فى طبعة جست لكتاب الولاة ليس لابن زولاق وإنما هو لمؤلف مجهول . أنظر سيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ٩٨

(٢) الراجح أن النسخة التى نقلها ابن سعيد من سيرة الأخشيد لابن زولاق ليست هى النسخة التى قدمت لعلى بن الأخشيد وإنما هى النسخة التى زاد فيها ابن زولاق « أشياء بعد وفاة على بن الأخشيد » أنظر سيدة كاشف : مصر فى عصر الأخشيديين ص ٥

(٣) فى ابن خلكان (وفيات الاعيان ج ٢ ص ٥٣) « بن يلتكين بن فوران بن فورى بن خاقان » . وفى النجوم الزاهرة لأبى المحاسن « يلتكين » أوله ياء . (ج ٣ ص ٢٣٥) .

(٤) سرير الذهب إقليم من أقاليم بحر الخزر . أنظر المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ٤١ وياقوت : معجم البلدان ، مادة سرير .

(٥) فى المخطوطة « طفج » والتصويب يقتضيه السياق .

(٦) لعل المقصود أنه قلده عملا رئيسياً فى إدارتها . وذكر أبو المحاسن أنه كان من أكابر قواده (النجوم ج ٣ ص ٢٣٧) .

(٧) كان طغج من الساخطين على جيش فشق عليه عصا الطاعة فى دمشق . ولما تولى هارون بن خمارويه كان طغج يحكم الشام مستقلا عن مصر إلى حد كبير فخرج إليه بدر الحمامى قائد الجيش المصرى ومعه الحسين ابن أحمد الماذرائى وأعادا الشام إلى حظيرة الدولة الطولونية بعد أن نجحا فى الوصول إلى تسوية سلمية مع طغج بن جف وأقراه فى حكم دمشق من قبل هارون بن خمارويه . أنظر ابن الاثير : تاريخ الكامل ج ٧ ص ١٧٠ ، وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٠١ راجع أيضا ما جاء فى ابن خلكان (ج ٢ ص ٥٤) بشأن انحياز طغج إلى إسحق بن كنداج .

وكان فى أيامه ظهور صاحب الخال العلوى سنة تسعين ومائتين فتولى طغج قتاله إلى أن ظفر به وحمل إلى العراق [١] .

وكان لطغج من الولد سبعة ذكور ، الأخشيد [٢] أحدهم ، ولد ببغداد بشارع باب الكوفة للنصف من رجب سنة ثمان وستين ومائتين .

قال : حدثنى أحمد بن عبيد الله ، قال: كانت خزانة طغج للطيب تحمل فى سفره على نيف وخمسين جملا . وحدثنى بعض عدول مصر قال: رأيت الحسين بن أبى زرعة قاضى مصر/ يتطيب فاستكثرت ما رأيت ، فقال : لو رأيت طغج وهو أمير دمشق وله قبة مشبكة يتطيب فيها فاذا تطيب لم يخف على أكثر أهل دمشق بخوره لخروج القتار .

قال : ولما عظم أمر صاحب الخال على دمشق وحصاره ، كتب طغج إلى بغداد مستنجداً لأنه حاصرهم مدة طويلة فلما وردت عساكر بغداد تكاثرت فأخذ وحمل إلى بغداد .

وقال طغج : كنت بدمشق أخلف أبا الجيش بن أحمد بن طولون فجاءنى كتابه يأمرنى بالمسير إلى طرسوس وأن أقبض على راغب [٣] وأقتله . فسرت إلى طرسوس وكان شتاءً عظيما ، فما أمكن أحد أن يتلقانى ، فلقينى راغب وحده فى غلمانه ، وكان له مائتا غلام قد أشجوا العدو ، فأنزلنى وخدمنى وقضا حقى فأمسكت عنه وحضرت معه غزاة أشجا فيها العدو . فقال لى جماعة من أهل طرسوس بالله ألا ما صنت هذا / الرجل عن القتل وأحسنت اليه ؟ ففعلت وآثرت رضا الله عز وجل . وانصرفت إلى دمشق وكتبت إلى أبى الجيش أعتذر وأذكر أشياء منعتنى من القبض على راغب ، فما شعرت وأنا بدمشق حتى وافا أبو الجيش فلقيته وخدمته وجلست معه ليلة للشرب فلما تمكن منه الشراب قال لى: يا طغج أشعرت بأنه ما جاء بى إلى دمشق سواك ، فاضطربت ، فلما رآنى تغيرت قلب الحديث ، وانصرفت وأنا خائف منه وعلمت أنه يقتلنى كما قتل صافيا غلام أبيه بدمشق ، لأنه سار اليه من مصر وقتله . فقتل أبو الجيش فى تلك الليلة وكفانى الله أمره لأنى عملت مع راغب له فكفيت .

١٣٥ و
٣

١٣٥ ظ
٣

---

(١) راجع تاريخ الكامل لابن الأثير ج ٧ ص ١٨٢ — ١٨٩

(٢) ورد هذا اللفظ بالدال المهملة فى معظم المراجع التاريخية فضلا عن ابن سعيد ، مثل الولاة والقضاة للكندى وتاريخ الكامل لابن الاثير والخطط للمقريزى ، ولكن ضبطه ابن خلكان فى وفيات الاعيان وأبو المحاسن فى النجوم الزاهرة بالذال المعجمة .

(٣) اقرأ عن هذا الوالى وعلاقته بالطولونيين والعباسين : Zaky M. Hassan: Les Tulunides pp. 122, 140, 141. والمصادر العربية المذكورة فى هذا المرجع ، انظر أيضاً ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ٣٠٢

وقال أبو بكر محمد بن على المـاذرانى [1] صاحب أعمال مصر : عملت دعوة بمصر ودعوت فيها عشرة ، أحدهم طغج ، فبينا نحن فى الأكل إذ جاءنى أحد غلمانى فقال : على الباب رجل قدم من / دمشق معه هدية ، فقلت له : أنظرما هى ؟ فقال : ثلاثون كمثراة . فقلت له : إن كان حسناً فخذه وادفع اليه ثلاثين ديناراً ففعل . فلما فرغنا من الأكل قلت للغلام ، وكان المجلس قد عبّىء ، اجعل بين يدى كل رجل زبدية فيها ثلاث ، ففعل . فلما قمنا من النوم وجلسنا نظرت إلى الزبديات كلها وما فيها شىء ، فدعوت الغلام سراً وسألته . فقال : قد فعلت ما أمرتنى ، فجاء غلام آخر فقال : يامولاى ، قام مولاى أبو محمد طغج من النوم يريد الخلاء ورفع الستر ، وقال : إيش هذا كمثرى دمشقى ! هات سكيناً ياغلام ، وأكل الثلاثين ، فضحكت وقلت له : يا أبا محمد ما تحل عليك الصلاة ، أكلت كمثرى بثلاثين ديناراً فضحك وقال : هو من عملى وأنا أولى به .

١٣٦ و / ٣

قال : ولم يزل طغج على دمشق وطبرية وابنه محمد المعروف بالاخشيد يخلفه على طبرية . وكان بطبرية أبو الطيب العلوى محمد / بن حمزة بن عبيد الله بن العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس ابن على بن أبى طالب صلوات الله عليه ، وكان وجه طبرية شرفاً وملكا وقوة وعفافا فكتب الاخشيد إلى أبيه طغج يذكر له أنه ليس له أمر ولا نهى مع أبى الطيب العلوى فكتب اليه أبوه : أعز نفسك ! فأسرى عليه محمد بن طغج وأبو الطيب فى بستان له فقتله .

١٣٦ ظ / ٣

قال : ولم يزل طغج أيام أبى الجيش على دمشق وطبرية وأيام جيش وأيام هرون بن أبى الجيش إلى أن قتل هرون بالعباسة وسار محمد بن سليمان الكاتب من بغداد من قبل المكتفى ففتح مصر وخرب ديار آل طولون وجمع الأموال والنعم وسار إلى العراق بآل طولون والمـاذرائيين وعبيد ابن طولون وأصحابه . وسار طغج معه .

فلما حصل طغج ببغداد ، والوزير يومئذ العباس بن الحسن ، كان يريد الوزير من طغج إذا لقيه فى موكبه أن يترجل / له فلم يفعل فعمل فى تأليب المكتفى على طغج وأخافه منه بسبب آل طولون وحذره ، وطغج ثابت على الترفع عن النزول للعباس والترجل له فحبسه وحبس معه ابنيه الأخشيد وعبيد الله . فلم يزل طغج محبوساً إلى أن توفى فى الحبس سنة أربع وتسعين ومائتين ، ولم يشكوا فى أن العباس قتله فأطلق ابنيه الأخشيد وعبيد الله فلزما خدمة العباس يركبان بركوبه ، وينزلان بنزوله ، ويقفان بين يديه ، الى اليوم الذى عمل فيه الحسين بن حمدان على قتل العباس بن الحسن الوزير وضربه بالسيف على عاتقه [2] ، وسقط العباس فصاح الحسين بن حمدان بالأخشيد

١٣٧ و / ٣

(١) اقرأ عن الماذرائيين الفصل الذى عقد الكلام عليهم فى كتاب سيدة اسماعيل كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ٣٧ — ٥٢ وما ذكر فيه من مراجع .

(٢) راجع حوادث سنة ٢٩٦ فى الكامل لابن الاثير ج ٨ ص ٥ وانظر ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ٣٥٩

وأخيه عبيد الله : خذا بثأركما ! فتقدما فضرب العباس بسيوفهما . وهرب الحسين بن حمدان إلى ديار ربيعة ، وهرب عبيد الله ابن طغج إلى شيراز نخدم أميرها ، وهرب الأخشيد إلى الشام وقصد أبا العباس أحمد بن بسطام عامل / الشام [١] . ثم عاد عبيد الله بن طغج الى بغداد أيام المقتدر ، وخدم ، وصارت له نوبة ومرتبة يفتخر بها على أخيه الأخشيد .

١٣٧ظ
٣

وبقى الأخشيد مع ابن بسطام يخدمه ويخرج معه للصيد ويحمل له الجوارح حتى كان يقال بازيار [٢] ابن بسطام. ثم تقلد ابن بسطام مصر [٣] فسار معه الأخشيد إلى مصر . وكان معه إلى أن توفى ابن بسطام بمصر سنة سبع وتسعين [٤] ومائتين ، فصار مع ابنه أبى القاسم على بن أحمد ابن بسطام . وحضر مع تكين الخاص أمير مصر [٥] وقعة حباسة [٦] وحسن أثره فيها ، وكان مع تكين بمنزلة الولد.

وولاه تكين وهو بدمشق عمّان وجبل السراة . وكان يأكل معه وينادمه ، وإذا انصرف تكين عن مصر خرج معه الى الشام لا يفارقه .

وكان على هذه الحالة إلى أن ولاه تكين الاسكندرية فأقام بها الى مجىء القائم عليه السلام فحضر القتال أيضاً فلم يزل مقدما وهو مع هذا يخدم أبا زنبور / الحسين بن أحمد الماذرای وأبا بكر محمد بن على وأبا بكر محمد بن على المـاذرائى .

١٣٨و
٣

وملك الأخشيد فى أيام تكين دار القاضى أبى عبيد الله [٧] ومنها هرب الى دمشق . وكان يقول فى ملكه بمصر ، إذا رأى محمد بن على [٨] : كم قبلت هذه اليد مرة ! وكم وقفت بين يديه ! وكان يرعى له ذلك ويعظمه .

---

(١) كان أحمد بن بسطام عاملا على الخراج فى الشام حينئذ .

(٢) البازيار أو البازدار هو الذى يحمل على يده الطيور الجوارح المعدة للصيد ، أنظر القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٩ و L. Mercier : La Chasss et les sports chez les Arabes p. 81 et suiv, figs. 4, 5 و Zaky M. Hassan : Hunting as Practised in Arab Countries of the Middle Ages pl. 3 & 9 و E. Pauty : Bois Sculptés d'Eglises Coptes pl. 2 & 3.

(٣) تقلد ابن بسطام خراج مصر فى سنة ٢٩٦ ﻫ وتوفى فى العام التالى فخلفه على خراجها ابنه أبو القاسم على بن أحمد بن بسطام ثم عزل على فى سنة ٣٠٠ ﻫ . أنظر سيدة اسماعيل كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ٦١

(٤) فى المخطوطة « سنة سبع سبعين ومائتين » والصحيح أنها سنة سبع وتسعين ومائتين كما ذكرنا فى الهامش السابق .

(٥) مما يلفت النظر أن ابن خلكان لا يعرف شيئا عن اتصال محمد بن طغج بأسرة ابن بسطام وأنه يشير إلى الفتره الواقعة بين خروجه من بغداد واتصاله بتكين بقوله « وهرب أبو بكر إلى الشام وأقام متغربا فى البادية سنة ثم اتصل بأبى منصور تكين » .أنظر وفيات الاعيان ج ٢ ص ٥٤

(٦) كان حباسة قائد الجيش الفاطمى الذى قدم لغزو مصر سنة ٣٠٢ ﻫ . انظر سيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ٢٧

(٧) انظر سيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ٦٣

(٨) المقصود هنا أبو بكر محمد بن على المـاذرائى .

واتفق للاخشيد وهو على عمّان وجبل السراة من قبل تكين فى سنة ست وثلاثمائة أن حاج الشام وفيهم جماعة من أهل العراق وفيهم جارية شغب أم المقتدر خرجوا ، فبلغ الأخشيد أن جمعاً من لخم وجذام قعدوا لهم فجمع عسكره ولقيهم ومعه أخوه على بن طغج فهزمهم ودخل بالأسارى وبالرءوس فشكره تكين وكتب أهل العراق يشكروه فعله الى بغداد وصارت له حال هناك [1] .

ثم ورد مونس الخادم من العراق لقتال عساكر القائم ابن المهدى فخدمه الاخشيد فشكره

٣٨ ظ
٣

ثم لما وصل / مونس كان الأخشيد على الخاصة [2] ثم انصرفت عساكر المغرب وانصرف مونس الى العراق .

وتوفى أبو اليمن [3] أحمد بن صالح الأمير بالاسكندرية سنة ست عشرة ، فعنى الأخشيد بالاسكندرية بتركته فسخط تكين عليه ذلك . وهذا أحد ما أوقع الوحشة بينهما .

ثم تقلد محمد بن جعفر القرطى خراج مصر وصرفه المادرانى فاستتر عند الأخشيد [4] . ثم سار الى العراق فأخذ للاخشيد ولاية الرملة فهرب الأخشيد سرا من تكين ثم عوض من الرملة دمشق : ولما بلغ الراشدى أمير الرملة مسير الأخشيد هرب وترك داره مفروشة وأكثر نعمه فاحتوى الأخشيد على جميع ذلك . ثم جاءت ولاية دمشق للراشدى عوضا عن الرملة . ثم جاءت ولاية دمشق الى الأخشيد . ثم صرف ببشرى الخادم غلام مونس فسار فلما قرب من دمشق راسله الأخشيد ثم اصطلحا واجتمعا [5] . ثم / اختار بشرى القتال والتقيا فهزم بشرى وجىء به

١٣٩ و
٣

أسيراً الى الأخشيد فأقام أياما ثم أصبح ميتا فاتهم بسقيه سماً ثم احتوى على نعمته وحصل فى عسكره الراشدية والبشرائية والحجرية والتكينية وحصل عنده بدمشق أخوته عبيد الله والحسن والحسين وعلى بنو طغج .

---

(١) نلاحظ أن المؤرخين المسلمين يقبلون على رواية مثل هذه القصص فيما ينسجون حول سير عظماء الرجال فتصبح وكأنها « كليشهات » لا نعرف نصيبها من الصحة ومثال ذلك مايروونه عن ابن طولون فى رحلته من طرسوس الى سامرا إذ يزعمون أنه كان فى قافلة تشتمل على متاع للخليفة المستعين وان الأعراب سطوا عليها فحاربهم ابن طولون وانقذ القافلة وحفظ متاع الخليفة فأجازه ووصله بالعطايا . اقرأ قصة الاخشيد مع بعض التعديل فى تاريخ ابن خلكان ج ٢ ص ٥٤

(٢) هكذا فى المخطوطة . ولعلها المحاصة بتشديد الحاء المهملة بمعنى طائفة من الجند المختارة .

(٣) فى الولاة والقضاة للكندى (ص ٢٦٨) « أبو النمر » وفى خطط المقريزى (ج ١ ص ٣٢٧) « أبو يمن » وفى النجوم الزاهرة لابى المحاسن (ج ٣ ص ١٧٢) « أبو اليمنى » .

(٤) أنظر سيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ٤٨ و ٦٣

(٥) يبدو أن قائداً من أتباع مؤنس المظفر ، اسمه بشرى الخادم ، انتهز فرصة الفوضى التى كانت تسود بغداد فى ذلك الوقت بسبب الخلاف بين مؤنس والخليفة المقتدر فأراد أن يفتح بحد السيف إقليما ينصب نفسه حاكما عليه ويعم شطر دمشق ، ولما قرب منها فاوضه الاخشيد وتم بينهما الصلح . (انظر عريب : صلة تاريخ الطبرى ، فى تاريخ الامم والملوك للطبرى ج ١٢ ص ٧٦ — ٩٤) . ومع ذلك فان نص ابن سعيد هنا يشير الى ان بشرى ربما يكون قد حصل على تقليد من بغداد بولاية دمشق .

وكان الأخشيد قد عرف نعم المصريين من القواد والماذرائيين فحدثنى فارس بن نصر العراقى قال : كنت يوما فى دار تكين بمصر والأتراك والقواد ووجوه الدولة ينتظرون الاذن على تكين حتى دخل حاجبه عمران بن فارس ومر على الجماعة فسلم عليهم ودخل للاذن لهم على تكين فقال الجماعة : أى كبش ما أسمنه ! — يعنون عمران بن فارس — ليت شعرى من يجزره ! فقال محمد بن طغج : أنا أجزره ، فكان كذلك ، فلما حصلت مصر للاخشيد كان عمران ابن فارس بالشام فاستدعاه فاستحجبه ثم نكبه وأخذ له مالا كثيرا ورجالا وعبيدا وخيلا /

١٣٩ظ
٣

وكان الأخشيد فى أيام تكين يعاشر أولاد أبى بكر محمد بن على المادرائى ويرى نعمهم وذخائرهم ، فلما ملك مصر نكبهم وطلبهم بذلك كله حتى أنه طلب فراشا أحمر مثقلا فدفع اليه ناقصا فطلب النقصان فقيل له سرق وبيع لمن حمله الى الأندلس ، فأرسل الى الأندلس حتى اشترى له . ثم ولى تكين الأخشيد الحوفين[1] وأعمالها وكان يخرج إلى عمله فى وقت .

ولما دخل مونس الخادم خدمه الأخشيد ووقف بين يديه . وكان الأخشيد لبغضه المادرائيين قد تخصص بمحمد بن جعفر القرطى . وكان محمد بن جعفر تاجرا فى الساحل فخدم فى دار مونس عند قدومه فقلده الحسبة بمصر ثم قلده الخراج ، ثم رد المقتدر العمل الى المادرائيين واستتر محمد بن جعفر عند الأخشيد وما زال يعمل الحيلة فى أمره حتى أخرجه إلى العراق . وفى هذه السفرة عنى ابن القرطى / للاخشيد بتقليد دمشق وسفر فى ذلك أيضا صالح بن نافع وكتب الى الأخشيد يعرفه بتقليد دمشق وكان يلى الحوفين من قبل تكين . ولما أراد الأخشيد الهرب من مصر إلى دمشق قال لمحمد بن تكين : إن الصيد عندى بالحوف كثير فاستئذن الأمير فى أن أخرج أنا وأنت ، فاستئذن محمد أباه فأذن له ، فلما تأهب للخروج قال له الأخشيد : كتب إلىّ بدر من الحوفين أن جماعة قد ظهروا فى صحراء الحوف يقطعون الطريق فاخرج اليهم واكبسهم ويخلو لنا الحوف ، فقال أفعل .

١٤٠و
٣

وكانت أم الأخشيد معه بمصر ، وكان الأخشيد قد جعل عندها خمس مائة دينار وديعة ما له سواها ، وكانت أمه قد أشرفت يوما على ابنها الأخشيد وهو يأكل وعنده جماعة ، وعلى المائدة غضار وطيافير[2] قد تقشرت فاغتمت وأخرجت من الخمسمائة دينار مائتى دينار واشترت مائدة حسنة وغضارا صينيا / وطيافير جددا ، ففرح الأخشيد بذلك وشكر أمه ، ولم يدر من أين اشترت . فلما شرع الأخشيد فى الهرب قال لأمه : أين الخمس مائة الدينار ؟ فأخرجت ثلاثمائة دينار فقال لها : أين الباقى ؟ فقالت : اشتريت مائدة وصينيا وطيافير . فقال : وايش كنت أعمل

١٤٠ظ
٣

(١) كتب ياقوت فى معجم البلدان : « الحوف بمصر حوفان الشرقى والغربى وهما متصلان أول الشرقى من جهة الشام وآخر الغربى قرب دمياط » .

(٢) الغضارة : الصحفة أو الصحن الكبير من الفخار أو الخزف ، والطيافير جمع طيفور وهو الصحن القعر العميق . انظر Dozy: Supplément aux Dictionnaires Arabes vol. II. pp. 48, 215.

بهذا ! ! فأخذ الثلاثمائة وهرب واستترت أمه وسائر أسبابه ، فجاء بعض الجند إلى تكين وقال: قد هرب الأخشيد . فقال لا ، استأذنني هو ومحمد ابني ليخرجا الى الصيد ، فقيل له : قد هرب والله ، فأرسل تكين فى أثره فلحقوه فى نواحى البقارة [1] ففاتهم ، وسار الى دمشق . ثم جاءه كتاب التقليد واللواء وتمكن بدمشق .

وحدثني بعض أصحابه قال : كان للاخشيد عدة غلمان أكبرهم بدر الكبير الفحل ، وكافور من صغار غلمانه ، وكان قد جعل كافورا على وضوءه .

١٤١ و
٣

ولما صح عند تكين هربه قلق لذلك وكتب له كتابا/ يستعطفه فيه ويقول له : لو أعلمتنى لأعنتك وعضدتك ، ويقول فى فصل منه : (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ، وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِى فَعَلْتَ) [2] ، فكتب اليه الأخشيد الجواب وفيه : فهمت كتاب الأمير — أطال الله بقاءه — وما تلاه من القرآن والجواب ما أجاب به موسى الذى هو خير من الأمير ومنى (فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ) [3] .

ثم قوى أمر الأخشيد بدمشق ، وكاتب وصادر ، ولم يزل يترصد أمر تكين . ثم تقلد محمد بن جعفر القرطى خراج مصر والشام ، وقال ببغداد : أخاف أن يهرب المادرائى ، فكتب إلى تكين بأن يمسك محمد بن على المادرائى الى موافاة محمد بن جعفر القرطى ، وأنفذوا قائدا من بغداد لأن يمسكه . فبلغ محمد بن على ذلك فسأل تكين أن يأذن له فى الخروج فامتنع فأهدا اليه والى خلوب أم ولده ، جوهراً قيمته عشرون الف دينار فكلمت مولاها فأذن له ، فخرج الى/ القلزم ثم سار الى أيلة والى مدين فأقام بها . وخرج القرطى من بغداد فوقعت فى رجله علة فقطعت فمات بعانة [4] وجاء الخبر إلى محمد بن على فدخل إلى مصر أعز ما كان .

١٤١ ظ
٣

ولم يزل الأخشيد بدمشق. وولد له ابنه أبوالقاسم أونوجور فيها فى يوم عرفه سنة تسع عشرة. وخرج الأخشيد يوما للصيد بظاهر دمشق فرأى حماما فأرسل عليه الجارح فأخذه ، فاذا مع الحمام كتاب من غلام الراشدى الى بعض الدمشقيين يقول فيه : قد حصل عندك تمام ثمانين الف دينار. فانصرف الأخشيد الى داره وأحضر الرجل [5] وطالبه بالمال وأخذه منه وكتب إلى غلام الراشدى عند ذلك وهرب إلى مصر .

---

(١) لعلها البقار من أعمال الشرقية . انظر ابن الجيعان : التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ص ١٦

(٢) سورة الشعراء ، الآيتان ١٨ — ١٩

(٣) إشارة إلى ماجاء على لسان موسى عليه السلام فى القرآن الكريم ، سورة الشعراء ، آية ٢١ « ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين » .

(٤) عانة بلد على نهر الفرات بين مدينتى الرقة وهيت .

(٥) يقصد الرجل .

وقال الاخشيد يوما وهو فى مجلسه : بالشام طائر يقال له السدلى يقال إنه من دار على رأسه ثلاث دورات / وتمنى شيئاً بلغه، قال فرأيته وقد دوّم على رأسى ثلاث دورات ، فتمنيت إمارة مصر فبلغنى الله ذلك [1] .

١٤٢ و
٣

ولم يزل الاخشيد بدمشق مقيماً إلى أن توفى تكين بمصر وهو واليها لست عشرة خلت من ربيع الأول سنة إحدى وعشرين . وقد كان ورد عليه قتل جعفر المقتدر فحزن لذلك وكان عليلا وذلك فى شوال سنة عشرين وثلاثمائة . وجاءته ولاية القاهر فأعطا البيعة واستخلف ابنه محمد بن تكين، وعاش بعد المقتدر خمسة أشهر. وحمل تكين إلى الشام [2] . وجلس ابنه محمد بن تكين واقتتل هو ومحمد بن على عامل خراج مصر وأحرقت دور محمد بن على المادرائى ودور أهله ، وعظمت الفتنة. وخرج محمد بن تكين من مصر وجاءه سجل القاهر بتقليد مصر ، فمنعه محمد بن على.

١٤٢ ظ
٣

وأرسل الاخشيد من دمشق بكاتبه على بن محمد بن كلا / إلى القاهر يلتمس ولاية مصر ، فلم يفعل القاهر ذلك، وقال : قد وليت محمد بن تكين . فلم يزل الأمر على ذلك إلى أن كحل القاهر فحدثنى بعض الكتاب قال : قال لى على بن محمد بن كلا : امتنع القاهر من تقليد الاخشيد فلما كحل ركبت سراً إلى بعض كتابه وبذلت له عشرة آلاف درهم وسألته كتابا بأمر القاهر بتقليد الاخشيد فأخذ المال وكتب لى الكتاب فأنفذته فى البرية إلى الاخشيد بدمشق، فأنفذه إلى مصر [3] .

ولما اشتد الحال بين محمد بن تكين وبين محمد بن على المادرائى ، خرج محمد بن تكين الى ظاهر البلد ، فأرسل اليه محمد بن على « أخرج عن مصر ، فقد رد السلطان أمر مصر الى » . فسار محمد بن تكين فى عساكره فحاربهم بطرا [4] ، وهزمهم ، ودخل مصر ونزل دار الامارة وتمكن واستتر محمد بن على .

١٤٣ و
٣

وورد كتاب القاهر على محمد بن تكين بتقليد مصر / فقرأه على الناس . وكان عادلا فى ولايته. وتتبع أسباب محمد بن على. ثم ورد كتاب القاهر إلى الاخشيد الذى تولى كتابته على بن محمد

---

(١) وازن بين هذه القصة وقصة الكرة التى كان يقال إن من تقع فى كمه يملك مصر فوقعت فى كم عمرو بن العاص حين زار الاسكندرية فى الجاهلية . راجع ص ١٩ وانظر ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها (طبعة تورى) ص ٥٣

(٢) فى خطط المقريزى (ج ١ ص ٣٢٨) وفى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى (ج ٣ ص ٢١١) انه حمل الى بيت المقدس .

(٣) يفهم من هذا النص أن ابن كلا عمد إلى رشوة بعض كتاب الخليفة القاهر وأنه اشترى تقليداً مزوراً على القاهر بولاية مصر للاخشيد ولكن يبدو أن زعم ابن زولاق هذا بعيد عن الحقيقة التاريخية راجع سيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ٦٩ وما ذكرته من المراجع .

(٤) طرا من أعمال إطفيح ، انظر ابن الجيعان : التحفة السنية ص ١٥٠ وإطفيح إحدى بلاد مركز الصف بمديرية الجيزة الآن .

ابن كلا ، ففرح به محمد بن على المادرائى لكراهيته لمحمد بن تكين،فدعى له على المنابر وهو يومئذ بدمشق فأقام شهراً واحداً ويومين .

ثم ورد كتاب القاهر بتقليد أحمد بن كيغلغ مصر وأعمالها ، وورد الرسول بذلك لتسع خلون من شوال سنة إحدى وعشرين فتسلم له محمد بن عيسى النوشرى ، ودعى لابن كيغلغ على المنابر . وسر بذلك محمد بن على المادرائى . وزال أمر الأخشيد كأن لم يكن . وورد أحمد بن كيغلغ وظهر المادرائى وأولاده وأسبابه وأهله وعماله . وخرج محمد بن تكين عن مصر وسار إلى بلبيس .

ولما كحل القاهر وجلس الراضى ، ندب الفضل بن جعفر وزيراً لكشف مصر والشام ، فوصل سجل عن الراضى أن الأمر اليه / فى تدبير كل ما يكون بالشامات ومصر . فحدثنى ابنه جعفر بن الفضل الوزير قال : كان الوزير ببغداد محمد بن على بن مقلة ، فشرط أبى عليه وعلى الراضى أن الأمر اليه لأن الشاهد يرى مالا يرى الغائب فأجيب إلى ذلك ، وسار ، وآل الأمر إلى أن قلد الراضى مصر محمد بن تكين وقال : هذا أبوه غلام أبى وجدى ، فسار إلى مصر وقاتل وخرج اليه أحمد بن كيغلغ فقاتله ، فانهزم ابن تكين ، وأخذ أسيرا ودخل به الى مصر ونفى إلى أخميم .

١٤٣ظ
٣

وتصاهر محمد بن طغج الاخشيد مع الفضل بن جعفر الوزير بأن زوج الأخشيد ابنته من ابنه جعفر بن الفضل ، وكتب الفضل بن جعفر للاخشيد بتقليد مصر ، استناداً إلى شرطه فى قوله يرى الشاهد مالا يرى الغائب . وسار رسول محمد بن تكين إلى دمشق فأخذ منه محمد بن طغج كتاب تقليد محمد بن تكين فقال إنه محا « تكين » وكتب « طغج » فحصل له / عهدان ، عهد كتبه له الفضل بن جعفر ، والعهد الذى كتبه الراضى لمحمد بن تكين [(١)] .

١٤٤و
٣

ولما حصل للاخشيد التقليد ، أرسل إلى محمد بن على المادرائى فلم يجد فيه حيلة ، وقلد الفضل بن جعفر أحمد بن نصر الخراج بمصر ، وقلد جماعة أمورا بمصر . فأرسل أحمد بن كيغلغ إلى العريش فمنعهم من الدخول إلى مصر ورجعوا الى الشام . ثم تجهز الأخشيد وجمع العساكر وجمع الأمراء والقواد وسار يريد مصر ، فجمع محمد بن على المادرائى العساكر وجمع المغاربة .

وكان الراضى قد كتب الى محمد بن على باقرار أحمد بن كيغلغ لأنه كتب يشكره ، وكان فى كتاب الراضى إلى محمد بن على المادرائى : « إن الأمر يصير اليك فتقلد من شئت وتصرف من شئت » فقرأه على الناس ، فوجه رسلا إلى الأخشيد وأعطاهم نسخة كتاب الراضى اليه بأن أمر مصر

---

(١) أثار ابن زولاق الشك فى صحة التقليد الذى حصل عليه محمد بن طغج فى ولايته الاولى ويضيف هنا ان التقليد الخليفى الذى ادعاه لنفسه فى ولايته الثانيه كان مزوراً أيضاً . أنظر التعليق على هذا فى كتاب مصر فى عصر الأخشيديين ص ٧٠ — ٧١

١٤٤ظ
٣

إليه يولى من يشاء ويصرف من يشاء / فقرأه على الناس كما قد ذكر . ثم أخرج فى أثرهم العساكر ، وخرج أحمد بن كيغلغ ، وخرج حبشى [١] فى المغاربة ، فكان يقال إن العسكر ثلاثون الفاً قد سد من الجبل الى البحر .

وحدثنى الحسين بن أحمد قال : قال لى أبى لما عمل الفضل بن جعفر الوزير فى أمر الأخشيد والتعصب معه ما عمله ، وقرب من دمشق ، دعانى الأخشيد وهو بدمشق فقال لى : سر الساعة إلى الوزير الفضل بن جعفر سرا فسله المسير الى سرا فى أخفى ما يكون ، فسرت إلى الفضل ابن جعفر وأخبرته ، فسار معى سرا فلما دخلنا دمشق كما يدخل التجار نزل فى موضع وجئت إلى الأخشيد ليلا وهو نائم فى كلته فأيقظته فقال : أيش معك ؟ قلت الفضل بن جعفر فقام فتوضأ وصلى وأخذ عكازا بيده ، ومشى معى بغير شمعة ولا ضوء ، وكان يمشى فى ضوء سرج الحراس/ حتى جاء الى الفضل بن جعفر واجتمعا وخليا واتفقا على ما أرادا ، ثم انصرف الأخشيد إلى داره [٢] . فقلت للاخشيد : إيش يُحمل الى الرجل ، فما أكل اليوم شيئا ؟ فما وجد إلا دجاجتين ولوزا أخضر وسكرا ، فأخذته ، وجئت به الى الفضل بن جعفر ، فقال: ايش معك ؟ فأعلمته فقال : اكسر ، فأقبلت أكسر وأطعمه ، حتى رجع الى موضعه .

١٤٥و
٣

ووصلت رسل الاخشيد فى المراكب مع ابن كلملم الى الفسطاط ، ونزلوا الجزيرة [٣] . وحصل الفضل بن جعفر بالرملة ، وحصل الاخشيد على باب مصر . وكان رسل الماذرائى قد وصلوا الى الاخشيد وهو بالفرما . فلما قرأ الكتاب الواصل من الراضى الى الماذرائى قال لهم : سيروا الى الوزير الفضل بن جعفر وأقرأوا عليه الكتاب فلما وصلوا الى الرملة قيدهم الوزير . ثم أنفذ الاخشيد عساكر فى البر والبحر ، فصبّح ابن كلملم فى/ المشاريات [٤] الفسطاط . ووجه الماذرائى اليهم من قاتلهم فهزم أصحاب الماذرائى ، وأقامت مراكب الاخشيد فى الجزيرة أياما ، ثم رجعت الى أسفل الأرض [٥] فأمر الماذرائى أن تشحن الجزيرة بالسلاح والرجال ، فأقام أصحاب الاخشيد خمسة أيام ثم طلعوا حتى قطعوا الجسر ونزلوا بالجزيرة واحتووا على ما فيها

١٤٥ظ
٣

---

(١) كان حبشى بن أحمد قائد الجند المغاربة فى مصر . انظر المرجع السابق ص٧٢

(٢) انظر تعليقنا على هذا الاجتماع فى المرجع السابق ص ٧٢ و ٧٤ و ٧٥

(٣) الجزيرة هنا هى جزيرة الروضة .

(٤) المشاريات جمع عشارى وهى نوع من المراكب كان يسمى فى عصر المماليك الحراقة . والظاهر انه كان للملاحة النيلية اوكان صغير الحجم . انظر وصفها فى رحلة عبد اللطيف البغدادى فى مصر ص ٥٤ (فصل فيما شاهد فيها من غرائب الأبنية والسفن) وراجع القلقشندى . صبح الأعشى ج ٣ ص ٥١٧ ، ومادة « سفينة » فى ملحق دائرة المعارف الاسلامية و Aly Mohamed Fahmy : Muslim Ses-Power in the Eastern Mediterranean from the seventh to the tenth Gentury pp. 150-152.

(٥) أسفل الأرض أى مصر السفلى أو الوجه البحرى .

من رجال وكراع [1] وسلاح وعدة . وجعل محمد بن على الماذرائى مراكبه حذاءهم ، وأرسل بالعساكر إلى باب المدينة فاصطف المغاربة والمصريون وأخلاط الناس .

ونزل الاخشيد المنية ، وأرسل الى أحمد بن كيغلغ ، وقال له : هذا كتاب الراضى بتقليدى فان سلمت وإلا انصرفت بعد أن آخذ خطك وأشهد عليك بمنعك إياى ، وأسير إلى حضرة السلطان [2] . وكان ابن كيغلغ متوفراً على طاعة قد عرفها من شجاعة فيه ، وكان قد ثقل / عليه أمر محمد بن على الماذرائى وأمر أولاده ، وأنه ليس له معهم أمر ولا نهى فقال له : أنا أسلم اليك . فأخذ بيد الحسين بن محمد الماذرائى فسلمه اليه وانحاز . ودخلت عساكر الأخشيد يوم الأربعاء لتسع بقين من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، فشقوا المدينة بعد الظهر الى النيل ولوحوا لمن فى الجزيرة ، فساروا اليهم فى مراكبهم . واستتر محمد بن على الماذرائى وهرب حبشى رئيس المغاربة وغيره الى نواحى الفيوم وانبثت العساكر بالفسطاط ينهبون بقية يوم الأربعاء ويوم الخميس الى أن نودى بأن من نهب قتل .

١٤٦ و
٣

ثم دخل الأخشيد الى دار الأمارة ، وكان قد استأمن اليه قبل ذلك خلق من المصريين ، فدخلوا الى دورهم وأطمأنوا . وسمعت بعض الشيوخ المصريين من أهل التنجيم يقولون إن الأخشيد دخل الى مصر بالطالع الذى دخل به أحمد بن طولون / واتفقا فى اليوم وهو يوم الأربعاء لسبع [3] بقين من شهر رمضان .

١٤٦ ظ
٣

فلما كان يوم الجمعة وهو ثالث دخول الأخشيد ركب الأخشيد الى الجامع العتيق لصلاة الجمعة ، وعسكره بالسواد والسلاح ، وسار بين يديه جماعة من ورد معه من الأمراء والقواد وجماعة الموافقة والمعتضدية والحجرية بالسواد . وكان خلفه أخوه عبيد الله بالسواد والسيف والمنطقة لأن لم يرض أن يسير بين يديه كأحد الحجاب . وكان الأخشيد قد أنفذ ابن كلثم

---

(١) الكراع الخيل والبغال والحمير .

(٢) من النادر أن يشار إلى الخليفة العباسى بلقب السلطان . راجع عن هذا اللقب مقال الاستاذ كرامرز فى مادة « سلطان » من دائرة المعارف الاسلامية . وهو مقال طيب على الرغم مما فيه من أخطاء مثل وصف الموفق بالخلافة . وأنظر متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ٢٨ ؛ وراجع أيضاً Van Berchem : Corpus Inscriptionum Arabicarum, Egypte I pp. 299, 300,727.

(٣) فى الصفحة ذاتها ذكر ابن زولاق أن الأخشيد دخل مصر يوم الأربعاء لتسع بقين من شهر رمضان سنة ٣٢٣ هـ . ويظهر أن الصحيح لسبع كما ورد فى النص الذى نحن بصدده ذلك لأن فى الحساب الفلكى يوم الأربعاء يوافق ٢٣ رمضان . ويذكر المقريزى فى الخطط ج ١ ص ٣٢٠ أن الأخشيد قابل ابن كيغلغ لسبع بقين من شهر رمضان وأنه دخل مصر لست بقين منه . أما أبو المحاسن (النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥١) فيذكر أن الأخشيد دخل مصر فى يوم الخميس لست بقين من شهر رمضان .

فى المراكب الحربية الى الفيوم لقتال الهاربين ودخل بالمراكب الى الفيوم فى الخليج وأراد أن تدور فلم تدر لضيق الخليج ، فكبس وأخذوه أسيراً وأقام معهم أياما ثم ضربوا عنقه صبراً[1] ، وأخذوا مراكبه بما فيها[2] . وبلغ الأخشيد قتله فلم يظهر عليه غم لأنه استراح منه ومن اعتداده عليه بأنه أخذ له مصر / وكان ابن كلملم كاتبا خبريا .

١٤٧ و
٣

فلما كان يوم ثمان وعشرين من شهر رمضان ركب الاخشيد بعد عتمة الى الجامع العتيق لحضر الختم فى الجامع وكان بين يديه غلمانه وأصحابه وأمامه نحو مائة شمعة .

ثم سار الهاربون فى المراكب التى أخذوها من ابن كلملم فصبحوا بها الفسطاط مستهل ذى القعدة ، ونزلوا على الصناعة وكانت يومئذ بالجزيرة وأحرقوا المراكب التى فى الصناعة وركب الاخشيد فوقف حذاءهم عند دار بنت الفتح وهو لا يقدر عليهم ، ثم انحدروا الى الاسكندرية ، فقال الاخشيد : الصناعة ها هنا خطأ ، ثم قال : اعملوا ها هنا صناعة ، فعملت دار بنت الفتح بن خاقان وهى الصناعة اليوم . ولما عاد الاخشيد الى داره تحدث مع جلسائه بما عمله الهاربون ، ثم قال أذكر أنى كنت آكل مع أبى منصور تكين حتى جرا / ذكر الصناعة فقال تكين صناعة يكون بيننا وبينها بحر خطأ . فأشارت الجماعة بنقلها ، فقال : الى أى موضع ؟ فأردت أن أشير عليه بدار ابنة الفتح ، ثم سكتُّ وقلت : أدع هذا الرأى لنفسى إذا ملكت مصر ، فبلغت ذلك والحمد لله .

١٤٧ ظ
٣

وحدثنى الحسين بن أحمد بن أريخا قال : قال لى أبى : لما أخذ الاخشيد دار ابنة الفتح كان يتردد اليها حتى عمرت ، وابتدأوا بانشاء المراكب فيها ، وكان الاخشيد على دابته يوما فى هذه الدار حتى صاحت به امرأة صيحة فقال خذوها ، فلما أمسى قال : أحضروا المرأة ، فأحضرت فقالت ارسل معى من يحمل ، فأرسل معها بجماعة فمضت بهم الى دار بنت الفتح فحملوا من المال العين والورق والحلى والثياب وأصناف الذخائر ما لم ير مثله فمضوا به الى الاخشيد ، وطُلبت المرأة ليكافئها فلم توجد / فكان هذا أول ما وصل الى الاخشيد بمصر .

١٤٨ و
٣

ثم قال الاخشيد لصالح بن نافع كان فى نفسى لما ملكت مصر أجعل الصناعة فى دار بنت الفتح وأجعل موضع الصناعة بستانا وأسميه المختار ، فاركب وخط لى بستانا ودارا وقدروا لى النفقة . فركب صالح بن نافع وغيره وخطوا له بستانا وجعلوا فيه دارا للغلمان ودارا للنوبة ، وخزائن كسوة ، وخزائن طعام ، ولم يدعوا شيئا إلا جعلوه فيه ، ثم صوروه فى رقعة وجاءوا به اليه فاستحسنه ، وقال لصالح : كم قدرتم النفقة ؟ فقال بثلاثين الف دينار . قال أنا انفق فى بستان متنزه ثلاثين الف دينار !! أريد شيئا خفيف المونة متاع يومه . فعاد صالح وقدر خمسة آلاف دينار وعاد اليه ، فقال : هذا نعم ، والله لا أنفقت عليه الا من عندكم ! فأخذ صالح درجا وكتب

(١) انظر الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٨٧

(٢) انظر خطط المقريزى ج ٢ ص ١٨١ و ١٩٧

١٤٨ظ
٣

فيه : صالح بن نافع ثلاثمائة دينار ، أبو على خير / خمس مائة دينار ، أبو بكر بن كلا خمس مائة دينار ، أبو جعفر بن المنفق خمس مائة دينار ، حتى قسط ستة آلاف دينار . واشتغل بابتنائه زقازق وابن أبى الرداد . وجعله الاخشيد متنزها له وكان يفاخر به أهل العراق .

ولما وصل حبشى والجماعة الذين هربوا معه إلى الاسكندرية كتبوا إلى المغرب للقائم بأمر الله ، يسألونه إنقاذ العساكر ووعدوه بأخذ مصر . فأرسل الاخشيد أخاه عبيد الله إلى الجيزة ثم سار إلى الاسكندرية يطلب قتال حبشى ومن معه فأقام أياما بالاسكندريه فوجدهم قد مضوا إلى رمادة [1] وحصلوا فى أعمال القائم ، ثم كتبوا إلى القائم فوعدهم بانفاذ العساكر ، فبينا هم على ذلك إذ مرض حبشى ومات حسرة على ما خلفه بمصر .

١٤٩و
٣

ثم دخل الوزير الفضل بن جعفر إلى مصر وقد ملكها الاخشيد فتلقاه الاخشيد / وخلع عليه عند باب المدينة خلعاً سلطانية وزينت لها المدينة ، ونصب لها على جوسق ابن الخلاطى فرس من خشب ينحدر ويصعد وابن الخلاطى راكب عليه وأكثر الناس ينظر اليه . وكان الاخشيد يسير والوزير الفضل إلى جانبه فلما قربا من الحمام انحدر ابن الخلاطى على الفرس كالبرق وفى يده حمام مضمخ بالمسك وماء الورد فأطلقه فى وجوههما فاستحسنا ذلك ، وسارا ونزل الاخشيد دار الامارة وسار الفضل بن جعفر الوزير إلى دار ابن الجصاص .

وأقام محمد بن على مستتراً لا يتعرضه الاخشيد إلى أن وافى الفضل بن جعفر الوزير ، ثم كشفا عن أمره وأين هو ، فعرفا أنه فى الدار التى كانت لاسحق بن نصير العبادى كاتب أبى الجيش ، فركب الاخشيد والفضل بن جعفر إلى الدار ووقفا على الباب ، وأرسلا بالخدم ، فلما علما بحصوله ، مضى الفضل بن جعفر إلى داره ، ووقف / الاخشيد حتى أخرج ومضى به إلى الفضل بن جعفر فأدخل اليه ، ودخل الاخشيد ، وقد نصبت له مرتبة ، والفضل بن جعفر فى مرتبته ، وأدخل محمد بن على الماذرائى فنظر إلى السرير وتأمل الفضل بن جعفر والاخشيد فصعد وجلس بالقرب من الاخشيد فقال له الفضل بن جعفر : ايش خبرك يا با بكر ؟ قال : بخير أيد الله الوزير . فقال له : إيش هذه الوحشة أنت تعلم أن أمر الحج قد أزف ونريد ما نجهز به الحج . قال : ما عندى إلا نحو خمسة آلاف دينار . فقال : أنت أردت تضرب وجه السلطان بالسيف وتمنع خلفاءه وما تصل إلا إلى خمسة آلاف دينار ! ثم صاح الفضل بن جعفر بغلامه شادن : خذه اليك . وانصرف الاخشيد وتركه عند الفضل .

١٤٩ظ
٣

ثم أرسل الاخشيد إلى الصعيد فأحضر محمد بن تكين من اخميم وأنزله فى دار وأكرمه وقال له : نحضر اليك محمد بن على الماذرائى ونجمع بينك وبينه / فاشف صدرك منه وطالبه بما شئت ، فقال : ما بينى وبينه معاملة ، ولا لى قبله حق ولا مطالبة . وكافأه محمد بن تكين

١٥٠و
٣

(١) الرمادة بلدة قريبة من البحر بين برقة والاسكندرية .

بأحسن مكافأة ولم يؤاخذه بما عمل فى أمره من منعه مصر ورد ولايته التى وردت وجمع العساكر لمحاربته وأن أرسل اليه لا تجاورنى حتى أحوجه للخروج إلى الشام .

وأراد الفضل بن جعفر أن يقيم رجلا يناظر [1] محمد بن على ويطالبه بالأموال فما وجد أحدا يجيب إلى ذلك إلا الحسين بن على الرقى . وكان متضمناً لاموال كثيرة وتعرض لطلب الخراج أيام تكين فقبض عليه تكين وعذبه رضاً لمحمد بن على ، ثم نفاه . فلما مات تكين عاد الرقى ودخل على الماذرائى فاعتذر اليه وذكر أن ما له فى أمره شي ووعده بالصلة والرزق ووصله بألف دينار وقال : له خذ ضيعة أضع عنك من خراجها سبعة آلاف دينار . فخرج الرقى الى دمشق إلى / الاخشيد وقدم مع الفضل بن جعفر حين قدم إلى مصر . فلما عرض على الرقى مناظرة محمد بن على أجاب إلى ذلك ، ونصبت له مرتبة فى دار الامارة ، وأمر أن يخرج اليه محمد بن على فى جبة صوف مكشوف الرأس حافيا ففعل ذلك . فلما أخرج اليه فرآه عرف المكروه فقال : أريد الوضوء . فدخل إلى الخلاء ، وكتب منه رقعة إلى الاخشيد يعرفه ما عمل به وأنه إنما يطلب منه التشفى ، وأن وديعة عند ابن الطحاوى الفقيه مبلغها خمسون الف دينار يرسل الأمير يأخذها لنفسه هدية ويمنع مني ، فأرسل من ساعته بغلامه بدر الكبير فأخذ محمد بن على من الخلاء وانصرف به ومنع منه . وشرط على الفضل بن جعفر أن يكون مكرما ويحاسب ويؤخذ منه ما يوجد عليه . فضمن الفضل بن جعفر ذلك ، وقبضت ضياعه بالشام وأكثر ضياعه / بمصر ودخل الاخشيد وارتفاع خراج ضياع محمد بن على أربع مائة الف دينار ، وصودر أولاده وحاشيته ، ولم يعرض لجاريته . وكان رسم الاخشيد ألا يتعرض للحرم .

١٥٠ ظ / ٣

١٥١ و / ٣

وحدثنى محمد بن الحسين قال : قال لى أبى : كنت عند الحسن بن على الرقى وهو مشغول القلب فسألته عن شغل قلبه فقال : كنت الساعة عند الأمير الاخشيد وحدى فضاحكته وحادثته فلما رأيت طيب نفسه قلت له : تنشط الساعة لمائتى الف دينار بعشرين صفعة ؟ فقال ممن ؟ فقلت له الساعة ركبت وجارية محمد بن على فى الشباك جالسة وجواريها قيام بالمذاب ، ومولاها فى يدك ، فدعنى أركب آخذها . قال : فانقلبت عيناه وكان أزرق ، قال : أبا القاسم تعرضنى للحرم ! لا والله لا عملت هذا أبدا ! وانصرفت نادما على ما كان منى .

(١) كان قوام المناظرة فى العصر العباسى أن يتولى بعض خصوم الوزراء أو الموظفين المعزولين مساجلتهم بالحجج فى مجلس يعقد لهذا الغرض لاثبات ما يوجه إليهم من تهم واختلاسات وإرغامهم على أن يدفعوا لبيت المال ما أخذوه من أموال الدولة . راجع هلال الصابى : تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ص ٣٦ و ٥٧ و ٧٧ و ٩٠ و ٢١٣ و ٢٣٦ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٦٢ و ٢٨٩ ، وراجع أيضا : Dozy : Supplément aux Dictionnaires Arabes II p. 685.

١٥١ظ
٣

وكانت ولاية مصر على قسمين : والى الحرب والصلاة/، وآخر للخراج وتدبير الأموال. فلما حصل الاخشيد بمصر جمع الولايتين كما عمل أحمد بن طولون. وكان تدبير الأموال والاستخراج فى دار الفضل بن جعفر، وتدبير الحرب والرجال فى دار الاخشيد.

وحكى أن محمد بن على الماذرائى لما كتب إلى الاخشيد يشكو ما جرى عليه وبذل له الوديعة التى كانت عند ابن الطحاوى وحصل المال إلى الاخشيد وأخذه من أيديهم، أرسل الاخشيد إلى الماذرائى : أنت عملت هذا بنفسك! كتبت اليك من الشام حين مات تكين دعنى أسر اليك فى خيل جريدة وأخدمك وأتصرف بأمرك، فأبيت على! ثم قلدنى السلطان فأرسلت اليك دعنى أسير فى غلمانى إلى مصر وتكون أنت على رسمك فأبيت على، وأحوجتنى أن جمعت عساكر العراق والشام وألزمت نفسى مؤنة، ثم أرسلت اليك أنا أعفيك من الفضل بن جعفر وأرده/

١٥٢و
٣

إلى العراق فدبر أمرى، فأبيت، فلما فتحت مصراستترت منى وكنت أعرف موضعك فلم أتعرض لك وأرسلت اليك أرسل إلى بشىء اتسع به، فأرسلت إلى عشرة آلاف دينار! فلما جاءت الرساله إلى محمد بن على، صاح وقال : كل ما قاله صحيح إلا هذا!! أرسلت اليه مائة ألف دينار ولابن كلا عشرة آلاف دينار. فلما جاء الجواب إلى الاخشيد أعظمه وقال : أرسلوا خلف بن كلا، فلما جاء قال : ويحك! يرسل الىّ محمد بن على مائة ألف دينار ولك عشرة آلاف، تعطينى عشرة آلاف وتأخذ مائة ألف دينار! فقال : ما أبرد هذا! إنما خبأتها وهى عندى، وإنما أردت أن أحملها لك فى مهم يطرأ : فقال، جئنى بها، فحملها اليه[1].

وكان الأخشيد معظما لمحمد بن على، عارفاً بحقه، ولما فرغ الفضل بن جعفر من تدبير البلد وتقرير الأموال وكشف الضياع، وضياع الماذرائيين، أخذ فى المسير إلى الشام، وأخرج الأخشيد/معه محمد بن على الماذرائى موكلا به، وخرج الأخشيد لتشييع الوزير الفضل بن جعفر ولم يتأخر أحد عن تشييعه. وتولى الأخشيد أمور مصر فى الأموال والرجال[2].

١٥٢ظ
٣

وكان يواكل الأخشيد جماعة، منهم عدنان بن أحمد بن طولون وابن أخيه قيس بن العباس ابن أحمد بن طولون وغيرهما، وكان يحادثه ويسامره سعيد الشاعر المعروف بقاضى البقر.

ولما دخل شهر رمضان أطلق النفقات للمسجد الجامع وأمر بعمارة المساجد بالجص والبياض والخلوق والمصابيح والأئمة. ثم أمر بالتأهب للعرض ليلة الفطر على رسم أحمد بن طولون وما كان يفعله تكين، فتأهب الناس واشتروا وأكثروا، وكان القواد التكينية على غاية الرفعة. ولما كان آخر شهر رمضان ركب الأخشيد بعد عشية فحضر ختم الجامع وصلى وأوتر

(١) انظر خطط المقريزى ج ١ ص ٩٩

(٢) انظر المرجع نفسه ج ٢ ص ١٥٦

١٥٣ و
٣

وهو فى وجوه عبيده فى دراعة [١] بياض وبين يديه / خمس مائة غلام بالدبابيس [٢] والمستوفيات [٣] وبين يديه الشمع والمشاعل ، وقيل كان بين يديه مائة فراش بمائة شمعة . ثم أصبح الناس للعرض وجلس فى المنظرة التى على باب دار الامارة ومرت العساكر . فلما انفض العسكر ركب غلمانه فى أحسن زى بالتجافيف [٤] والجواشن [٥] والدروع فلم يفرغوا إلى العشاء . ثم أصبح فركب لصلاة العيد ، فصلى به عمر بن الحسن العباسى وخطب به وانصرف ، ونصب السماط فأكل الناس وحملوا .

ثم قبض على بار شكور وصادره [٦] على مائتى ألف دينار وأخذ جميع غلمانه بسلاحهم ودوابهم وثيابهم . ثم قبض على عمران بن فارس فصادره وأخذ غلمانه بدوابهم وثيابهم وكانوا كلهم بين يديه .

١٥٣ ظ
٣

وكان للأخشيد غلمان كثيرة وأتباع وكان وجوههم بدر الكبير وشادن الصقلبى ومنجح الصقلبى وكافور / الأسود وفاتك الفحل ، وبشرى وغيرهم . ولما قبض على عمران بن فارس جعل مكانه فى حجبته غلامه فاتك الرومى .

ثم ثار بالأخشيد طرف سوداء فحجب عن الناس وأرجف به وقيل إنها كانت تعتاده فيخلط [٧] . وكتب جماعة إلى العراق يلتمسون أمارة مصر فلم يزل فى هذه العلة يرجف به ، حتى ظهر للناس فى يوم جمعة ، وأذن للناس فى صلاة الجمعة فى دار الامارة ، ووقف فى مستشرف بالصخر الكبير حتى رآه الناس ، ثم أفاق ، وبلغه خبر الذين كتبوا فى ولاية مصر [٨] وكان منهم

---

(١) الدراعة : جبة مشقوقة المقدم . راجع Dozy : Dictionnaire des noms des vêtements pp. 171-181 .

(٢) الدبوس : عصا من خشب أو حديد فى رأسها كالكرة . أنظر القلقشندى : صبح الأعشى ج ٢ ص ١٣٥

(٣) الراجح أنها ضرب من العصى الخشبية السميكة .

(٤) جمع تجفاف وهى آلة الحرب يلبسها الفارس ويتقى بها كأنها درع ، وترادف كلمة البركستوان أو البركصطوان التى استعملت عند المماليك . راجع زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ٥٦ ، وأساس البلاغة للزمخشرى مادة « جفف » والمعرب للجواليقى ص ٩١ و Dozy: Supplément aux Dictionnairea Arabes t. I. p. 200 و Wiet ; Notes d' Epigraphie Syro musulmane (dans Syria t. 7. p. 172)

(٥) الجواشن : الدروع .

(٦) راجع فى المصادرة متن الحضارة الاسلامية ج ١ ص ١٣ و ١٦٢ و ١٧٠ و ١٩١ — ١٩٥ و ٢٠٤ وما ذكر من المراجع مختلفة ، ولا سيما تاريخ الوزراء للصابى ، وراجع ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٠٩ وسيدة اسماعيل كاشف مصر فى عهد الاخشيديين ص ٣٤٤

(٧) راجع التعليق على ذلك فى سيدة اسماعيل كاشف : عصر فى مصر الأخشيديين ص ١١١ — ١١٢

(٨) أنظر تعليقاً على هذا فى سيدة اسماعيل كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ٩٢

غلامه شادن الصقلبي وكان شجاعا يقرأ ويكتب ، ومنهم يونس الحرون قائد من قواد العراق ، وكان منهم عمران بن فارس . فقيل إنه دس إلى يونس الحرون شيئاً فمات ، وقبض على عمران ابن فارس وقبض / على من اتهمه من غلمانه .

١٥٤ و
٣

وكان أخص الناس به كاتبه محمد بن كلا . وكان كاتبه بدمشق ورسوله إلى العراق وثقته ، فقبض عليه فى آخر سنة اثنتين وعشرين [1] وصادره على ثلاثمائة الف دينار وقبض على أهله وصادرهم ، وقبض على جماعة كانوا فى داره يوم قبض عليه فصودروا ، فحلف ابن كلا أنه لا يدفع مال المصادرة أو يلقاه ويراه ، فامتنع الأخشيد من ذلك . وكان رسمه ألا يراه أحد ممن يصادره إلا بعد الرضا عنه ، فحلف ابن كلا بالطلاق ، فقال مروا به حتى أراه ويرانى فمروا به عليلا يتوكا على رجلين وكان به عرج ، فنظر إلى الأخشيد وقال : أما أنا فقد استحييت ! فأطرق الأخشيد ، وتم قبض المصادرة وأطلقه .

وانكشفت له أموال فى البلد ، منها اصطبل كان لابراهيم غلام حبشى وجد فيه مائة وخمسون الف دينار فأخذها . / وكان بمصر أبو الحسين الفرغانى وكان على الاستخراج ، فلما دخل الأخشيد إلى مصر استتر منه ثم راسله وبذل له غلمانه وما عنده من سلاح فأجابه إلى ذلك ووعده يوما بعينه يركب اليه ، وكان شيخاً حسن الهيئة واللباس . وحدثنى حمزة بن محمد الحافظ [2] قال : قال لى ابن مانة : راسلنى الأخشيد فى تسليم غلمانى والسلاح والدواب ويقنع منى بهذا ، فوعدته يوما أركب اليه فيه ، وكنت عند مسير الأخشيد إلى مصر أحضرت بناءً فعمل لى فسقية فى الخلاء وانصرف ليغدو إلى تمامها ، فلما انصرف جلست أنا وأم أولادى فرصصنا فيها مائة الف دينار وغطيناها بازار ونطع ثم طرحنا الآجر والرماد وجاء البناء ولم يعلم بما عملناه فأصلحها وبيضها فلما دخل الأخشيد وأرسلته وافق ذلك أن ابن قرماقس أحضر اليه بناءً يعمل له خلاء ، فقال له : اعمل لى فسقية / فقال له : أنا أعمل لك فسقية كما عملت لابن مانة : فركب إلى الأخشيد من ساعته وقال له : قد عرفت موضع مال ابن مانة فأرسل معه الى دارى وهى خالية فحفروا وأخذوا المال كله . فلما كان يوم الموعد جاءنى الرسول فقال اركب ، فقلت ايش أعمل بالركوب قد ذهب الذى كنت أخاف عليه ، فمضا الرسول فأخبره فضحك .

١٥٤ ظ
٣

١٥٥ و
٣

وفى شعبان توفى عفان بن سليمان البزاز أجل تاجر كان بمصر فأخذ الأخشيد من ماله فى ميراثه نحو مائة الف دينار . وفى هذا الشهر من سنة أربع وعشرين كتب الأخشيد الى الخليفة الراضى يخبره بما عمله هو والفضل بن جعفر وما وفراه وبما عملاه فى ابن محمد بن على

(١) هذا التاريخ خطأ لأن الاخشيد دخل مصر أميرا عليها سنة ٣٢٣ هـ . والراجح أن المقصود سنة اثنين وثلاثين ، كما يتبين من حديث عن مصادرة ابن كلا فى الصفحات القادمة (١٩١ و / ٣) .

(٢) انظر النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ج ٤ ص ٢٠

الماذرائى فورد رسول الراضى إلى الأخشيد بالخلع والطوق والسوارين فزينت الأسواق والشوارع بأنواع الفرش والستور والبسط وأبواب الجامع / ، وظهر الديباج والمثقل ، وركب الأخشيد إلى الجامع العتيق فصلى فيه يوم الأربعاء ومعه الوزير الفضل بن جعفر ، وعليه خلع الراضى ، وسار إلى داره ومعه الفضل بن جعفر .

١٥٥ظ
٣

ثم وصل كتاب الراضى الى الأخشيد بالجد فى قتال عساكر المغرب وإنفاذ العساكر اليهم . ووردت كتب أهل الثغر فى أمر الفداء فأمر الأخشيد بصندوق فجعل فى الجامع العتيق ليطرح الناس فيه ، فلم يطرحوا فيه شيئا فأنفذ الأخشيد بالمراكب والمال للفداء [١] .

وفى شعبان سنة خمس وعشرين نقل الأخشيد الصناعة من موضع البستان المعروف بالمختار فى الجزيرة وجعلها فى موضعها اليوم من الساحل .

وكان الأخشيد قد اختص من الأشراف بعبد الله بن طباطبا ، وبالحسن بن طاهر بن يحيى وكان لا يفارقانه ، هذا حسنى وهذا حسينى وبينهما عداوة / الرياسة والاختصاص [٢] .

١٥٦و
٣

وعاد الفضل بن جعفر الوزير من الشام إلى مصر فتلقاه الأخشيد وجميع الناس .

وسخط الأخشيد على مقبل المغنى غلام الموفق ، فحبسه ، فسأل أبو بكر الحداد الفقيه أن يشفع فيه ، فسأل فيه الأخشيد فأجابه ، وقال : أنا أرسله اليك . فلما انصرف ابن الحداد دعا الأخشيد مقبلا ، فقال له : وتربة طغج لئن خالفتنى لأردنك إلى الحبس ! قد شفع فيك ابن الحداد الفقيه ، فخذ العود وامض وغنّ له . فركب مقبل إلى ابن الحداد بالعود فدخل اليه فشكره ، وقال له : ياسيدى للملوك غيب ، وقد أمرت بأمر لا أدرى والله كيف أفعله ، ففطن ابن الحداد وقال : والله ما سمعته قط إلا فى دور الناس من السطح ! وقام مقبل وجاء إلى دار الأخشيد ، وحلف أنه حمل العود ، ولكنه وجد عند ابن الحداد أمة من العلماء والفقهاء والشهود « فخفت على نفسى » / وحكا له جواب ابن الحداد .

١٥٦ظ
٣

وفى سنة أربع وعشرين شرع الأخشيد فى إجراء الحلبة على رسم أحمد بن طولون [٣] . وكان الأخشيد لما عجز عن مصر وأخذها جمع العساكر وقبل كل من جاءه ، فجاءه قواد العراق وقواد ديار مصر ، وديار ربيعة ، وحلب والثغور ، والشامات ، وأكثرهم مؤمر ، فعظمت عليه

---

(١) راجع فى اشتراك مصر فى الفداء فى عصر الاخشيديين : سيدة اسماعيل كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ١٠٦

(٢) اقرأ عن الاشراف فى العصر الاخشيدى المرجع نفسه ص ٢٣٣ — ٢٣٦

(٣) انظر Zaky M. Hassan : Les Tulunides pp. 187,231

المؤونة وثقلت . فحدثني الفضل بن محمد قال : سمعت أحمد بن موسى الزغلمان ، وكان أحد القواد ، قال : سمعت الأخشيد غير مرة يدعو على محمد بن على الماذرائى ويقول : هو أحوجنى الى جمع العساكر ! وقد كتبت اليه غير مرة : دعنى أدخل فى غلمانى ومن معى وأنت المدبر لأمرى وأمرهم ، فما وجدت فيه حيلة ، فأرسل الىّ : مابينى وبينك الا السيف ، وقد ردّ إلىّ السلطان أمر البلد وجعل الىّ تقليد من شئت . فأهلكنى وأهلك نفسه / وأحوجنى الى هذا .

١٥٧و
―――
٣

وورد إلى الأخشيد كتاب أرمانوس [1] عظيم النصرانية يفتخر فيه وزعم أنه له المنة عليه فى خطابه ، إذ جرت عادته ألا يخاطب إلا خليفة . فقرىء الكتاب على الأخشيد فتقدم بالجواب فأجاب عنه جماعة ، فلم يختر إلا جواب ابراهيم بن عبد الله النجيرمى [2] وكان عالما بوجوه الكتابة ، ونسخة الكتاب :

« من محمد بن طغج مولى أمير المؤمنين الى ألمانوس عظيم الروم ومن يليه ، سلام بقدر ما أنتم له مستحقون ، فانا نحمد الله الذى لا إله إلا هو ، ونسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد ، فقد ترجم لنا كتابك الوارد مع نقولا واسحق رسوليك فوجدناه مفتتحاً بذكر فضيلة الرحمة ، وما نما عنا اليك وصح من شيمنا فيها إليك ، وبما نحن عليه من المعدلة وحسن السيرة فى رعايانا ، وما وصلت به هذا القول من / ذكر الفداء والتوصل إلى تخليص الأسرى إلى غير ذلك مما اشتمل عليه ، وفهمناه .

١٥٧ظ
―――
٣

فأما ما أطنبت فيه من فضيلة الرحمة فمن سديد القول الذى يليق بذوى الفضل والنبل ، ونحن ، بحمد الله ونعمه علينا ، بذلك عارفون وإليه راغبون وعليه باعثون وفيه بتوفيق الله إيانا مجتهدون وبه متواصون وعالمون وإياه نسأل التوفيق لمراشد الأمور وجوامع المصالح بمنه وقدرته .

وأما مانسبته إلى أخلاقنا من الرحمة والمعدلة فانا نرغب إلى الله جل وعلا ، الذى تفرد بكمال هذه الفضيلة ووهبها لأوليائه ، ثم أثابهم عليها ، أن يوفقنا لها ويجعلنا من أهلها وييسرنا للاجتهاد فيها والاعتصام من زيغ الهوى عنها وعزة القسوة بها ويجعل ما أودع قلوبنا من ذلك موقوفا على طاعته وموجبات [3] مرضاته حتى نكون أهلا لما وصفتنا به ، وأحق حقاً

(١) أرمانوس أو المانوس كما ورد فى المصادر العربية هو رومانوس لكابينوس Romanus Lucapenus الذى استولى على عرش بيزنطة من سنة ٩١٩ الى ٩٤٤ م ، وكان الآمر الناهى لحجب بذلك الامبراطور قسطنطين السابع بورفيروجينيتوس Constantine Prophyrogenitus الذى امتد حكمه نظريا من ٩١٢ الى ٩٥٩ م . (٣٠٠ — ٣٤٨ م) . وقد جاء هذا الكتاب فى صبح الاعشى ج ٧ ص ١١

(٢) انظر سيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ١٦٧ و ٣١١ و ٣١٨

(٣) لعلها : موجبها لمرضاته أو موجباً لمرضاته .

١٥٨ و
٣

بما دعوتنا / إليه ومن يستحق الزلفى من الله تعالى فانا فقراء إلى رحمته ، وحق لمن أنزله الله بحيث أنزلنا ، وحمله من جسيم الأمر ماحملنا ، وجمع له من سعة الممالك ماجمع لنا ، بمولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، أن يبتهل إلى الله تعالى فى معونته لذلك وتوفيقه وارتياده ، فان ذلك اليه وبيده ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

وأما ما وصفته من ارتفاع محلك عن مرتبة من هو دون الخليفة فى المكاتبة لما يقتضيه عظم ملككم وأنه الملك القديم الموهوب من الله الباقى على الدهر ، وأنك إنما خصصتنا بالمكاتبة لما تحققته من حالنا عندك ، فان ذلك لو كان حقاً وكانت منزلتنا كما ذكرته تقصر عن منزلة من تكاتبه ، وكان لك فى ترك مكاتبتنا غنم ورشد ، لكان من الأمر البين أن أحظى وأرشد

١٥٨ ظ
٣

وأولى بمن حل محلك أن يعمل بما / فيه صلاح رعيته ولا يرى وصمة ولا نقيصة ولا عيباً ، ولا يقع فى معاناة صغيرة من الأمور تعقبها كبيرة ، فان السائس الفاضل قد يركب الأخطار ويخوض الغمار ويعرض مهجته فى ماينفع رعيته . والذى تحشمته من مكاتبتنا ، إن كان كما وصفته ، فهو أمر سهل يسير لأمر عظيم خطير ، وجل نفعه وصلاحه وعائدته تخصكم ، لأن مذهبنا انتظار إحدى الحسنيين ، فمن كان منا فى أيديكم فهو على بينة من ربه وعزيمة صادقة من أمره ، وبصيرة فيما هو بسبيله ، وأن فى الأسارى من يؤثر من ضنك الأسر وشدة البأساء على نعيم الدنيا وخيرها لحسن منقلبه وحميد عاقبته ويعلم أن الله تعالى قد أعاذه من أن يفتنه ولم يعذه من أن يبتليه ، هذا إلى أوامر

١٥٩ و
٣

الانجيل الذى هو أمامكم وما توجبه عليكم عزائم سياستكم والتوصل / إلى استنقاذ أسرائكم ، ولولا أن إيضاح القول فى الصواب أولى بنا من المسامحة فى الجواب ، لأضربنا عن ذلك صفحا . إذ رأينا أن نفس السبب الذى من أجله سما إلى مكاتبة الخلفاء عليهم السلام من كاتبهم ، أو عدا عنهم إلى من حل محلنا فى دولتهم ، بل إلى من نزل عن مرتبتنا هو أنه لم يثق من منعه ، ورد ملتمسه ممن جاوره فرأى أن يقصد به الخلفاء الذين الشرف كله فى إجابتهم ، ولا عار على أحد وإن جل قدره فى ردهم . ومن وثق فى نفسه ممن جاوره وجد قصده أسهل السبيلين عليه وأدناهما إلى إرادته حسبما تقدم لها من تقدم . وكذلك كاتب من حل محلك من قصر عن محلنا ، ولم يقرب من منزلتنا ، فمالكنا عدة كان يتقلد فى سالف الدهر كل مملكة منها ملك عظيم الشأن .

فمنها ملك مصر الذى أطغا فرعون على خطر أمره حتى ادعى الالهية وافتخر على نبى الله

١٥٩ ظ
٣

موسى / بذلك ومنها ، [ملك . . . للذى . . .] [١] الاسكندر ومن خلفه من اليونانيين .

---

(١) هنا تمزيق فى المخطوطة . والظاهر كما يتضح من سياق الكلام أنه يعنى ملك الأسكندرية فى مصر وملك البطالسة الذين خلفوه فيها والذين شيدوا دولة من أعظم وأغنى دول العالم القديم .

ومنها ممالك اليمن التى كانت للتبابعة ، والأقيال العباهلة ملوك حمير ، على عظم شأنهم وكثرة عددهم.

ومنها أجناد الشام التى فيها جند حمص وكانت دارهم ودار هرقل عظيم الروم ومن قبله من عظمائها . ومنها جند دمشق على جلالته فى القديم والحديث واختيار الملوك المتقدمين له .

ومنها جند الأردن على جلالة قدره وأنه دار المسيح صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والحواريين .

ومنها جند فلسطين وهى الأرض المقدسة وبها المسجد الأقصى وكرسى النصرانية ومعتقد غيرها ومحج النصارى واليهود طرا ، ومقر داود وسليمان ومسجدهما .

ومنها مسجد ابراهيم وقبره وقبر اسحق ويعقوب ويوسف وأخوته وأزواجهم عليهم السلام ومنها مولد / المسيح وأمه وقبرها .

١٦٠ و
٣

هذا إلى ما نتقلده من أمر مكة المحفوفة بالآيات الباهرة والدلالة الظاهرة ، فانا لو لم نتقلد غيرها لـكانت بشرفها وعظم قدرها وما حوت من الفضل توفى على كل مملـكة لأنها محج آدم ومحج ابراهيم وارثه ومهاجره ومحج سائر الأنبياء وقبلتنا وقبلتهم عليهم السلام وداره وقبره ومنبت ولده ومحج العرب على مر الحقب ومحل أشرافها وذوى أخطارها على عظم شأنهم ونخامة أمرهم . وهو البيت العتيق المحرم المحجوج اليه من كل فج عميق ، الذى يعترف بفضله وقدمه أهل الشرف ، من مضى ومن خلف ، وهو البيت المعمور وله الفضل المشهور .

ومنها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم المقدسة بتربته وأنها مهبط الوحى وبيضة هذا الدين المستقيم الذى امتد ظله على البر والبحر والسهل والوعر والشرق والغرب وصحارى العرب / على بعد أطرافها وتنازح أقطارها وكثرة سكانها فى حاضرتها وباديتها ، وعظمها فى وفودها وشدتها وصدق بأسها ونجدتها وكبر أحلامها وبعد مرامها وانعقاد النصر من عند الله براياتها [1] . وإن الله تعالى أباد خضراء كسرى وشرد قيصر عن داره ومحل عزه ومجده بطائفة منها .

١٦٠ ظ
٣

هذا إلى ما تعلمه من أعمالنا وتحت أمرنا ونهينا ثلاثة كراسى من أعظم كراسيكم [2] : بيت المقدس وانطاكية والأسكندرية . مع ما إلينا من البحر وجزائره واستظهارنا بأتم العتاد .

وإذا وفيت النظر حقه علمت أن الله تعالى قد أصفانا بجل الممالك التى ينتفع الأنام بها ، وبشرف الأرض المخصوصة بالشرف كله دنيا وآخرة وتحققت أن منزلتنا بما وهبه الله

(١) راجع عن امتداد سلطان الأخشيد إلى الحجاز واليمن سيدة اسماعيل كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ٩٠ — ٩١

(٢) فى المخطوطة « كراسيهم » والتصويب عن صبح الأعشى للقلقشندى ج ٧ ص ١٤

١٦١ و
٣

لنا من ذلك فوق كل منزلة والحمد لله ولى كل نعمة . وسياستنا لهذه الممالك قريبها وبعيدها على عظمها / وسعتها بفضل الله علينا وإحسانه إلينا ومعونته لنا وتوفيقه إيانا ، كما كتبت إلينا وصح عندك من حسن السيرة ، ومما يؤلف بين قلوب سائر الطبقات من الأولياء والرعية على[1] الطاعة واجتماع الكلمة ويوسعها الأمن والدعة فى المعيشة ويكسبها المودة والمحبة .

والحمد لله رب العالمين أولا وآخراً على نعمه التى تفوت عندنا عد العادين ، واحصاء المجتهدين ، ونشر الناشرين ، وقول القائلين ، وشكر الشاكرين . ونسأله أن يجعلنا ممن تحدث بنعمته عليه شكراً لها ونشراً لما منحه الله منها وممن رضى اجتهاده فى شكرها ، وممن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وكان سعيه مشكوراً إنه حميد مجيد .

١٦١ظ
٣

وما كنت أحب أن أباهيك بشىء من أمر الدنيا ولا أتجاوز الاستيفاء لما وهبه الله لنا من شرف الدين الذى كرمه وأظهره ووعدنا فى عواقبه الغلبة الظاهرة / والقدرة القاهرة ثم الفوز الأكبر يوم الدين ، لكنك سلكت مسلكا لم يجز لى أن أعدل عنه ، وقلت قولا لم يسعنا التقصير فى جوابه ، ومع هذا فانا لم نقصد بما وصفناه من أمرنا مكاثرتك ، ولا اعتمدنا تعيين فضل لنا نعود به ، إذ نحن نكرم عن ذلك ونرى أن نكرمك عند محلك ومنزلتك وما يتصل بها من حسن سياستك ومذهبك فى الخير ومحبتك لأهله وإحسانك لمن فى يدك من أسرى المسلمين وعطفك عليهم وتجاوزك فى الاحسان اليهم جميع من تقدمك من سلفك ، ومن كان محموداً فى أمره رغب فى محبته لأن الخير أهل أن يُحب حيث كان .

١٦٢ و
٣

فإن كنت إنما توهل لمكاتبتك ومماثلتك من اتسعت مملكته وعظمت دولته وحسنت سيرته فهذه ممالك عظيمة واسعة جمة وهى أجل الممالك التى ينتفع بها الأنام وسر الأرض المخصوصة بالشرف / فان الله قد جمع لنا الشرف كله بالولاء الذى جعل لنا من مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مخصوصين بذلك إلى ما لنا بقديمنا وحديثنا وموقعنا . والحمد لله رب العالمين الذى جمع لنا ذلك بمنه وإحسانه ، ومنه نرجو حسن السعى فى ما يرضيه بلطفه . ولم ينطو عنك أمرنا فى ما اعتمدناه ، وإن [كنت[2]] تجرى فى المكاتبة على رسم من تقدمك فانك لو رجعت إلى ديوان بلدك وجدت من كان تقدمك قد كاتب من قبلك من لم يحل محلنا ولا أغنى غناءنا ، ولا ساس فى الأمور سياستنا ، ولا قلده مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ما قلدنا ولا فوض اليه ما فوض الينا . وقد كوتب أبو الجيش خمارويه ابن أحمد بن طولون ، وآخر من كوتب تكين مولى أمير المؤمنين ولم يكن تقلد سوى مصر وأعمالها .

---

(١) فى صبح الأعشى للقلقشندى ج ٧ ص ١٤ « ويجمعهم على » .
(٢) ما بين الحاصرتين زيادة يقتضيها السياق .

ونحن نحمد الله كثيراً أولا وآخراً على نعمه التى يفوت عندنا عددها عد العادين ونشر الناشرين / ولم نرد بما ذكرناه المفاخرة ، ولكننا قصدنا بما عددناه من ذلك حالات : أولها الحديث بنعمة الله علينا ، ثم الجواب عما تضمنه كتابك من ذكر المحل والمنزلة فى المكاتبة ، ولتعلم قدر ما بسطه الله لنا فى هذه الممالك . وعندنا قوة تامة على المكافأة عن جميل فعلك بالاسارى وشكر وافٍ لما توليهم وتتوخاه من مسرتهم إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة ، وفقك الله لمواهب خيرات الدنيا والآخرة والتوفيق للسداد فى الأمور كلها والتيسير لصلاح القول والعمل الذى يحبه ويرضاه ويثيب عليه ويرفع فى الدنيا والآخرة أهله بمنه ورحمته .

١٦٢ ظ
٣

وأما الملك الذى ذكرت أنه باق على الدهر لأنه موهوب لكم من الله خاصة ، فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . وإن الملك كله لله يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير . / وإن الله عز وجل نسخ ملك الملوك وجبرية الجبارين بنبوءة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله أجمعين وشفع نبوته بالإمامة وحازها إلى العترة الطاهرة من العنصر الذى منه أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، والشجرة التى منها غصنه ، وجعلها خالدة فيهم يتوارثها منهم كابر عن كابر ويلقيها ماضٍ إلى غابر حتى ينجز أمر الله ووعده ، وبهر نوره [1] وكلمته وأظهر حجته وأضاء عمود الدين بالأئمة المهتدين وقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المشركون حتى يرث الله الأرض ومن عليها واليه يرجعون . وإن أحق ملك أن يكون من عند الله وأولاه وأخلقه أن يكنفه الله بحراسته وحياطته ويحفه بعزه وأيده ويجلله بهاء السكينة فى بهجة الكرامة ويجمله بالبقاء والنجاة مالاح فجر ، وكرّ دهر ، ملك إمامة عادلة خلفت نبوة فجرت على / رسمها وسننها وارتسمت أمرها وأقامت شرائعها ودعت إلى سبلها ، مستنصرة بأيدها ، منتجزة لوعدها ، وإن يوماً واحداً من إمامة عادلة خير عند الله من عمر الدنيا تملكا وجبرية .

١٦٣ و
٣

١٦٣ ظ
٣

ونحن نسأل الله تعالى أن يديم نعمه علينا وإحسانه الينا بشرف الولاية ثم لحسن العاقبة بما وفر علينا فخره وعلاه ومجده وإحسانه إن شاء الله وبه الثقة وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وأما الفداء ورأيك فى تخليص الأسرى ، فانا وإن كنا واثقين لمن فى أيديكم باحدى الحسنيين ، وعلى بينة لهم من أمرهم وبيان من حسن العاقبة وعظم المثوبة ، عالمين بما لهم ، فان فيهم من يؤثر مكانه من ضنك الأسر وشدة البأساء على نعيم الدنيا ولذتها سكونا ، إلى ما يتحققه من حسن المنقلب وجزيل الثواب ويعلم أن الله قد أعاذه من أن يفتنه ولم / يعذه من أن يبتليه . وقد تبينا

١٦٤ و
٣

(١) فى صبح الاعشى للقلقشندى ج ٧ ص ١٦ « نصره » .

فى ذلك مع هذا الباب ما شرعه لنا الأئمة الماضون والسلف الصالحون ، فوجدنا ذلك موافقاً لما التمسته وغير خارج عما أحببته فسررنا بما يتيسر منه ، وبعثنا الكتب والرسل إلى عمالنا فى سائر أعمالنا وعزمنا عليهم فى جمع كل من قبلهم وأتباعهم بما وفر الايمان بانقاذهم وبذلنا فى ذلك كل ممكن ، وأخرنا إجابتك عن كتابك ليتقدم فعلنا قولنا وإنجازنا وعدنا ، ويوشك أن يكون قد ظهر لك من ذلك ما وقع أحسن الموقع منك إن شاء الله .

وأما ما ابدأتنا به من المواصلة واستشعرته لنا من المودة والمحبة ، فان عندنا من مقابلة ذلك ماتوجبه السياسة التى تجمعنا على اختلاف المذاهب ، وتقتضيه نسبة الشرق الذى يؤلفنا على تباين النحل ، فان ذلك من الأسباب التى تخصنا . وإياك ورأينا من تحقيق جميل ظنك بنا إيناس رسلك / وبسطهم والاستماع منهم والاصغاء إليهم والاقبال عليهم . وتلقينا انبساطك إلينا و إلطافك إيانا بالقبول الذى يحق علينا ليقع ذلك موقعه ، وزدنا فى توكيد ما اعتمدته مما حملناه رسلك فى هذا الوقت على استقلالنا إياه من طرائف بلدنا وما يطرأ من البلاد علينا ، وإن الله بعدله وحكمته أودع كل قرية صنفاً ليتشوف إليه من بعد عنه ، فيكون ذلك سبباً لعمارة الدنيا ومعائش أهلها ، ونحن نفردك بما سلمناه إلى رسولك لتقف عليه إن شاء الله .

١٦٤ ظ
٣

وأما ما أنفذته للتجارة فقد أمكنا أصحابك منه ، وأذنا لهم فى البيع وفى ابتياع ما أرادوه واختاروه ، لأنا وجدنا جميعه مما لايحظره علينا دين ولاسياسة ، وعندنا من بسطك وبسط من يرد من جهتك ، والحرص على عمارة ما بدأتنا به ورعايته ، وربّ ما غرسته أفضل ما يكون عند مثلنا لمثلك والله يعين على / ماتنويه من جميل ونعتقده من خير وهو حسبنا ونعم الوكيل .

١٦٥ و
٣

ومن ابتدأ بالجميل لزمه الجرى عليه والزيادة ولاسيما إذا كان من أهله وخليقاً به . قد ابتدأتنا بالمؤانسة والمباسطة ، وأنت حقيق بعمارة ما بيننا واعتمادنا بحوائجك وعوارفك قبلنا ، فابشر بتيسير ذلك إن شاء الله .

والحمد لله أحق ما ابتدىء به وختم بذكره وصلى الله على سيدنا محمد نبى الهدى والرحمة وعلى آله وسلم تسليما » [1] .

قال ولاعجاب ابراهيم بن عبد الله النجيرمى بما عمله فى هذا الكتاب نسخ منه نسخاً وأنفذها إلى البصرة [2] وأعمالها يفتخر بها .

---

(١) راجع التعليق على هذا الكتاب فى سيدة اسماعيل كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ٣١١ و ٣٢٧ و ٣٥٥

(٢) لعل ذلك راجع إلى أن النجيرمى ينتسب إلى نجيرم وفى الانساب للسمعانى أنها محلة بالبصرة .

وفى هذه السنة وهى سنة خمس وعشرين جهز الأخشيد المراكب الحربية للمسير إلى الثغور للفداء الذى كوتب فيه وشحنها بنصارى الروم ممن أهدى إليه ومن اشتراه وأنفذ الثياب والطيب والطعام لمن يحصل فى الفداء من المسلمين .

١٦٥ ظ
٣

وفى سنة ست وعشرين وثلاثمائة / كتب محمد بن طغج إلى الراضى يستدعى أن يلقب بالأخشيد [١] . وقال فى كتابه : وقد كنّا أمير المؤمنين جماعة ولقبهم فليبشرنى بما سألت فقال الراضى لحاجبه ذكا [٢] : مامعنى الأخشيد ؟ فسأل ، فقيل تفسيره عبد دعى به ملك الملوك . فعرف الراضى فقال لانبخل عليه بهذا ! اكتبوا له بذلك ، وكان هذا بعقب خلع أنفذها الراضى إليه ، وطوق وسوارين ، وزينت الأسواق فطاف المدينة .

وفى هذه السنة عاد أصحاب مالك والشافعى إلى القتال فى المسجد الجامع العتيق ، وكان فى الجامع للمالكيين خمس عشرة حلقة ، وللشافعيين مثلها ، ولأصحاب أبى حنيفة ثلاث حلق ، فلما زاد قتالهم أرسل الأخشيد ، ونزع حصرهم ومساندهم وأغلق الجامع ، وكان يفتح فى أوقات الصلوات ، ثم سئل الأخشيد فيهم فردهم .

١٦٦ و
٣

وفى أول سنة ست وعشرين أرسل الراضى إلى مصر يستدعي الفضل / بن جعفر للوزارة [٣] ، وأنفذ له خلعاً فامتنع أن يلبسها فحدثنى ابنه ، أبو الفضل قال : ركب الأخشيد بنفسه إليه وألزمه لبسها ، فألبسه إياها الأخشيد بيده ، ثم قام أبى فصلى ركعتين والأخشيد قائم متكىء على سيفه ، ثم تجهز للمسير فشيعه أهل مصر ورحل إلى الشام ثم سار إلى العراق . وخلف ابنه أبا الفضل بحمص ، فلما بلغ الرقة لقيته خلع الوزارة فلبسها ودخل بغداد ونظر فى الأمور ودبرها ورأى الأمور مضطربة فاستأذن الراضى فى المسير إلى الشام ومصر ليحمل الأموال ويكشف الأعمال . واستخلف عبد الله بن على بن المغربى وسار إلى الشام فتوفى بالرملة لثمان خلون من جمادى الأولى سنة سبع وعشرين . وجاء نعيه إلى الأخشيد فقلق لذلك وجلس للتعزية . وكان محمد بن على المـاذرائى عنده بالرملة فأرسل الأخشيد فحمله إلى مصر . وقد كان أقام بالرملة فى دار الفضل ابن جعفر ثلاث سنين / وثمانية أشهر ، فلما وصل إلى مصر أنزله الأخشيد معه فى داره .

١٦٦ ظ
٣

---

(١) اقرأ معنى هذا اللقب ونسبة الاخشيد إلى أمراء فرغانة فى : سيدة اسماعيل كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ٥٦ — ٥٧

(٢) فى المخطوطة « ذكى » .

(٣) يبدو أن تاريخ استدعاء الفضل بن جعفر للوزارة هنا ليس هو التاريخ الذى ذكره ابن خلكان (ج ١ ص ٤٧٢) وابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٦٠) .

ولما بلغ الراضى وفاة الفضل بن جعفر حزن لذلك ؟ وأقر الوزارة بحالها ، وكتب إلى الأخشيد يعزيه [1] بالفضل بن جعفر ويأمره بانفاذ ابنه جعفر بن الفضل إلى موضع أبيه ، فدافع الأخشيد بذلك واعتذر . وأقامت الوزارة شهرين وكتب الراضى إلى جعفر بن الفضل كتابا يستدعيه للوزارة ، وكان خليفته ببغداد عبد الله بن محمد المغربى [2] ، وخليفته على مصر محمد ابن عبد الرحمن الروذبارى ، وخلفاؤه بالشام على حالهم والكتب تنفذ باسمه كما كانت فى حياته . فلما يئس الراضى من خروج جعفر بن الفضل اليه كتب له يستخلفه على كشف أعمال الأخشيد كلها كما كان أبوه ، واستوزر أحمد بن محمد البريدى ، فحدثنى أبو الفضل جعفر بن الفضل الوزير قال : حملت كتاب الراضى ووضعته بين يدى الأخشيد ، وانصرفت / إلى محمد ابن على الماذرائى .

١٦٧ و
٣

وفى شهر رمضان من سنة سبع وعشرين ورد كتاب الراضى مع رسول يعرف بابن الشيعى يلقبه الأخشيد. وهذا أول ما لقب به فدعى بذلك على منبر الفسطاط وسائر المنابر وكتب بذلك على كتبه ، وكوتب به وعبأ الأخشيد مالا كثيراً وهدية وكراعا وبغالا وحميراً وثيابا وأنفذ ذلك إلى الراضى.

وفى ذى القعدة سنة سبع وعشرين أرجف الناس بمسير محمد بن رائق من العراق وأنه قد حصل بالرقة يريد الشامات ومصر ، وكان عبيد الله بن طغج بدمشق فأنفذ الأخشيد عمران بن فارس فى جيش كثير بسبب محمد بن رائق . ثم وصلت الأخبار بوصول محمد بن رائق الى دمشق وملكها مع ما خلفها من حمص وحلب والثغور وسائر الأعمال فقلق لذلك الأخشيد وخرج عبد الله بن طغج عن دمشق منهزما .

ثم ورد الخبر فى آخر / ذى الحجة سنة سبع وعشرين بدخول محمد بن رائق الرملة ، وكان كالطائر فى مسيره ، وانصرف أصحاب الأخشيد عن غير قتال ، ونبش قبر الفضل بن جعفر الوزير فوجد فيه مالا فأخذه . ثم أخذ الأخشيد فى أهبة المسير لقتال محمد بن رائق فهاجت به السوداء على عادته فعولج أياما .

١٦٧ ظ
٣

وفى المحرم سنة ثمان وعشرين سار الأخشيد لقتال ابن رائق واستخلف أخاه أبا المظفر وسار حتى نزل الفرما وتقدمت طلائع محمد بن رائق فكانت بينهم مناوشة . وسفر الحسن بن طاهر العلوى بين الأخشيد وبين محمد بن رائق فى الصلح . وأنفذ الأخشيد كاتبه محمد بن كلا للرملة للموافقة على شرائط بينهما . وتم الصلح على أن الرملة للأخشيد ومن طبرية وما خلفها لمحمد بن رائق على أن يحمله الأخشيد إلى ابن رائق متى توافقا عليه .

(١) فى المخطوطة « يعرفه » والتصويب بمقتضيه السياق .
(٢) انظر ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ٤٠٧

١٩٨ و
٣

وخرج ابن رائق عن الرملة وعاد الأخشيد الى مصر فسر / برجوعه الناس ، وكانوا زينوا له الطرق والأسواق فلم يطف المدينة ، وكان هذا يوم الخميس . فأقرت الزينة على حالها فلما كان من الغد ركب الى الجامع العتيق لصلاة الجمعة وكان يوما عظيما . وقبض الأخشيد على محمد بن عبد الرحمن الروذبارى الكاتب وصادره بسبب كلام خاطبه به فى محمد بن رائق ، فانه شاوره فأشار عليه بخالفه فقال له : فيك أيها الأخشيد خلتان مذمومتان البخل والجبن وما يتم لك معهما شئ إلا بالاقبال . فحقدها عليه وصادره بعد أيام وكان خليفة الفضل بن جعفر .

وفى رجب سنة ثمان وعشرين أطلق الأخشيد أبا بكر محمد بن على الماذرائى واستوزره [(١)] واستكتب [(٢)] ابنه الحسين بن محمد وخلع عليه وصرفه الى داره فمشى بين يديه أهل الدولة وابنه الحسين خلفه بالخلع ، ومشى الشريف أبو جعفر مسلم بين يديه / حتى حلف عليه فركب ومشى الأشراف وسائر الناس . وكان الأخشيد يعامله فى اعتقاله أربع سنين وتسعة أشهر بكل جميل ورد اليه الأخشيد التدبير بمصر والشام ، وألزمه لبس الدراعة ونزع الطيلسان ، وكان لا يصدر إلا عن رأيه ولا يخليه من حضور مجلسه ويقول للناس اذا انصرف : كم قبلت يده ووقفت بين يديه !

١٦٨ ظ
٣

وكان القائم بأمر الله لما انصرفت عساكره بالأسكندرية اختار أن يستعطف الأخشيد ويصطنعه ، وكان محمد بن على الماذرائى وهو فى قبضة الفضل بن جعفر بالشام قد اتهم بمكاتبة القائم ، وإنه استدعا منه العساكر وحسن له رأيه . وكتب القائم إلى الأخشيد كتابا قرأه على خاصته ورقعة بخطه لم يقف عليها أحد ، وكانت نسخة الرقعة : قد خاطبتك أعزك الله — فى كتابى المشتمل على هذه الرقعة بما لم يجزلى فى عقد / الدين وما جرا به الرسم من سياسة أنصار يستجلبون ، وضمنت رقعتى ما لم يطلع عليه أحد من كتابى وذوى المكانة عندى ، وأرجو أن تردك صحة عزيمتك وحسن رأيك ، إلى ما أدعوك اليه . فقد شهد الله على ميلى اليك وإيثارى لك ورغبتى فى مشاطرتك ما حوته يمينى ، واحتوى عليه ملكى ، وليس يتوجه لك العذر فى التخلف عن إجابتى لأنك قد استفرغت مجهودك فى مناصحة قوم لايرون إحسانك ولا يشكرون إخلاصك ، يخلفون وعدك ويخفرون ذمتك ، لم يعتقد منهم أحد حسن المكافأة ولا جميل المجازاة وليس ينبغى لك أن تعدل عن منهج من نصحك وإيثار من آثرك إلى من يجهل موضعك ، ويضيع حسن سعيك ، وأنا أعلم أن طول العادة فى طاعتهم قد كره اليك العدول عنهم [(٣)] فان لم تجد من نفسك معونة على اتباع الحق ولزوم الصدق فانى / أرضى منك بالمودة والأمر والطاعة حتى

١٦٩ و
٣

١٦٩ ظ
٣

(١) اقرأ عن الوزارة فى العصر الاخشيدى سيدة اسماعيل كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ١٥٥ — ١٦٤

(٢) اقرأ عن الكتابة فى العصر الاخشيدى المرجع السابق ص ١٦٥ — ١٦٨

(٣) يشير بذلك إلى الخلافة العباسية .

تقيمنى مقام رئيس من أهلك ، تسكن اليه فى أمرك وتعول عليه بمثل ذلك . وإذا تدبرت هذا الأمر علمت أن الذى يحملنى على التطأطىء لك وقبول الميسور منك إنما هو الرغبة فيك ، وانت حقيق بحسن مجازاتى على ما بذلته والله يريك حسن الاختيار فى جميع أمرك وهو حسبنا ونعم الوكيل»

فلما وقف الأخشيد على هذه الرقعة احتج إلى الرسول بأنه لا يقرأ ولا يكتب ولا يجوز له أن يبوح بما فى نفسه إلى كاتب ، إذ كان الصواب يقتضى ذلك . ثم قال : وأنا أتدبر الجواب فأجيب عنه ويصل مع من أثق به وأسلك من حسن الموالاة ما لم يكن غيرى يسلكه .

ثم بلغ الاخشيد مسير محمد بن رائق من العراق إلى أعمال الاخشيد ووصوله إلى الرملة وأن الراضى قلده فاغتاظ وكتب / الى خليفته ببغداد[1] على بن أحمد العجمى باخبار الراضى بمسير ابن رائق «فان كان أمير المؤمنين قلده سلمت له ، أو يأمرنى بالقتال ، فانى قد صالحته وأرضيته ومارضى» فدخل ابن العجمى على الراضى وأخبره وبجكم[2] بين يديه وقال له : والأعمال أعمالك يا أمير المؤمنين فأمر عبدك الاخشيد بما يكون عمله بحسبه . فما نطق الراضى بحرف . فقال بجكم : من ضرب بالسيف وهزم صاحبه فالعمل له ! فكتب ابن العجمى لوقته بذلك إلى الاخشيد فصرع وثارت به السوداء .

١٧٠ و
٣

فحدثنى بعض الوجوه بمصر قال : قال لى عمر بن الحسن العباسى الخطيب بمصر : دعانى الاخشيد يوما فقال لى إذا كان يوم الجمعة فأقم[3] الدعوة لأبى القاسم صاحب المغرب واسقط الدعوة للراضى حتى يعلم محمد بن طغج . قال عمر بن الحسن فقلت : كما يأمر الاخشيد . فغدوت اليه ثانية واستأذنته وقلت / : لعله يرجع ، فقال : نعم ، فلم أزل على هذا ثلاثة أيام الى يوم الخميس ، فاتهمت أن يكون أبو الحسين محمد بن عبد الوهاب[4] ، وكان رجلا جزلا جيد الرأى شيعيا قد حسن له هذا الرأى ، لأنه أقام فى اعتقاله سبع سنين وكان كما أطلقه واختص به . فجئت الى ابن عبد الوهاب وخلوت به وحدثته فقال : إن السوداء ربما ثارت به ، أفعاودته ؟ فقلت: قد عاودته أربعة أيام . فقال لى : أنا أخلو به كل جمعة بالغداة ، فارفق به وقل : أين أعمل الذى أمرتنى به : فى جامع أسفل[5] أو فى جامع ابن طولون ؟ وخلنى وإياه . قال عمر بن الحسن : فجئت اليه ورفقت به

١٧٠ ط
٣

(١) أى ممثل الأمير الرسمى لدى بلاط الخليفة .
(٢) هو أمير الأمراء حينذاك .
(٣) فى المخطوطة « فأتم » والتصويب يقتضيه السياق .
(٤) أنظر سيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ١٦٣
(٥) جامع أسفل اى جامع عمرو بن العاص . وذلك راجع إلى تقسيم الفسطاط منذ إنشاء مدينة العسكر سنة ١٣٣ هـ إلى « عمل فوق » وعمل « أسفل » . فكان جامع عمرو يدخل ضمن « عمل أسفل » . وقد كتب المقدسى وأحسن التقاسيم ص ١٩٩ و أن جامع عمرو كان يسمى الجامع السفلانى وجامع ابن طولون الجامع العليانى . راجع عن هذا التقسيم خطط المقريزى ج ١ ص ٥ و ٢٩٩

وقلت: أيها الأمير، الذى أمرتنى به أين أعمله؟ فى الجامع العتيق أم جامع ابن طولون؟ فقال لى: أنت فى الجامع العتيق وخليفتك فى جامع ابن طولون. فقال له ابن عبد الوهاب: ايش/ هذا الذى تعمل؟ فقال الاخشيد: شى. فقال ابن عبد الوهاب: الله المستعان! شى يُعمل على المنبر يُكتم وبعد ساعة يعلم به الجمهور!! فقال له: قد تأذيت بالراضى وبهذا الصبى ابن رائق، وقد أمرت الخطيب أن يدعو لأبى القاسم صاحب المغرب. فقال له: وفق الله الاخشيد، فلقد وضعت الصنيعة فى موضعها، ولقد أخبرت أنه فى الحزن على أبيه الى الساعة، وما جلس فى مرتبته إلا حزينا كئيبا، ولاجدد ثوبا، وهو من الشرف والملك على ما سمعت، فالحمد لله الذى جعل رجوع هذا الأمر الى أهله على يدك وبك، فاستبشر الاخشيد وأسفر وجهه. ثم التفت ابن عبد الوهاب الى الخطيب وقال له اقرأ الذى عملت. قال: ما عملت شيئا! قال ابن عبد الوهاب: تؤمر مذ خمسة أيام بهذا الأمر فلم تعمل فيه شيئا! فقال الاخشيد: إيش يعمل؟ قال: / يحتاج إلى نحو خمس أوراق كلاما معمولا فى فضل النبى صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين وأهل البيت عليهم السلام، ويذكر أنهم أحق بالامامة، ويقول ذلك والناس يسمعون فمن كان يشتهى هذا قويت نفسه ومن كرهه انحل. فقال له الاخشيد: اعمله. فقال لى ابن عبد الوهاب: تلحق اليوم؟ فقلت: لا، الجمعة الأخرى؟ فقال الاخشيد: الجمعة الأخرى. فانصرفت فلما كان من الغد دخلت على ابن عبد الوهاب فقال لى قلت له بعدك: أنه رأيى وهواى فيما تعلمه، ولكنى أصدقك تكون أنت من أبرك الناس على ابن رائق، لانك إذا عملت هذا كاتبه من مصر من يكره هذا، وكتب بذلك الى العراق فان كان الراضى لم يقلده قلده وأنفذ اليه الأموال والعساكر وصيرت له شيعة / وخاصة، ولكن دع هذا الى وقت آخر[1].

١٧١ و
٣

١٧١ ظ
٣

١٧٢ و
٣

وحدثنى على بن يعقوب قال: ورد كتاب الاخشيد من مصر الى القائم يعرض عليه ابنته لابنه المنصور. فقرأ القائم الكتاب على الناس فأشاروا عليه أن يجيبه بما يجب فكتب اليه: «وصل كتابك وقد قبلنا ما بذلت وهى وديعة لنا عندك وقد نحلناها من بيت مالنا قبلك مائة ألف دينار فتوصل ذلك اليها[2]» قال: وانما ظن الاخشيد أن القائم يكافئه على هذا بهدية يفتخر بها ويتجمل.

(١) انفرد ابن سعيد بالاشارة إلى هذه الرغبة فى الخروج على الخلافة العباسية والدعوة للفاطميين، ولكن سائر المؤرخين المصريين كالكندى والمقريزى وأبى المحاسن لم يذكروا عنها شيئا. والراجح عندنا أن الأخشيد ربما فكر فى مثل هذا ولكنه لم يتجاوز به حد التفكير بعد أن رأى أن استبدال سيد بسيد لايغير الحالة ولا يوطد استقلاله. وازن بين رأينا هذا وبين ما كتبه الدكتور حسن ابراهيم حسن فى تاريخ الاسلام السياسى ج ٣ ص ٥٣، وفى «الفاطميون فى مصر» ص ٩٠ — ٩٢

(٢) إذا صح ما نفهمه من هذا النص فان القائم كان يفرض أن الاخشيد دخل فى طاعته وأن للقائم فى ذمته جزية أو مالا للخزانة الفاطمية، وأنه منح ابنة الاخشيد مائة الف دينار من هذا المال المستحق للفاطميين.

وفى شعبان وصلت الأخبار بعودة محمد بن رائق إلى الرملة ، فتجهز الأخشيد وسار ، وراسل ابن رائق فلم يجد فيه حيلة . وعسكرا جميعا بالعريش والتقى العسكران فهزمهم محمد بن رائق وملك السواد ، واجتمع واطمأن أصحابه . وكان الأخشيد قد عبأ مراكب فى البحر ليلحق ببلاد الروم أو بالمغرب / ووقف منفردا فى غلمانه ، ولما اطمأن محمد بن رائق أقبل الأخشيد فى عدته وعديده وكبسهم فى الخيم ومحمد بن رائق ومحمد بن تكين يتحدثان . فملك الأخشيد الرجال وأسر وقتل ، وقام محمد بن رائق فأفلت بحشاشة نفسه ، واستأمن محمد بن تكين فى جماعة .

١٧٢ظ
٣

وكان شادن غلام الأخشيد لما انهزمت عساكر الأخشيد انصرف الى مصر منهزما ، فاضطرب البلد وانتقل أهل العسكر الى أسفل ، وركب أبو المظفر بن طغج ومحمد بن على الماذرائى يسكنان الناس ويمنعانهم من النقلة . ثم ورد الخبر بظفر الأخشيد بجميع العساكر وأنفذ الأسرى والرؤوس إلى مصر ، وسار الأخشيد فى أثره إلى الرملة ، وخرج محمد بن رائق يريد دمشق . وليس يعرف للأخشيد وقعة قاتل فيها غير هذه . وكان الأسرى نحو خمس مائة / طيف بهم فى المحامل على الجمال فى أسواق مصر ، ومنهم أربعة رؤساء طيف بهم على بغال بسروج وكانت الرؤوس بين أيديهم ، وزينت الأسواق . ولما انقضت الوقعة سار الأخشيد فنزل غزة .

١٧٣و
٣

وكان محمد بن رائق قد توجه من الرملة إلى دمشق ، فرجع من طريقه وأسرى ليلا إلى الرملة فقتل صاحباً للأخشيد وصلبه على شجرة مع رفيق له ، ومضى ابن رائق ، فأصبح الأخشيد فوجد صاحبيه مقتولين مصلوبين ، فقامت عليه القيامة . وحصل محمد بن رائق بدمشق وعبأ الأخشيد العساكر وعليها أخوه أبو نصر الحسين بن طغج ، فأسرى محمد بن رائق فى خيل جريدة من دمشق فى نحو ثلاثمائة غلام فوصل اليهم فى يومين وليلة ، فكبس عسكر الأخشيد وقتل أخاه أبا نصر وأسر جماعة من القواد / وسار بهم الى دمشق وأدخلهم بين يديه . وأخذ أخا الأخشيد فغسله وكفنه وحنطه وحمله فى تابوت وأنفذه إلى الأخشيد واعتذر ، وأنفذ ابنه مزاحم بن محمد بن رائق وسنه يومئذ سبع عشرة سنة وأنفذ معه طاهر بن الحسين وقال له : اقتص . فبلغ ذلك الأخشيد فأرسل برده من الطريق فلم يفعل . ووصل مزاحم بن محمد بن رائق الى الأخشيد وهو بأرض فلسطين فأكرمه ورفعه وتزحزح له وسأله الجلوس فلم يفعل فوقف بين يديه وقال : بهذا أمرت . فلما انصرف ، حمله على فرس له ، أدهم ، بحلية ذهب مخرمة . وأرسل اليه : ليس لقدرة أرسلت به اليك ، وإنما هو ذهب صامت محرق وما سبقت اليه ، وحمل اليه ، فأكثر[1] ورده مع ابن طاهر إلى أبيه . وزوج الأخشيد ابنته فاطمة ابنة مزاحم / بن محمد بن رائق ، تولى ذلك ابن طاهر وكتب بذلك الكتاب[2] ،

١٧٣ظ
٣

١٧٤و
٣

---

(١) لعله يريد استكثره .

(٢) انظر سيدة كاشف : مصر فى عصر الأخشيديين ص ٨١ — ٨٣

ونثر محمد بن رائق الدنانير والدراهم ، ثم سفر ابن طاهر فى الصلح بينهما ، وقرر الأمر على أن للأخشيد من الرملة الى مصر ، وما خلفها لمحمد بن رائق ، ومال يحمله الأخشيد ، وعلى أن يكون عبيد الله بن طغج عند ابن رائق ومزاحم بن محمد بن رائق عند الأخشيد .

وسار مزاحم مع ابن طاهر ، ولقيهم رسل الأخشيد يقول : إن غلمان أخى عبيد الله بكوا ومنعوا منه ، فيرجع أبو الفتح مزاحم إلى أن أرسل إلى ابنى أونوجور فيكون عندك ويجىء أبو الفتح . ولما فرغ التوسط سار الأخشيد إلى مصر وخليفته على الامارة أبو المظفر ، ووزيره محمد بن على الماذرائى ودخل وبين يديه محمد بن تكين .

وفى هذا الشهر نزه محمد بن على الماذرائى الأخشيد فى بستانه ببنى وايل [1] وفرش له ، وأكثر من الطعام والفوا كه / والطيب والفرش وقام بجميع العسكر . حدثنى محمد بن الحسين قال : لما أكل ثم نام ثم انتبه وصلى — وكنت قد فرشت فى البستان عند البركة ، ونصبت بين يديه من الذهب والفضة ، والتماثيل من الكافور والعنبر ، وجمعت له المغنيين من الرجال والنساء — قال مايدل على طيب نفسه ، فجعلت بين يديه صينيتين فضة ، الواحدة مملوءة دنانير والأخرى مملوءة دراهم للنثار ، فأخذ صينية الدنانير فتركها خلفه ونثر الدراهم ، فلما انصرف حملت جميع ما كان جالساً عليه وماكان بين يديه وماشرب وما أكل فيه فأرسلته خلفه وحملته على فرسين بسرج ولجام من ذهب وقدت بين يديه الجنائب وحملت كاتبه وحجابه وأكثر أصحابه .

١٧٤ ظ
٣

وورد على الأخشيد الكتاب بوفاة الراضى لسبع خلت من شعبان سنة تسع وعشرين / وجلوس أخيه ابراهيم بن جعفر المتقى فدعا له . وفى شوال ورد كتاب المتقى باقرار الأخشيد ثم وردت عليه الخلع من قبله ، فركب إلى المسجد الجامع ولبسها ورجع إلى داره بعد أن زينت له الأسواق .

١٧٥ و
٣

ثم ورد الخبر على الأخشيد بقتل محمد بن رائق بنواحى الفرات . وذلك أنه وافق الأخشيد على أن تكون له الرملة وما بعدها إلى آخر أعمال مصر ويحمل إليه مالا قرره ابن طاهر ويكون لابن رائق طبرية ودمشق إلى حدود بغداد ، واستقر الأمر وكوتب من بغداد وجاءته رسل المتقى بالمسير فمنعه كاتبه محمد بن على بن مقاتل ، فقال : لاتفعل ، فقال : ركوبى فى الطيار فى دجلة وصياح الملاحين أحب إلى من ملك الشام كله ! ! فاستخلف على أعماله ابنه الحسن بن محمد ابن رائق وسار ، وخرج ولد المتقى لتلقيه ، وأرسل إليه أن يعبر له وهو عند بنى حمدان فأشير

---

(١) بنى وائل خطة من خطط الفسطاط : أنظر سيدة اسماعيل كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ٢٤٥ وأنظر خريطة خطط الفسطاط المقابلة لصفحة ٣٥٢ فى المرجع المذكور .

١٧٥ ظ
٣

عليه ألا يفعل ، فأبى وقال : / لو وقع سوطى ما نظروا إليه . فعبر إلى ابن المتقى وابنى حمدان ناصر الدولة وسيف الدولة ، فقتلوه وأحدروا ابن المتقى إلى أبيه ، واحتزوا رأس محمد بن رائق ورموا جثته فى الفرات .

ووافى الرسول إلى الأخشيد يبشره بذلك فأنفذ العساكر إلى الشام ، عليها كاتبه على بن محمد ابن كلا ، ولست خلون من شوال سنة ثلاثين سار الأخشيد إلى الشام فى عساكره واستخلف أخاه أبا المظفر بن طغج . وكان الأخشيد لما قوى أمره ومات الفضل بن جعفر بالرملة وقتل محمد بن رائق ، وتفرغ قلبه ، أحب أن يسلك طريقة أحمد بن طولون وابنه أبى الجيش ، فتقدم بأشياء ، منها ألا يركب أحد بحلية دقيقة سواه ، ولا يلبس أحد خفتان ديباج فضياً مجفوراً سواه ، ولا يركب أحد برذونا محفف العرف سواه ، ولا يكون فى عسكره شيخ ، وأن يصبغ الشيوخ لحاهم ، فقيل له : / يحتاج الصباغ إلى مؤنة ،فزاد كل أحد فى رزقه من خمسة دنانير ومازاد .

١٧٦ و
٣

ومن حكايات الأخشيد فى أول أمره قال : كنت مع أبى منصور تكين بدمشق وكان الحاج لهم طريق من دمشق أنا عورتها[1] خوفاً أن يأتينى أحد منها بمكيدة ، فجهز تكين حاج دمشق وأخرجنى على القافلة . وحج فى تلك السنة أبو صالح مفلح المقتدرى نخدمته وأكرمته . ووقفت بالناس فى عرفات ، فلما غربت الشمس دفعنا إلى المزدلفة ، فرأيت قبة محمد بن على الماذرائى أعلى قبة ، فتقدمت أنا وغلمانى وضربنا وجه ناقة محمد بن على ، وقدمت قبة مفلح فصاح محمد ابن على من قبته : من هذا ؟ فقالوا محمد بن طغج . فصاح : ياعاص ابن العاص ، فضحكت . فلما وصلنا إلى المزدلفة شكر مفلح فعلى ، وأرسل إلىّ منديلا مختوما فيه عشرة دنانير وزنها ألف دينار ، وقال يسّرنى بقبولها فهى مما زودنى مولاى أمير المؤمنين ، / فأخذته وخدمته بمنى ومكة إلى أن سار إلى العراق ، فكان ذلك فى نفس محمد بن على يحقده .

١٧٦ ظ
٣

وأمر الأخشيد فى وقت من الأوقات بهدم المواخير ودور المقامرين والقبض عليهم ، وأُدخل عليه جماعة من المقامرين وعرضوا عليه ، وفيهم شيخ له هيئة ، فقال : هذا الشيخ مقامر ! فقالوا : هذا يقال له المطّمع / فقال الأخشيد : وايش المطمع ؟ فقالوا : هوسبب عمارة دار القمار ، وذلك أن الواحد إذا قمر مامعه قال له : فالعب على ردائك فلعلك تغلب ، فاذا ذهب رداؤه قال له : العب على قميصك حتى تغلب به ، كل شىء حتى يبلغ نعليه ، وربما اقترض له . ولهذا الشيخ جراية يأخذها على هذا كل يوم من متقبل دار القمار . فضحك الأخشيد وقال : ياشيخ تب إلى الله وحده من هذا !! فتاب ، وأمر له الأخشيد بثوب ورداء وألف درهم وقال : يُجرى

---

(١) لعل المقصود : [عرفت] أنا عورتها ، أى شقوقها وما يخاف فيه منها .

١٧٧ و
٣

عليه فى كل شهر عشرة دنانير / فانصرف الشيخ شاكراً داعياً . فقال ردوه وقال : خذوا ما أعطيناه وابطحوه ، فضربه ستمائة عصا ثم قال : خلوه ، أين هذا من تطميعك ! ! !

وكان بمصر رجل يعرف بأبى القاسم بن عمرو بن نافع ، وكان به وضح وكان معدلا عند الشهود ، وكان له ولد يكنى أبا جعفر يتفقه للشافعى حافظاً للمذهب . وكان قد خرج إلى العراق فأقام سنين ، ثم إنه عاد إلى الشام ، فحدثنى على بن محمد الصورى الفقيه قال : قال لى أبو جعفر ابن عمرو بن نافع : قصدت أبا على وتقربت بجوارنا منه ، فأدخلنى إلى الأخشيد بدمشق وعرفه بى ووصفنى له ، فقال لى الأخشيد : أبوك الأبرص ؟ قلت نعم . فقال : لمن تتفقه ؟ قلت للشافعى ، فقال إيش معنى قول المزنى اختصرت هذا من قول الشافعى ومن معنى قوله ؟ قال أبو جعفر : وكانت هذه صنعتى ، فقلت المعنى كذا وكذا ، وصرت فى الكلام ، فولانى مظالم السواحل . /

١٧٧ ظ
٣

وكان الأخشيد على تشبّه بأحمد بن طولون فى أحواله . كان ابن طولون إذا راح إلى الجامع العتيق يوم الجمعة يبعد الناس عن المقصورة ، فعمل الأخشيد كذلك . وكان أكثر صلاته فى جامع أحمد بن طولون إلا فى رجب وشعبان وشهر رمضان .

وحدثنى محسن قال سمعت كافوراً يقول : ركب الأخشيد ثم قال لى : ارجع فقل لهم يصلحون المائدة ويكون أول ما يقدمونه حُماضية ، قال كافور : فجئت إلى صاحب المائدة فقلت له : أول ماتقدم حماضية فقال : والله ما أصلحت حماضية . فقلت : أنا لله عز وجل ! فقال : كم عليك وأصلح لك الساعة حماضية قال : مائة دينار . قال : فاجمع لى كل أترج عندك ، فجمعناه واستخرج الحماض فألقاه فى الحصرمية وطرح فيها ماء الورد والمسك والأفاويه . فلما جاء الأخشيد قدمتها اليه : فأكل منها وأكثروقال : طيبة والله . / فقلت : هى والله تقوم على مائة دينار ! فقال : كيف؟ فحدثته فقال : ايتونى بالطباخ ، فقال : تأخذ من غلامى مائة دينار ! ردها ، فردها ، فأعطاها غلاماً وقال له : ادفعها إلى الطرائفى [1] الذى يطالبنا . قال : فقلت للأخشيد فأنت أخذت المائة .

١٧٨ و
٣

وحدثنى يحيى بن مكى بن رجاء المعدل قال : كنت أنا وأبو الحسين بن اسحق مع القاضى الحسن ابن أبى زرعة ، وكان معنا جماعة من الشهود إلى الأخشيد ، وحضر صدقة بن الحسن متولى دار الضرب ومعه دنانير وسبيكة ، وأحضر السباكين ليقوموا عيار الدنانير بحضرة الأخشيد وأوقدوا النار وجاء صدقة بخمسين ديناراً لتسبك بحضرته فقال له الأخشيد : كم معك؟ فقال : خمسون ديناراً ، فقال : هاتها واخرج منها عشرة دنانير ، فقال : اسبكوا فسبكت واعتدل العيار . فقال : يكون العيار على هذا ، ورد العيار إلى على بن اسحق المعدل ، وسلم اليه / السكك وانصرف . قال ابن رجاء :

١٧٨ ظ
٣

(١) لعل الطرائفى بائع الطرف وهى التحف والأشياء الطريفة .

فاجتمعت مع صدقة بعد أيام فقلت: الأربعون التي عدلها ولم يسبكها ودها اليك؟ قال إيش يرد! أخذها! وانصرفت وغرمتها لأصحابها [1] !

وكان يصون مجلسه أن يجرى فيه لغط أو قبيح. ولقد تنازع أبو بكر بن الحداد الفقيه وأبوالذكر محمد القاضى المالكى [2] وعبدالله بن الوليد، وجرى بينهم لغط كثير. فلما انصرفوا قال: يجرى هذا فى مجلسى! كدت والله أن آمر بأخذ عمائمهم.

وكان يكره سفك الدماء. ولقدشرع فى الخروج إلى الشام فى آخر سفراته، وسار العسكر، وكان نازلا فى بستانه فى موضع القاهرة اليوم فركب للمسير، فساعة خرج من باب البستان اعترضه شيخ يعرف بمسعود الصابونى يتظلم إليه، فنظر له فتطير به وقال: خذوه ابطحوه فبطح فضرب خمس عشرة مقرعة وهو ساكت. فقال الأخشيد: هو ذا يتشاطر! فقال له كافور: قد مات، فانزعج، /واستثقل سفره، وعاد إلى بستانه، وأحضر أهله واستحلهم وأطلق لهم ثلاثمائة دينار، وحمل الرجل إلى منزله ميتا وكانت له جنازة عظيمة [3].

١٧٩ و
٣

وكان قدسار اليه سبعة أمراء لأخذ أعماله، فأما أولهم فرجل يعرف بالعدل، وبلغ إلى دمشق فراسله وأرضاه فصار فى جملته، والثانى بدر الخرشنى راسله وولاه دمشق فصار فى جملته، والثالث الحسين بن أبى العلاء بن حمدان فبلغ إلى حمص ومد يده إلى أموال الأخشيد وأخيه عبد الله فراسله الاخشيد وأرضاه وانصرف عنه، والرابع تكين الخادم فراسله وقلده فصار فى جملته، والخامس ابن رائق وقد شرحنا قصته، والسادس على بن حمدان سيف الدولة ونحن نذكر قصته فيما بعد إن شاء الله، والسابع يانس المؤنسى فراسله وأرضاه.

١٧٩ظ
٣

وحدثنى بعض الاخشيدية قال: لما زاد أمر محمد بن رائق على الاخشيد وطلب/ منه الأموال وإلا قاتله اشتغل قلبه وقال: ابنى يطلب منى مالا حتى يكف شره عنى! وامتنع من الطعام يومين، فدخل عليه محمد بن الخازن فقال له: من أين؟ قال: جئت من عند أبى سهل بن يونس الرجل الصالح فسألته الدعاء لمولاى الاخشيد وشكوت اليه غمى وغم أهل الدولة بشغل قلبه وأنه قد امتنع من الطعام لما التمسه منه محمد بن رائق فقال: ومن الاخشيد حتى لا يبذل فى صيانته الأموال!! أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم أن يعطى المؤلفة قلوبهم ويجعل لهم سهما فى الصدقات

---

(١) اقرأ عن جشع الاخشيد وحبه للمال: سيدة اسماعيل كاشف: مصر فى عصر الاخشيديين ص ١١٣ — ١١٥

(٢) فى المخطوطة «بكر بن» والصحيح أبو الذكر محمد بن يحيى الأسوانى القاضى المالكى. إذ أنه لم يرد فى أسماء قضاة مصر فى العصر الاخشيدى اسم لقاض مالكى اسم بكر بن محمد، اللهم إلا إذا كان المقصود بكر محمد بن العلاء المتوفى سنة ٣٤٤ والذى ذكره السيوطى فى «حسن المحاضرة» بين من كان بمصر من الفقهاء المالكية.

(٣) أنظر خطط المقريزى ج ٢ ص ٢٥

حتى يكفوا أذاهم، فما له برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة ؟! فقال: كيف ؟ فأعدت عليه الكلام فقال : هاتوا المائدة وأرسلوا خلف محمد بن الحسين بن طاهر يخرج إلى ابن رائق ويرضيه .

١٨٠ و
٣

وحدثني عبد الوهاب بن سعيد الكاتب قال : حدثني أبو الحسين بن العجمي / قال كنت ببغداد أخلف الأخشيد وأنوب عنه ، وكان ابن مقلة الوزير مصروفا فأرسل إلى فجئته ، فقال لى : يا أبا الحسين أنا فى فاقة فأحب أن تكتب إلى صاحبك يرسل إلىّ بنفقة . فقلت له عندى ها هنا الف دينار أحملها الساعة فقال : أحسن الله جزاءك ، ترسلها إلى الباب الآخر تسلم الى فلانة الخازنة ، فحملتها، وكتبت إلى الاخشيد أعرفه، فأنفذ الىّ سفاتج[1] بثلاثين الف دينار، فأخبرته فشكر وصححتها له واستأذنته فى حملها فقال : أخرج منها الفين واحمل الباقى . وكتب الى الاخشيد كتابا يشكره يقول فى أوله : « كتابى إلى الأخشيد أطال الله بقاءه » وساق سائر الكتاب بالشكر والثناء والدعاء بالمكافأة فحسن موقع ذلك من الاخشيد .

١٨٠ ظ
٣

وكان الاخشيد ذا سياسة ومدافعة . ولقد انهدمت قطعة من كنيسة أبى شنودة فى سنة ست وعشرين فبذل له النصارى مالا ليطلق عمارتها وقال: خذوا فتيا الفقهاء ./ فأما ابن الحداد فأفتى بألا تعمر ، وبذلك أفتى أصحاب مالك ، وأفتى محمد بن على بأن لهم أن يرموها ويعمروها . واشتهر ذلك عنه فحملت الرعية إلى داره النار وأرادوا قتله فاستتر وندم على فتياه ، وشغبت الرعية وأغلقت الدروب وأحاطت بالكنيسة ، فبلغ الاخشيد ذلك فاغتاظ وأرسل بوجوه غلمانه كافور ومنجح وشادن فى عسكر كبير وقال لهم : لا تجاوزوا مسجد عبد الله ، فبلغوا مسجد عبد الله ، وزحفت اليهم الرعية ورموهم بالحجارة ، فأرسلوا يخبرون الاخشيد فأرسل اليهم ارجعوا . ثم دعا بأبى بكر بن الحداد الفقيه وقال له: اركب إلى الكنيسة فان كانت تبقى فاتركها على حالها وإن كانت مخوفة فاهدمها الى لعنة الله. فسمعت أبا بكر بن الحداد يقول: أخذت معى على بن عبد الله البواش المهندس وركبت الى الكنيسة فاتركت من كل درب ، فلم أزل أرفق / وأعلمهم أنى معهم ، ففتحوا لى فجئت إلى الكنيسة وأمرت

١٨١ و
٣

باخراج جميع من فيها من النصارى ، ودخلت ومعى ابن البواش وأغلقت علىّ وعليه وجئت به إلى المذبح فقلت له : هذا الموضع الذى قال الله تعالى فيه (تَكَادُ السَّمٰوٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا)[2] فخذ بيدك شمعة وأدخل معك فعرفنى ،

---

(١) السفتجة أن يعطى مالا لآخر ، وللآخر مال فى بلد المعطى فيوفيه إياه فيستفيد أمن الطريق فهى أشبه شيء بالحوالة المالية إلى الخارج . وكانت وسيلة طيبة من وسائل الدفع فى المعاملات الضخمة لخفة حملها وبعدها عن متناول اللصوص والامن عليها من الضياع . أنظر متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ٢ ص ٣١٩ — ٣٢٠ و . R. Grasshoff: Die Suftaga und Hawala der Araber (Konigsberg 1809)

(٢) سورة مريم الآيتان ٩٠ ، ٩١

فطاف وعاد إلىّ وقال لى : تبقى كذا خمس عشرة سنة ثم يسقط منها موضع ثم تقيم إلى تمام أربعين سنة ويسقط جميعها . فانصرفت إلى الأخشيد وعرفته فتركها ولم يعمرها . وكان أمرها كما قال ابن البواش المهندس فعمرت سنة ست وستين قبل تمام أربعين سنة ولو تركت سقطت .

وكان محمد بن تكين قد أكرمه الأخشيد وكان يؤاكله وولاه طبرية ، فلما ورد محمد بن رائق إلى الشام صار معه ، فلما كانت وقعة العريش وانهزم محمد بن رائق استأمن محمد/ بن تكين للأخشيد فلم يؤاخذه ولم يزل يكرمه .

١٨١ ظ
٣

وكان بمصر أبو القاسم سعيد المعروف بقاضى البقر وكان من شعراء أبى الجيش بن طولون وكان فى آخر عشر التسعين . وكان يبيت عند الأخشيد يحادثه ويسامره وكان مليح الحديث ، وكان يصف أخلاق الأخشيد وامساكه . ومما تحدث عنه أنه قال : قدم بين يديه فى الليل طبق فاكهة فتناولت باقلاءة فقبلتها ووضعتها فى جيبى وقلت له : جعل الله عمر الأخشيد فوق كل عمر ، أغنانى وأنسى الناس تكرم البرامكة . قال : فتبسم وعلم أنى قد هزلت عليه . فتأخرت عنه يوما فقال لى : لك يومان لم أرك فيهما . فقلت : كان حمارى غامزا ، فقال : ما كنت تكترى حماراً بقيراطين من دار الحرم ! وقال لى ليلة : ايش أكلت اليوم ؟ فقلت شواء من السوق فقال : إياك شواء دار فرح فانه يباع نيا وأزيدك فاحزره ، / أنهم يقطعون الماعز ويجعلونه فى جوفه .

١٨٢ و
٣

قال سعيد : واعتللت مرة وكان الشتاء شديداً ثم وجدت خفا فركبت اليه عشاءً وعلىّ قميص وجبتان وعمامة وسراويل وخفتان ، فلما دخلت عليه رحب بى وقال : صح الجسم ! ! قد كنت أرسل أفتقدك ، فقلت : قد كان رسل سيدى الأخشيد يجونى . فقال : حدثنى بحديث صغير . فقلت : أيد الله الأخشيد مافىّ نفس . فقال: صغيربطول الأصبع . فقلت : نعم أيها الأخشيد ، بلغنى أنه كان باليمن ملك يقال له ذو الكلاع ، وكان الناس يسجدون له ، فحكى عن رجل أنه قال : دخلت اليمن فرأيت الناس سجوداً فقلت : ما الخبر ؟ فقالوا : الملك ذو الكلاع أخرج اليوم يده فسجد له ثمانون ألف جنين ومن الله عليهم بالاسلام ، ولم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه بايع أبا بكر وبايع عمر وبايع عثمان وحضر وقعة صفين ، وكان مع معاوية وقتل ، فحكى بعض من/ حضر الوقعة أنه قال : نزلت علينا ريح فى الليل فقطعت الحبال وقلعت الأوتاد فمددت يدى ، وقد طاح وتدخيمتى ، فشددت الحبل فى رجل قتيل فلما أسفر الصبح إذا بها رجل ذى الكلاع . فتعجب الأخشيد وقال : ماأعجبه من خبر ! ! ثم نهضت وكان الأخشيد فى علو فقام فمشى معى واتكا على درابن [1] القاعة . ونزلت فى الظلام من الدرج فلما صرت فى القاعة سقطت فى البركة . فصاح

١٨٢ ظ
٣

(١) لعله يقصد هنا « الدرابزين » وهى قوائم منتظمة يعلوها متكا .

الأخشيد : يا كافور يامنجح يا جانك[1] ياشادن ! وجوه غلمانه ، فرموا أنفسهم خلفى وأخرجونى ، والأخشيد يقول : ويلكم مات ؟ فقالوا : هو مسترج[2] . فصاح يا أبا القاسم ! قلت لبيك . فقال من أين أقبلت ؟ : قلت من عند ذى الكلاع ، فضحك وقال : الساعة ثم الخبر . فقال قاضى البقر : ليت الله لم يسرك بتمامه ! ثم صعدوا بى ونزعوا ثيابى وألقوا على ثيابا وانصرفت إلى منزلى وانتكست فى العلة .

١٨٣ و
٣

وحدثنى مزاحم / بن رائق قال : استعمل لى فرو قام على بستمائة درهم ، فمن حسنه وفرحى به لبسته بدمشق وركبت إلى الأخشيد ، فلما رآه قلبه واستحسنه وقال : ما رأيت مثله قط ، فلم تسمح نفسى بأن أنزعه للوقت . فلما انصرف اعترضنى جانك وقال لى : اجلس فان الأخشيد يريد أن يخلع عليك وجاءوا برزمة وقالوا : اخلع الفرو ، وطووه ومضوا به وبقيت جالسا ثم قالوا : قد نام ، تعود اليه العشية ، فانصرفت الى دارى وقلت هاتوا الفرو فقالوا : ايما فرو ما جاءنا شىء . فلما كان عشية دخلت على الأخشيد فاذا الفرو عليه ، فلما رآنى ضحك وقال : كيف رأيت ؟ ! ما أصفق وجهك ! ولكنك ابن أبيك ، وكم عرضت لك وأنت لا تستحى فلم تفعل حتى أخذناه بلا شكر ولا منة .

قال وكان الأخشيد يحب الصالحين ويركب إليهم ويأخذ دعاءهم . وحدثنى مسلم بن عبيد الله

٨٣ ظ
٣

الحسينى قال : وصفت للأخشيد / رجلا صالحا بالقرافة يعرف بابن المسيب فركب معى إليه وسأله الدعاء . ثم انصرف ، فقال لى : تعال أريك أنا أيضاً رجلا صالحاً ، فمضيت معه إلى أبى سليمان ابن يونس فرأيت شيخاً أديبا جالساً على حصر سامان[3] مبطن ، فقام فتلقى الأخشيد وأقعده على الحصير ، ثم قال له : ياباسهل اقرأ على فان الريح آذتنى الساعة فى الصحراء ، فأدخل يده تحت الحصير فاخرج منه منديلا نظيفاً مطوياً فنطاه على يده وقرأ عليه . فلما انصرف الأخشيد قال لى : ما رأيت أطرف من هذا ، لم يقابل وجهى بيده حتى غطاها ، وليتك شممت المنديل مبخراً بالند ، أفتراه علم أنى أسأله فعبأه ؟ ! هذا نظيف ظريف طبعاً .

وكان لا يتأخر عن الجمعة فى الجامع العتيق فى رجب وشعبان وشهر رمضان ، ويركب ليلة الختم إلى الجامع ويحضر الختم والدعاء .

١٨٤ و
٣

قال والأخشيد أول من رأينا فى موكبه بالليل / الشمع على البغال ، والفراش راكب ، وعلى البغل شمعة من خلف الفراش ، يلتفت كل ساعة يصلح الشمعة .

---

(١) سبق ذكر اسم جانك وهو المعروف باسم فاتك .

(٢) كلمة عامية معناها أنه يرجى منه .

(٣) كانت حصر السامان والعبادانى شهيرة معروفة بفخامتها . انظر ابن زولاق : أخبار سيبويه المصرى ص ٢٧ ومتز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٠٤ وما ذكره من المراجع القديمة .

ووقع للأخشيد أمر عجيب ، وذلك أن رجلا من أهل العراق صعد فوق زمزم بمكة وصاح : معاشر الناس أنا رجل غريب ورأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لى : سر إلى مصر والق محمد بن طغج وقل له عنى يطالق محمد بن على المـاذرائى فقد أضر بولدى . ثم سارت القافلة إلى مصر وسار الرجل ووصل إلى مصر وبلغ الأخشيد خبره فأحضره وقال : ايش رأيت ؟ فأخبره ، فقال : كم أنفقت فى مسيرك إلى مصر ؟ قال : مائة دينار فقال هذه مائة دينار من عندى وعد إلى مكة ونم فى الموضع الذى رأيت فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا رأيته فقل لرسول الله قد أديت رسالتك الى محمد بن طغج فقال : بقى لى عنده كذا وكذا ، وذكر شيئا كثيرا ، فاذا/ دفعه الى أطلقه ، فقال له الرجل : ليس فى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم هزل وأنا أخرج الى المدينة وأنفق من مالى وأسير الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأقف بين يديه يقظان بغير منام وأقول له : يا رسول الله أديت رسالتك إلى محمد بن طغج فقال لى كذا وكذا ، وقام الرجل ، فأمسكه وقال : حصلنا فى الجد ، انما ظننا بك ظنا والآن فما تبرح حتى أطلقه ، فأرسل اليه الأخشيد من توسط أمره وأطلقه .

١٨٤ظ / ٣

وكان الأخشيد بالشام وبلغه خبر أحمد بن الحسين المتنبى الشاعر ، فقال جيئونى به فأحضروه اليه وأكرمه وقال : أنشدنى قصيدتك الدالية فى ابن الفصيصى [١] فأنشده حتى بلغ الى قوله :

فلما جئته أعلى محلى | وأجلسنى على السبع الشداد
تبسم قبل تسليمى عليه | وألقى كيسه [٢] قبل الوساد

[من الوافر]

فقال الأخشيد للغلمان : بلتم الخيش ! وقام ولم / يجلس له حتى يفرغ [٣] .

١٨٥و / ٣

وحدثنى بعض غلمانه قال : كانت الهدايا تأتيه فى الأعياد والنوروز والمهرجان . وكان قد اشتهر عنه محبة العنبر وكان أكثر ما يهدى اليه ، فكان إذا جاءت هذه الأوقات التى يهدى اليه فيها أخرج من خزانته العنبر إلى التجار فيشتريه الذين يهدونه اليه ، فيحصل له الثمن الوافر ثم يعود العنبر ،

---

(١) جاء فى ديوان المتنبى أن اسم الذى مدحه فى هذه القصيدة هو « على بن ابراهيم التنوخى » ومطلع هذه القصيدة الدالية :

أحاد أم سداس فى أحاد | لييلتنا المنوطة بالتنادى

(انظر ديوان ابى الطيب المتنبى ص ٦٧ — ٦٩)

(٢) فى الديوان ص ٦٩ : « وألقى ماله » .

(٣) نفهم من هذا النص أن المتنبى حينما وصل فى شعره إلى ذكر المال ، لم يحب الأخشيد سماع ذلك لبخله فتشاغل عن المتنبى وسأل غلمانه فى أمور أخرى ولم يجلس حتى يتم المتنبى قصيدته .

أقام سنين كثيرة يعمل هذا، وقيل إنه اجتمع عنده قناطير . واحترق فى سنة ثلاث وأربعين فى دار أبى الفضل بعقبة [1] ابن فليح لجاريته أم أولاده عنبر كثير ، كان يشم على بعد ، وكنت أسمع الناس يقولون : احترق لهم فى دار أبى الفضل عنبر وأسفاط وأعدال وصينى ما مبلغه مائة الف دينار .

وكان الأخشيد حسن التأمل والنظر . حدثنى أبو الفرج البالسى [2] الطبيب قال : اشتهى الأخشيد بقرية فعملت له ، وكان رسمى إذا قدمت / المائدة إليه أن أقف فى طريق الطعام فأشرف على كل لون يقدم فأرد ما أرى رده ، وأصلح ما أراه أرسله إليه فجاءوا ذلك اليوم بالبقرية فكشفتها وأزلت منها ما يصلح إزالته ، فأخذها كافور بيده وأدخلها إليه ، ولم يكن رسمه أن يحمل طعاما ، فلما خرج قلت له : ما يزيدك الله بهذا إلا رفعة . فقال لى : كانت شهوة مولاى لها قوية فأحببت أن أدخل أنا بها . فلما رفعت المائدة دخلت إليه ، وسألته عن أكله ، فقال لى : كانت البقرية طيبة وأكلتها شهوة ، فايش أعجب ما كان فيها ؟ فقلت : يقول الأخشيد أيده الله . قال : حمل كافور لها ، وحياتك يا أبا الفرج لاجلس فى هذا المجلس غيره ! ولا أخذ هذا المال سواه !

١٨٥ظ
٣

وحدثنى محمد بن الحسين المكفوف المفسر قال : قال لى الأخشيد : رأيت فى المنام كأنى سلمت إلى غلام من غلمانى الكبار شيئاً فلم يقم به ، ثم نقلته إلى غيره فلم يقم به / حتى سلمته إلى جماعة منهم ، ثم سلمته إلى كافور ، وانتبهت وهو فى يده ، فقلت له : هذا الملك يعود إلى كافور ويقوم به . فضحك وعجب . فلما نهضت أخذ بيدى غلام ، فلما خرجت قال لى الغلام : رأيت مولاى يخاطبك ، وينظر إلىّ ويضحك ؟ ! فقلت له : من أنت ؟ فقال أنا كافور . فقلت له : أبقى الله عزك ، إن هذا الملك ستملكه واذكرنى . قال : وهذا المقام كان سبب وصوله إلى ما وصل اليه ووصية الأخشيد له .

١٨٦و
٣

وكان الأخشيد إذا توفى قائد من قواده أو كاتب ، تعرض ورثته وأخذ منهم وصادرهم ، وكذلك كان يفعل مع التجار المياسير . وقال أبو بكر محمد بن على الماذرائى : أخذ منى الأخشيد مالا عيناً وضياعا وعروضاً ما مبلغه ثلاثة وثلاثون أردا دنانير . وعدد صاحب الكتاب جماعة كثيرة صادرهم وأخذ منهم أموالا عظيمة . قال : واستخرج من مصر فى إحدى عشرة سنة اثنين وعشرين / ألف دينار ، لأنه كان يعقد الخراج بمصر ألفى ألف دينار فى كل سنة خراجاً ، سوى خراج الرملة وطبرية ودمشق والسواحل ، وسوى ضياعه التى كانت ملكا له .

١٨٦ظ
٣

---

(١) قال ياقوت فى معجم البلدان : العقبة بالتحريك الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه وهو طويل صعب إلى صعود الجبل . والراجح عندنا أن هذه الدار كانت فى مرتفع من سفح جبل المقطم .

(٢) البالسى نسبة الى بالس وهى بلدة بالشام بين حلب والرقة . جاءت خطأ فى طبعة تلسكوت « الباسى » وعنها أخذت الدكتورة سيدة كاشف فى كتابها مصر فى عصر الاخشيديين ص ١٢٢ و ١٥١ .

وكان الأخشيد يقول : المصادرة مشئومة وأنا مضطر إليها وما أنفقتها قط إلا فى سفر إلى عدو .

وكانت أيام الأخشيد إحدى عشرة سنة سافر فيها خمس سفرات إلى أعداء يقاتلهم ، فالأولى حين بلغه مسير محمد بن رائق اليه فتجهز الى الفرما واصطلحا ، والثانية لما نقض ابن رائق الصلح والموافقة ، فسار اليه والتقيا بالعريش وآل الأمر إلى أن هزم الأخشيد وكان الظفر له [1] ، والثالثة لما بلغ الأخشيد قتل محمد بن رائق سار إلى دمشق فى عديده وتمكن وقرر ، ثم عاد إلى مصر ، والرابعة حين ورد عليه كتاب المتقى بالمسير اليه ، والخامسة لما سار اليه سيف الدولة ابن حمدان فسار اليه واقتتلا / بقنسرين ، واستظهر الأخشيد ثم اصطلحا وتصاهرا وتقاربا ، وعاد الأخشيد الى دمشق فاقام بها سنة واحدة وتوفى .

١٨٧ و
٣

وكان الغالب على الأخشيد رقة الوجه والحياء . وكان إذا صادر أحدا لم يعذبه ولم يضربه ولم يضيق عليه ولم يره حتى تنقضى المصادرة ، ثم يؤانسه ويصطفيه . وكان يحب قراءة القرآن ويبكى عند سماعها .

قال وحدثنى بعض الأخشيدية قال : استتر سهل بن محمد الكاتب البغدادى ، فطلبه الأخشيد طلباً شديداً ، فعرف أنه عند أبى ابراهيم الرسى العلوى ، فأرسل اليه ، فخرج إلى الرسل وصاح عليهم ، فعادوا إلى الأخشيد فأخبروه ، فقال لمنجح غلامه : اركب فى مائة فارس واكسر دار أبى ابراهيم الرسى وخذ سهلا الكاتب . فركب منجح وبلغ أبا إبراهيم فاغلق بابه ولبس الدرع وتقلد السيف وأخذ الدرقة وفتح الباب وقال لمنجح : تقدم فوالله لا طمعت فى الدخول / أو أقتل ! فأرسل إلى الأخشيد فأخبره ، فأرسل الأخشيد إلى منجح : انصرف ، ثم أرسل إلى أبى ابراهيم ، اركب ، فركب فلما دخل على الأخشيد قال : يا أبا ابراهيم الحرب ! ؟ قال نعم . قال محمد [2] : فبحقى عليك سهل عندك ؟ قال نعم : قال : فهو آمن وهذا خاتمى وأمانى ، والساعة ازدادت رغبتى فيك ياشريف ، قم وأحضر سهلا آمنا . وعجب الأخشيد من فعله .

١٨٧ ظ
٣

وحدثنى بعض الكتاب قال : كان محمد بن رائق لما سار لقتال الأخشيد راسله الأخشيد بالحسن بن طاهر الحسينى ، وكانت كتب الحسن بن طاهر ترد من الشام إلى أخيه الحسين بن طاهر شقيقه ، وكان ينوب عنه ويوقف الأخشيد على ما يرد عليه ، ويوقفه على كتبه ، وكان إذا كتب إلى الأخشيد كتب مع الطائر ، ويكتب كثيراً إلى أخيه الحسين . قال الحسين : فورد إلىّ كتاب

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى : سيدة إسماعيل كاشف : مصر فى عهد الاخشيديين ص ٨٢ — ٨٣

(٢) يعنى محمد بن طغج الاخشيد .

١٨٨ و
٣

أخي الحسن بن طاهر من الشام يسأل فيه / الأخشيد أن يعفيه من ضمان[1] بلبيس وفاقوس فانه قد عجز عنهما لقلة فائدتهما وكثرة غشيان البوادى لها . ولم تكن هاتان الضيعتان فى يد أخى ، فحملت الكتاب إلى الأخشيد وقرأته عليه ، فقال : هاتوا كاتب ديوان الخراج ، فقال : فى يد أبى محمد الحسن بن طاهر ضمان فاقوس وبلبيس ؟ قال لا : فأطرق : ثم قال ما قصر أبو محمد فيما قاله : عزم محمد ابن رائق يجيئنا على غفلة إلى مصر ، فأشار أبو محمد بحفظ فاقوس وبلبيس ، يخرج الساعة إلى فاقوس ثلاثة آلاف فارس وراجل وإلى بلبيس مثلها وتزاح عليهم[2] ويكونون على غاية اليقظة ولا يناموا الليل ويحفظوا هذه المواضع . قال الحسين بن طاهر : فعجبت من فطنته . وكتبت إلى أخى : قد أعفاك من ضمان فاقوس وضمنهما من يقدر عليهما ، لأن الحسن بن طاهر كان يتقى محمد بن رائق أن تقع كتبه فى يده ، لأنها وقعت فى يده مرة / . فحدثنى سليمان بن الحسين بن طاهر قال : أرسل محمد ابن رائق إلى أبى ، فركب وأخذنى معه ، فدخل عليه وهو مقطب ، فلما جلس لم يكن منه إليه الانبساط الذى يعرفه ، فقال إيش خبر الأمير ؟ فقال : قد وقعت فى أيدينا كتبك إلى محمد ابن طنج ، قال : مع من ؟ قال : مع صاحبك المعروف بالزطى ، فقال : سبحان الله ! ما أصاب الأمير الدين ولا السياسة ، فأما الدين فها جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطلع أحد فى كتاب أخيه بغير إذنه ، والسياسة انخراق الهيبة . أفليس يعلم الأمير أنى جئته من قبل محمد بن طغج ؟ أفلى بد من مكاتبته وتعظيم أمره فى غيبته ، وأن أطلعه على مايحتاج إليه ؟ ! هذه رسل الأرض ، فايش يعمل الأمير فى رسل السماء؟ قد والله كتب مع الطائر أكثر من هذا ! واستودع الله الأمير ، مايرانى بعدها ! فأخذ بذيله ومازال يرفق به ويترضاه ويقول له : أنت أولى من احتمل . وكان / شريفاً قوى النفس جريئاً فى خطابه ، وأكثر نعمته اكتسبها فى هذه الوساطة بين هذين الرجلين .

١٨٨ ظ
٣

١٨٩ و
٣

وحدثنى الأصبهانى صاحب محمد بن رائق قال : لما استقرت الرسالة على أن ينصرف ابن رائق من الرملة فما وراءها ، قال محمد بن على بن مقاتل كاتب محمد بن رائق وصاحبه للحسن بن طاهر : يا أبا محمد ، نحن على الانصراف ، فاذكر جميع ماتحتاج اليه ، فان الأخشيد إذا وصل إلى الرملة أمضى ما يعمله لك ، فسأله فى إسقاط ماعليه من الخراج ، فأمضى ذلك وكتب إليه باقطاع وأرزاق له وبحاشيته مبلغ الجميع خمسة عشر ألف دينار سوى ماتقدم .

وحدثنى محمد بن الحسن قال : كان الأخشيد بعد وقعة العريش قد عظم أمره ، فحدثنى أبو الحسن بن جابر كاتب عبيد الله بن طغج قال : كتب صاحبى عبيد الله إلى أخيه الأخشيد

---

(١) إقرأ عن ضمان الارض فى مصر الاسلامية قبل العصر الفاطمى ، سيدة إسماعيل كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ٥٩ — ٦٤

(٢) أى يفرقون فيها .

١٨٩ظ
٣

من الرملة، يستأذنه فى المسير إليه لزيارته شوقاً إليه، فأذن له، / فلما قرب دعانى الأخشيد فقال لى: قد قرب أبو الحسين، وقد عزمت على الخروج لتلقيه فايش تعمل؟ أكسر عزمه وقل له إنك ليس تلقى محمد بن طغج، إنما تلقى أحمد بن طولون، وبالله لئن لم يترجل لى لأضربن عنقك! فسرت فلقيته بفاقوس، فقلت له: الأخشيد خارج يتلقاك، على أى شىء عزم الأمير؟ قال: على أى شىء؟ قلت: تترجل له، قال: مايسومنى أخى هذا! قلت له: إنه قال لى: قل له: إنما تلقى أحمد بن طولون، وقد أوعدنى بضرب العنق إن لم تترجل له، وأنا سائر إلى الشام. فقال: أفعل. فلما وصلنا إلى المنية أقبلت عساكر الأخشيد، فقلت له: انزل، قال حتى: يرانى، فقلت: خبرك عنده، فنزل نحواً من ثلاثمائة ذراع، فلما رآه الأخشيد، قال اركب يا أبا الحسين وحمله على خمسة فراس بسروج طاهرية وزاد فى إكرامه.

١٩٠و
٣

وحدثنى محمد بن الحسن قال: انصرف الأخشيد من وقعة العريش بعد هزيمة ابن رائق / منه وإنفاذه إلى مصر بالأسارى والرؤوس، وخليفته على مصر يومئذ أخوه أبو المظفر ووزيره محمد بن على المادرائى. فلما قرب من المنية قال للحسين بن محمد الماذرائى: أرى هيضة قد أقبلوا وأحسب الشيخ فيهم. يعنى أباه محمد بن على فسر اليه يا أبا على واسرع وبادر. قال الحسين: فعلمت ما فى نفسه فأسرعت إلى أبى وسلمت عليه وقلت له: هذا الأخشيد قد قرب منك وقد رآك فأخرج رجلك من الركاب فهو يرضى منك بها فصاح على وقال: اذهب والله لا فعلت هذا! ولم أجد فيه حيلة فقرب الأخشيد ولقيه محمد بن على ولم يترجل له وعانقه ولم ينبسط الأخشيد وصاح الأخشيد: هاتوا أبا بكر الكاتب، يعنى كاتبه ابن كلا، فسايره وأقبل عليه يحادثه، وبقى محمد بن على فقال محمد ابن على لغلمانه: أخرجونى من زحمة الموكب فأخرجوه وسار فرآه الأخشيد. قال لأبنه: يا أبا على

١٩٠ظ
٣

أين يمضى الشيخ؟ قال خوف زحمة الموكب، فقال: / ردوه وسايره وعلم أن ذهاب محمد بن على عنه هجنة. قال: ولما قيل لمحمد بن على فى الترجل قال: ذهاب المال أهون على من هذا. فلما وصل الأخشيد إلى مصر أقام أياما وقبض على محمد بن على وابنه.

وكان الأخشيد أزرق بطينا مشهوراً بالعين، وكان قد تمكن وتشبه بابن طولون وقصده أمراء بغداد وقوادهم وكتابها وأولاد الوزراء، وأجرى الأرزاق. وهو أول من أقام الرواتب(1)، ونكب عماله وكتابه مرارا.

وكان الأخشيد لما قتل محمد بن رائق وسار إلى دمشق وخلا وجهه واستخلف على أعماله عاد إلى مصر فى سنة إحدى وثلاثين، وبلغه ما كان يعمل بحكم بالعراق من النظر فى المظالم والجلوس

(1) اقرأ عن الرواتب فى سيدة كاشف: مصر فى عصر الاخشيديين ص ٢٠٠

للناس فجلس بنفسه كل يوم أربعاء ، وكان مكرماً للصالحين ، ودخل إليه محمد بن أحمد الدينورى منكراً لأمور فأزالها . وحدثنى بعض الشيوخ أنه أفطر ليلة تسع وعشرين ولحقه كسل/ عن حضور الختم فقالت له جاريته : تأخر وأنا أعتق عنك غداً عشرة رقاب . فقال : أعشرة رقاب ! ويحك ، لعله يكون فى هذه الليلة رجل صالح له عند الله منزلة فيقول فى دعائه اللهم اغفر لجماعتنا ، فعسى أن أدخل فيهم ، هاتوا ثيابى ، فلبس وركب ونزل إلى الجامع العتيق وحضر الصلاة والختم .

١٩١ و
٣

وحدثنى بعض أهل مصر قال : كنت بالرملة وهو يسير فى أحد شوارعها حتى صاحت به امرأة من فوق سطح : أيها الأمير قف علىّ بوقوفك بين يدى الله فرفع وجهه وبادر فنزل عن دابته واتكأ على سيفه وقال : هاتوا المرأة فوجدوها قد سقطت خوفاً فأحضرت ، فقال : ما شأنك ؟ فقالت ابنى صبى أمرد غيب عنى فأمر باحضاره فأحضر ، فدعا بصرة فيها مائة دينار فرما بها إليها وقال : خذى ابنك وهذه الصرة فعسى الله أن يرحم ذل موقفى بين يديه .

ثم لم يزل الأخشيد بقية سنة إحدى وثلاثين يدبر أمر مصر مطمأن القلب/ قد استراح من أعدائه ، ثم ورد عليه خبر بمسير عسكر من الشرق فأمر بمضاربه فأخرجت ، فاجتمع إليه أهل مصر فسألوه المقام فلم يفعل ، ثم تراخى ، فورد عليه الخبر فى شعبان سنة اثنتين وثلاثين بمسير عسكر بعد عسكر ، وكان قد أطلق محمد بن على المـاذرائى وصرفه إلى منزله .

١٩١ ظ
٣

ثم قدم صالح بن نافع من الشام فحرّض الاخشيد على المسير ، فقبض على محمد بن على وردّه إلى الاعتقال ، وقبض على كاتبه ابن كلا وعلى جماعة معه وصادرهم ، وحمل معهم محمد بن على وابن كلا واستخلف ابنه أوتوجور على مصر ، واستخلف له عمه الحسن بن طغج وكان يُدعى للمتقى ، ثم للأخشيد ثم لأوتوجور ، ثم لأبى المظفر الحسن بن طغج [1] .

ولمـا ورد عليه كتاب المتقى بأنه سائر إليه ، سار إليه الاخشيد وبلغ الرقة فأراد منه المتقى أن يعبر إليه فلم يفعل خوفاً مما جرى على محمد بن رائق حين عبر إلى ابن المتقى/ وصنع ابن حمدان ما صنع ، فعبر المتقى إلى الأخشيد والتقيا بالرقة ، وحمل إليه الأخشيد من العين والورق والـكسوة والجوهر والطيب والفرش والـكراع والبغال ما مبلغه مائتان وخمسون ألف دينار [2] ، وحمل إلى خواصه ولم يدع أحداً إلا حمل إليه ، وكان الأخشيد لمـا لقى المتقى ترجل عن بعد وهو بسيفه ومنطقته وجعبته على سبيل الخدمة ، وقبل الأرض مراراً ، ثم تقدم فقبل يده فصاح به محمد بن خاقان : اركب يا محمد . ثم صاح : اركب يا أبا بكر . فقيل : إن المتقى قال لابن خاقان : كنه . فـكنّاه للوقت . ثم كان الاخشيد يقف بين يديه على سيفه وإذا ركب حجبه ، وجعل مقرعته على كتفه ،

١٩٢ و
٣

(١) أنظر المرجع نفسه ص ١٤٥ — ١٤٦
(٢) أنظر المسعودى : مروج الذهب ج ٨ ص ٣٤٨ — ٣٥٠

١٩٢ظ
٣

لأنه لم يخدم خليفة قط غيره، وافتخر بذلك وأعجبه. ثم قال للاخشيد: قد وليتك أعمالك ثلاثين سنة فاستخلف لك أونوجور، وقيل إنه كناه أبا القاسم، فقبل الأرض مراراً. وأهدى إليه الأخشيد/ هدية أخرى مكافأة على ما فعله بابنه أونوجور وتكنيته له [1]. وطلب منه المتقى الحسن بن طاهر الحسينى فأدخله إليه، وطلب منه محمد بن على الماذرائى فدافع عنه ولم يخبره أنه معه، وكنى المتقى الحسن بن طاهر فى مجلسه، فقال المتقى يرحمك الله أبا محمد. ولما شاهد الأخشيد من إكرام المتقى قال له: أسير بين يدى أمير المؤمنين وأخدمه إلى بغداد، فأجابه المتقى إلى ذلك، وأحب الأخشيد أن يكون أمير الأمراء.

فحدثنى أحمد بن عبد الله الفرغانى قال: قال لى أبى: فبلغنى ما عزم عليه الأخشيد، فوبخته على ذلك وقلت له: أتلفت مصر والشام وأتلفت نفسك مع الأتراك ومع توزون وما تدرى إيش يكون! فتبين الأخشيد الخطأ وقال: قد قلت، فكيف الحيلة؟ قلت: ما يسهله الله. قال الفرغانى: فدعوت برجل من المغاربة له أخ بالمغرب فقلت له: خذ رقاً/ واكتب فيه كتاباً من أخيك إليك وقل فيه: لما اتصل بأمير المؤمنين القائم بأمر الله مسير الأخشيد إلى المتقى بالعراق جهز العساكر فى البر والبحر إلى مصر واغتنم خلوها وإذا كتبت الكتاب ففركه وأدعكه حتى يصير كأنه قديم. ثم قال للرجل: اسبقنى بالخبر إلى الأخشيد. فبلغ الأخشيد فقال للفرغانى: إيش فى هذا الكتاب؟ فقال: لا أدرى. فقال: خذه، فأخذه وقرأه على الأخشيد، فقال للفرغانى: اكتمه لئلا يتشوش العسكر، ثم حمله للمتقى وقرأه عليه فقال: كنت قد عزمت على السير لخدمة أمير المؤمنين وأخاف على مصر والشام. فقال: سر ولا تتأخر، فودعه وسار، واستخلف غلامه تحريراً الازغلى فسار مع الأخشيد إلى الشامات، ولما وصل المتقى إلى باب بغداد إلى موضع يقال له السندية لقيه توزون التركى أمير بغداد فقبض على المتقى / وخلعه وعقد للمستكفى عبد الله بن المكتفى رجلا كهلا، فلما قبض توزون على المتقى قال ابنه: يا أبا الوفاء تفعل بمولاك مثل هذا؟ فقال: غركم أنى أقول مولى أمير المؤمنين، إنما أعنى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه.

١٩٣و
٣٠

١٩٣ظ
٣

ولما بلغ الأخشيد وهو بالشام ما فعل بالمتقى بكى وتأسف على شبابه وحسنه، ثم جد الأخشيد فى السير حين بلغه هذا ودخل إلى مصر وزينت له الأسواق فركب ركوباً عظيماً وركب معه ابنه أونوجور وأقام الأخشيد الدعوة للمستكفى على منابر مصر والشام.

---

(١) لا ريب فى أن قتل ابن رائق واستقرار الحكم فى الشام للاخشيد ونجاحه فى تدعيم حكمه فى مصر، كل ذلك يعتبر حداً فاصلا فى علاقته بالخلافة، فقد أصبح من القوة بحيث استطاع فى آخر ذى القعدة سنة ٣٣١ هـ. (٩٤٢ م) أن يأخذ البيعة من قواده لابنه ابى القاسم الأنوجور من بعده وكان ذلك قبل لقاء الاخشيد الخليفة فى الرقة. انظر المقريزى: الخطط ج ١ ص ٣٢٩ وأبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٤

ولما انصرف الأخشيد من حضرة المتقى سار سيف الدولة بن حمدان إلى حلب وقنسرين والثغور والشامية وحمص وانطاكية وسائر الأعمال فأخذها وأقام الدعوة فيها للمستكفى ولأخيه ولنفسه ، ثم عزل وولى واستخرج الأموال .

١٩٤و
٣

وكتب الأخشيد إلى المستكفى يخبره بما سارع اليه من إقامه / الدعوة وأخذ البيعة ، ويعرفه ما عمله سيف الدولة بن حمدان ، فكتب اليه المستكفى ومع الكتاب خلع للأخشيد ولابنه أونوجور .

وبلغ الأخشيد أن سيف الدولة سار إلى حمص يريد دمشق ، فجرد الأخشيد عسكراً كبيراً وجعل عليه أربعة ، فساروا إلى دمشق وعبوا عساكرهم ، ثم ساروا إلى حمص فالتقوا مع سيف الدولة بالرستن (١) من أرض حمص فهزمهم سيف الدولة ، فعادوا الى دمشق ، ثم خرجوا عن دمشق يريدون الرملة ، ثم إلى مصر . ثم سار سيف الدولة فى أثرهم يريد دمشق وكتب الى أهل دمشق كتابا قرىء على منبر جامع دمشق ، وحملت نسخة إلى الأخشيد وهى : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من سيف الدولة أبى الحسن إلى جماعة الأشراف والعلماء والأعيان والمستورين بمدينة دمشق أطال الله بقاءكم ، وأدام عزكم وسعادتكم وكفايتكم ونعمتكم ، كتابنا اليكم / من المعسكر المنصور بظاهر عين الحر ، عن سلامة وجميل كفاية ، لمواليها خالص الدعاء والشكر ، وقد علمتم أسعدكم الله تشاغلى بجهاد أعدائى وأعداء الله الكفرة وسبيى لهم وقتلى فيهم وأخذى أموالهم وتخريبى ديارهم ، وقد بلغكم خبر القرانين (٢) فى هذه السنة وما أولانا الله وخولناه وأظفرنا به ، واستعملت فيهم السنة فى قتال أهل الملة ، فما اتبعت مدبراً ولا دفعت على جريح ، حتى سلم من قد رأيتم (٣) ، وقد تقدمنا الى وشاح بن تمام بصيانتكم وحفظكم وحوط أموالكم وفتح الدكاكين ، وإقامة الأسواق ، والتصرف فى المعاش إلى حين موافاتنا إن شاء الله » .

١٩٤ظ
٣

فلما وصلت نسخة هذ الكتاب للأخشيد قلق لذلك ، واستخلف على مصر ابنه أبا القاسم واستخلف له عمه أبا المظفر ، ثم سار الأخشيد لايلوى على شىء ، وحصل سيف الدولة بدمشق ودخلها ومعه سائر أهله من شيخ وكهل .

---

(١) عند الموضع الذى يعبر فيه نهر العاصى الطريق من حمص إلى حماه . أنظر ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٢٤٩

(٢) القرانان مسألة فى علم النجوم تدل على السعد . والقرانان نجمان بعينهما .

(٣) إشارة إلى ما فعله سيف الدولة فى الرستن حين أمر جنوده أن لا يقتلوا أحداً من الجند الاخشيدى المنهزم وقال لجنده . الدم لى والمال لكم ! ثم أطلق سراح الأسرى وعددهم نحو أربعة آلاف . أنظر كمال الدين بن العديم الحلبى : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ص ٣٦٨

١٩٥ و
٣

وكتب / الأخشيد من الرملة إلى عيسى كيل[١] وهو بدمشق مع سيف الدولة يعده بالأموال والتقليد والخلع وأضعاف الرزق ، ومع الرسول خاتم الأخشيد ، فوصل الرسول إلى عيسى كيل وهو مع سيف الدولة بالشماسية ، فاستأذنه في الركوب إلى دمشق لدخول الحمام فأذن له ، وشرب وسكر ، وثار مع العصر بدمشق ، ودعا الناس إلى الأخشيد وخاتم الأخشيد في يده ، وغلق أبواب دمشق وأفاق عيسى كيل من سكره بالليل وتبين أمره ، فهرب في جوف الليل إلى الأخشيد وهو بطبرية ، فخلع عليه وأجازه وحمله وقاد إليه فرساً أدهم وعليه سرج ولجام مطلى فيه أربعة عشر ألف درهم ، مايقدر الفرس يتحرك من ثقل ماعليه . وسار عيسى كيل بين يدى الأخشيد ، فلما قرب من دمشق دفع سيف الدولة[٢] ، وأحرق أخصاصاً كانت قد عملت ، وسار إلى نواحى حمص . ودخل الأخشيد إلى دمشق والأمراء والقواد بين يديه ، ثم / سار إلى حمص ، ثم سار إلى قنسرين والتقى مع سيف الدولة واقتتلا ، واستظهر عليه سيف الدولة ، فحسده ابن عمه الحسين بن أبى العلاء فانهزم[٣] ، فاستظهر الأخشيد وقتل وأسر جماعة من وجوه العجم .

١٩٥ ظ
٣

ولم ينصرف سيف الدولة ، بل عسكر مواجهاً للأخشيد[٤] ، فاختار الأخشيد المسالمة ، وراسله بالحسن بن طاهر على مال يحمله إليه ، وأن يكون لسيف الدولة من جوسية[٥] إلى حمص إلى سائر أعمالها وما وراءها ، ويكون للأخشيد من دمشق ومابين يدها إلى آخر أعماله ، وزوجه ابنته فاطمته[٦] ، وكان الولى الحسن بن طاهر بتوكيل الأخشيد ، فسر سيف الدولة بذلك وأجاب إلى السلم وعقد النكاح ، ونثر سيف الدولة فى مضربه للحاضرين ثلاثين ألف دينار ونثر خارج المضرب أربع مائة ألف درهم ، وحمل إلى الحسن بن طاهر مالا كثيراً وخلعاً .

---

(١) يبدو أن عيسى كيل كان من قواد الأخشيد ثم انضم إلى سيف الدولة واتصل به فى دمشق .

(٢) قيل إن سيف الدولة كان قد غادرها فترة قصيرة للقاء الاعراب الضاربين حولها وانه لما عاد إليها منعه أهلها من دخولها . وربما كان ذلك بتأثير عيسى كيل . انظر كمال الدين ابن العديم : زبدة الحلب ص ٣٦٩

(٣) انظر وصف هذه الموقعة فى كمال الدين ابن العديم المرجع السابق ص ٣٦٩

(٤) وفى رواية أخرى أن سيف الدولة هرب إلى الرقة وقيل إنه أراد دخول حلب فمنعه أهلها ، وأن الاخشيد دخل حلب وعاث أصحابه فساداً فى أرجائها ثم عاد إلى دمشق وانتهت المفاوضات بينه وبين سيف الدولة إلى « أن أفرج الأخشيد له عن حلب وحمص وانطاكية وقرر عن دمشق مالا يحمله اليه فى كل سنة » انظر المرجع السابق ص ٣٧٠

(٥) بلدة على خمسة وثلاثين كيلومتراً إلى الجنوب الغربى من حمص راجع . ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ١٧١

(٦) الصحيح أن فاطمه هذه ابنة أخيه عبيد الله بن طغج كما ذكر كمال الدين ابن العديم : زبدة الحلب ص ٣٧٠ وليست ابنة الاخشيد كما ورد هنا .

١٩٦ و
٣

وحدثنى الحسين بن أريخا قال : كان الأخشيد يوم لقى سيف الدولة فى خمسين / ألفا من الجيل إلى الجيل ، فجاء جاسوس إلى الأخشيد فقال له : إن على بن حمدان قد سأل عنك . فقيل له : هو صاحب الخفتان الأسود ، فقال : والله لألقين بنفسى عليه . فنزع الأخشيد الخفتان الأسود وأقام غلاما بخفتان أسود ، وحمل ابن حمدان يريد صاحب الخفتان الأسود ، فخرج عليه الأخشيد من موضع آخر فى غلمانه فهزمه .

وحدثنى بعض شيوخ دمشق ممن كان الأخشيد يأنس به ويحادثه قال : سألنى جماعة وجوه غلمان الأخشيد توبيخ الأخشيد على ما عمله من الصلح والمصاهرة ، فقلت له : أيها الأخشيد ، إيش حملك على مصالحة ابن حمدان ومسالمته ومصاهرته ؟ فقال : الغلمان سألوك مساءلتى !! فقلت : نعم ، قال عليهم لعنة الله ! أتراهم يعلمون من الأمر أكثر مما أعلم ؟! اعلم أن على بن حمدان كاتبناه من الرملة فبذلنا له فلم يفعل ، وكاتبناه من طبرية فامتنع ، ثم سرنا إليه ورزقنا الله تعالى النصر عليه وعلى / أصحابه

١٩٦ ظ
٣

الظفر ، فلم ينصرف وخيم حذاءنا بوجه صفيق وقلة حياء ، فتوقفت عنه ، فقال لى الغلمان : دعنا نمضى نلقاه ، ففكرت فى قولهم ولم أخل من أحد وجهين : إما أن يهزمنا ويرزق علينا النصر فتكون الفضيحة ، وإما أن نرزق عليه النصر فنأخذه فايش أعمل به !! هل هو أكثر من أن أنزله فى مضرب يشبهه وأنفق عليه ما يصلح له ، ثم أجهزه وأرده لأخيه وأهله لأنهم لا يتركونه ؟! وأقل ما كان يكفينى له مائتا ألف دينار ، ثم لا أطيق غلمانى من إذلالهم والشجب والتجنى علىّ بما عملوه ، ويطلبون منى الأعمال والولايات فرأيت أن مسالمته ومصالحته أفضل وأصلح [١] وأرسلت إليه الحسن بن طاهر أعده بالأموال والخروج من أعماله ، فلما رأوا الحسن بن طاهر قد مضى ازدحموا على يسبونى ويشتمونى ويسألون الله الراحة منى . فما أقام الأخشيد بعد هذا إلا سنة

١٩٦ ظ
٣

وتوفى . ولما فرغ من هذا / الصلح سار مجداً إلى دمشق فأقام بها ودبر أموره ، ثم بويع المطيع فكتب إلى الأخشيد بالتقليد .

وتكاف الأخشيد وسيف الدولة ، وهدأت الفتنة ، واستقامت الطرق ، وتفرغ سيف الدولة للجهاد آمنا [٢] . وركب الاخشيد بدمشق ركبة عظيمة إلى الصيد ، وبين يديه من الجوارح من كل فن ما لم يكن بين يدى خليفة قط ، وبين يديه محمد بن تكين ، وتكين الخاقانى ، وجماعة القواد ، فما قدم على شى من الصيد ولا عصفور وعاد كاسف البال ، فلما بلغ باب البركة التى كان

(١) كان الحمدانيون يعرفون ذلك حق المعرفة ، وحسبت قول شاعرهم أبى فراس الحمدانى :

فلما رأى الاخشيد ما قد أظله تلافاه يثنى غــــربه ويكاشر
رأى الصهر والرسل الذى هو عاقد ينال به ما لا تنال العساكر

أنظر ديوان أبى فراس الحمدانى ج ٢ ص ١١٧ و ١٤١ — ١٤٢

(٢) أى لحرب البيزنطيين .

ينزلها قال: لا يبرح أبو بكر ولا أبو علي ولا أبو الحسين، فأمر لهم بأفراس حملوا عليها ثم دخل الحمام، وعملت المائدة ليخرج من الحمام ويأكلوا معه. فبينا هو في الحمام إذ خرج الغلمان وقالوا لكافور: الحق الاخشيد!! فلحقه وقد غشى عليه في الحوض، فرمى كافور بنفسه في الحوض وأخرجه وصب عليه الماء ثم / أخرجه إلى المسلخ [1] وألبسه ثيابه ثم بخره، ودعا بابن البالسي الطبيب، فسقاه شراباً وركب، وقدمت المائدة وجلست الجماعة معه، ومد يده ليكسر الرغيف فما قدر فشد يده اليمنى بيده اليسرى فلم يقدر، ففطن له محمد بن تكين فقال: قد أخذت الحمام من الأخشيد ونحن نعود في غد، فما نطق بحرف. وانصرفوا وحمل إلى مرقده، وابتدأت به العلة خمسة عشر يوماً، وتوفي لثمان بقين من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة.

١٩٧ظ
٣

وثارت الفتنة بدمشق، وركب عيسى كيل ليأخذ الدولة، ونهبت خزائن الأخشيد، وكان الاخشيد يتقدم في كل سفرة ويقول للفرغاني: لا تحملوا المال في الصناديق فإن الصناديق مطلوبة، بل اجعلوها الخزائن قال كافور: في خزائن السلطان. فجعل المال في اعدال الجواشن، فلما ثارت الفتنة ونهبت والأكياس إلى أن سكنت الفتنة. إيش نعمل بالمال! ثم قال: اطرحوه في البركة فطرحت / الاعدال

١٩٨و
٣

وحدثني منصور بن أحمد الصيمري قال: ركب صاحبي في ألف ترس من الديلم، فأرسل إليه كافور ووعده فجاء إليه، فلما سكنت الفتنة بعد ثلاث وجد الأخشيد قد انتفخ وأكل الفأر أطراف أصابعه وأكل الذر عينيه فغسل صبا، وطلب له كافور فلم يوجد إلا من السوق مغشوشا، وطلب له بغل يحمل تابوته فلم يوجد الا جمل أعور، فحمله عليه الخازن وسار به إلى بيت المقدس [2].

وحدثني محمد بن المنهال قال: لقيت تابوت الأخشيد بنواحي طبرية على جميل أعور، والذين معه من السودان يتأذون بريحه وإذا نزلوا بعدوا منه إلى أن وصلوا به إلى بيت المقدس ودفن هناك.

وحدثنا أبو جعفر أحمد بن يوسف في كتابه في سيرة ابن طولون بما خلفه، فأردت أن أذكر في سيرة الأخشيد ما خلفه، وكان كثير المصادرة، فأما الذي خلفه من المال والعين والورق / فحدثني محمد بن عبد الله قال: قال لي أبي قلت للأخشيد بالرقة وقد ذهب أكثر ما معنا من المال في ذلك فأخذ منطقتي بيده وجذبني وقال: تدري كم خلفت عند كردن؟ خلفت عندها عشرين بيت مال. وذكر صالح بن نافع أن الأخشيد أوقفه على سبع مطامير [3] في كل مطمورة الف الف دينار، مطمورة من الدنانير الأخشيدية ومطمورة مقتدرية ومطمورة مكتفية ومطمورة متقية ومطمورة مغربية ومطمورة من خلط دنانير العراق.

١٩٨ظ
٣

(١) المسلخ المكان الذي تنزع فيه الثياب في الحمام. انظر الغزولي: مطالع البدور ج ٢ ص ٤
(٢) انظر التعليق على هذا في سيدة كاشف: مصر في عصر الاخشيديين ص ١٢٣
(٣) المطمورة الحفيرة في الأرض تخبأ فيها الأشياء أو الاناء تخزن فيه النقود: أنظر R. Dozy: Supplément aux Dictionnaires Arabes

ولما توفى الأخشيد وجلس ابنه واستوزر أبا بكر محمد بن على الماذرائى طلب من أم ولد الأخشيد المال للرجال ، فقالت : ما عندى ، فقال : ما فعلت سبعة أرادب أخذها منى دفعة ما أنفق منها ديناراً واحداً ! وخلف من الجواهر ما قيمته مائتا الف دينار ، وخلف من العنبر ثمان مائة رطل ، وخلف من العبيد ثلاثة آلاف ما بين روم ومولدين / وسود ، وخلف من الخيل لركابه ألفا ومائتى فرس سوى دواب غلمانه ، وخلف من البغال ثلاثة آلاف ، ومن النوق ثلاثة آلاف ومن المراكب مائة مركب سوى العشاريات كل مركب يقوم عليه بثلاثة آلاف دينار .

199 و
3

ومن كتاب ابن القرطى فى تاريخ مصر : جملة أمر الأخشيد أنه كان من بيت ملك ولكن قعد الدهر به بعد ما تصرف بين حلوه ومره إلى أن ألجأته الضرورة لخدمة العمال حتى صار بمصر يحمل البزاة لابن بسطام ، ومازالت همته تعلو وسعادته تعينه إلى أن ملك مصر والشام والثغور وخطب له بالحجاز واليمن . ولذلك يقول شاعره سعيد بن فاخر المعروف بقاضى البقر فى قصيدة يمدحه بها (من السريع) :

يا ملك الشام ومصر إلى — أقصى ثغور الروم والشام

واليمن الأبعد لا زلت ر — فيعا قادراً حام

فى أبيات ضعيفة ، إنما ذكر ما ذكر منها لموضع / الاستشهاد . وذكر القرطى من أمره ما تقدم معناه فى سيرة ابن زولاق ، فلا فائدة للتكثير والاطالة .

199 ظ
3

أبو القاسم أونوجور بن الأخشيد

من كتاب ابن زولاق المتقدم الذكر : لما ورد نعى الأخشيد إلى مصر سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة فى المحرم اضطرب البلد ، وركب أبو المظفر أخوه ، ووزيره أبو بكر محمد بن على ابن مقاتل إلى دار الامارة ، وخرج إليهما ابنه أبو القاسم أونوجور [1] . وحضر الناس للتعزية وانصرفوا على غير رأى ولا تدبير ، وانصرف أبو المظفر إلى داره فى موكب كبير . وانصرف محمد بن على إلى داره فى الدولة كلها ، لأن الذين انصرفوا مع أبى المظفر لحقوه . ثم اجتمعوا من الغد فى دار الامارة وحضر وجوه الناس من الأمراء والقواد والوزراء والكتاب والأشراف والقضاة والشهود وأرسلوا إلى أبى بكر محمد بن على الماذرائى فحضر فعرفوه وشاوروه / فقال : ما ها هنا مشورة ، لم يمت الاخشيد حتى عقد لابنه أبى القاسم أونوجور واستخلفه المتقى لأبيه ، وكناه المستكفى وأنفذ إليه الخلعة ، فأومأوا إليه بأنه صغير ابن خمس عشرة سنة فقال لهم : وإيش يكون ؟ أنا عقدت لهارون بن أبى الجيش وهو أصغر منه ، ونزعت من أذنيه القرطين !

200 و
3

(1) يذهب ابو المحاسن بن تغرى بردى إلى أن أنوجور كان فى دمشق حين مات أبوه . انظر النجوم الزاهرة ، ج 3 ص 55 2 و 291

وكانت أم أونوجور بحيث تسمع ، فأرسلت إلى محمد بن على ينوب عنه ويدبر الأمور ، فقال على ألا أنزع الطيلسان ، ويكون ابنى أبو على كاتبه . فاتفقوا على ذلك ، وكان أبو المظفر عمه حاضراً ينتظر أن يرد الأمر إليه ، فتم الأمر لأبى القاسم أونوجور [١] .

ولما أنفذ له الأمر قال أبو المظفر لمحمد بن مقاتل : نريد المال . قال : ما عندى مال فأسمعه أبو المظفر ، ووثب عليه أبو بكر بن كلا ونتف لحيته وأخذ حصاه .

وقال أبو بكر محمد بن على الماذرائى : يُطلق الساعة على ، ابن خلف بن طياب [٢] فأطلق له [٣] . وقال يُنفى ابن قرماقس [٤] . / إلى الأسكندرية ، فنفى لوقته . وانصرف أبو بكر الماذرائى بين الحاضرين من أهل الدولة يزف إلى داره ، ونظر فى الأمر كله . وركب أبو القاسم أونوجور يوم الجمعة لصلاة الجمعة فى الجامع العتيق فى جميع عساكره التى بمصر وبين يده عمه أبو المظفر يحجبه وخلفه أبو بكر محمد بن على الماذرائى وزيره ، فصلى الجمعة وانصرف فى موكب أبيه .

٢٠٠ ظ
٣

ومن كتاب القرطى : لما مات الأخشيد وقدم أولياؤه ابنه أونوجور بمصر ، اضطربت الشام وصارت دمشق إلى سيف الدولة ، فاتفق أن سار سيف الدولة الشريف العقيقى بغوطة دمشق فقال له سيف الدولة : ما تصلح هذه الغوطة إلا لرجل واحد ، فقال له العقيقى : هى لأقوام كثيرة ، فقال سيف الدولة : لئن أخذتها القوانين السلطانية ليتبرأون منها [٥] . فأعلم العقيقى أهل دمشق بذلك فكاتبوا كافوراً يستدعونه ، فجاءهم وأخرجوا / سيف الدولة . ومن التاريخ الكامل لابن الأثير أن ذلك كان سنة ست وثلاثين وثلاثمائة فصارت دمشق لكافور الخادم [٦] وإليه صارت الدولة والغلبة عليها .

٢٠١ و
٣

قال القرطى : ولم تطل مدة أونوجور بن الأخشيد وكان صغيراً عن تقليد الأمور محكوماً عليه [٧] فتوفى فى مدة المطيع سنة تسع وأربعين وثلاثمائة .

---

(١) انظر تعليقاً على هذا فى سيدة اسماعيل كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ٩٤ — ٩٥

(٢) ورد اسمه فى المسعودى : مروج الذهب ج ٨ ص ٦٥ وفى ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ١٢٥ « أبو الحسن على بن خلف بن طباب » .

(٣) راجع عن هذا الوزير واعتقاله وإطلاقه سيدة اسماعيل كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ١٦٢ و ١٦٣ وما ذكر فيه من مراجع .

(٤) ورد اسمه فى ابن ظافر الأزدى : كتاب الدول المنقطعة (طبعة وستنفلد) ص ٥٨ ابن توماتس . وقد كان كاتبا للاخشيد . انظر سيدة اسماعيل كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ١٦٧ — ١٦٨

(٥) فى المكين ابن العميد : تاريخ المسلمين ص ٢١٥ : « إن أخذتها النواب واستولى عليها الدواوين لتبرز عنها أهلها » .

(٦) انظر تفصيل ما حدث فى عهد اونوجور بين سيف الدولة وكافور فى سيدة اسماعيل كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ٣٥٣ — ٣٥٤

(٧) انظر المرجع السابق ص ١٢٥ — ١٢٦

على بن الاخشيد

من كتاب القرطى أنه لما مات أورنوجور قدم أرباب الدولة الاخشيدية أخاه عليا . وكان حكمه فى غلبة كافور عليه كحكم أخيه المتقدم قبله[1] . قال : وكانت وفاته سنة خمس وخمسين وثلاثمائة .

أحمد بن على بن الاخشيد

قال القرطى : لما مات على بن الأخشيد كان ابنه أحمد صغيراً ، فاستبد بالسلطان كافور الخادم ولم يظهر لأحمد رسم ولا اسم الى أن مات كافور / سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، فاظهر عقد الامر لأحمد بن على بن الاخشيد وهو ابن إحدى عشرة سنة ، ودبر أمره الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات[2] .

٢٠١ ظ
٣

قال : وفى أيامه وقع الغلاء العظيم بمصر ، ومات القائم صاحب المغرب ، ومات ابنه المنصور ، ودخل جوهر غلام المعز إلى مصر قبل مولاه المعز الاسماعيلى يوم الثلاثاء است عشرة خلت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وخرجت مصر عن يد بنى العباس ، وقبض على أحمد بن على ومات من علة صادفت وقتاً ظن الناس فيه أنه قتل .

كافور

من كتاب القرطى : كان كافور الأسود الخصى من أعاجيب الدنيا ، وسيرته من أغرب السير . وذلك أنه أول ما سيق من بلاد السودان وهو صغير مر على السوق بمصر ومعه أسود آخر ، فقال ذلك الأسود / كنت أتمنى أن أباع على طباخ حتى أكون عمرى شبعان من المطابخ . فقال كافور : وأنا أتمنى أن أملك هذه المدينة . فقضى الله تعالى أن بلغ كل أحد منهما غرضه ومر كافور على السوق وذلك العبد الذى تمنى أن يبتاعه طباخ فى ثياب المطابخ وهو يحرك القدر ، فضحك وقال أدرك كل واحد ما أمله وأخبر بالحكاية من يختصه لمثل ذلك .

٢٠٢ و
٣

وكان مولاه محمد الاخشيد يعرف فيه النجابة ويتفرس فيه الهمة العلية ويقول : والله لاورث دولة ابن طغج إلا هذا العبد ! يعنى كافور . ونظر اليه يوماً وقد جىء بفيل وزرافة ، فمال جميع العبيد والخدم بأبصارهم للفرجة فيها فلم تبرح عينه من عين الأخشيد خوف أن يحتاج اليه أو يدعوه فيكون مشتغلا عنه ، فقال الأخشيد لجلسائه : انظر تميز هذا العبد بين جميع هؤلاء ليكونن له شأن !

قال واتفق له أن دبر دولة أونوجور بن الأخشيد ثم / دولة على بن الأخشيد ، وماتا فى حياته فصار السلطان إليه ، وتسلم جميع الخزائن والذخائر ، وكان عنده من ذلك مالم يجتمع لسلطان .

٢٠٢ ظ
٣

(١) انظر المرجع نفسه ص ١٢٦ — ١٢٧

(٢) انظر المرجع نفسه ص ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٤٥

وكان ذا همة عظيمة فى مطاعمه وملابسه وصلاته . وقد قصده سيد الشعراء وإمامهم أبو الطيب المتنبى وقال فيه (من الطويل) :

فجاءت بنا انسانَ عينِ زمانه　　وخلّت بياضاً خلفها ومآقيا

قواصد كافورٍ توارك غيرَه　　ومن قصد البحر استقل السواقيا [1]

قال : ولما وقف على هذا وحاضر فيه من حضر ، طرب به استحسانا وقال : الا أن أبا الطيب قد هجن القصيدة بكونه افتتحها بقوله (من الطويل) :

كفا بك داءٌ أن ترى الموت شافياً　　وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا

وقال : ماينبغى لمن يقصد الملوك فى نجاح حاجة أن يكون خطابه لهم أول مايخاطبهم به مثل هذا. قال : وكان عارفا بمقادير العلماء والأشراف والوجوه . سقط يوما سوطه فى الموكب فناوله إياه أحد الشرفاء فقبّل / يده شكراً وقال له : نعيت إلىَّ نفسى ، فما بعد أن ناولنى ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سوطى غاية يتشوف لها ! فمات عن قرب . ولما ناوله السوط كان له من الافضال عليه والخلع ما اشتهر ودوّن . وليم على قلة إرضائه للمتنبى وكونه لايوليه ولاية حتى قال (من الطويل) :

٢٠٣ و
٣

إذا لم تنط بى ضيعة أو ولاية　　فجودك يعطينى [2] وشغلك يسلب

فقال ياقوم : رجل ادعا النبوة مع خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم ، كيف يوليه كافور فيأمنه ، ولما بلغه قوله (من البسيط) :

من أيّة الطرق يأتى مثلك الكرم !　　أين المحاجم ياكافور والجلم ؟ [3]

قال : بارد ! المحاجم والجلم عند الحجام . ولما فر كتب ورقة فيها هجو له فأوصلت إلى يد كافور ، فأمر باحراقها ولم يقف على مافيها فكان ذلك مما استحسن له . وقد صنف له الكندى كتاب فضائل مصر [4] .

---

(١) انظر ديوان المتنبى ص ٣٧٣ — ٣٧٧

(٢) فى الديوان ص ٣٩٩ لجودك « يكسونى » .

(٣) راجع الديوان ص ٤٢٨

(٤) نسب السيوطى (فى الفصل الذى عقده فى كتابه حسن المحاضرة لذكر من كان بمصر من المؤرخين) هذا الكتاب الى أبى عمر محمد بن يوسف الكندى صاحب كتاب الولاة والقضاة . ولكن الصحيح أن كتاب فضائل مصر ليس لهذا المؤرخ بل لابنه عمر ، وحسبنا أن عمر هذا يشير فى مقدمة كتاب فضائل مصر الى والده بين العلماء الذين جمع من كتبهم ، ما أمره به كافور ، ثم يذكره ثانية بين علماء مصر « الذين =

٢٠٣ظ / ٣

قال : ومن حكاياته أنه ذكر أحمد بن طولون يوما فى مجلسه ، / وأخبر أنه لما مات أحصى من قتله ومات بحبسه ، فكان مبلغهم ثمانية عشر ألفاً ، فاستعاذ بالله من هذا الأمر ، ورفع يديه يدعو أن يجعل الله أضعافهم فى ديوان إحسانه وصلاته .

قال : ومن حكاياته أنه وقفت له امرأة فى طريقه فصاحت به : ارحمني يرحمك الله ! فدفعها أحد رجاله دفعاً عنيفاً فسقطت ، فاغتاظ وأمر بقطع يده ، فقامت المرأة تسأل فيه ، وتقول : دع ما كنت فيه أولا وشفّعني فى هذا الرجل لئلا أكون عليه مشئومة ، فتعجب كافور من مكرمتها وقال : اسألوها عن أصلها فما تكون إلا من بيت عظيم ، فسئلت ، فإذا بها علوية ، فقال : وهذا أعظم ، كون نساء الأشراف يحوجهن الدهر الى مثل هذا الموقف! قد أغفلنا الشيطان عنهم . ثم أحسن إليها وتفقد سائر نساء الأشراف وأدار عليهن الإحسان والجرايات .

٢٠٤و / ٣

قال : ومن حكاياته أنه مر يوما بحلقة سودان وعندهم طبل السودان المعروف بالدبدبة/ وهم يضربونه ، فطرب وحرك أكتافه ونسى نفسه، ثم تذكر نقد الناس عليه ، فصار يستعمل هز أكتافه فى أكثر الأحيان ، لئلا يتخيل أن هزها فى ذلك المكان من أجل الدبدبة بل هى عادة كانت تعتاده .

قال : ولما مات كافور سنة ست وخمسين وثلاثمائة [(١)] اختلفت القلوب فى مصر ، ووقع الغلاء العظيم فى سنة ثمان وخمسين. وبلغ ذلك المعز الإسماعيلى فسير غلامه جوهرا الرومى ، فهربت منه عساكر الإخشيدية قبل وصوله . فقدمها سابع عشر شعبان من هذه السنة ، فأقيمت الدعوة للمعز فى الجامع العتيق فى شوال . وفى جمادى الأولى من سنة تسع وخمسين سار جوهر إلى جامع ابن طولون فأذن المؤذن « بحيّ على خير العمل [(٢)] » . وهو أول ما أذن بمصر ثم أذن بالجامع العتيق وشرع جوهر فى بناء القاهرة .

٢٠٤ظ / ٣

قال على بن سعيد : ومنذ دخول جوهر مصر وبنائه القاهرة انقطعت السلطنة من / الفسطاط وصارت إلى القاهرة ، وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى فى كتاب القاهرة . وهذا آخر « كتاب العيون الدعج فى حلى دولة بني طغج » .

= برع كل منهم فى مذهبه والذين لكل واحد منهم من الكتب المصنفة مايعجز عن نظيرها سائر أهل الدنيا» فضلا عن أن كتاب فضائل مصر لم يذكر بين مؤلفات محمد بن يوسف الكندى فى ترجمته بكتاب المقفى للمقريزى أو الحاشيتين اللتين وردتا فى الورقة الثانية وفى الورقة الرابعة والثلاثين بعد المائة من المخطوطة المحفوظة فى المتحف البريطانى من كتاب ولاة مصر وقضاتها . والمعروف أن هذه الترجمة والحاشيتين هما المرجعان اللذان يضمان بيان الآثار العلمية للكندى صاحب الولاة والقضاة .

(١) ذكر قبل ذلك فى ترجمة أحمد بن على بن الاخشيد أن كافوراً توفى سنة ٣٥٧ هـ وهو الصحيح . راجع سيدة اسماعيل كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ١٠٠ — ١٠١

(٢) هذه الصيغة فى الأذان من مميزات الأذان فى العصر الفاطمى . راجع المقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ص ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٢٩٢ ، ٣٠٦

السلك

من حلى العروس الفسطاطية

المورَد فى السلك على اصطلاح هذا الكتاب مستخرجٌ من كتاب «مصابيح الظلام فى حلى القابضين على در الكلام» لا يورد فى هذا المكان إلا ترجمة من له نظم أو نثر. وتحقيق الفرق بين من اختص بالفسطاط من القاهرة صعب، ولكن نأخذ بلفظة تدل على التمييز فى ذلك، ونجعل من كان فى دولة بنى طولون ودولة بنى طغج وما قبلها إذا جهلنا حيث كان سكناه من أهل الفسطاط، لأن القاهرة فى ذلك الأوان لم تكن بنيت، ومن كان فى دولة العبيديين الخلفاء ولم نعلم تحقيق مسكنه جعلناه / من أهل القاهرة. والمشاحة فى ذلك لا تليق لأن المدينتين كأنهما مدينة واحدة، وقد أبصرت فى هذا العصر كثيراً من فضلاء مصر يكون لأحدهم دار بالفسطاط وأخرى بالقاهرة، وسنذكر من الكلام فى ذلك ما أمكن، والله المعين.

205 و
3

من كتاب مشارع الصفاء فى حلى الشرفاء

أحمد [1] بن طباطبا

من تاريخ المسبحى [2]: وفى ليلة الثلاثاء لخمس بقين من شعبان توفى أبو القاسم أحمد بن محمد ابن إسماعيل الرسّى بن القاسم بن إبراهيم طباطبا [3] بن إسمعيل بن إبراهيم بن حسن بن حسن بن على ابن أبى طالب عليهم السلام، وكان من السرور والنبل وجلالة القدر على ماهو معروف مشهور وله أدب واسع وشعر فى الزهد والغزل مليح، وكانت النقابة فى الطالبيين بمصر / إليه. ومن مليح شعره قوله:

205 ظ
3

لعمرُك [4] إنى للثريّا لحاسدُ ... وإنى على رَيْبِ [5] الزمان لواجدُ

أَيَبْقَى جميعاً شملُها وهى ستةٌ [6] ... وأفقد من أحببتُه وهْو واحدُ

---

(1) ترجم له الثعالبى فى اليتيمة (طبعة الشام) 1 / 328 وابن خلكان فى وفيات الأعيان (طبعة القاهرة سنة 1299 هـ) 1 / 69 وقال: كان نقيب الطالبيين بمصر، وكان من أكابر رؤسائها توفى فى سنة 345 هـ وعمره أربع وستون سنة.

(2) سيترجم له ابن سعيد فيما بعد.

(3) قال ابن خلكان: طباطبا بفتح الطاءين، وهو لقب إبراهيم، وإنما قيل له ذلك لأنه كان يلثغ، فيجعل القاف طاء، وطلب يوماً ثيابه، فقال له غلامه أجىء بدراعة؟ فقال: لا، طباطبا يريد لا، قباقبا فبقى عليه لقباً واشتهر به.

(4) فى اليتيمة: خليلى.

(5) فى اليتيمة: صرف.

(6) فى اليتيمة: سبعة.

وقوله :

أأترك الشَّربَ والأنواء دائمةٌ ... والطلُّ منها على الأشجار منثورُ
والغصن يهتزُّ كالنشوان من طَرَبٍ ... والوردُ في العود مطويٌّ ومنشورُ
لا والتي تركتني يوم فُرْقتِها ... كأنما الرَّمْلُ في عينيَّ منثور

وقوله :

قل للذي حَسُنَتْ منه خلائقُهُ ... بَكِّرْ[1] صبوحك واسبق من تُسابقُه
أما ترى الغيْمَ مجموعاً ومفترقاً ... يسير هـذا إلى هـذا يُعانقُه
كعاشقٍ زار معشوقاً يودّعه ... قبل الفراق فـآلَى لا يفارقه

وقوله :

عَيَّرَتْني بالنوم جَوراً وظُلْماً ... قلتُ : زدْتِ الفؤاد همّاً وغمّاً
اسمعي حُجّتي وإن كنت أدرى ... أنَّ عذرى يكون عندكِ جُرْما
لم أنَمْ لذّةً ولا نمتُ إلا ... طمعا في خيالكم أن يُلِمّا

/ وقوله : ٢٠٦ و / ٣

قالت لطيف خيالٍ زارني ومضى ... صفْ[2] ما به لى ولا تنقُص ولا تَزِدِ
فقال أبصَرْتُهُ لو مات من ظمأٍ ... وقلت قفْ لا تَرِدْ للماء لم يرد
قالت: صدقتَ ، الوفا[3] في الحبِّ عادته ... يا بَرْدَ ذاك الذي قالتْ على كبدى

وكانت سنه يوم توفى أربعا وستين سنة . وذكر القرطبي[4] : أنه ممن حضر العقد لأبى القاسم أونوجور بن الأخشيد بالفسطاط ، وأنه قال في ذلك اليوم وقد طمع في الأمر أبو المظفر بن طغج وغيره ، وتشعبت الأهواء :

مات إخشيدنا فها نحن في أمْـــرٍ مَرِيجٍ وكُلُّ كفٍّ تمدُّ
كلكم طالبٌ بجدٍّ وحرصٍ ... إنما الشأن أن يوافق جَدُّ
يا ولاةَ الأمور إن لم تنيبوا ... لانتظامٍ فقد تناثر عقد

(١) في اليتيمة : باكر .
(٢) في اليتيمة : صف لى هواه . وفي ابن خلكان : بالله صفه .
(٣) في اليتيمة وابن خلكان : وفاء الحب .
(٤) سيترجم له فيما بعد .

قال : وكان أديبا شاعرا متصرفا فى العلم ومن الملح المشهورة التى تنازعها جماعة من الشعراء ، كل يزعم / أنها له لحسنها قوله :

٢٠٦ظ
٣

يا بَدْرُ بادرْ إلىَّ بالكأْسِ فربَّ خيرٍ أتى على يأْسِ
ولا تُقبِّلْ يدى فإنَّ فمى أوْلَى بها من يدى ومن رأسى

وهو القائل :

وكأنَّ الهلالَ لما تبدَّا شطْرُ طوْقِ المرآةِ للتذهيب
أو كقَوسٍ قدِ انْحنتْ أو كنُؤْىٍ أو كنونٍ فى مُهْرَقٍ مكتوب

ومن شعره قوله :

أتكفُرُ ما أوْلَيْتُ فى كل محْفَلٍ بغيبٍ وتلقانى كأنك شاكرُ
وتأتى بذَنْبٍ كلما جئتَ عاتبا فكم أنت ذو جهلٍ وكم أنا صابرُ

وقوله :

بِنْتُمْ وخلْتُمْ أننى مُتَغَيِّرٌ بالبَيْنِ عند ترحُّلِ الأظْعانِ
لا والذى جعل الدموع بمُقْلتى أبداً تجود بعارضٍ هتَّانِ
ما اخترتُ تبديلَ المودَّةِ ساعةً بعد الذى هَجَرَ الحِمَى وجفانى
أنا ذاك لاعهدى يُغيِّرُ بالنَّوى أبدا ولا وجهى يميلُ لثانى
وإذا وَثِقْتُ بودٍّ من أحببتُه فبعادُهُ ودنوُّهُ سِيَّانِ

قال القرطى: وكانت وفاته ببلده فى مصر ، مدة كافور / سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة .

٢٠٧و
٣

ابنه أبو محمد القاسم[1] بن أحمد الرسى

قال المسبحى فى تاريخه : قال صالح[2] بن رشدين : حدثنى الشريف أبو محمد قاسم بن أحمد الرسى أنه حضر مجلس طاهر بن الحسين بالرملة ، فجاءت سحابة فقال بديها :

ألا سَقِّنيها يافتى غيرَ صاغرٍ معتَّقةً تحكى خَفِىَّ الضمائرِ
ولا سيَّما قد باكَرَتْنا سحابةٌ كأنك قد أتحفْتَها كفَّ طاهرِ

(١) ترجم له الثعالبى فى اليتيمة ١ / ٣٣٠ وانظر المجلد الأول من الجزء السابع من الوافى بالوفيات للصفدى (نسخة مصورة بدار الكتب المصرية) الورقة ٦٣

(٢) سيترجم له ابن سعيد فيما بعد .

وذكر الحصرى [(1)] فى كتاب النورين: أنه كان حسن الشعر جميل الخَلْق فكه الخُلق، وأنشد له [(2)]:

إذا التحف الجوُّ بالأدْكَنِ ... وَغَنَّى الحمائمُ بالأرْغُنِ
وهبَّتْ رياحُ الصَّبا سُحْرَةً ... بَعرفِ البَنَفْسِج والسَّوْسَنِ
وحَنَّ إلى القصفِ ألأفَّهُ ... فبادرْ إلى شيخكَ المُنْحَنِي
ونَفِّسْ عن الخنقِ أوْداجَهُ ... وحُثَّ السقاةَ ولا تَنْسَنِي

وأنشد له الثعالبى فى كتاب اليتيمة:

إذا الكَرَوانُ صاحَ على الرِّمالِ ... وحَلَّ البدرُ فى بُرْجِ الكمالِ
وَجَمَّد وَجْهَ بِرْكتنا هبوبٌ ... تمرُّ به الجَنُوبُ مع الشَّمالِ
وحُرِّكَتِ الغصونُ فشابهتْها ... قدودُ سُقاتنا فى كل حال
فهاتِ الكأسَ مُتْرَعَةً ودَعْنى ... أبادر لذتى [(3)] قبل ارتحال [(4)]
فكلُّ جماعةٍ لا بد [(5)] يوماً ... يُفَرِّقُ بينهم صَرْفُ الليالى

٢٠٧ظ
٣

الشريف أبو الحسن على [(6)] بن الحسين بن حيدرة العقيلى

سألت عنه جماعة من أهل مصر، فلم أرَ فيهم من يتحقق أمره، وقال لى أحد الشرفاء المعتنين بأنساب الشرف: هو من ولد عقيل بن أبى طالب، كان فى المائة الرابعة، وكان له متنزهات بجزيرة الفسطاط، ولم يكن يشتغل بخدمة سلطان ولا مدح أحد. ثم وقفت فى (الخريدة) على ترجمته، فدلَّ على أنه متأخر العصر عن المائة الرابعة، وذكر أنه من ولد عقيل بن أبى طالب، من أهل مصر، وأنشد له:

كأن الثُّرَيَّا والهلالُ أمامها ... يَدٌ مَدَّها رامٍ إلى قوسِ عسجدِ

---

(١) هو أبو إسحق إبراهيم بن على بن تميم الحصرى القيروانى المتوفى عام ٤٥٣ ﻫ.
(٢) أنشد الثعالبى هذه القطعة فى اليتيمة مع بعض اختلاف.
(٣) هكذا فى اليتيمة: وفى الأصل: جدتى.
(٤) فى اليتيمة: ارتحالى.
(٥) فى اليتيمة: لاشك.
(٦) أم شعراء مصر فى القرنين الرابع والخامس الهجرة، ترجم له الثعالبى فى اليتيمة ١/ ٣٣١. وفى الخطط (طبعة بولاق) للمقريزى ٢/ ١٦٣ ما يدل على أنه عاش حتى منتصف القرن الخامس الهجرة إذ لحق الجماء، فى عصر المستنصر الخليفة الفاطمى. وترجم له العماد فى الخريدة (قسم شعراء مصر) طبع =

/ثم وقع لى ديوان شعره ، فنقلت منه مايشهد بعلوّ قدره ، وهو من أئمة المشبهين .

المختار لهذا الكتاب من ديوانه

قوله [١] :

اشربْ على النار التى جاءتْ بها ... والصبحُ يَقبِضُ مُهْجَةَ الظلماءِ

هيفاءُ ناعمةُ الشباب كأنها ... مجلوَّةٌ [٢] من بهْجةٍ وضياءِ

جاءتْ بها محجوبةً برمادها ... كالشمس تحت غمامةٍ [٣] بيضاءِ

وقوله [٤] :

الرَّوْضُ فى ديباجة خضراءِ ... والجوُّ فى فَرَجيَّةٍ دَكْناءِ

والأرضُ قد نظم الربيعُ لجيدها ... عِقْدًا من الصَّفْراءِ والحمْراءِ

والراحُ يَنْثُر فى مُذابِ عقيقها ... دُرَرَ الفواقعِ جَوْهَرِيُّ الماءِ

فاقصِدْ رضا رِضْوانها بالشُّربِ إنْ ... أحْبَبْتَ سُكْنَى جنَّةِ السَّرَّاءِ

وقوله :

الصبحُ يَنْثُر فوق مِسْـ ... ـكِ الليل كافورَ الضياءِ

والبرقُ يُذْهِبُ ما تفضَّـ ... ـضَهُ الغيومُ من السماءِ

فاشربْ على ديباجِ نَبْـ ... ـتٍ قد أحاط بشُرْب ماءِ [٥]

فالعيشُ فى وَقْتِ الربيـ ... ـعِ رقيقُ حاشيةِ الرِّداءِ

= لجنة التأليف والترجمة والنشر ٢ / ٦٢ وابن فضل الله العمرى فى المسالك (نسخة مصورة بدار الكتب المصرية) الجزء الحادى عشر الورقة ١٩٥ وما بعدها وابن مبارك شاه فى السفينة وابن شاكر فى الفوات (طبعة القاهرة سنة ١٢٩٩ هـ) ٢ / ٧٢ وكذلك ترجم له الصفدى فى الوافى بالوفيات وقال : ما رأيت أحداً من الشعراء المتقدمين أجاد الاستعارة مثله ولا أكثر من استعاراته اللائقة الصحيحة التخيل . وفى مكتبة جامعة فؤاد الأول نسخة مصورة من ديوانه ، وسنراجع عليها الأشعار التى اقتبسها ابن سعيد له راضين لها بالحرف د للاختصار إشارة إلى أننا نقابل النص على الديوان .

(١) فى د : وقال فى النار والرماد .

(٢) فى د : مخلوقة .

(٣) فى د : غمامة .

(٤) هذه الأبيات فى د بدون اختلاف .

(٥) مكذا البيت فى الأصل وفى اليتيمة . وفى د :

واشرب على ديباج زَهْـــرٍ فى الرياض وخزّ ماء

٢٠٨ظ
٣

/ وقوله (١) :

قُمْ فانْحَرِ الرَّاحَ يوم النَّحرِ بالماءِ ولا تُضحّ ضُحىً إلا بصَهْباءِ
أَدْرِكْ حَجيجَ النَّدامى قبل نفرِهِمُ إلى مِنى قصفهِمْ مَعْ كلِّ هيفاءِ
وعُجْ على مكة الرَّوحاءِ مُبْتكِراً فطُفْ بها حَوْلَ رُكْنَ العُودِ والنَّاءِ (٢)

وقوله :

قد شمّرتْ أطنابَها الظلماء وجرّرت أذيالها الأضواء
والتحفتْ بخزِّها السماء واهتزّ فى ديباجِهِ الفضاء
فانعمْ فقد أنعمتِ الأنداء بلؤلؤٍ لحبِّه صفاء
فيومُنا فيه الذى نشاء غَيْمٌ وزَهْرٌ وندًى وماء

وقوله :

قد بُيِّضَتْ قُبَّةُ السَّماءِ وزُرِّقَتْ قاعةُ الفضاءِ
ومدّ بُسْطَ النبَاتِ فيها لنفسه قادمُ الشتاءِ
/ فاشربْ على ما تراه فيها من لازَوَرْدٍ وشُرْبِ ماءِ

٢٠٩و
٣

وقوله :

عندى طباهجةٌ وجَدْىٌ بارد ومَضِيرَةٌ كالفضة البيضاءِ
ونقانقٌ ما منه واحدةٌ بدت (٣) إلا كمثل البُسْرة الحمْرَاءِ
ومدامة عِنَبيَّةٌ إنْ شجَّها ساقٍ يكدِّرُ (٤) صفْوهَا بالماءِ
وبنَفْسَجٌ تزداد زُرْقُ ثيابه حُسْنًا ببيضِ صنائف الأَنْداءِ
ومُهفْهَفٌ يهتزُّ فى حركاتهِ مثلَ اهتزاز الصَّعْدةِ السمراءِ
لم يُولِنا قطُّ الجميلُ غناءه إلا وجازيناه بالإِصْغاءِ

---

(١) تمثل بهذه الأبيات أكثر من ترجموا للشريف العقيلي ، وانظر خطط المقريزى ٢ / ١٦٣
(٢) يريد الشريف : النأى ، وكتبتها بعض المراجع : النائى .
(٣) فى د : ترى .
(٤) فى د : تكدر .

وقوله :

وروضةٍ كالحلّةِ الخضراءِ مُحْدِقةٍ بِبِرْكةٍ حسناءِ

قد لَبِسَتْ عِقْدَ طيورِ الماءِ لِبْسَ السماءِ أَنْجُمَ الجوزاءِ

وقوله :

إذا أحسنْتَ تربيةً لحمْدٍ وخفْتَ عليه من قِصَرِ البقاءِ

فلا تتعرّضَنَّ لحفظِ مالٍ فحفظُ المالِ تضييعُ الثناءِ

٢٠٩ ظ
٣

/ وقوله :

الأَرْضُ تُجْلَى بزَهْرٍ تَرْصيعُهُ الأَنْداءُ

وللنَّسيمِ هُبُوبٌ للقُضْبِ منها انثناءُ (١)

فاسْتَجْلِ بِكْراً عليها من الزُّجاجِ رِداءُ (٢)

فوجْهُ يومِك فيه من الملاحةِ ماءُ

وقوله :

راحٌ كريحك في الذكاءِ (٣) وكمثل وُدِّك في الصفاءِ

وحدائقٌ قد زُرِّقَتْ بصنوفِ أَصْباغِ الشتاءِ

فعلامَ تبقى (٤) صاحياً واليومُ نَشْوانُ الهواءِ

وقوله :

اشْرَبْ على شَفَقٍ (٥) من تحته لَهَبٌ كأنه سَبَجٌ من تحته ذَهَبُ

جاء الغلامُ به والقُرُّ يَنْفُضُنا عند الصَّباحِ فكِدْنا منه نَلْتَهِبُ

من قبل يُضْحِي خلوقاً مِسْكُهُ ويُرَى شقيقُهُ يا سمينا حين يَنْتَقِبُ

---

(١) الشطر في د : للقضب منه انحناء .

(٢) تمثل ابن شاكر في الفوات، وابن فضل الله العمري في المسالك، والصفدي في الوافي، بهذا البيت والبيت التالي .

(٣) في د : الثناء .

(٤) في د : تلقى .

(٥) في د : لحم .

وقوله :

وقائلٍ : ما الملكُ ؟ قلت : الغِنَى   فقال : لا بل راحةُ القَلْبِ
وَصَوْنُ ماء الوجهِ عن بَذْله[1]   فى نَيْلِ ما يَنْفَدُ عن قُرْبِ

/ وقوله :

٢١٠و
٣

والكأسُ[2] مثلُ العروسِ فى حُلَلٍ   تَلْبَسُها[3] والنديم يَسْلُبُها

وقوله :

ومستهامٍ بِشُرْب الرَّاحِ باكرَها   عذراء فى جيدها طَوْقٌ من الذَّهَبِ
فغادرَتْه صريعاً لا انقيادَ له   كأنها أخذتْ بالثَّأر للعِنَبِ
واستأسرتْ عقلَه حيناً كما أُسِرَتْ   فى دَنِّها حِقَباً من غير ماسَبَبِ

وقوله :

نارٌ أتاك بها غزا   لٌ أهيَفٌ رَطْبُ الشَّبابِ
محجوبةٌ برَمادها   بعد اضطرامٍ والتهابِ
مثلُ العُقَارِ إذا بَدتْ   فى كأسها تحت الحَبَابِ

وقوله :

وبركةٍ قد أفادنا عَجَبَا   ماعاجَ[4] من مائها وما انسكبَا
يدركها الوَرْدُ كلما ارتعدتْ   منه بجمْرٍ يظلُّ مُلْتَهِبَا
من حول فوَّارةٍ مُركَّبةٍ   قد انحَنى ظهرُ مائها تعَبَا

وقوله :

يا مَنْ يُدَلِّسُ شيبَه بخضابه[5]   إنَّ المدلِّسَ لا يزال مُرِيبَا
هَبْ يا سَمِينَ الشَّيْبِ عاد بنفسجا   أيعود عُرْجُونُ القوام قضِيبَا

---

(١) فى د : ذلة .
(٢) فى د : فكأسها كالعروس .
(٣) فى د : يلبسها .
(٤) هكذا فى الأصل والمسالك والفوات وفى د : سال ، وفى الوافى : ماج .
(٥) فى المسالك والفوات والوافى : يامن يدلس بالخضاب مشيبه .

٢١٠ظ
٣

/ وقوله :

أيا مَنْ دأبُه فى الدهر[(١)] دابى ومن أرْسانُه بيدِ التَّصابى
ألستَ ترى زجاج الماء تبدو لنا منه قواريرُ الحَباب
فهاتِ زواهرَ[(٢)] الكأسات مَلأى إلى الحافات بالذّهَبِ المُذاب
فكيرُ الجوّ يوقدُ نارَ برْقٍ إذا خَمدَتْ تُدخّنُ بالضَّباب

وقوله :

قُمْ هاتِها وَرْدِيّةً مَشْمُولةً تبدو فتحسبها عَقيقاً ذابا
أوَ ماترى حُسْنَ الهلال كأنه لما تبدّى حاجبٌ قد شابا

وقوله :

قد لاح فى فَوْدكَ المَشِيبُ وردَّ من عُمْرِك القشيبُ
فكُنْ لداعى التُّقى مُجيباً من قبل تُدْعَى فلا تُجيبُ

وقوله :

قد هَجوْنا وكان غير صَوابِ ورَميْنا بِعَنْبَرٍ[(٣)] فى تُراب
وظلمنا الحسامَ وهوَ صَقيلٌ إذْ جعلناه فى أخسِّ قِرابِ
يا لها غَلْطَةً وإلا فماذا ينفع البازَ صَيْدُهُ للغُرابِ

٢١١و
٣

/ وقوله :

الغَيمُ فى حافتَيْهِ البرقُ يلتَهِبُ كأنه مِطْرَفٌ أعلامهُ ذَهَبُ
والقطرُ يَلْثُمُ ثغرَ الأُقْحُوانِ إذا تبسَّمت عنه فى أفواهها القضبُ
فبالإخاء ترجَّلْ عن مُخالفتى وارْكَبْ نشاطاً له من طاعة[(٤)] لَبَبُ
وسِرْ إلى بِنْتِ كَرْمٍ فوق مَفرقِها من صَنْعَة الماء تاجٌ درُّه الحَبَبُ
فالوقتُ إنْ جئته حتى تشاهده رأيته حَسَناً قد عمَّه الطَّرَبُ

---

(١) فى د : اللهو .
(٢) فى د : بواتق .
(٣) فى د : لعنبر .
(٤) فى د : طاعق .

وقوله :

ما صارَ للقَطْرِ انسكابُ   إلا وللبَرْقِ التهابُ
فاستجلِ أغصاناً لها   في كل أُنْمُلَةٍ خِضَابُ
لا سيَّما ومُدَامُنَا   بِكْرٌ قلائدها الحَبَابُ
فاجْنِ السرورَ بشُرْبها   ما دامَ يَنْتَبِهُ الشبابُ

وقوله :

حقًّا لقد ترك الفؤادَ معذَّبا   خدٌّ غِلالتُه أرقُّ من الصَّبا
لم يَبْدُ قطُّ إلى العيون مُفَضَّضا   إلا وعاد من اللحاظ مذهَّبا
وإذا تلوَّتْ حيَّةٌ من شَعْرِهِ   فيه [1] أعادتها المواشطُ عقربا

/ وقوله :

لا تلحظنَّ مَنْ أنت مشتهرٌ [2]   به إذا كان عليه رقيبْ
وغطِّ بالأطراف وَجْهَ الهوى   فليس تخفى لحظاتُ المريبْ

وقوله :

ولما أقلعَتْ سفُنُ المطَايا   بريح الوَجْدِ في لُجَجِ السَّرابِ
جرَى نظري وراءهمُ إلى أن   تكسَّر بين أمواج الهضابِ

وقوله :

أُمَّهاتُ الثمارِ بين الرَّوابي   تائهاتٌ بِلِبْسِ [3] خُضْرِ الثيابِ
وبناتُ الكرومِ تُجلَى بما قد   صاغه الماءُ من عقود الحَبابِ
فاْلْهُ ما دام للشقيق خَلُوقٌ   تَنْثُرُ السُّحْبُ فيه مِسْكَ ضَبابِ [4]

---

(١) في د : يوما .
(٢) هكذا في الاصل والمسالك والوافي ، وفي د : مستهتر .
(٣) في د : يلبَسْنَ .
(٤) في د : الضباب .

وقوله :

أذْهبْتُ فضةَ خدِّهِ بِعتَابى ... وَنَثَرْتُ دُرَّ دموعهِ بخِطابى
ظَبْىٌ جعلت ِكناسَهُ قلبى فلم ... أعْقِلْ لصيدٍ سواه قبل طِلابى
فزهَا علىَّ ومرَّ يَسْحَبُ ذيله ... بين التكبُّرِ منه والإعجابِ
فحلفتُ إنى إن ظَفِرْتُ بخدِّهِ ... لأُرَصِّعَنَّ مُدامَهُ بِحَبَابِ

/ وقوله :

٢١٢ و
٣

أبا علىٍّ اعْفُ عنى فقد ... ضاق فَسيحُ العُذْر عن ذَنْبى
وإن جرَى منىَ ما قد جرَى ... فالثَّلْمُ قد يحدث فى العضْبِ
فعُدْ إلى الحِلْمِ الذى لم يزلْ ... يذودُ عنى حائمَ العتْبِ
فإننى مذ صِرْتَ لى هاجرا ... مثلُ رَحاً دارتْ[1] بلا قُطْبِ
إنْ أرجُ إغْضاءَك عن زلَّتِى ... فالغيثُ قد يُرْجَى من السُّحْبِ

وقوله :

الراحُ قد صاغَ المِزا ... جُ لرأسها[2] تاجَ الحَبَابِ
والزهر ينشُر ما انطوى ... مِنْ نَشْرهِ[3] سَحُّ السحابِ
فاشْرَبْ على ذهبيَّـــةٍ ... صفراءَ كالذهب المُذابِ
فالجُلَّنــــارُ خَــلُوقُه ... قد غابَ فى مِسْكِ الضَّبابِ

وقوله :

بنانُها بدَمِ العُشَّاقِ مخضوبُ ... ورِدْفُها فى عِنانِ الخصْرِ مَجْنُوبُ
هيفاءُ أعقبنى إعراضُها حَزَناً ... لم يَبْكِ مثلَ بكائى منه يعقوبُ
لا أُبْتُ من سفَرِ البلوى إلى فرَجٍ ... إن كان قاسَى الذى قاسيتُ أيُّوبُ

---

(١) فى د : راحت .
(٢) فى د : لكأسها .
(٣) فى د : بسطه .

٢١٢ظ
٣

/ وقوله :

يا مِسْكَةَ العشَّاقِ مِسْكُ الدُّجى قد رُدَّ فى نافجَةِ[1] الغَرْبِ
وجونَةُ[2] الشَّرْقِ لكافورها نائرةٌ فى عَنْبَرِ التُّرْبِ
فأذهبِ الهمَّ بمشمولةٍ كمثل ذَوْبِ الذهبِ الرَّطْبِ
فالماءُ[3] قد حدَّرَ بلَّوْرَهُ ما نَثَرَتْهُ فضَّةُ السُّحبِ

وقوله :

أضْحِكِ الكأسَ عن ثنايا الحَبابِ واسقنيها على بُكاءِ السَّحابِ
جُلَّنَا رِيَّةً لها نفحاتٌ هىَ إحدى مصائبِ الأوْصابِ
طيبُ آذارَ لم يَذَرْ لىَ همًّا فاغتنمْهُ من قبلِ أَوْبَةِ آبِ

وقوله :

بلوتُ بنى الدنيا فلم أرَ فيهمُ سوى من غَدَا واللؤمُ[4] حَشْوُ ثيابِهِ
فجرَّدْتُ من غِمْدِ القناعة مُرْهَفاً قطعتُ رجائى منهمُ بذُبَابِهِ
فلا ذا يرانى قائماً فى طريقهِ ولا ذا يرانى جالساً عند بابِهِ

وقوله :

عرائسُ القُضْبِ[5] تجلى على كَرَاسى الرَّوابى
ومجلسُ الروضِ فيهِ فَرْشٌ من العتَّابى
/ فانعَمْ ولذَّ ببِكرٍ قد تُوِّجَتْ بالحَبَابِ
كأنما الكأسُ منها محيطةٌ بسَرَابِ

٢١٣و
٣

---

(١) نافجة المسك : وعاؤه ، والاستعارة واضحة .
(٢) الجونة : سليلة تكون مع العطارين والاستعارة بينة .
(٣) ف د : فالماء .
(٤) ف د : والبخل ملء ثيابه .
(٥) ف د : القصر .

وقوله :

متى أشْتَفى يا ليتَ شعرى بنظرةٍ إلى من بِودّى نَلْتَقِى فأعَاتِبُه
حَبِيبٌ تَجَنَّى فاعْتَذَرْنَا فما انْثَنَى وصدٌّ فواصَلْنا فما لان جانبُه
فحتى متى يَسْرِى إليه تنصُّلى وهِجْرانُه ما تَسْتَقِلُّ ركائبُه

وقوله :

خُذْ فى الخلاعة والتَّصابى بين الحدائقِ والروابى
وانْعَمْ بِإِبْنَةِ كَرْمَةٍ قد أخلقَتْ ثوبَ الشباب[1]
عــذراء يَلمعُ وجْهُها للشَّرب فى شَرْبِ النِّقَابِ
فالماء فى غُــدْرانه[2] قد كبَّ أكوابَ الحَبَابِ

وقوله :

أصبحتُ أكثرَ خلقِ الله كُلِّهِمُ عِشقاً لروضٍ قد اهتزَّتْ[3] جوانبُهُ
ريَّاهُ نَكْهَتُهُ والقطرُ مضحَكُهُ والورد وَجْنتُهُ والآسُ شاربُهُ
ففيمَ لا أترضّاه بصافيــةٍ مما يُناسب منها ما تناسبُهُ
وقد وجدتُ سبيلَ العُذْرِ واضحةً بأنَّ لَيْلِىَ لم تَطْلُعْ كواكبُهُ

وقوله :

٢١٣ظ
٣

/ الغيمُ بين بُكاً وبين نَحيبِ والرَّوضُ بين سَناً وبين لَهيبِ
فادْخُلْ بنا حِجْرَ[4] الرياض فما نَرى فيها بنانًا[5] ليس بالمَخضُوبِ
ما دامتِ الأكياسُ من كاساتنا مختومةً بحبابِها المَحْبُوبِ

---

(١) فى د : التصابى .
(٢) فى د : عذرائه وهو تحريف .
(٣) فى د : اخضرت .
(٤) فى د : حجب وهو تحريف .
(٥) فى د : نباتاً .

وقوله :

الزَّهْرُ ينشرُ ما انطوى[1] من نَشْرِهِ سَحُّ السحابِ
والقَطْرُ كافورٌ لهُ[2] طَرْزٌ بمِسْكِيِّ[3] الضَّبابِ
فَاْجلُ التى ما مِثْلُها[4] شِبْهٌ[5] سوى الذَّهَبِ المُذابِ
ما دام درعُ الماءِ قد حفَّتْ به خُوذُ الحبابِ

وقوله :

أعطيتُ حُبِّى شادناً لم يُعْطِنِي مثقالَ حبَّةِ خرْدَلٍ من حُبِّهِ
لا تُسْتَلَذُّ لىَ الحياةُ لأننى لا أستلذُّ مذاقها إلا بهِ
فَلْيَبْقَ للقَلْبِ الذى فيه لهُ ما ليس منه ذَرَّةٌ فى قلبه

وقوله :

وأَهْيَفَ إن تَثَنّى فكلُّه حـــــركاتُ
سُبْلُ الملاحةِ منهُ تَضِلُّ فيها[6] الصِّفاتُ

وقوله :

قالوا : الْتَحَى فاسْلُ عَنْهُ فقلتُ : لا وحياتِهْ
/ ما واجبُ الرَّوْضِ يُجْنَى عند انفتاح نباتِهْ

٢١٤ و
٣

وقوله :

لا تُصْغِيَنَّ إلى العذول وسَقِّنِي مشمولةً فى حُمرة البابُونَجِ[7]
أو ما ترى زُهْرَ النجوم كجوهرٍ نَثَرَتْهُ غانيةٌ على فَيْرُوزَجِ
والبدْرُ فى أفق السماء كوردةٍ بيضاء تضحك فى رياض بَنَفْسَجِ

(١) فى د : طوى .
(٢) فى د : به .
(٣) فى د : لمسكى .
(٤) الشطر فى د : فاجل التى ما إن لها .
(٥) فى المسالك والوافى : شىء .
(٦) فى السفينة : منه .
(٧) البابونج : زهرة البنفسج .

وقوله :

أعتِقْ من الهمِّ رِقَّ قلبِي | بعاتقٍ ثوبها[1] زجاجُ[2]
بين رياضٍ مُزَخْرَفاتٍ | للماء فى خُلْجها اختلاجُ
فليس يدنو إليك غُصْنٌ | بمَفرقٍ ليس فيه تاجُ

وقوله :

وصافيةٍ لها حببٌ تراه | فتحسَبُهُ على الإبريق تاجا
إذا الخمَّارُ عاجَ بها علينا | أعادت آبنوسَ اللَّيْلِ عاجا

وقوله :

بدَتِ الثريا والنجوم تحفُّها | فى الجوِّ[3] بين غياهبٍ ودَياجى
فكأنما هذى خريطةُ فِضَّةٍ | وكأنما هذى بنادقُ عاجِ

وقوله :

قم ياندِيمى[4] نَصْطَبِحْ مشمولةً | يَسْعَى بها ساقٍ كلُعْبَةِ عاجِ
فالروضُ من أنهارِهِ وبَهارِهِ | فى المُصْمَتِ الفِضِّىِّ والدِّيباجِ
/ تعلو رعيَّتَهُ[5] ملوكُ غصونِهِ | هذا بإكليلٍ وذاك بتاجِ

٢١٤ظ
٣

وقوله :

إنا لقومٌ إذا دعا بهمُ | أسيرُ خَطْبٍ أجابَهُ الفرجُ
ذوو عُلًا ما بِسهمِ رأيهمُ | طَيْشٌ ولا فى قناتِهم[6] عِوَجُ
تجلو الدُّجى عنهمُ وجوهُهمُ | فَهْىَ لهم حيثما سَرَوْا سُرُجُ

---

(١) فى د : حشوها .
(٢) فى المسالك والفوات والوافى : الزجاج .
(٣) فى د : والجو .
(٤) فى د : ياصديق .
(٥) فى د : تلقى رعيتنا .
(٦) فى د : قناته .

وقوله :

نفسى الفِدَاءُ لِمَنْ فى طَرْفِهِ دَعَجُ ... يَسْبِى به الأُسْدَ منه شادنٌ غُنُجُ
يُصَيِّرُ الليل صبحا منه حيث سَرَى ... وجهٌ له فيه من أنواره سُرُجُ
إذا بدا خَدُّهُ من تحت سالفةٍ ... حسبته فِضَّةً من فوقها سَبَجُ

وقوله :

ومشمشٍ نَشَّرَتْه ... على الرياضِ الرياحُ
كأنه إذْ تراءى ... لناظرى أمْحَاحُ[1]

وقوله :

قد قلتُ للعاذل فى عِشقِ[2] مَنْ ... ليس على عاشقه من جُنَاحْ
انْظُرْ إليه والْحَنِي بعدها ... إن كنتُ أستأهِلُ عَذْلَ[3] اللَّوَاحْ
فنحن فى نَفْسِ الذى بيننا ... حتى رآه مُقْبِلا كالصباحْ
/ فقال ما قَصَّرْتَ فى عِشْقِهِ ... يا أحذق الناس بعِشْقِ المِلاحْ

٢١٥ و
٣

وقوله :

وَخَمَّارٍ دَخَلْتُ عليه وَهْناً[4] ... وجُنْحُ الليل مُسْوَدُّ الجناحِ
على هوجاءَ تَنْشُرُ فى الفيافى ... لُغَاماً[5] فى الغدوِّ وفى الصباحِ
إذا وَخَدَتْ[6] تخال الريح تحتى ... وإن كانت أخفَّ[7] من الرياحِ
فقال مَن الفتى ؟ فأجبت ضَيْفٌ ... تَسَرْبَلَ بالمكارم والسَّماحِ
فقال وما تريد فَدَتْك روحى ... فقلتُ له أرِحْ روحى براحِ
فقامَ إلى دِنانٍ مُتْرَعاتٍ ... معمَّمةٍ بكافور رباحِى[8]

---

(١) هكذا فى د وفى الأصل : أمحاح وهو تحريف ، والأمحاح : جمع مح وهو صفرة البيض .
(٢) فى د : حب .
(٣) فى د : يا شرلاح .
(٤) فى د : ليلا .
(٥) اللغام من لغمت الناقة إذا رمت بلعابها على شدقيها .
(٦) وخدت : أسرعت .
(٧) فى د : تخال .
(٨) الرباحى : جنس من الكافور .

وفَضَّ ختامَ أَقْدَمِها فلاحَتْ ... على الظَّلْماءِ أنوارُ الصَّبَاحِ
وأَبْرَزَ منه فى الإِبْريق رَاحاً ... أَلذَّ إلى الأسيرِ من السَّرَاحِ
كأنَّ حبابها طَلٌّ تبدَّى ... على وَرْدٍ جَنِيٍّ فى أقاحِ
وجاء بأهْيَفٍ عَذْبِ الثَّنَايَا ... دقيقِ الخصرِ غرْثَانِ الوشاحِ
تَرَاهُ يتيهُ من أدبٍ وظَرْفٍ ... ومن تيهٍ[1] على الغيدِ الملاحِ
يقولُ إذا رآه كلُّ لاحٍ ... محبُّك ما عليه من جُناحِ
هِيَ الأيام تَنْدَرِجُ اندراجا ... وصَرْفُ الدهرِ ذو وَجْهٍ وَقَاحِ
فَصِلْ[2] قَصْفاً بقَصْفٍ واغْتِبَاقاً ... بأفراحٍ ولهوًا باصْطِبَاحِ

ظ٢١٥ / ٣

وقوله :

من باع هَمًّا بلذَّةٍ رَبِحَا ... فاجعلْ تجاراتِ عيشك المِزَحا[3]
وودِّع الإصطباحَ مُغْتَبِقاً ... واستقبل الإغتباقَ مُصْطَبِحَا
وَاقْدَحْ بأقداحك السرور فكم ... من قَدَحٍ للسرور قد قَدحا
فإن قبلت الذى أشرتُ به ... لم تزلِ الدهر تَرْبَحُ الفَرَحا[4]

وقوله :

مطايا السُّحْبِ فى آلِ الصَّباحِ ... يقود قطارَهَا حادى الرِّياحِ
فغذِّ العيش إما باغتباقٍ ... تلذُّ به وإما باصْطِباحِ
فأحسنُ ما تكونُ الأرض زِيًّا ... إذا انتقبَتْ بفِضِّيِّ الأقاحِى

وقوله :

قد ضحكَتْ غُرَّةُ الصَّباحِ ... واندفع الدِّيكُ فى الصِّياحِ
وطافَ بالراح كلُّ ساقٍ ... رُضَابُهُ فوق كلِّ راحِ
فاشْرَبْ على فضَّةٍ ودُرٍّ ... من ياسمينٍ ومن أقاحِى
فالأرضُ قد أصبحتْ عروساً ... تُجْلَى من الزَّهْرِ فى وِشَاحِ

---

(١) فى د : عجب .
(٢) فى د : وصل .
(٣) فى د : المرحا .
(٤) الشطر فى د : فأنت للوقت تربح الفرحا .

٢١٦و
٣

/وقوله :

لأَحْسَنُ من مصافحة الصِّفَاح ومن وَقْع الرِّماح على الرِّماحِ
بقاعٌ ترقُصُ الأمواجُ فيها على النغمات من زَمْرِ الرِّياحِ
وأغصانٌ يذهِّبُهــــا بهَارٌ وغيطانٌ يُفَضِّضُهَا أقاحى
وأنداءٌ إذا سُلَّتْ عليها سيوفُ البَرْقِ تُبْطَحُ فى البِطاحِ
وكاساتٌ تَدُور على الندامى بأجسامٍ لها أرواحُ رَاحِ
وساقيةٌ تحضُّ على انتحَابٍ وملهيةٌ تحثُّ على اقْتِراحِ
وأزهارٌ[1] تنضَّدُ لاغْتِبَاقٍ وفاكهةٌ تجدَّدُ لاصطباحِ
تفوح لنا بمسك تُبَّتِيٍّ وتَنْفَحُنَا بكافورٍ رَبَاحِى
فكن باللهو مُتَّشحاً إذا ما رأيتَ الأرض تُجْلَى فى وِشاحِ
وإن جَمَحَ الشباب[2] إلى التصابى فخَلِّ عِنانه طَوْعَ الجِمَاحِ
فَصُبْحُ العيش سوف يعود لَيْلاً إذا ما الليل نُغِّصَ بالصباحِ
أتطمع بَعْدَ شَيْبِكَ فى سُرورٍ محالٌ أن تطيرَ بلا جَناحِ

وقوله :

قامت قيامةُ روحِها لرواحى إنَّ النَّوى لقيامةُ الأرواحِ
/فبكتْ فصار الدمع فى وَجَناتها مثلَ الحَباب على كؤوس الرَّاحِ
فكأنَّ صفحة وجهها لما بكتْ رَوْضٌ يرصَّع[3] وَرْدُهُ بأقاحى

٢١٦ظ
٣

وقوله :

أنا فى الغدوِّ وفى الرَّوَاحِ قَلِقٌ على قَلَقِ الوِشَاحِ
ظبى يُحَبُّ لأجل ما فى فيه من حَبَبٍ[4] وراحِ
يحكى العــــذارُ بخدِّه ليلا تحيَّرَ فى صباحِ

---

(١) فى د : وأنهار.
(٢) فى د : الزمان.
(٣) فى د : ترصع.
(٤) فى د : برد.

وقوله :

جِسْمُ زجاجٍ وروحُ راحٍ كأنها الشمسُ[1] فى الصباحِ
إن ضحك[2] الجُلَّنارُ منها أراكَ ثغرًا مِنَ الأقاحى

وقوله :

قد حَبَا طِفْلُ الصباحِ بين داياتِ الرياحِ
فَرِدِ العَيْشَ المُصَفَّى فى حِياضِ الإصطباحِ
لا تُعِرْ سَعْيَكَ[3] إلا كلَّ عيَّارِ المِرَاحِ[4]
فإذا مات سرورٌ فَاحْيِهِ بالإقْتِرَاحِ

وقوله :

ووردةٌ أتحفنى بها غريرٌ أغيدُ
/ كأنها جامٌ من الْمَرْجَانِ فيهِ عَسْجَدُ

٢١٧ و
٣

وقوله :

جسدٌ ناحلٌ وَصَبْرٌ ضعيفٌ وشبابٌ يَبْلَى وعُمْرٌ يَبِيدُ
ليت شعرى متى أقول لنفسى طاب فى جَنَّةِ الوِصَالِ الخلودُ

وقوله :

اشربْ على زَهرِ البنفْسَجِ قهوةً تُهْدِى السرورَ إلى الحزين المُكْمَدِ[5]
فكأنه قرصٌ بخدٍّ مُهَفْهَفٍ[6] أو أعْيُنٌ زُرْقٌ كُحِلْنَ بإثْمِدِ

---

(١) فى د : شمس .
(٢) فى المسالك والوافى : خجل .
(٣) فى د : سمعك ، وهى أجود .
(٤) فى د : السماح .
(٥) الشطر فى اليتيمة : تنفى الأسى عن كل صب مكمد .
(٦) فى اليتيمة : غريرة .

وقوله :

ياذا الذى يَبْسِم عن مثل ما | لائُحهُ[1] يلمعُ فى عِقدِهِ
ومَنْ له خَدٌّ غدا حائزًا[2] | شقائقَ النُّعمان من وَرْدِهِ
اثْنِ عنانَ الهجْرِ عن عاشقٍ | قد طالَ رَكْضُ الدمع فى خَدِّهِ

وقوله :

الغَرْبُ باللَّيْلِ مِسْكٌ | والشرق بالفجر نَدٌّ
وروضةُ الجامِ فيها | من زَهْرَةِ الراح وَرْدُ
فاشرب على وَجْهِ أرضٍ[3] | لها من الماء خَدٌّ
لم تَلْقَهُ الريحُ سَبْطًا | إلا انْثنى وهوَ جَعْدُ

٢١٧ظ
٣

/وقوله :

أيُّهٰذا الصديقُ لا وُدَّ إنْ لم | تَثْنِ عطفيَّ فى وصالٍ جديدِ
انما جئتُ أطْرُقُ البابَ لما | كان عهدى به بلا تنكيدِ
فإذا صار من أقمْتُ عليه | ليس يهْتَزُّ لى ولا لورودى
صُنْتُ نفسى كما يليق بمثلى | وتحصَّنْتُ بالجفاءِ المشيدِ
ما يساوى قضاءُ حَقِّ الموالى | ما يُقاسَى من سوءِ خُلْقِ العبيد

وقوله[4] :

سألت أبا يوسُفٍ حاجةً | فقال أجيءُ بها فى غَدِ
فقد[5] سَلَّطَ السِّلَّ[6] من مَطْلِهِ | فأضْنَى بهِ جسدَ المَوْعِدِ

---

(١) فى المسالك : شبيهه .
(٢) فى د : حائرا .
(٣) فى الوافى والمسالك : روض .
(٤) فى د : وقال فى أبى يوسف بن المنشا الكاتب .
(٥) فى د : فكم .
(٦) فى د : الشك .

وقوله :

أُرَحِّبُ بالضيف والمُجْتَدِى وأُضْحَكُ فى وَجْهِ مُسْتَرْفِدِى
وأنقادُ طَوْعَكَ إن أنت لم تَحُلْ يدًا منك عن [1] مِقْوَدِى
وإن [2] جئتَ مُسْتَسْقِيًا لم تجد حجابًا يصدّك عن موردى
خصالٌ إذا ما تَتَبَّعْتَهَا عَرَفْتَ الطريق إلى السُّؤْدُدِ

٢١٨ و
٣

/ وقوله :

يا أيُّها الرَّشأُ الذى فى خَدِّهِ آسٌ ووَرْدُ
قُمْ نَبْتَكِرْ بِكْرًا لها عِقْدٌ له حَلٌّ وعَقْدُ
فالقَطْرُ [3] كافورٌ على مِسْكِ الثَّرَى والغَيْمُ نَدُّ

وقوله :

لما قضَا القُرْبُ بداء البُعْدِ وصارَ من فِرَاقنا [4] فى لَحْدِ
لَطَمْتُ بالدمع عليه خَدِّى لأننى فيه أُصِبْتُ وَحْدِى

وقوله :

ألا رُبَّ خَمَّارٍ طَرَقْتُ فِنَاءَهُ [5] وزُهْرُ الدياجى مثل دُرٍّ مُبَدَّدِ [6]
فقام وقد أَقْلَقْتُهُ من منامهِ إلى الباب يمشى كالأسير المقيَّدِ
ينادى مَنِ السارى إلىَّ ومزعجى ؟ فقلت جوادٌ ذو محلٍّ وسُؤْدُدِ
حسامٌ على الأعداء ماضٍ غِرارُهُ ومَلْكٌ لدى [7] ذى الخلّة المتودِّدِ
أتيتك أطوى الأرض شرقًا ومغربًا على ضامر الأحشاءِ كالبرق أجْرَدِ
فقال وما تبغى ؟ فقلت مدامةٌ تُشَتِّتُ شَمْلَ الهمِّ عن كل مُكْمَدِ

---

(١) فى د : من .
(٢) فى هـ : فان .
(٣) فى د : فالطل .
(٤) فى د : فرقتنا .
(٥) فى د : تعسفا .
(٦) الشطر فى د : على جرشع سامى التليد عمرَّد .
(٧) فى د : يدى وهو تحريف .

فقال نعم عندى سلافةُ كَرْمَةٍ كوجنة معشوق الشمائل أغْيَدِ
/ وأبرزها عذراء أحْلَى من المُنَى كشمس الضحى أو كالَّلظى المُتوَقِّدِ
إذا مُزِجَتْ أبدتْ حَبَاباً كأنه من الدُّرِّ طَوْقٌ فى غِلالة عَسْجِدِ
فسرتُ بها وهى الحياة لروضةٍ[1] تروحُ عليها الغادياتُ وتَغْتَدِى
كأنَّ البَهارَ الغضَّ فيها مَدَاهِنٌ من التِّبْرِ صِيغَتْ فى غصون زَبَرْجَدِ
كأن انتثار القَطْر والزهر زاهرٌ على الورد دَمْعٌ فوق خَدٍّ مورَّدِ
وأطيارُها تُغنِى النديمَ إذا شَدَتْ على الأيك عن شَدْوِ الغريض ومَعْبَدِ
ونَرْجِسُها بين الشقائق شاخصٌ يُرَدِّدُ لحظ المستهـــام المسهَّدِ
فما زلتُ بالإبريق[2] أقبض روحها من الدنِّ ما بين الرُّبَى بتمرُّدِ
وأشربها حتى انثنيتُ مجدَّلًا صَريعاً على شَدْوِ الحمام المغرِّدِ
أنا ذاك أُعطِى اللهو ما عشت مِقْوَدِى وأعدل عن تَفْنِيدِ كلِّ مُفَنِّدِ

وقوله :

وخَمَّارةٍ نَبَّهْتُهَا بعد هَجْعَةٍ وجُنْح الدُّجى حَيْرانُ كالقار مُسْوَدُّ
فقالتْ وما تبغى ؟ فقلت مدامةً تُشَتِّتُ شمل الهمِّ أول ما تَبْدو
فلا تَجْعَلِى بالردِّ قصدِى ضائعا لديكِ فماء الوجه يُذْهِبُه الرَّدُّ
فقالتْ ستلقى ما تحبُّ مُيَسَّرًا فقلتُ لها هاتى فذا[3] كلُّه وَعْدُ
/ فقامتْ وقالت لا وعيسى بن مَرْيَمٍ فقلتُ لها لله ثم لكِ الحَمْدُ
فجاءتْ[4] بها راحاً كأنَّ إناءها إذا ما تبدَّى دُرَّةٌ حَشْوُهَا وَرْدُ
لها حَبَبٌ لما أُريقتْ كأنَّه من الدرِّ طَوْقٌ للزجاجة أو عِقْدُ
وإنْ مُزِجَتْ جاءت[5] كَوَجْنَةِ عاشقٍ وفاحتْ لنا مسكا يخالطه نَدُّ

٢١٨ظ / ٣

٢١٩و / ٣

---

(١) فى د : لروضه .
(٢) فى د : للابريق .
(٣) فى د : قرى .
(٤) فى د : وجاءت .
(٥) فى د : لاحت .

وجاءت بمشوق القوام رضيتُهُ نديماً إذا دارت أباريقنا[1] يَشْدُو
وقد غاب عنا الهمُّ حتى كأنما الـــزمانُ لنا مما حَبانا به عَبْدُ

وقوله :

يا من نَدَاهُ سَلِسُ القِيَادِ ومالُهُ لرائحٍ وغادِ
أجْلُ التى تجلو صَدَا الفؤادِ فالرَّعْدُ للأنداء مثلُ[2] الحادى
والبَرْقُ من بين الغَمَامِ[3] بادِ كأنما يُقْدَحُ من زِنادِ

وقوله :

لنا صديقٌ صادقُ الوَعْدِ مُحَذّقٌ[4] فى صَنْعَةِ الرِّفْدِ
ما جَلَسَتْ قطُّ له هِمَّةٌ إلا على مَرْتَبَةِ الحَمْدِ[5]
/ إذا طرقناه طرقنا فتىً كأنه واسطةُ العِقْدِ

٢١٩ ظ
٣

وقوله :

وسابقٍ من أحْسَنِ الجياد جِلاله[6] فوق السَّحاب الغادِى
ركبتُ منه سَلِسَ القِيادِ أسرعَ من حُبٍّ إلى فؤادِ
أرجلُه تَفْطِنُ للمرادِ كأنها مباضعُ الفِصادِ

وقوله :

يا شقيقَ الشَّقِيقِ صُدْغاً وخدًّا وأخا السَّرْوَةِ اعتدالا وقدًّا
بك إلا سترْتَ بالوصـــل عنى وَجْهَ إعراضك الذى ليس يَنْدَى
ما كفاه أن صار خَدِّى بهارًا منه حتى صارت دموعى وَرْدَا

(١) فى د : أباريقها .
(٢) فى د : ملء وهو تحريف.
(٣) فى د : الغيوم .
(٤) فى الوافى : محذلق .
(٥) فى د : المجد ، وكذلك فى الوافى .
(٦) الجلال : السرج .

وقوله :

السُّحْبُ تُرْضِعُ من بَنَاتِ الأرض ما جَعَلَ الربيعُ لها الغصونَ مُهُودَا [1]
والرَّاحُ قد نَظَمَ المِزاجُ لجيدِها دُرَّ الحَبابِ قلائداً وعقُودَا
فاستَجْلِ منها ما إذا افْتُرِعَتْ غدَا منها السرور لبَعْلها مولودَا
وانْعَمْ بها فى ظل صِحَّتِكَ التى أضحى عليك رُوَاقُها مَمْدُودَا

٢٢٠و
٣

/ وقوله :

أتى زائرى من صُدْغِهِ مثلَ صَدِّهِ وقد لاح دُرُّ الجوِّ فى لازَوَرْدِهِ
وعاطيته [2] صفراءَ صِرْفاً كأنما [3] على كأسها ما ضَمَّهُ عَقْدُ عقدِهِ
وعانقتُهُ من فوق وَرْدِ فراشِهِ بغير [4] وسادٍ غيرَ خَدِّى لخدِّهِ
إلى أن تبدَّى الصبح من خللِ الدجى [5] كجِسْمِ حُسامٍ سُلَّ من ثوبِ غِمْدِهِ

وقوله :

شكوتُ إليها يوم ودَّعْتُها [6] وَجْدِى فألفيتُ منه عندها فوق ما عندى
وما زالت الأجفانُ تَنْثُرُ دمعها على خدِّها طَوْراً وطوراً على خدِّى
فلولا غليلُ الشوق ما كان طَرْفُها لينضح ماءَ الورد منه على الوَرْدِ

وقوله :

ظَبْىٌ رقيقُ حواشى نعْمَةِ الجَسَدِ كأنما ثَغْرُهُ عِقْدانِ من بَرَدِ [7]
كأنما رِدْفُهُ من عزةٍ أَسَفى كأنما خَصْرُه من ذلَّةٍ جَلَدِى
كأنما الخدُّ منه رِيعَ حين بَدَا لَحْظِى فلاذَ بِلِبْسِ اللاذِ [8] والزَّرَدِ

(١) فى د : نهوداً .
(٢) فى د : فعاطيته .
(٣) فى د : كأنها .
(٤) فى د : لغير .
(٥) فى د : الربى .
(٦) فى د : ودعها .
(٧) الشطر فى د : كأنما ثغره عقد من البرد .
(٨) اللاد : جمع لاذة وهى ثوب حرير صينى أحمر

وقوله :

وأغيدَ مَن أجيحَ مِنْ غيَدِهْ — لم يجدِ الصَّبرَ آخذا بيدِهْ
/له عذارٌ يتيه منه بما — خلّقهُ بالعبير من زرَدِهْ
من فوق خدٍّ لم يبدُ قط فلمْ — ينْشقّ قلبُ الشقيق من حسَدِهْ

٢٢٠ظ
٣

وقوله :

لله أيام لذات قضيتُ بها — حقّ الشباب وظلُّ العيْش ممدودُ
مازالتُ ألبسها والدهرُ ينشرُها — فاسودّ أبيضُها وابيضّت السُّودُ

وقوله فى بركة الحبش بخارج الفسطاط :

ترَى البِرْكة الغنّاء حالى المُقلّد — عليه [1] عقودٌ من لُجَيْنٍ وعسْجَدِ
فهاتِ التى [2] يبدو عليها حبابُها — فتنظر منه [3] أبيضاً فى مُوَرّدِ
فأغصانها [4] إنْ دَغْدَغتْها يدُ الصبّا — تأمّلت منها غُلْمةً من تأوّدِ

وقوله :

ترَى جيدَهُ بين الغلالة والعقد — له نكْهَةٌ أذكى من المسكِ والنّدِّ
تميلُ الأقاحى فيه [5] نحو شقيقه — فتحسَبُهُ ثغراً تقرّبَ من خدِّ
إذا اقتصّ من أشجاره الغيثُ عاتقاً — رأيت على أغصانها غدْرَةَ الوردِ

وقوله [6] :

ونارنجةٍ بين الرياض نظرْتُها — على غُصُنٍ رَطْبٍ كقامة أغيدِ
إذا مَيّلتْها الرّيحُ مالت كأُكرَة — بدَتْ ذهَباً فى صَوْلجَانِ زُمُرُّدِ

---

(١) فى د : عليها .
(٢) فى د : الذى وهو تحريف .
(٣) فى د : فيها .
(٤) فى د : وأغصانها
(٥) فى د : منه .
(٦) انظر اليتيمة ٣٣٢/١

٢٢١ و
٣

/وقوله :

الرَّاحُ يَجْلوها غزالٌ أغْيَدُ ... فى رَوْضةٍ أغصانهـــا تَتأوَّدُ
فاشْرَبْ على الماء الذى هو فِضَّةٌ ... من ذلك الماء الذى هو عَسْجَدُ
فكأنما شَرَفُ الأقاحى لؤلؤٌ ... وكأنما عَمَدُ الغصونِ زَبَرْجَدُ

وقوله :

وخِلٍّ إذا جئتُ مستسقياً ... وجدتُ سحاباً نداه النَّدَى
ويجرى[1] ورائىَ إنجازُهُ ... إذا ماركبْتُ له مَوْعِدا
حلاَ طعمه لىَ إذ ذُقْتُهُ ... فلِمْ لا أُصـــيِّره مَوْرِدا

وقوله :

الماءُ منبسطٌ والزهرُ مُنْتَشِرُ ... والروض مُلْتَحِنٌ والجوُّ مُعْتَجِرُ
فانْعَمْ بشمسٍ[2] لها من كأسها فَلَكٌ ... من كفِّ ساقٍ لنا من وجهه قَمَرُ
فللأقاحى قصورٌ[3] كلها ذَهَبٌ ... من حولها شُرُفَاتٌ كلُّها دُرَرُ

وقوله :

قُمْ نَصْطَبِحْ تحت رَفْرَفِ السَّحرِ ... على غناءٍ يُحَثُّ بالوَتَرِ
فإنَّ خَزَّ الغمام يَنْثُرُ فى ... ديباجةِ الروض زِئْبَرَ[4] المطر

٢٢١ ظ
٣

/ورقِّقِ العيشَ بالسرور فقد ... رَقَّتْ حواشى المياه والخُضَرِ

وقوله :

باكرِ الراحَ فى أوانِ البكُورِ ... فى زمانِ الشقيقِ والمَنْثُورِ
وَارْكبِ الإنخلاعِ إنْ كنتَ ممَّنْ ... يشتهى السيرَ فى طريق السرورِ
فكأنَّ الرُّبَى مَساوِرُ وَشْيٍ ... وكأنَّ الرياضَ بُسْطُ حَريرِ

---

(١) فى د : يجرى
(٢) فى د : بكأس
(٣) فى د : قباب .
(٤) الزئبر : ما يظهر من درز الثوب .

وقوله :

نحنُ في روضٍ نضيرٍ   بين نَبْتٍ [1] من حريرِ
وشقيقٍ مَنْ خدودٍ   وأقاحٍ من ثغور [2]
بين سُحْبٍ من كئُوسٍ   وبروقٍ من خمورِ
وندًى من ماءِ وَرْدٍ   وضبابٍ من بُخُورِ
نُزْهَةٌ من كان فيها   كان في ظلِّ السرورِ

وقوله :

البَرْقُ طَرْزٌ والغمامُ [3] ستائرٌ   والقاشُ [4] دَرْجٌ والنباتُ جواهرُ
فاشربْ عليه واسْقِني [5] من قبل أن   يُطْوَى من الديباج ما هو ناشر
بِكْراً إذا شُجَّتْ رأيتَ لوجهها   عَرَقاً يكلِّلُه جبينٌ زَاهِرٌ [6]
فكأنما الغُدْرانُ فيه مطارحٌ   وكأنما الكُثْبانُ فيه مساوِرُ

٢٢٢ و / ٣

/ وقوله :

خدٌّ تألَّقَ واستنارا   فحكى بحُمْرته [7] العُقارا
أبْدَى على ياقوتهِ   فَيْرُوزَجُ الشَّعر اخضرارا
فكأنَّه من فوقه   آسٌ يُقَبِّلُ جُلَّنَارَا

وقوله :

قومٌ إذا ما النَّقْعُ أظلم ليلهُ   كانت وجوههمُ له أقْمَارا
لا يعدلون برِفْدهم عن جارهم [8]   عَدَلَ الزمان عليهمُ أو [9] جارا
فَمَن استغاثهمُ استغاث ضراغماً   ومن استماحهمُ استماح بِحارا

---

(١) في د : بسط .
(٢) هذا البيت في د متأخر عن البيت الثالث في القطعة .
(٣) في د : والغيوم .
(٤) القاش : القماش .
(٥) في د : وسقني
(٦) في د : عرقا ينظمه المرار الثائر .
(٧) في د : بخمرته .
(٨) في د : سائل
(٩) في د : أم .

وقوله :

نحن الذين غدَتْ رَحى أحسابِهم ولها على قُطْبِ الفخار مدارُ

قومٌ لغصن نداهمُ من رِفْدِهمْ وَرَقٌ ومن معروفهم أثمارُ

من كل وضَّاح الجبين كأنه رَوْضٌ خلائقُه له أزهارُ

وقوله :

قم يا نديمى نَصْطَبِحْ قهوةً أرقَّ من دَمْعَةِ مهجورِ

والرَّوْضُ يجلو سَوْسَناً أبيَضاً كأنه كاساتُ بَلُّورِ

وقوله :

عُقارٌ ترى حُمْرَ نيرانهـــا تَطَيَّرُ فى الكأس بيضَ[1] الشَّرَرْ

/ ألذُّ من البُرْءِ بعد الضَّنَا وأشهى من الغُمْضِ بعد السَّهَرْ

٢٢٢ ظ
٣

وقوله :

سَوالفُ سَوْسَنٍ وخــدودُ وَرْدٍ وأعْيُنُ نرجسٍ وجبـــاهُ غُدْرِ

محاسنُ ليس ترضى[2] عن نَديمٍ[3] إذا لم يَقْضِ واجبها بِسُكْرِ

فقم جَدِّدْ بوَجْهِ الروض عَهْداً فما لك فى التخلُّف وَجْهُ عُذْرِ

وقوله :

قد أوقدَ[4] الزَّهْرُ مصابيحَهُ وَصَيَّرَ القُضْبَ فوَانيساَ

فأغْنِ بالرَّاح ندامى غَدَوْا من المسرات مفَاليسا

ما دام قد صار[5] نَعَامُ الرُّبَى من نِعَمِ السُّحْبِ طواويسا

---

(١) فى د : منها .
(٢) فى د : تزهى وهو تحريف .
(٣) فى د : قديم هو تحريف .
(٤) فى السفينة : وجد .
(٥) فى د : صارت .

وقوله :

كدَّر ما راق بإسرافه ... وأخلفَ الظنّ بإخلافه

أهيفُ يستعطفُ لحظَ الفتى ... إن كان غضبانًا بأعطافه

إذا التثنّى عصفتْ ريحُه ... تلاطمت أمواجُ أردافه

وقوله :

قد كان جمْرًا خدُّه فالتحى ... فصارَ كالجمرِ إذا ما انطفا

۲۲۳ و
۳

/ وقوله :

الغيمُ ممدودُ السُّرادِقْ ... والزهرِ مفروشُ النّمارقْ

والقاشُ قد نُقشَتْ لنا ... منه المجالسُ والمَرافقْ

أشجاره وثماره ... مثلُ الترائبِ والمخانقْ

وطنٌ يموت مخافةً ... فيه الشقاءُ من الشقائقْ

قد غنّتِ[1] الأطيارُ في ... طُرُقاتِه كلَّ الطرائقْ

فاعتقْ فؤادك فيه من ... رِقِّ الهموم بشُربِ عاتقْ

فالأقحوانُ غصونُه ... بيضُ النواصي والمَفارقْ[2]

ومَراودُ الأمطار قد ... كُحِلَتْ بها حدقُ الحدائقْ

وقوله ورأيته منسوبا لبعض الأفارقة :

ومعذَّرين كأنَّ نبْتَ خدودهم[3] ... أقلامُ مِسْكٍ تستمدُّ خلوقَا

قرنوا البنفسجَ بالشقيقِ ونظَّموا ... تحت الزَّبرْجدِ لؤلؤاً وعقيقا

فهمُ الذين إذا الخليُّ رآهمُ ... وجد الهوى بهمُ إليه طريقا

وقوله :

لنا المطايا التي قُدّتْ أزمّتُها ... من المكارم والتعجيلُ سائقُها

۲۲۳ ظ
۳

/ ونحن إن نُصِبَتْ شِطْرَنجُ معركة ... رِخاخُها وأعادينا بيادقُها

لولا ندًا من ندانا للظنون ذوتْ ... وللأماني لما اخضرّتْ حدائقُها

قومٌ نجومُ عطاياهم مغاربُها ... أيدي العُفاةِ وأيديهم مشارقُها

---

(۱) في د : غدت .

(۲) أنشد الكتبي هذا البيت والذي يليه في الفوات .

(۳) في السفينة : لحام .

وقوله :

قد كان عَيْشِى عَيْشاً وجهه شَحِبٌ	فاليوم صارَ له ماءٌ وإشراقُ
بصاحبٍ أنا من ديباجِ عِشْرَتِهِ	فى حُلَّةٍ طَرْزُها بِرٌّ وإشفاق

وقوله :

سقا غُصنى وَبْلُ العطاء فأورقا	أخٌ خُلْقُه كالروض حُسْناً ورَوْنقا
ترى جاهه للمستغيثين ناصراً	ومعروفه للمستميحين مُوثقا
هو المرء لو كانت خصائله حُلَى	لكان بها جِيدُ الزمان مُطوَّقا

وقوله :

أيا من يُهابُ ومن يُتَّقَى	ومن ليس يَرْقَى امرؤٌ ما ارْتقى
ومَنْ يُمْطِرُ الخوفَ أعداءَه	إذا هو أرْعَدَ أو أبْرَقا
ومَنْ نَبْتُ سُؤْدُدِهِ قد نَما	وغَرْسُ معاليه قد أوْرَقا
ومن ليس يَخْذُلُ مُسْتَنجِداً	ومن ليس يَحْرِمُ مُسْتَرْزِقا
/ومن ليس يتركُ فى بلدة	إذا ما أناخَ بها مُملَقا
تَمتَّعْ بعمرك وأنْعَمْ به	وإلا ستندم أنْ أخْلَقا
وزُرْنى على الظَّهْرِ من عزْمةٍ	تفوتُ بك الخيلَ والأيْنُقا
فقد دَهَمَ الفجرُ طَرْفَ الدُّجَى	فصيَّر أدهمه أبْلقا
وأبْدَى لنا الزَّهْرُ ياقوتةً	فمن مُسْتَجادٍ ومن مُنتقى
وزَخْرفَ جَنَّةَ بُسْتاننا	وألْبَسها منه إسْتَبْرَقا
وفَتَّحت القُضْبُ أحْداقها	فزادتْ حدائقُها رَوْنقا
فما كان منها وَقاحاً رَنا	وما كان مُحْتَشِماً أطْرَقا
ولاح الشقائقُ لو لم تَلُحْ [1]	لما نَعِمَ التُّرْبُ بعد الشَّقا
وزَمَّ الربيعُ قِبابَ الرُّبَى	وأذْهَبَ منها الذى زَوَّقا

٢٢٤ و
٣

(١) الشطر فى د : ولاح الشقيق ولو لم يلح .

وجاء من الوَشْيِ فى مُعْلَمٍ — إذا ما تَسَرْبَلَه مَخْرَقَا
ونَمَق (١) تيجان نُوّارِهِ — فلم يَنْسَ من غُصُنٍ مفرقَا
فأما المياهُ فكافورُها — بمسك البنفسج قد أُحدِقَا
تدِبُّ وتسمَى ثعابينُها — إذا ما الرياحُ أتتْ بالرُّقَى
ترى الأُفْقَ (٢) حَنَّ إلى جوِّه — فرقَّعَ منه الذى خرَّقَا
/ فلا تَلْهُ بالشُّغْلِ عمن غدا — إلى اللهو من غيرِهِ أشوَقَا
فقد قام طبَّاخنا فائقٌ — بلميلٍ أعدَّ لنا الفُيَّقَا (٣)
وعبَّا البوارد فى جُونَة — أُجَنَّ من الخوف أن تطبقَا
ووافى بِعِقْيانِ سَنْبُوسَجٍ (٤) — فألبسها منه دَستِينقا (٥)
وخَلَق عَنْبَرَ طَرْذِينِها (٦) — ولولا المقالى لما خُلِّقَا
وأبدع فى سَلْق هِلْيَوْنِها (٧) — لأنى أمَرْتُ بأن يُسلَقَا
فزُفَّتْ عروساً إلى خاطب — يراجعها كلما طلَّقَا
وخَلٌّ ظريفٌ بذاك الصَّفَا — ومِلحٌ مليحٌ بذاك النَّقَا
وأصبح منا ، إلى حَمْلِها — إلى حيث قلنا له ، أَقْلَقَا
وعندى فَدَيْتُك من بعدها — عَصِيرٌ من الكَرْم قد عُتِّقَا
يُحَيِّيك منه الخَلُوقُ الذى — إذا شئت صيَّرته زنبقَا
وساقٍ يُسَاقُ إلى سُكْرِنَا — بلُجْم الكُئُوسِ إذا ما سَقَى
يَتيهُ بخَدَّيْن قد عُذِّرَا — فصار لُجَيْنُهُمَا مُحْرَقَا
إذا ما دَنَا الدَّنُّ منه دَنَا — إلى من يروق إذا رُوِّقَا
وأغْيَد تَطْرَبُ من حُسْنِه (٨) — وتَنْعُرُ من قبل أنْ ينطقَا

٢٢٤ظ
٣

(١) فى د : وفرق .
(٢) فى د : الجو .
(٣) الفيق : جمع فياق ، وهو طائر مائى طويل العنق .
(٤) لون من الطعام .
(٥) الدشينق : السوار .
(٦) الطرفين : لون من الحلوى .
(٧) الهليون : نبت حار رطب .
(٨) فى د : حسه .

٢٢٥و
٣

/ ولا تمسِكُ الكأسَ منا يدٌ ... إذا هو أمْسكَ أو أطلقَا

وخل إذا زاره خِلُّه ... تلقَّاه منه جميلُ اللّقَا

يروحُ على ماله قاسِياً ... ويغدو على وَفْرِه[1] مُشْفِقَا

وإن[2] أظلم العيشُ فى مجلس ... أعادته أخلاقُه مُشْرِقَا

فلا تُبْقِنِى اليومَ مُسْتَوْحِشاً ... بربِّ عليكَ ثوبَ[3] البقَا

فإنَّ صديقك منِّى فتًى ... قليلُ الخلاف على الأصْدِقَا

وقوله :

ستائرُ الأوراقِ منصوبةٌ ... قيانُها[4] من خَلْفِها الوُرْقُ

فاشْرَبْ على ألحانها واسْقِنِى ... شَمْساً لها من كأسها شَرْقُ

فالجوُّ فى عاتقِ نفَّاطِهِ ... زرَّاقةٌ نيرانُها البَرْقُ

وقوله :

إنى لأُكْرِمُ نفسى عن إهانتها ... يوْماً من الدهر فيما ليس بالباقِى

وذاك مِنِّى لأنى[5] لم أزل رَجُلاً ... لا ترتضى لىَ أخلاقى بإخْلاقِ

وقوله[6] :

مرَّ بنا فى مُوَرَّد شَرِق ... كأنه البدرُ لاح فى الغسَقِ

٢٢٥ظ
٣

/ مُنعَّمٌ حَلْبَةُ اللحَاظِ إذا ... أقبل تجرى إليه فى طَلَقِ

كأنما وَجْهُه لكثرة ما ... فيهِ من الحسن مَوْسِمُ الحدَقِ

وقوله :

بنفسى أخٌ لى خَلْقُهُ مثل خُلْقه ... يشفُّ لودِّى منه جوْهَرُ رِفْقِهِ

إذا مرَّ قَصْدَ المَزْجِ[7] يَسْحَبُ ذَيْلَهُ ... إلى جوده الموجودِ قام بحقِّهِ

فلو أبصر[8] الحُذَّاقُ من صاغةِ النَّدَى ... حُلِىَّ عطاياه أقرَّتْ بحِذْقِهِ

---

(١) فى د : وفده .
(٢) فى د : فان .
(٣) فى د : طوك .
(٤) فى د : قبابها وهو تحريف .
(٥) فى د : وذاك منى أنى .
(٦) أنشد الكتبى فى الفوات هذه الأبيات .
(٧) فى د : المرء وهو تحريف .
(٨) فى د : لو أبصرت .

وقوله :

نَاحَتْ فواخِتُ[1] سُحْبٍ وَكْرُهَا الفلكُ ... بُكَاؤُهَا لطَوَاويسِ الرُّبَى ضَحِكُ

وأَنْجُمُ النَّبْتِ تُجْلَى فى قلائدها ... جِيدُ السماء[2] التى أَقْمَارُها البِرَكُ

والورد ما بين أنهـــار مدرَّجَة ... كأنه شَفَقٌ من حَـــوله حُبُكُ

فسقِّنا من عصير الكَرْم صافيةً ... كأنهـــا الذهبُ الأبريزُ مُنْسَبِكُ

يُبْدِى المِزَاجُ على حافاتِها حَبَبَاً ... كأنه من حـــريرٍ أبيضٍ شَبَكُ

وقوله :

ومما شَجَانى أَنَّ دهرى أَذَلَّنِى ... لأحذقِ[3] خَلْقِ الله فى صَنْعَةِ الفَتْكِ

قضيبٌ قضى للغىِّ منىَ حاجةً ... أمات لها ما كان حَيًّا من النُّسْكِ

/ترَى خَدَّهُ تحت العِـــذار كأَنَّهُ ... كِتَابٌ من الكافور عُنْوِنَ بالمِسْكِ

وقوله :

ظَلَّلَنى بظِلِّهِ[4] الظَّلِيـلُ ... أخٌ نَدَاهُ واضحُ السَّبِيلِ

يسيرُ فى المجد بلا دليلِ ... مُهَذَّبُ الجُمْلَةِ والتَّفْصِيلِ

أخلاقُه تَنْضَحُ بالجميلِ ... كأنَّهُ عافيـةُ العليلِ

وقوله :

يا أَيُّهَا البَدْرُ إِنَّ البَدْرَ قـد أَفَلا ... وإِنَّ طِفْلَ الدُّجَى قد صار مُكْتَهِلا

فاجْلُ التى إنْ بَدَتْ والعيشُ مَطْعَمُهُ ... مُرٌّ المذاق أَعادَتْ صَـــابَه عَسَلا

فصُبْحُنا ببقايا الليـــلِ مُخْتَلِطٌ ... كأنه أزرقٌ قـد لاح مُكْتَحِلا

وقوله :

إذا ما لسانى رَاحَ[5] فى ظَهْرِ نُطْقِهِ ... رَمَى السَّمْعَ منـه بالأغرِّ المحجَّلِ

فلا تنكرَنْ أَنْ قلت ما لا يقوله[6] ... فمثـل عَلِيٍّ مَنْ تـكلَّم من عَلِ

(١) الفواخت : ضرب من الطير .
(٢) فى د : السحاب .
(٣) فى د : لأصنع .
(٤) فى د : بوده .
(٥) فى د : لاح .
(٦) فى د : تقوله .

٢٢٦ و
٣

وقوله :

٢٢٦ظ
٣

/غـــزالٌ تدَلَّلُهُ دَلُّهُ ... على قتل مَن هو عَبْدٌ لَهُ

وذلك أنِّىَ ملَّكْتُهُ ... قيــادى [١] وملَّكنى وَصْلَهُ

وكنَّا نروحُ ونغـدو إلى ... هَـوًى لا يحمِّلُنى [٢] ثِقلَهُ

كغُصْنَيْنِ فى دَوْحَةٍ بعضُنَا ... يَمُدُّ على بِضنــا ظِلَّهُ

إلى أن أمرَّتْهُ أفعالُهُ ... ووعَّـر إعجابُهُ سَهْلَهُ

فخلَّصْتُ حَبْلِىَ مِنْ حَبْلِهِ ... ومن ملَّ صاحبه مَلَّهُ

وقوله :

يا طاعنى بعِتابٍ كاد ينفُذُنى ... لو لم أكن لابساً دِرْعاً من الأمَلِ

اخلع علىَّ جديداً من رضاك فقد ... رَقَعْتُ بالعذر ما خرَّقْتَ بالزَّلَلِ

وقوله :

الغَيْمُ بين مزَرَّرٍ ومُحلَّلِ ... والقَطْرُ بين مُسرَّجٍ [٣] ومُسَلْسَلِ

والقضْبُ بين مقرَّطٍ ومطوَّقٍ ... ومُدَملَجٍ ومتوَّجٍ ومكلَّلِ

والنبتُ بين مُزَعفرٍ ومُمسَّكٍ ... ومُخلَّقٍ ومُعنْبَرٍ ومُصندَلِ

ومُدَبَّجٍ ومُطرَّزٍ ومُصنَّفٍ ... ومعرَّضٍ ومُرصَّعٍ ومُثقَّلِ

فاشربْ على حُلَلٍ لو أمكن لبسُها ... كانت تكونُ من الطِّرازِ الأوَّلِ

٢٢٧و
٣

/وقوله وفيه لحن من غنائه :

يا غزالاً رُضابُهُ سَلْسَبِيلُ ... هل لعُذْرى إلى رضاك سَبِيلُ

فوحقِّ الرسول ما قلتُ شيئًا [٤] ... مِنْ جميع الذى حكاه الرَّسُولُ

ما أرَى خَلَّةً يُخَلُّ [٥] بها الحُسْـــنُ فماذا يُقالُ أنى أقولُ

---

(١) فى د : ودادى .

(٢) فى د : يحملنا .

(٣) فى د : معمد .

(٤) فى د : حرفا .

(٥) فى د : أخل .

وقوله :

يا مليحَ الدَّلالِ والإِدْلالِ لا تُمتِّنى بِعِلَّةِ الإِعْتِلالِ
لو حَلَتْ هذه الخصالُ وطابَتْ لم أكن من ذَوَاقِها كالخِلالِ
فتدارَكْ خَفِيَّ جِسْمى وإلا لم يَبِنْ للخيالِ منك[1] خَيالى

وقوله :

الرَّوضُ بين السُّتُورِ والكِلَلِ والقُضْبُ بين الحُلِيِّ والحُلَلِ
فاستقبلِ الرَّاحَ من يدَىْ رَشاٍ لذيذِ طَعْمِ العِنَاقِ والقُبَلِ
وزوِّج العودَ نَغْمَةً فلقد أَرْمَلَتْ أوتارُهُ من الرَّمَلِ
فغُرَّةُ اليوم من مَلاحتِها كغُرَّةِ الأمنِ عندَ ذِى وَجَلِ

وقوله :

إذا ما الوعدُ خاف من المِطالِ عدَلْتَ به إلى حَرَمِ النَّوالِ
/فجرِّبْنى تُجرِّبْ أَرْيحيًّا يَرُوحُ ويغتدِى بين المَعالِى
لو أَنَّ خصالَه كانت ذُبالا[2] لما احتاجتْ إلى السُّرُجِ اللَّيالى

وقوله :

ومُسْمِعٍ تَسْمَعُ من فضولهِ ما يُفْسِدُ العَيْشَ على خليلهِ
خروجُه أكثرُ من دخوله يَقْصُرُ عُمْرُ اللهوِ من تَطْويلهِ

وقوله وله فيه لحن من غنائه :

نحن أُناسٌ نوالُنَا خَضِلُ يَرْتَعُ فيه الرَّجاءُ والأملُ
كلُّ فتىً ليس فى مودَّتِه مَذْقٌ ولا فى خِلالِه خَلَلُ
لو أبصر البحرَ فيضُ أَنْمُلِه فاض على وَجْهِ[3] فَيْضِه الخَجَلُ

٢٢٧ ظ
٣

---

(١) فى د : منى .
(٢) فى د : نجوما .
(٣) فى د : فيض وجهه .

وقوله ، وفيه لحن من غناء ابن الأعرابى :

وصاحب لىَ ما تُحْصَى فضــائلُهُ … إذا أقام بأرض ســارَ نائلُهُ
يُغْشَى بمعروفه المعروفُ حيث سَرَتْ … به الركابُ ولا تُخْشَى غوائــلُهُ
إذا الشَّمُولُ زَهَتْ يوما برِقَّتِهَا … فى مجلسٍ ضحكت منهــا شمائلُهُ

٢٢٨ و / ٣

/وقوله :

ألا رُبَّ فِتْيَانٍ كأنَّ وجوهمْ … كواكبُ ليلٍ غابَ عنه هلالُهُ
أنختُ إخائى[١] فى فِناء إخائهمْ … فما زال ممدوداً عليــه ظِلالُهُ
وذقتُهمُ فى الأمْنِ[٢] منهمْ وفى الرِّضَا … فما ذقت إلا مَنْ حَلَتْ لى خِصَالُهُ
إذا جئتَ منهم سَيِّداً تَسْتَمِيحُهُ … أنالك ما تَرجوه منــه نوَالُهُ
إذا المرء منهم كان جارًا لطارق[٣] … وأسقمه الإعدامُ[٤] عافاهُ مالُهُ

وقوله :

اليومُ يومُ الجامِ والرَّطْلِ … يومٌ مليحُ الفرْعِ والأصلِ
فاشْرَبْ على رونقهِ قَهْوَةً … كأنهــا وَعْدٌ بلا مَطْلِ
فالأرضُ تجلو نفسها بالذى … فى جيدها من لؤلؤ الطَّلِّ

وقوله :

ألا رُبَّ ضَيفٍ تَقَنَّصْتُهُ … وجيدُ السماء كثيرُ اللآلِى
فأحْضَرْتُ ما كان عنــدى لَهُ … من الزَّادِ فِعلَ كرامِ الرِّجَالِ
وقدَّمْتُ راحاً سَبَتْ عَقْلَهُ … بلوْنِ الخَلُوقِ وريح الغوَالِى
فقــالَ أعِندكَ يا ســيِّدى … غناءٌ يفوق غناء الأوالى[٥]

(١) فى د : رجائى .
(٢) فى د : السخط .
(٣) فى د : لسيد .
(٤) فى د : الأعداء .
(٥) كتب هذا البيت فى الأصل هكذا :
فقال أعندك يا سيدى غناء … يسود غناء يفوق غناء الأوالى
وكلمة غناء يسود زائدة ، ولعل ابن سعيد نسى الضرب عليها .

٢٢٨ ظ
٣

/ فقلتُ تأمَّلْ تجدْ حجرَهَا   عليه ملاهى قِيَانِ اللَّيَالِى
إذا لم تُغَنِّ(١) فلمْ أظهرتْ   ربابَ الثريَّا وقوسَ الهِلالِ

وقوله :

فى الروض(٢) فيروزجٌ مُحلَّى   من أغصُنٍ بالنهار(٣) تَجْلى
فقُمْ بنا نفترعْ عجوزاً   تترك شَيْخَ السرورِ طفلا
فيَوْمُنا(٤) بالصَّبوح عندى   من انتظار الغَبُوقِ أوْلَى

وقوله :

وخندريسٍ مُرْدُوسِيَّةٍ   رقَّتْ فما يدركها الوَهْمُ
نازعْتُها النَّجْمَ الذى زارَنِى   والجوُّ لم يَبْقَ له نجْمُ
فى روضةٍ حيَّاتُ خُلْجانِها   يموت من تلْذيعها(٥) الهمُّ

وقوله :

اشْرَبْ على شُرْبِ الغيومِ   صهباءَ من كَرْمٍ كريمِ(٦)
مادُمْتَ تَرفُلُ فى الصِّبَا   بين الرَّفاهَةِ والنَّعيمِ
من قبل أن يُمسِى دُجَى(٧)   فَوْدَيْكَ مُشْتَبِكَ النُّجومِ

وقوله :

٢٢٩ و
٣

/ القَطْرُ بين مُنثَّرٍ ومنظَّمٍ   والقُضْبُ بين مُطَيْلَسٍ ومُعمَّمِ
والماءُ بين معرَّجٍ ومُدرَّجٍ   والنبتُ بين مُدنَّرٍ ومُدَرْهَمِ
وسماؤنا فى فاختىٍّ مُذْهَبٍ   ورياضُنا فى فُسْتقىٍّ مُعْلَمِ
فاشْرَبْ على لَيْلِ البنفسج واسْقِنِى   ما دام مختلطاً بفجرِ الخُرَّمِ

---

(١) فى د : يكن ذا .
(٢) فى د : فى الأرض .
(٣) فى د : بالبهار .
(٤) فى د : فوقتنا .
(٥) فى د : لدغاتها .
(٦) الشطر فى د : صهباء من كرم الكروم .
(٧) فى د : يمشى على .

وقوله :

لما زَفَا[1] صَوْبُ الصِّبَا وتقشَّعت عنه غيومُهْ
ورأيتُ ليلَ ذُؤابتى لَيْسَتْ بآفلة نجومُهْ
أصبحتُ لا رُودٌ أرا وِدُها ولا رِيمٌ أرومُهْ

وقوله :

أسيرُ لِزامٍ من غريمِ غرامه رأى الصبر لا يُعطيه فَضْلَ زمامهِ
فصار يناجى الهمَّ فى ساحة الدُّجى إذا الليلُ أرخى رَفْرَفاً من ظلامهِ
أنارَ عليه إلفُهُ حَرْبَ هَجْرِهِ وقد كان ممن نال سِلْمَ سلامهِ
فغادره لو أنَّهُ فوق ذرَّةٍ مشَتْ وهىَ لا تدرى به مِنْ سقامهِ

وقوله :

السَّبَنيَّاتُ[2] والمقادِمْ[3] والفرَجيَّاتُ والعمائِمْ
قد نَشَرتْها الرياضُ منها للعَرْضِ فى أحسن المواسمْ

٢٢٩ظ
٣

فابْتَعْ بها سكْرَةً وإلا لم تك بين التِّجار حازمْ
فالقُضْبُ قد كُلِّلَتْ بدُرٍّ ما تَعِبَتْ[4] فيه كفُّ ناظمْ

وقوله :

أيها الآمرون بالصَّبْرِ عمَّنْ قد بدا فى الضياء منه ظلامُ
لستُ أستحسنُ الجوادَ إذا لم يَكُ فى خدِّه الأسيلِ لجامُ

وقوله :

وقالوا التَحَى من كانَ نوراً فأظلما وأصبح منه أشْهَبُ الخدِّ أدْهَما
فقلتُ إذنْ قد صار شرطى لأننى أحِبُّ من الأثوابِ ما كان مُعْلَما

---

(١) زفا : أقلع .
(٢) السبنيات : أزر سود للنساء من كتان أو حرير .
(٣) المقادم : ما تضمه النساء على رؤوسها أو وجوهها .
(٤) فى د : لعبت .

وقوله :

يا رُبَّ ذاتِ قلائدٍ نازعْتَها ... وأحالها حَبَبٌ كَسلْخِ الأرْقمِ
والبدرُ فى أفقِ السماء كدرهمٍ ... أو غُرَّةٍ ما بين عَيْنَىْ أدْهَمِ
حتى بَدَا وَجْهُ الصباح كأنه ... صَفْحُ الصديقِ عن الصديقِ المُجْرِمِ

وقوله :

إنَّا لنَبْنِى على ما أسَّسَتْهُ لنا ... آباؤنا الغرُّ من مَجْدٍ ومن كَرَمِ
/ لا يرفع الضيفُ رأساً فى منازلنا ... إلا إلى ضاحكٍ منا ومُبْتَسِمِ
إنى وإن كان قومى فى النَّدَى عَلَماً ... فإنَّنِى عَلَمٌ فى ذلك العَلَمِ

٢٣٠ و
٣

وقوله فى هجاء ابن[1] الملح :

مُحَسِّنٌ مِمَّنْ إذا ذاقَهُ ... فتىً عادَ يَنْدُبُ منه الفما
ومن يَكُنِ المِلْحُ أصلا لَهُ ... فكيف يكونُ إذا استُطْعِما

وقوله :

أرِقْتُ لبرْقٍ هزَّ عِطْفَيْهِ فى الدُّجَى ... فأرَّقَنى لألاؤه إذ تَضَرَّما
رفعتُ له الأطناب لما رأيتُهُ ... يُطَالعنى من بينها متبسِّما
فلو لم يكن من نحوكم زادُ مُقْلَتِى ... لما زَوَّدَتْهُ حينَ[2] ودَّعها دَمَا

وقوله :

أنِرْ بصُبْحِ الوَصْلِ عيشى فقد ... صَيَّرَه لَيْلُ القِلَى مُظْلِمَا
وارْثِ لمن أفلاكُ أجفانِه ... تُطْلِعُ من أدْمُعِهَا أنْجُمَا

وقوله :

مِنْ عندنا أتَتِ[3] الحِكَمْ ... وبنَا تَأَدَّبَتِ الأُمَمْ
ولنا نوالٌ هاطلٌ ... يَنْهَلُّ من سُحُبِ الهِمَمْ

---

(١) يذكر الشريف العقيلى محسن بن الملح هذا كثيرا فى ديوانه .
(٢) فى د : من مدامعها .
(٣) فى د : تؤتى .

٢٣٠ظ
٣

/ قومٌ إذا استرفدْتَهُمْ ... تركوكَ من أهلِ النِّعَمْ
لو لا هُمُ للناس ما ... عرَفُوا الطريقَ إلى الكَرَمْ

وقوله :

وسابقٍ من الجيادِ أدْهمِ ... مُحجَّلٍ أغرَّ نَهْدٍ مُفْعَمِ
كأنه منْتعِلٌ بأَنْجُمِ ... ووجْهُهُ مُنقَّطٌ بدرْهمِ
أسرعُ من هَجْرٍ إلى مُتيَّمِ ... تَرْقَى العُلَى منه بأقوى سُلَّمِ

وقوله :

ونَهْرٍ من الأنْهارِ ألقَتْ يدُ الصَّبَا ... عليه شقيقاً نارُهُ تتضرَّمُ
كأن ابيضاضَ الماءِ تحت احمرارِهِ ... صفيحةُ سيْفٍ قد جرَى فوقها الدمُ[1]

وقوله :

صانَ قناعُ القنوعِ وجهى ... صيانةَ الغِمْدِ للحُسَامِ
لأنني ما أرى بعينى ... مَنْ هُوَ من طِينةِ الكرامِ
بل كلُّ ذى ضِنَّةٍ وبِشْرٍ ... كالبرقِ فى العارضِ الجَهَامِ
يلوح ملبوسُه عليه ... كمِثْلِ آلٍ على رَغَامِ

٢٣١و
٣

/ وقوله :

يا نجمُ أبراجُ الرُّبَى ... متبرِّجاتُ الأنجمِ
وسحائبُ الأنهارِ قد ... زانت سماءَ الخُرَّمِ[2]
فاشْرَبْ عليها واسْقِنى ... عنبيَّةً كالعنْدَمِ
فالأرضُ من زهراتِها ... تَجْلى بوَشْىٍ مُعْلَمِ

وقوله :

كَشَطَ الصباحُ بنورِهِ ... ما خطَّهُ قلمُ الظلامِ
فاجْلُ المُدامَ وخُذْ بنا ... قبلَ الفَدَامةِ فى النِّدامِ
فالبَرْقُ يَرْقُمُ كل ما ... نَسَجَ النسيمُ من الغمامِ

---

(١) فى د : دم .
(٢) نبات كاللوبياء له زهر بنفسجى .

وقوله :

زحفتُ إلى خارجيِّ العَدَمْ ... وتحت لوائى جيوشُ النِّعَمْ
فما زلتُ أقْصِد آثارَهُ ... فلما وَقَعْتُ عليه انْهزَمْ
وهيهات يلبث[1] فى بلدةٍ ... إذا حلَّ فيها أميرُ الكَرَمْ

وقوله :

ذكاءٌ مُورِقٌ حُكْماً وعِلْماً ... ورأىٌ مُثْمِرٌ حِلْماً وحَزْماً
لأَرْطَبَ من إهاب الماءِ طَبْعاً ... وأَخْشَنَ من ذُبَاب السيف عَزْماً
/فتى كفلتْ لُهاه يُتْمَ قَصْدى ... فكان له نَدَاهُ أباً وأُمّاً

١٢٣ظ
٣

وقوله :

كم بَحْرِ حَرْبٍ نَقْعُهُ آذِيُّهُ ... وحَبَابُهُ جُرْدٌ[2] كمثل الأَنْجُمِ
أَلْقَيْتُ نفسى منه فى اللُّجَجِ التى ... مَنْ لم يَخُضْها ثابتاً لم يَسْلَمِ
فتركت سُبَّاحَ العِدَى غَرْقَى ولم ... يبتلَّ منى غَيْرُ سيفى بالدَّمِ

وقوله :

أَعْدِمْ فؤادَكَ همّهُ بمُدَامةٍ ... وقدَتْ ولَوْنُ أديمها كالعَنْدَمِ
فكأنَّها عند انتظام حَبَابِها ... شمسُ النهار تَبَسَّمَتْ عن أنْجُمِ

وقوله :

أجودُ فما أُبقى ورائى ذخيرةً ... وأعطِى فلا آسَى ولا أتندَّمُ
ومَنْ لى بأن لو كان عمرىَ فى يدى ... فأبذله إنْ لم يكن لىَ درهمُ
فيا هذه لا تَعْجَبِى من[3] تكرُّمى ... فَمَنْ كان مثلى كيف لا يتكرَّمُ

---

(١) فى د : يثبت .
(٢) فى د : خود .
(٣) فى د : لتكرمى .

وقوله :

نحن بَنُو المعجزاتِ والحِكَمِ وأهلُ بيت السَّماحِ [1] والكَرَمِ
قومٌ إذا ما الرجاء يَمَّمَهُمْ [2] قام له جُودُهُمْ [3] على قدمِ
/ تأمَنُ عَيْنُ المقيمِ بينهمُ من أن ترى قُبْحَ صورةِ العَدَمِ
إنْ جَمَحَ المجدُ أدركوه على ما ركبوا من سوابق الهِمَمِ
فلا تَقِسْهُمْ بغيرهم أبدا فلن تكون الأنوارُ كالظُّلَمِ [4]

٢٣٢ و
٣

وقوله :

أيا من غدا يُمْنَى بحالى [5] خضابهِ ويجمع من أخـلاقه كلَّ مُظْلِمِ
إليك فما تحظَى بوَصْلِ مليحة إذا كنت تلقاها بوجهٍ مُسَخَّمِ
وهَبْهُ أتى منه شبابٌ مُزَوَّرٌ أتَرْضَى شـبابًا تشتريه بدِرْهَمِ

وقوله :

إذا الفتى مرَّةً كسانى منهُ هناءً إلى مكانى
خلعتُ منّى عليه شكرا حاشيتَاه رقيقتان
فإن جفانى بغير [6] جُرْمٍ جفَوْتُهُ مثلما جفانى
أحفظه ما وجدتُ حِفْظًا منه وأرميه إنْ رمانى

وقوله :

يا من غدا روضى وبُسْتَانى وخِلِّ [7] نِسْرِينى ورَيْحانى
قُمْ بحياتى نختلسْ صُبْحَةً ما بين أشجـارٍ وأغصان
/ على غديرٍ دقَّ [8] تدريجُهُ كأنه مقمَدُ سامَان

٢٣٢ ظ
٣

---

(١) فى السفينة : العفاف .
(٢) فى السفينة : يممهم .
(٣) فى د : جوده .
(٤) الشطر فى السفينة : فلن تقاس الأنوار بالظلم .
(٥) فى د : بحال .
(٦) فى د : لغير .
(٧) فى د : وظل .
(٨) فى د : رق .

وقوله وفيه لحن من غنائه :

وعذولٍ كان من قولي لهُ ... است أستحسن أجفُو الحسَنا
قال لو كنتُ أنا أنت لما ... رضيتَ نفسي لجسْمي بالضنَا
قلتُ دعْني عنك واصنَعْ ما تشا ... ما أنا أنتَ ولا أنْتَ أنا

وقوله :

وشاعرٍ شِعْرُه فنونُ ... لكل بيتٍ له طنِينُ
أنداء أمثالهِ غِزارٌ ... وماء تشبيهِهِ مَعِينُ
تُسخنُ عَيْنَ العدوّ[1] منه ... قصائدٌ كلُّها عيُونُ

وقوله فى هجاء بلديٍّ له :

إن تَحْوِنا مِصْرُ فكم مرْبَعٍ ... فيه غُصُونٌ وعَراجينُ
لا بُدَّ للأرْخاخ من نَصْبِها ... فى رُقْعةٍ[2] فيها الفرازينُ

وقوله :

يَوْمٌ من الأيام ليس بدونِ ... ما فيه غيرُ خلاعةٍ ومُجونِ
فاسق ابنةَ العنقود منى ظامئاً ... ما إن يعوجُ على ابنة العُرْجونِ
/ فالأرضُ قد بسَطَتْ لنا من نَبْتِها ... فَرْشاً مراتبه أبو قَلَمونِ

٢٣٣ و
٣

وقوله وفيه لحن من غناء غيره :

أعطافه فِتْنَةُ الفُتونِ ... وقَدُّهُ غصَّةُ[3] الغُصُونِ
ظَبْيٌ ظُبَا لحظِ مقلتَيْه ... لها جُنُونٌ من الجفونِ[4]
يقودُ إن قاده التثنِّي ... كلَّ جَنانٍ إلى جُنُونِ[5]
ما صَدَّ بعد الوصالِ إلا ... أجْرَى عيوناً من العيُونِ

---

(١) فى د والسفينة : الحسود .
(٢) فى السفينة : بقعة والأرخاخ : جمع رخ وهو القطعة من قطع الشطرنج ، والفرازين : جمع فرزون وهى القطع الممتازة منه .
(٣) فى د : قد من غصون .
(٤) فى د : جنون .
(٥) فى د : الجنون .

وقوله[1] :

حَلَّ عِقْدَ اللِّثامِ عن بُسْتانِ ... وانْثَنَى كانْثِناء خُوطِ البانِ
رَشَـأٌ تَنْعَمُ العيونُ بما فى ... خَدِّهِ من شقائقِ النُّعْمانِ
ما الْتَقى حُسْنُهُ بنا قَطُّ إلا ... رَدَّنا عن مَحَجَّةِ السُّلْوانِ

وقوله :

قم فاقْبَلِ الكأسَ فهْىَ حُبْلَى ... للرَّاحِ فى بَطْنِهـا جَنينُ
وفى مهود الرُّبَى بَنَاتٌ[2] ... فى كلِّ وَجْهٍ لها عُيونُ
وانعم بإسْقـاطِ كلِّ هَمٍّ ... من قَبْلِ أن تسقط الغُصونُ

وقوله :

٢٣٣ظ
٣

يَوْمُنا يومُ مُجونِ ... فخذوهُ فى سكونِ
بين دُرٍّ فى لُجَيْنٍ ... من نَدًى فى ياسَمينِ
ودنانيرِ بَهـارٍ ... فى هَمايينِ غُصونِ
والرَّوابى سافراتٌ ... عن خدودٍ وعيونِ

وقوله[3] :

لنا أَخٌ يُحْسِنُ أن يُحْسِنا ... رِضاهُ للجانين عَذْبُ الجَنا
قد عُرِفَتْ رَوْضَةُ مَعْرُوفِهِ ... بأنَّها تُنْبِتُ زَهْرَ الغِنَى
إذا تبدَّى وجـهُ إحسانِهِ ... تنزَّهَتْ فيـه عيونُ المُنَى

وقوله :

يا مَنْ تغيَّبَ عنَّا ... ما ذا التَّفَزُّعُ مِنَّا
أما ترى الرَّوْضَ فيهِ ... لنـاظرٍ ما تَمَنَّى
والريحُ فى جانبيـه ... تَهُزُّ غُصْنًا فغُصْنًا
والجَوُّ ينشر بِيضاً ... من الغيومِ ودُكْنا
فلا تدَعْنـا لِكَسْبٍ ... فالكَسْبُ يَفْنَى وتَفْنَى

(١) أنشد الكتبي بعض هذه القطعة .
(٢) هكذا فى د والصفدى ، وفى الأصل : نبات .
(٣) أنشد الثعالبي هذه الأبيات فى يتيمته .

٢٣٤و
٣

/فإنْ تكنْ رُمْتَ رِبحاً فإنما رُمْتَ غَبْنا
عاوِدْ إلى اللَّهْوِ وانْعَمْ ما دام عُودُكَ لَدْنا
فإنما العمر بيتٌ ينهدُّ ركنـا فركنا

وقوله :

افتضَّ حُمْرَةَ (١) خدِّهِ باللَّحظِ طَرْفى إذْ (٢) رنَا
فَجَلَدْتُهُ بدموعــهِ والحدُّ يَلْزَمُ من زَنَى

وقوله :

أيا مَنْ مالَهُ فى الجودِ ثانِ ومَنْ معروفُه سَلِسُ العنانِ
سرورى أن تكونَ اليوم عندى فعندى مُسْمِعٌ حلوُ الأغانى
ونَدْمانٌ ينادمنى (٣) بشِعْرٍ يَتِيهُ به على شعرِ ابْنِ (٤) هانى
فجَمِّلْنى بنفسك فهْوَ يَوْمٌ جميلُ الوجه من نَسْلِ الزمانِ
فقُضْبُ الروض بالأزهار تجْلَى كما تُجْلَى القصائدُ بالمعانى

وقوله :

أيا مَنْ غدا قطْبُ إنعامهم (٥) تدور عليه رَحَا قصْدِنَا
نَظَمْتُمْ علينـا عطَايَاكُمُ فصُغْنَا عليكم حُلَى حَمْدِنَا
فأمَّا الحِبَاءُ فمن عِنْدِكُمْ وأما الثَّنَاءُ فمن عندنَا

وقوله :

٢٣٤ظ
٣

/ شُرْبُ صَباحٍ ولاذُ راحٍ وَوَشْىُ زَهْرٍ وخَزُّ دَجْنِ
أربعةٌ ما اجتمعْن إلا عاشَ سرورى ومات حُزْنى

---

(١) فى د : جمرة .
(٢) فى د : إن .
(٣) فى د : يبادهنى .
(٤) هو محمد بن هانىء الأزدى الأندلسى شاعر المعز الفاطمى المشهور ، وهو فى المغرب والأندلس مثل المتنبى فى المشرق . توفى سنة ٣٦٢ هـ .
(٥) فى د : إنعامه .

وقوله :

عروسُ مُدامةٍ جُليتْ علينا [1] على نغمِ المثالثِ والمثانى
كساها الدَّنُّ [2] حُلَّةَ جُلَّنار فطرَّزها المزاجُ بأقحوانِ
فلما أن جلوناها تناءى منَ الأحزانِ عنَّا كلُّ دانِ

وقوله :

وحىٌّ المنِّ [3] ميْتَ الإمْتنانِ إذا استكفيتهُ أمراً كفانى
يُشيِّدُ ما يُؤسِّسُ من عُلاه بكلِّ أصمَّ رعَّافِ السِّنانِ
يداه إذا تسابقتا برِفْدٍ إلى قُصَّادهِ فرَسا رِهانِ

وقوله :

عندى جُعلتُ فِداكَ من ندْمانِ رَاىٌ [4] قريبُ العهدِ بالغُدْرانِ
يُقْلى لنا للوقت [5] حين يجيئنا فيجيئنا كسبائكِ العقيانِ
يرِدُ المقالى وهْوَ أبيضُ ساطعٌ ويعودُ منها وهْوَ أحمرُ قانِ
ولحبّذا كافورُه سِيما إذا ما خلّقتْهُ حرارةُ النيرانِ
فاعزمْ إلى بلّورهِ الرَّطْبِ الذى يأتيك فى غُلُفٍ من المرْجانِ
وانْعمْ بما يأتيك من نسْرينهِ مُتردياً بشقائقِ النُّعْمانِ
واعذرْ فما لى بعده شىْءٌ سوى دَسْتيجةٍ [6] مَلْأى وستِّ قنانى
مِنْ قهوةٍ تُجْلَى عليك كئوسُها ورُءوسُها فى أحْسَنِ التيجانِ
وقد استزرتُ مُهفْهفاً لغنائهِ حُللٌ يُزفُّ بها من الألحانِ
فاجْعلْ لروحك راحةً فى يومنا برواحِها للرَّاحِ والريحانِ

٢٣٥ و
٣

---

(١) فى د : زفت إلينا .
(٢) فى د : الدك .
(٣) فى د : المنى .
(٤) الراى : نوع من السمك .
(٥) فى د : فى الوقت .
(٦) الدستيجة : إناء الخمر .

وقوله :

ألا رُبَّ مُلْهٍ له قَامَةٌ ... تقيم قيامةَ هيفِ الغصون
يتيهُ بِرِدْفٍ كثيرِ الحراكِ ... ويُزْهَى بخصرٍ كثيرِ السكون
مليحِ الشباب[1] فصيحِ اللسان ... غريبِ الأغاني غريب[2] اللحون
دعوناه يوماً إلى عندنا ... لنلتذَّ منه بتلك الفنونْ
فلما تبدَّى لنا وجهُهُ ... نَهَبْنا محاسنَهُ بالعيونْ

وقوله :

وغادةٍ ذاتِ خدٍّ ... ما إنْ له من شبيه
لو قيلَ للفمِ منّي ... تَمَنَّ ما تشتهيه
/ لما تمنّى سوى أن ... يُمْسِي ويُصْبِحَ فيهِ

235ظ
3

وقوله :

جُعِلَتْ مهجتي الفداءَ لغصنٍ ... إن تَثَنَّى ثَنَا القلوبَ إليهِ
كلما لاح وَجْهُهُ في مكانٍ[3] ... كَثُرَتْ زَحْمَةُ العيونِ عليهِ

وقوله في نصرانية :

غدَتْ إلى دَيْرِها ومأواها ... ما بين رُهْبانها وقسّاها
رُودٌ لها وَجْنَةٌ مُوَرَّدَةٌ ... لو مرَّ وَهْمٌ بها لأدماها
يحتشمُ القَطْرُ من مقبَّلها ... ويَخْجلُ الرَّوْضُ من ثناياها
فقال قلبي : لِمْ ليس تعشقها ؟ ... فقلتُ مثلي مَنْ ليس يهواها
لي شرفٌ ما يكاد يتركني ... عبْداً لمن ليس يَعْبُدُ اللهَ

وقوله :

اسْحَبْ أبا عبدِ الإلهِ ... أذيالَ أثوابِ التباهي
واخْلَعْ عِذارك لاهياً ... مَعَ كلِّ لاهيةٍ ولاهِ

---

(1) في د : البنان .
(2) في د : عجيب .
(3) في د : بمكان .

ما دامَ دَهرُكَ نائماً		من قبل حين الإنْتباهِ
وانْعَمْ بإبْنَةِ كَرْمَةٍ		ما افْتَضَّها بالدار طاهى
تَذَرُ القوىَّ من الأسَى		بعد التعزُّز وهْوَ واهى
/وتَحسَّها من أكْؤُسٍ		أفواهُها بيضُ الشفاهِ
ما بين ياقوتِ الثما		رِ وبين بلّور المِياهِ
فى روضةٍ جيزيَّةٍ		منشورُها المنشورُ زاهى
واطْوِ الحديثَ مع النديـ		ـم إذا تحدَّثتِ الملاهى
وتهنَّ بالعيد الذى		أيامُه غُرُّ الجباهِ

٢٣٦و / ٣

وقوله :

قَطَّعَ قلبى بمُدْيَةِ التِّيهِ		وذَرَّ من مِلْحِ صَدِّهِ فيهِ
ولَفَّهُ فى رُقاقِ جَفْوَتِهِ		وقَطَّعَ الْبَقْلَ من تَجَنِّيهِ
وقالَ لى كُلْ فقلتُ آكُلُ ما		أمْرِضُ قلبى بهِ وأوذيهِ

وقوله :

نحن المحاسنُ للدنيا إذا سفَرَتْ		حتى إذا ابْتَسمَتْ كنا ثناياها
عِصابةٌ ما رأى جيد الزمان لهُ		قلائداً هى أبْهَى من سجاياها
لم يَخْلُقِ اللهُ شيئاً قطُّ أكثرَ من		حاجات قُصَّادها إلا عَطاياها

أبو إبراهيم الحسين [1] بن إبراهيم بن أحمد الرسى

٢٣٦ظ / ٣

/ الرسيون من ولد الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه . ونسبهم إلى الرَّسّ : جبل بين اليمن وعمان . وقد ذكرت أنسابهم ومفاخرهم فى مكانها من (كتاب حلى [2] الزمن فى حلى اليمن) فى مدينة صعدة حيث توارثوا الإمامة . وسكن منهم بمصر جماعة . ولما طالعت تاريخ مصر للقُرْطى

(١) هو حفيد أبى القاسم الرسى الذى مرت ترجمته ، وقد ترجم له الثعالبى فى اليتيمة ١ / ٣٣٠ ، وفى ديوان تميم بن المعز (نسخة دار الكتب المصرية المصورة تحت رقم ١٦٠٢٥ ز) مساجلات ومراسلات بينهما بالشعر ، انظر الأوراق أرقام ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ١٠٨ ، ١٤٣

(٢) لعل هذا الكتاب أحد الكتب الداخلية فى كتابه « المشرق » . انظر المقدمة .

رأيته قد ذكر رجلا رفيع القدر كثير التواضع ، فقال فى أثناء وصفه وكان كما قال الحسين ابن إبراهيم الرَّسى :

لم تَتِهْ وهى فاقتِ الناسَ حُسْناً وحقيقٌ بمثلها أنْ يتيها

ثم قال : وهذا الشريف الرسى هو الذى كان بينه وبين تميم بن المعز محاوبات بالنظم ، وكان يكثر التنزه معه فى بساتينه وفُرَجه . فطلبت ديوان تميم بن المعز فوجدت فيه ذكره ، فما وقع له فيه من الشعر قوله ، وقد سأل الأمير عما ما اجتمع عنده من شعره ، فتشاغل عنه ، فكتب له بذلك :

٢٣٧ و
٣

/ إنى غريمٌ والغَريمُ مطالبٌ كان المُدائنُ موسِرًا أو مُعْسِرَا
يا سيدى أدعوك مُذْكِرَ سالفٍ[1] من وَعْدِهِ ما خاف ألا يُذْكَرَا
شِعْرًا كأنَّ جميع ألباب الوَرَى جُمِعَتْ عليه فقَصَدُهُ[2] أن يُشْهَرَا
لفظا كأن الغانيات لَفَظْنَهُ فنظَمْنَ منه فى القلائد جوهرا
هُوَ رَوْضَةٌ أُنُفٌ يفيدك أخْضَرًا طَوْرًا وطورا أحْمَرًا أو أصفرا

فأجابه تميم بشعر منه[3] :

بَلَغَتْ بلاغَتُكَ البديعَ وأكْثَرَا فنظَمْتَ فى الآداب لَفْظَكَ جوهرا
وشعَرْتَ حتى كِدْتَ تَمْنَعُ كلَّ من حاكَ القوافى فى الوَرَى أنْ يَشْعُرَا

العلوى الحسينى[4] الزينبى المعروف بزبدة

وجدت فى دفتر أعارنيه النجم[5] الريحانى المشهور بجمع دفاتر الأدب منسوبا لزبدة العلوى الحسينى الزينبى ، وقد ليم على طول إقامته بالفسطاط :

أنا بالفُسْطاط ثاوٍ ودَعِ اللائمَ يَلْحَى
كم به من غُصْنِ بانٍ قد غدا يَطْلُعُ صبحا
/ أنا لا أترك مِصْرًا لا ولا أذكر شَرْحا

٢٣٧ ظ
٣

(١) الشطر فى ديوان تميم : ياسيدى أدعوك دعوة مذكر .
(٢) فى ديوان تميم : فقصدنا .
(٣) هذان البيتان فاتحة قصيدة تميم .
(٤) لم نقف على ترجمة له .
(٥) يظهر من حديث ابن سعيد عنه أنه كان وراقا .

وبعد هذا هو القائل :

يا مَنْ أطال قطيعتى يَوْمُ الوصال متى يكونْ
عَجِّلْ خلاصِى باللقـــا ء فإنَّنى بيد المنُون

والقائل :

ما زلت أشربها والحِبُّ ثالثُنَا والبدرُ رابعنا صفراء كالسُّرُرِ[1]
حتى بدا الصبح من لألاء غُرَّتهِ وعَرَّجَ الليلُ فى الأصْداغِ والطُّرَرِ

ثم وقعت على كتاب الدمية[2] للباخرزى، فوجدت هذين البيتين منسوبين للزينبى ، ولاذكر من أمره غير هذا .

من كتاب تلقيح الآراء فى حلى الحجّاب والوزراء

ابن[3] جدار

ذكر القرطبى : أنه كان مختصـًّا بالعباس بن أحمد بن طولون الذى ثار بمصر على أبيه ، فلما استبد بالسلطان استوزره ، وخرج معه إلى بَرْقَـة ، فظفر به أحمد بن طولون حين سيق له ابنه أسيراً ، وقتل ابن جدار / شر قتلة. وقال القرطبى: إن العباس بن طولون لما هم بالانخلاع من طاعة أبيه فى مصر كان مرتبك الرأى ، فصنع ابن جدار قصيدة يحرِّضه ، منها :

إذا هَمَمْتَ فلا ترجعْ وقُمْ وثِبِ فأنت أرفع من يسمو إلى الرُّتَبِ

ولم ينشد منها غير هذا البيت .

أبو الفضل جعفر[4] بن الفضل بن الفرات

بنو الفرات ذوو بيت جليل بالعراق ولُّوا وزارة الخلفاء على ما هو مذكور فى كتاب بغداد ، وسكن منهم مصرَ الفضلُ بن جعفر بن الفرات ، وكان وزير الشام ومصر من قبل الراضى وغيره

٢٣٨ و
٣

(١) السرر : أطراف النبات .

(٢) هو كتاب (دمية القصر وعصرة أهل العصر) لأبى الحسن على بن الحسن بن الباخرزى المتوفى عام ٤٦٧ هـ . وهذا الكتاب ذيل به على اليتيمة . ولم نعثر فيه على الزينبى المذكور .

(٣) ترجم له ياقوت فى معجم الأدباء (طبعة القاهرة) ٧ / ١٨٢ وقال : لم يكن بمصر مثله فى وقته كثير الشعر حسن البلاغة عالم ، له ديوان شعر ومكاتبات حسنة ، وروى ياقوت طائفة من شعره .

(٤) ترجم له ابن خلكان ١ / ١٩٥ وابن شاكر فى الفوات (طبعة سنة ١٢٩٩ هـ) ١ / ١٠٤ وكذلك ابن عساكر فى تاريخ دمشق (انظر فهرس النسخة المخطوطة بالمكتبة التيمورية) والصفدى فى الوافى (النسخة المصورة بدار الكتب) المجلد الثانى من الجزء السابع الورقة ٢٣٧ ، وانظر أيضا معجم الأدباء ٧ / ١٦٣ وابن الاثير (طبعة أوربا) ٩ / ١١٩ وابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة الجزء الرابع من طبعة دار الكتب المصرية بمواضع متفرقة و ص ٢٠٣ وانظر تاريخ بغداد ٥ / ٢٧٥

من خلفاء بنى العباس ، وكان الأخشيد سلطان مصر والشام يعظمه . وقدولى وزارة الخلافة ببغداد على ما هو مذكور قبل فى ترجمة الأخشيد ، ووُجِّـهَ عن أبيه الفضل فلم يتركه الأخشيد يتوجه إلى وزارة بغداد/ وأقام وزيراً لمصروالشام . وعاش بعد الأخشيد ودبرملك ولده إلى أن زالت دولة بنى طغج . ووجدت فى تاريخ الروذبارى [1] فى خلفاء مصر المعروف ببلشكر الأدباء أن جعفر بن الفضل مات فى صفر سنة إحدى وتسعين وثلاثمـائة ، ووجدت له من الشعر المنسوب ما أحسنه قوله:

٢٣٨ظ
٣

مَنْ لى بصُحْبَةِ مَنْ إذا أغْضَبْتُهُ ... وسَخِطْتُ كان الحِلْمُ رَدَّ جوابهِ

وإذا طَرِبْتُ إلى المُدام سَكِرْتُ من ... أخلاقه وطَرِبْتُ من آدابهِ

وتراه يُصْغِى للحديث بسَمْعِه ... وبقلبـــهِ ولعلّه أدرى بهِ

ووجدت له منسوباً بخط الصاحب الكبير كمال [2] الدين بن أبى جرادة .

مَنْ أَخْمَلَ النفس أحْيَاها وروَّحها ... ولم يَبِتْ طاوياً منها على ضَجَرِ

إن الرياح إذا اشتدَّتْ عواصفُها ... فليس تَرْمِى سوى العالى من الشجرِ [3]

من كتاب أردية الشباب فى حلى الكتّاب

/ أبو الفرج الموقفى [4] الكاتب المصرى

٢٣٩و
٣

وجدت له منسوبا فى كتاب دمية [5] الباخرزى :

ناعورةٌ تَحْسِبُ فى صوتها ... مُتيَّماً يشكو إلى زائرِ

كأنما كيزانُهـــا عُصْبَةٌ ... رُمُوا بريْبِ الزَّمَنِ الجائرِ [6]

قد مُنِعُوا أن يَلْتقوا فاغْتَدَى ... أوَّلُهُمْ يبكى على الآخِرِ

---

(١) مؤرخ مصرى ترجم له ابن سعيد فى كتاب القاهرة وقال : أصله من العجم ، انتقل آباؤه إلى مصر . ولد سنة ٣٦٣ هـ وذكر فى تاريخه من سيرة الحاكم عجائب ، واعتمد عليه ابن سعيد فى ترجمة الحاكم بكتابه عن القاهرة .

(٢) هو علم الشام فى عصره ويشتهر باسم ابن العديم ، وكان يستوزره الناصر صاحب حلب ، وفى إحدى سفاراته له إلى مصر تعرف بابن سعيد فصحبه إلى الشام ، وفى داره بحلب كتب له هذه النسخة من المغرب التى ننشر منها هذا الكتاب . توفى سنة ٦٦٠هـ . وله مؤلفات مشهورة منها تاريخ حلب وزبدة الحلب وغيرذلك .

(٣) الشطر فى الفوات : فليس تقصف إلا عالىَ الشجر .

(٤) ترجم له الثعالبى فى اليتيمة ١ / ٣٣٩ والعماد فى الخريدة قسم شعراء مصر ٢ / ٢١٨ . والموقفى نسبة إلى محلة بمصر .

(٥) لم تأت هذه الأبيات فى الدمية ولعل ابن سعيد نقلها عن الخريدة .

(٦) الشطر فى الخريدة : أصيبوا بريب الزمن الوافر ولعلها الواتر .

وسألت عنه من يلتمسُ عنده معرفةُ هذا الشأن من علماء مصر ، فلم أجد من يميزه ويزيدنى على ماوجدتُ ، بل يقول لى أكثر من أسأله: أظنه من كُتَّاب الفسطاط لأن بها داراً مشهورة تعرف بدار الكاتب الموفقى ، فملت إلى ذكر ترجمته بالفسطاط ، ووقفت على ترجمته فى كتاب الخريدة وقد نسب له العماد هذه الأبيات ، ولم يذكر من شأنه إلا أن قال : أحد كتاب مصر من الطبقة الأولى .

صالح [1] بن رشدين

٢٣٩ظ
٣

وجدته فى تاريخ القرطبي موصوفا بالكاتب المصرى/ وأنه قال : كتب إلىَّ أبو على أحمد [2] ابن صدقة الكاتب يدعونى سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة :

بالله يا صالحُ قُمْ مُسْرِعَا إلى عُقَار أدْرَكَتْ تُبَّعَا
فساعـدِ الليلةَ شُرَّابها [3] وخُذْ من السُّكْرِ لها [4] مَصْرَعَا
فقد [5] بَذَلْنَا لك أرواحنا لمَّا رأينـاك لها مَوْضِعَا

فجاوبته :

يا سَيِّداً يسمع ما قد دَعَا خُذْنى كما ألْزَمْتَهُ مُسْرِعَا
منادماً ماشئتَ إعمالها كأساً تُرِينا للسَّنا مَطْلَعَا
تشربها حتى ترى الهمَّ لا يُهْدَى ولا يَدرى لنا موضعاً

من كتاب بلوغ الآمال فى حلى ولاة الأعمال

البرهان إبراهيم [6] بن الفقيه نصر

من مشاهير عُمال الخراج وأماثل سكان الفسطاط . وبيت بنى نصر إلى الآن هنالك مشهور نابه القدر مذكور . وكان برهان الدين من/ أفاضل الأدباء ، ومجيدى الشعراء ، أخبرنى به غير واحد

٢٤٠و
٣

---

(١) ترجم له الثعالبى فى اليتيمة ١ / ٣١٧ وهو ينقل عنه كثيراً فى أخبار الشعراء المصريين مما يدل على أن له كتاباً فيهم وكذلك يروى عنه ياقوت فى معجم الأدباء . وانظر أخباراً له متفرقة فى الجزء الأول من اليتيمة ص ٣١٦ ، ٣١٩ — ٣٢١ ، ٣٣٩

(٢) انظر ترجمته فى اليتيمة ١ / ٣٣٩

(٣) فى اليتيمة : فى شربها .

(٤) فى اليتيمة : بها .

(٥) فى اليتيمة : وقد .

(٦) ترجم له ابن فضل الله العمرى فى المسالك الجزء الثانى عشر الورقة ١٣٩ ولم يزد شيئاً عما ذكره ابن سعيد ، وذكره السيوطى فى حسن المحاضرة بين شعراء مصر المشهورين .

من المصريين وكان كثيراً ما يتولى النظر على دواوين الخراج بالصعيد ومات معذبا على الأموال في مدة صاحب مصر الآن . وأخبرني من كان يصحبه أن وفاته كانت سنة أربعين وستمائة.

وأحسنُ ما أنشدت له قوله :

أقْتَطِفُ السوداءَ من لِحْيتى[1] ... أَخْذًا مع البيضاء إذ تُشْرِفُ

فتخلفُ البيضاء أمثالَها ... وتَغْضَبُ السَّوْدَا فما تُخْلِفُ

حَماقَةُ السودانِ من ها هنا ... يَعْرِفها من كان لا يعرف[2]

ولما ولي الصعيد ذكَّره صاحب له بصداقة له قديمة ، فوقَّع له : « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه » . وكان في ورقة المذكِّر أبيات جعل في جوابها :

أَهْلًا بمن ذكَّرني وُدَّهُ ... في الزَّمَنِ العاطل أَهْلًا به

فقلْ له في القلب من حُبِّهِ ... أضعافُ ما يُخْفِيه في قلبه

آنَسَنِي فيما مضى مُفْضِلًا ... لا أَوْحَشَ الرحمنُ من قُرْبه

/ وأخبرني العماد[3] السلماسي قال : وقفت معه يوما بالقاهرة بين القصرين فمر بنا سربٌ بعد سرب من غلمان الأتراك ، فقلت :

لحا الله عيشتنا إنني ... أرى الموتَ واللهِ خيْرًا لَنَا

فقال : ولِمَ ؟ قلت :

لأنا نرى أوجهاً كالبدورِ ... ونحن بها في ظلام المُنَى

فقال :

لَحَا الله هذا الزمانَ الذى ... يجمِّعُ ما بين أحزانِنا

٢٤٠ ظ
٣

---

(١) في المسالك : لمق .

(٢) في المسالك : يعرفها من لم يكن يعرف .

(٣) هو عثمان بن إسماعيل بن خليل ، ترجم له ابن سعيد في كتاب القاهرة وقال : أبوه من سلماس : إحدى مدن أذربيجان ، انتقل منها إلى القاهرة وولد له بها العماد سنة ٥٨٩ هـ وتنقل في البلاد الشامية والجزرية كاتب درج وكاتب ديوان ثم تقلد نظارة البيمارستان في القاهرة وقال : إنه جمع تصنيفاً في لطائف أشعار المشارقة كما قال إنه أهدى إليه نسخة منه بخطه ، ولم يلبث أن توفي سنة ٦٤٤ هـ .

وقوله من قصيدة يمدح بها الملك الكامل [1].

إليك وإلا دُلّني كيف أصنعُ ... وفيك وإلا فالثناء مُضيَّعُ

ومنك استفدنا كل مجد وسؤددٍ ... وعنك أحاديثُ المكارم تُسمعُ

تركنا جميعَ الناس شرقا ومغربا ... ولُذنا بِرُكنٍ منك لا يتزعزعُ

ونحوك أوضعنا المطيّ تيقّناً ... بأنّ ذراكَ الرَّحبَ للفضل موضعُ

سلامٌ على تلك الشمائل إنها ... أرقُّ من الصهباء وهي تُشعشعُ

لكم يا بني شادي كما شاءت العُلا ... محلٌّ على أوجِ السماء مُرفَّعُ

ومُلككُمُ بالجود والحِلم والتقى ... على رغمِ من ناوأتموه مُرصَّعُ

241 و / 3

ومنها:

فيا سا كني قصرٍ على النيل قد غدا ... غنياً عن الأقطار أيان تهمعُ [2]

نداكُمْ بحارٌ ليس يُحصَر فيضُها ... ونيلُكُمُ يحصيه بالعدِّ إصبعُ

ومن شعره قوله:

والهفَ نفسي ووا جدِّي وواحزني ... ممن ألاطفه جهدي ويُتعبني

بذلتُ روحيَ في أدنى تواصله ... ذلاً وصبراً وعطفاً وهو يهجرني

وكلما رُمتُ منه ما أهزُّ به ... عِطفَ السرور انزوى عني وأحزنني

وكيف أطمعُ منه في الوصال وقد ... أضحى وأمسى إزائي لا يكلمني

يا من أحلَّ دمي رفقاً فقد فعلتْ ... ألحاظُ عينيك فعلَ الصارم اليمني

اللهَ في مهجةٍ أتلفتها كمداً ... بادر بوصلٍ وإلا ليس تدركني

هذي حياتيَ وافت للوداع فقل ... مولاي ماذا به عيناكَ تأمرني

وقوله:

احْدُ بالعود أكؤسَ الصهباءِ ... في رياضٍ ملأى من الأنداءِ

نفضتْ راحةُ الغمام عليها ... لؤلؤاً بدّدته كفُّ الهواءِ

ولدينا مقطّعاتٌ عليها ... نَصِلُ السكر بالضحى والمساءِ

241 ظ / 3

بُسطَ الروضُ أخضراً في ذُراها ... فبدتْ مثل أنجمٍ في سماءِ

(1) هو ناصر الدين أبو المعالي محمد صاحب مصر من سنة 615 إلى سنة 635هـ.

(2) تهمع: تسيل.

وقوله :

لا تَلُمْني على السُّهاد إذا ما دارتِ الكأسُ والحبيبُ أمامي
لذّةُ الدهر أبْرزَتْ بعد مَطْلٍ أتُراني مُضيعَها بالمَنَامِ

وقوله :

لأُبِنْ عـــدوَّك إنه فى أمرِهِ كالنار يُطفئُها انسكابُ الماءِ
وأُتْرُكْ مقالة مَن يقول فإنما الـــمَسْعودُ ذو الحسَّادِ والأعداء

وأخبرنى أحد من صحبه أنه كان معه يوما فجاء غلام ، وقدم إليه حبة كمثرى ، فصنع أبياتاً لم يحفظ منها إلا قوله :

وَافَى بحبَّة كُمَّثْرَى وما أحَدٌ قبلى تمشَّى إليه الغُصْنُ والثَّمَرُ

وقد ذكر لى غيره أن هذا البيت للفصيح العجلى من جزيرة [1] ابن عمر :

٢٤٢ و
٣

من كتاب الإحكام / فى حلى الحكام

قاضى قضاة الفسطاط أبو المكارم محمد [2] بن عين الدولة

أصله من الإسكندرية ومنشؤه وولايته الدائمة وجاهه بالفسطاط ، وَلِىَ فيها قضاءَ القضاة ، فاتصلت أيامه . وكان فى ولايته من أعجب الحكام لأنه كان ذا نوادر وتطايب . وكان بالأدباء أشبه منه بالقضاة ، حلو النظم والنثر ، ومع هذا كله فانه قد أجمع الملأ من أهل ولايته على زهده وتورعه ، مع طول ولايته ، عن أن يتهمه أحد بدرهم واحد أخذه فى حكم . وكان السلطان الكامل يعظمه ويستطيب مجالسته ويستكثر منها . وقد حضرت مجلسه بالفسطاط عند قدومى

---

(١) جزيرة ابن عمر : بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام ومنها بنو الأثير العلماء الأدباء

(٢) ترجم له ابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب ٥ / ١٨١ وقال : هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن صدقة قاضى القضاة الاسكندرى المصرى المعروف بابن عين الدولة ولد بالاسكندرية سنة ٥٥١ هـ وقدم القاهرة سنة ٥٧٣ ، وناب فى القضاء . ثم ولى قضاء القاهرة والوجه البحرى سنة ٦١٣ هـ وعزل عن قضاء القاهرة خاصة قبل وفاته بشهر سنة ٦٣٩ هـ . ونقل عنه المصريون كثيراً من النوادر كان يقولها بسكون وناموس . وانظر أخباراً طريفة عنه فى حسن المحاضرة للسيوطى ٢ / ١٢٩ حيث نراه يرد شهادة الملك الكامل صاحب مصر .

من إفريقية فى مدة سلطان مصر الآن . ولما رجعت إلى الاسكندرية بلغنى نعيه ومات وقد طال عمره ونيف على / الثمانين وكان الكامل قد سأله عن سنه ، فقال ارتجالا :

242 ظ
3

يا سائلى عن قُوَى جسْمى وما فعلتْ ... فيه السنونَ ألاَ فاعلْمه تبْيينا
تاء الثلاثين أحْسَسْتُ الفتوّ بها ... فكيف حالىَ فى ثاء الثمانينا

ومما كتبته من شعره قوله :

سَلّتْ عليك سيوفَهَا الأجْفَانُ ... وتمايلتْ بك للهوى الأغصانُ
وتعطّفَتْ بك للمعاطف رقّةً ... أمستْ تقرُّ لها الصَّبَا والبَانُ
الله من تلك الجفونِ وسِحْرِها ... يا نائماً وغرامُه يقْظَانُ

وله نوادر مطربة ، منها : أن رجلين من أهل الفسطاط تقدما إليه ، فقال أحدهما لى عند هذا كذا وكذا زبدية من ألوان الطعام قدمتها إليه ، وقد ورد من سفر . ووصلت أنا من سفرتى هذه ، فلم يقدم لى مثلها ، فقال : يا وفىّ الدولة اسمع ما يقول كريمُ الدولة ، فانقلب المجلس ضحكا .

عبد الحكم [1] بن [أبى] اسحق

243 و
3

/ أخبرنى الرشيد [2] بن عبد العظيم صاحب تاريخ مصر أنه كان يعرف بابن العراقى ، وولى نيابة الحكم بالفسطاط والخطابة بالجامع العتيق وكانت وفاته سنة ثلاث عشرة وستمائة ، وأنشدنى له :

نَفْسِى فداؤك كم أموتُ معذّباً ... فى مُقْلَتَيْك ووجنتيك وثَغْرِكا
ما قلتُ أصبح لى الصباحُ بوجههِ ... إلا انثنيتُ إلى الدُّجَى من شَعْرِكا

ثم وجدت ذكره فى تقييد بخط الصاحب كمال الدين بن أبى جرادة وهو : رجل فاضل ، شاعر ، حسن الشعر ، قدم حلب فى أيام الملك الظاهر ، وأنشد له بيتين عملهما فى قلعة حلب ، وقد شاهد شخصا رمى بقوس سهما فوقع فى كبد رجل ، فقتله [3] :

---

(1) ترجم له ابن خلكان أثناء ترجمته لأبيه أبى إسحق إبراهيم بن منصور المعروف بالعراقى الخطيب بجامع مصر وقال إنه ولد سنة ٥٦٣ هـ وتوفى سنة ٦١٣ هـ وولى خطابة الجامع بعد وفاة أبيه سنة ٥٩٦ وامتدحه وروى طائفة من شعره . وانظر حسن المحاضرة ١ / ٢٢٩ حيث ذكره داخل ترجمة أبيه .

(2) ترجم له ابن سعيد فى كتاب القاهرة وقال : إنه صنف تاريخ مصر على حروف المعجم ونحى به منحى كتاب الخطيب البغدادى عن بغداد وعاجلته المنية قبل إكماله سنة ٦٤٤ هـ .

(3) عبارة ابن خلكان هنا : ومن شعر عبد الحكم فى رجل وجب عليه القتل فرماه المستوفى للقصاص بسهم فأصاب كبده ، فقتله ، فقال عبد الحكم البيتين .

أخْرَجْتَ من كَبِدِ القَوْسِ ابنَهَا فغدتْ تَئِنُّ والأمُّ قد تحنو على الولَدِ
وما درتْ أنه لما رميتَ بهِ ما سار من كَبِدٍ إلا إلى كَبِدِ

وأنشد له :

قامتْ تطالبنى بلؤلؤِ نَحْرِها لما رأتْ عينى تجود بدُرِّها
/ وتبسَّمتْ عجباً فقلتُ لصاحبى هذا الذى ابتسمتْ [١] به فى ثغرها

٢٤٣ظ
٣

وكتب الى الصاحب عبد الله [٢] بن على بن شكر وكان قد صُرِفَ عن الخطابه :

مِتُّ جوعاً وأنت حىٌّ كريمُ وبلاءٌ كما علمتَ عظيمُ
وديونٌ جلَّتْ علىَّ مع الفقْـ ـرِ وهذا هو العذاب الأليمُ

وكتب نحوها : وقد عز الأمر وضاق الخناق ، وجاءت من الفقر أمور لا تطاق:

فلأىِّ بابٍ غير بابك أرجعُ وبأىِّ جودٍ غير جودك أطْمَعُ
سُدَّتْ علىَّ مسالكى ومذاهبى إلا إليك فدُلَّنى ما أصنعُ
فكأنما الأبواب بابك وحده وكأنما أنت الخليقة أجمعُ [٣]

وبقى بعد هذه الرقعة أربعة أشهر ومات .

ومن كتاب الياقوت فى حلى ذوى البيوت

ناصر الدين الحسن [٤] بن شاور

٢٤٤و
٣

/ ينسب الى الوزير شاور الكنانى [٥] وزير العاضد الخليفة بمصر، ومنشؤه ومسكنه الى الآن بالفسطاط ، وهو على ما فى علمى حى يرزق ، اجتمعت به وهو يتولى لسلطان مصر معدن الزمرد ، فأبصرت شخصا مجسَّدا من الفضائل ، معنونا عن بيته بما يبدو عليه من كرم الشمائل ، وهو عندى

---

(١) فى ابن خلكان : اتهمت .

(٢) هو الوزير صفى الدين أبو محمد عبد الله بن على المعروف بابن شكر وزير الملك العادل ابن أيوب بمصر .

(٣) أشار ابن خلكان إلى أن هذا البيت ينظر إلى قول السلامى الشاعر :

فبشرت آمالى بملك هو الورى ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر

(٤) ذكره السيوطى فى حسن المحاضرة ١ / ٣٢٦ وابن شاكر فى الفوات ١ / ١١٨ وابن فضل الله فى المسالك الجزء الثانى عشر الورقة ١٣٩ وابن تغرى بردى فى النجوم ٧ / ٣٧٦ والمنهل الصافى (نسخة مخطوطة بدار الكتب تحت رقم ١١١٣ تاريخ) بالجزء الثانى . توفى سنة ٦٨٧هـ . وهو أحد شعراء مصر المجيدين فى عصره .

(٥) فى قوله الكنانى نظر ، لأنه سعدى من هوازن . انظر ترجمة الوزير شاور فى ابن خلكان ١ / ٣٩٣ وحسن المحاضرة ٢ / ١٦٣

من أفراد شعراء العصر المتغلغلين فى الغوص على المعانى ، الحائزين من غايات الاحسان ما يقصر فى إطرابه عنه المثالث والمثانى . ومما أنشدنى لنفسه ، فجعلته فى هذا الكتاب شعاعا دالًّا على شمسه ، قوله :

ورَوْضَةٍ تَوَسْوَسَ الغُصْنُ بها | لما هزا [1] فيها النسيمُ الشَّمْأَلُ
قد جُنَّ فى أرجائها جدولُها | فهوَ على وجه الثرَى مُسَلْسَلُ

وقوله :

قلتُ وقد أَسْبَلَ من جفونهِ | دُرَّ دموعٍ وفؤادى ذاهلُ
وَاعجبًا من نرجسٍ فى روضةٍ | يَقْطُرُ منه الماء وهْو ذابلُ

٢٤٤ظ
٣

/ وقوله :

وَابأبى ظبىٌ له وَجْنَةٌ | تَدْمَى من اللاَّحظِ واللامسِ
يحرسها طَرْفٌ له ناعسٌ | وَاعجبًا من حارسٍ ناعسِ

وقوله :

يا مَنْ أدارَ مُدامةً [2] من ريقه [3] | وَحبابُها الثغرُ الشَّتيتُ [4] الأَشْنَبُ
تُفَّاحُ خَدِّكَ بالعِذار ممسَّكٌ | لكنه بدمِ القلوب مخضَّبُ

وقوله وهو من أعجب ما قيل ، وقد رام معارضته معاصرون له ، فقصروا عنه [5] :

لا تَثِقْ من آدميٍّ | فى ودادٍ بصفاءِ
كيف ترجو منه صفْواً | وهْوَ من طينٍ وماءِ

---

(١) هزا : سار .

(٢) فى المنهل : سلافة .

(٣) الشطر فى الفوات : يامن أدار بريقه مشمولة .

(٤) فى المنهل : الشنيب ، وفى الفوات : النقى ، والشتيت : المفلج ، والشنيب من الشنب ، وهو برد وعذوبة فى الأسنان ولمعان وبريق .

(٥) سبقه إلى هذا المعنى ابن سناء الملك فى بيت له ذكره ابن سعيد فى ترجمته بالقاهرة ، وهو قوله :

والمرء لا ينفك فى | كدر لأن الأصل طين

وأنشدنى لنفسه فى الأمير سيف الدين بن سابق [1] صاحب أعمال الديار المصرية الشاعر المجيد الجليل القدر فى معانى الغوص ، الذى تأتى ترجمته فى القاهرة :

يا أيُّها السيفُ الذى إحسانه مُشْهِرُهُ
أفديك سيفاً لم يَزَلْ يروقنا منظرُهُ
/ ذكاؤه صَيْقَلُه ولَفْظُهُ جَوهَرُهُ

٢٤٥ و
٣

وقوله وقد وَلِىَ الجيزة :

عَلَتِ الجيزةُ قَدْراً عندما حلَّ فى أرجائها النَّدْبُ عَلِى
أخْصَبَتْ سهلا ووَعْراً وكذا كلُّ أرضٍ يتولاَّها الوَلِى

وقوله :

لأمِّك تُدعَى عَلَى أنَّنى أرى الناسَ ما أحْمدوا نَهْجَهَا
وكيف تكون كعيسى المسيح وأمُّك ما أحْصَنَتْ فَرْجَهَا

/وقوله :

ومُكَرَّشٍ أضحى يحلِّق سفلَه لعساه لا يُشْكَى إليه ويُشكَرُ
ويقصُّ لحيته فإنْ نادَيْتَهُ وافاك منه محلَّقٌ ومقصِّرُ

وقوله :

ليت من لام وعَنَّفْ نظرَ الظَّبىَ المُشَنَّفْ
ورأى حُسْنَ تَثَنِّى ذلك القدِّ المُهَفْهَفْ
قمرٌ خدَّاه وَرْدِى ولَمَاهُ لِىَ قَرْقَفْ [2]
فهُوَ الوردىُّ خدًّا وهو الشهدىُّ مَرْشَفْ
جهِدَ البدْرُ بأن يحكيه حُسْناً فتكلَّفْ
/ما على اللَّيِّن عِطْفاً وقَوَاماً لو تعطَّفْ
آهِ لو أسعَدَ بالوصل أخا عِشْقٍ وأسْعَفْ
فسُلُوِّى ما جَرَى قطُّ ودَمْعى ما توقَّفْ

٢٤٥ ظ
٣

(1) هو الأديب الشاعر سيف الدين أبو الحسن على بن عمر بن قزل المعروف بالمشد كان يتولى الأعمال فى الدواوين بمصر والشام وتوفى سنة ٦٥٦ هـ .

(2) القرقف : الخمر .

ومن كتاب الريحانة فى حلى أهل الديانة

أبو عبد الله محمد [1] بن ثابت بن إبراهيم الكيزانى

أخبرنى جماعة من المصريين أنه كان من عُبَّاد الفسطاط الملازمين للقرافة وجبل المقطم ، وكان مذهبه الاعتزال . وهو من فضلاء المائة السادسة ، ووقفت على ديوانه وهو مشهور عند الناس قريب من أفهام العامة غير مرض عند صدور الشعراء وأصحاب غوص الكلام وفرسان النظام . ولم أكتب من ديوانه ، وقد ضجرت من اختياره ومطالعته ، شيئاً تَهش النفس إليه ، وإنما / أوردت ترجمته لشهرة ذكره وديوانه ، وكثيراً ما يباع فى سوق الفسطاط وسوق القاهرة . وكان من لا يعرف معانى الشعر المستحسنة وألفاظه المستبدعة يحضُّنى على الوقوف عليه ، فلما وقفت عليه أنشدنى متمثلا : (أنا المعيدى فاسمع بى ولا ترنى) . وسكن العراق وفيه يقول :

٢٤٦ و
٣

لم تكنْ بالعراق دارى ولكنْ　　لهواكم سكنتُ أرضَ العراقِ

وذاكرت فيه أحد الأدباء بمصر وأعلمته أنى وقفت على ديوانه ، فلم أر فيه ما يصلح [2] للاختيار ، فأنشدنى له أبياتاً ، لم أقف عليها ولا على ما يقاربها فى ديوانه المذكور ، إلا أن تكون فى نسخة أخرى :

إذا نفحتْ رياحُ الغَوْرِ [3] يوماً　　فإن الدمع يُنْجِدُنى ويُغْرِى
تذكِّرنى الذى قد غابَ عنى　　فيلقانى وألقـاهُ بذِكْرِ
نأى عنى فقلبى مثلُ بَرْقٍ　　وأجفانى سحابٌ ذاتُ قَطْرِ

---

(١) عرف بابن الكيزانى نسبة إلى عمل الكوز وهو أهم شاعر صوفى ظهر بمصر فى القرن السادس قال ابن خلكان فى ترجمته ٢ / ٣٩١ : كان زاهداً ورعا وبمصر طائفة ينسبون إليه ويعتقدون مقالته ، وله ديوان شعر مشهور أكثره فى الزهد . وفى (المحمدون من الشعراء) للقفطى (النسخة المصورة بدار الكتب المصرية) : له بمصر وسواحل الشام فرق تنتمى إليه فى المعتقد وأكثرهم بحوف مصر ، ويقول ابن تغرى بردى فى النجوم ٥ / ٣٦٨ له كلام فى علم الطريق ولسان حلو فى الوعظ وكان للناس فيه محبة ولكلامه تأثير فى القلوب ، ولا يلتفت لقول الخبوشانى فيه ، وتهور الخبوشانى معروف . وانظر ترجمته فى الوافى بالوفيات طبع استانبول ٢ / ٣٤٧ والخريدة (قسم شعراء مصر) ٢ / ١٨ وقد اقتبس العماد من شعره أكثر من ثلاثمائة بيت كلها غزل وجدانى فيه صبابة وتواجد ومحبة رائعة للذات الالهية .

(٢) لعل فى هذا الحكم ما يدل على أن ابن سعيد لم يكن يعجب بالشعر الوجدانى ، إنما كان يعجب بالشعر المتكلف الملىء بالتشبيهات والاستعارات .

(٣) الغور : كل ما انحدر مغربا من تهامة فى الحجاز .

٢٤٦ظ
٣

/ويا لَهْفِى عليه ثُمَّ لَهْفى نَأى بنواه يومَ البين صَبْرِى
أبيتُ معالَّلا روحى برَوْحِ الـ نسيم من أرضه أيَّان يَسْرِى
ولا والله ما ذاقت جفونى مناماً لا ولا أخليْتُ ذِكْرِى
ووا أسفى على أن ذُبْتُ شوقاً وأحسِبهُ بذلك ليس يَدْرِى

ومن كتاب نجوم السماء فى حلى العلماء
أبو الحسن منصور [١] بن إسماعيل الفقيه

ذكر القرطى : أنه من علماء الفسطاط ، دخل إلى بغداد ومدح بها الخليفة المعتز [٢] بقوله :

ما واحدٌ من واحد أوْلَى بمجد أو مُرُوَّهْ
ممّن أبوهُ وجدُّهُ بين الخلافة والنبوّهْ

وذكر : أنه كان فقيهاً شافعياً ، ولزمه التعريف بالفقيه . ومات فى سنة أربع [٣] وثلاثمائة ، وله مقطعات كثيرة فى الزهد والحكم والأمثال منها قوله :

٢٤٧و
٣

/قالوا العَمَى منظرٌ قبيحٌ [٤] قلتُ لفَقْدى لكم يهونُ
تالله ما فى الأنام خيْرٌ تأسَى على فقدِهِ العيونُ

وقوله مما أنشده ابن زولاق فى كتاب قضاة مصر [٥] :

قضيتُ نَحْبِى فسُرَّ قومٌ حَمْقَى بهم غفلةٌ ونَوْمُ
كأنَّ يومى علىَّ حَتْمٌ وليس للشامتين يَوْمُ

(١) ترجم له ياقوت فى معجم الأدباء ١٩ / ١٨٥ وقال : كان إماماً فى فقه مذهبه (الشافعى) أديباً شاعراً مجيداً متفننا له حظ من كل علم ، أصله من رأس عين المشهورة بالجزيرة ، وقدم مصر وبها توفى ، ولم يكن فى زمانه مثله فيها . وترجم له ابن خلكان فى وفيات الأعيان ٣ / ٢ وانظر ترجمته فى حسن المحاضرة ١ / ٢٢٥

(٢) ولى المعتز من سنة ٢٥١ إلى سنة ٢٥٥هـ .

(٣) فى المصادر المختلفة سنة ٣٠٦هـ

(٤) فى هذا مايدل على أنه كان ضريراً وصرح بذلك المؤرخون .

(٥) ذكر ياقوت أنه أنشد هذين البيتين والثلاثة بعدها ممرضاً بأبى عبيد القاضى بعد أن شجر الخلاف بينهما وكانا صديقين . وكان بينهما مناظرات أدت إلى هذا الخلاف .

وأنشد له أيضاً :

يا شامتاً بى لأن[1] هلكتُ — لكل حيٍّ مدًى ووقتُ
وأنت فى غفلةِ المنايا — تخافُ منها الذى أمِنْتُ
والكأسُ مَلأى وعن قليلٍ — تشربُ منها كما شرِبْتُ

وأنشد له :

وعن قليلٍ قد ترى هاتفاً — يهْتِفُ بى قد مات منصورُ
فرحمةُ الله عليه إذا — ودَّعنى باكٍ ومسرورُ
وبتُّ فى القبر أخا وَحْشَةٍ — حولىَ مأجورٌ ومأزورُ[2]

وقوله :

٢٤٧ظ / ٣

/سلامٌ على مَنْ عن قليلٍ يقول لى — عليك سلامُ الله يا ساكنَ القبْرِ
وأهلاً بمن لو متُّ مات اشتياقُه — إلىَّ ولم يَخْطُرْ على قلبه ذكرى

وكان قد نقل عنه فى الدين كلام . وشهد عليه شاهد ، فقال القاضى أبو عبيد إن شهد عليه ثان ضربت عنقه[3] ، فاستولى عليه الخوف وهلك . ونسب الناس سبب موته للقاضى أبى عبيد وكان الأمير ذكا[4] صاحب مصر يتعصب له . قال ابن زولاق : حكى أنه كان حول نعش منصور ما بين سيف وسكين آلاف ، وأظهروا سب القاضى أبى عبيد وقذفه ، وندم القاضى على ما جرى وتأسف على ما فاته من منصور ، وكان ذلك بعد انقضاء دولة بنى طولون . ورثى منصوراً جماعة منهم الحسن بن على الزيدى وأبو إبراهيم الرسى وأبو بكر بن الحداد ، قال وقيل : أن إبا عبيد أقام بمصر ماذكرناه من المدة ما رآه أحد ماداً رجله ولا مغيراً لتربيعه ، ومع ذلك / فكان فى أول حاله يكرم الفقيه منصوراً وله معه ليلة فى الجمعة يخلو به ويذاكره .

٢٤٨و / ٣

---

(١) فى معجم الأدباء : إذا .
(٢) المأجور ضد المأزور من الأجر والوزر .
(٣) أنظر القصة فى معجم الأدباء ووفيات الأعيان .
(٤) هو أبو الحسن ذكا الاعور الرومى ولى مصر من سنة ٣٠٣ إلى سنة ٣٠٧هـ .

أبو عبيد الله محمد[(١)] بن عبيد الله المسبحى

نقلت من خط الصاحب الكبير كمال الدين بن أبى جرادة مما اختاره من تاريخ المسبحى : وفى ضحوة نهار الاثنين التاسع من شعبان سنة أربعمائة توفى والدى رضى الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواه ، وهو أبوالقاسم عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عبد العزيز الحرّانى المعروف بالمسبحى . وكان مرضه من قطائف أكل منها شيئاً فأسهله ، وكان قد بلغ من السن ثلاثاً وتسعين سنة ، وأقام فى منزله مصوناً عن المصائب والنوائب أربع سنين مخدوما على البراذع والوسائد ولم ير مصيبة فى عمره . وكان صحيح السمع والبصر والعقل . قال : ولما كانت الليلة التى توفى فيها رضى الله عنه ذهبت إلى المسجد الجامع العتيق ومعى من فواضل نعم الله ما تصدقت / به عنه ، وسألت جماعة من أهل الستر والقرآن الدعاء له ، ورغبت إلى الله سبحانه فى إمتاعى ببقائه . وعدت بعد العتمة ، وهو رضى الله عنه جالس على فرشه ، فقال لى : يابنى شغلت والله قلبى بتأخرك إلى هذا الوقت فأين كنت يا سيدَ أبيه ؟ قلت كنت فى الجامع العتيق لحاجة لى هناك ، قال : بحياتى ماهى ؟ قلت الرغبة إلى الله جل اسمه فى طول عمرك ، قال : تقدمْ إلى ، فتقدمت إليه ، فقبَّل بين عينى وقال : يا بنى من يخلفك مامات ، قلت : يا مولاى فهل تجد ألما أو وجعاً ، قال : لا والله ولاشيئاً مما يشتكى بالجملة غير أن روحى صغيرة . فأمرت من فى دارنا باصلاح ماء الفراريج وماء اللحم وتطييبه وإعداده ، فقال لى : يابنى دارك وعيالك ووالدتك وأختك وعمتك ما أحتاج إلى ذكر أحد منهم لك إن مت إذ كنتَ عليهم أشفق وأرفق من أن تحتاج / منى إلى وصية فى أمرهم ، وما أوصيك إلا بأمر نفسى : ابتع لى كفناً بكذا وتابوتاً بكذا وحنوطاً بكذا وأخرجْ عنى حجة الإسلام فقد عاهدت أبا إسحق الخراز أن يحج عنى . وكان هذا رجلا من الأبدال يحج فى كل سنة ، وكان أبى رحمه الله صارورة لم يحج . وأقمْ على قبرى قارئين يقرآن فى كل يوم نصف ختمة ، ويستكملان خمس عشرة ختمة فى الشهر ، وتصدق عنى بدينار فى كل ختمة ، وادفنى فى الدار الصغيرة . كل ذلك والبكاء يغلبنى والنحيب ، فقال : يابنى دع هذا عنك واستوعب ما أوصيك به وافهم عنى ، فقلت : لا والله إلافى مجلسك هذا ، قال : لا تفعل هذا بوجه

٢٤٨ظ
٣

٢٤٩و
٣

---

(١) ترجم له ابن خلكان فى الوفيات ٢/ ٣٤٢ وقال : كانت فيه فضائل ولديه معارف ورزق حظوة فى التصانيف وكان على زى الأجناد واتصل بخدمة الحاكم بن العزيز العبيدى صاحب مصر ونال منه سعادة ، وله تاريخه الكبير ، وهو أخبار مصر ومن حلها من الولاة والأمراء والائمة والخلفاء وما بها من العجائب والأبنية . . . وأشعار الشعراء وأخبار المغنين ومجالس القضاة والحكام والأدباء وهو ثلاثة عشر ألف ورقة . . . ثم عد ابن خلكان مؤلفاته وهى كثيرة . وانظر ترجمته أيضا فى النجوم الزاهرة ٤/ ٢٧١ وشذرات الذهب ٣/ ٢١٥ حيث سماه عبد الملك وهو تحريف لعز الملك ، وانظر حسن المحاضرة ١/ ٣١٩

٢٤٩ظ
٣

ولا بسبب ، فانى أخاف أن أثقل عليكم واعمل معى ما وصيتك به لسنة كاملة ، فاذا تمت فاصنع ما بدالك فقلت : والله يامولاى لئن قضى الله علىَّ بهذه المصيبة لأفعلن أضعاف ما وصيت به / فتشكُّ يامولاى فىَّ قال: لا والله يابنى ولكن أشغال الدنيا تشغلك ، ثم أخذ فى الذكر فلعهدى به رضى الله عنه وأنا جالس خلف ظهره ، وفمه لا يفتر من الدعاء لى ، وهو يقول : يا بنى حرسك الله ، يابنى صانك الله ، وما أشبه ذلك . فلم يزل هذا شأنه إلى أن ثقل لسانه . وكان آخر ما سمعته منه قوله يا أمان الخائفين . ثم لم أسمع منه كلمة بعد ذلك . ثم أغمى عليه فى آخر الليل ، وكان يرفع يديه للصلاة ويومىء برأسه إلى السجود . كل ذلك وعينه مطبقة ، فلم يزل ذلك بقية ليلته يسجد بوجهه ويرفع يديه للتكبير ويشير بالسلام يمنة ويسرة ، ثم حضر عنده القراء فاقتسموا بينهم ختمة ، فعند فراغهم من آخرها وقول آخرهم : من الجنة والناس قبض رضى الله عنه . ولم أشاهد قبضه لأنى اشتغلت بالحزن عليه . وصلى عليه قاضى القضاة مالك[1] بن سعيد . وكان كثير الصديق فلم يتخلف عنه كبير

٢٥٠و
٣

/ أحد ، قال : وكانت له ، رحمه الله ، سلة مقفلة خلف ظهره فى مكان جلوسه لم ندر ما فيها ، لا يفتحها غيره ، ولا يقفلها سواه . فلما توفى رحمه الله فتحناها وإذا فيها رقاع بما كان يختمه فى كل يوم من القرآن وما يدعو به ، وأعداد ما يستغفر الله به ، ليس فيها شىء غير هذا . وأتبع هذا بما يشابهه من التطويل فيما ليس فيه فائدة وأنشد مرثية فى أبيه منها[2] :

خَطْبٌ أَلَمَّ من الزمان عظيمُ	فالدمع سَحٌّ للمصابِ سَجُومُ
خَطْبٌ يقِلُّ له البكاء وينطوى	عنه العزاء ويظهر المكتومُ
خطبٌ يميتُ من الصدور قلوبها	أسفاً ويُقعِد تارةً ويُقيمُ
يا مَنْ يلومُ إذا رآنى جازعاً	من طارق الحدثان فيمَ تلومُ ؟
بأبى فجعتُ فأىُّ ثكلٍ مثله	ثُكْلُ الأبوّةِ فى الشباب أليمُ

٢٥٠ظ
٣

ومما يُضحك مما ضمنه تاريخه قوله: وفى سنة أربع عشرة وأربعمائة فى الخامس والعشرين من شوال طرقت جاريتى ، وأم ولدى العزيزة عندى ، وأليفتى / وقرينتى ، ونحن مقيمون فى دار البحر التى أملكها فى الحمراء على شط النيل ، وأقامت ليلتها تلك إلى غدِ ذلك اليوم ، وهو يوم الجمعة لأربع بقين منه عند طلوع الخطيب المنبر ، فبقيت رضى الله عنها ، وكانت تستغيث من أحشائها وفؤادها ، وكان موتها فجأة ونالنى عليها من الوجد ما لا أجد له كاشفاً إلا الله سبحانه ،

---

(١) هو ابن اخت الفارق قاضى قضاة الحاكم .

(٢) روى ابن خلكان هذه الابيات وزاد عليها أبياتا أخرى .

وكان فى نصف هذا الشهر كسوف قمرى، ولقد جزعت رضى الله عنها عند مشاهدتها لكسوف القمر، واجتهدت فى تسكين بكائها ونحيبها عند رؤيته بكل سبيل، ونياحتها وبكاؤها تزيد برهة من الليل، ثم ضرب على ابنى أبى الحسن على منها ضرسه قبل وفاتها بيوم واحد، وأحضرتُ المزين لقلعه عند شدة ما ناله منه من الوجع، فلطمتْ وجهها ودقت صدرها وأحلت بنفسها العظام من البكاء والنحيب إلى أن قلع ضرس الصبى، وقلت أرثيها وأنشد شعراً منه :

٢٥١ و
٣

/ سَطَتْ بك عينٌ طَرْفُها الدَّهْرَ يَدْمَعُ ... وقالتْ بأيدى الحادثات تُرَوَّعُ

وعارَضَ همٌّ لو بَدَا لَمْعُ نارهِ ... لأحْرَقَ مَا يدنو له حين يَلْمَعُ

وتسليمُ قَلْبٍ للنوائب قُطِّعَتْ ... عَـلائِقُه والهمُّ لا يتقطَّعُ

وقد حكمتْ أيدى المنـايا بجَوْرِها ... وقد سلَبَتْ من كان فى القلب يُودَعُ

أصـاحبةَ اللَّحْدِ العزيزِ محلُّه ... لقد كانت الدنيـا لعزكِ تخضعُ

وأنشد شعراً آخر فى رثائها منه[1] :

ألا فى سبيل الله قلبٌ تقطَّعا ... وفادحةٌ لم تُبْقِ للعين مَدْمَعَا

فياليتنى للموت قدمتُ قبلها ... وإلا فليت الموْتَ أذهبنا مَعَا

وذكر ما صنفه من الكتب وهى : كتاب مختار الأغانى وكتاب التلويح والتصريح فى معانى الشعر ألف ورقة، وكتاب الغَرَق والشَرَق فيمن مات غرقا أو شرقا مائتا ورقة، وكتاب الراح والارتياح فى وصف الشراب وآلاته والندام عليه واختيار أوقاته وذكر الزهر والرياض والثمار والأشجار والمظان المختارة لشرب العقار ألف وخمسمائة ورقة وكتاب الطعام والإدام فى صفة ألوان الطعام وما يقدم على الخوان / ألف ورقة وخمسمائة[2] ورقة، وكتاب درك البغية فى وصف الأديان والعبادات وذكر الملل والأنبياء والمتنبئين وذكر الفرائض والآداب ثلاثة آلاف وخمسمائة ورقة، وكتاب التاريخ، وكتاب المفاتحة والمناكحة، وكتاب البخلة والأكلة، وكتاب الحمَّام وكتاب الجوعان والعريان وكتاب القوام والنمام وكتاب من صبر فنال الظفر وكتاب الأمثلة للدول المقبلة وكتاب القضايا الصائبة فى معانى أحكام النجوم، وكتاب جُونة الماشطة، وكتاب الشجن والسكن، وكتاب السؤال والجواب، وكتاب المصباح وأصناف الفقه والفرائض، وكتاب العبارة عن أمر الوزارة، وكتاب الجان والغيلان وكتاب جامع الدعاء وكتاب

٢٥١ظ
٣

(١) انشد ابن خلكان هذين البيتين بدون اختلاف .

(٢) فى ابن خلكان الف ورقة فقط .

العزائم ، وكتاب تفضيل الخدم على سائر الحرم ، وكتاب نُبَذ الغرائز ولُمع النحائز ، وكتاب أخبار مصر ثلاثة عشر ألف ورقة ، والكتاب الجامع فى عبارة الرؤيا . ثم ذكر أن عدد الأوراق التى تشتمل عليها هذه التصانيف تسع وثلاثون ألف ورقة ومائة ورقة ، وكان المسبحى موجودا فى سنة أربع عشرة وأربعمائة ومنزله بالفسطاط [1] .

٢٥٢ و
٣

/ أبو عبد الله محمد بن سعد القرطى

هو من ولد عمار بن ياسر ، وغلب على بيته نسبُ بنى القُرْطى نسبة إلى القرط الذى تأكله الدواب بمصر ، وهو بيت جليل بالفسطاط ، كان فيه علماء ومحدثون ، وكان أبو عبد الله هذا مائلا لعلم التاريخ ورحل إلى اليمن وبلاد الهند ، وكان أكثر مقامه فى بلاد / الهند ، وصنَّف فى مدة العاضد آخر الخلفاء المصريين كتاب تاريخ مصر وقفتُ عليه من قبل النجم الريحانى المعتنى باقتناء الكتب رحمة الله عليه ، وقيدت منه ما أودعته هذا الكتاب من الآداب المنسوبة إليه . ووجدت فى خطبة الكتاب أبياتا له فى الوزير شاور [2] منها :

٢٥٢ ظ
٣

إليك غدَتْ آمالُنا تركبُ المُنَى ... فترحلُ فى أمْنٍ إلى المنزل السَّهْلِ
لك الملكُ فى مصر الذى جلَّ شأنه ... وَزيَّنَهُ الرحمنُ بالجودِ والعدلِ
ولولاك ما عاجَتْ من الهند مُهْجَةٌ ... أبَتْ غير أن تُلْفَى بمَنْأًى عن الأهلِ
فلا حَمْدَ بعد الله منى لغيرِ مَن ... قَضَى لىَ بالنُّعْمَى وضمَّ بهــا شَمْلى

وسألت الريحانى عن وفاته ، فلم يتحققها . ووقع له من النثر فى الخطبة : ولما علمت أن الحياة لا تفى لهذه الأجسام بالدوام ، ولا يحصل الإنسان منها على ذخيرة باقية على بِلَى الجديدين

---

(١) يلاحظ أن أول الورقة ٢٥٢ من الاصل يبدأ بالسطر الأخير من ترجمة الفقيه منصور وهو نفس السطر الذى جاء فى أول ورقة ٢٤٨ ويليه ترجمة مقتضبة للمسبحى تجرى على هذه الصورة : محمد بن عبيد الله ابن احمد المسبحى : من أئمة علماء التاريخ ، وسألت عنه الرشيد بن عبد العظيم ، فخصه بالفسطاط دون القاهرة ، وله كتاب أخبار مصر المشهور الذى تنقل منه فى هذا الكتاب ، ووجدت منسوبا له :

سقى الجيزة الغادين وَسميٌّ عارض ... هزيم النكلى سبط الرواقين ممرع
برعد كإعوالى وبرق كلوعتى ... وغيم كأفكارى وغيث كأدمعى

ا هـ . ويظهر أن ابن سعيد كتب ترجمة المسبحى أولا مقتضبة على هذا النحو ، ثم وجد الصاحب ابن العديم قد نقل عنه نقولا من تاريخه فانتفع بها وكتب له ترجمة جديدة ولم يتنبه إلى ذلك إلا بعد أن مضى فى الكتاب وكتب ترجمة المسبحى المقتضبة المذكورة ، فكتب له الترجمة الجديدة وأضافها داخل الاوراق .

(٢) وزر للعاضد آخر الخلفاء الفاطميين مرتين أولاهما سنة ٥٥٨هـ والثانية سنة ٥٦٠هـ ، وقتل سنة ٥٦٤هـ .

٢٥٣و
٣

إلا ما كان فى النثار والنظام، سمت همتى إلى تخليد/ شىء أُذكَرُ به بعد الفناء ، وأتميز به بين أصناف العلماء ، فاعتنيت بتاريخ أهل بلدى ، من أول ما عُمِّرتْ إلى عصرى ، ومن الله أسأل المعونة على تقوية بصرى ، ويدى وفكرى . وصنف هذا التاريخ المذكور باسم الوزير شاور الذى تقدم ذكره ومدحه له فى الأبيات المتقدمة .

شمس الدين أبو الخير مبشر بن القسطلانى

بنو القسطلانى من أعيان الفقهاء المشهورين إلى اليوم بالفسطاط . وجدت فى بعض الدفاتر المصرية أن هذا المذكور، من هذا البيت المشهور ، وهم فى الأصل من قَسْطيلية [١] جهةٍ من أعمال إفريقية ، سكنوا فى القديم بالفسطاط فصاروا من أعيانه ، وكان هذا المذكور من الفقهاء المحدثين، وقد ذكره ابن المستوفى فى تاريخ إربل وأخبر أنه ورد على إربل فى سنة/ست عشرة وستمائة . ومما اخترته مما وقفت عليه من مقطعاته قوله :

٢٥٣ظ
٣

انْظُرْ إلى النيل كيف يبدو ... معذَّباً فى يد النسيمِ
مضطرباً لا يزال يهْفُو ... إن هفتِ الريح كالسليمِ
والرَّوْضُ فى شطِّه كخدٍ ... مُدَبَّجٍ بالحيــا رَقيمِ

وقوله :

إذا رحل الأحبابُ ما يفعَلُ الصَّبُّ ... فيا عُـذْرَهُ إن كان يبقى له قَلْب
محبٌّ إذا ما مرَّ ذِكْرُ حَبِيبِهِ ... علمتُ بأنَّ الجفن تشبهه السُّحْب
وقد كان يبكى والديارُ قريبةٌ ... فماذا تراه فاعــلا حين لا قُرْب
لئن جَمَعَ الرحمنُ بينى وبينهم ... لأفعلُ يوم الوَصْـل ما يوجبُ الحبُ
وليس وإن أفْنُوا فؤادىَ جَفْوَةً ... يكون لهم عندى وقد عطفوا عَتْبُ

وقوله :

خُذْها حيث تسمعُ الطيرَ يَشْدُو ... وترى الطلَّ قد وَهَى منه عِقْدُ
والرُّبَى فى قلائد الزهر تُزْهى ... وعليها من صَنْعَة الغيم بُرْدُ
وكأن الخليج ثَغْرٌ شَتَيتٌ ... فوقه من حديقة الزهر خَدُّ

(١) قسطيلية : كورة كبيرة بأقصى المغرب وهى من أكثر كور إفريقية تمرا .

٢٥٤و
٣

قطب الدين أبو بكر محمد [١] بن أحمد بن على بن محمد
ابن الحسن القسطلانى

اجتمعت به فى داره بالفسطاط ، وهو مشهور بالزهد ، ملازم للمجاورة بمكة شرفها الله ، فقيه متميز مدرس كأبيه ، وبيته لطيف الشمائل ، غزير المروءة ، معين لمن يَرِدُ على مكة من المغاربة بجاهه وماله ، وسألته فى أن ينشدنى شيئاً من شعره قبل سفره إلى مكة فأنشدنى :

إذا كان أنْسِى فى حلولىَ [٢] خلوتى وقلبىَ عن كلِّ البريَّة خالِ
فما ضرَّنى من كان لى الدهرَ قالِياً ولا [٣] سَرَّنى من كان خيْرَ [٤] موالِ

من كتاب عنبر الشعر فى حلى المشهورين بالشعر
معلى [٥] بن المعلى الطائى

٢٥٤ظ
٣

كان فى مدة هرون الرشيد ، ممن عاصر أبا نواس من / شعراء المائة الثانية ، ومن شعره قوله :

لولا بُنَيَّاتٌ كزُغْبِ [٦] القطَا جُمِعْنَ [٧] من بَعْضٍ إلى بَعْضِ
لكان لى مُضْطَرَبٌ واسعٌ فى الأرضِ ذات الطول والعرْضِ

---

(١) ترجم له ابن العماد فى الشذرات ٥ / ٣٩٧ ترجمة ضافية قال فيها إنه ولد سنة ٦١٤ هـ وتفقه بمذهب الشافعى وأفتى ورحل فى طلب الحديث ونزل مكة . وأقام بها فكان مأوى الفقراء والواردين عليه يبرهم ويعين كثيرا منهم ، ثم ترك مكة إلى القاهرة حيث فوضت له مشيخة دار الحديث الكاملية إلى أن توفى سنة ٦٨٠ هـ . وترجم له ابن شاكر فى الفوات ٢ / ١٨١ وابن تغرى بردى فى النجوم ٧ / ٣٧٣ والمنهل الصافى الجزء الثالث الورقة ١٠٤ وانظر حسن المحاضرة ١ / ٢٣٦ حيث قال السيوطى إنه توفى سنة ٦٨٦ هـ .

(٢) فى الشذرات : حلولى وفى الفوات : حلولى الخلوتى .

(٣) فى الفوات : وما

(٤) فى الفوات : فىَّ .

(٥) له شعر على الحوادث فى كتاب الولاة والقضاة للكندى حتى سنة ٢١٤ هـ . ومعنى ذلك أنه كان يعيش فى القرنين الثانى والثالث ، فهو من شعراء مصر فى المائتين الثانية والثالثة وقد روى له صاحب الأغانى ١١ / ١١ شعرا فى عبد الله بن طاهر بن الحسين الذى ولى مصر للمأمون سنة ٢١١ هـ . ونسب أبو تمام فى ديوان الحماسة الأبيات التى تمثل له بها ابن سعيد لمن يسمى خطاب بن المعلى كما فى رواية شرح المرزوقى (طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١ / ٢٨٥ وورد اسمه فى شرح التبريزى حطان بن المعلى .

(٦) زغب القطا : فراخه التى عليها الزغب ، وهو الشعر اللين .

(٧) فى الحماسة : رددن .

وإنمـــا أولادُنا بيننا أكبادُنا تَمْشِي على الأرضِ
إن هَبَّتِ الريحُ على بعضهم أشفقتِ العينُ من الغُمْضِ

الجمل[1] الشاعر الأكبر

ذكر القرطى أن اسمه الحسين بن عبد السلام وأنه من شعراء الفسطاط فى الدولة الطولونية . ومن كتاب ابن يونس[2] : أنه توفى فى شهر ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين ومائتين ، وقال القرطى : إنه مدح أحمد بن طولون بقصيدة منها :

له يَدٌ كم خَلَّدَتْ من يَدٍ سحابةٌ عَمَّتْ بأنْوائِها
وهوَ لدى الهيجاء لَيْثٌ إذا ما ثَقُلَتْ قامَ بأعبائِها
انظرْ إلى مصرَ بسلطانِهِ تَرَ الهُدَى فاضَ بأرْجَائِها

٢٥٥ و
٣

قال : ومدح أحمد بن المدبر صاحب خراج مصر ، وكانت / من عادته أن الشاعر إذا مدحه إن ارتضى شعره وصله ، وإن لم يرتضه أمر من يحمله إلى مسجد حتى يصلى عدداً معلوماً[3] يفرضه عليه ، فرفع له هذه الأبيات المشهورة :

قَصَدْنا[4] فى أبى حَسَنٍ مديحاً كما بالمدح تُنْتَجعُ الوُلَاةُ
فقالوا يقبل المِدحاتِ لـكن جوائزه عليهن الصلاةُ[5]
فقلت لهم وما تغنى صَلاتى[6] عيالى إنما الشأن الزكاةُ
فيأمر لى بكسرِ الصَّاد منها فتصبحُ لى الصَّلاةُ هى الصِّلاتُ

فاستطرف مقصده ، وأمر له باحسان واشتهرت الحـكاية .

---

(١) ترجم له ياقوت فى معجم الأدباء ١٠ / ١٢١ وقال : ولد قبل سنة ١٧٠ هـ وتوفى سنة ٢٥٨ هـ وفى النجوم الزاهرة ٣ / ٣٠ توفى سنة ٢٥٩هـ ونجد له فى الولاة والقضاة للـكندى أشعارا متفرقة بين سنتى ٢٢٧هـ . و ٢٣٠هـ . وذكر ياقوت أنه مدح المأمون بمصر لما ورد إليها ومدح أمراءها مثل عبد الله ابن طاهر كما مدح القضاة وأصحاب الخراج ومدح ابن طولون كما فى الترجمة .

(٢) هو كتاب تاريخ مصر لأبى سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس المتوفى سنة ٣٤٧هـ انظر ترجمته فى ابن خلـكان ١ / ٤٩٨

(٣) فى ياقوت : أنه كان يامر خادمه أن لا يفارقه حتى يصلى مائة ركعة .

(٤) فى ياقوت : أردنا .

(٥) البيت فى ياقوت : فقالوا يقبل الشعراء لـكن أجلُّ صلات مادحه الصلاة

(٦) فى ياقوت . عيالى صلاتى .

الحسين [1] الجمل الأصغر

لما ذكر القرطى الجمل الأكبر المتقدم الذكر قال : وكان بالفسطاط أيضاً الجمل الأصغر ، لقبه كلقب الأكبر ، وكذلك اسمه ، وكان ينحو فى الظرافة والتطايب منحاه ، وهو القائل :

لا يرانى الله إلا طالعاً فى أفقِ دَيْرِ
والذى أجمعُ لا أُنـــفقُـه إلا لأَيْرِى
/ أتراني إن أنا مـــت أخلّيـــه لغيرى

٢٥٥ظ / ٣

وذكر أنه كان فى زمان خلفاء مصر فى المائة الرابعة ، وأنشد له ما نسبه له أيضاً الثعالبى فى كتاب اليتيمة :

إذا سقامٌ عـراك نازلهُ فاندُبْ أبا جعفرٍ لنازلهِ
يعرف ما يشتكيه صاحبهُ كأنه [2] جالَ فى مفاصلهِ

الشاعر المريمى القاسم [3] بن يحيى بن معاوية

ذكر القرطى : أنه من شعراء مصر المشهورين الذين دونت أشعارهم وأنه كان مختصًّا بخدمة أبى الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون ، ومما خاطبه به من الشعر قوله يستهدى منه خيمة :

وقد عرضَتْ إليك حُوَيْجَةٌ لى مصغَرَةٌ وموقعها جليـــلُ
مقدَّرةٌ من الخِيَم اللواتى بها لُطْفٌ وليس بها خمولُ
حواليها السيـــولُ ولا عليها إذا أفضَتْ إلى الخِيَم السُّيُولُ
بناءٌ يستهلُّ القطرُ فيـــه ولا يعفو كما تعفـــو الطلولُ
/ إذا حلَّتْ من الأَطْنابِ خرَّتْ كما خرَّ النَّزيفُ أو القتيـلُ

٢٥٦و / ٣

---

(١) ترجم له الثعالبى فى اليتيمة ١ / ٣٣٨

(٢) فى اليتيمة : كأنما .

(٣) تردد ذكره فى الولاة والقضاة للكندى أثناء أخبار خمارويه وكتب بعض المعلقين على هامش الترجمة أن المسبحى ذكر أن المريمى هذا توفى سنة ٣١٦ هـ .

سعيد [1] قاضى البقر الشاعر

ذكر القرطى أنه كان من شعراء الإخشيد صاحب مصر وزاد اختصاصه لديه بما كان فيه من الحلاوة والتندير والهزل مع علو اليمن وموارثة الدولة وقد تقدم له ذكر فى ترجمة الإخشيد، قال ومن شعره قوله :

حَىَّ على الكأس فى الصباح ... مُطَّرِحاً نُصحَ كلِّ لاحِ

وانهبِ العيشَ ما تأتَّى ... فأنت منه على جناحِ

وأجِرْنى من عقول قوم ... عَمُوا عن الشُّرْب والمِلاحِ

يا ربِّ دَعْنى بلا صلاحٍ ... يا رب ذَرْنى بلا فلاحِ

يدى مدى الدهر فوق رِدْفٍ ... وراحتى تحت كأسِ راحِ

أبو الفتح [2] بن البينى

أجرى ذكره القرطى وأنشد له ما أنشده ابن رشيق فى وصف شمعة :

قد شابهتِنِىَ فى لونٍ وفى قضفٍ ... وفى احتراقٍ [3] وفى دمعٍ وفى سهرِ

/ ودلت قرينة الكلام أنه من شعراء الفسطاط فى المائة الرابعة .

٢٥٦ظ
٣

---

(١) أكبر الظن أنه سعيد القاص الذى ذكر اسمه بين من رثوا الدولة الطولونية حين أزالها العباسيون سنة ٢٩٢ هـ (انظر المقريزى ١ / ٣٢٣) .

(٢) ترجم له الثعالبى فى اليتيمة ١ / ٣٤٢ وذكر اسمه خطأ هكذا : أبو الفتح البستى، وهو من خطأ الناسخين وقد أنشد له الثعالبى البيت الذى أنشده ابن سعيد وعلق عليه بقوله : هذا تشبيه خمسة بخمسة وند أجاد غاية الجودة ، ثم أنشد له أبياتا أخرى وبجانب ترجمته على هامش هذه النسخة التى ننشرها كتب بعض المعلقين : ذكره المسبحى وأنشد له قصيدة منها :

ما إن يقيم بدار لا وفاء بها ... ولا كرامة إلا العير والوتد

أليس فى الناس ممن خاننى عوض ... والأرض واسعة إن ضاق بى بلد

ومنها :

ولاح بدر الدجى نهرا وأنجمه ... طيرا ترف حواليه ولا ترد

وذكر أن اسمه منصور وأنه جاز المائة الرابعة .

(٣) فى اليتيمة : وفى نحول .

أبو هريرة أحمد[1] بن [أبي] عصام

كان من شعراء الإخشيد المصريين ، من أصحاب النوادر والمجون والإدمان على شرب الخمر ، ومن شعره فى وصف مجالس الشراب :

مجلسٌ لا يرى الإلهُ به غَيْـــرَ مُصلٍّ بلا وضـــوءٍ وطُهْرِ
سُجَّدٌ للكئوسِ من دون تسبيـــحٍ سوى نَغْمة لعود وزَمْرِ
أنا أشهو[2] الأنام فى مثل ذا المجـــلس لا مجلسٍ لِنَهْيٍ وأَمْرِ

على بن يونس المنجم المصرى[3]

يغلب على ظنى أنه من شعراء المائة الرابعة ذكره صاحب كتاب زهر الآداب فى كتاب النورين ، وأنشد له :

يجرى النسيمُ على غلالةِ خدِّهِ وأرقُّ منـــه ما يَمُرُّ عليهِ
ناولتُه المرآةَ ينظرُ وجهَهُ فعكستُ فتنةَ ناظريْهِ إليْهِ

الماهر[4] المحجوب المصرى

٢٥٧ و
٣

ذكر القرطبى : أنه ممن أنبتته الفسطاط ، وتفقأت عنه / بَيْضتُها ، من الشعراء الذين أجادوا وأفرطوا فى الرحلة عن أوطانهم غاية الإفراط . وهو من شعراء المائة الخامسة . وأنشد له ما أنشده له الباخرزى فى كتاب الدُّمية :

طَيْفٌ لعَلْوَةَ حيَّانى فأَحْيانى حدَتْهُ رِيحان من رَوْحٍ ورَيْحانِ

---

(١) ترجم له الثعالبى فى اليتيمة ١ / ٣٢٠ ودعاه أبا هريرة أحمد بن عبد الله بن أبى العصام ، ولعل كلمة أبى سقطت سهوا من ابن سعيد ، فقد جاء اسمه مقترنا بها فى الولاة والقضاة للكندى ، ولذلك زدناها فى عنوان الترجمة . وانظر أيضا خطط المقريزى ٢ / ٥٠٢ ، ٥٠٤ حيث ذكر باسم أبى هريرة بن أبى عاصم .

(٢) أشهو : من شهى لغة فى شهى يشهى .

(٣) ترجم له الثعالبى فى اليتيمة ١ / ٣٤٥ وابن خلكان فى الوفيات ٢ / ٨٥ والقفطى ص ٢٣٠ وهو على بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس ، فأبوه صاحب تاريخ مصر الذى ينقل عنه ابن سعيد أما هو فأعظم علماء الفلك من المصريين ، وله كتاب الزيج الكبير الحاكمى أتمه قبل وفاته سنة ٣٩٩ هـ بقليل ، وكان من خواص الخليفة الحاكم المقربين ، وقال ابن خلكان إنه كان مختصا بعلم النجوم متصرفا فى سائر العلوم بارعا فى الشعر ، وله شعر كثير .

(٤) ذكر ابن سعيد فى هذه الترجمة أن الباخرزى ذكر صاحبها فى الدمية ، ونقل عنه رأيه فيه وراجعنا الدمية المطبوعة فلم نجد فيها إلا شاعرا يسمى الماهر الدمشقى . وليس معه هذه الكلمة التى نقلها ابن سعيد عن الدمية ولا مانقله عنها من الشعر . والدمية المطبوعة ناقصة ، تنقص بعض التراجم

أَلَمَّ يَخْرِق جِلْبابَ الظَّلام وقد خاطتْ يَدُ النوم أجفاناً بأجفانِ
مُلْقِياً بيد الشوق العناقَ كما لَفَّتْ يَدُ الريح أغصاناً بأغصانِ

وقال الباخرزى : ما طرأ علينا أعذبُ منه عذبة لسانٍ ولا أفصح منه براعةَ بيان .

أمين الدين بن أبى الوفاء المشهور بابن العصار

خرجت يوما بظاهر الفسطاط إلى بركة الحبش مع جماعة فضلاء ، فيهم الجمال أبو الحسين الجزار شاعر مصر الآن ، فاستهديت منه مايطرف به من نوادر أشعار أهل الفسطاط الذين لقيهم ولا وجود لهم / حين الاجتماع به ، فأجرى ذكر ابن العصار وأخبر : أنه كان من شعراء السلطان الكامل ابن العادل بن أيوب الذى من أعماله الديار المصرية ، واختص بخدمة الملك الناصر [1] بن المعظم ابن العادل بن أيوب الذى هو الآن صاحب الكرك . وكان كثير العجب بنفسه ، يرى أنه متنبى زمانه ، ومات بعد الثلاثين وستمائة . ثم أنشدنى له الجزار المذكور قوله :

آنس البرقُ من زفيرىَ نارا فاهتدى واستعارَ منه استِعارَه [2]

وهذه طبقة عليّة، معذورٌ صاحبها فى أن يعجب بنفسه ، ويتيه بها على أبناء جنسه ! ثم أنشد نى له فى مغن مبدع :

تَذَبَّا محمَّدُ فى فَنِّهِ وآيَتُهُ إن شدا أو ضربْ
تقـــولُ أعاجم أوتاره أقاولَ تُخرِسُ فُصحَ العرَبْ
فتحريكها سَكَناتُ الأسَى وتسكينها حركاتُ الطَّرَبْ

257ظ / 3 — 258و / 3

/ فسألت الجماعة عما وقعوا له عليه من مثل هذه المحاسن وما قاربها ، فمنهم من أتحفنى بأوراق من قصائده ومقطعاته ، ومنهم من أنشدنى ما حضره . وقد أثبت فى هذا المكان ما اخترته من ذلك ، وما استفدته بعده من ألسن أصحابه الذين سمعوا منه ، فمن ذلك قوله :

نادَمْتُهُ والروض ينفَحُ عَرْفُهُ والليل بُرْدَتُهُ لشَمْلِى شامِلَهْ
حتى بَدَا ذاك السَّنَا وتقاذفتْ عنه الكواكبُ وهْىَ تجفُلُ ذاهِلَهْ

---

(١) هو الملك الناصر صلاح الدين داود بن المعظم عيسى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب صاحب الكرك من سنة ٦٢٤ الى سنة ٦٥٦ هـ .

(٢) كتب هذه الكلمة ابن سعيد هكذا : استعارا ، وكأنه فهم أنها تكرار الكلمة السابقة لها ، ولذلك حمل على ابن أبى الوفاء .

وغدَا الدُّجى مهزوم جيشٍ هاربٍ ... والصبح طالبه يحثُّ رواحلَهْ

فكأنما زُهْرُ النجوم سقَطْنَ فى ... تلك الحدائق والمجرّةُ سائلَهْ

وقوله :

اشْرَبْ معى والروض ينفَحُ زَهرُهُ ... ويَدُ الدُّجى فى الأُفْق تنثر زُهْرَهَا

والفجر قد مرَّ النسيم بِعِطْفِه ... وغدَا يهزُّ من المجرَّة نَهْرَها

وكأنما أُفُقُ الكواكب دَوْحَةٌ ... مرَّ النسيمُ بها فأسقط زَهْرَهَا

وقوله :

٢٥٨ ظ
٣

لا تَلُمْنِى فى الرَّاحِ والرَّيْحانِ ... وسماعى مثالثاً ومثانى[1]

واسقنى بالكبير حَثًّا فحَثًّا ... بين زهر الرياض حتى ترانى

لا تلذُّ الحياةُ إلا بشُرْبٍ ... وغرامٍ وذاك أعلى الأمانى

حبَّذا حبذا حبيبٌ عطوفٌ ... ذكرَ الوَصْلَ بعد ما قد جفانى

زارنى بالهلال فوق قضيبٍ ... ظلْتُ أَجْنى منه قطوف المجانى

أنا دَعْنِى وما تراه فساداً ... فإمامى فيما ارتكبت ابنُ هانى[2]

وقوله من قصيدة فى المدح :

قومٌ إذا وَهَبوا فأيسرُ جودهم ... غَمْرٌ[3] يسرُّك فى نداً وأمانِ

جعلُوا السماحَ على الغريب فريضةً ... حتى يقولَ سلوتُ عن أوطانى

فهمُ الكرام حقيقةً لا غيرهم ... ما إنْ لهم فِعلٌ سوى الإحسانِ

عُجْنَا عليهم بعد ما ظَفِرَتْ مُنَى ... آمالنا ببضائع الخسران

فعلمت أنَّ بأُفْقِ كلِّ رغيبةٍ ... فَجْرَيْنِ والملكُ المعظم[4] ثانِ

---

(١) المثانى والمثالث : وتران فى العود .

(٢) كان ابن هانىء شاعر المعز الفاطمى كثير الانهماك فى اللذات . انظر النجوم الزاهرة ٤ / ٣٦٢

(٣) الجود الغمر : الكثير .

(٤) هو المعظم عيسى بن العادل وربما كان فى هذا ما يدل على أن ابن أبى الوفاء ذهب إلى الكرك فى حياة المعظم ، وهو صاحبه من سنة ٥٩٢ الى سنة ٦٢٤ هـ .

وقوله :

نادِ الطلولَ عسى يجيبك مُخْبِرٌ ... يا دارُ أين نَوَى الغزالُ الأحْوَرُ
ولَّى وبين جوانحى لفراقهِ ... نارٌ كما شاء الفراقُ تَسَعَّرُ
/ واحسرتى إن لم أَفُزْ بوصالهِ ... يوما وقلبى عنه لا يتصبَّرُ
آليت لا أنسى غداةَ رحيلهم ... واللَّثمُ يُنْظَمُ والمدامع تُنْثَرُ
والعاذلاتُ يقلْنَ : ما أنْسيتَهُ ... والصبرُ أَعْمَى والتشوُّق مُبْصِرُ
وبهجتى بين الهوادج كلها ... خِدْرٌ به يُطْوَى الغرام ويُنْشَرُ
كُتِمَتْ به شمسُ الظهيرة ضَحْوَةً ... فكأنها سِرٌّ هنالك مُضْمَرُ
يا راحلينَ وفى فؤادى جمرةٌ ... ومدامعى بمياهها تتفجَّرُ
اللهَ فيمن لا يطيق صَبَابَةً ... يومَ الوداع يُشِير أو يتحسَّرُ

ومنها فى المدح :

للناصر الملك الأجلِّ المُرْتَضَى ... نِعَمٌ بها يَحْيَا السماحُ ويُنْصَرُ
ملك كأن الله صوَّر شخصه ... ملكا ، له كسرى يذلُّ وقيصرُ
ما الفضل والإفضال إلا عنده ... خِيمٌ لديه فالموارد كَوْثَرُ
لما وردت بجوده بحرَ المنى ... آلى الوفاء بأننى لا أُصْدُرُ (١)

ومنها :

/ مولاى ما أنت المقصِّرُ فى النَّدَى ... وأظنُّنى فى المدح لستُ أُقَصِّرُ

وقوله :

نأى من به كان أُفْقُ المُنى ... يطالِع بالقمـــر الزَّاهِرِ
فما لى إلى غيره نظـــرةٌ ... ولا جال فى دونه خاطرى
ويا ليتنى قد فَقَدْتُ النجوم ... ولم يبرح البَدْرُ من ناظرى

٢٥٩ و
٣

٢٥٩ ظ
٣

---

(١) أصدر : أرجع ، وأصله من الصدور عن البئر عكس الورود .

وقوله :

أعِد عليَّ حديثاً بذكرهم لا يُمَلّ

فليس للعيش لولا همُ نسيمٌ وظلّ

كانوا حياتى فَلِمْ ذا باللهِ عنى استقلّوا

يرون وَصْلى حراما وهمْ لقتلى أحلّوا

فقل لهم إنْ أحلّو ه فهْو حِلّ وبِلّ [(١)]

مالى اعتراضٌ عليهم فهم لذلك أهلُ

رُدّوا السلام علينا فى بُعدكم لا أقلّ

وقوله من قصيدة :

أعندكم أنّ قلبى متيّمٌ مستهام

الصبر إلا عليكمْ فى كلِّ حالٍ حرامُ

لا أوحش الله منكم فقربكم لا يُرام

يا سادتى مذ نأيتُمْ لم يَدنُ منى المنامُ

لا عيشَ لا عيشَ حتى تلوحَ تلك الخيامُ

إن طال ذا الهجر منكم على الحياة السلامُ

وقوله ، وقد حضر فى قرية ، فقدمت مائدة أحدق بها جُهّال من أهل البادية :

لا كان يومٌ قد غدا جامعا لى بأُناسٍ ما لهم فائدهْ

قد قلت إذ حاموا [(٢)] على زادهم قد جاءت «الأنعام والمائدهْ» [(٣)]

وقوله :

مولاىَ ما ذنبى إليك أطلت لى أمَدَ الصدودِ

والله ما أملى سوى لَثْم السَّوالفِ والخدود

وأنا الوفىّ بما زعمت وإن دنوت من الورود [(٤)]

---

(١) البل بالكسر : المباح .

(٢) حاموا : من حام الطير على الشىء ، إذا دار وأراد الوقوع عليه .

(٣) سورتان من سور القرآن الكريم ، أراد بذكرهما أن يورى بالأنعام عن هؤلاء البدو .

(٤) فى كلمة الورود تورية ، إذ لها معنيان هما الورود من ورود الآبار والشرب منها كأنه يريد الثغر ، والورود جمع ورد يريد بها الخدود .

٢٦٠ و
٣

وقوله :

عَرِّجْ بِنَعْمَـــانٍ[1] إذا ما كنت ترغب فى النعيمِ
وأجِلْ لحاظك فى رُبًى تختال فى الوَشْىِ الرقيمِ
واشربْ عليها بِنْتَ كَرْ مٍ لم تُدَرْ اسوى كريمِ
ودعِ الشقاء لأهـــله من ظاعنٍ أو من مقيمِ

ط٢٦٠
٣

وقوله :

اقْرَا السـلامَ على الحبيبِ وقل له عن ناظرى غُيِّبْتَ لا عن خاطرى
أنا فى ضمان الحبِّ لستُ بخارجٍ عن ذمة الصبِّ المشوقِ الذاكرِ

وقوله من قصيدة :

إذا ما باتَ فى وَعْدى حبيبى فعينى لا تزالُ إلى الطريقِ

وقوله :

اشتياقى إليكمُ كلَّ يَوْمٍ ليس يَبْلَى بالبعد منه الجديدُ
ومرادى من الزمان لِقاكم إنَّ يوماً أراكمُ لسعيـــدُ

وقوله :

إذا غِبْتُمُ لم يغب نَفْعُكُمْ كما تَخْلُفُ السُّحْبَ غُدْرانُها

وقوله :

يا نازلا منِّى فؤادًا راحـــلا ومن العجائب نازلٌ فى راحل
أضْرَمْتَ قلب متيمٍ أهلكْتَه وسكَنْتَه والنارُ مثوَى القاتلِ

(١) هو نعمان الأراك ، واد بين مكة والطائف يذكره الشعراء كثيراً .

النبيه إبراهيم بن مهلهل

٢٦١ و
٣

/ ممن لقيته من شعراء الفسطاط ، وأبصرته لا يحفظ من بدائع الشعر إلا ما يجب أن يكتب بسواد العيون ويغتبط به أشد الاغتباط . وكنت كثيراً ما أستنشده لنفسه ، فيعدل إلى ما يحفظه من شعر غيره ، ويتواضع عن أن ينسب لنفسه شيئاً ، وإن كان غير مقصر فيما يقوله ، كقوله :

أهواه مثلَ البـدر ليلة تِمِّه [(١)] وله الـكمال ونقصُه لى دائمُ

يحظى به من لا يحوم بوصلهِ أبداً ويُحْرَمُ مستهامٌ حائمُ

كالسيف يغدو الحدُّ منه عاطلا وبرغمهِ أبداً يُحَلَّى القائمُ

وتركته بمصر فى قيد الحياة .

المكرَّم بن نقاش السِّكة

أخبرنى العماد السلماسى : أنه حىٌّ فى عصرنا ، وأنه من شعراء الفسطاط ، وأنشدنى له :

انظر إلى الخشخاش فى روضهِ مثل الدَّبابيس بأيدى النسيمْ

ولؤلؤ الطـــلِّ بأكنافه كأنه تبديدُ عِقدٍ نظيمْ

٢٦١ ظ
٣

/ علم الدين بن المرصِّص

هو أبو المحاسن يوسف بن عبد العزيز بن إبراهيم الهمدانى من فضلاء الفسطاط توفى سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وهو من جِلّةِ الشعراء . وعنوان شعره ما أُنشده له فى هذا الكتاب وكانت وفاته بحلب ، وبقى فى منزله بعد ما مات نحو ثلاثة أيام ، وكان عنده من يخدمه ، فأخذ بعض كتبه ، وهرب بها ، واتهم [(٢)] أنه مات مخنوقا ، فمن مختار شعره قوله :

تَنَقَّلْ فلذَّاتُ الهوَى فى التنقُّلِ وَرِدْ كلَّ صاف لا تقفْ عند مَنْهَلِ

وإن سار مَنْ تَهْوَى فسِرْ عن غرامهِ ولا تُرْسِلَنْ دَمْعاً على مُتَرَحِّلِ

---

(١) تمه بكسر التاء : تمامه واكتماله .

(٢) هكذا فى الأصل ، ولعلها كانت فيما نقل عنه ابن سعيد : وتُّهِمَ .

٢٦٢ و
٣

ولا تُسْكِنَنَّ الوَجْدَ فى دار غُرْبَةٍ ولا تجعل المحبوبَ عنك بِمَنْزِلِ
وكُنْ آمرأً إن كان لا بدَّ من هَوًى فولِّ من الأحباب مَنْ شِئْتَ واعْزِلِ
حديثُ الهوى مثلُ الحديثِ حقيقةً فآخِرُ حُبٍّ ناسخٌ[1] حُكْمَ أوَّلِ
ولا تَسْمَعَنْ قول امرئ القَيْسِ إنه الـ مُضَلَّلُ[2] مَنْ ذا يهتدى بمُضَلَّلِ
فلا خِدْرَ إلا وهو خِدْرُ عُنَيْزَةٍ[3] ولا دارَ إلا وهى دارةُ جُلْجُلِ[4]
وفى الأرض أحبابٌ وفيها منازلٌ فلا تَبْكِ من ذِكْرَى حبيبٍ ومنزلِ[5]

وقوله من قصيدة فى ابن أبى على أحد أمراء[6] حماة :

وفَتْحُ حَماةَ عنه يُرْوَى حديثُه فلا مُنْجِدٌ إلا رواه ومُتْهِمُ
أتاها على إحْصانها غَيْرُ بَعْلِها فراحَتْ بأحجارِ المجانيقِ تُرْجَمُ

وقوله :

أنتَ لَيْلَى وكلُّنا المجنونُ غير أنَّ الجنونَ فيك فنونُ
تَلِفَتْ مهجتى وليتك تَرْضَى كلُّ صعبٍ إذا رضيتَ يَهُونُ
قد رأتك القلوبُ إذ أنتَ فيها إنما الشأن أن تراك العيونُ

وأنشده الوزير القوصى بيتين نظمهما فى جارية اشتراها ، وزعم أنه لا يقدر أحد أن يأتى لها بثالث ، وهما :

تَبَدَّتْ فهذا البدرُ من كَلَفٍ بها وحقِّك مثلى فى دُجَى الليل حائرُ
وماسَتْ فشقَّ الغُصْنُ غيظًا ثيابَهُ ألست ترى أوراقه تتناثرُ

---

(١) يشير إلى أن الحديث النبوى الشريف قد ينسخ بعضه حكم بعض لعلة يراها الشارع .
(٢) يشير إلى لقب امرىء القيس المشهور وهو الملك الضليل .
(٣) صاحبة امرىء القيس التى يلهج بها فى شعره .
(٤) مكان ذكره امرؤ القيس فى معلقته أثناء تشبيبه ، ويقول الرواة إنه لقى فى دارة جلجل هذه ابنة عمه عنيزة .
(٥) يشير الى مطلع معلقة امرىء القيس وهو : قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل .
(٦) حماة : أحد مدن الشام الشمالية وتشتهر بنهرها العاصى وبنواعيرها وبساتينها ؛ وفى هذا مايدل على أن ابن أبى الوفاء زارها .

قال فأنشدته فى الحال :

وفاحَتْ فأَلْقَى العودُ فى النار نفسَهُ كذا نقلَتْ عنه الحديثَ المجامرُ [1]

/وقالتْ فغارَ الدرُّ واصفرَّ لونُهُ كذلك ما زالت تغارُ الضرائرُ

٢٦٢ظ
٣

وقوله من قصيدة يمدح بها [2] مجد الدين بن الصاحب كمال الدين بن أبى جرادة :

لقد كنتُ فى ظلٍّ مديدٍ بوَصْلكم فلا عجبٌ إن زال فى الحال كالظلِّ

يطيل على أُذْنى العـذولُ ملامَهُ ولا سمعتُ إن كنتُ أُصْغِى إلى عَذْلِ

قَضَيْتُ [3] وما قَضَّيْتُ منكم لُبَانَةً [4] كذا عادةُ العشاق فى الحبِّ من قبلى

ومنها :

هو القلبُ فى يوم الرُّكوب بموكبٍ ولكنه الصَّدْرُ المبجَّل فى الحفْلِ

لكل امرىءٍ مِثْلٌ من الناس وهْوَ قد تفرَّد حتى ماله قطُّ من مِثْلِ

أمولاىَ مجْدَ الدينِ كن بىَ باخلا وإن كنتَ لم تُعْرَفْ وحاشاك بالبُخْلِ

ولا تُسْقِطَنْ حظِّى كأنك واصلٌ كلاماً وحظى وحده أَلِفُ الوَصْلِ

وقوله من قصيدة :

أقِلْ عَثْرَتِى مالى بصدِّك من يَدٍ ولا فى فؤادى موضعٌ للتجلدِ

وإنى لأدرى أن قلبك باخلٌ بوصلى ولكن غرَّنى خدُّك النَّدِى

غزانى بقدٍّ أهيفٍ وبناظرٍ كحيلٍ ولم يحتج إلى زُورِ إثْمِدِ

فمن قدِّه نَحْرِى طعينٌ مُثَقَّفٌ ومن طرفه قلبى جريحُ مهنَّدِ

/ولم أَلْقَ من صبرى حُماةً لنجدتى وفى وجهه من حُسْنِهِ أَلْفُ مُنْجِدِ

٢٦٣و
٣

ومُذْ رَدَّ نومى مثل جسمىَ ناحلا أتَتْ أدمعى فَوْجاً إليه كعُوَّدِ

---

(١) المجامر : جمع مجمر كمنبر وهو ما يوضع فيه الجمر .

(٢) هو مجد الدين أبو المجد عبد الرحمن بن عمر بن أبى جرادة ولى قضاء دمشق إلى أن توفى بها سنة ٦٧٧ هـ .

(٣) قضيت : انتهيت .

(٤) اللبانة : الحاجة .

وقوله من قصيدة يمدح بها الصاحب الكبير الإمام العالم كمال الدين بن أبي جرادة :

أَلحاظُ طَرْفكَ أم نُصُولُ أَبَداً عَلَيَّ بها تَصُولُ
وكذا على ضعفي يَمِيـ ـلُ قوامُ قدِّكَ إذ يَميلُ
إن كان وَجهُكَ جنَّةً فرُضَابُ فيكَ السلسبيلُ
ومن العجائب أنه عَـذْبٌ يزيد به الغَليلُ
وكذاك لحظك صارمٌ يَبْرِي الحَشَى وهو الكَليلُ
لجمعتَ أضـــداد الجما لِ وجَمْعُ ذلك يستحيلُ
وجهٌ كشمسٍ فوقه من شَعْرِه ظِلٌّ ظليلُ
شَعْرُ المليح لناظري في ليله سَبْحٌ طويلُ
ليـــلى وشَعْرُ معذِّبي هـذا يطولُ وذا يطولُ
وكذاك جسمي في هوا ه وَخَصْرُه أبداً نَحيلُ
/ يَسْبِي فؤادي قدُّه الـــأسَلِيُّ والخد الأسيلُ
وتزيدني سُكْراً شما ئلُه فلي منها شَمُولُ [1]
دَارِكْ عليلك قبل قَوْ لِ الناس قد مات العليلُ
لم تبق فيَّ من الحيا ةِ بَقِيَّةٌ إلا القليـــلُ
يا عاذلي هَبْ أنَّ ما قلتَ الصحيحُ لمن تقول ؟
بيني وبين قبول ذا كَ من الهوى عَهْدٌ يحول [2]
الوَجْدُ لي وابن [3] العديـــم لبيته الفخر الأثيلُ
قد طاب فَرْعاً حين طا بَتْ في منابتهِ الأصولُ
لو كان في زمن الرسو لِ رَأى تقدُّمَه الرسولُ
وأتى بما نتلو عليـــه من المحامد جبْرَئيلُ
فقضتْ بسؤدده الشريـــعة مثلَ ما قضت العقولُ

(١) الشمول : الخمر .

(٢) يحول : يتغير .

(٣) ابن العديم هو الصاحب بن أبي جرادة .

٢٦٣ظ
٣

خُلقٌ أرقُّ من النسيـــم كأنه ماءٌ يسيل

وجَلالةٌ عظمتْ مها بتُها فمنظرُها يهولُ

وبشاشةٌ من ضلَّ عن طُرُق النَّدى فهىَ الدليل

لم يُصْغِ فى ترك السما ح لما ينمِّقه العذول

٢٦٤ و / ٣

/يَهْوَى الجِناسَ [١] فلفظه جَزلٌ ونائلهُ جزيل

لو كان جودُ يمينه سَيْلًا لأعوزه المَسيل

أو للبـــدور كماله ما كان يدْركها الأُفول

أو عَزْمُهُ لمهنَّـــدٍ ما شان مَضْرِبَهُ فلولُ

أَسدٌ بمعركة الجِدا ل وحَلْقةُ التدريس غِيل [٢]،

من فوق طرف بلاغةٍ فى كل مُعْتَرَك يجولُ

بَطَلٌ يقدُّ المشكلا تِ لسانُهُ الماضى الصَّقيل

إن السيادة فى سوا كَ ابنَ العديم هى الغُلول [٣]،

وكذاك ما يعدوك مِنْ فَضْلٍ وإفْضالٍ فضولُ

فلدُهْمَةِ الدنيا بك الـــغُرَرُ الجميلةُ والحُجولُ [٤]،

خطٌّ كمثل السحر يخـــتَلِبُ القلوبَ ويَستَميلُ

مثل النجوم الزاهـــرا تِ يُرَى وليس له وصولُ

كم فيه صاد لوَّزَتْ [٥] فغداؤها الطَّرْفُ الكَحيلُ

كان ابنُ [٦] مُقْلَةَ لو رآ كَ من الكتابة يستقيل

أما المناصبُ كلها فإلى سيادته تؤولُ

---

(١) الجناس : المشاكلة بين الألفاظ ، وهو لون من ألوان البديع ، مثل مهج ورهج ، وثرى وثراء ، وجزل وجزيل ، ونحو ذلك . واللفظ الجزل هو اللفظ المركب من حروف ضخمة ، والأسلوب الجزل ضد الأسلوب السهل المنطلق ، والعطاء الجزيل : الكثير .

(٢) الغيل : الأجمة والشجر الملتف .

(٣) الغلول : الخيانة .

(٤) الغرر : البياض فى جبهة الفرس ، والحجول : البياض فى قوائمه ،

(٥) يشير إلى شكل الصاد فى الكتابة .

(٦) خطاط مشهور فى القرن الرابع الهجرة .

٢٦٤ ظ
٣

/ ما زال سُؤْدده له كعطاء راحتِه شَمولُ

هو بَدْرُ تَمٍّ والنجو م لهُ العشائر والقَبِيل

كم دولة بجدوده الـ عظماء ما برحتْ تدول

كم راح جيلٌ وانقضى وهمُ القضاة به وجيلُ

ما كان إلا منهمُ لكواعب الشَّرْع البُعول

فالمأثراتُ بنى العديـ ـم حزونها لكُمُ سهول

يا من لخالص حُبِّـه والله فى قلبى حلولُ [١]

أنت الذى لى من ذَرا هُ وجُودِه مصرٌ ونيلُ

لم أخش فوت مطالبى أنَّى؟ وأنت بها كفيل

أنت الذى لا يُسْتَضا مُ ولا يذلُّ له نَزيل

وَيَتيه لابسُ جاهه تيهاً تُجرُّ بهِ الذيول

إن المعالى يا كما ل الدين أيسرُ ما تُنيل

وإذا بدأْتَ بحاجتى فلقد بدأْتَ بمن تَعُولُ

مُرْ لى بما أحببتَ يَسْـ ـخُ بكونه الزمنُ البخيل

بك نَسْتَجيرُ من الزما ن وبعد ذلك نَسْتَطيل

٢٦٥ و
٣

/ يا من له الفضل المُبِيـ ـن ومن له الوجه الجميلُ

إن الصنائع لا تزا ل بُثَيْنةً [٢] لك يا جَميل

أنت السعيد فلا تخفْ صِبغُ السعادةِ لا يحول

خُذْ عقْدَ مدحك ما إلى إدراك غايته سَبيلُ

ماذا عساى لو أنَّنى قُسٌّ وسَحْبانٌ [٣] أقول

أنت الذى أبداً يُقَصِّـ ـر فى مدائحك المطيل

(١) يشير إلى مذهب الحلول عند بعض المتصوفة .

(٢) بثينة : صاحبة جميل الشاعر العذرى المشهور فى العصر الأموى .

(٣) قس وسحبان : خطيبان مشهوران عاش أولهما فى الجاهلية وثانيهما فى الاسلام .

وله من قصيدة طويلة :

رَعَا الله عهدَ الوصل منه فإنَّهُ جميلٌ وما عهدُ الوصال مُذَمَّمُ
فكم ليلةٍ بِتْنَا أُوَسِّده يدى وأشكو إليه لوعتى وهْو يَعْلَمُ
يقول فأُصغى وهْو يلهو تدَلُّلاً ويُعْرِض تِيهًا عند ما أتكلَّمُ
فإن [(1)] قلتُ أضنانى السقامُ يقول لى أمَا أنت تَهْوَى الجفن يَضْنَى ويَسْقَمُ
وإن قلت قد والله مِتُّ صبابةً يقول ادَّعى ما لا يَصِحُّ ويُقْسِمُ
فما قلت ممنوعٌ وما بِدليله خفاءٌ وما قال المليحُ مسلَّمٌ [(2)]
وقد ضَمَّنا جُنْحُ الظلام كأننا بصَدْرِ الدُّجَى سِرٌّ يصانُ ويُكْتَمُ
وما كان يَهْدِينى إلى لَثْمِ خدِّه سوى بارقٍ من ثَغْرِه حين يَبْسِمُ
/ ولما رآه عاذلى ظَلَّ عاذرى وفى مثل ذاك الحُسْن من مَرَّ [(3)] يلُوْم

٢٦٥ظ
٣

ومنها فى المدح :

رَضِيمًا لِبَانِ بأسُهُ وسخاؤهُ ولا عجبٌ والبأسُ والجودُ تَوْأَمُ
يروح ويغدو للمعالى مشمِّراً ويُنجِدُ فى كَسْبِ الثناءِ ويُتْهِمُ
له راحةٌ لم تَسْلُ يوما عن النَّدَى وقلبٌ بِحُبِّ المكرُمات متيَّمُ
وما هو إلا اللَّيْثُ فى حَوْمَةِ الوَغى وما عابه إلا الوَشِيجُ [(4)] المقدَّمُ
تحفُّ بهِ الجُرْدُ العِتَاقُ كأنها طيورٌ على وِرْدِ المنيةِ حُوَّمُ
عليها الأسودُ الضارياتُ كأنها من الطعن تُسْقَى أو من الضرب تُطْعَمُ
إذا انحرفوا كان الكمين لنَصْرِهم ونجدَتُه كالحصن تُخْشَى وتَعْصِمُ
وأعلامُه صارتْ طلائعَ نصره تراها الأعادى من بعيد فتُهْزَمُ
وما مالَتِ الراياتُ واهتزَّتِ القَنَا حواليه إلا والمواضى تُزَمْزِمُ
وهذه سُمْرُ الخطِّ خوفاً لأنها دَرَتْ أنها فى الدارعين تحطَّمُ

---

(١) فى الأصل : أيا قلب .
(٢) يشير إلى مصطلحات فى جدال الفقهاء إذ يقولون : ممنوع ومسلم .
(٣) مر : من المرارة .
(٤) الوشيج : شجر الرماح وحشو الناس ورعاعهم والتورية واضحة .

أدارَ كئُوس الرّاح من مُهَج العِدَا ألا إنما خَمْرُ الكماةِ هِىَ الدم
بِضَرْبٍ وطعنٍ أفرطا فى فصاحةٍ فينثر ذاكَ الضَّرْبُ، والطعن يَنْظِمُ
كأنَّ العِدَا سَطْرٌ أراد بيانه فذاك له شَكْلٌ وذلك يُعْجِمُ [1]
٢٦٦ و ٣ / دَنا حيث لا تدنو المنيَّةُ رهبةً تقدَّمَ لمَّا عَــزَّ من يتقدَّمُ
تَصَابَرَ حتى كلَّت الخَيْلُ تحته وصار لها بعد الصهيل تحَمْحُمُ
ثقيلٌ على ظهر الحصان ودرْعُه له فى الدجى والصُّبح منها مُخَيَّمُ
وما لمدى العَزْمِ الذى لك منتهًى ولا عُرْوَة الحزم الذى فيك تُفْصَمُ
ألا إنك السيف الذى الصَّنْحُ غِمْدُه وقبلك لم يظفر بذلك مِخْذَمُ [2]

وقوله :

لا تَلُمْنِى إذا أطَلْتُ مديحى أبْصَرَ العبدُ ما يقول فقالا
وأرى الدَّهْرَ خادمى كلمــا نا دَيْتُ لَبَّى وحيثما مِلْتُ مالا

ومن أخرى :

عَلَّمَ الغُصْنَ أن يميل فمالا واستعارتْ منه البدورُ الكمالا
ودرَى أنَّ وَصْلَهُ أنفَسُ الأشـ ياء قدْراً فسامنى وتَغَالَى
ورآنى أهْوَى الدلال الذى فيـــه فولَّى تِيهــاً وصدَّ دلالا

ومن أخرى :

قوَامُكَ مُخْتَالٌ وطَرْفُكَ مُغْتَالُ وريقُك معسولٌ وقدُّك عَسَّالُ [3]
وفيك مع الإدلال فَرْطُ تذلُّلٍ وما آفتى إلا دَلَالٌ وإدلالُ
٢٦٦ ظ ٣ / وحقِّك لم يَخْطُرْ سواك بخاطرى ولا حُلْتُ عن وُدِّى وإن حالت الحالُ
على مثل ليلى يُتْلِفُ المرء نفسه وفى حبِّ ليلى تُبْذَلُ الروحُ والمالُ
وما وَصْلُ ليــلى العامريَّة هَيِّنٌ ودون وصال العــامريَّة أهوالُ

(١) يعجم : ينقط
(٢) المخذم : السيف القاطع .
(٣) العسال : الرمح .

وقوله :

يا نائماً عن قلَقِ الساهرِ أما لهــذا الصدِّ من آخرِ
قتَلتَني بالليل من طوله لا يُقتَلُ المسلم بالـكافر[1]
يا غائباً يَحضُرُ فى خاطرى طُلَّ دمى بالغائب الحاضر
كأنَّ قلبى مذْ تعلقْتَهُ معلَّقٌ فى مِخْلَبَىْ طـائرِ
إنْ ماسَ تيهاً ورَنا ناظراً أخذتُ بالعامل[2] والناظر

ومنها فى المدح :

عن ابن عباسٍ رَوَى بأسُهُ وجُودُه يُخْبِرُ عن جابرِ[3]

وقوله من قصيدة :

حتَّامَ أرجوكَ تُدْنِيني فتُقْصِيني وكم أسومك تقْضِيني فتَلْوِيني
وكم أعَلِّلُ نفساً فيك قد تلِفَتْ بزُورِ وعدك من حينٍ إلى حينِ
أطالَ فيك عَــذولى من ملامته وما درى أنَّ طول اللوم يُغْرِيني
وكيف أسلو ولا قلبٌ يطاوعنى على السلوِّ ولا صَبْرٌ يُوَاتيني
يا من إذا عاينَتْ عينى ملاحتَهُ ظَلَّتْ تُجدِّدُ أشـواقى وتُبْلِيني
بستانُ حسنك يزهو منك فى غُصُنٍ وعادة الغصن يزهو فى البساتين
ووَرْدُ خـدِّك زاه غير منقطعٍ والورد يوجَدُ فى بعض الأحايين
يُلْهِيك عن قُضْبِ نَعمَانٍ بقامتهِ وبالروادف عن كُثْبانِ يَبْرِينِ[4]
قولوا لنا مَنْ حبَا بالميم مَبْسِمَهُ وخصَّ طُرَّتَهُ الســوداء بالسِّين
وخطَّ لامَ عِذارَيْه وقوَّسَ من أطراف حاجبه أودارَ كالنُّونِ
تستنطق الناسَ بالتسبيح صُورَتُهُ سبحانَ خالقِ ذاك الحسْنِ من طين

(١) الكافر لها معنيان : أولها من الكفر ضد الاسلام والثانى من الكفر أى الغطاء . ولذلك يقال لليل كافر لأنه يغطى الأفق ويستره ، والتورية واضحة .

(٢) هنا تورية أيضا فالعامل لها معنيان أولها من العمل والثانى من العامل أى الرمح .

(٣) يتصنع هنا لذكر ابن عباس الصحابى المحدث والمفسر المشهور ، وكذلك جابر صحابى محدث جليل .

(٤) يبرين : رمل من أصقاع البحرين لا تدرك أطرافه .

يكاد يَقْطُرُ ذاكَ الجسمُ من تَرَفٍ ... به وينقدُّ ذاكَ القدُّ من لِينِ
لم يبقَ مَنْ ليس يتلو حين ينظرُهُ ... أعشارَ حاميمَ أو آياتِ يا سينِ[1]
كم ليلةٍ باتَ يَسْتَجْلِي محاسِـنَه ... طَرْفي ويرتعُ منـه في أفانينِ

وقوله :

قسماً لقد قال العـذولُ فأكثرا ... لـكنه أغرى بذاك وما دَرَى
نَشَرَ الصـبابةَ حين حاول طَيَّها ... وأراد أن يُطْفِي الغرامَ فسعَّرا
/أيظنُّني ممن يُرامُ سُلُوُّهُ ... هيهات ذلك ما رآه ولن يَرَى
ولقد كتمتُ الحبَّ لولا مدمعٌ ... نَقَلَ الحديثَ إلى الوُشاة كما جَرَى[2]
مُرْ لي بليلةِ طُرَّةٍ ليـلا فقد ... طَلَعَ الجبين بها صـباحاً مُسْفِرا
وبمهجتي رَشَأٌ بَرَاهُ اللهُ من ... فِتَنٍ لنـاظره فجاء كما بَرَا[3]
صَنَمٌ غـدا في جاهليَّتِهِ الوَرَى ... فكأنما هو للضـلال مُصَوَّرَا
ويريك من تَرَفِ الجمال مُؤَنَّثاً ... لـكنَّ خالقه بَراه مُذَكَّرَا
ولقد عزمتُ على ارتشاف رُضابِه ... لو كنت ممن يستحلُّ المُسْكِرا
عَشَت القلوبُ لنار وَجْنَته فما ... وجَدَتْ لها إلا صـبابتها قِرَا
وسرَتْ بليلة شَعْره أبصـارُنا ... وارحمتا فلقد يطولُ بها السُّرَى
ويزيد في لألاء غُرَّتِهِ دُجَى ... أصـداغه فيُريكَ ليلاً مقْمِرَا
لو لم يُرِدْ بالحسن شُهْرَةَ عاشقٍ ... مثلي لما لَبِسَ الجمالَ مُشَهَّرَا
وحياتِهِ يا بدرُ لو عايَنْتَـهُ ... لثَنَاكَ ذا خَجَلٍ وشاقَكَ مَنْظَرَا
أو لو بَدَا لك منه طَرْفٌ أسْوَدٌ ... تَشْقَى بهِ لرأيتَ موتاً أحمرَا
أفْتَى بِعِـزَّتهِ وذُلِّي حُسْنُهُ ... وقَضَى الغرامُ بأن ينـامَ وأسْهَرَا
فمتى أقول دخلتُ جَنَّةَ وَصْـلِهِ ... ووردت صِرْفاً[4] من لَمَاه الكوثرَا

---

(١) حاميم وياسين : من سور القرآن الكريم .
(٢) جرى : لها معنيان هما : حدث وسال والتورية واضحة .
(٣) برا : لها معنيان هما : خلق ، وأنحل ، والتورية واضحة .
(٤) الصرف : الخمر .

٢٦٧ ظ
٣

٢٩٨ و
٣

/وقوله من قصيدة فى مدح الصاحب كمال الدين بن أبى جرادة :

ولو رَضِىَ الإنسانُ ما فاتَهُ الغِنَى   وما ذمَّ عيشاً إنه لَكَنُودُ
وما ينْقَضِى شُغْلُ امرىءٍ فى حياتهِ   يموتُ كَدودَ القِنِّ وهْو كَدودُ

ومنها :

فإن فاتَنَا عيدٌ بِبُعْدِكَ واحدٌ   لنا كلَّ يوم باقترابك عيدُ
كأنا إذا جئناك غدرانُ أبْحُرٍ   نَقَصْنَ فوافَتْهُنَّ منك مُدُودُ
نزورُك للفضل الذى أنت أهلُه   فتُغْنِى وتُقْنِى مُنْعِماً وتُفيدُ

ومن أبياته الطيارة ، وبدائعه المختارة ، قوله :

ولله يومَ الحربِ أو ساعةَ القِرَا   بأسيافكم ماذا يُرَاقُ من الدَّمِ

وقوله :

رقَّ قوْلُ العَذُولِ إذ كان زُوراً   اقطعوا ذا الحديثَ مِنْ حيث رقَّا[1]

وقوله من قصيدة يمدح بها الصاحب كمال الدين بن أبى جرادة :

غَيْرِى يُعَلِّمُهُ السلوَّ العُذَّلُ   وسِوَاىَ يسمع ما تقولُ ويقبلُ
وحياتهِ لا مِلْتُ عنه لِغَيْرِه   وإذا حلَفْتُ به فلا أتأوَّلُ[2]
٢٦٨ ظ
٣
/وجَّهْتُ وَجْهِىَ نحو كَعْبَةِ حُبِّهِ   لا أنْثَنِى عنه ولا أتحوَّلُ
حاشاىَ أن أرْضَى التبدُّلَ فى الهوى   يا مِحْنَتِى لا كانَ مَنْ يَتَبَدَّلُ
كيف السلوُّ ووَرْدُ خَدِّك مُضْعَفٌ   ولماكَ معسولٌ وقدُّك أكْحَلُ
عقدَتْ إمامتَهُ ولايةُ حُسْنِهِ   وقَضَى الجمالُ بأنه لا يُعْذَلُ
وأنا الذى من حين بَلْبَلَ شَعْرَه   قد راح عقلى فيه وهْو مُبَلْبَلُ

---

(١) يشير إلى مصطلح معروف بين المحدثين إذ يقولون الحديث رقيق أى ضعيف ، وقدم لذلك بأنه زور فهو حديث مكذوب .
(٢) يريد بالتأويل صرف الحلف إلى غيره بحيث يمكن التأويل فى اليمين ، وهو معروف بين الفقهاء .

ما احمرَّ خـدُّ الشمس إلا أنها | من جوِّها أبداً تَراهُ فتخجَلُ
لو لم يكن بدراً منيراً لم يكن | فى الطَّرْفِ بَعْدَ القلب منى يَنزِلُ
وأُعِيذُ (١) من عيب الغصون قوامَهُ | حاشاه من بعـد النضارة يَذْبلُ
ولقد تَذَبَّأَ فى الملاحة جَفْنُهُ | بفُتُورِه متـدَثِّر مُتزَمِّلُ
يا رامياً قلبى بأسهُمِ لحظـهِ | رِفْقاً بقلبى قد أُصِيبَ المَقْتَلُ
فسواكَ ما لى فى هواه مطمعٌ | وسوى كمال الدين ليس يؤمَّلُ
العالمُ اليقظُ الحليم الماجـدُ الـ | ـبرُّ الرحيمُ المنعم المتفضـل
فى صـدره بَحْرُ الفضائل زاخرٌ | من كفِّه غَيْثُ المكارم يَهْطُلُ
الحرُّ أمَّا عِرْضُهُ فممنَّـعٌ | أبداً يُصَان وماله فمُسَبَّلُ
الفضل فيـه حقيقةٌ والجود فيـ | ـه سَجِيَّةٌ والمجد منـه مؤثَّل
/جُبِلَتْ على حُبِّ المكارم نَفْسُهُ | نَفْسُ الكريم على المكارمِ تُجبَلُ
فتراه يوم تـراه بين وفوده | يُعْطِى الألوف ووجهه مُتَهَلِّلُ
مولى يخصُّ بكل ذكرٍ طيِّب | فيَعُمُّ بالإنعام منـه ويَشْمَلُ
فإذا حبانا فاضَ بَحْرُ نَوالِهِ | وإذا فَضَضْنَا المدح فاحَ المَنْدَلُ (٢)
فى كفِّه القـلَمُ القصيرُ وإنما | خُدَّامه السُّمْرُ الطِّوال الذُّبَّلُ
وتُشبِهُ الصور الحسانُ بخطِّهِ | فلقد غـدَا مثلا لمن يتمثَّلُ
لو كان دُرًّا لم يكن إلا به | تاجُ الخلائف لا سِواه يُكَلَّلُ
إن تُذْكَرِ الرؤساء كان رئيسَهم | أو عُدَّت الفضلاء فهو الأوَّلُ
وجياده لو أُنصِفَتْ وطِئَتْ على | خَـدِّ السماء وبالأهـلَّة تُنعَلُ
كلٌّ دعىٌّ فى الرياسة والعُـلا | وابنُ العديمِ هو المُعِمُّ المُخْوِلُ
ولقد بَخِلْتُ على الملوك بِمدْحَتِى | وبهـا على عَلْيائه أتطفَّلُ
فقويم عهدى لا يُضَاع وخدمتى | مشهورةٌ ومحبَّتى لا تُجهَلُ
أنا أين كنت إليك أَلِفتُ ناظرى | ما لى على خَلْقٍ سِـواك معوَّلُ

٢٦٩ و
٣

(١) فى الأصل هكذا : وأغيذ .
(٢) المندل : العود .

من ضلَّ أنت له صباحٌ مُسفِرٌ … من كان ظمآناً فأنت المَنْهَلُ
هُنِّئْتَ عاماً مُقْبِلاً مثلَ اسْمِهِ … والسَّعْدُ يشهد أنَّ عامك مُقْبِلُ

٢٦٩ظ / ٣

/وقوله من قصيدة فى مدح قاضى حلب زين الدين بن الأستاذ :

وحقِّكَ لا أشكو وإن أكثروا العَذْلَا … فسيَّان عندى منه ما قلَّ أو جَلَّا
ولا مِتُّ إلا فى هواك صبابةً … فمثلىَ لا يَسْلُو ومثلك لا يُسْلَى
وما رامَ قلبى عنك بالغير سلوةً … ولو رامَ أن يسلو بغيرىَ ما أسْلَا
إذا لم تكن أهلا لإتلاف مُهْجتى … عليكَ فمن ألْقَى لإتلافها أهلا
ولو لم تكن يا مُنْيَتى غايةَ المُنى … لما كنت محبوباً على كثرة القَتْلَى
وقد عَيَّرونى فى هواك بذلَّتى … وحاشا لنفسى فيك أن تأنف الذُّلَّا
ولو أننى جُرِّعْتُ كأسَ منيَّتى … لما قلت إلا ما ألذَّ وما أحْلَى
ولم ير مثلى الناسُ صبًّا لأننى … هويتُ حبيباً ما رأيت له مِثْلَا
يلذُّ لروحى فى هواه تَلافُها … أرى كلَّ صعبٍ فى محبَّته سهلَا
فما أنا ممن يعرف الصَّبْرَ قَلْبُهُ … كما أن زَيْنَ الدين لا يعْرِفُ البخلا
وما زال طَلْقَ الوجهِ مُنْهمِرَ الحَيا … فما جئته إلا تهلَّلَ وانْهَلَّا
فلو كان شمساً ما رأتْ مقلةٌ دُجًى … ولو كان غَيْثًا ما دَرَتْ بلدةٌ مَحْلَا
إمام هُدًى لكن تَراخى زمانُهُ … وكلُّ إمام قبله خَلْفَهُ صَلَّى[1]

٢٧٠و / ٣

/أتى أوَّلاً فى حَلْبة الفضل ، آخراً … زمانا ، فقد جَلَّى[2] وإن كان قد صَلَّى
ولم يَبْتَدِرْ والسابقين ، إلى مَدًى … من الفضل إلا أحْرَزَتْ كَفُّهُ الخَصْلَا
فلو سابَقَتْهُ الريحُ أمستْ طَلِيحَةً[3] … ولو سار نجم الأفق فى طُرْقِهِ ضَلَّا
له قَدَمٌ تَسْعَى إلى كل غايةٍ … من المجد لم تَرْضَ الهلالَ لها نَعْلَا
وما زال يسمو إذ رأى الشُّهْبَ تحته … وسُؤْدُدُه أسمى وَمَنْصِبُهُ أعْلَى
له فى الخلافيَّات[4] أمثلُ مَأْخَذٍ … وإن كان ما زالت طريقته المُثْلَى

---

(١) صلى لها معنيان : أحدهما من الصلاة ، والثانى : جاء تابعاً ، والتورية واضحة .

(٢) جلى : سبق ، وجاء أولا .

(٣) طليحة : معيية ومهزومة .

(٤) الخلافيات : اصطلاح للمسائل التى يكثر فيها الخلاف بين الفقهاء .

إذا قرَّرَ المعنى الذى كان عاطلا ... بألفاظه فى حلٍّ مشكله حلاً[1]
لو أنَّ ابن[2] إدريس يشاهدُ درْسَهُ ... أعاد الذى ألقى وعلّقَ ما أملى
وما زال يَفْرى المشكلاتِ لسانُهُ ... إذا ما انتضاهُ فى وَغى حرَّرَ[3] النَّصلا
وإن مرَّ فى سُبلِ المباحث راكضا ... ثَنَى كلَّ حزنٍ من غوامضها سَهلا
له خاطرٌ كالهندوانىِّ ما نبا ... وحاشاه عن فهم الخفىِّ ولا كلَّا[4]
إذا ما علمْتَ الأذكياء حقيقةً ... رأيتهمُ كُلًّا على فهمه كَلًّا[5]
ولو قال أربابُ البلاغةِ إنهم ... يجارونه قالتْ بلاغتــــه كَلَّا
ولو لم يُبِنْ فضلَ الخطابِ بحُكمِهِ ... لما عرف الناس الخطابَ ولا الفضْلا
وما العدل شىءٌ خارج عن قضائه ... ولكنما أحكامُه صوَّرتْ عَدْلا
/ تعوَّدَ ذكْرَ الله سِرًّا وجَهْرةً ... فصيَّره عن كل شُغْلٍ له شُغْلا
وأخلصَ لله الولاية جَهْــرَةً ... فملَّكهُ اللهُ الولايةَ والعَزْلا
رحيبُ جَنان لا يضيقُ بحادثٍ ... ولو كان رَضْوى[6] ما أحسَّ له ثِقلا
رأتْهُ لها كُفْواً عروسُ رياسةٍ ... على كثرة الخطَّاب ما رَضِيَتْ بَعْلا
فجاءتْ تجُرُّ الذَّيلَ من فَرَحٍ به ... وكانت له أهْلًا وكان بها أولَى
نبىٌّ علًى بل رَبُّ جودٍ أما ترى ... أحاديثَه تُرْوَى وآياته تُتْلَى
ولولا تنَبؤاً فى السيادة لم يكن ... به سَيِّدُ الأملاك قد خَتَمَ الرسْلا
يُدَبِّرُ أمرَ الملك تَدْبيرَ مِثْلِهِ ... فكم حادثٍ أجلَى وكم كُرْبةٍ جَلَّى
ولو أُوتيَتْ دارُ الخلافة منطقاً ... لقالتْ له من قبل ما كنها أهْلَا
ولما انثنى عنها عزيزاً مكرَّما ... إلى حلبٍ أبْقَى بأحشائها ثُكْلَا
أياديه وهْىَ الشمس نوراً وكثرةً ... ولكنها عند الهَجير لنــا ظِلَّا
إذا ما تمثَّلْنا بكَعْبٍ وحاتمٍ[7] ... تقول أياديهِ لهُ المثــل الأعلى

(١) حل : لها معنيان ، أولهما من التحلية والثانى من الحل ضد العقد ، والتورية واضحة .
(٢) هو الامام الشافعى صاحب المذهب المشهور .
(٣) حرر : ضبط وقوَّم .
(٤) كل : تعب .
(٥) كلا : عالة .
(٦) رضوى : جبل .
(٧) كعب وحاتم : جوادان مشهوران .

٢٧٠ظ
٣

أقاضى قُضَاةِ المسلمين ومَنْ غدا بتفريق مالٍ جامعاً للعُلى شَمْلا

خَفِ اللهَ فى القُصَّاد أنْضَيْتَ بالسُّرى مطايَاهمُ وارْفُقْ فقد سُدَّت السُّبْلا

ومنها :

٢٧١ و / ٣

/ وما أنا ممن يكفُر الوَبْلَ إن همَا عليه ولكنِّى الذى يشكرُ الطَّلا[1]

المجاهد[2] طناش الخياط

خياط بالفسطاط ، عانى الشعر ، وشغل به همته ، فصدر عنه ما هو من نمط قوله ، مما أنشدنيه لنفسه :

تِهْتُ فى ظلمة شَعْرِهْ فهدانى بَرْقُ ثَغْرِهْ

رشأٌ بالحسْنِ أضحَى فى الوَرَى أوْحَدَ عَصْرِهْ

اشتياقى مِثْلُ رِدْفِيــــهِ وصبرى مثلُ خَصْرِهْ

أرِجُ المسك إذا هـــبَّ رَوَى عن طِيب نَشْرِه

أسَرَ القلبَ ولكنْ أطْلَقَ الدَّمْعَ بأسْرِهِ

وقوله :

يا قَدَّهُ هزَّ فلا صبر لى عنـه ويا مقلته جَرِّدى

النجيب بن طلحة

أُخبرت : أنه من شعراء الفسطاط المتكسبين بالشعر ، وأنه فى قيد الحياة ، وأنشدت له :

فديتكُم كم ذا المقام على الصَّدِّ وكم تزعمون القُرْبَ فى حالة البُعْدِ

٢٧١ ظ / ٣

/ وَهَبْكُمْ كما قلتم لكم لى تشوُّقٌ فلستم جميعاً تبلغون مدى وَجْدِى

حملتم جميعاً كلُّكم شَوْقَ واحدٍ وحمَّلتمونى كلُّكم شَوْقَكُمْ وحدِى

(١) الطل : المطر الخفيف ، والوبل : الغزير .

(٢) ترجم له ابن شاكر فى الفوات ٢ / ١٤٤ وابن فضل الله العمرى فى المسالك الجزء الثانى عشر الورقة ٢١٣ وابن تغرى بردى فى النجوم ٧ / ٢٤٣ والمنهل الجزء الثالث الورقة ٧٦ وكلهم دعاه مجاهد بن سليمان الخياط ، وكأن لقبه غلب على اسمه طناش ، وهو من كبار أدباء العوام فى عصره ، ولكنه قرأ النحو وأحسن العربية ، وبينه وبين شاعر مدينته : الجزار مجاوبات ومهاجاة . توفى سنة ٦٧٢هـ .

البرهان إبراهيم بن جبريل المصرى

ممن لقيته بالفسطاط ، من شعرائها ، وأنشدنى لنفسه فى متصدِّر[1] عامة مَنْ يقرأ عليه من بُلْهِ العوام المغفلين :

اقصدْ أبا بكرٍ فميعادُهُ　　من رَوْضَةٍ مونقة أبْهَى
وقد غـدا ميعادُهُ جنَّةً　　أما ترى أكثرهم بُلْهَا

الجمال[2] ناصر بن ناهض الحُضْرى اللَّخمى

ممن لقيته من شعراء الفسطاط ، وأخذت عنه شعره ، وتركته فى قيد الحياة ، أبصرته شيخاً قد تعالت سنه ، ووهن عظمه ، وساء خلقه ، واختلت أحواله ، فما أنشدنى لنفسه فكتبته عنه قوله :

رعاكَ اللهُ من زمنٍ عجيبِ　　تَقَضَّى بالأراكةِ والكثيبِ
/ وأيامِ الأُجَيْرِعِ[3] والليالى　　منيراتُ الوجوه بلا قُطُوبِ

٢٧٢ و
٣

تغيبُ كواكبُ الجوزاء فيها　　حَيَاءً من سَنَا خَدِّ الحبيبِ
زماناً سِرْتُ فيه إلى التَّصَابِى　　كريمَ الجَدِّ موفورَ النصيبِ
وقد رقدَتْ صروفُ الدهر عنى　　وأرسلتِ الخيالَ إلى الرقيبِ
نهبتُ العيش فيه على كُمَيْتٍ　　من الصَّهْباء تَمْرَحُ فى القلوبِ

---

(١) متصدر : مدرس .

(٢) ترجم له ابن شاكر فى عيون التواريخ (المجلد العشرين المصور بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٩٧ تاريخ) الورقة ٦٢ وسلكه بين من توفوا سنة ٦٥٢ هـ وقال فيه : شاعر مشهور مولده سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وأنشد له قطعة ذكرها الحافظ شمس الدين الذهبى فى تاريخه نظمها فى رئيس أعطاه قمحاً رديئاً ومطلعها :

يباع شعرى بلا نقد لمنتقد　　إلا بقمح خفيف الروح والجسد

(٣) الأجرع : الرملة .

إذا أسْرَجْتَها بذُبالِ مَزْجٍ		سَرَتْ خَبَباً[1] إلى لُبِّ اللبيبِ
وإن ركبتْ بنَانَ البدرِ قالتْ		بلا طَرْدٍ ألا يا شمسُ غِيبِي

وقوله :

نبِّهْ نديمك فالوشاةُ رقودُ		والروض من خَمْرِ الغمام يَميدُ
والأرض باسمةٌ ثغورُ رياضها		والطلُّ مسبولُ الدموع عميدُ[2]
/لم أدْرِ من خوف الصباح دموعَها		أو رحمة لليل وهْوَ طريدُ
والصبح سَلَّ على دُجاهُ صارماً		فكَمِيُّه بدم الظلام شهيدُ
فكأنَّ أنجُمَهُ سقَطْنَ على الرُّبَى		فلهنَّ فى تلك الرياض وَقودُ
وكأنما أشجارهنَّ عساكرٌ		والمُقْل من عذَبَاتهن بنودُ
وكأنما المنثورُ دون تناثر		من فوق أجياد الغصون عُقُودُ
وكأن كاسات المدام كواكبٌ		قد أطلعتْها للسرور سعودُ
بِكْرٌ عُقَارٌ فى الزجاجة تُجْتَلى		شمطاء دَرَّ حبابها مولودُ
فاعجب لِتِبْرٍ فى لُجَيْنٍ ذائبٍ		ويضيعُ فيه العقلُ والموجودُ
إنْ كانَ قد ولَّى الظلام فهاتها		فبِهَا يعودُ لكل قلبٍ عيدُ
وإذا طَرِبْتَ فغنِّنى بترنُّمٍ		أتَرَى الليالى بالوصالِ تعودُ

٢٧٢ظ
٣

وقوله :

أمطْ عن اللهو ثيابَ الوقارْ		واخلعْ[3] على حبِّ العذارِ العِذَارْ
واشربْ مُدَاماً قد حوتْ كأسُهَا		كواكبَ الليلِ وشمسَ النهارْ
ما لدُجَى الليل إذا أقبلَتْ		من ظُلْمَةِ القَار لدينا قرارْ
يُدِيرُهَا ظَبْىٌ على خدِّه		وَرْدٌ ومن ريقةٍ فيه عُقَارْ

---

(١) الخبب : ضرب من العدو السريع .
(٢) عميد : عاشق هائم .
(٣) خلع العذار : تهتك .

٢٧٣ و
٣

/ عبد الدائم المعلم

ممن لقيته بالفسطاط من شعرائها ، وهو يعلم الصبيان فى مكتب ، وأنشدنى لنفسه فى خيالى ما لم يقل أحدٌ فى معناه أحسنَ منه :

وافى خيالىٌّ كأن إزارَهُ جدَثٌ أقيم الحَشْرُ من أمْوَاتِهِ
فكأنَّهُ عيسى يقيم شخوصَها ويُحِلُّ فيها الروحَ من كلماتِهِ

الجمال أبو الحسين الجزار [1]

هو يحيى بن عبد العظيم ختمتُ به شعراء الفسطاط ليكون الختام بمسك ، وإن كان بينهم فى هذا العصر بمنزلة الواسطة من السلك . كان أبوه وأقاربه جزارين بالفسطاط ، دكاكينهم بها إلى الآن قد عاينتها ، وأبصرته معهم بها . وكان فى أول أمره قَصَّاباً مثل أبيه وقومه فخام على الأدب مدة ، وأكثر حوله من حَوْمه ، فرفعتْ له فى القريض راية ، تقدم بها جملة / من أهل

٢٧٣ ظ
٣

عصره . ورزق من حسن الاهتداء لغرائب المعانى وبدائع الألفاظ ما يدل على غَوْص فكره . وطريقه من أسهل الطرق التى يميل لها العامة ولا ينكرها الخاصة لقرب مأخذها ، وحسن منزعها . وقد اجتمعت به غير ما مرة فى أماكن اضطرته إلى الارتجال فألفيته متعلقا بأزرار الفنون غير راض إلا بأرفعها يفيض خاطره كالعارض المتراكم ، ويطلع فكره من غر المعانى بما يطلع به الصباح القادم . ولم يزل ذلك دأبه فى بلده ، حتى أخذ علو الطبقة بيده ، فصار العَلَمَ الذى إليه الاشارة بين الجميع ، وأصبح جوالا فى آفاق الديار المصرية جانياً لدانيات قطوفها ونازحا بها من كل عاص ومطيع ، حتى صارت له فى أقطارها عدة رسوم ، يجتمع له فيها ما لا يحصِّله فى هذا العصر أحد من أهل المنظوم ، وهو ، على كونه قد / نشأ بين ساطور ووضم ولم يرفع له فى بيت نباهة ولا مجلس حشمة

٢٧٤ و
٣

---

(١) ترجم له السيوطى فى حسن المحاضرة ١ / ٣٢٧ وابن العماد فى الشذرات ٥ / ٣٦٤ وابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ٧ / ٣٤٥ وكذلك فى المنهل الصافى ، وترجم له ابن فضل الله فى المسالك (نسخة دار الكتب المصورة) الجزء الثانى عشر الورقة ١٦٦ وابن شاكر فى الفوات ٢ / ٣١٩ وفى عيون التواريخ (النسخة المصورة بدار الكتب المصرية) فى وفيات سنة ٦٧٩ ﻫ وقد أنشد قصيدة لطيفة للسراج الوراق فى رثائه . والجزار أحد شعراء مصر المهمين فى القرن السابع للهجرة ، واشتهر بتفننه فى استخدام ألوان البديع وخاصة لون التورية وهو مبثوث فى شعره ، وأيضا تغلب عليه الفكاهة والميل الى المزاح والدعابة ، كما هو واضح فى المختارات التى انتخبها له ابن سعيد .

عـلم ، من أحسن الناس شكلا وأظرفهم وأحلاهم بياناً وألطفهم وأبدعهم مطايبة وأنظفهم ، ذو بزة تصلح للرؤساء السَّراة ، ومروءة لا توجد إلا عند السادة الأباة ، وسلني عن ذلك فإني به خبير مقرٌّ به حيثما قلقت ركابي وانتهى بي المسير . لما قدمت على الديار المصرية من بلاد إفريقية لقيت فيها ما يلقاه الغريب فى البلاد التى يقدم عليها ، ولم أجد من فيه للمروة نصيب ولا للأدب حظ حتى لقيته فأنشدت :

ليس على الله بمستنكرٍ   أن يجمع العالمَ فى واحدِ

إذ ألفيت فيه من التعصب والتأنيس والبِرّ ماصيرنى كأنى فى بلدى بين أهلى ، فكم مجلس نابه أجرى فيه ذكرى تاليا لمراتب النجوم ، وكم خير تسبب لى فيه وأنا غافل عنه لا أحوم عليه فيمن يحوم ،/ وكم فرجة وتنزُّه بظاهر القاهرة والفسطاط وبالنِّيل وغير ذلك من الأماكن قد أخرجنى إليها ، وحشَد من يعرفه من الفضلاء المتكملين للأنس عليها . وترددت على القاهرة من الإسكندرية فلم يُفتنى مرة من ضيافته التى تشرق عليها أنوار الاعتناء ، ويسفر محياها عن رونق البر والصفاء ، والله كفيل له بحسن الجزاء ، مع ما أصله فى غيبته من الحمد لمحاسنه والثناء وهو الآن على ما فى علمى وذلك فى سنة ست وأربعين وستمائة ممتعاً بالحياة ، أطالها الله له فيما يرضاه ، وبلغه من كل أمل يجمح إليه خاطره أقصاه . ولا أعرف له رحلة ولا خروجاً عن الديار المصرية بل اقتصر على التجول فيها من أعلاها إلى أسفلها وله فى ذلك وشرح مايقاسيه فى النيل شعر كثير . وهو على ضد/ الشعراء فى ترك الاستهتار بالمدام ، وتصديق ما ينطق به شعره من أنواع الحرام ، بل طريقه فى العفة أحسن طريق ، ومسلكه أنجح مسلك ، وإن كان مكثراً لمازجة المعـذّرين من الغلمان تظرفا ورياضة للتغزل ، وكل مغيَّب لا يعلم فيه التحقيق وبعض الظن إثم ، وعند الله ، فيما يغيب عنا ، العلم . وهو الآن شاعر الفسطاط ، كما أن الذكى[1] بن أبى الأصبع شاعر القاهرة وسترد ترجمته هنالك ، وقد أوردت جملة من شعر الجزار فى هذا الكتاب ، ولم أختر منه إلا ما هو من نمط اللباب .

المختار لهذا الكتاب من مختار شعره الذى انتقاه من ديوانه وسماه تقطيف الجزار وطرزه باسم الصاحب الكبير العالم كمال الدين بن أبى جرادة طـرَّزَ الله الأيام بمعاليه ، وبيض وجوهها بأياديه ،/ فى إحدى سفراته إلى مصر رسولا عن سلطان حلب[2] وصل الله أيدهُ وسعده .

٢٧٤ظ
٣

٢٧٥و
٣

٢٧٥ظ
٣

---

(١) أحد شعراء مصر المجيدين فى القرن السابع للهجرة وله مؤلفات فى الأدب مختلفة ، توفى سنة ٦٥٤ هـ .

(٢) كان ذلك سنة سبع وثلاثين وستمائة كما جاء فى منتخب الصفدى من تقطيف الجزار (نسخة مصورة بمكتبة جامعة القاهرة) وسنقابل عليها نص المغرب رامزين لها هكذا : م . ت أى منتخب تقطيف الجزار .

من قصيدة فى الخليفة المستنصر[١] رضوان الله عليه أنشدها بمجلس الصاحب محيى[٢] الدين ابن الجوزى رسول[٣] الخلافة العباسية بالقاهرة :

يا بْنَ الأَئِمَّةِ دعوةً من مادحٍ ... نادَى نَداكَ على مَدَى مُسْتَبْعَدِ

أملى يُقَرِّبُنِى إليك مع النَّوَى ... يا من بِذَيْلِ رجائه علِقَتْ يَدِى

أرجو نَداكَ مع الخُمُول وربما ... كان الحَيَا حَظَّ الحضيضِ الأَوْهَدِ

واحسرتا لو أنَّ لى سبباً إلى ... ذاك الحمى لأكونَ أوَّلَ مُنْشِدِ

ولأَنْ أرى وجهى يُعَفَّرُ فى ثَرًى ... كالمسك مَبْثُوثاً بفَرْقِ الفَرْقَدِ

ولقد بَعَثْتُ بها قَصِيدا لَفْظُهَا ... كالدرِّ إذ وافى بِسِلْكٍ مُنضَّدِ

وجَعَلْتُها يوم الحساب ذَخِيرتى ... فاشْهَدْ بها عند ابن عمِّك فى غَدِ

وقوله من قصيدة فى الملك العادل[٤] بن السلطان الكامل :

دَعِ اللَّومَ أو لُمْنِى فلست بسامعٍ ... لقد ضلَّ من أمسى بنصحك يَهْتَدِى

/ فما العيشُ إلا أن أموت صبابةً ... بلَيْلَى ولم أمْدُدْ إلى غيرها يدى

حَمَتْ ثَغْرَها والخدَّ عن[٥] حائمٍ شَجٍ ... له أملٌ فى مَوْرِدٍ ومُوَرَّدِ

وكم هام قلبى لارتشاف رُضابها ... فأَعْرَبَ عن تَفْضِيل نَحْوِ المُبَرِّدِ[٦]

وتُقعدها الأردافُ عند قِيامها ... فها أنا منها فى مُقِيمٍ ومُقْعِدِ

يقول فى مدحها :

لقد شاد مُلْكاً أسَّسَتْه جُدودُهُ ... فأصبح ذا ملكٍ أثيلٍ مُشَيَّدِ

وصحَّ به الإسلامُ حتى لقد غدَتْ ... بسلطانه أهلُ الحقائق تَقْتَدِى[٧]

فقلْ للذى قد شكَّ فى الحقِّ إنما ... أطَعْنَا أبا بكرٍ بأمرِ محمدِ

(١) ولى الخلافة العباسية من سنة ٦٢٣ الى سنة ٦٤٠ هـ .

(٢) هو أبو المحاسن يوسف بن أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد التيمى البكرى البغدادى الحنبلى أستاذ دار المستعصم بالله ، ولد سنة ٥٨٠ هـ وتوفى سنة ٦٥٦ . (انظر ترجمته فى شذرات الذهب الخامس) .

(٣) يظهر أن هذه الرسالة كانت سنة ٦٢٣ هـ (انظر النجوم الزاهرة ٦/٢٦٣) .

(٤) هو الملك العادل (الثانى) سيف الدين أبو بكر صاحب مصر من سنة ٦٣٥ هـ إلى سنة ٦٣٧ هـ .

(٥) فى م . ت : من .

(٦) المبرد عالم نحوى مشهور من علماء البصرة فى القرن الثالث للهجرة ، والتورية واضحة .

(٧) فى م . ت : تهتدى .

اسم الكامل محمد وكنيته العادل أبو بكر ، وكان الكامل قد ولاه العهد . وقوله يمدح الملك الناصر بن المعظم صاحب الكرك وأنشده إياها فى يوم النحر :

كيف حالَتْ بعد الوفاء عهودُهْ ... وتَمادَى هِجْرانه وصُدُودُهْ
وأمالَتْه للوشاة[1] ظنونٌ ... يُبْدِىء العذرُ وَهمها ويُعِيدهْ
ما على المُعْرِض المُقيمِ على الإعـ ... ـراضِ لو رقَّ حين يشكو عميدُهْ

276 ظ
3

/ فى سبيل الهوى وفى طاعة الحـ ... ـبِّ يريد الإنسانُ من لا يُريدُهْ
يا عذولَ المحبِّ قصِّرْ من العَذْ ... لِ فإنى أراه مما يَزيدُهْ
كيف يُصْغِى إلى الملام مشوقٌ ... بانَ عنـه اصطبارُهْ وهُجُودُهْ
بأبى من غدَتْ له نَفْرَةُ الظَّبْـ ... ـىِ واللَّظْبِى مُقْلَتاهُ وجيدُهْ
هزَّ غُصْناً من قدِّه ذا اعتدالٍ ... يشتهى البانُ لو حَكَتْه قُدُودُهْ
ذو عِذارٍ يقيم عُذْرِىَ فى الحـ ... ـبِّ وخدٍّ يزينه تَوْرِيدُهْ
ولحاظٍ حمى بها طَلْعَ ثغرٍ ... بَرَدٌ[2] الدمع من جفونى نَضِيدُهْ
لىَ فى حبِّه حشاً شفَّهُ الوجْـ ... ـدُ وطَرْفٌ يَضُرُّهُ تَسْهِيدُهْ
وغرام قد ألْبَسَ الجسمَ ثوباً ... من نُحُولٍ لم يَبْلَ عندى جديدُهْ
صاحِ دعنى وما أُقاسِى ففى القلـ ... ـبِ لهيبٌ لا يُسْتَطَاعُ خمودُهْ
خلِّ طَرْفى يذرى الدموعَ دماءً ... بعد عيشٍ مَضَى فعزَّ وجودُهْ
حكَمَ الدهرُ بالفراق ومنْ ذا ... يَغْلِبُ الدهرَ والخطوبُ جنودُهْ
أىُّ دهرٍ راقَتْ وراعَتْ عيانا ... وَسَماعاً بُرُوقُهُ ورُعُودُهْ
نافذُ الأمرِ إذ بحكمِ صلاح الـ ... ـدينِ أضحى قيامُهُ وقعودُهْ
ملكٌ تَشْرُفُ الملوك إذا ما ... أصبحت فى الزمان وهْىَ عَبِيدُهْ

277 و
3

/ شادَ بالبأس والمكارمِ مُلْكاً ... أسَّسَتْه آباؤهُ وجدودُهْ
تَفْضَحُ الدهرَ[3] منه أخلاقُه الزُّهْـ ... ـرُ ويُزْرِى على السحائب جُودُهْ
بَيْتُهُ كَعْبَةٌ يحجُّ إليـه ... كلَّ وقتٍ عُفَاتُهُ ووفودُهْ

---

(1) فى م . ت : للوفاء .
(2) فى م . ت : بدد
(3) فى م . ت : الزهر .

ثابتُ الجأشِ عندما يقلقُ الجيـــشُ ويخشى رَيْبَ الحِمامِ أُسودُهْ
ثاقبُ الفهمِ إن يغبْ عنه أمرٌ كامنٌ فهوَ بالذكاءِ شهيدُهْ
هو[1] فى الحالتين غيثٌ وليْثٌ يُرتجى وَعْدُهُ ويُخشى وَعيدُهْ
فيه بأسٌ ورحمة لعــــدوٍّ وَولىٍّ يُغيثُه ويُفيـــدُهْ
أحْسنَ الإصطناعَ حتى لقد أثْـــنى عليــهِ عَدُوُّهُ وحَسودُهْ
يا ولىَّ الأنامِ دعـــوةَ عبْدٍ أنجحتْ قصْدَهُ لديك قصيدُهْ
لا تسَلْنى عن الزمان فإنى قد بدَتْ لى أضْغانُهُ وحقودُهْ
زمنٌ لان عطْفُه عنـد غيرى وهْوَ عندى صَعْبُ المِراسِ شديدُهْ
كيف يَبْقَى الجزّارُ فى يوم عيد النَّـــحْرِ رَهْنَ الإفلاسِ والعيدُ عيدُهْ
يتمنَّى لَحْمَ الأضاحى وعند النــــاسِ منــــه طَرِيُّهُ وقَديدُهْ
ولقد آن من لقائك أن تَبْيَـــضَّ أيامُه ويخضرَّ عُـــودُهْ

٢٧٧ ظ
٣

وقوله فى قصيدة يمدح بها وزيره فخر القضاة/ نصر[2] الله بن بزاقة ، وهو من أعلام الفضلاء :

عفَا اللهُ عما قد جنَتْهُ يدُ الدَّهْرِ فقد بذَلَ المجهودَ فى طلب العُذْرِ
أيحسنُ أن أشكو الزمانَ الذى غدَتْ صنائعهُ عندى تجلُّ عن الشُّكْرِ
لقد كنتُ فى أسْرِ الخمول فلم يزَلْ بتدْريجه حتى خلَصْتُ من الأسْرِ
فشكراً لأيّامٍ وفَتْ لى بوعْـــدها وأبدتْ لعينى فوق ما جالَ فى فكرى
وكم ليلةٍ قد بتُّها مُعْسِراً ولى بزخرف آمالى كنوزٌ من الفقْرِ[3]
أقول لقلبى كلما اشـــتقت للغِنَى إذا جاء نصر اللهِ بُتَّتْ[4] يدُ الفقْرِ
وإن جئْتَهُ بالمدح يلْقاك باللُّهَى فكم مرةٍ قد قابل النظم بالنَّثْرِ[5]

---

(١) فى م . ت : فهو .
(٢) ترجم له ابن سعيد فى كتاب القاهرة وقال إنه اختص بالملك الناصر صاحب الكرك وتصرف فى أعماله ثم تركه إلى الخلافة العباسية . وترجم له ابن شاكر فى الفوات ٢/ ٣٠٥ والسيوطى فى حسن المحاضرة ١/ ٣٢٦
(٣) فى م ت : اليسر .
(٤) فى م . ت : تبت .
(٥) يريد نثر الأموال والتورية واضحة .

وقوله من قصيدة يمدح بها الأمير جمال [1] الدين بن يغمور :

عاقَبْتِني بالصَّـــدِّ من غير جُرْمِ ... ومَحَا هَجْرُها بَقِيَّـــةَ رَسْمِى
وشكوتُ الظَّما [2] إلى ريقها العَذْ ... بِ فجادتْ ظُلْماً بمنع الظَّلْمِ [3]
ورأتني أصْبُو [4] إلى ذلك الخَصْـــرِ ... فأهدتْ منـــه السقامَ لجسمى
أنا حكَّمْتُها فجارتْ وشرع الـــحُبِّ ... يَقْضِى بأن أُحكِّم خصمى
ذاتُ ثَغْرٍ يحميه من طَرْفها الفَتَّـــانِ ... سحرٌ يُصْبِى الفؤادَ ويُصْمِى
حدثتُ [5] عنها لما انْتَضَتْ صارمَ الجَـــفْنِ ... حذاراً من أن تبوءَ بإثْمِى
يا رَعَى اللهُ ليـــلةً بتُّ فيها ... بين ضَمٍّ إلى الصـــباح ولَثْمِ
حبـــذا عيشىَ الذى قد تولَّى ... والليالى ومن أُحِبُّ بحكمى
يازمانى أراك مَعْ بُخْلِكَ المفـــرط ... وفَّرْتَ من خطوبك قَسْمى
لستُ ممن يُرَى بذَمٍّ بنى الدهـــر ... لمنعى والدهرُ أَوْلَى بذَمِّى
قَصَدَتْني أيامـــهُ ولياليـــه ... بشُهْبٍ تَغدُو علىَّ ودُهْمِ

/ ٢٧٨ و
٣

ومنها فى المدح :

أنتَ موسى وقد تَفرْعَنَ ذا الخط ... بُ ففرِّقْهُ من نَدَاكَ بِيَمِّ
لا تَكِلْنى إلى سواك فما أَصْ ... نَعُ إلا لديك نثرى ونَظْمِى

وقوله من أخرى فى الأمير المذكور :

نقَلْتَ لِقَلْبي ما بجَفْنِكَ من كَسْرِ ... وعَلَّمْتَ جِسْمِى بالضَّنَا رِقَّةَ [6] الخَصْرِ
وغادرْتَ دمعى فوق خدِّى كأنَّه ... ثناياكَ لما لُحْتَ مُبْتَسِمَ الثَّغْرِ

---

(١) هو جمال الدين موسى بن يغمور سمع الحديث وتنقل فى أعمال الولايات مثل نيابة السلطنة بالقاهرة ودمشق ، وكان جواداً ممدحا ، وله ألف ابن سعيد كتابه (رايات المبرزين وغايات المميزين) . وكان شاعرا توفى سنة ٦٦٣ هـ .

(٢) فى م . ت : الجوى .

(٣) الظلم بفتح الظاء : بريق الأسنان ولمعانها وماؤها .

(٤) فى م . ت : أشكو .

(٥) فى م . ت : جدت .

(٦) فى م . ت : دقة .

وأبصرتُ صُبْحَ الوصلِ من وجهك الذى بَدَا تحتَ شَعْرٍ خِلْتُه لَيْلَةَ الهَجْرِ

يُحَبِّبُ لى فيك الغرامُ فلم أكَدْ أشبِّهه إلا بحُسْنك[1] فى شِعْرى

وهيفاء تَحْكِى الظَّبْىَ جيداً ومُقْلَةً رَنَتْ وانْثَنَتْ فارتَعتُ للبيض والسُّمْرِ

/ حُسِدْتُ[2] على لَثْم الشَّقيقِ بخدِّها ورَشْف رُضَابٍ لم أزَلْ منه فى سُكْرِ

ولستُ أخاف السِّحْرَ من لحظاتها لأنى بموسى قد أمِنْتُ من السِّحْرِ

فَتًى إن سَطَا فرعونُ فقْرى[3] وجَدْتُهُ يُغرِّقُه من جود كَفَّيْه فى بَحْرِ

له باليدِ البيضــاء أعظمُ آيَةٍ إذا اسودَّتِ الأيام من نُوَبِ الدَّهْرِ

وقوله فيه وقد سد جسر الجيزة:

مولاى كم من خَلَّةٍ سَدَدْتَهَا أحْسَنْتَ فيها والزمانُ قد أسَا

وغيرُ بِدْعٍ منك يا موسى إذا ضَرَبْتَ فى البحرِ طَرِيقاً يَبَسا

وقوله فيه:

يا مَنْ نَلوذُ بماله وبجاهه فنفوز بالإسْعافِ والإسْعادِ

ما إن شكونا فى الخطوب ضلالةً إلا رأينا منك موسى الهادِى

وقوله من قصيدة يهنئه فيها ببرء من مرض:

عادتْ لنا الأعيادُ والمواسمُ وَصحَّتِ العَلْيَاءُ والمكارمُ

وأضْحَت الأرضُ عروساً تُجتلَى فنقَّطَتْهَا بالنَّــدَا الغمائمُ

ومالتِ الأغصانُ فيها طَرَباً لما تغَنَّتْ فوقهـــا الحمائمُ

واحمرَّ خدُّ الوردِ إذ قَبَّله الـــطلُّ وثَغْرُ الأُقْحُوانِ باسِمُ

/ ومنها فى المدح:

لما تَوَلَّى حِلْمُهُ قلنـــا لَهُ مما رَأَيْنا أنتَ موسى[4] الكاظِمُ

إنى وإن كنت حَبِيباً عنـده فإنه للرِّزْقِ عنـــدى قَاسِمُ

٢٧٨ ظ ٣

٢٧٩ و ٣

(١) فى م . ت : لحسنك .

(٢) فى م . ت : جسرت .

(٣) فى م . ت : فقر .

(٤) يشير إلى موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب ، توفى سنة ١٨٣ هـ .

ومنها فى وصف حاله :

ولا تَغُرَّنْكَ منـــــه جُوخَةٌ فصلَّهَا وهوَ عليهـــــا نادِمُ

كم أعْجَبَتْهُ نفسه فيها إلى أن نَفِدَتْ من كُمِّه الدراهمُ

وبَيْعُها فى البَرْدِ غيرُ ممكن ورَهْنُها لا يرتَضيه الحازمُ

وحَسْبُ من كاتَمَ ما يَسُوءُهُ خَوْفُ أعاديه الذى يُكاتِمُ

لولا الجنون لم يكن ذو فاقةٍ مثلى لأرباب الغِنَى يُزَاحِمُ

وقوله من قصيدة يمدح بها صدر الدين عبد الرحمن بن القرمسينى ، وهو يومئذ ناظر ثغر الإسكندرية فى سنة ثمان وعشرين وستمائة :

بَذْلُ وَجْهِى إلا لمثلك بِذْلَهْ واعْتِزَازِى بغيرِ جاهِكَ ذِلَّهْ[1]

يا جواداً سحابُ كَفَّيْهِ بالجو د على كل قاصدٍ مُسْتَهِلَّهْ

والذى لو رآهُ فى دَسْتِهِ الفضـــــلُ[2] بن يحيى لجاء يَطْلُبُ فَضْلَهْ

لك نَيْلٌ قد أخجل النِّيلَ جوداً وغَدَا دونه الفُرَاتُ ودِجْلَهْ

سيدى صَدْرَ الدين دعوةَ عَبْدٍ لم تَزَلْ طَرْقُهُ لمدحك مَهْلَهْ

بالذى قد أعطاكَ جاهاً وقد مــــدَّ على الخافِقَيْنِ بالأمْنِ ظِلَّهْ

لا تَكِلْنِى إلى سواكَ فإنِّى جئتُ أشكو إليك كَثْرَةَ قِلَّهْ

حاشَ لله أن أحِيدَ بوجهى عنك يا مالكى وبابُك قِبْلَهْ

ضاقَ صدرى مما أطالبُ دهرى ببلوغ المُنَى ويُظْهِرُ مَطْلَهْ

وإلى كم كذا أذمُّ زمانى ضَجَراً[3] لا يفيد والأمر لِلَّهْ

ولعبْدِ الرحمن أشكو زماناً قتلتْنِى صُرُوفُهُ ألف قِتْلَهْ

---

(1) هكذا البيت فى م . ت وقد كتبه ابن سعيد مضطرباً هكذا :

بذل وجهى إلا لغيرك بذله واعتزازى لغيرك زله

ولعله سهو منه ، والبذلة : الابتذال .

(2) هو وزير هرون الرشيد ، وكان يشتهر بالكرم .

(3) فى م . ت : ضجراً

٢٧٩ظ
٣

ومنها :

ضاقَ صدرى همًّا [1] ولو لم أُهدِّدْ بكَ دهرى ما كان ينجرُّ خبْلَه [2]

تارةً أغتدى بدمياط أرجو الـرِّزقَ منها [3] وتارةً بالمحلَّه

بين قومٍ قد صيَّروا [4] المنع والمـنَّ لهم فى الزمان دأْباً ومِلَّه

فاغْنِنى عن سؤال كل لئيمٍ قد علا قدره وإن كان سِفْلَه

معشرٌ ماظفرتُ منهم عَقيب الـ قصْدِ عند السؤال إلا بخجْلَه

ومتى غبت عنهمُ عتبُونى ومتى جئتهم رأوا ذاك ثقْلَه

/ أنا فيهمْ عارٍ وماشٍ وغيرى وهْو دونى له ثيابٌ وبَغْلَه

لىَ نِصْفيةٌ تعدُّ من العُمْـرِ سنينا غَسلْتُها ألْفَ غَسْلَه

لا تَسَلْنى عن مشتراها ففيها منذ فَصَّلْتُها نِشاءُ بجُمْلَه

نَشَّف الريحُ صدْرَها والأرازِيـبُ [5] فباتتْ تشكو هَواءً ونَزْلَه

ظَلَمَتْها الأيَّامُ حكما فأضْحَتْ فى العذاب الأليم من غير زَلَّه

كلَّ يومٍ يحوطها العصْرُ والدَّقُّ مراراً وما تَقِرُّ بجُمْلَه [6]

فهْىَ تَمْتَلُّ كلما غسلوها ويُزيلُ النَّشاءُ تلك العِلَّه

أين عيشى بها القديمُ وذاك الـتِّيهُ فيهـا وخَطْرَتى والشَّمْلَه

حيث لا فى أجنابها رُقْعَةٌ قَـطُّ ولا فى أكمامها قطُّ وَصْلَه

قال لى الناس حين أطنبتُ فيها بَسِّ أكثرتَ خلِّها فهْىَ [7] بَقْلَه

وقوله من قصيدة يمدحه بها :

سَرَى فى دُجًى من شَعْرِهِ فحكا البَدْرَا وأبْدَى لنا من ثَغرِه الأَنْجُمَ الزُّهْرَا

وحَيَّا بكأسٍ فعلُها فعلُ جفْنِه غَلِطْتُ ومَنْ للخمر أن تُشْبِهَ السِّحْرَا

٢٨٠ و
٣

---

(١) فى م . ت : ضاقت الأرض بى .

(٢) فى م . ت : حبله .

(٣) فى م . ت : فيها .

(٤) فى م . ت : المن والمنع .

(٥) الأرازيب : جمع إرزبة وهى عصية من حديد .

(٦) فى م . ت : بعمله .

(٧) فى م . ت : وهى .

بعينيك عطلْ هذه الكأس[1] واسقنا
بعينيك ما يغتالُ ألبابنا سُكْرا

أدرْ خمرةَ الألحاظِ فيها[2] لأنها
بتأثيرها فى العقل من أختها أدْرَى

/لحى اللهُ عذّالى عليك فإنما
تزيَّدتَ لما زاد عذلهمُ إغرا

أيطمعُ فى صبْرِى العذولُ وإنَّ[3] منْ
يصاحب قلباً فى الهوى يعرف الصبرا

أبثُّك ما ألقاه من لاعجِ الجوى[4]
وإن كان واشى السُّقمِ لم يُبْقِ لى سرّا

عذرْتُ فؤادِى حين ضاقتْ جوانحى
عليـــهِ وقد أوسعْتُه بالجفا ذُعْرا

وبتُّ وطرْفى فيـــك باكٍ مُسهَّدٌ
فلا دمْعتِى ترْقا ولا مقْلتى تكْرا[5]

وعندى بهـذا الدهر شُغْلٌ عن الهوى
وإن كنت لا أختارُ أن أعتبَ الدهرا

متى لُمْتُه أغـــراهُ لومى بفعْلِهِ
وتنْشـــدُ آمالى لعلَّ له عذْرا

ولن يُعْدِمَ الإعدامُ من كَنْزُهُ المُنى
ولن يختشى الأيامَ من يرْتجى الصَّدْرا

ومنها :

أرانا بحُسْنِ العفْو منـــه[6] عواطفاً
تؤمّننا من بأسهِ البطْشةَ الكبْرى[7]

مكارمُ أخلاقٍ لو أنَّ زماننا
تعلَّمها ما ساءنا قطُّ بل سرّا

ولم يرْضَ يوماً للمسىء إذا أسا
مقابلةً لكنه يرتضى الجبْرا

ولن[8] تستطيعَ السُّحْبُ تحْكِى بنانه
وكيف تبارى ديمةٌ أبحراً عشْرا

إذا هزَّ فوق الطِّرْسِ منـــه أناملا
تأمّلْ بحارَ الجود تبْدِى لك الدُّرّا

وإنْ نظَمَ[9] الشعْرَ البديعَ سمِعْتَ من
بديهتهِ ما يَبْهرُ العقلَ والفكْرا

/ولو تعقِلُ الوُرْقُ السّواجعُ سجْعَهُ
لراحتْ وقد أزْرَى بها منه ما أزْرَى

٢٨٠ ظ
٣

٢٨١ و
٣

(١) فى م . ت : الراح .
(٢) فى م . ت : فينا .
(٣) هكذا فى م . ت ، وفى الأصل : ولست .
(٤) هكذا فى م . ت ، وفى الأصل : الجور .
(٥) تكرى : من الكرى أى النوم .
(٦) فى م . ت : عنه .
(٧) الشطر فى م . ت : تؤمننا من بطشه الآية الكبرى .
(٨) فى م . ت : ولا .
(٩) فى م . ت : سمع .

وإن ذكر التاريخ يوماً[1] بمقتضى بلاغته حلّى الزمان الذى مرّا

أيا ابن علىّ أنت فاضل عصرنا وإنك أن تدعى بفاضله أحرى

وأنت الذى ما زال للقصد قبلةً ونائله شفعاً وسؤدده وترا

ومغناه للراجى مجنّاً وجنّةً فها نحن فيها لا نجوع[2] ولا نعرا

تهنّ بعيد أنت أكبر عيده تضاعف فى الأولى الثواب وفى الأخرى

فصلّ به وانحرْ عداك فإنهم على نقصهم لا يأمنون بك النحرا

ولا زلت أعلى العالمين مكانة وأنفذهم حكماً وأرفعهم قدرا

وقوله من قصيدة فى المذكور :

بانَ اصطبارى والكرا منذ بانْ بدرُ دجًى يحمله غصنُ بانْ

شاهده القلبُ وإن كان قد غيّب واستوحش منه العيانْ

لاقيتُ من بعد فراقى له وجداً شجاعاً وسلوًا[3] جبانْ

ما ضرّه لو كان للصبِّ من خوف تجنّيه عليه أمانْ

واحرّ قلباه وللعين فى خدّيه من حسنهما جنّتانْ

فى صدغه الآس وفى خدّه الـ وردُ وفى مبسمه الأقحوانْ

/ أسكنته قلبى وفيه لظًى والحور لا تسكن إلا الجنانْ

له من الصدر مكانٌ وللصـ ـدر من العلياء أعلى مكانْ

العالم العامل والفاضل الفاصـ ـل حكماً بوجيز البيانْ

والناظر اليقظان أغنته عن سود جفون اللحظ بيض الجفانْ

والكامل الفضل السريع الندى والوافر العرض البسيط البنانْ

وخلقه ينبيك بالحسن عن[4] أسرار أخلاق لديه حسانْ

ذو طلعة كالبدر فى التمّ بل كالشمس لولا هالة الطيلسانْ

لو جمع الرحمن شملى به تفرّقت عنى صروف الزمانْ

٢٨١ظ
٣

(١) فى م . ت : منه .

(٢) فى م . ت : لا نجنّ .

(٣) فى م . ت : بسلو .

(٤) الشطر فى م . ت : وخلقه بالحسن ينبيك عن .

وقوله من قصيدة فى المذكور :

سارَ والقلبُ فى يديه مقيم فله منــــه مُقْعِدٌ ومقيمُ

بانَ عنى فكدت أفنى اشْتِياقاً كيف تَبْقَى بعد النفوس الجسومُ

رَشأٌ كلما بدَا وتَثَنَّى قلت بدرٌ يُبْديه[1] غُصْنٌ قويمُ

رِيقُهُ خمرةٌ ومن فمه الكأ سُ وخدَّاه الوردُ وهْوَ النديمُ

ساحرُ المُقْلَتيْنِ فاعجبْ لقلبٍ نَفَذَ السحرُ فيه وهْوَ الكليمُ

يا غنيًّا بالحسن[2] ها أنا فى الحـــبِّ فَقِيرٌ من السلوّ عديمُ

عجبى منك كيف تسألُ عما حَلَّ بى فى الهوى وأنت عليمُ

يا زمانَ الوِصال ما كان أحلا كَ فمن لى لو كنتَ شيئًا يدومُ

أيْنَ أيامنا التى سلفتْ وهْـــىَ بجيدِ الزمانِ عِقْدٌ نظيمُ

وثغورُ الرياض تَبْسِمُ بالنَّوْ رِ إذا ما بكتْ عليها[3] الغيومُ

والليالى كأنما هى أسحا رٌ فكلُّ الهواء فيها نسيمُ

زمنٌ مَرَّ وهْوَ حُلْوٌ وعَيْشٌ فاتَ فيه من المُنَى ما أرومُ

شَغَلَتْ فيه مِسْمَعى نَغْمَةُ العيـــدانِ عمَّنْ يَلْحَى وعَمَّنْ يلومُ

كان صدرى به كأيامِ صَدْرِ الـــدين لا تَهْتَدِى إليه الهمومُ

الرئيسُ المذكور والسيِّدُ المشــكورُ حكماً والصاحبُ المخدومُ

والإمامُ الذى هو البحرُ لكنْ[4] هُوَ عَذْبٌ والموجُ فيه العلومُ

صاحبُ السَّطْوة التى يقعد الدهْــرُ امْتِثالًا لأمرها ويقُومُ

رَبُّ جودٍ للقاصدين لمغْنَا[5] هُ جِنانٌ فيها نعيمٌ مقيمُ

بَيْتُهُ كَعبةٌ ومن بابه للـــوفد رُكْنٌ مُقبَّلٌ مَلْثُومُ

ولهم من ولائه العُرْوَةُ الوُثْـــقَى التى عقدُ غيرها مَفْصُومُ

(١) فى م . ت : يثنيه .
(٢) فى م . ت : فى الحسن .
(٣) فى م . ت : عليه .
(٤) فى م . ت : عاما .
(٥) فى م . ت : إلى مغناه .

٢٨٢ و / ٣

٢٨٢ ظ
٣

كَفُّهُ زمزمٌ تُفيضُ على العا فين جودا والمالُ فيها(١) الحطِيمُ(٢)
/هو أولى بالرَّفع إِنْ أعربَ الدَّهـ ـرُ وعُمْرُ العِدا به مجزُومُ(٣)
نثرَ المالَ واغتدَى ينظمُ المجْـ ـدَ فمنه المنثورُ والمنظـومُ
عارفٌ بالبديعِ لم يخفَ عنه الـ ـنقصُ منّا يوماً ولا التّتْميمُ(٤)
ويُجيزُ الإيطاءَ(٥) فى الجود لكن شأْنُنَا نحنُ فى المديحِ اللزومُ(٦)
وإذا ما اعتمدتُ نقْدَ بيوتِ النـ ـاسِ أضحى لبيتِهِ التّقْديمُ
شادَ مجداً بناه والدُهُ المرْ جوُّ فينا وجَدُّهُ المرحومُ

ومنها فى وصف النيل :

لا تَسلْني عما لقيتُ من البَيْـ ـنِ فحالُ الغريبِ حالٌ ذميمُ
كنتُ فى كلّةٍ(٧) تطيرُ بقِلْعٍ وهْيَ طورا على المنايا تحُومُ
أنظُرُ الموجَ حولها فأخال الـ ـجيمَ تاءَ لخيفتى وهْيَ جيمُ
لم أجد لى فيها صديقاً حميماً غيرَ أنى بالماء فيها حميمُ
شنقوا قلْعَهَا مراراً على الرِّيـ ـحِ ولا شكَّ أنه مظلومُ
وإذا ما دنتْ إلى البرِّ أمسَى عندنا منه مُقْعَدٌ ومُقيمُ
يسْجُدُ الجُرْفُ كلما ركع المَوْ جُ فدأْبى هنالك التّسْليمُ
وقبيحٌ علىَّ أن أشتكى بـ ـرّاً وبحْراً وأنت برٌّ رحيمُ

٢٨٣ و
٣

/ومنها فى وصف حاله :

وله زوجةٌ متى نظرتهُ حبِلَتْ ليتها(٨) عجوزٌ عقيمُ

---

(١) فى م . ت فيه .
(٢) الحطيم : حجر الكعبة أو مابين الركن وزمزم والمقام ، والتورية واضحة .
(٣) يتصنع هنا الجزار لاصطلاحات نحوية .
(٤) التتميم : لون من ألوان البديع ، والتورية واضحة .
(٥) الايطاء فى الشعر : تكرار القافية لفظاً ومعنى .
(٦) اللزوم فى الشعر : التزام حرف أو أكثر قبل الروى .
(٧) هكذا فى م . ت وفى الأصل : كلة .
(٨) فى م . ت : خيلت أنها .

ظلَّ فى أسْرِها لأجل كتابٍ مُعْلَمٍ يقْتضِى به المعلومُ
فهْوَ يخشى الطلاق فقْدًا[1] وإن دا رَ وراها يُصُدُّهُ التحْرِيمُ

ومنها :

وثيابى قد بتُّ أندُبُها خو فَ قدومِ الشتاء وهْىَ رسومُ

وقوله من قصيدة فى المذكور وبعثها إليه إلى المحلة :

لى من الشمس خِلْعَةٌ صفراء لا أبالى إذا أتانى الشتاءُ
ومن الزمهرير إن حدث الغَيْمُ ثيابى ، وطَيْلسانى الهواءُ
بَيْتِىَ الأرضُ والفضاء به سُو رٌ مُدارٌ وسقْفُ بَيْتِى السَّماءُ
لو ترانى فى الشمس والبردُ قد أنْحَلَ جسمى لقلتَ إنى هَبَاءُ
لى من الليل والنهار على الطو لِ عزاءٌ لا ينقَضِى وهَنَاءُ
فكأنَّ الإصْباحَ عندى لِمَا فيهِ حَبِيبٌ رقيبُهُ الإمساءُ
شَنَّعَ الناسُ أنَّنِى جاهلٌ ما نوِىٌّ وما لهم أهواءُ
/ أخذونى بظاهرٍ إذ رأونى عَبْدَ شمسٍ تَسُوءُهُ الظلماءُ
إنَّ فصل الشتاء منذ نحا[2] جسمى أبدتْ ثيابَهُ[3] الأعْضاءُ
فبهِ عظمىَ المبرَّدُ إذ عَزَّ الكسائىُّ واحتمى الفرَّاءُ[4]
آهِ واحَسْرتِى لقد ذهبَ العُمْرُ وحظِّى تأسُّفٌ وعَنَاءُ
كلما قلتُ فى غدٍ أُدْرِكُ السُّؤْ لَ أتانى غدٌ بما لا أشاءُ
لستُ ممن يخصُّ يوما بشكوا هُ لأنَّ الأيام عندى سواءُ
حارَ فكرى وضاق صدرى وإن حا زَ هموماً يَضِيقُ عنها[5] الفضاءُ
كلَّ يوم أُنِيلُ قَلْبِىَ بالفكـ ـرِ نعيماً يعود وهْوَ شقاءُ
ليت شعرى متى يُنَزِّهُ شِعْرِى عن ظنونٍ للفكر فيها رجاءُ
أَتُرَى هل أعيش حتى يقول النا سُ فيه نزاهةٌ وإباءُ

٢٨٣ ظ
٣

(١) فى م . ت : فقراً .
(٢) فى م . ت : نجا .
(٣) هكذا فى م . ت وفى الأصل بيانه .
(٤) المبرد والكسائى والفراء : نحاة معروفون .
(٥) فى م . ت : منها

يا فؤادى صبراً فما زالت الأيـــام فيها[1] السراء والضَّراء
أنت يا قلبُ بعد فرقتك الصَّد ر غريبٌ وهكذا الغرباء

ومنها فى المدح :

لىَ من جاهه وأخلاقه عنـــد هجير الخطوب ظلٌّ وماء
أيهذا الرئيسُ دعوةَ عَبْدٍ أصبح الحُزْنُ دأْبَهُ والبكاء
/ مات فقراً وأصلُ ذلك إذ ما تتْ من اللُّؤم أنفسٌ أحياء
لا تسلْنى عنهم فعبدك فى الشِّعْـــر حبيبٌ[2] وهم له أعداء
أبعدونى مخافةَ الشكر حتى أوهمونى أنَّ المديح هجاء
وإلى عدلك الكريم[3] أشتكى جَوْ ر الليالى فاصنعْ إذا ما تشاء

وقوله يشكره على كُسْوة بعث بها إليه :

أشكرُ مولانا ونصفيَّتى تشكره أكثرَ من شُكْرى
أراحها جدْواهُ من كلِّ ما تشكوه من دقٍّ ومن عصْر
كم مرةٍ كادتْ مع الماءِ إذْ يَغسلها غسَّالها تجْرى
تموتُ فى الماجور لولا النَّشا يبْعثُها فى ساعة النَّشْر
أراحها الدهر وطوبَى لمن يُريحُهُ فى آخرِ العمْرِ

وقوله فيه لما تولى نَظَرَ الغربية :

افعلْ معى ما أنت أهلُهْ يا مَنْ لديه الفضــلُ كلُّهْ
يا حاكماً عمَّ البــريَّــــة بعد ظُلْمِ سواهُ عَدْلُهْ
يا مَنْ تشرَّفتِ المحلَّـــة إذْ غـــدا فيها مَحلُّهْ
مولاىَ لا تُبْدِ اشْتغَا لاً عن محبٍّ أنت شُغْلُهْ
/ ضاقتْ عليــهِ يا رحيــبَ الصَّدْرِ منذ رحلْتَ سُبْلُهْ

284 و
3

284 ظ
3

(1) هكذا فى م . ت ، وفى الأصل : فينا .
(2) حبيب لها معنيان : ضد عدو ، وحبيب الشاعر وهو أبو تمام ، والتورية واضحة .
(3) فى م . ت : العميم .

كَفَرَتْ به الأصحابُ إذ أوراقُه بالشُّعْــرِ رُسْلُهْ
وتباعدتْ عن قُرْبِه إخْوانُه وجَفَتْه (١) أَهْلُهْ

وقوله من قصيدة فى المذكور :

أَقْبَلَ مثلَ البــدر فى تمامه تحفُّه الهالةُ من لثامِه
وَمزَّقَتْ أنوارُه ثوبَ الدُّجى مذ أطلعَ الأنجمَ بابْتِســامِه
وماسَ فاشتاقتْ غصونُ البانِ أنْ تنقُل ذاكَ اللِّينَ عن قوامِه
أصْمَى قلوبَ العاشقين طَرْفُهُ ظُلْماً بمــا فوَّقَ من سِهامِه
يا جَفْنَهُ رِفْقاً بصبٍّ مُدْنَفٍ سقمُكَ أضحَى الأصْلَ فى سقامِه
وأنتِ يا أعطافَــه هل عطْفَةٌ على مشُوقِ القلْبِ مُسْتَهامِه
مَنْ لى بمن فى خدِّه ماءٌ حيًّا فوق لهيبٍ دامَ فى اضطرامِه
كم ليــلةٍ أسكرنى بريقِه (٢) أغنَتْ (٣) بكأسِ الثَّغرِ عن مُدامِه
وبِتُّ لا أجْزَعُ من حُرّاسِهِ إذ فَــرْعُه أبْدَى دُجَى ظَلامِه
وبيننا طِيبُ عِناقٍ طالمــا ألزمنى شــوقى بالْتِزامه
هذا هو العيشُ الذى وَدِدْتُ لو (٤) ساعدنى الدهــر على دَوَامِه

٢٨٥ و / ٣

/ ومنها فى المدح :

صَــدْرٌ به لله سِرٌّ مودَعٌ تُذيعُه (٥) الحِكْمَةُ من أحكامه
وَاخَجْلةَ البيضِ ويا وَيْحَ القَنَا الــسُّمْرِ بما يُبْديه من أقلامِه
عزائمٌ رَدَّ بهــا الأيامَ من أعوانه والدَّهْرَ من خُدَّامِه
ويقظةٌ قد خصَّه اللهُ بهــا توحى إليه الغيبَ من إلهامه
وسَطْوَةٌ لو نظر اللَّيْثُ لها (٦) لأعْمَلَ الحِيلة فى إحجامِه

---

(١) فى م . ت : وجفاه .
(٢) فى م . ت : ريقته .
(٣) فى م . ت : أغنى .
(٤) فى م . ت : أن لو ساعد الدهر .
(٥) فى م . ت : بديعة .
(٦) الشطر فى م . ت : وسطوة لو فطن الليث بها .

وقوله وقد عُصر بعض أعداء [١] الصَّدْر :

والعَصْرِ إنَّ عِـدَاكَ فى العَصْرِ وقد انْتَهَوْا لِهِدَايَة [٢] الُخسْرِ

ظلموا فما أبْقَوْا لهم وَزَراً يُنْجِى ولا سَلِمُوا من الوِزْرِ

ظهروا لنورك وهْوَ شَمْسُ ضُحًى فتضاءلوا كتضاؤل الذَّرِّ [٣]

مكروا وقد مكرَ الإلهُ بهم شتَّانَ بين المَكْرِ والمَكْرِ

دَعْهُم فلا بَرِح التغابُنُ من حسَدٍ يُوَاصلهم إلى الحشْرِ

وانشدْ إذا ما زرتَ تُرْبَتَهُم مُتَهَكِّماً [٤] فى السِّرِّ والجهرِ

ماتوا بغيظهمُ وما ظفِـــرُوا بمــرادهم وَاضَيْعَةَ العُمْرِ

ومنها :

/ومن العجائب كَوْنُهُمْ جهلوا أن العلومَ وديعةُ الصَّدْرِ [٥]

لولا أخافُ اللهَ قلتُ لمن يَرْوِى مديحك اُتْلُ يامقْرِى

حَجَّتْ لك العافونَ فازدحموا كتزاحم الآمال فى الفِكْرِ

نالوا المنى بِمِنَى جنابك فاختـــاروا [٦] المُقَامَ بها على النَّفْرِ [٧]

٢٨٥ظ
٣

وقوله من قصيدة فى المذكور وهو بالإسكندرية :

أرى الإسكندريَّة ذات حُسْنٍ بديعٍ ما عليــهِ من مزيدِ

هِىَ الثغر الذى يُبْدِى ابتساماً لتقبيل العُفَاةِ من الوفود

إذا وافيْتَهَا لم تُبقِ [٨] هَمًّا بِقَلْبِكَ مُذْ تَرَاها من بعيد

حَلَلْتُ بظاهرٍ منها كأنِّى حَلَلْتُ هناك [٩] جنَّاتِ الخلودِ

---

(١) فى م . ت : أعدائه .
(٢) فى م . ت : لبداية .
(٣) فى م . ت : البدر .
(٤) فى م . ت : متمكناً .
(٥) فى كلمة الصدر تورية واضحة .
(٦) فى م . ت : فاجتازوا .
(٧) النفر من منى : النزول منها وهو من مراسيم الحج .
(٨) فى م . ت : يبق م .
(٩) فى م . ت : إذن بجنات .

فلا بئرٌ مُعطَّلةٌ وكم قد رأَيْتُ هناك من قَصرٍ مَشِيدِ

بياضٌ يملأُ الآفاقَ نورًا يُبشِّرُ بَرْقُهُ بسَحابِ جُودِ

وأُقْسِمِ لو رأَتْها مِصْرُ يوماً لكادتْ أن تغيبَ من[1] الوجودِ

وكم قَصْرٍ بها أضحى كحِصْنٍ منيعٍ لا كَزَرْبٍ[2] من جريدِ

يَرُصُّ فصوصَهُ بانيه رصًّا يفصِّلُهُ على نَظْمِ العقودِ

لها سورٌ إذا لاقى الأعادى يقابلهم بوجْهٍ من حديدِ

/هو الفلكُ استدار بها وكم قد رأينا فيه من بُرْجٍ سَعِيدِ[3]

أحاط بسُورها بحْرٌ أُجاجٌ ومَنْهَلُ أهلِها عَذْبُ الورودِ

همُ السادات لا يُخْشَى ويُرْجَى سواهمْ عند وَعْدٍ أو وعيدِ

وحسبك أنَّ صدر الدين منها وذا مِنْ مدحها بيْتُ القصيدِ

إمامٌ جلَّ قدراً أن يُهَنَّى بشهرٍ أو بعشرٍ أو بعيدِ

لأن الدهرَ عبْدٌ والموالى لعمْرُكَ لا تُهَنَّأُ بالعَبِيدِ[4]

وقوله من قصيدة يمدح بها الأمير جمال الدين بن يغمور :

أبُرُوقٌ يلوح منها وَميضُ أم ثغورٌ كأنها الإغْرِيضُ[5]

شامَ طَرْفى من المباسم بَرْقاً عَلِمَ الدمعُ منه كيف يَفيضُ

بأَبِى من به شفائى وإن أمْـــرَضَ منه الفؤادَ جفْنٌ مريضُ

فمُهُ كأسُهُ وريقتُه[6] الخمْـــرُ ومن وجنتَيْهِ رَوْضٌ أريضُ

رَاقَ طَرْفى من خدِّه الأحمرِ الأبْيَـــضِ ذاك التذهيبُ والتفْضيضُ

يا عذولى دعنى من العَذْلِ إن النُّـــصْحَ فى مذهب الهوى تحريضُ

مِتُّ لما نأى فها أنا مندو بُ فراقٍ وحبُّه مَفْرُوضُ

يا رسولَ الحبيب بالله عَرِّضْ بحديثى إن أمكنَ التَّعْرِيضُ

---

(١) فى م . ت : عن .
(٢) فى م . ت : كبيت ، والزرب : بيت الغنم .
(٣) الشطر فى م . ت : رأينا فيه موجاً من بعيد .
(٤) الشطر فى م . ت : تجلّ فلاتهنا بالعبيد .
(٥) فى م . ت : إغريض ، وهو الطلع .
(٦) فى م . ت : ومن ريقه .

٢٨٦ظ
٣

بانَ مثلَ الصِّبا وإنَّ كلا الإلْـــفَيْنِ لا يُرْتَجَى له تعويضُ

ولقد كنتُ بالشباب جَمُوحاً غير أن المَشيبَ ممَّا يرُوضُ

أقعدَتنِي الأيامُ عن لذَّةِ العَيْـــشِ بشَيْبٍ له بفَودِى نُهُوضُ

وتَعَجَّبْتُ إذ رأيتُ الثلاثيـــن وخَتْمُ الصِّبَا بها مَفْضُوضُ

شَيَّبَتْنِي بالهمِّ أحداثُ دَهْرٍ ضِعْتُ فى أهلها[1] وضاع القريضُ

صَيَّرَ الدهرُ شَعْرَ رأسِىَ شَعْرًا يعتَرِيهِ التَّسْويدُ والتَّبْييضُ

فلهذا سمعى يُصِيخ إلى العَذْ لِ وطَرْفى عن كل حُسْنٍ غَضِيضُ

ولقد قلتُ للزمان وإن كا نَ إليهِ فى أمرِىَ التَّفْويضُ

لستُ ممن يَخْشَى إذا اسودَّ خَطْبٌ ولموسى عندى أيادٍ بيضُ

رفعَ الله لى بمَدْحِ ابن يَعْمُو رٍ عُلاً قَدْرُ غيرِها مَخْفُوضُ

ربُّ بأسٍ لنارِهِ أىُّ إضرا م[2] وجودٍ على العُفاة يَفِيضُ

ثابتُ الجأْشِ باسمُ الثَّغْرِ[3] والأبْطَالُ فى لُجَّةِ الدماء تَخُوضُ

كاملُ الفضل ذو نوالٍ سريعٍ يتحَلَّى بالوصف منه العَرُوضُ

لم يَشِنْ بَيْتَهُ زحافٌ[4] ولا بَسْـــطُ يديهِ يومَ النَّدَى مَقْبُوضُ[5]

٢٨٧و
٣

وقوله من قصيدة فى مدح برهان الدين بن / الفقيه نصر[6] :

قَطَعْتُ شَبِيبَتِى وأَضَعْتُ عُمْرِى وقد أَتْعَبْتُ فى الهَذَيانِ فِكْرِى

وما لى أجرةٌ فيهِ ولا لى إذا ماماتُّ[7] يوما بَعْضُ أجْرِ

قرأتُ النحوَ تِبْيَاناً وفَهْماً إلى أن كُعْتُ[8] منه وضاق صدرى

---

(١) فى م . ت : أهله .

(٢) فى م . ت : اضطرام .

(٣) فى م . ت : باسم الثغر ثابت الجأش .

(٤) الزحاف : تغيير فى عروض الشعر يصيب أسباب تفاعيله بحذف أو تسكين ونحو ذلك ، والتورية واضحة .

(٥) مقبوض من القبض ، وهو حذف خامس التفعيلة الساكن ، مثل مفاعيلن تصبح مفاعلن ، والتورية ظاهرة .

(٦) فى م : ت زيادة هى : فى سنة سبع وعشرين وستمائة .

(٧) فى م . ت : تبت .

(٨) كاع : هاب وجبن .

فما استنبطتُ منه سوى محالٍ | يُحال به على زيدٍ وعمرو
وفى علم العروض دخلتُ جهلاً | وعُمتُ بخفّتى[1] فى كل بحرٍ
فأذكرنى به التفعيلُ بيتاً | تضمّن نصفَه الشيخُ المعرّى
مُفاعلتن[2] مفاعلتن فعولُن | حديثُ خُرافةٍ يا أمَّ عمرو
وكم يومٍ ببيعِ اللحمِ عندى | يُعدُّ من البوارِ بألفِ شهرِ
ولما أن غدا لا بيعَ فيه | مع الميزان أشبهَ يومَ حشرِ[3]
ودُكّانى جهنّمُ إذ زبونى | زبانيةٌ بهم تعذيبُ سِرّى
وفيها زفرةٌ من غير لحمٍ | وقد وُضعتْ سلاسلُها بنحرى
وقد طال العذابُ علىَّ فيها | لمَا قدّمتُ من بخسٍ[4] ووزرِ
وعمّى قد غدا غمّى وأمسى | يحطُّ ببخلِه قدرى وقدرى

ومنها فى المدح :

وإنّ الشعرَ دون علاه قدراً | ولا سيما إذا ما كان شعرى
لأنى[5] ما قرأتُ له صِحاحاً | ولا نحوا على الشيخ ابن برّى[6]
وقد شاركتُ فى لغةٍ ونحوٍ | بلا علمٍ وشاعَ بذاك ذكرى
وعيشِك لستُ أدرى ما طحاها[7] | وقد أقررتُ أنى لستُ أدرى
وذا خبرى ولو كشفتَ عنى | لصغّره بعلم الجهل خُبرى
كأنى مثلُ بعض الناس لما | تعلّم آيتين فصار مُقرى[8]

وقوله من قصيدة :

ما زلتُ فى الدنيا من الهمِّ | طولَ زمانى وافرَ القسمِ

٢٨٧ظ
٣

(١) فى م . ت : لخفتى .
(٢) فى م . ت : مفاعيلن مفاعيلن .
(٣) فى م . ت : حشرى .
(٤) فى م . ت : نحس .
(٥) فى م . ت : كلاما .
(٦) هو عبد الله بن برى المصرى النحوى اللغوى صاحب التصانيف توفى سنة ٥٨٢ هـ .
(٧) معنى طحا : بسط ، ولعله يشير إلى الآية الكريمة : «والأرض وما طحاها» يريد أن يدل على جهله .
(٨) فى م . ت : يقرى .

فالحمدُ للهِ الذى حُكْمُهُ	حَيَّرَ [1] فى أُفْقِ السَّما نَجْمِي
أصْبَحْتُ لَحّاماً وفى البيت لا	أعْرِفُ ما رائحةُ اللَّحْمِ
وليس حظى منه إلا اسمُهُ	قَنِعْتُ من ذلك بالإسْمِ
واعتَضْتُ من فقرِى ومن فاقتِي	عن التذاذ الطَّعْمِ بالشَّمِّ
جَهِلْتُهُ فقراً فكنتُ الذى	أضلَّه اللهُ على عِلْمِ

وقوله :

حَسْبِي حِرافاً [2] بحِرْفتى حَسْبِي	أصْبَحْتُ منها مُعَذَّبَ القَلْبِ
مُوَسَّخَ الثوبِ والصحيفة من	طول اكتسابى ذَنْباً بلا كَسْبِ
أعمل فى اللَّحْمِ للعشاء ولا	أنالُ منه العشَا فما ذَنْبِي
خَلِّى فؤادى ولى فَمٌ وَسِخٌ	كأنَّنى فى جِزارتِي كَلْبِي

288 و
3

وقوله وقد اكتسب بالشعر ثم عاد الى الجزارة ، فعاتبه على ذلك شرف الدين بن قديم :

لا تَلُمْنِي يا سيدى شَرَفَ الدِّيـ	ـنِ إذا ما رأَيْتَنِي قَصَّابَا
كيف لا أشكرُ الجزارةَ ما عِشْـ	ـتُ حفاظاً وأَرْفُضُ الآدابَا
وبِها أضحَتِ الكلابُ تُرَجِّيـ	ـنِي وبالشِّعْرِ كنت أرجو الكلابَا

وقوله :

يا لقومى أنا من فَقْـ	ـرِىَ فى أنْحَسِ حالَهْ
حين آلى الدَّهْرُ أنى	لا أرى من فيه آلَهْ
ضاق صدرى وأضرَّتْ	بى مع الفقر البطَالَهْ
وأرى الآمال للعُدْ [3]	ـمِ وإنْ لذَّتْ علالَهْ
وأبى قد بات [4] منِّى	يَسْأَلُ [5] اللهَ الإقالَهْ

---

(1) فى م . ت : قد خر .

(2) يريد الجزار بالحراف : الحرماق .

(3) فى م . ت : للمرء .

(4) فى م . ت : مات .

(5) فى م . ت : نسأل .

مَلَّنى فقراً وإن كا ن شفيقاً لا محالَهْ

/كلَّ يوم أطْرُق الخبَّـــازَ منـــــه بحِوَالَهْ

فرَغَتْ دُكَّانُهُ لو أنَّهَا دارُ الوِكالَهْ

٢٨٨ظ
٣

وقوله :

طَلَبْتُ من الكَتَّان فصًّا فجادَ لى الـــوجيهُ بوعـــدٍ عوَّضَ المَنَّ بالمَيْنِ

متى جِئْتُهُ يدعو عليـــه لسانُهُ إذا قلتُ أين الفصُّ قال على عَيْنِى

وقوله ، وهو واسطة فرائد شعره ، وكنت عند ما حللت بثغر الإسكندرية قد لقيته فأنشدنى من شعره ، فلم يستحق عندى إظهار غاية الاستحسان ، ولا فى الطبقة علوَّ المكان ، إلى أن أنشدنى هذا المعنى الغريب الذى غبَّر بابتداعه وافتراعه فى وجه ابن الرومى وحبيب :

مَنْ مُنْصِفِى من مَعْشَرٍ كَثُروا علَىَّ وكَثَّرُوا

صادَقْتُهُمْ وأرى الخرو جَ من الصَّداقة يَعْسُرُ

كالخطِّ يسهل فى الطُّرو س ومَحْوُهُ متعذِّرُ

وإذا أردتُ كَشَطْتُهُ لكنْ ذاك يُؤثِّرُ

٢٨٩و
٣

/وقوله :

إن كنتُ ممن راعنى [(١)] هَجْرُهُمْ أو ضِقْتُ ذَرْعاً بتَجَنِّيكُمُ

فلا أدام الله لى سَـــلْوَةً وردَّ قلبى عاشقاً فيكمُ

وقوله فى أمرد يعرف بابن [(٢)] خراج :

يا ابْنَ نُعَيمٍ دامَ ذَمِّى لِمَا سَلَكْتَهُ من قُبْحِ منهاجِ

خالفتَ من ربَّاك فى فعلهِ إذ أنت دخَّال ابن خرَّاج

---

(١) فى م . ت : راعه .

(٢) فى م . ت : بابن نعيم الخراج .

وقوله فى باب بعض الأمراء :

أمولاىَ ما مِن طِباعى الخروجُ ولكنْ تَعلَّمْتُهُ بالحَوَلْ
وصرتُ أرومُ لديكَ الغِنى فيخرجنى الضربُ عند الدخولْ

وقوله من قصيدة فى بعض أهل الإسكندرية :

أوَ ما تَرَى الإسكندريـ ـة إذْ غدَتْ تُهْجِى وتُهْجَرْ
وهىَ التى اتخـذ الزما نُ منـارَها فى الأُفْقِ مِنْبَرْ

ومنهـا :

لا يَسْتَطيع يرى رغـــيفاً عنده فى البيْتِ يُكسَرْ
فلو أنه صـلَّى وحا شاهُ لقال الخُبْزُ أَكْبَرْ
/ وله محـلٌّ فى البِغَا ءِ به تقدَّمَ مَنْ[1] تَأَخَّرْ
سلْ عنه مسعوداً ويا قوتاً ورَيْحاناً وعَنْبَرْ
كم ليلةٍ قد بات وهْـــوَ يُمَدُّ بينهم ويُقْصَرْ

289 ظ
3

وقوله فى مسلمانى[2] لا يبرح فى يده كتاب :

قالوا الفعيلُ وإن تَبيَّنَ غَيُّهُ للعالمين وغاب عنهم رُشْدُهُ
يَمْشِى وفى يده كِتابٌ قلَّما عَلِمَ امرؤٌ فى جهله ما قَصْدُهُ
فأَجَبْتُهُمْ لا تعجبوا من فعلهِ فأبوهُ من أهلِ الكُتَّابِ وجَدُّهُ

وقوله وكتب به للأمير شرف الدين يعقوب يسأله عن المجد وكيل الأمير سيف[3] الدين ابن قليج :

سيدى أنتَ هل أَتاكَ عن المَجْــدِ لذاك الحديثِ عنى جوابُ
أو تناسَى أمرى وحاشا معاليـــه فيَسْرِى إلىَّ[4] منه عِتابُ

---

(1) فى م . ت : إذ .
(2) مسلمانى هنا : نصرانى .
(3) ابن قليج : من أمراء مصر فى القرن السابع ، توفى سنة ٦٤٣ هـ انظر النجوم الزاهرة الجزء السادس فله ذكر فى مواضع متفرقة ، وأما شرف الدين يعقوب فلعله زين الدين يعقوب الذى سيأتى التعريف به .
(4) فى م . ت : إليه منى .

أذكروني فِي من البَرْدِ هَمٌّ ليس يُنْسَى وفى حشايَ الْتِهَابُ

ألْبَسَتْنِي الأَطْماعُ وَهْماً فها جِـسْمِي عارٍ ولى فِرا وثِيَابُ

كلما ازرقَّ لونُ جسمى من البَرْ دِ تَخَيَّلْتُ أنَّهُ سِنْجَابُ (١)

وقوله للأمير شرف الدين يعقوب، وقد وعده، فمطله :

/ يا أيها المولى الذى لِنَدَى كَفَّيْهِ كلُّ الجود منسوبُ

لا غرو أنْ أصبحتَ تأمُرُ بالـصَّبْرِ (٢) الجميلِ ، أنتَ يعقوب

وقوله للصاحب شرف العلا هاشم :

شَرُفَتْ بك العلياءُ ياشرف العُلاَ لمَّا علوتَ بها جميعَ العالَمِ

والكاملُ الملكُ ارتضاكَ لِعَزْمَةٍ أغْنَتْهُ عن سُمْرٍ وبيضٍ صَوَارِمِ

فاحْرُسْ برأيك مجْدَ دولته الذى مُذْ شِدْتَهُ لا يستطاعُ لهادِمِ

واجْمَعْ به شَمْلَ الفخار فإنما بمحمَّدٍ كَمُلَ (٣) الفخَارُ لهاشِمِ

وقوله وقد أمر له ببغلةٍ فوجدها قديمة :

كتبتَ لنا بذاك البُرِّ بِرًّا وقَصْدًا فى الثناء وفى الثَّوَابِ

فكَدَّر صَفْوَهُ الكَيَّالُ حتَّى بَقِينا منه فى أمرٍ عُجَابِ

وَجَدْناهُ عَتِيقاً وارْتَضَيْنَا بِهِ إذ عاد وهْو أبو تُرَابِ (٤)

وقوله :

بذاك (٥) الفُتُورِ وهذا الهَيَفْ يَهُونُ على عاشقيك التَّلَفْ

أطَرْتَ القلوبَ بهذا الجمالِ وأوْقَعْتَهَا فى الأسَى والأَسَفْ

(١) حيوان من فصيلة الثعالب له ذنب طويل ، وفراؤه جيد .

(٢) فى م . ت : بالوعد .

(٣) فى م . ت : كل وفى البيت تورية واضحة بالرسول وآله من بنى هاشم .

(٤) فى أبى تراب تورية إذ هو كنية على بن أبى طالب .

(٥) فى م . ت : بهذا .

٢٩٠ ظ
٣

تكلَّفَ بَدْرُ الدُّجى أنْ حكى ... مُحيَّاك لو لم يَشِنْهُ[1] الكَلَفْ
/ وقام بعُذْرِى فيك العِذارُ ... وأجرى دموعى لمَّا وَقَفْ
وكم عاذلٍ أنْكَرَ الوجْدَ فيك ... علىَّ فلمَّا رآك اعْترَفْ
وقالوا به صَلَفٌ زائدٌ ... فقلتُ رضيتُ بذاك الصَّلَفْ
لئن ضاع عمرىَ فيمن سواكَ ... غراماً فإنَّ عليك الخَلَفْ
فهاك يدى إننى تائبٌ ... فقل لى عفا اللهُ عما سَلَفْ
بجوهر ثغرِك ماء الحياة ... فماذا يَضُرُّك لو يُرْتَشَفْ
ولم أرَ من قبله جوهراً ... من البهْرمانِ[2] عليه صدَفْ
أكاتمُ وَجْدِىَ حتى أراك ... فيَعْرِفُ بالحالِ من[3] لا عرفْ
وهيهاتَ يَخْفَى غرامى عليك ... بطَرْفٍ هَمٍ وبقلْبٍ رَجَفْ[4]

وقوله لبعض أصحابه يعاتبه ، وقد شنع عليه فى غرض ، وتعتَّب عليه بسببه .

عثراتُ الناسِ بالناسِ تُقَالُ ... فإلى كم بيننا قيلٌ وقالُ
راعنى منك صدودٌ رائعٌ ... بعد ما قد راقنى منك وِصالُ
سيدى أنتَ وهبْها هَفْوَةً ... صَدَرَتْ منى فأين الإحتِمالُ
بالذى عافاك من وَجْدٍ بهِ ... لم يكن للصبر فى صَدْرِى مجالُ
/ لا تُحاقِقْنِى على ذَنْبٍ بدَا ... فاعتذارى عنه زُورٌ ومُحالُ
فى محيَّاى حياءٌ ظاهرٌ ... حين ألقاكَ وفى لفظى اختلالُ
فاعْفُ عنى أن تَلَجْلَجْتُ فما ... لىَ إن لم تَغْتَفِرْ قولاً يقالُ
أنا مملوكك إلا أننى ... ليس لى فى دفع ما يُقْضَى احْتيالُ
عاقبِ الأعضاء منى كلَّها ... ما خلا قلبى فما فيه احْتِمالُ

٢٩١ و
٣

وقوله ، وكتب به إلى الذكى بن أبى الأصبع الشاعر :

أُقْسِمُ باللهِ أنَّ شوقى ... إليك ما فوقهُ مَزِيدُ

---

(١) فى م . ت : يشبه .
(٢) البهرمان : العصفر والحناء .
(٣) هكذا فى م . ت : وفى الأصل : لامن .
(٤) فى م . ت : وجف .

أودعتَ يوم الوداع قلبى نارًا لها فى الحشا وَقودُ[1]
عذّبْ بغير النّوى فؤادى إن عذاب النّوى شديدُ
لا واجتماعٍ لنا تقضّى أرجو الليالى به تعُودُ
ما كان ذا البَيْنُ من مرادى لو أنّ للمرء ما يُريدُ
لم ترْضَ لى بالفراقِ حتى تَلاه من كُتْبِكَ الصّدُودُ
كُنْ كيفما شئْتَ فالموالى لا تتساوى بها العَبيدُ

وقوله :

يا هاجرى بلا سببْ إلى متى هذا الغضَبْ
/ كن كيفما شئتَ فما للقلب عنك مُنْقَلَبْ
مِثْلُكَ مَنْ أعتَبَ فى الحبِّ ومثلى من عتَبْ
يا مُسْتَرِيحاً لم أنَلْ من حُبِّه إلا التّعَبْ[2]
تالله لو ذُقْتَ الهوى ما كنت تجْفُو مَنْ أحبّ
أنكرْتَ ما بى من جوًى غالبَ صبرى فانْغلَبْ[3]
يا زمنى هل للوصا ل عَوْدَةٌ فيُرْتقَبْ
هيهات أن يرجعَ مِنْ طيبِ الليالى ما ذَهَبْ
والدهرُ من عاداته[4] أن يستردَّ ما وَهَبْ

وقوله :

أنْجَدْتِنى فى الهوى مذ أنْجَدُوا أَدْمُعٌ أضحتْ بشوقى تشْهدُ
خذ حديثى بعد سُكّان الحِمى فهْو[5] عن قلبى وَطرْفى مُسْنَدُ[6]

---

(١) فى م . ت : خلود .

(٢) هذا البيت فى م . ت : موضعه وراء الذى يليه .

(٣) فى م . ت : فغلب .

(٤) فى م . ت : عادته .

(٥) فى م . ت : هو .

(٦) مسند : اصطلاح معروف فى الحديث النبوى ، إذ يسند المتن بسلسلة من الرواة تصل إلى الرسول .

٢٩١ ظ
٣

يا جفونى بعدهم أين الكرا يا فؤادى أين ذاك الجلدُ
فعلوا ما أوْعدوا من هجرهم ليتهم لو أنجزوا ما وعدوا
وبروحى رشأٌ يهتزُّ من[1] قَدِّهِ المائسِ غُصْنٌ أملدُ
أنا فى شرع الهوى عَبْدٌ له وهْوَ لى إن كان يرضى سيِّدُ

/ وقوله : ٢٩٢ و ٣

ما لى أراك أضعْتَ وُدِّى وغدرتَ بى ونقضْتَ عهْدِى
وأذبْتَ قلبى فى الهوى ظُلْماً بنارِ جَوًى ووَجْدِ
وجعلْتَ طرْفى بالأسى وَقْفاً على دَمْعِى[2] وسُهْدِى
وأرى الإساءة منك حين تُسِىءُ كالإحسانِ عندى
حتَّامَ أُخْفِى فى هواك صَبابتِى والدمع يُبدِى
أنا قد أتيْتُك قاصِداً فعساك تعرف حقَّ قصْدِى
عَلِقتْ بذيْلِ رجاك آمالى فعلِّلْها بوعْد
شوقى إليك كما علمْتَ يَجِلُّ عن حَصْرٍ وحدِّ

وقوله من قصيدة يمدح بها الصدر القرميسينى :

سِرُّ القلوب تذيعه الأجفانُ هيهاتَ ينفع مُغْرَماً كتمانُ
طَرْفُ المحبِّ فَمٌ يُذاعُ به الجوَى والدَّمْعُ إن صمتَ اللِّسانَ لسانُ
يا سائلى عما تُكابد مُهْجتى إعْراب طَرْفى بالدموع بيانُ
تبكى الجفونُ على الكرا فاعجبْ لمن تبكى عليه إذا نأى الأوطانُ
يا مُسْقِمى مَهْلا على جسَدِى الذى لم يبْقَ فيه للسقَّام مكانُ
/ أتلفْتُ روحى فى هواك وإننى راضٍ بذلك أيها الغضبانُ ٢٩٢ ظ ٣
حاشا معانيك التى أنا عبْدُها ألا يكونَ لحسنها إحسانُ
أو أن يكونَ الوَصْلُ منك مُمَنَّعاً يوماً وحظُّ محبِّك الهِجْرانُ

(١) فى م . ت : فى .
(٢) فى م . ت : دمع .

ومنها فى المدح :

يامن يرومُ الرزقَ أو يسعى إلى ... تحصيلِهِ فيعُوقُهُ الحرمانُ
عوِّلْ على الرحمن وارْضَ بعَبْدِهِ ... فبعبدهِ رَحِمَ الوَرَى الرَّحْمَنُ

وقوله من قصيدة فى مدح المذكور :

ما عوَّضَتْكَ بهجرِها عن وَصْلِهَا ... إلا وقد جادتْ عليك ببُخْلِهَا
فاطلبْ لمُقْلَتِكَ الهجوعَ تخيُّلاً[1] ... فعسا يُعلِّلُكَ الخيالُ بمثلها
هيهاتَ أن تحظى بزوْرَةِ طيْفِهَا ... ما دام طرْفُكَ ساهراً من أجلها
حمَّلْتَ نفسك فوق ما اعتادتْه منْ ... تَعَبِ الهوى فتعبْتَ [أنت[2]] بحملها
يا صاحبى بالله إن جئتَ الحمَى ... قفْ بالربوع مُسائلا عن أهلها
والثُمْ ثراهـا كلَّه عَنِّى فلى ... قَلْبٌ أقامَ بحزْنِها وبسَهْلِهَا
ومتى[3] بدَتْ لك مَنْ فُتِنْتَ بحُبِّها ... فاحْرُسْ فؤادك أن تصابَ بنَبْلِهَا
وإذا ادَّعتْ حُسْنَ الحسانِ بأسْرهِ ... سَلِّمْ فقد دلَّتْ عليـه بدَلِّها
/ أتُرَى ليالى الوَصْلِ ترْجِعُ ليلةً ... منها فيقْنعُ بعضُها عن كلِّها
وإلامَ فى الدنيا أوَسِّعُ رغبتى ... وعلىَّ قد ضاقَتْ مسالكُ سُبْلِها
لا ذَنْبَ للأيام عندى فى الذى ... صَنَعَتْ ويعْذرهُا الحليم لجهلها
كم ذا أعاتِبُها كأنْ لم ينْسِنِى ... إحسانُ صدْرِ الدين سَيِّءَ فِعْلِها
سَمَتِ الوزارةُ فى حِمَاه لأنها ... من أهله ولأنه من أهلها
لا تَغْتَرِرْ بالصَّفْحِ من أخلاقه ... وحذارِ تُطْمِعكَ السيوف بصقْلِها

٢٩٣ و
٣

وقوله من قصيدة فى الأمير جمال الدين بن يغمور :

أنا فى راحةٍ من الآمال ... أيْنَ من هِمَّتِى بلوغُ المعالى
لىَ عَجْزٌ أراحَ قلبى من الهمِّ ومن طول فِكْرَتى فى المُحالِ

---

(١) فى م . ت : تعللا .
(٢) زيادة من م . ت : وهى ضرورية لوزن الشعر .
(٣) فى م . ت : وإذا

طابَ عيشى والحمدُ لله إذ [(١)] كنـــتُ له حامداً على كلِّ حال

ما لباسُ الحرير مما أرجّيـــه فيُرْجى ولا ركوبُ البِغال

راحةُ السرِّ فى التخلّف عن كـــلِّ محلّ أضحى بَعيدَ المَنَالِ

إنَّ عِزَّ الإنسان فى ترْكه العـــزَّ لذلّ [(٢)] فى مُبْتدَا الأحْوالِ

حارَ فكرى وضاق صدرى لأمرٍ أخطرتْهُ الأقدارُ عجزاً ببالى

وتحيَّرْتُ بين أمرين فيه كلما لُذْتُ بالجناب الجمالى [(٣)]

/ إن تأخَّرْتُ قيل ملَّ وإن لا زمْتُ أُدْعى من جُمْلَةِ الأثقالِ

يا مُعينى على الزمان أعِنّى فلقد قلَّ عن سَطَاهُ احتمالى

كلَّ يوم أسعى ولكن بلا نَفْـــعٍ فسيَّانِ فرْغتِى واشتغالى

عملى دائمٌ ولى سيرةٌ فى الـــدَّهرِ تُرْوَى كسِيرَةِ البطَّالِ

٢٩٣ظ
٣

وقوله ، وكتب به إلى جمال الدين المذكور فى العشر الأخر من شهر رمضان :

أيُّهذا الأميرُ قد أشْكَلَ المَعْـــنى ومازلتَ عارفا بالمعانى

ظاهر البَسْتَنْدودِ [(٤)] لم أدْرِ ماذا فيه حَملاً وباطنَ الخُشْكنانِ [(٥)]

أتُرانى فى العيد أجهلُ ذا المعـــنى كجهل الحَلْواء فى رمضان

ما رأتْ عينىَ الكُنافةَ إلا عند بيَّاعها على الدُّكانِ

ولعمرى ما عاينتْ مقلتِى قَطْـــرًا سوى دمعها من الحِرْمان

ولكم ليلةٍ شبعتُ من الجو ع عشاءً [(٦)] إذ جُزْتُ بالحَلوانى

حسراتٌ يسوقها الطَّرْفُ [(٧)] للقلـــبِ فويلٌ للفكر [(٨)] عند العِيانِ

كم صدورٍ مُصفَّفَاتٍ وكم من شَبَكٍ دونها وكم من صَوانى

---

(١) فى م . ت : مذ .

(٢) فى م . ت ، : والذل .

(٣) فى م . ت : الجمال .

(٤) لون من الحلوى .

(٥) الخشكنان : لون من الحلوى يصنع بالسكر واللوز وماء الورد .

(٦) فى م . ت : عيانا .

(٧) فى م . ت : القلب للطرف .

(٨) فى م . ت . للطرف .

وإذا سَحَّرَ المسحِّرُ ليلا ... الْتَقَى الأمرُ فيه[1] بالعِصيان

٢٩٤ و
٣

/ كلما باتَ وهْو يأمر بالأكـ ... ـل أتى الفقرُ مُقْبِلًا يَنهانى

قل لفقرى إذا تفرَّعَنَ خَفْ مو ... سى فكفَّاه بالنَّدا بحْرانِ

وقوله يخاطبه :

تاللهِ ما لَثْمُ المَراشِفْ ... كلا ولا ضَمُّ المعاطِفْ

بألذَّ وَقْعـاً فى حَشا ... ىَ من الكنافة والقطائفْ

بالصـوم والإفلاس بِنْـتُ[2] ... عن السُّلافَةِ والسَّوالِفْ

لم يبـق إلا الاعتكا ... فُ فقد كَفَى ما كنتُ عاكِف

حتَّامَ أمشى فى طِـلا ... ب معيشتى والرزقُ واقِف

مَنْ مُنْصِفِى من حَيْفِ دهـ ... ـرٍ لم يَزَلْ فى الحُكْم حائِفْ

كم قد جَرَتْ بينى وَبَيْـ ... ـنَ صروفه قِدْماً مَواقِفْ

وأجارَنى موسى بمـا ... أسْداهُ[3] من تِلْكَ العَوارِفْ

وقوله لشرف[4] الدين الفائزى :

أيا شرفَ الدينِ الذى فَيْضُ جودِهِ ... بِراحتِهِ قد أخجلَ الغيْثَ والبحْرا

لئنْ أمْحلَتْ أرضُ الكنافة إننى ... لأرجو لها من سُحْبِ راحتِك القَطْرا

فعجِّلْ بهِ جُـودًا فمالىَ حاجةٌ ... سِـواه نباتًا يُثْمِرُ الحمدَ والشكرا

٢٩٤ ظ
٣

/ وقوله :

سَقَى اللهُ أكنافَ الكُنافة بالقَطْرِ ... وجادَ عليها سُكَّرٌ دائمُ الدَّرِّ

وتَبًّا لأوقات المُخَلَّلِ إنهـا ... تَمُرُّ بلا نفْعٍ وتُحْسَبُ من عُمْرِى

أهيمُ غراماً كلما ذُكِرَ الحِمَى ... وليس الحِمَى إلا القطارة بالسكر

(١) فى م . ت : منه .
(٢) فى م . ت : تبت .
(٣) فى م ت : أبداه .
(٤) فى م . ت : القاضى شرف الدين الفائزى وهو أبو سعيد هبة الله بن صاعد ولى وزارة مصر (عن المقريزى ٢ / ٢٣٧) وزر لعز الدين أيبك التركمانى ولابنه المنصور (النجوم ٧ / ٤١) توفى سنة ٦٥٥ هـ .

وأشتاقُ إن هبّتْ نسيمُ قطائفِ السّحورِ سُحيْراً وهْيَ عاطرة النَّشرِ
ولى زوجة إن تَشْتَهِى قاهريّةً أقولُ لها ما القاهريّةُ فى مِصْرِ

وقوله من قصيدة :

يقولُ إذ أشكو له زَفْرَتِى لابدَّ للجزّارِ من زَفْرَه

وقوله ، وكتب به إلى بعض الرؤساء فى يوم عيد الفطر :

يا أيُّها المولى الرئيسُ ومَنْ لهُ جودٌ يضاهِى الغيثَ حالَةَ سَكْبِهِ
أشكو لعدْلِكَ جوْرَ دهْرٍ لم أزَلْ طولَ المدَا عرضاً لأسْهُمِ خَطْبِهِ
وأشدُّ ما قاسيتُ منهُ أنه[1] عن شكرِ فضلكَ قد شغُلْتُ بِعَتْبِهِ
فاغفرْ لعبْدٍ قد أتاكَ وما له حسناتُ أفعالٍ تقُومُ بذَنبِه
بالله يُقْسِمُ والنبىِّ وآلهِ الـ أطهارِ أصحابِ العبَا[2] وبِصَحْبِه
ما باتَ فى ذا العيد يملك درهماً وكفاكَ أنَّ الشِّعْرَ أعظمُ كَسْبِه
فتَرَاهُ يُنْشِدُ حسْرَةً وتأسُّفاً من همِّهِ لعدوِّهِ ومُحِبِّهِ
ماذا يضرُّ الخُشْكنانَ لو أنَّهُ فى العيدِ يُخْبِرُنى بما فى قَلْبِهِ
ولقد شكا لكَ من حوادثِ دَهْرِهِ سُقْماً ولستُ بعاجزٍ عن طِبِّهِ
لا زال بابُكَ للهناءِ مُؤهَّلاً أبدا على بُعْدِ المزارِ وقُرْبِهِ

وقوله فى بعض[3] مستخدمى الزكاة :

قلت فاتركْ ... فما لى سواهُ قال لى والمقالُ منه صوابُ
ليس لى أن أفوت عنه لأنى ناظرٌ فى الزكاة وهْوَ نِصَابُ

---

(١) فى م . ت : أننى .
(٢) يشير إلى ما يروى عند الشيعة من أن الرسول صلى الله عليه وسلم ألقى على فاطمة وعلى والحسن والحسين عباءته وقال : نحن أهل البيت الخ .
(٣) فى م . ت : فى ناظر الزكاة .

وقوله فى عالم [1] بثغر الاسكندرية :

بهِ ذلك الثغرُ المبـــاركُ لم يزل مَصُوناً من الأعـــداء عذبَ المقبلِ
هو الطودُ [عنه ال] سيلُ [زلّ] بنطقهِ [2] ولا غَرْوَ فى سَيْلٍ إذا جاء من علِ

ومنها فى وصف القصيدة :

قصيدٌ يَغَارُ الشعرُ منها وكيف لا ووَصْفُكَ فيها حين تُنْشِدُ قد تُلِى
أقامتْ منارى فامرؤُ القَيْسِ حاسدى عليها وحسبى أنها فيكَ وهْىَ لى
تصكُّ بكفِّ النظم من حُسْنها قَفَا « قِفَا نبك من ذِكْرَى حبيبٍ ومنزل »

٢٩٥ ظ
٣

وقوله من قصيدة فى الصدر بن القرميسينى وقد/ولى ديوان مصر سنة أربع وثلاثين وستمائة :

لا تَسْأَلَنْ فى الحبِّ عن أشجانهِ فشأنه مُخبِّرٌ عن شانهِ
وإن يكن ما فاهَ بالشكر [3] فقد أغْنَى لسانُ الدمع عن لسانهِ
ياعاذلَ [4] المشتاق فى أمر الهوى دَعْهُ فليس الصبر فى [5] إمكانهِ
فعــزُّه الذلُّ الذى أَبَيْتَه فى حقِّه والربحُ فى خُسْرانهِ
فارقَ من يوم الفراق نفسَه [6] فليتَ لو عادتْ إلى جُثْمانهِ
وأعجبُ الأشــياء أنَّ قلبَهُ سارَ وما حنَّ إلى أوطانهِ
أظنُّهُ لما رأى رَسْمًا عفَا أنْكَرَ ما قد كان من عرْفانهِ
صبَا لغِزْلان النَّقَا وكلُّ مَن حلَّ النَّقَا يَصْبُو إلى غِزْلانهِ

ومنها :

ما إنْ لهُ من مُشْبِهٍ فى حُسْنهِ ولا لصَدْرِ الدين فى إحْسَانهِ

---

(١) فى م . ت : محي الدين القرميسينى .
(٢) الشطر مضطرب فى الأصل هكذا : هو الطود سيل فضل بنطقة .
(٣) فى م . ت : بالشكوى .
(٤) فى م . ت : أعاذل .
(٥) فى م . ت : من .
(٦) فى م . ت : قلبه .

ومنهـا :

إذا احتبى فى دَسْتِهِ يَوْماً فمَنْ ... كِسْرَى أنوشِرْوانُ فى إيوانهِ

يُصرِّفُ الأقدارَ فى أحكامهِ ... عِلْماً بأنَّ الدهرَ من غِلْمانهِ

وقوله ، من قصيدة فى سيف الدين على بن قليج :

قضى[1] حُبُّهُ ألا تُطَاعَ عواذِلُهْ ... وهل يَرْعَوِى للعَذْلِ والحبُّ شاغِلُهْ

محبٌّ يَحُلُّ الوَجْدُ عقْدَ اصْطِبارِهِ ... إذا البَيْنُ شُدَّتْ للفراقِ رواحِلُهْ

أأحبابَنا إن ألَّفَ الدهرُ شَمْلَنا ... تحلَّى ببُقياكم من العيش عاطِلُهْ

نَأَيْتُمْ فلولا ما تُقرِّرُهُ المُنَى ... بقلبى عليكم ما استقرَّتْ بلابِلُهْ

وأهيفُ يحكى الغصنُ لِينَ قَوَامِهِ ... وتَفْعَلُ أفعالَ الشَّمُولِ شَمائِلُهْ

يَلِينُ إلى أن يَجْرَحَ الوهمُ جِسْمَهُ[2] ... وتَغرَقَ فى ماءِ النعيمِ غلائِلُهْ

إذا ما بدا من شَعْرِهِ فى ذَوائبٍ ... رأيتَ غزالاً لم تَرُعْهُ حبائِلُهْ

رَمَى فانْتَضَى من لَحْظِ عَيْنَيْهِ صارماً ... عِذارُه عنـد الناظرين حمائلُهْ

وسدَّدَ من عِطْفَيْهِ لَدْناً مُثقَّفاً ... ونَاظِرُهُ الفتّـانُ بالسِّحرِ عامِلُهْ

أأرجو حياةً عند من ماسَ أو رنا ... ورامِحُهُ يَسْطـو علىَّ ونابِلُهْ

وقوله ، من قصيدة يمدح فيها الشريف تقى الدين بن ثعلب :

ليت شعرى أيقظةٌ أم مناما ... نَظَرَتْ مُقْلَتَاىَ هذا المقاما

بلَّغتْنى الأيامُ ما كنتُ أرجو ... هُ فشأنى أن أشكرَ الأيّاما

وقَفَتْنى ببيْتِ مَنْ كانت الأمـ ... ـلاكُ قِدْماً لبيتـهِ خُدّاما

بِبَنِى جَعْفَرِ بن عمِّ رسول الـ ... ـلّه أرجو من الخطوب اعْتِصاما

معشرٌ شُرِّفَتْ بهم سبُل الحـ ... ـقِّ ولولاهمُ لكانتْ ظلاما

طالما جاءهم من الله جبريـ ... ـلُ فأهدى تحيَّةً وسلاما

علَّمونا كيف الطريقُ إلى كـ ... ـلِّ رشادٍ وبيَّنوا الأحكاما

٢٩٦ و / ٣ — ٢٩٦ظ / ٣

(١) فى الأصل : مضى .

(٢) فى م . ت : خده .

لُذتُ منهم بباسم الثغرِ طَلْق الـــوجه يَرْعَى للمُعْتَفِين الذماما
لستُ أخشى خطْباً وجدْباً وقد قا بَلْتُ بدراً منه وزدتُ غَماما
شاقَني ما سمعتهُ من عطايا هُ فوافيتُ البحرَ أشكو الأُواما[1]
حاز سَبْقَ الفضيلتين متى ما شاءَ هزَّ السيوفَ والأقلاما
فـــتراه عُطارِداً وإذا ما حلَّ خطبٌ رأيته بَهْراما[2]

ومنها فى وصف القصيدة ، وكان قد أنشدها فى شهر رمضان المعظم :

يَعْجَبُ السامعون فى الصَّوْمِ لمَّا قُمْتُ أجلو منها عليهمْ مُداما

وقوله من قصيدة فى الأمير الشريف حصن الدين بن ثعلب :

شَرُفَتْ بنظْمِ مديحك الأشعارُ وتحيَّرَتْ فى وصفك الأفكارُ
/ وأطاعك الذِّهْنُ القصىُّ[3] ملبِّياً وتصرَّفت بقضائك الأقدارُ
ما جنَّ ليلُ الخطب إلا أشْرقَتْ وتلألأتْ من وجهك الأنوارُ
وهمَتْ عقيبَ البَرْقِ من بُشْرَاكَ للـ ـعَافِى سحائبُ جُودُهُنَّ نُضارُ
أنتَ الكريمُ وخلِّ ما قد أنبأتْ عمن مضى فى كُتْبِها الأخبارُ
خُلُقٌ كلينِ الماء راقَ لشاربٍ ظامٍ وعَزْمٌ فى التوقُّدِ نارُ
من ذا الذى يحكيك فى مجدٍ[4] وفى شرفٍ وجدُّك جَعْفَرُ[5] الطيَّارُ
ولأنت من قومٍ يهونُ عليهمُ يومَ الوغى أن تُبذَلَ الأعمارُ
قومٌ قد اختاروا الثناء لأنَّهُ أبداً يدومُ وحبَّذا ما اختاروا
علموا ، وقد علموا الصحيحَ ، بأنَّهُ لا دِرْهَمٌ يَبْقَى ولا دِينارُ

وقوله من قصيدة مدح بها القاضى جمال الدين بن رمضان فى شهر رمضان :

مولاىَ هَبْ نظراً لعبدِكْ وأفِضْ عليه سَحَابَ رِفْدِكْ

(1) الأوام : العطش .
(2) عطارد وبهرام : كوكبان ، وكان السابقون يظنون أن أولهما نجم الكتاب وثانيهما نجم الفرسان والقواد .
(3) فى م . ت : الدهر العصى .
(4) فى م . ت : جود .
(5) هو ابن أبى طالب ، ابن عم الرسول .

٢٩٧ و
٣

فلقد أقرَّ بعجزه وقصوره عن بعض حمدك

وقفت نجومُ الأُفْقِ فى رُتَبِ العلا من دون جهدك

والدهرُ أصبح يقتدى إمّا بحلّك أو بعقدك

/ أمدبِّرَ الملكِ المقيم أرى الليالى بعضَ جندك

٢٩٧ ظ
٣

ومنها :

ولقد ختمت صيامَ هذا الشهرِ مقبولا بحمدك

شهرٌ تعاظَمَ قدرُهُ وغدا له سعدٌ كسعدك

لِمَ لا يكونُ معظَّماً فى الدهر وهو سَمِىُّ جدِّك

وقوله من قصيدة فيه ، وكان قد وعده مع جماعة مدحوا السلطان ، فرأى على شخص من الجماعة خلعة ، أخذها له ، والشخص المذكور أسود اللون وكان ذلك فى فصل زيادة النيل :

يا وزيرَ العُلا ومَنْ حازَ مجدًا لم يزلْ مُشْرِفاً على كيوانِ

والذى نالَ كلَّ معنى بديعٍ فالمعالى له معاً والمعانى

لك وَجْهٌ كالشمس فى ظُلْمَةِ الخطب وكفٌّ كالعارضِ الهتّانِ

وأيادٍ تستغرقُ الشكرَ حتى كلَّ عنها فى الوَصْفِ كلُّ لسانِ

يا رئيسَ الزمان دعوةَ عبدٍ مُسْتَجيرٍ من صَرْفِ هذا الزمان

ضاقَ ذرعا مما يقاسى من الدهر ومن جَوْرِهِ ومما يُعانى

/ وعتابُ[1] الأقدار لا ينفعُ المرءَ ولكن ما الصَّبْرُ فى الإمكان

٢٩٨ و
٣

غيرُ خافٍ عنك الذى ناله الأسود بالأمس مِن ندا السُّلطانِ

وتَمَشّيه بالعِمامة والثَّوْب ومنديل الكُمِّ والطَّيْلَسَانِ

خِلْعَةً تخلعُ القلوب كما يَخلعُ مرآهُ العقلَ عند العِيَانِ

قلتُ إذ فُصِّلَتْ عليه أرى الزُّخْرُفَ تُتْلَى بالنصِّ فوق الدُّخانِ[2]

حَسِبَ الناسُ أنه صاحبُ المُفْرَد لما رأوه فى ذا الأوان

---

(١) فى م . ت : وعناد .

(٢) الزخرف والدخان سورتان فى القرآن الكريم ، تسبق فيه أولاهما ثانيتهما ، والتورية واضحة .

ليت شعري ما العذر لولا قضاء الـ ـله في رزقه وفي حرماني

ولقد كدت أن أهيم بحمل الـ ـهم لولا تعللي بالأماني

وقوله من قصيدة في مدح الفقيه كمال الدين بن ظافر ابن الفقيه نصر :

يمضي الزمان وأنت هاجر أو ما لهذا الهجـر آخر

يا من تحكّم في القلو ب بحاجب منه وناظر[1]

مـولاي لا تنس المحب فإنه لهـواك ذاكر

وإذا رقدت منعّماً فاذكر شقياً فيك ساهر[2]

شتّان ما بيني وبيـ ـنك في الهوى لو كنت عاذر

النار في كبدي وظلـ ـمك بارد والجفن فاتر[3]

حتّام تحكم في نفو س العاشقين وأنت جائر

هلا اقتديت بعدل مو لانا كمال الدين ظافر

ومنها :

بك يا ابن نصر جئت أر جو نصرة فانعم وبادر

وأجر من الزمن الذي دارت عليّ به الدوائر

أصبحت في أمري ولا أشكو لغير الله حائر

ولكم يذكّرني الشتا ء بأمره ولكم أكاسر

واللحم يقبح أن أعو د لبيعه والشعر بائر

يا ليتني لا كنت جـ ـزّاراً ولا أصبحت شاعر

وقوله في غزل قصيدة :

وصل الجسم منذ[4] بنتم سقامه وجفا الجفن مذ هجرتم منامه

فارحموا عاشقاً عصى النصح في الحـ ـب عليكم لما أطاع غـرامه

لا تظنوا أني سلوت فأين الـ ـصبر من مهجة بكم مستهامه

بين قلبي وبين صبري عنكم مثل ما بين مسمعي والملامه

٢٩٨ظ
٣

(١) هنا تورية واضحة .

(٢) في م . ت : شاكر .

(٣) هنا تورية أيضا وشح لها بكلمة بارد .

(٤) في م . ت : مذ بعدتم .

٢٩٩ و
٣

/ومنها :

غير أنى إذا ذكرتُ زمان الـــوَصْل قال المُنى علىَّ الغرامَهْ
أطمَعَتنى الآمالُ إذ كل ما اشْتَقْـــتُ زماناً يُعِيدُ لى أيَّامَهْ

وقوله من قصيدة مدح بها الرشيد[1] ابن الجليس وكان متولى ديوان الأحباس بمصر :

لله ما بلَغَتْ أربابَهـــا الهِمَمُ — من رُتبة عجزتْ عن نَيْلها الأُمَمُ
هِىَ العـــزائمُ مازالتْ مؤسِّسةً — أرْكانَ مجدٍ بناها السيفُ والقَلَمُ
جاهُ الأمانةِ عُقْباهُ السُّرور كما — جاهُ الخيـــانة عُقْبىَ أمره النَّدَمُ
وكلٌّ من عفَّ عن ظلم الوَرَى ورَعاً — جاءته قَصْـــداً إلى أبوابه النِّعَمُ
يُهْنَى الأجلّ رشيد الدين حين غدَتْ — تُعْزَى لخِدْمَتهِ بين الوَرَى الخِدَمُ
بُشْراهُ إذ نال ما قد كان يَبْلُغُهُ — طَوْلا ولم ينَلِ الأعـــداء ما زعموا
كم قد أرادوا به سوءاً فما ظفروا — إن الرشـــيد بحَبْلِ اللهِ مُعْتَصِمُ

ومن هذه القصيدة :

مولاى إنْ رَامَ شَتْمى معشرٌ فلقد — صدَّقْتُهم بقَريضى فى الذى شَتَمُوا
أقـــررتُ أنى جَزَّارٌ كما ذكروا — عَنِّى فهل غيرُ هـــذا القول عندَهُمُ

٢٩٩ ظ
٣

/وإن يكن أحمدُ الكِنْدىُّ متَّهماً — بالفخر قبـــلى فإنى لستُ أتَّهَمُ
فاللحمُ والعظـــمُ والسكِّين تَعرِفنى — والخلْعُ والقَطْعُ والسَّاطورُ والوَضَمُ

وقوله فى قصيدة فى مدح الصاحب جمال[2] الدين بن مطروح :

ما بلَّغ الله حُسَّـــادى الذى طلبوا — زارَ الحبيبُ وزال الهجرُ والغَضَبُ[3]
وبتُّ أعتِبُهُ إذ كان منقطعاً — وليس يُعْرف لى فيما جرَى سَبَبُ
فيا لها ليـــلةً ما كان أقْصَرَها — لما تطاول فيهـــا اللَّهْوُ والطَّرَبُ

---

(١) لأبيه القاضى الجليس ترجمة ضافية فى الخريدة ، وقد ذكر الرشيد مرارا فى ديوان ابن سناء الملك المخطوط بدار الكتب المصرية .

(٢) أحد شعراء مصر المهمين فى القرن السابع الهجرى ، وله ديوان مطبوع ، توفى سنة ٦٥٤ هـ .

(٣) فى م . ت : الوصب .

بِتْنَا وساقى الطِّلَى بدرٌ براحته شمسٌ تُنَقِّطُها فى وجْهها الشُّهُبُ
وَحَشْها خندريساً كأْسُها فَمُهُ وثغرُهُ كلما ضاحكته الحَبَبُ

ومنها فى مدحه :

أبا الحُسين وحَسْبي أنْ يُلَبِّيَنِى يومَ الرجاء إذا ناديتُكَ الحَسَبُ
إن البرامكةَ الماضين ما افتخروا إلا بأيْسَرِ ما تُعْطِى وما تَهَبُ
والفضلُ ما زال فى الدنيا له شَرَفٌ إذ كان يُعْزَى إلى يَحْيَى ويَنْتَسِبُ

وقوله من قصيدة فيه :

أغْنَيْتَنِى من بعد فقرِى ورفَعْتَ بعد الخفضِ قَدْرِى[1]
/ وأَنَلْتَنِى مِنَنَاً يَقِلُّ لكُثْرِها حَمْدِى وشُكْرِى
أصبحتُ يا مولاى مِنْ نُعْمَاك أَسْعَدَ أَهْلِ عَصْرِى
وغفرتُ لما أنْ وصلتُ إلى جنابك ذَنْبَ دهرِى
وأَرَحْتَنِى من حِرْفَةٍ تُزْدِى بصاحبها وتُزْرِى
ما بين قومٍ كلما عايَنْتُهم قد ضاق صدرِى
وكفاك أنَّ كبيرَهُمْ ورئيسهم فى السوق صِهْرِى
عَمٌّ يَعُرُّ أخاه وابْنَ أخيه لو كان المعرِّى

٣٠٠ و
٣

وقوله من قصيدة فى مدح زين[2] الدين يعقوب ابن الزبير ناظر البهنسا فى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة :

بانَتْ وقد كلَّفْتُها تَوْديعِى ما بين قَيْظِ[3] جَوًى وفَيْضِ دُمُوعِ
وتجلَّدَتْ للبَيْنِ مثل تَجَلُّدِى والنارُ حَشْوُ ضلوعها وضلوعى
ولكم تُعَلِّلُها مواعيدُ المُنَى مِنِّى على المَرْئِىِّ والمسموعِ

---

(١) فى م . ت : ذكرى .
(٢) هو زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع بن الزبير ، عاش طويلا وولى الوزارة للظاهر بيبرس ثم صرفه وولّى بهاء الدين بن حنا (انظر النجوم ٧/ ١٠٣ ، ١٧٩) .
(٣) فى م . ت : فيض .

قالتْ ذَممْتَ البَيْنَ قلتُ لها عسَى	أن تشكرى عُقْبَاهُ عند رجوعى
يا هٰذه لولا وثوقى بالغِـــنَى	لغدا هُلُوعُك وهْوَ دونَ هلوعى
تاللهِ ما أمَّلْتُ غيرَ مُؤمَّلٍ	سَمْحٍ ولا ناديتُ غيرَ سميعِ
/حَسْبى رجاءُ ابنِ الزُّبَيْرِ فإنَّ لى	قَصْدًا أراهُ لديه خيْرَ شفيعِ
لأهاجرنَّ إلى نَدًا من كَفِّهِ	هامٍ ورَوْضٍ بالنَّوالِ مَريعِ
ولأرفعنَّ بقَصْدِهِ النفسَ التى	هانتْ علىَّ بقَصْدِ كلِّ وضيعِ
تاللهِ ما اخترتُ الخمولَ وإنما	للهِ حـــكمٌ ليس بالمدفوعِ
ما لى قنعتُ فصرتُ أُدْعَى عاجزًا	والعجْزُ منسوبٌ لكلِّ قنُوعِ
ما بين آمالى وبين بلوغها	بِرجاءِ يعقوبٍ سوى أُسْبُوعِ
نَدْبٌ يحجُّ القاصدون لنائلٍ	يوم الرجاءِ ببِشْرِهِ مشْفُوعِ
سَلْ عنه وأرْحَلْ نحوه تُنْجِحْ ولا	تَسْأَلْ عن التَّثْليثِ والتَّرْبيعِ
هُوَ ناظرٌ هجرَ الهجوعَ لعلمِهِ	أنَّ المعالى لم تُنَلْ بهُجوعِ
قد قلتُ حين تَصنَّعَتْ سُحُبُ الحيا	معناه فى سحٍّ وحُسْنِ صَنيعِ
يا غيْثُ حَسْبُكَ ليس تحكى جُودَهُ	فضَحَ التَّطبُّعُ شِيمةَ المطْبُوعِ
يا مَنْ يُهوِّنُ مالَهُ تفريقُهُ	بخلافِ مُكرِمِ مالِهِ المجموعِ
بلغتْ بك النفسُ التى شرُفَتْ إلى	شأوٍ بعيدٍ فى الفَخارِ بديعِ
فغدوتَ ذا فَضْلٍ بسيطٍ كاملٍ	يُلْقَى وجودٍ وافرٍ وسريعِ [1]
وقفوتَ آثارَ العِدا بمصارعٍ	فجمعتَ تقْفيةً إلى تصْريعِ [2].
/مولاىَ زَيْنَ الدينِ دعوةَ مَنْ رَجا	بنَداكَ جبْرَ فُؤادِهِ المصْدُوعِ
ما إنْ تغيَّرَ بعد بيْنِك وُدُّهُ	لكن تغيَّرَ دمْعُهُ بنجيعِ
يشكو لفضلك مَنْ يسلِّمِ عِرْضَهُ	للذَّمِّ رَغْبةَ مالِهِ المجموعِ
ولقد كسَوْتُكَ من قريضٍ [3] حُلَّةً	جلَّتْ عن التَّلْفيقِ والتَّرْقيعِ

٣٠ ظ
٣

٣٠١ و
٣

---

(١) يتصنع الجزار هنا لذكر مصطلحات عروضية، فالبسيط والوافر والكامل والسريع كلها من بحور الشعر.

(٢) التصريع: اتحاد آخر الشطرين فى البيت الأول من القصيدة.

(٣) فى م. ت: قريضى.

حسُنَتْ برَقْمٍ من خلالك فاغْتدَتْ كالروض فى التَّسْهيمِ والتَّوْشيعِ[1]

وَثِقتْ بخفْضِ العيْشِ عندك فاغْتدَتْ تَسْمُو بقَصْد محلك المرفوعِ

وقوله من أخرى فى مدح المذكور :

حمِدَ النَّــوى إذ بلَّغَتْهُ مرامهُ وقضَا المسِيرُ بأن يَذُمَّ مقامهُ

ونَهتْهُ هِمَّتُهُ عن العَجْــز الذى قد كان سَلَّمَ للخمول زِمامهُ

فالآن لا يرجو النسيمُ إذا سرَى سَحراً يُبلِّغُ للحبيب سلامهُ

كلا ولا يشتاق من أوطـــانهِ ربعاً يذكِّرُهُ الهوَى وهُيامهُ

فقدِ استراحَ من الغرام وأَسْرِهِ[2] وأراحَ من تعْنيفِهِ لُوّامهُ

حَسْبُ المحبِّ من الهوى وهوَانِهِ أنْ يَستَلِذَّ سهادَهُ وسقامهُ

ويرى بأنَّ الطَّيْفَ أعظمُ مِنْحَةٍ إن صادف الجفنُ القريحُ منامهُ

وَهْمٌ يُسمِّيهِ الجهولُ صبَابةً إن الجهولَ لتَـابعٌ أوهامهُ

كم من محبٍّ ذلَّ بعد تعذُّرٍ[3] جَهْلاً فأقْعدَهُ الهوى وأقامه

لستُ الذى يهتَزُّ وَجْداً كلما هزَّ الحبيبُ من الدَّلال قوامهُ

أو يَغْتدِى كَلَفاً بلَثْمِ عِذَارِهِ يَوْمَ الوداع وقد أماط لِثَامهُ

ما كان أغنى البَيْنَ عن رَمْيِ[4] امْرِئٍ ما زال يَرْمِى فى الفؤاد سهامهُ

ما ملَّنى وطنى لطـــول إقامتى قل لى متى ملَّ القرابُ حُسامهُ

لكنَّنى جَرَّدْتُ منى عَــزْمةً قطعتْ من الزمن البخيل لِثامهُ

ورحلْتُ رِحْلَةَ من يُعلِّلُ بالمُنى قلْباً وينْقَعُ بالرجاء أُوَامهُ

وعلِمْتُ أنَّ الجَدْبَ ليس يروعُ مَنْ أضْحتْ يمينُ ابنِ الزُّبَيْرِ غمامهُ

٣٠١ ظ
٣

---

(١) التسهيم والتوشيع : لونان من ألوان البديع .

(٢) فى م . ت : وسره .

(٣) فى م . ت : تعزز .

(٤) فى م . ت : رام رمى .

ومنها :

تتفاخر الكُتَّابُ منه بسيِّدٍ لا يرتضى عبدَ الحميدِ غلامَهُ
خطٌّ كوشيِ الروض حيَّاهُ الحيا فأدارَ بالمعنى عليك مُدامَهُ
فتكاد تدهش إن رأيتَ بنانَهُ وتكاد تَسْكَرُ إن سمعتَ كلامَهُ
السَّطْرُ [1] يحكى الغصنَ إذ هو مثمرٌ وإذا سجعتَ به حكيتَ حمامَهُ

ومنها فى الاعتذار وكونه جاءه فى غير شهر الصوم ، ورسْمُه عليه لا يستحقه إلا فيه :

وافاكَ فى شهرِ الصيام وما أتى أو ملَّ من شحِّ النفوس صيامَهُ
وأبيك لولا ذاك لم يرحلْ ولم يُظْهِر لحادثة النَّوى أقدامَهُ
أيُقيمُ فى أوطانه متأدِّبٌ ما خلفَهُ مالٌ ولا قُدَّامَهُ

وقوله من قصيدة فى مدح المذكور :

حتَّامَ تخدعُ عزمىَ الآمالُ وتَصُدُّنى عن فعلىَ الأقوالُ
وإلامَ يُصْبِحُ ظاهرى متفرِّغاً ولباطنى بهمومه أشغالُ
ولقد عجبْتُ لهمَّتى كيف اهتدتْ [2] لسبيلها اللُّوَّامُ والعذَّالُ
ما العذْرُ عن إدراك آمالى وقد صحَّ الزمانُ وأمكن الترْحالُ
غيرى تشقُّ عليه حادثةُ النَّوى [3] وتردُّهُ عن قصدِه الأهوالُ
ولقد وثقتُ من الزمان بعادة ما إنْ يفيلُ [4] لدىَّ منها الفالُ
إنَّ الدُّنُوَّ نتيجةُ البُعْدِ الذى يُخشى وكم صدٍّ تلاهُ وِصالُ
ولكم فقيرٍ صار من أهل الغنَى ولكم غنِيٍّ مالَ عنه المالُ
وكذا الليالى قد جرَتْ عاداتُها ألا يدومَ لنا [5] عليها حالُ
وبقاؤها لا يُستطاعُ لطالب وطِلابُ ما لا يُستطاعُ مُحالُ
حسْبُ الفتى حُسْنُ الثناءِ فإنَّهُ لا يعتريه مدى الزمان زَوالُ

٣٠٢ و
٣

(١) فى م . ت : فالسطر .
(٢) فى م . ت : اغتدت .
(٣) فى م ت : المنى .
(٤) فى م . ت : يفيد ، ويفيل : يخطىء .
(٥) فى م . ت : لها علينا .

٣٠٣ظ
٣

/دعْني على خُلُقِ فقد أكثرتَ في عذل امرئ يحلو له الإقلالُ

بحوادث الأيَّام عند ذوى[1] النُّهى تتبيَّنُ الكرماء والبخَّالُ

ولقلما يَخْشَى الحوادثَ مَنْ غدَا وله إلى آل الزُّبَيْر مآل

قومٌ يُضِىءُ الليلُ من أنوارهِمْ فبهم[2] تُدلُّ عليهم السُّؤَّال

أعراضُهم ووجوههم وجِنانهم بيضٌ فلمْ لا تهتدى الضُّلاَّلُ

بِيراعهم وسيُوفهم بين الورى تتقسَّمُ الأرزاقُ والآجال

لا يُوسعُون نفوسهم عُذْراً إذا لم يفعلوا أضعافَ ما قد نالوا[3]

فهم بحارٌ إن أتاهم واردٌ وهمُ إذا خفَّ الحليمُ جِبال

نالوا المعالى بالنَّدا والبأس في كَيْد الحسود وحَسْبُهُم ما نالوا

طابت أصولٌ[4] منهمُ فتشابَهَ الآباء والأعمـــام والأخوال

ولهم بيعقوبَ الفَخَارُ على الورَى فإليه[5] يُعْزَى الفضلُ والأفْضَالُ

سَمِحٌ إذا دَجَت الخطوبُ فبِشْرُهُ بَرْقٌ وغَيْثُ نَوَالِهِ هطَّالُ

ماضى العزيمة تُنْصِفُ الأمْداحُ في نادى نَدَاه وتُظْلَمُ الأمْوالُ

دَعْ ما سواه ومَنْ سواه وسِرْ له إن شئت[6] تَدرى العزَّ كيف يُنَال

تلْقَ الكريم على الحقيقة طالما نابَتْ لنا عن قوله الأفعالُ

٣٠٣و
٣

/مُتَوقِّدُ العزمات لكن قد حَوَى خلُقاً يُضَاهِى الماءَ[7] وهو زُلالُ

حَسْبُ المُعادى[8] والموالى عنده بَأْسٌ على طول المَدا ونوالُ

حبْرٌ إذا هزَّ اليراعَ بنانُهُ شاهدْت منه السِّحْرَ وهو حلالُ

خطًّا ولفظاً راق ذاك ورقَّ ذا كالماءِ إذ مُزِجتْ به الجِرْيال

فبعلمه وبحِلمه وبجـــوده في كلِّ حينٍ تُضْرَبُ الأمثالُ

---

(١) في م . ت : أولى .
(٢) في م . ت : فيها .
(٣) في م . ت : قالوا .
(٤) في م . ت . نساء .
(٥) في م . ت : وإليه .
(٦) في م . ت : كنت .
(٧) في م . ت : المزن .
(٨) في م ت : الموالى والمعادى .

مولاىَ زينَ الدينِ كم لكَ من يدٍ شهدتْ بحُسْنِ وفائها الآمالُ

أنتَ الذى لا يَعْتَرِيه السَّهْوُ فى حالٍ كمثل سِـواكَ والإغفالُ

أشكو لعَدْلِكَ جَوْرَ دَهْرٍ جاهلٍ[1] فَضَلَتْ به فضـلاءَهُ الجُهَّالُ

مُنِعتْ به عقلاؤه إذ قُسِّمَتْ بالجَوْرِ فى أنعامه الأنفالُ

علمى به لا ينقضى وإذا بَدَتْ حِيَلِى عليه فدونىَ البطَّالُ

يكفيك أنِّى فى الصيام رَغِبْتُ عن وطنى وخَلْفِى معشَرٌ وعيالُ

زمنٌ قد انعكستْ حقائقُ ذاتهِ فكأنما رمضـانُه شوّالُ

وإلامَ أُصْبِحُ مُنْجِداً أو مُتْهِماً سَئِمَتْنِىَ الأعمال[2] والعُمَّالُ

والأرضُ قد ثقُلَتْ عليها وَطْأَتِى إذ عَمَّها الإدْبارُ والإقْبالُ

حتَّام أُسْبِحُها[3] فلولا أنَّ لى عيْنَيْنِ قال الناسُ ذا الدجَّالُ

/مولاى خذها مِدْحَةً ببديعها لِبنِى القَرِيض وللقريضِ جَمالُ

حسُنَتْ بإنشادى لها ولرُبَّما زانَ الحسامَ المَشْرَفِىَّ صقالُ

٣٠٣ظ
٣

وقوله من قصيدة يمدح بها ضياء[4] الدين بن القرطبى بقنا ، ويحضه على أن يبعثه إلى قوص ليمدح الأمير شجاع الدين عمر بن بزغش :

عَوَّدْتُه أنه يَجْنِى وأَعْتَـذِرُ لحسنه كلُّ ذَنْبٍ منـه مُغْتَفَرُ

هُوَ الغنىُّ وإنى فى هـواه إلى أمانه من عذاب الهجر مُفْتَقِرُ

يا مالكَ القلب رِفْقاً إنَّ نارك فى أضالع الصَّبِّ لا تُبقِى ولا تَذَرُ

ما أنكر الطَّرْفُ أن الشَّعْرَ منك دُجىً وإنما غرَّهُ من وجهك القمَرُ

فَضَحْتَ غُصْنَ النقَا لِيناً فظلَّ إذا ما ماس قدُّك بالأوراق يَسْتَتِرُ

يا مُدْنَفَ الخصرِ قد غادَرْتَنِى دَنِفاً وناعسَ الطَّرْفِ قد أَوْدَى بِىَ السَّهَرُ

إنى لأعجبُ من طَرْفٍ تديرُ بهِ على محبِّيك خمْراً وهْو مُنْكَسِرُ

يا عاذلى فيـه قل مهما أردتَ فما عنـدى وعيشِك مما قُلْتَه خَبَرُ

---

(١) فى م . ت : جائر .

(٢) فى م . ت : العمال والأعمال .

(٣) فى م . ت : أمسحها .

(٤) ترجم له صاحب الطالع السعيد ص ٥٦ وقال : توفى سنة ٦٧٢ هـ وأشاد به وبعلمه وأدبه .

قل للذى ظنَّ أنَّ الظبىَ يُشْبِهُهُ … مِنْ أينَ للظبى ذاك الجيدُ والحَوَرُ ؟!

أستَوْدِعُ اللهَ من وَدَّعْتُهُمْ سَحَراً … يوم الرحيل وهُمْ للقلب قد سَحَرُوا

٣٠٤ و
٣

/ فقال قلبى لطَرْفى عند فُرْقَتِهِمْ … ماذا بدمعك يوم البَيْنِ تَنْتَظِرُ

هنـاك لبَّتْ جفونى وهْىَ مسرعة … إن الجفون بأمرِ القلب تأْتَمِرُ

ومنها فى المدح :

ماضى العزيمة ما فى باعه قِصَرُ … يوم الهياج ولا فى طبعه خَوَرُ

تُثْنِى على جوده أخلاقُهُ وكذا … يُثْنِى على حسن أفعال الحيا الزَّهَرُ

فغير بِدْعٍ إذا ماخِلْتُهُ مَلَكاً … لأنه حاز ما لا حازَهُ البَشَرُ

تَجمَّع الحسنُ والإحسان فيه معاً … وإنما بالمعانى تُعْشَقُ الصورُ

كم للنَّدَا من معان كلها طُرِقَتْ … وكلٌّ معنى له فى الجود مُبْتَكَرُ

سَمْحٌ إذا حلَّ فى مغناه ذو أدبٍ … فالمدح يُنْظَمُ والأموال تنْتَثِرُ

يرْتاحُ للمدح علماً أنه سببٌ … للجود لا كالذى بالمدح يفْتخِرُ

عوِّلْ على قصْده بعد الإله تَجِدْ … عَوْناً وغوْثاً لديه العِزُّ والظَّفَرُ

واستَجْلِ من وجهه شَمْساً إذا بزغتْ … يكاد يَعْجِزُ عن إدراكها البصرُ

وشنِّف السمعَ من ألفاظ مِقْوله … فإنه بَحْرُ علمٍ كلُّهُ دُرَرُ

ومنها فى المدح بأصوله :

بهِ انْتَصرْتُ على جوْرِ الزمان وهل … يَزَلُ من بات بالأنصارِ ينْتصرُ

٣٠٤ظ
٣

/ حسبى اعْتمادى على بيْتِ مكارِمُهُ … فى الدهر يُخْبِرُ عنها البدوُ والحضَرُ

قومٌ بقولِ رسول الله فَضْلُهُمُ … فى الجاهلية والإسلام مُشْتَهِرُ

قَيْسُ بن سَعْدٍ وما أدراكَ جَدُّهُمُ … إنَّ الأصولَ عليها تَنْبُتُ الشَّجَرُ

وقوله يهنىء ابن الفقيه نصر عند قدومه من بلاد الصعيد ، واتفق تغليق النيل عند وصوله إلى مصر :

قدومك أحْلَى من غِنَى عند ذى فقْرِ … وأحْسَنُ من يُسْرٍ تَأَتَّى على عُسْرِ

وأشهى إلى الظمآن من نَقْعِ غُلَّةٍ … وأبْهَى لدى الضُّلَّالِ من طَلْعَةِ البَدْرِ

قَدِمْتَ فبُشْرَى بالغنائم والغِنَى وأهلا وسهلاً بالبشـــاشة والبِشْرِ
بكتْ قوصُ لما رُمْتَ عنها ترحُّلاً فمن دمعها قد غُلِّقَ النيـــل فى مِصْرِ

وقوله يخاطب الأمير على بن الشهاب أحمد ، وقد أبلَّ من مرض ، وكان قد تاب عن الشرب فى أول شعبان ، فلما فرغ من إنشاده حتى أحضر الشراب بحضرة الأطباء قال ، ونسأل الله الصفح والمغفرة :

خلِّنى من ملامةِ اللُّـوَّامِ وأدرْ فى الدُّجى كئوسَ المُدامِ
وتيقَّظْ للَّهو مذ نام طَرْفُ الـــدهر وارْتعْ فى غفلة الأيَّامِ
/ إنما العَيْشُ أن يُوافيك فى الليْـــل بشمس النهار بَدْرُ التَّمامِ
حَيِّها[1] بالقبول منك كما حَـــيَّتْك والْقَ ابتسـامها بابْتسامِ
ذاتُ لُطفٍ حلَتْ وإن تكُ ما حلَّـــتْ محلَّ الأرواحِ [فى] الأجسامِ
فاسْقِنيها صِرْفاً ونَزِّهْ حلال الـــماء عن أن تَشُوبَهُ بحَرامِ
وَالْهُ عن رامةٍ ونجْد وعن وَصْـــف أراكٍ لديهما وبَشـــامِ
خلِّ رَبْعاً عَفا وباكِرْ رَبيعاً أنتجَتْه مقدَّماتُ الغَمامِ
إنما العمــــر هَجْعَةٌ ومسرَّا تُ الليـــالى تمرُّ كالأحلامِ
وإذا خفتَ من أثام فعفْوُ الـــلّـــه لا يُرْتَجى لغير الأنامِ
تُبْ عن التَّوْبةِ التى سوَّلتْها لك فى النفس كثرةُ الأوهامِ
وَانْسَها طولَ شهر شعبانَ واذْكُرْ ها إذا ما استهلَّ شهرُ الصيامِ
وتناولْ رَطْلاً عتيقاً من الخمْـــر عقيبَ الغِذاء والحمَّامِ
واجعل النُّقلَ لَثْمَ خدٍّ وثغرٍ من هلال أبْداه غُصْنُ قَوامِ
صِفَةٌ تشهد الجماعة أنى لست أرضَى فيها ابنَ سينا غلامى

وقوله من قصيدة[2] :

خَدٌّ هو الجنـــة إلا أنَّهُ ذو لَهَبِ
/ قلبى سليمٌ فى الهوى بصُدْغــــه المُعقْرَبِ

(١) هكذا فى م . ت وفى الأصل : حيينا .
(٢) فى م . ت : يمدح ابن التاج القرطبي .

وقوله منها وكان الممدوح مالكيًّا :

يا مالكى ماشافعى إليك إلا أدبى
حاشاك أن تحتاج للتنبيه[1] فى المهذَّب

وقوله وكتب به إلى بعض الأصحاب فى صدر كتاب :

لا تَلُمْنِي إذا حَسَدْتُ كِتاباً سينالُ المثولَ بين يدَيْكَ
ولو أنَّ الزمان بالبعد لم يَقْـ ـصُصْ جناحى لطرتُ شوقا إليك

ومثل ذلك :

أمولاىَ إنَّ اشتياقى إليك لأعْجِزُ عن شرحه فى كتابِ
وإنى ليُنْحِمُنِي وَصفُهُ ولو كنت أُوتيتُ فَصْلَ الخطابِ

ومثل ذلك :

لا أوحشَ اللهُ ممن لم أزل أبداً أراه عندى وإن شَطَّتْ بهِ الدارُ
ولستُ أعجبُ إلا من إقامتهِ فى باطنٍ حَشْوُهُ لما نأى نارُ

وقوله :

بأَبِى مَنْ أعارنى فى الهوى سقْمَ خَصْرِهِ
والذى لستُ أستَطِيع خلافا لأمْرِهِ
قادنى لحظُهُ إليه دليلا بسحرِهِ
قد حوى حُسْنَهُ زما نُ التَّصابى بأسْرِهِ
حَثَّ فى روض وَجْنَتَيه لنا خمْرُ ثَغْرِهِ
فاصْطَبَحْنا بوجهه واغْتَبقْنا بشَعْرِهِ

وقوله فى ابن شادى بالقصر :

أقول لسفرٍ يَمَّمُوا قِبْلَةَ النَّدَا عليكم إذاً بالقصْرِ فالقصْرُ أفضَلُ

٣٠٦ و
٣

(١) فى م . ت : فى التنبيه للمهذب وهما كتابان مشهوران بين الفقهاء .

وقوله :

تلذُّ لىَ الآمالُ عجزاً وإنما أَلذُّ من الآمال عندى بلوغُها

وقوله :

إن كنتُ ممن راعَنِى [1] هجركم أَوْ ضَاق صدرى بتجنيكمُ
فلا أدام الله لى سلوةً وردَّ قلبى عاشقا فيكمُ

وقوله من قصيدة :

دامَ فى الحب ذُلُّهُ وانكسارُهْ حين غدَتْ [2] من دمعه أَنصارُهْ
/بات يَرْعى كواكب الليل شوقاً منذ غابت عن عيْنِهِ أقمارُهْ

٣٠٦ ظ
٣

ومنها :

لا وقدٍّ سبا [3] الغصونَ تثنِّيـــهِ وخدٍّ زهَا به جُلَّنارُهْ
وعِذارٍ ما زال يُخْلعُ فى الحُـــبِّ، عليه من كل صبٍّ عِذارُه
لا شكوتُ [4] الحبيبَ يوماً وإن را مَ سُلُوًّا إذْ شطَّ عنِّى مزارُه

ومنها فى ذم شخص :

لا تَلمْنِى إذا سطوتُ عليـــهِ فَهْـــو تيْسٌ يهينُهُ جزَّارُهْ
غير خافٍ عليك قدرى وإن شِئْـ ـتَ اختبرنى حَسْبُ البايع اختبارُهْ
فلســـانى كالسيف سِلْماً وحربا يُرتَجى صَفْحُهُ ويُخْشى غِرارُهْ

وكتب إلى الصاحب جمال الدين بن مطروح :

يا جمال الدين لى حَـــقٌّ على المولى وحُرْمَهْ
وولاءٌ أكَّدَتْهُ خدْمةٌ تتبعُ خدْمَهْ
وبمـــلو كك همٌّ لا يُطيق الآن كَتْمَهْ
هجم البردُ عليـــه هجمةً من بعدِ هجمهْ

(١) فى م . ت : راعه .
(٢) فى م . ت : عرت .
(٣) فى م . ت : يسبى .
(٤) فى م . ت : سلوت

لا تسلْ عنه فقد فصّل هذا الفضلُ عظمهْ

٣٠٧ و
٣

/وله أثرُ لحاف محتِ الأيامُ رسْمَهْ
مات بَرْداً والذى وا راهُ ما أتقنَ رَدْمَهْ
فهْوَ إذ يُنْجَشُ[1] منه فى بقايا القُطن رِمَّهْ

ومنها :

أنت فى الجود نبىٌّ وهو فى حُبِّك أُمَّهْ

وقوله من قصيدة فى مدح الأمير فخر الدين البانياسى :

أين فعلُ المدام بالجُلّاسِ فاملَ لى يانديمُ بالخمر كأسى
واسقنيها حتى أقوم ولا أعـرف سكرا عِمامتى من مداسى

ومنها فى المدح :

لا تذكِّره بالجميل فما كا ن لفعل الجميل يوماً بناسِ
فاق جـودا وسطوةً وذكاءً وَصف معْن وعَنْترٍ وإياس
لم يزل جودُه يساوى به العا فين مالا ولا أقول يواسى
ذو سيوفٍ يوم النزال كوِرْدٍ وجنابٍ يوم النوال كآس
من أناسٍ حازوا الثناء ببذل الـجود مجداً أكرمْ بهم من أناس
فهمُ كالغيوث فى يوم محْلٍ وهم كالليوث فى يَوْم بَاس
وهمُ فى الدُّجى نجومٌ سَوارٍ وهمُ فى الحِجا جبالٌ روَاسى

٣٠٧ ظ
٣

/وقوله من قصيدة يمدح بها صدر الدين بن القرميسينى :

رزقُ العباد براحتيك مقسَّمُ فلذاكَ تَرزق من تشاء وتحرِمُ
وإليك ترتدُّ الأمورُ بأسرها ثقةً بعدْل قضاك فيما تحْكُمُ
أُلبسْتَ ثوب المجد ما بين الورى وعلى عَواتقكَ الطرازُ المُعْلَمُ
أصبحتَ بالإحْسان فينا مالكاً أعناقنا ونَدا يديك مُتمِّمُ

---

(١) ينجش : ينبش ويستخرج .

ومنها قوله فى صفة ما يقاسيه من البرد أيام الشتاء :

واعذرْ فتىً حسدَ المجوسَ لبرده ... فى دينهم وهوَ الحنيف المسلمُ
إذ يعبدون النارَ طول حياتهم ... ومصيرُهم بعد الممات جهنَّمُ

وقوله من قصيدة :

ضحكَ الروضُ من بكاء السحابِ ... فاغتنمْ فرصةَ الصِّبا للتَّصابِى[1]
واجنِ باكورة الزمان بشُرْب الـ ... ـرَّاح فالدهــرُ آيلٌ للذهابِ
وأدِرْها من عَسْجدٍ فى لُجَيْنِ الـ ... ـكأس قد رُصِّعَتْ بدُرِّ الحَبابِ

منها فى وصف حاله :

أتلقَّى الشِّتا بجلدى وغيرى ... يتلقَّاه بالفِرا السِّنْجابِ
وأودُّ المُشاق[2] والقطن والصو ... فَ وغيرى لم يرْضَ بالعَتَّابى[3]
/ جُبَّتى فى الأمطار جلدى ولِبَّا ... دىَ نوبى وبَغْلتِى قُبْقابى
ونهارُ الشتاء أطــولُ عندى ... من نهار الصيام فى شهر آب
لو يرانى عند الغُدُوِّ عــدوى ... لرَثى لى ورقَّ مما يرى بى
إذ يرى سائر المفاصــل منى ... راقصاتٍ إذ صفَّقتْ أنيابى[4]

وكتب إلى الأمير شرف الدين يعقوب :

عليك بعد الإلهِ مُعْتَمَدِى ... إذ أنت ما زلت آخذاً بيدى
ملكتنى إذ غدوت لى سَنَداً ... فأنت يا ســيدى إذاً سندى
أنت على ضعف حالتى أبداً ... أشفقُ من والدٍ على ولدِ
رفعتَ قدرى بعد الخمول وقد ... كنتُ كمثل الغريب فى بلدى
نوَّهتَ بى إذ غدا الصديقُ لما ... يراه وهو العدو من حَسَدى
ومذ توصَّلتُ أو وَصَلْتُ إلى ... بابك لم أفْتقرْ إلى أحَــدِ

(١) فى م ت : لا التصابى .
(٢) المشاق : الثوب اللبيس .
(٣) العتابى : ضرب من الثياب الرقيقة .
(٤) صفقت أنيابى : كناية عن الجوع .

٣٠٨ و
٣

مولایَ یدعوك من له أملٌ | فيك جميلٌ وحُسْنُ مُعْتَقَدِ
فلا تَكِلْهُ إلى سواك ومَنْ | سِواك بعد المُهَيْمِنِ الصَّمدِ
يا حاميا جَوْرَ ذا الزمانِ لقد | فَتَّ زمانى بالجَوْرِ فى عَضُدِى
وجُوخَتى لو تُباعُ لم يكُ لى | شَئٌ يُوارِى من بعدها جَسَدِى
/ تَزِيدُ جسمى بَرْداً ولستُ كمن | يقولُ يا بَرْدَهَا على كَبِدِى

٣٠٨ظ
٣

وكتب إلى صدر الدين بن القرميسينى :

لقد أغْنَيْتَنِى فى كلِّ حالِ | بما أوليتَ من جاهٍ ومالِ
وقد آمنْتَنِى من كلِّ خوْفٍ | يُراقبُ من مقامٍ أو مقَالِ
فلا الأيام تُضْمِرُ لى عناداً | لكونى فى ذَراك ولا الليالى
أصدْرَ الدين دعوةَ مُسْتَجيرٍ | بحبِّك من مباغضــة الرجال
جعلتَ الناسَ حُسَّادى جميعاً | بما أوْلَيْتَنيهِ من النوَالِ
وكم فى مصرَ عندى من غَنىٍّ | وفقرِى لا يمرُّ له ببـالِ
يقابلنى على مَدْحى بشكرٍ | فأقنع بالمحَال عن المُحَالِ
وبى ضعفٌ مدَى الأيام يقوى | على جسمٍ ضعيفٍ كالخِلال
وحُمَّى قد غدا كانونُ عندى | بهـا تمُّوزَ من غير انتقال
وبى جَرَبٌ إذا أدماهُ حَكِّى | جرَى منه العقيقُ على اللآلى
وقد ماتتْ حيــاتى فى خمولٍ | تنبَّه لى وقد صحَّ اعتلالى

وقوله من قصيدة فى ابن القرميسينى المذكور :

يا رئيسَ الدهرِ كنْ لى مُنْصفاً | من خطوب الدهر إن الدهرخصْمى
/ أىُّ دهرٍ كرَّ من أيَّامه | ولياليــه بشُهْبٍ وبدُهْم
ولعمرى لو درى أنىَ من | بعض غلمانك ما همَّ بظُلْمى (١)

٣٠٩و
٣

وقوله لصاحب له ، يعرف بعبد العظيم الإسكاف ، وقد مرض فلم يَعُدْهُ :

أقل لعبد العظيم عنى مقالا | فيه عتْبٌ (٢) أضحى طويلا عريضاَ

---

(١) فى م . ت : بظلم .
(٢) فى م . ت : عيب .

أحرامٌ لو زُرْتَ فى طلب الأجـــرِ حبيباً مصافياً أو بَغيضا

غير أنى رأيتُ عـذرك مبسو طاً إذا كنت نائياً مقبوضا

أوضحت عُذْرَكَ المعيشةُ عندى حين أصبحتَ لا تعودُ مريضا

أثقلتْ ظهرَكَ اللوالكُ [(1)] حتى صِرْتَ لا تستطيع منها نهوضا

وقوله من قصيدة فى مدح الصاحب الأجل الإمام العالم كمال الدين عمر بن أحمد بن أبى جرادة :

سَرَّ الفؤادَ طَيْفُهُ لمـــا سَرَى فمرحباً منــــه بما أهدى الكَرَا

وافى إلىَّ زائرا فليتَــــهُ حقَّقَ فى اليَقْظَةِ لى ما زَوَّرَا

ظَبْىٌ إذا ماسَ ولاح وَجْهُــه رَأَيْتَ غُصْناً بالهــلال مُثْمِرَا

وإن بدتْ طلعتُــــه فى ليلةٍ من شعْرِه رأيتَ ليـلا مقمرا

/ كم ليلةٍ جنَيْتُ من عِـــذاره آساً ومن خدَّيهِ وَرْدًا أحمرَا

قل للذى يَعْذلنى فى حُبِّــه حَقٌّ لمن أحبَّه أن يُعْذَرا

يا بِأبى من لم يزل بحُسْنِــه فى الحبِّ عن ذنوبه مُعْتَذِرَا

جرَّدَ من جفْنَيهِ عضْباً أبْيَضاً وهزَّ من عِطْفَيهِ لَدْناً أسْمَرَا

يَا ساحرَ الأجفان رِفْقاً بفتىً سلبْتَ منـــه عَقْلَهُ وما دَرَى

غرِيمُهُ الشوقُ وقد أضحى من الـــصبر الجميل مُذْ نَأَيْتَ مُعْسِرَا

أجريْتَ من أدْمُعِهِ ما قد كفا يَكْفيك من أدمعه ما قد جرَا

حُزْتَ الجمال مثلما حاز العُــلا الْ مَوْلى كمالُ الدين من دون الوَرَى

شَيَّدَ مجداً لو أراد النجمُ أن يُدْرِكَ بعض شأوه لقصَّرا

ولو رأى البدرُ المنيرُ وَجْهَهُ هَلَّلَ إجلالا لــه وكبَّرا

يا مَنْ أرجِّى ماله وجاهــه هذا أوانُ النفع فافعلْ ما ترى

لم ألْقَ فى ذا الدهر من أشْكُو له رَيْبَ الزمان إذ تَعَدَّى واجْتَرَا [(2)]

وطالما حدَّثْتُ نفسى بالغِـنَى منك « وما كان حديثاً يُفْتَرَى »

(1) الوالك : جمع لوك ، وهو الكلوك الذى يلبس فى الرجل . عامية عن تاج العروس .

(2) فى م . ت : وافترى .

ولستُ أختـــارُ كريماً بعدها عنك «وكلُّ الصَّيْدِ فى جَوْفِ الفَرَا»[1]

فخاطبِ السلطانَ فى مَرَّةً واحدةً من قبل تَنوِى[2] السَّفَرَا

فَهْوَ أبو بكرٍ وأرجو أنَّه فى كل أمرٍ لم يخالف عمرا[3] / ٣١٠ و ٣

وقوله من قصيدة رثى بهـا ولده وكانت إحدى عينيه قد أصيبت بجدرى :

من بَعْدِ فَقْدِكَ قل لى كيف أصْطَبِرُ والحزنُ عندىَ لا يُبْقِى ولا يَذَرُ

يا من أقام بجنَّـــات النعيم وفى قلبى عليه لهيبُ النـار يَسْتَعِرُ

كم قد تأسَّفْتُ لـكن لم يفِدْ أسَفِى كما حَذِرْتُ وما أغنانىَ الحَذَرُ

بكيتُ إذ قيل لى فى عَيْنِهِ أثَرٌ فـكيف حالى ولا عَيْنٌ ولا أثَرُ

وقوله فى رثاه ابن الفارض ، ودفن تحت موضع يعرف بالعارض :

لم يَبْقَ غَيْثُ سحابةٍ إلا وقد فُرِضَتْ عليه زيارةُ ابن الفارضِ

لا غَرْوَ أن يُرْوَى[4] ثَرَاهُ وقبرهُ باقٍ ليوم العَرْضِ تحت العارضِ[5]

كمل ما اخترته لهذا الكتاب من تقطيف الجزار . ومما كتبته عنه ومن غيره ومن بعض مسوداته مما لم أجده فى الكتاب المذكور قوله ، وقد حضر بين / يدى الصاحب الكبير كمال الدين ابن أبى جرادة مودِّعا وقد أزف رحيل الصاحب عن مصر فى سنة[6] أربع وأربعين وستمائة فاتفق أن وجّه سلطان مصر إلى الصاحب جزءًا من التمر الذى يصل من أعلى الصعيد فى المركب المبشِّر بزيادة النيل على وجه البركة ، فأمر الصاحب أن يقدم لمن حضر ، فأكل الجزار فى جملتهم ، وقال فى ذلك ارتجالا ، فأتى بأبدع تورية : ٣١٠ ظ ٣

أطعمتنا التَّمْرَ الذى للبركات[7] قد حَوَى

(١) مثل يضرب لنفاسة الشىء .

(٢) فى م . ت : تلغى .

(٣) يشير إلى سلطان مصر حينئذ واسمه أبو بكر العادل (الثانى) والممدوح ابن أبى جرادة ويسمى عمر والتورية واضحة .

(٤) فى م . ت : روّى .

(٥) العارض . السحاب الممطر .

(٦) فى الأصل : فى سنة خمس أربع وأربعين وستمائة وأغلب الظن أن ابن سعيد كتب « خمس » خطأ ، ثم كتب « أربع » على أنها الصحيحة ونسى أن يضرب على كلمة « خمس » .

(٧) فى م . ت : للمكرمات .

لله ما أطيبَــه لو لم تَشُبْهُ[1] بالنَّوى[2]

وقال مخاطبا له، وقد تعذر عليه الوصول إلى بابه، على عادة من يلم بالارسال :

أسأل الله أن يُديم لك العــزَّ ويُبقِيكَ ما أردتَ البقاء

كلَّ يوم أرجو النعيم بلقيا كَ فألقى بالبُعْدِ عنك شقَاء

علِمَ الدهرُ أننى أشتكيه لك إذ نلتقى فعاقَ اللقاء

٣١١و
٣

وهذه الغاية فى الإحسان. وأنشدنى لنفسه فى مطلع / قصيدة رفعها إليه عند قدومه على مصر رسولا فى سنة أربع وأربعين وستمائة، واتفق له من الامتناع للوصول مسلما عليه ما جرت به هنالك العادة :

منَعَتْنَا الوشاةُ أن نتلاقى فكأنَّ القدومَ كان فِراقا

[الحلة]

من كتاب بلوغ الآمال فى حلى العمال

أحمد[3] بن خالد الصَّرِيفينى

نقلتُ من كتاب أخذته من خزانة الصاحب الكبير كمال الدين بن أبى جرادة، أحسن الله له : أنه روى عن عبيد الله بن سليمان قال : كنت بحضرة أبى فى ديوان السواد بسُرَّ مَنْ رأى، وهو يتولاه إذ دخل إليه أحمد بن خالد الصريفينى، فقام أبى إليه قائما من مجلسه، وأقعده فى صدره، وجلس إلى جانبه، واشتغل بحديثه عن جميع ما كان ينظر فيه حتى خرج، فاستعظمت أنا وسائر كتاب الديوان / ذلك منه، لأن أصحاب الدواوين لم يكونوا يقومون لأحد، فرأى أبى ذلك فى وجهى فقال: يابنى إذا خلونا فسلْنى عن سبب ما رأيت وأنكرت. فلما خلا مجلسه سألته فقال : كان هذا الرجل يتقلد عمل مصر فى أيام المتوكل، وطالت مدته فيها، ثم صرفته عنها، فرأيت آثار رجل لم أر قط أحسن آثاراً فى الأعمال ولا أعفَّ عن الأموال منه، ورأيت الرعية من الشكر له على حال ما رأيت مثلها، وكان على البريد رجل تأكدت الحال بينه وبينه، فرمت أن أتعلق على هذا الرجل بحجة فى عمله فلم أجد الى ذلك سبيلا، ووجدتّه قد أخر رفع الحساب لسنة مضت وسنته التى هو فيها فاستدعيته وقلت له : نحب أن تحط من الدخل، وتزيد فى النفقات، وتكسر من البقايا فى كل سنة مائة ألف دينار، وترفع الحساب على هذا، لأنتفع أنا بذلك ولا يضرك وأمشِّى أمرك وأتصرف على

٣١١ظ
٣

(١) فى م. ت : تشنه.

(٢) النوى : لها معنيان : نوى التمر، والبعد والفراق، ومن هنا التورية.

(٣) كان على خراج مصر سنة ٢٣٨ هـ. انظر الولاة والقضاء للكندى ص ٢٠٠

٣١٢ و
٣

ما تحبه ، فقال : / أنا لم أخن لنفسي ، أخون لغيري ؟! ما إلى هذا سبيل ! فرفقت به فلم يجبني إلى ذلك ، فأغلظت له وتوعدته ، فلم يزده ذلك إلا إقامة على أمره ، فحبسته ، وقيدته ، وأخذت أختلق له المحال وأحتج بالعلل الباطلة .

وكتب صديقه صاحب البريد إلى المتوكل بما ظهر من حسن أثره عند الكشف عنه والصرف وما أهل البلد عليه من الشكر له والمحبة لنظره والسكون لمعاملته ، وأطنب في ذلك للمودة التي كانت بينه وبينه ، فكتب المتوكل إليه بتسليم العمل ، وإلىّ بتسليمه إليه وإلى أمير البلد بتقوية يده في القبض علىّ حتى يستوفي مني حساب مدة نظري ، ووصل الكتاب إليه بذلك وهو في حبسي فأنفذ إلى يقول : إن رأى سيدي أن يحضرني بين يديه لألقي إليه مهمًّا يحتاج إلى معرفته فعل ، فقدرت أن الحبس قد عضه والشقاء قد أضجره / وقاده إلى ما أردته منه فاستدعيته

٣١٢ ظ
٣

فأحضر وهو في قيوده ، فلما حضر استخلاني فأخليت له مجلسي فقال ، ياسيدي إما أن ترق لي مما أنا فيه من غير ذنب مني إليك ولا ذحل قديم . فقلت : أنت اخترت هذا لنفسك وقد حلفت يميناً ليس لي منها مخرج إن أفرجت عنك أو تفعل ما التمسته منك . فأخذ يسألني ويستعطفني ويتضرع إلىّ فغاظني وقلت : هذا هو المهم الذي أردت أن تخاطبني به وتستخليني له وسببته وشتمته وقلت : أنت تظن أنك تخدعني ، عد إلى السجن . فقال : ليس عندك ياسيدي غير هذا ؟ فقلت لا . قال : فاذا كان الأمر هكذا فاقرأ هذا . وطرح إلىّ كتاباً مختوماً ملطفاً ففضضته فإذا هو بخط المتوكل يأمرني بالانصراف وتسليم الأعمال إليه ويأمره بالحوطة علىّ ، فبقيت مبهوتاً لقرب عهدي بسبه وشتمه / والإساءة إليه بغير جرم ، ولموضع قيودي في رجليه ، وزحفت من موضعي حتى صرت بين يديه

٣١٣ و
٣

وقمت على قدمي وقبلت يديه وقلت : ياسيدي قد كان مني من الغلظ والحيف ما لم يبق معه وجه يحتمل المسألة في العفو والإحسان . وإني لفي الكلام معه إذ دخل أمير البلدة وأعوانه وتوكلوا بداري وكتابي وسائر أسبابي فأقبل علىّ الأمير وقال : إن الرجل قد ورد إلى هذا البلد غريباً وعهده به قريب ومعه حرم وليس له دار غير هذه وأنا أجد داراً أنزلها فأزل الاعتراض عنها . ثم تقدم إليه بصرف الأعوان ورفع التوكيل عني ، وأمرني بالمقام في مكاني ، وأخذ كتابي وأسبابي معه وانصرف ، فقلت لبعض حاشيتي : ويلك ! انظر من ترك معنا من المتوكلين . فقال : والله ما ترك أحداً ، فخيل إلى أني أرى

٣١٣ ظ
٣

ذلك في المنام ثم لم ألبث أن عاد إلىّ سائر / أسبابي وغلماني مطلقين قائلين : أخذ خطوطنا برفع الحساب وأمرنا بالملازمة إلى حين نفرغ منها من غير إرهاق ولا إزعاج ولا تخويف ولا ترهيب . ثم إنه باكرني من الغد مسلماً وتناهى في تأنيسي والتسكين مني ، ولم تزل ألطافه وبره وتحفه وطعامه تجيئني مدة شهر . ثم قال لي : يا سيدي أظنك عشقت مصر ، والله ما هي طيبة الهواء ولا مستلذة المقام ، وإنما يطيبها التصرف والكسب ، وما الذي يؤخرك عن التوجه ، فوالله ما تدخل الى الحضرة

حتى يُردَّ إليك أجلُّ الأعمال لشدة الحاجة إلى مثلك لما جمع الله فيك من الفضائل. فقلت : والله ما أقمت إلا توقعا لأمرك ومحبة للاستكثار من خدمتك. فقال: قد أخذت خط كاتبك برفع الحساب عنك فامض مصاحباً ، فأنجزت أمورى وخرجت من غد ، وخرج هو والأمير والقاضى وأماثل الناس فشيعونى إلى / ظاهر البلد . ثم قال لى : أقم هاهنا إلى أن أزيح علة قائد يصحبك برجاله لحفظك فى طريقك وحمايتك، فقد فسد الطريق فى هذه الأيام ، فساء ظني. وقلت: احتال عليَّ حتى خرجت بجميع مالى ويريد أن يقتصَّ على . ثم استسلمت لما لم أجد من ذلك بدًّا . فلما كان من الغد رأيت أوائل العسكر ، فأيقنت بالشر ووطنت نفسى عليه ، فإذا به قد جاءنى ومعه القائد الذى أصحبنى إياه ثم خلا بى وقال : أنا أعلم أن أيامك بمصر لم تطل ولم تنتفع منها بشيء وذلك الأمر الذى سمتنيه فى أول ولايتك وامتنعت منه ، قد نظرت فيما يمكن النظر فيه ، وحصلت لك منه ثلاثين ألف دينار لتكون عُدة معك إذا وصلت مع سلامة الله إلى منزلك، وهذه خمسة آلاف دينار استسلفتها من رزقى تستعين بها على نفقة طريقك . فشكرته وأردت تقبيل يده فمنعنى وقبل / ما بين وجهى وأخرج إلى ثبتاً وقال: هذا ثبت شيء من متاع مصر وطُرفها جمعته لك لأنى أعلم أن كُتّاب الحضرة وحاشية السلطان سيقولون لك: وليت مصر ونظرت فيها وقدمت فأين هداياها ؟ فتصرف هذا فى برّ من تراه وملاطفة من تشتهى ملاطفته ، فأنعم بأمر صاحبك بتسلم ذلك . فتسلم خازنى المال وما فى الثبت . وكانت جملةً كبيرة من الثياب والمتاع والطرف والعدة كبيرة من الرقيق والكراع. أفلا أقوم لهذا الرجل . فقلت : أى والله فوق القيام بما يستطاع . قال : وكان أبى بعد ذلك إذا صرف رجلا عن عمل تناهى فى أعمال معاملته .

أبو بكر محمد [1] بن على المـاذرائى

هو ممن لا يجب إغفال ترجمته لبعد صيته ، وعظم قدره ، وانقلاب الدول عليه ، وكونه ناهض السلاطين / العظماء وضرب وجوههم بالسيوف وهو عامل خراج ، وطالت مدته ، ودارت على رأسه من تغيرات الأحوال عجائب. وقدتقدم له ذكر فى ترجمة الإخشيد سلطان مصر .

من كتاب المسبحى : وفى ليلة الجمعة لإحدى عشرة خلت من شوال سنة خمس وأربعين وثلثمائة توفى أبو بكر محمد بن على المـاذرائى رحمه الله . ولم يكن بقى من عمال السلطان فى سنه أجلُّ منه ، وكان كثير المعروف لأولاد النعم وأهل الحرمين ، وكان سنه يوم توفى ثمانيا وثمانين سنة لأن مولده كان سنة ثمان وخمسين ومائتين لعشر ليال خلون من شوال ، قال المسبحى : كانت حاله فى سعادته ووفور حظه وإقبال أمره مشهورة معروفة ، ولم يكن بقى من الأكابر والجلة أحد يرتفع عن الوقوف ببابه .

٣١٤ و
٣

٣١٤ ظ
٣

٣١٥ و
٣

(١) ترجم له المقريزى فى الخطط (طبع بولاق) ترجمة واسعة ٢ / ١٥٥

٣١٥ظ
٣

وكان له فضائل عظيمة/ على الطالبيين ونعم موقوفة عليهم . وكان قد وزر لأبى الجيش خمارويه وحج إحدى وعشرين حجة . وكان ملازما للصيام والصلاة فى المساجد القديمة ، مواظباً على صلاة الجمعة فى سفره وحضره . قال أبو محمد الفرغانى : حدثنى أبو على حسين ابنه قال : لما كان فى ليلة الجمعة وهى التى توفى فيها التمس أن يغير ثيابه ، فغيرها ، ودعى بماء ، فتوضأ للصلاة ، وقال لبعض القراء الذين حضروا : صلّ بى المغرب والعتمة . ففعل وصلاها . قال حسين فقلت له : كيف تجد نفسك؟ قال: ضعيفة ، قال: فقلت له: أجيئك بماء لحم الفروج. قال فقال لى: ياسيدى يا أبا على ، أقول لك إنى ضعيف فتقول : أجيئك بلحم الفروج ! . وامتنع من أخذه ، قال أبو على: فخرجت من عنده لحاجة فلحقنى الخادم فقال أدركه ! فأدركته ، وقد فاضت نفسه . فقال فى رثائه/ أبو العباس السكرى :

٣١٦و
٣

عَزَّ أمرٌ على الْبَرِيَّةِ عَزَّ الـــصَّبْرُ [جارًا و] طائراً مُسْتَفَزّاً
بأَبِى بكرٍ الْمُصِيبةُ عَمَّتْ كُلُّ شَخْصٍ تَرَاهُ فيه مُعَزَّى

وكان الوزير أبو الفتح الفضل بن جعفر صادرَ محمد بن على لما دخل مصر على ألف ألف دينار وأقام معتقلا خمس سنين إلى أن توفى الوزير أبو الفتح ، فراسله الإخشيد فى المسير إليه وكان اعتقاله بالرملة ، وأظهر برّه وإكرامه فى لقائه والاجتماع به ، ولم يزل عارفا بحقه إلى أن توفى ومات بموته عالم من أهل الستر والمروءات . ولما توفى أخرجت جنازته إلى المصلى وحضر أبو القاسم وأونوجور وكافور للصلاة عليه وأعيد إلى داره فدفن فيها . ويقال: إن ديوان أبى بكر محمد بن على الماذرائى أطبق بمكة على ستين ألفا ممن يُجرِى عليهم الرزق من الدقيق/ والقمح والدراهم ما بين صبى ورجل وامرأة .

٣١٦ظ
٣

وكان له بمصر من يُجرى عليهم الدقيق فى كل شهر مائة ألف رطل على ما حكاه أبو محمد الحسن ابن إسماعيل الضراب عن بعض الطحانين ممن كان يعامله ، قال : وأطبق ديوانه على مائة ألف عبد أعتقهم فى طول عمره ، وكان له من المعروف وعمارة المساجد ما لا يوقف عليه كثرة . وكان قد عمل كعكا لحاشيته، وعزم على الخروج إلى مكة، فتوفى رحمه الله قبل ذلك فباعوا الكعك للناس ولم يتصدق به بعد موته . قال: وكان معتدل الكتابة ولم يكن له بلاغة الكتاب المنشئين ولا تحققهم ، ولم تكن له مبالغة فى علم النحو ولكنه كان يأخذ الدرج فيكتب للسلطان وللوزير على البديه بغير نسخه فيخرج الكتاب سالماً من اللحن جميعه .

٣١٧و
٣

وكان يخلف أباه بمصر إلى سنة / ثمانين ومائتين . ثم ولى الخراج رياسة وسنه ثلاث وعشرون سنة . وصار أبوه وزيرَ أبى الجيش بن طولون إلى أن قتل أبو الجيش بدمشق وهو معه ، وعاد

إلى مصر ، فخلف أباه على الخراج أيام جيش بن خمارويه إلى أن خلع جيش وقتل فى ذلك اليوم أبوه على بن أحمد الماذرائى عند المنظر غيلة . وأُجلس هرون بن خمارويه فاستوزر أبا بكر محمد ابن على أيامه كلها إلى أن قتل هرون ، ووافى محمد بن سليمان الكاتب من قبل المكتفى فأزال دولة بنى طولون وحمل جميع الماذرائيين وفيهم أبو بكر بن على ، إلى أن وافى أبو بكر مع مؤنس فى العساكر إلى مصر وَدبَّر أمر البلد ، وأمرَ ونَهى .

وكان الغالب على أبى بكر دراسة القرآن ، وكان على مايقال يختم كل ليلة ويوم ختمة فى المصحف. وملك بمصر من الضياع الكبار / مالم يملكه أحد قبله حتى بلغ ارتفاع أملاكه أربعمائة ألف دينار فى كل سنة سوى الخراج . ووهب وأعطى وولى وصرف وأنعم وأفضل ورفع ووضع . وواصل الحج من سنة إحدى وثلاثمائة إلى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة تمام إحدى وعشرين حجة . وكان يقال إنه ينفق فى كل حجة مائة ألف دينار ويخرج معه بتسعين ألف ناقة لنفسه ، وأربعمائة عربى لجهازه ومؤونته ، ومعه محامل فيها أحواض البقل ، ومحامل فيها أحواض الريحان ، ومحامل فيها الكلاب للصيد . وقال مولاه هلال بن منصور وقد ذكر ما ينفقه فى كل حجة : ماأَدرى ماينفقه ولكنى سمعته يقول : أنفقت فى عشر حجات ألفى ألف دينار ومائتى ألف دينار،[1] وكانت الوفود ترد عليه وتسير معه ويتلقونه ، وكان يحمل إلى الحجاز / فى البر والبحر جميع ما يحتاج إليه يفرّقه هنالك : الدنانير والدراهم والثياب والطيب والحلواء والحبوب وسائر الأطعمة والقمح والدقيق والشعير والزيت ، ولاينصرف عن الحجاز إلا وجميع مَنْ فيه أغنياء . وقال له عبيدالله ابن طاهر فى المدينة : ياسيدى ما بات فى هذه الليلة أحد بمكة والمدينة وأعمالها إلا وهو شبعان من طعامك ، فبكى وخَرَّ ساجدا .

قال أبو محمد عبد الله بن أحمد بن طباطبا : لما توفى تكين استوحش محمد بن على ولم يحضر الجنازة خوفا[2] قال : فرأيت فيما يرى النائم أن تكين يموت يوم كذا وكذا وأن محمد بن على لايصيبه شىء إلا أنه يعيش حياة نكدة ، فلما فقدته فى جنازة تكين ركبت إليه وأشرت عليه بالحضور فامتنع ، فأخبرته أنى رأيت رؤيا أنه لايصيبه شىء ، فركب وحضر وأخرج التابوت وتقدم القاسم /

٣١٧ظ
٣

٣١٨و
٣

٣١٨ظ
٣

---

(١) لاشك أن فى هذا الكلام مبالغة ظاهرة ، ولكنه يدل دلالة واضحة على مدى ثراء أبى بكر محمد بن على الماذرائى وعلى مدى كرمه ونفوذه. ولاشك أنه كان للماذرائيين مكانة عالية فى مصر حتى خصهم ابن زولاق بكتاب من تأليفه وهو « كتاب سيرة الماذرائيين كُتَّاب مصر » فضلا عما ذكره عنهم فى كتبه : سيرة محمد بن طغج الاخشيد ، وتتمة أمراء مصر ، وتتمة قضاة مصر الكندى ، وسيرة سيبويه المصرى ، وسيرة جوهر .

(٢) لعله كان يخشى أن يعتدى عليه فيها كما هو واضح من سياق الكلام.

ابن عبد الله الشبيه فصلى عليه وصلى الناس فكبر أبو بكر بن على مع الناس تكبيرتين ولم يتم الصلاة ، وركب ومضى إلى داره وترك الناس فى الصلاة ، فلما فرغت الصلاة قلت لبعض الحاضرين : إيش خبر أبى بكر لم يتم الصلاة ؟ مابدع العجلة ! ! فقال : صلى إلى جنبه أبو جعفر ابن المتفق فقرأ فى الصلاة : « إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك » ، فسمعه أبو بكر فخرج ولم يتم الصلاة . وكان أبو جعفر بن المتفق رجلا تاجرا حسن المحضر ، وكان وزير تكين ، فشكرله أبو بكر ذلك ، فما ناله بعد موت تكين مكروه . وضُرِبَ الناس بين محمد بن تكين وبين محمد بن على حتى وقعت فتن عظام وأحرقت دور محمد بن على ودور أهله . ثم وافى أحمد بن كيغلغ وظهر محمد بن على فأمر ونهى ودبر / أمرَ مصر وأحمد بن كيغلغ تحت تدبيره ، لأنه كوتب من العراق بذلك . ثم وافت عساكر الإخشيد فحاربهم محمد بن على ومنع محمد بن على الإخشيدَ من دخول مصر ، وذكر أن كتب الراضى عنده بأن يولى إمارةَ مصر من شاء وأن يعزل من شاء . ولم يكن مع الإخشيد كتاب تقليد وإنما أخذ من الطريق كتاب تقليد محمد بن تكين فمحا تكين وكتب طغج . ولما شاهد الإخشيد قوة عساكر مصر أرسل الى أحمد بن كيغلغ بكتاب التقليد وكتاب التسليم ، وقال : إن منعنى انصرفت . فلما وقف أحمد بن كيغلغ على الكتاب سلَّم ودخلت عساكر الإخشيد ، واستتر محمد بن على ، ثم دخل بعد ذلك أبو الفتح الفضل بن جعفر الوزير وتلقاه الإخشيد فخلع على الإخشيد ، وزينت له الطرق ، ثم علموا بالموضع الذى كان فيه محمد / بن على .

وقد تقدم فى ترجمة الإخشيد من كيفية القبض عليه ومصادرته مايغنى عن الإعادة هنا وآل الأمر إلى أن خرج الفضل بن جعفر إلى الشام فحمل معه محمد بن على ، ومات الفضل ومحمد بن على بالرملة ، فأرسل الإخشيد ، فسيره ، ورد الأمر اليه ، وخلع على ابنه الحسين ولبس محمد بن على الدراعة وكان يلبس الرداء ، ولبس ابنه السيف و المنطقة . ولما انصرف محمد بن على من دار الإخشيد مخلوعا عليه مشى أبو جعفر مسلم بين يديه فلم يعلم به إلا فى سوق السراجين ، فحلف عليه حتى ركب . ثم سار الإخشيد لقتال ابن رائق إلى الشام وعاد ومحمد بن على يسايره ويحادثه والإخشيد مقبل عليه يسمع حديثه . وآل أمره إلى أن ولى تدبير الأمور فى دولة أونوجور بن الإخشيد ومات عزيزا ، وصلَّى عليه السلطان .

٣١٩و / ٣

٣١٩ظ / ٣

١٤٦ و
٢

[ومن كتاب الإحكام فى حلى الحكام ...[1]]

/ غوث[2] بن سليمان الحضرمى

من كتاب الكندى : ولى قضاء مصر ثلاث مرات ، وكان من أحسن القضاة ، وولى المرة الأخيرة من قبل المهدى بعد ابن اليسع فى جمادى الأولى سنة سبع وستين ومائة . ومن حكاياته : أن امرأة قدمت من الريف وغوث القاضى[3] فى محنة ، فوافته عند السراجين رائحاً إلى المسجد ، فشكت إليه أمرها ، وأخبرته بحاجتها فنزل عن دابته فى حوانيت السراجين ، ولم يبلغ المسجد ، وكتب لها بحاجتها ، وركب إلى المسجد وانصرفت المرأة وهى تقول : أصابت والله أمك حين سمتك غوثا ، أنت غوث عند[4] اسمك .

١٤٦ ظ
٣

وكان المنصور قد أمر بحمله إليه فى سنة أربع وخمسين[5] ومائة ، وذلك أن أم المهدى بنت يزيد بن منصور الحميرية وقع بينها وبين / المنصور[6] خصومة ، فقالت : لا أرضى إلا بحكم غوث ابن سليمان فحُمل إلى العراق حتى حكم بينه وبينها ، ورجع إلى مصر بعد ماحكم للمرأة . وكانت وفاته وهو على قضاء مصر فى جمادى الآخرة سنة ثمان وستين ومائة .

أبو عبد الرحمن محمد[7] بن مسروق

ابن معدان بن المرزبان بن النعمان بن يزيد بن شرحبيل بن يزيد بن امرىء القيس بن عمرو بن حجر الكندى

من كتاب الكندى : أنه ولى قضاء مصر من قبل أمير المؤمنين الرشيد ، قدمها يوم السبت

---

(١) ما بين القوسين زيادة السياق ، وقد سقطت تراجم القضاة السابقة للترجمة التالية وهم كما جاء فى فهرس لابن سعيد ملحق بالجزء الثالث من نسخة دار الكتب : قيس بن أبى العاص أول ولاة مصر لعهد عمر بن الخطاب ثم كعب بن ضنة ثم أبو سلمة ثم عبد الرحمن بن حجيرة ، ثم عبد الواحد بن حديج ، ثم عبد الله بن حجيرة ثم أبو محجن توبة بن نمر ، ثم عبد الله بن لهيعة ثم اسماعيل بن اليسع . ويتبين من صنيع ابن سعيد أنه ترجم لبعض القضاة دون بعض ، ولا ندرى على أى أساس اختار من ترجم له .

(٢) انظر ترجمته فى كتاب الولاة والقضاة للكندى ص ٣٧٣ من طبعة جست بمطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٠٨ — وسنقابل على هذه الطبعة نص القضاة التالين جميعاً ، وواضح أن ابن سعيد نقلهم عن الكندى ، إذ ينص على ذلك فى فاتحة كل ترجمة من تراجمهم . وسنرمز فى تعليقاتنا لكتاب الكندى المذكور بالحرف ك حتى لا يدور اسمه ويتكرر كثيرا .

(٣) فى ك : قاضى .

(٤) فى ك : غير وهو تحريف .

(٥) فى ك : أربع وأربعين .

(٦) فى ك : أبى جعفر .

(٧) انظر ترجمته فى الولاة والقضاة ص ٣٨٩

لخمس خلون من صفر سنة سبع وسبعين ومائة . وكان أعور وتشدد فى الأحكام وأعدى على العمال وأنصف منهم ، وأظهر تجبُّرا عظيما ، وباعد الخصوم ، وكان ولاة مصر يُحضرون القضاة إلى مجالسهم فلما قدم ابن مسروق أرسل إليه الأمير عبد الله بن المسيب ، يأمره بحضور [مجلسه ، فقال : لو كنت تقدمت إليك فى هذا لفعلت بك وفعلت يا كذا وكذا ، فانقطع ذلك عن القضاة من يومئذ[1]] .

[عبد[2] الرحمن بن عبد الله العمرى

من كتاب الكندى : ولى القضاء من قبل هرون الرشيد ، دخلها فى صفر سنة خمس وثمانين ومائة . . . قال : وكان العمرى يشدو بأطراف الغناء على مغانى أهل المدينة . . ولم يكن بمصر مُسمعة إلا ركب إليها يسمع غناءها ، وربما قوَّم ما انكسر من غنائها ، ويرى ذلك من الدِّين ، . . وقال معلى بن الـعُلا الطائى :

كم كم تطوِّل فى قِراتك والجورُ يضحك من صَلاتك[3]]

/ تقضى نهارك بالهوى وتبيت بين مغنِّياتك

١٤٧ و
٢

قال الكندى : حدثنا أبو سلمة [قال[4] :] حدثنى أبى عن أبيه ، قال : أتيت العمرى بعد قيامه من مجلس حكمه ، فاستأذنت عليه ، فأذن لى ، فدخلت وهو مضطجع ، وقد ترجل ، وصفّر يديه ، وكحّل عينيه ، واتشح بإزار معصفر ، وادَّهن ، وهو يضرب بأصابع يديه بعضها على بعض ، ويقول :

كأنى من تذكُّر أمِّ عمرٍو مَرَتْ بى قَرْقَفٌ صِرْفٌ مدامُ

قال : والعمرى أول من عمل تابوت القضاة الذى كان فى بيت المال ، كان يجعل فيه أموال اليتامى ومال من لا وارث له ، وهو كان مودع القضاة بمصر .

---

(١) فى الأصل خرم والزيادة من ك للسياق .
(٢) ترجم له الكندى ص ٣٩٤
(٣) مابين القوسين مزيد من ك لسد ثغرة الخرم الموجود فى الأصل ، حتى يتم السياق .
(٤) زيادة من ك .

قال[1] : ولما ولى الخلافة الأمين محمد بن هرون أمر بعزله ، قال عمرو بن خالد رأيت الذى جاء يعزله وقد تكاثف الناس عليه بالدعاء ، وقال رجل من أهل مصر :

برحمة الله ورأى الفَضْلِ[2] نُحِّى عن الحكم عدوُّ العَدْلِ
/ هذا سِوارى لرسول العَزْل

147ظ / 2

وكانت ولايته عليها تسع سنين وشهرين .

أبو بكر هاشم[3] بن أبى بكر

ابن عبد الرحمن بن أبى بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه

من كتاب الكندى : ولى مصر من قبل الأمين بعد العمرى وهو من أهل الكوفة ، يذهب مذهب[4] أبى حنيفة ، وتتبع أصحاب العمرى كلهم وسجنهم ، وسجن العمرى ، وقيده ، وطالبه بما صار إليه من الأموال فى الأوقاف[5] وغيرها ، وهرب العمرى من السجن ، وكانت أمواله فى مدين[6] ، فاحتملها حتى بلغ فَيْدا[7] ، فلقيه من أسد وطيء جمعٌ أوقعوا به وأخذوا ماله[8] ، ونجا منهم بحشاشة نفسه . قال : وكان البكرى لا يجلس للقضاء حتى يتغذى ويشرب ثلاثة أقداح نبيذا ، ومات وهو على قضاء مصر فى مستهل محرم سنة / ست وتسعين ومائة ، فكانت ولايته سنة ونصفا.

148 و / 2

إبراهيم[9] بن الجراح مولى بنى مازن

من كتاب الكندى : أنه من أهل مَرْو الرُّوذ ، ولى قضاء مصر من قِبَل أميرها السرى ابن الحكم فى مستهل جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين . وكان يذهب مذهب أبى حنيفة . وأمره السرىّ أول ما ولاه القضاء بأن يضع مصلاه فى المسجد الجامع للحكم[10] ، فاجتمع المصريون ، فألقوه فى الطريق ، فما تكلم فيه السرى بشىء ، وجلس ابن الجراح للحكم فى داره ، فلم يعد إلى المسجد الجامع حتى صرف .

---

(1) هذا الخبر ليس فى ك .
(2) هو الفضل بن الربيع وزير الأمين .
(3) ترجم له الكندى ص 411
(4) فى ك : بمذهب ، وهو تحريف .
(5) فى ك : والأوقاف .
(6) مدين : بلدة كانت على البحر الأحمر محاذية لتبوك فى شمالى بلاد الحجاز وجنوبى البتراء ، وهى الآن أطلال .
(7) فيد : موضع فى نجد قريب من أجأ وسلمى جبلى طيء . انظر معجم ياقوت .
(8) فى ك : جميع ما حواه فما تخلص منهم إلا بحشاشة نفسه .
(9) ترجم له الكندى ص 427
(10) سقطت هذه الكلمة من ك .

١٤٨ ظ
٢

قال : ولم يكن إبراهيم بن الجراح بالمذموم فى أول ولايته ، حتى قدم عليه ابنه من العراق ، فتغيرت حاله ، وفسدت أحكامه . ومرض ابن الجراح وهو على قضاء مصر ، فأوصى بوصيته وكان فيها : وإن الدين كما شرع/والقرآن كما خلق ، فقال له الشاهد[١] : أيها القاضى أشهد عليك بهذا ؟ قال : نعم . ولما سار عبد الله بن طاهر إلى مصر لمحاربة عبيد الله بن السرى ، فحاربه ، ثم اتفقا على الصلح ، فاشترط عبيد الله لنفسه شروطا أجابه إليها ابن طاهر ، وبعث[٢] ابن طاهر نسخة كتاب كتبه ليشهد فيه عبيد الله على نفسه ، فنظر فيه ابن الجراح ، فقال : ليست هذه الشروط بشىء ، ولكن يجب أن يشترط كذا وكذا ، فكتبه[٣] ابن الجراح بخطه ، وبعث به إلى ابن طاهر ، فنسخه ابن طاهر بيده ، واضطغنها على ابن الجراح ، فعزله عن قضاء مصر ، وأسقط مرتبته ، وأمر بكشفه ومحاسبته . وقال ابن عبد الأعلى : كان ابن الجراح من أدهى الناس ، وكان الذى كتب الشروط لعبيد الله بن السرى على ابن طاهر ، حتى أمّنه[٤] وأمّن جميع جنده ، ولم يأخذ لنفسه أمانا ، ففعل/به ابن طاهر الأفاعيل .

١٤٩ و
٢

قال : وكان ابن الجراح راكبا فى مركب فيه جمع من الناس حين بلغهم أنه عزل ، فتفرقوا عنه فى كل ناحية ، ولم يبق معه أحد ، فقال لغلامه : ما بال الناس تفرقوا ؟ قال : إنهم أُخبروا أن القاضى عُزل ، قال : سبحان الله ما كنت إلا فى مركب من ريح .

وكانت ولايته خمس سنين وعشرة أشهر .

عيسى[٥] بن المنكدر
ابن محمد بن المنكدر القرشى

من كتاب الكندى : أن الأمير عبد الله بن طاهر ولاه قضاء مصر بعد ما أُثنى عليه ، ووُصف عنده ، وأجرى عليه أربعة آلاف درهم فى الشهر ، وهو أول قاض أجرى عليه ذلك ، وأجازه بألف دينار . [قال : اختصم رجلان إلى عيسى بن المنكدر[٦]] وكان ابن المنكدر ربما جاءت منه خفة فى الحكم ، فقضى لأحدهما على الآخر ، فقال للمحكوم عليه : أَضْجِعْ خصمك ،

---

(١) فى ك : قال حرملة : فقلت ايها القاضى أشهد عليك .
(٢) عبارة ك : وبعث ابن طاهر إلى عبيد الله بنسخة كتاب كتبه أشهد على نفسه فيه .
(٣) قبل هذه الكلمة فى ك : فقال عبيد الله بن السرى لابراهيم بن الجراح : اكتب لى كتابا ، فكتبه إبراهيم بخطه .
(٤) فى ك : آمنه .
(٥) ترجم له الكندى ص ٤٣٣
(٦) زيادة من ك للسياق .

١٤٩ ظ
٢

فأضجعه ، قال الراوية [١] : فقلت / فى نفسى : تُرى القاضى يريد ذبحه ، ثم قال له : قم فاجعلْ رجلك على خده ، يُذله [٢] الحق . قال : فلما خرجا قلت : أصلح الله القاضى ، خالفت الناس كلهم فيما فعلت ، فقال : لا أعود أبدا [٣] .

قال الكندى : حدثنى أبومسعود عمرو بن حفص ، قال : حدثنى أبى قال : خاصمت إلى عيسى ابن المنكدر ، فقضى [٤] لى على خصمى ، ثم قال لى : ابصق فى وجهه ، فتوقفت ، فقال : والله لاحكمت لك أو تبصق فى وجهه ، قال : ففعلت ، فقال له : أذلَّك الحق ، قم فادفع إليه حقه .

وأخبر أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال سمعت ابن المنكدر يصيح بالشافعى ، والشافعى يسمع : ياكذا دخلتَ هذه البلدة ، وأمرُنا واحد ورأينا واحد ففرقت بيننا ، وألقيت بيننا الشر ، فرق الله بين روحك وبينك [٥] .

قال ابن الأشعث : وذُكر عيسى بن المنكدر عند ابن شريك المرادى وأنا حاضر ، قال : كان رجلا / صالحاً ، وكانت فيه خصلة جميلة [٦] نافعة للمسلمين : لما ولى القضاء صيَّر صاحب مسائل يسأل له عن الشهود ، ثم كان يتنكر بالليل ويغطى رأسه ويمشى فى السكك يسأل عن الشهود [و] قدرآه غير واحد من الثقات وتحدثوا بذلك عنه . وعزله المعتصم وأمر بحمله إلى العراق ، لأنه كان حاقدا عليه لما ولاه المأمون سلطنة مصر .

١٥٠ و
٢

أبو يحيى هرون [٧] بن عبد الله

ابن محمد بن كثير بن معن بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى

من كتاب الكندى : أنه ولى قضاء مصر من قبل المأمون يوم الأحد لأربع عشرة خلون من شهر رمضان سنة سبع عشرة ومائتين . ولما قدم جعل مجلسه فى الشتاء فى مقدم الجامع [٨] ، واستدبر القبلة ، وأسند ظهره بجوار الجامع ، ومنع / المصلين أن يقربوا منه ، ، وباعد كتّابه ،

١٥٠ ظ
٢

(١) هو كما فى ك محمد بن عيسى بن فليح .
(٢) فى ك : تذله بالحق .
(٣) فى ك : إذن .
(٤) فى ك : فصال على .
(٥) فى ك : وجسمك .
(٦) فى ك : حسنة جميلة نافعة .
(٧) ترجم له الكندى ص ٤٤٣
(٨) فى ك : المسجد .

وباعد الخصوم . فكان أول من فعل ذلك ، واتخذ مجلسا للصيف فى غربى [1] المسجد ، وأسند ظهره [2] بالحائط الغربى .

ولم يُبق شيئاً من أمور القضاء حتى شاهده بنفسه ، وحضره مع أهل مصر من [3] الأحباس وأموال الأيتام وغير ذلك ، وضرب رجلا كان فى حجره يتيم ، فرأى فى أمر اليتيم خللا [4] ، فضرب الولىّ وطاف به .

ولما قدم لقضاء مصر جلس معه رجل فى مجلسه ، فقال : ما حاجتك ؟ قال : إن صاحب البريد زكريا بن سعيد [5] أمرنى بالجلوس معك ، فقال : هذا مجلس أمير المؤمنين ، لا يجلس أحد فيه إلا بإذنه [6] . واستؤذن فى ذلك المأمون ، فورد الجواب : إنْ أحبَّ هرون أن يُجلس معه ، وإلا فلا . فقال هرون : أما إذ ردَّ أمير المؤمنين الأمرَ إلينا فليجلس [7] من شاء .

١٥١ و / ٢

وكتب المعتصم فى مدة المأمون إلى مصر بأن يعرض أميرُها القاضىَ وشهودَه على / القول بنفى التشبيه والإقرار بخلق القرآن ، فمن أقرَّ بذلك تركه ، ومن أنكره عزله وأسقطه ، فأجاب القاضى إلى هذا ، وعامة الشهود [8] ، إلا من هرب منهم . وكان هرون إذا شهد عنده شاهدان سألهما عن القرآن ، فإن أقرا أنه مخلوق قبلهما ، وإلا أوقف شهادتهما . وكانت هذه المحنة من سنة ثمانى عشرة إلى أن قام المتوكل سنة اثنتين [وثلاثين] ومائتين . وكانت ولايته على مصر ثمان سنين وستة أشهر .

أبو بكر محمد [9] بن أبى الليث الخوارزمى

من كتاب الكندى : أن المعتصم ولاه قضاء مصر ، وجرت فى ولايته محن على القول بخلق القرآن . وأمر أشياخ مصر أن ينزعوا القلانس الطوال من رءوسهم ، فدخل بعضهم بها مجلسه ، ولم ينتهوا ، فأمر بنزعها ورميها ، حتى لعب بها الصبيان ، فعاقبه الله بأن وقف النيل ، فخرج الناس

---

(١) فى ك صحن .

(٢) فى ك : الحائط .

(٣) عبارة ك : فنها أنه لم يتخاف عن حبس بمصر يتولاه القضاة حتى وقف على غلته ووجوهه ، ومنها الأيتام شاهد أموالهم بنفسه وحاسب عليها .

(٤) فى ك : بعض الخلل .

(٥) فى ك : سعد .

(٦) فى ك : بأمره .

(٧) فى ك : فيجلس .

(٨) فى ك : عامة الشهود ومن يعرف بالعدالة وأكثر الفقهاء .

(٩) ترجم له الكندى فى ص ٤٤٩

١٥١ ظ
٢

يستسقون وهو / معهم فوثب[1] به أهل مصر ، ونزعوا قلنسوته ، ولعب بها الصبيان . ولم يكن[2] بين الابتداء والجزاء إلا ثمانية أيام .

وكان قد أعنت القاضى العوفى[3] المتقدم قبله ، وأمر بحبسه ، وأحضره مع الخصوم بين يديه ، فآل أمره إلى أن أمر المتوكل بسجنه ومصادرته وأصحابه وجميع من له ، فاستصفيت أموالهم كلهم . ووثب أهل مصر على مجلس ابن أبى الليث ، فرموا حُصُرَه ، وغسلوا موضعه بالماء . ثم ورد كتاب المتوكل بحلق رأسه ولحيته ، وضربه بالسوط ، وحمله على حمار بإكاف وتطوافه بالفسطاط ، ففُعِل ذلك به . ثم أخرج إلى العراق فى ذى القعدة سنة إحدى وأربعين ومائتين .

وكان يشرب النبيذ ، وله عليه ندماء ، وقال نوح بن عيسى بن المنكدر : رأيت محمد بن أبى الليث فى مجلس الحكم بالمسجد الجامع وهو مشجوج الوجه ، وفى يده منديل يستر به شِجاجه / فتواتر الخبر أنه عربد على شيخ ، كان ينادمه ، فشجّه ذلك الشيخ . وحدث إبراهيم بن عبد الصمد الإيادى ، قال : دعوت محمد بن أبى الليث قبل أن يلى القضاء بأيام ، فأتانى ومعه نفر من إخوانه المعتزلة ، فأكل وشرب النبيذ ، وكان أجودنا شربا . وقال ابن عثمان : لقيت أبا فريسة وبوجهه آثار منكرة ، فسألته عنها ، فقال : دخلت البارحة إلى القاضى وعنده إخوانه ، فلما رآنى قال لهم : أطفئوا السراج ، فطُفِئ ، وقاموا يضربون وجهى ورأسى ، ومع ذلك فلم أقصّر فيهم ، والله لقد صفعت القاضى .

١٥٢ و
٢

أبو عمرو الحارث[4] بن مسكين

من كتاب الكندى : أن المتوكل ولاه قضاء مصر وأن كتاب الولاية جاءه وهو بالإسكندرية ، فامتنع من الولاية ، فجبره على قبولها إخوانه ، وقالوا نحن نقوم بين يديك ، فقدم الفسطاط ، وجلس للحكم .

١٥٢ ظ
٢

وحمله / أصحابه على كشف ابن أبى الليث والتقصّى عليه نحو[5] ما تقصّى على هرون ابن عبد الله من دفع[6] حساب بيت المال[7] فكان ابن أبى الليث يوقف كل يوم بين يدى

(١) عبارة ك فى ص ٤٦٢ : فوثب به المصريون بسبب غلاء القمح .
(٢) عبارة ك . بعد مافعل بقلانس أهل مصر بثمانية أيام .
(٣) هو أبو يحيى هرون بن عبد الله السابق .
(٤) ترجم له الكندى ص ٤٦٧
(٥) فى ك : بمثل .
(٦) فى ك : رفع .
(٧) فى ك : بيت المال وما كان فيه .

الحارث بن مسكين ، فيضرب عشرين سوطا ، ليُخرج ما وجب عليه من الأموال التى كانت تحت يده ، أقام على ذلك أياما ، فَكُلِّمَ [١] القاضى فيه ، فترك مطالبته [٢] .

وكان الحارث بن مسكين قد [٣] أُقعِد من رجليه ، فكان يحمل فى محفة إلى [٤] المسجد الجامع ، وكان يركب حمارا مترفعا [٥] . وطُلب [٦] بلباس السواد ، فامتنع ، نخوفه أصحابه سطوة السلطان ، وقالوا : يقال إنك من موالى بنى أمية ، فأجابهم إلى لباس كساء أسود من صوف . وأمر باخراج أصحاب أبى حنيفة والشافعى من المسجد ، وأمر بنزع حُصُرهم ، ومنع عامة المؤذنين من الأذان ، ومنع قريشا والأنصار من طعمة رمضان ، وأمر بعمارة المسجد الجامع وحفر خليج الإسكندرية [٧]

[بكار [٨] بن قتيبـــة

ولى من قبل المتوكل فدخل مصر يوم الجمعة لثمان ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ست وأربعين ومائتين . ويقال إنه لقى وهو قاصد مصر محمد بن أبى الليث بالجفار وهو الرمل الذى بين غزة والعريش راجعا إلى العراق مصروفا ، فقال له بكار : أنا رجل غريب ، وأنت قد عرفت البلد ، فدُلّنى على من أشاوره ، وأسكن إليه ، فقال له [٩]] / عليك برجلين أحدهما عاقل ، وهو يونس بن عبد الأعلى ، فانى سعيت فى سفك دمه ، وقدر علىّ ، نخقن دمى ، والآخر أبو هرون موسى بن عبد الرحمن بن القاسم ، فانه رجل زاهد . فتخصص بكار بالرجلين .

١٥٣ و
―――
٢

وقال بكار يوما لابن عبدالرحمن : يا أبا هرون من أين المعيشة ؟ فقال له : من وقف وقفه أبى فقال له : يكفيك ؟ قال له : قد كفيت [١٠] به ، وقد سأل القاضى ، فأسأله [١١] ؟ قال : سل ، قال : (هل

---

(١) عبارة ك : فكلمه يزيد بن يوسف وأبو بردة ، وقالا : لايجب للقاضى أن يتولى مثل هذا .

(٢) فى ك : فترك مطالبته وضربه .

(٣) عبارة ك : وكان الحارث بن مسكين هذا مقعداً .

(٤) فى ك : فى .

(٥) فى ك : متربعا .

(٦) عبارة ك : وطلب إليه فى لباس السواد .

(٧) هنا خرم ، سقطت فيه بقية الترجمة وأول الترجمة التالية .

(٨) ترجم له الكندى ص ٤٧٦ وانظر ذيل ابن برد الملحق بكتاب الكندى ص ٤٧٧ والملحق ص ٥٠٥ وهو يشتمل على تراجم جمعت من كتاب « رفع الاصر عن قضاة مصر » لابن حجر العسقلانى . والمراجعة فى نص هذه الترجمة إنما هى على هذا الملحق لأن الكندى لم يضمن ترجمته ما ورد فيها من أخبار .

(٩) ما بين القوسين زيادة من ابن حجر ، حتى يعرف سياق الخبر ، إذ أول الترجمة سقط من الأصل .

(١٠) فى ابن حجر : تكفيت .

(١١) فى ابن حجر (ملحق الولاة والقضاة للكندى) : وقد أسأل القاضى فأناشاك .

ركب القاضى دين بالبصرة[1] حتى تولى بسببه القضاء ؟ قال : لا، قال: فرُزق القاضى ولدا أحوجه إلى ذلك ؟ قال ما نكحت قط ، قال : فله عيال[2] كثير ؟ قال لا ، قال : فأكرهه السلطان وعرض عليه العذاب وخوّفه حتى تولى ؟ قال : لا ، قال : فضربت آباط الابل من البصرة إلى مصر لغير حاجة ولا ضرورة ، لله علىَّ إن دخلت إليك[3] أبدا ! قال : ياأبا هرون : أقلنى ، قال : أنت ابتدأت بالمسألة ، ولو سكتّ /سكتُّ ، ثم انصرف[4] ولم يعد إليه. وكان بكار على قول أبى حنيفة .

153 ظ
2

قال: وكان ابراهيم بن أبى أيوب يكتب عن الحارث بن مسكين قاضى مصر ويخلفه على الأوقاف، فلما دخل بكار إلى مصر ذُكر عنده إبراهيم بما لايحسن ، فصرفه ، وقال له : انصرف فلاحاجة بنا إليك ، فلما سمع أهل الأحباس والخصومات وهم على باب بكار ذلك وخرج إبراهيم بن أبى أيوب وثبوا به ومزقوا ثيابه وضربوه ، فقيل لبكار : قد قتل الرجل[5] ، فقام بكار ونادى : أيها الناس كفُّوا عنه فقد أشركناه مع كاتبنا . قال : فأقبل الذين وثبوا عليه ينفضون ثيابه ويُعدِّ لونها ، وكان كل يعتذر ويحلف أنه مافعل ولاحضر . ولولا مافعل بكار لكان قد قُتل .

وكان بكار أحد البكائين والتالين لكتاب الله تعالى ، وإذا فرغ من الحكم خلا بنفسه وعرض عليها قصصَ جميع من تقدم إليه وماحكم به وبكى ، وكان / يُكثر الوعظ للخصوم إذا أرادوا اليمين ويتلو عليهم : « إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لاخلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم » لابد له من هذا مع كل حالف .

154 و
2

وكان يحاسب أمناءه فى كل وقت ، ويسأل عن الشهود فى كل وقت . وكُتبَ إلى مصر ببناء المقياس الجديد فى الجزيرة سنة سبع وأربعين ومائتين . وكان الذى يتولى أمر المقياس النصارى ، فورد كتاب المتوكل فى هذه السنة على بكار بن قتيبة القاضى بأن لا يتولى ذلك إلا مسلم يختاره ، فاختار بكار لذلك أبا الرداد عبد الله بن عبد السلام المؤدب[6] ، وكان محدثاً فأقامه

(1) فى ابن حجر : هل ركب القاضى دين بالبصرة لم يجد له وفاء .
(2) نسق عبارة ابن حجر : قال : فرزق ولد أحوجه إلى ذلك ؟ قال : لا ، قال : فعيال ؟ قال : ما نكحت قط ، قال : فأجبره السلطان وخوفه الخ .
(3) فى ابن حجر : عليك .
(4) فى ابن حجر : ثم انصرف عنه .
(5) فى ابن حجر : فقيل لبكار : إن لم تدركه قتل .
(6) فى ابن حجر : المؤذن .

بكار لمراعاة المقياس ، وأجرى عليه الرزق [1] ، وذلك فى ولده الى اليوم . قال ابن سعيد مصنف هذا الكتاب : وذلك فى ولده متوارث إلى اليوم .

١٥٤ ظ / ٢

قال : ولبكار اتساع فى العلم والفقه / وله كتاب يرد فيه على الشافعى . وكان أحمد بن طولون مكرما لبكار ومعظما ، قال : حدثنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى الفقيه ، قال [2] : ما أحصى كم كان أحمد بن طولون يجىء إلى بكار بن قتيبة ، وهو يملى الحديث ، ومجلسه مملوء بالناس وأنا حاضر ، فيقول الحاجب للمستملى قبل أن يدخل يقول لك الأمير : لا تقطع ما أنت فيه . ثم يدخل أحمد بن طولون فما يشعر به بكار إلا وهو جالس إلى جانبه ، فيقول له بكار : ما هذا أيها الأمير ؟ ألا تتركنى حتى أقضى حقك وأؤدى واجبك ؟ أحسن الله جزاءك ، وتولى مكافأتك .

وقد كان بكار أجاب أحمد بن طولون إلى خلع الموفق من العهد بدمشق ، وسماه الناكث ، إلا أن ابن طولون طلب من بكار أمرا لا يقدر عليه [3] ، فحبسه ، وقبض يده عن الحكم ، وكان قبل ذلك معظما له ، يصله فى كل سنة بألف دينار سوى الرزق ، فلما سخط [عليه أرسل إليه أين جوائزى ؟ فقال : على حالها ، فأحضرها من منزله بخواتيمها ستة عشر كيساً فقبضها أحمد [4]] .

[الأهداب

٨٧ و / ٣

من نوادر سيبويه [5]] / ... وجاء إلى الماذرائى يسأل رزقا ، فقال : يرتزق هذا مع المجانين ، فغدا عليه مع أقاربه الماذرائيين ، وهو ملازم لهم ، فعلم مقصده وأحسن له . وقال له جيش بن خمارويه يوما وهو على الشراب : يامجنون ! فالتفت اليه ، وقال : مايختص به الأمير / أيده الله لا يجب أن يدعى به سواه ... وشرب يوما ودخل المدينة وهو يترنح سكرا ، فاتفق أن كان دخوله على باب البلد مع قطيع من معزى فيها تيوس كثيرة ، ووافق ذلك أن دخل أحد الأمراء راكباً وأبصره معها

٨٧ ظ / ٣

---

(١) فى ابن حجر أن رزقه كان ستة دنانير كل شهر .

(٢) انظر الخبر فى ابن حجر ص ٥٠٨ من كتاب الولاة القضاة .

(٣) فى ابن حجر : أنه طلب من بكار والقضاة أن يلعنوا الموفق ، فامتنع بكار ، وكان ذلك سبب غضبه عليه وحبسه .

(٤) هنا خرم سقطت فيه بقية ترجمة بكار ثم من ترجم له بعده ابن سعيد من القضاة ، وزدنا ما بين القوسين من ابن حجر ليكمل الخبر الذى كان يقصه ابن سعيد .

(٥) ما بين القوسين زيادة يقتضيها سياق تأليف الكتاب ، وواضح أن أول الأهداب سقط مع ما سقط من بقية الحلة .

فى جملتها ، فقال : من أين أقبل الشيوخ ؟ فقال سيبويه : من الحضور على صداق الوالدة ، فضحك الأمير فما شعر بعد ذلك سيبويه إلا بصرة دنانير رميت فى حجره ، وقيل له : هذا حق حضورك على الصداق .

نوادر منقولة من تاريخ المسيحى تليق بهذا المكان

٨٨ و / ٣

/ حُكى عن أحد الرواة قال : كنت وجماعة جلوسا لننظر كتبا تباع فى ميراث ، وكان فى الحاضرين « حُدَيث » يقلب الكتب ، ويقرأ التراجم ، فضربت بيدى إلى رزمة ، وإذا هى كتاب سيبويه ، فسألنى عنها ، فقلت : كتاب سيبويه ، فقال : هذا كله ، قلت : نعم هو كبير ، ثم أمسك ساعة ينظر إليه ، ثم قال : ياسيدى ! الساعة كتاب سيبويه من صنّفه ؟ فقلت له : ما أقول لك ، وشغلنى الضحك عما كنت بصدده .

وعن أحد الرواة ، قال : جاءنى إنسان فى أن أخرج له قصيدة القطامى العينية التى أولها « قفى قبل التفرق ياضباعا » فدفعت إليه الدفتر الذى هى فيه ، فلما تصفح أول ورقة منه ، قال لى : أليس قالوا إنها عينية ؟ ! ماأراها إلا أَلِفيَّة ، فقلت له : هى عينية منصوبة ، فقال : هذا والله طريف ! ماسمعت بقصيدة على قافيتين غير هذه ، ولكن هو القطامى ما يُدفَع / عن حذق .

٨٨ ظ / ٣

قال : وكان آخر من مؤديهم يتعاطى الكتابة ، وورد عليه كتاب من صديق له كان يكثر مكاتبته ، فقرأه ، وهو فى جماعة ، ثم التفت إلى رجل بجانبه ، فقال له: كتاب ورد على من صديق يقول لى فيه : ياخرسانى ! وما أدرى ما يريد بذلك ، فقال له الذى شكا إليه ذلك : وهكذا قال لك فى هذا الكتاب ؟ قال : نعم ، قال : أرنيه ، فأراه إياه ، فاذا هو : قد تأخر كتابك تأخرا ساءنى ، فقال : يا هذا هو تأخرا ساءنى ، فقال : والله ماعلمت إلا الساعة .

وعن أحد الرواة قال : اجتزت يوما بالوراقين فرأيت بين يدى وراق دفاتر من هذه المنثورة ، وحوله جماعة يقلبونها ، فوقفت بمقدار مانظرت إليها جملة ، ومضيت ، فاذا شيخ من الجماعة قد لحقنى فلاصقنى ، ثم قال : ياسيدى رأيت تلك الدفاتر ؟ قلت : رأيتها فما خبرها ؟ قال : شر خبر ، ما فيها وحياتك دفتر قيمته حبة ، لأنى قد / قلبتها كلها فما وقعت يدى على دفتر منها إلا وجميع ما فيه خطأ ولحن وخطوط رديئة ، وأنا أعرف الكتب معرفة صحيحة ، ما من كتاب تسمع به إلا وأنا أبصرُ به من صاحبه ، فقلت له : مثل أى شىء من الكتب ، قال : اذكر ما شئت . فبالله لقد وهمنى أن فيه ما يدعيه ، فقلت له : فأى شىء تعانى ، فقال : كل شىء بحمد الله معنا

٨٩ و / ٣

منه طرَف ، غير أن صناعتى وصناعة آبائى الكتابة ، فقلت له فتروى من ذلك شيئا من أشعار العرب ؟ قال : نعم والعجم وأشعارا كثيرة ليأجوج ومأجوج ، فضحكت منه ، فانصرف مغتاظا .

٩٠ و / ٣

/ . . . وأخبرنى أبو الحسين الجزار الشاعر قال : كانت بالفسطاط امرأة ماجنة ، وكان زوجها كثيراً ما يخاصمها على التبرج للناس ، فجاء يوما / فوجدها تنظر من خلال الباب ، فاغتاظ وقال لها : يا فاعلة تنظرين الرجال من خلل الباب ؟ فقالت غير منزعجة ولا محتفلة بكلامه : وهل تركت لى أنت موضعا غيره أنظر منه ؟ ! فضحك مَن سمعها .

٩١ ظ / ٣

/ . . وكان بالفسطاط جماعة يصنعون البُلَيْق ، وهو على طريقة الزجل الأندلسى ، وهذا مكان إيراده ، فمنهم ساكن البليقى ، ومن بليقاته قوله :

بَسِّى من الدِّين الثانى   نرجعْ لدينى الحقَّانى

نرجع لدينى الأول   عن النِّسا لَسْ نتحوَّل

إن كنت فِ ذا تتقوَّلْ   اصفعْ وقَطِّع آذانى

٩٢ و / ٣

/ وهذا من الطراز العالى فى هذا الفن ، وهو عنوان كافٍ عن غيره

تم كتاب الاغتباط

فى حلى مدينة الفسطاط

فهرست الكتاب

صحيفة

صحيفة

كتاب الدر المكنون فى حلى دولة بنى طولون

الرابع من كتاب المغرب فى حلى المغرب

كتاب العيون الدعج فى حلى دولة بنى طغج

السلك من حلى العروس الفسطاطية

من كتاب مشارع الصفاء فى حلى الشرفاء

من كتاب تلقيح الآراء فى حلى الحجاب والوزراء

من كتاب أردية الشباب فى حلى الكتاب

من كتاب بلوغ الآمال فى حلى ولاة الأعمال

من كتاب الإحكام فى حلى الحكام

من كتاب الياقوت فى حلى ذوى البيوت

من كتاب الريحانة فى حلى أهل الديانة

من كتاب نجوم السماء فى حلى العلماء

صحيفة

من كتاب عنبر الشعر فى حلى المشهورين بالشعر

الحـــلة

من كتاب بلوغ الآمال فى حلى العمال

صحيفة

من كتاب الاحكام فى حلى الحكام

الأهـــداب

من [illegible]

[illegible]

من كتاب [illegible] الآمال في [illegible]

[illegible]

المراجع العربية

ابن الأثير (على بن أحمد بن أبى الكرم) ، ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٨ م :

١ — « الكامل فى التاريخ » ، ١٢ جزءاً ، بولاق ١٢٩٠ هـ .

٢ — « أسد الغابة فى معرفة الصحابة » ٥ أجزاء . القاهرة ١٢٨٥ — ١٢٨٦ هـ .

ابن الباخرزى (أبو الحسن على بن الحسن) ، ت ٤٦٧ هـ/١٠٧٤ م :

« دمية القصر وعصرة أهل العصر » وهو ذيل ليتيمة الدهر للثعالبى .

ابن بطوطة (شرف لدين أبو عبد الله محمد اللواتى ثم الطنجى)، ت ٧٧٧ هـ/ ١٣٧٥ م : « تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » المعروفة برحلة ابن بطوطة ، الطبعة الثانية بمطبعة التقدم

ابن تغرى بردى : أنظر أبو المحاسن .

ابن الجيعان (شرف الدين يحيى) ، ت ٨٨٥ هـ/ ١٤٥١ م : « التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية » القاهرة ١٣١٦ هـ/ ١٨٩٨ م .

ابن حجر العسقلانى (شهاب الدين بن على) ، ت ٨٥٣ هـ/١٤٤٩ م :

١ — « الإصابة فى تمييز الصحابة » ٨ أجزاء . القاهرة ، طبعة الخانجى .

٢ — « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة »

ابن حزم الأندلسى (أبو محمد على بن سعيد) ، ت ٤٥٦ هـ/١٠٦٤ م : « جمهرة أنساب العرب » نشره ليفى بروفنسال بدار المعارف بمصر .

ابن حنبل (الامام أحمد بن محمد صاحب المذهب المنتسب اليه) ، ت ٢٤١ هـ/٨٥٥ م : « مسند الامام أحمد بن حنبل » طبعة مصر .

ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادى) ت أواخر القرن ٤ هـ/ أواخر القرن ١٠ م :
« المسالك والممالك » ليدن ١٨٧٣ م .

ابن حيدرة العقيلى (الشريف أبى الحسن على بن الحسين) ، ت القرن ٤ هـ/ ١٠ م : « ديوان »
نسخة مصورة من ديوانه فى مكتبة جامعة فؤاد .

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد المغربى) ، ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ — ١٤٠٦ م :

١ — « العبر وديون المبتدأ والخبر » ، ٧ أجزاء . القاهرة ١٢٨٤ هـ .

٢ — « المقدمة » ، القاهرة ١٢٤٨ هـ/ ١٩٣٠ م .

٣ — « التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا » نشر محمد بن تاويت الطنجى .

ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم) ، ت ٦٨١ هـ/ ١٢٨١ م « وفيات الأعيان » ،
جزءان — القاهرة ١٢٩٩ هـ وطبعة دى سلان — باريس ١٨٣٨ م .

ابن الداية (أبو جعفر أحمد بن يوسف) ت ٣٣٠ هـ أو ٣٤٠ هـ/ ٩٤١ م أو ٩٥١ م :

١ — « سيرة أحمد بن طولون » نشرها فولرز فى فيمار سنة ١٨٩٥ م .

٢ — « المكافأة » القاهرة ١٣٣٢ هـ/ ١٩١٤ م .

ابن دقاق (ابراهيم بن محمد المصرى) ت ٨٠٩ هـ/ ١٤٠٦ — ١٤٠٧ م : « الانتصار لواسطة عقد
الامصار » الجزء الرابع والخامس، نشره وقدمله المستشرق فولرز Vollers بولاق ١٣٠٩ هـ

ابن زولاق (أبو محمد الحسن بن ابراهيم) ، ت ٣٨٧ هـ/ ٩٩٧ م : « أخبار سيبويه المصرى »
نشره الأساتذة محمد ابراهيم سعد وحسين الديب ، الطبعة الأولى ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٣ م .

ابن الزيات (شمس الدين أبو عبدالله) ، ٨١٤ هـ/ ١٤١١م : « الكواكب السيارة » المطبعة الأميرية
بمصر ١٣٢٥ هـ — ١٩٠٧ م .

ابن سعد كاتب الواقدى (أبو عبد الله محمد) ، ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤ م : « كتاب الطبقات الكبير » طبع
Ed. Sachau, Joseph Horvitz, Julius Lippert, K. V. Zetterstein et Carl Brockelmann.

ابن سعيد (على بن موسى المغربى) ، ت ٦٧٣ هـ/ ١٢٧٥ م :

١ — « السفر الرابع من كتاب المغرب فى حلى المغرب » ليدن ١٨٩٩ م

٢ — « المغرب فى حلى المغرب » (الجزء الأول من القسم الأندلسى) ، حققه وعلق عليه
الدكتور شوقى ضيف ، القاهرة ١٩٥٣ م ، دار المعارف ، سلسلة ذخائر العرب ١٠

٣ — « عنوان المرقصات والمطربات » مطبعة جمعية المعارف ١٢٨٦ هـ .

٤ — « المُشرق فى حلى المَشرق » مخطوطة بالمكتبة التيمورية رقمها ٢٥٣٢ تاريخ .

ابن سيده (أبو الحسن على بن اسماعيل الأندلسى) ، ت ٤٥٨/ ١٠٦٥ م . « المخصص » ١٧ جزءا — بولاق ١٣١٦ —١٣٢١ هـ

ابن شاكر الكتبي (محمد بن أحمد) ، ت ٧٦٤ هـ/١٣٦٢ م .

١ — « فوات الوفيات » جزءان القاهرة ١٢٩٩ هـ .

٢ — « عيون التواريخ » ، المجلد العشرون المصور بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٩٧ تاريخ

ابن الشحنة (أبو الفضل محمد) ، ت ٨٩٠ هـ/ ١٤٨٥ م : « الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب » بيروت ١٩٠٩ م .

ابن ظافر الأزدى المصرى (جمال الدين على) ، ت ٦٢٣ هـ/ ١٢٢٥ م . « كتاب الدول المنقطعة» صورة شمسية محفوظة فى دار الكتب المصرية لجزء من مخطوطة المتحف البريطانى (دار الكتب المصربة رقم ٨٩٠ تاريخ) ونقل وستنفلد جزءا من مخطوطة غوطا (رقم ٢٤٥) ، وطبعه فى كتاب Die Statthalter von Agypten Zur Zeit der Chalifen

ابن عبد البر القرطبى أو الأندلسى (أبو عمر يوسف بن عبد الله) ، ت ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠ م . « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب » جزءان ، طبعة حيدر أباد الدكن ١٣١٨ — ١٣١٩ هـ .

ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله) ، ت ٢٥٧ هـ/ ٨٧٠ — ٨٧١ م : « فتوح مصر وأخبارها » طبعة تورى Torrey ، نيوهافن ١٩٢٢ م وطبعة هنرى ماسيه Henri Massé المعهد العلمى الفرنسى . القاهرة ١٩١٤ م .

ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسى) ، ت ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م : « العقد الفريد » ٦ أجزاء ، القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٩ — ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٠ - ١٩٤٦م

ابن العديم الحلبى (كمال الدين أبو حفص أو أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله والمعروف بابن أبى جرادة) ، ت ٦٦٠ هـ/ ١٢٦١ — ١٢٦٢ م « زبدة الحلب من تاريخ حلب » نشره الدكتور سامى الدهان ، المعهد الفرنسى بدمشق للدراسات العربية ١٩٥١ ، ونشر جزء منه الأستاذ (Canard) فى الفصل الخامس من كتابه (Sayf al-Daula) .

ابن عذارى المراكشى (أبو عبد الله محمد) ، ت فى أواخر القرن السابع الهجرى / أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر الميلادى : « البيان المغرب فى أخبار المغرب » طبعة الأستاذ دوزى فى ليدن ، الجزء الأول ١٨٤٨ م والجزء الثانى ١٨٤٩ — ١٨٥١ م .

ابن عساكر (أبو القاسم على بن أبى محمد الحسن بن هبة الله بن عساكر الشافعى الدمشقى الملقب ثقة الدين) ، ت ٥٧١ هـ/١١٧٥ م : « التاريخ الكبير » ٥ أجزاء ، دمشق ١٣٢٩ — ١٣٣٢ هـ .

ابن العماد الحنبلى (أبو الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد الصالحى) ، ت ١٠٨٩ هـ/١٦٧٩ م « شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » ٨ أجزاء ، القاهرة ١٣٥٠ — ١٣٥١ هـ .

ابن العميد (الشيخ المكين جرجس بن العميد بن الياس) ، ٦٧٢ هـ/١٢٧٢م : « تاريخ المسلمين » ليدن ١٦٢٥ م .

ابن فرحون (برهان الدين أبو الوفاء ابراهيم) ، ت ٧٩٩ هـ/ ١٣٩٦ — ١٣٩٧ م : « كتاب الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب » القاهرة ١٣٢٩ هـ .

ابن فضل الله العمرى (شهاب الدين أحمد) ، ت ٧٤٢ هـ/ ١٣٤١ م « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار » الجزء الأول . نشره وعلق عليه المرحوم أحمد زكى باشا (مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٢ هـ/١٩٢٤ م) .

المجلد الثامن ، نسخة مصورة بدار الكتب المصرية رقمها ٢٥٦٨ تاريخ .

ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد الهذانى) ، ت أواخر القرن الثالث الهجرى / أوائل العاشر الميلادى : « مختصر كتاب البلدان » ليدن ١٨٨٥ م .

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى) ، ت ٢٧٠ هـ/٨٨٣ م أو ٢٧٦ هـ/٨٨٩ م : « المعارف » طبعة وستنفلد .

ابن مضاء القرطبى (أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن) ، ت ٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م : « كتاب الرد على النحاة » نشره الدكتور شوقى ضيف ، القاهرة ، دار الفكر العربى سنة ١٩٤٧ م .

ابن مماتى (أبو المكارم أسعد بن مهذب بن مينا) ، ت ٦٠٦ هـ/١٢٠٩ م : « كتاب قوانين الدواوين » نشره وعلق عليه الدكتور عزيز سوريال عطيه ، القاهرة ١٩٤٣ م .

أبو تمام الطائى (حبيب بن أوس) ، ت ٢٢٨ هـ /٨٤٢ م « ديوان الحماسة » .

١ — شرح ديوان الحماسة للمرزوقى، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون ، الطبعة الأولى، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥١ م .

٢ — شرح ديوان الحماسة للتبريزى ، نشره عبده عزام ، دار المعارف فى مصر ١٩٥١ م .

أبو الفدا (الملك المؤيد اسماعيل صاحب حماة) ، ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ — ١٣٣٢ م : « المختصر فى أخبار البشر » ٤ أجزاء القسطنطينية ١٢٨٦ هـ .

أبو فراس الحمدانى (الحارث بن سعيد بن حمدان) ، ت ٣٥٧ هـ / ٩٦٨ م : « ديوان أبى فراس الحمدانى » عنى بجمعه ونشره وتعليق حواشيه ووضع فهارسه الدكتور سامى الدهان . بيروت ١٣٦٣ هـ — ١٩٤٤ م :

أبو الفرج الأصبهانى (على بن الحسين) ، ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م : « الأغانى » ٢١ جزءا و ٤ أجزاء للفهرست ، مصر ١٣٢٢ — ١٣٢٣ هـ على نفقة السيد محمود الساسى التونسى .

أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغرى بردى) ، ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ — ١٤٧٠ م :

١ — « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » ١٠ أجزاء ، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٩ — ١٩٤٩ م .

٢ — « المنهل الصافى » نسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية رقمها ١١١٣ تاريخ .

أبو يوسف (يعقوب صاحب أبى حنيفة) ، ت ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م « كتاب الخراج » بولاق ١٣٠٢ م .

أحمد تيمور باشا : ١ — « التصوير عند العرب » أخرجه وزاد عليه الدراسات الفنية والتعليقات الدكتور زكى محمد حسن ، القاهرة ١٩٤٢ م .

٢ — « المهندسون الاسلاميون » بمجلة الهندسة ١٩٢٣ م .

الادريسى (محمد بن محمد بن عبد الله الشريف) ، ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ — ١١٦٥ م .

« نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » ، مختصر ، طبع روما ١٥٩٢ م .

« صفة المغرب وأراضى السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » ، ليدن ١٨٦٤ — ١٨٦٦

الأدفوى (كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر بن على) ، ت ٧٤٨ هـ/١٣٤٧ م :
« الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد » مصر ١٣٣٢ هـ/١٩١٤ م

ادّى شير الكلدانى (السيد) : « الألفاظ الفارسية المعربة » بيروت ، مطبعة الكاثوليكية ١٩٠٨ م

الاصطخرى (ابراهيم بن محمد) ، ت فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى/النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى : « كتاب مسالك الممالك » ليدن ١٩٢٧ م .

أميلو غرسيه غومس « الشعر الأندلسى » ، لجنة الجامعيين لنشر العلم ، القاهرة ١٩٥٢

البكرى (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكرى) ، ت ٤٨٧ هـ/١٠٩٤ م : « المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب » طبع دى سلان ، الجزائر ١٨٥٧ م

البلوى (أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمير بن محفوظ المدينى) ، ت بعد ٣٣٠ هـ/٩٤٢ م .
« سيرة أحمد بن طولون » حققها وعلق عليها محمد كرد على . دمشق ١٣٥٨ هـ

الثعالبى (أبو منصور عبد الملك الثعالبى النيسابورى) ، ت ٤٢٩ هـ/١٠٣٧ م .
١ — « يتيمة الدهر » ٤ أجزاء ، القاهرة ١٣٥٤ هـ
٢ — « ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب » مطبعة الظاهر ١٣٢٦ هـ .

جورجى زيدان : « تاريخ آداب اللغة العربية » ٤ أجزاء ، الطبعة الثانية سنة ١٩٢٤ م

حاجى خليفه (مصطفى بن عبد الله كاتب جلبى القسطنطينى) ، ت ١٠٦٧ هـ/١٦٥٧ م : « كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون » ٧ أجزاء . ليبزج — ليدن ١٨٣٥ — ١٨٥٨ م .

حسن ابراهيم حسن (الدكتور)
١ — « الفاطميون فى مصر » القاهرة ١٩٣٢ م
٢ — « تاريخ الإسلام السياسى » ، الجزء الثالث ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٤٩ م

حسن ابراهيم حسن (الدكتور) والدكتور على ابراهيم حسن :
« النظم الاسلامية » القاهرة ١٩٣٩ م

الخفاجى (أحمد بن محمد بن عمر الملقب بشهاب الدين) ، ت ١٠٦٩ هـ/ ١٦٥٩ م : « شفاء العليل فيما فى كلام العرب من الدخيل » مطبعة الوهبية ١٢٨٢ هـ ومطبعة السعادة ١٣٢٥ هـ



زكى محمد حسن (الدكتور) :

١ — « الفن الاسلامى فى مصر » ج ١ ، القاهرة ١٩٣٥ م .

٢ — « كنوز الفاطميين » ، القاهرة ١٩٣٧ م .

٣ — « مصر والحضارة الاسلامية » ، القاهرة ١٩٤٢ م .

٤ — « الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى » ، القاهرة ١٩٤٥ م .

٥ — « فنون الاسلام » ، القاهرة ١٩٤٨ م .

٦ — « دراسات فى مناهج البحث فى التاريخ الاسلامى » مجلة كلية الآداب ، المجلد ١٢ ج ١ مايو ١٩٥٠

السخاوى (شمس الدين محمد) ، ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م :

« الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » مطبعة الترقى ، دمشق ١٣٤٩ هـ

السمعانى (أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمى السمعانى المروزى) ، ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م :

« أنساب العرب » ليدن ١٩١٢ م

سيدة اسماعيل كاشف (الدكتوره) :

١ — « مصر فى فجر الاسلام » القاهرة ١٩٤٧ م . دار الفكر العربى .

٢ — « مصر فى عصر الاخشيديين » القاهرة ١٩٥٠ م : مطبعة جامعة فؤاد .

السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر) ، ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م : « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » جزءان — القاهرة ١٣٢١ هـ

الشابشتى (أبو الحسن على بن محمد) ، ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م : « كتاب الديارات » طبع برلين .

شكيب ارسلان (الأمير) : « الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية » ج ١ و ٢ الطبعة الأولى ١٩٣٦ م : طبعة المطبعة الرحمانية بمصر ، و ج ٣ الطبعة الأولى ١٩٣٩ م مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر .

شوقى ضيف (الدكتور) : نقد كتاب غرسيه غومس فى مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد ، المجلد الثالث عشر الجزء الأول مايو سنة ١٩٥٠ ص ٢٠٣ — ٢١٥

الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك) ، ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م :

١ — « الوافى بالوفيات » الجزء الأول ، الآستانة ١٩٣١ م ، والنسخة التى صورتها من استانبول الادارة الثقافية فى جامعة الدول العربية .

٢ — « منتخب الصفدى من تقطيف الجزار » ، نسخة مصورة بمكتبة جامعة القاهرة .

الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) ، ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م :

« تاريخ الأمم والملوك » ١١ جزءا الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية بمصر .

عبد الرحمن زكي (القائمقام) : « السلاح فى الاسلام » القاهرة ، دار المعارف ١٩٥١ م .

على ابراهيم حسن (الدكتور) : « استخدام المصادر وطرق البحث فى التاريخ المصرى الوسيط » القاهرة ١٩٤٩ م

على مبارك باشا : « الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة » ٢٠ جزءا ، بولاق ١٣٠٦ هـ

العماد الأصفهانى الكاتب (محمد بن محمد بن حامد) ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م : « خريدة القصر وجريدة العصر » جزءان نشره أحمد أمين وشوقى ضيف وإحسان عباس . القاهرة ١٩٥١ — ١٩٥٢ م .

الغزولى (علاء الدين على بن عبد الله البهائى الغزولى الدمشقى) ، ت ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م :

« مطالع البدور فى منازل السرور » جزءان ، الطبعه الاولى ، مصر ١٢٩٩ — ١٣٠٠ م .

القفطى (جمال الدين على بن يوسف) ، ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م :

١ — « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » لايبسك ١٣٢٠ هـ ومطبعة السعادة ١٣٢٦ هـ .

٢ — « المحمدون من الشعراء » نسخة مصورة بدار الكتب المصرية .

القلقشندى (شهاب الدين أبو العباس احمد بن على) ، ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م : « صبح الأعشى فى صناعة الانشا » ١٤ جزءا ، المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩١٣ — ١٩١٩ م .

الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف) ، ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م :

« كتاب الولاة وكتاب القضاة » ليدن وبيروت ١٩٠٨ — ١٩١٢ م .

الكندى (عمر بن محمد بن يوسف) ، من علماء النصف الثانى من القرن ٤ هـ أو ١٠ الميلادى
« فضائل مصر المحروسة » طبعة جوزيف استروب . كوبنهاجن ١٨٩٦ م .

J. Aestrop : Umar b. Muḥammad al-Kindis Beskrivelse af Ägypten, udgivet og oversat (Bulletin de l'Académie Royale de Danemark, Copenhague 1896).

المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين بن على) ، ت ٣٤٥ هـ أو ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ أو ٩٥٧ م :
« مروج الذهب ومعادن الجوهر » ٩ أجزاء ، باريس ١٨٦١ — ١٨٧٧ م

مسكويه أو ابن مسكويه (أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب) ، ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م : « تجارب الأمم وتعاقب الهمم » الجزء الأول ، ليدن ١٩٠٩ م ، والجزء الخامس والسادس مطبعة شركة التمدن بمصر ، ١٣٣٢ و ١٣٣٣ هـ — ١٩١٤ و ١٩١٥ م

المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله) ، من علماء النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى أو النصف الأخير من القرن العاشر الميلادى : « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » ليدن ١٨٨٧ م

المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) ، ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ — ١٤٤٢ م :

١ — « المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار » جزءان ، بولاق ١٢٧٠ هـ ، ونشر الأستاذ جاستون فييت جانبا من الجزء الأول (طبعة بولاق) فى أربعة مجلدات فى المعهد الفرنسى للآثار الشرقية فى القاهرة ، القاهرة ١٩١١ — ١٩٢٤ م

٢ — « اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا » نشره الدكتور جمال الدين الشيال . القاهرة ١٩٤٨ م

٣ — « التاريخ الكبير المقفى (نقل جزءاً منه جوتشلك فى رسالته عن المادرائيين ، برلين — ليبزج ١٩٣١ م) .

٤ — « كتاب النقود القديمة الإسلامية » ، نشره الأب انستاس مارى الكرملى فى كتابه النقود العربية وعلم النميات .

٥ — « إغاثة الأمة بكشف الغمة » نشره الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور جمال الدين الشيال . القاهرة ١٩٤٠ م .

المقرى (أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن) ، ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م : « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب » طبع دوزى وزملائه . ليدن ١٨٥٥ — ١٨٦١ ، جزءان :

Analectes sur l'histoire de la littérature des Arabes d'Espagne, par R. Dozy, G. Dugat, L. Krehl et W. Wright, 2 vol.

وطبعة بولاق ٤ أجزاء ١٢٧٩ هـ ، والمطبعة الأزهرية ١٣٠٤ هـ ٤ أجزاء ، الجزء الثامن طبع مطبعة عيسى البابى الحلبى .

نللينو (كارلو) Carlo Nallino : « علم الفلك » ٤ أجزاء — طبع بروما ١٩١١ — ١٩١٢ م

ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى) ، ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م :

١ — « معجم الأدباء » ٢٠ جزءاً ، القاهرة ١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م .

٢ — « معجم البلدان » ٨ أجزاء ، القاهرة ١٣٢٣ هـ .

٣ — « المشترك وضعا والمفترق صقعا » ، طبع وستنفلد فى جوتنجن ١٨٤٦ م .

اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح) ، ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م : « كتاب البلدان » ليدن ١٧٩٢ م (الجزء السابع من مجموعة المكتبة الجغرافية)

المراجع الأفرنجية

ALI MOHAMED FAHMY : Muslim Sea-Power in the East Mediterranean from the Seventh to the Tenth Century A. D. Alexandria 1950.

AMARI, M. : Bibliotheca arabo-sicula ossia raccolta di testi Arabici che toccano la géografia, la storia, la biografie e la bibliografia della Sicilia. Lipsia 1855—87.

ANTUNA, M. P. : Una obra fragmentaria de Aben Said al Maghrebi, esistente en la Bibl. d'El Escorial (in Bol. Ac. d. Hists. 1925).

BARTHOLD, W. : Géografiya Ibn Sa'id (in Festschrift zu Ehren D. Chwolson) Berlin 1898.

BERCHEM, MAX VAN. : Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum: première partie, Egypte, Paris 1903.

BLACHÈRE, R. : Extraits des Principaux Géographes Arabes du Moyen Age.

BROCKELMANN, C. : Geschichte der Arabischer Litteratur, 2 vols. Weimar, Berlin 1898—1902, & Supplementband, Leiden 1937—1938.

BUTCHER, E. L. : The Story of the Church of Egypt. 2 vols. London 1897.

CARRA DE VAUX : Les Penseurs de l'Islam. Paris 1921—26.

CASANOVA : Essai de Reconstitution Topographique de la Ville d'al Foustat ou Misr.

DOZY, R. : (1) Supplément aux Dictionnaires Arabes. 2 vols. Leyden 1881.

(2) Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes. Amsterdam 1845.

FAGNAN, E. : Extraits inédits relatifs au Maghreb. Alger 1924.

FERRAND, G. : (1) Relations des Voyages et Textes Géographiques Arabes, Persans et Turcs relatifs à l'Extrème-Orient. Paris 1913—1914

(2) Géographie et Cartographie musulmanes (Hespéris, XX, 1935).

Garcia Gomez, E. : El Libro de las Banderas de los campeones de Ibn Saïd. Madrid 1942.

Gonzalez Palencia, Angel : Historia de la Literatura Arabigo-Espanola. Barcelona 1928.

Grasshoff, R. : Die Suftaga und Hawala der Araber. Konigsberg 1809.

Grohmann, A. : Allgemeine Einführung in die arabischen Papyri (Corpus Papyrorum Raineri Archiducis Austriae, Band I) Wien 1924.

Hautecœur, L. et Wiet, G. : Les Mosquées du Caire, 2 vols. Paris 1932.

Hazard, Harry : Atlas of Islamic History. Princeton 1951.

Heer, F. : Die historischen geographischen Quellen in Jaqut's Geogr. Wörterbuch. Strasbourg 1898.

Kammerer, A. : La Mer Rouge. Tome Premier. Le Caire 1929. Tome II (Mémoires de la Société Royale de Géographie d'Egypte, tome XVI). Le Caire 1935.

Lamm, C. J : Cotton in Mediaeval Textiles of the Near East. Paris 1937.

Lane-Poole, S. : A History of Egypt in the Middle Ages. London 1900.

Mercier, L. : La Chasse et les Sports chez les Arabes. Paris 1927.

Mez, A. : Die Renaissance des Islams. Heidelberg 1922.

(نقله إلى العربية فى جزأين الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريده بعنوان « الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى » الطبعة الأولى القاهرة ١٩٤٠ م.)

Minorsky, V. : Hudud al-Alam, translated and explained by V. Minorsky.

Moritz : Ibn Saʿid's Beschreibung von Sicilien (in Centenario della Nascita di Michele Amari, volume Primo) Palermo 1910.

Nykl, A. R. : Hispano Arabic Poetry.

Pascual de Gayangos : Al-Maqqari, History of the Mohammedan Dynasties in Spain, extracted from the "Nafhu-t-tib wa tarikh lisanud-din Ibn il-Khatib" Translated by Pascual de Gayangos, 2 vols. London 1840—43.

Pauty, E. : Bois sculptés d'Eglises Coptes. Le Caire 1930.

Pérès, H. : La Poesie Andalouse en Arabe classique au XIe Siècle. Paris 1937.

Pons Boigues, Fr. : Ensayo biobibliografico sobre los historiadores y géografos Arabigo-Espanoles. Madrid 1898.

Reinaud, M. : Introduction générale à la géographie des Orientaux. vol. I de la Géographie d'Aboulféda, Paris 1848.

de la Roncière, Ch. : La Découverte de l'Afrique au Moyen-Age. 3 vols. le Caire 1925—1927.

SAUVAGET, J. : Introduction à l'histoire de l'Orient Musulman, Paris 1946.

TALLQVIST, K. L. : Ibn Said al-Maghribi, Kitab al-mugrib fi hula al-magrib. Buch IV : Geschichte der Ihsiden und Fustatenische Biographien. Arabischer Text nach der einzig vorhanden Hs. Zu Kairo mit Anmerkungen und Registern hrsg. von K. L. Tallqvist. Leiden 1899.

TERRASSE, HENRI : La grande Mosquée Almohade de Séville (dans : Mémorial Henri Basset).

TRIMINGHAM, J. S. : Islam in the Sudan. Oxford 1949.

TRUMMETER, F. : Ibn Sa'id's Geschichte der vorislamischen Araber. Stuttgart 1928.

VOLLERS, K. : (1) Fragmente aus des Mughrib des Ibn Said. Bericht uber die Handschrift und das Leben Ahmed ibn Tulun von Ibn Saïd nach Ibn ed-Daja Berlin 1894.

(2) Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft, 1889.

VONDERHEYDEN, M. : La Berbérie Orientale sous la dynastie des Benoû' L-Arlabe. Paris 1927.

WIET, G. : Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, T. II Egypte. Le Caire 1930.

WUSTENFELD, F. : Die Geschichtschreiber der Araber und ihre Werke. Goettingen 1882.

ZAKY MOHAMED HASSAN : (1) Les Tulunides. Etude de l'Egypte Musulmane à la fin du IXe siècle. Paris 1933.

(2) Hunting as practised in Arab Countries of the Middle Ages. Cairo 1937.

(3) Moslim Egypt and its Contribution to Islamic Civilisation (Bulletin of the Faculty of Arts, Fouad I University, vol. XI, Part II, Dec. 1949. Cairo).

(4) Moslem Arts in the Fouad I University Museum, vol. I, Cairo 1950.

ZAMBAUR, E. DE. : Manuel de Généalogie et de Chronologie pour l'histoire de l'Islam. Hannover 1927.

(نقله إلى العربية فى جزأين الدكتور زكى محمد حسن والدكتور حسن احمد محمود والدكتورة سيدة اسماعيل كاشف والأستاذان حافظ احمد حمدى وأحمد ممدوح حمدى ، بعنوان « معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى للمستشرق زامباور » مطبعة جامعة فؤاد ١٩٥١م)

SAUVAGET, J.: Introduction à l'histoire de l'Orient Musulman. Paris 1946.

TALLQVIST, K. L.: Ibn Said al-Maghribi, Kitab al-mugrib fi hula al-magrib. Buch IV: Geschichte der Ihsiden und Fustatensische Biographien. Arabischer Text nach der einzig vorhanden Hs. Zu Kairo mit Anmerkungen und Registern hrsg. von K. L. Tallqvist. Leiden 1899.

TERRASSE, HENRI: La grande Mosquée Almohade de Seville (dans: Mémorial Henri Basset).

TRIMINGHAM, J. S.: Islam in the Sudan. Oxford 1949.

TRUMMETER, F.: Ibn Sa'id's Geschichte der vorislamischen Araber. Stuttgart 1928.

VOLLERS, K.: (1) Fragmente aus des Mughrib des Ibn Said. Bericht über die Handschrift und das Leben Ahmed ibn Tulun von Ibn Said nach Ibn ed-Daja Berlin 1894.

(2) Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft, 1889.

VONDERHEYDEN, M.: La Berberie Orientale sous la dynastie des Benou L-Arlabe. Paris 1927.

WIET, G.: Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, T. II Égypte. Le Caire 1930.

WÜSTENFELD, F.: Die Geschichtschreiber der Araber und ihre Werke. Goettingen 1882.

ZAKY MOHAMMED HASSAN: (1) Les Tulunides. Étude de l'Égypte Musulmane à la fin du IXe siècle. Paris 1933.

(2) Hunting as practised in Arab Countries of the Middle Ages. Cairo 1937.

(3) Moslem Egypt and its Contribution to Islamic Civilisation (Bulletin of the Faculty of Arts, Fouad I University, vol. XI, Part II, Dec. 1949. Cairo).

(4) Moslem Arts in the Fouad I University Museum, vol. I, Cairo 1950.

ZAMBAUR, E. DE: Manuel de Généalogie et de Chronologie pour l'histoire de l'Islam. Hannover 1927.

الكشاف

(ا)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(ض)

(ط)

(ظ)

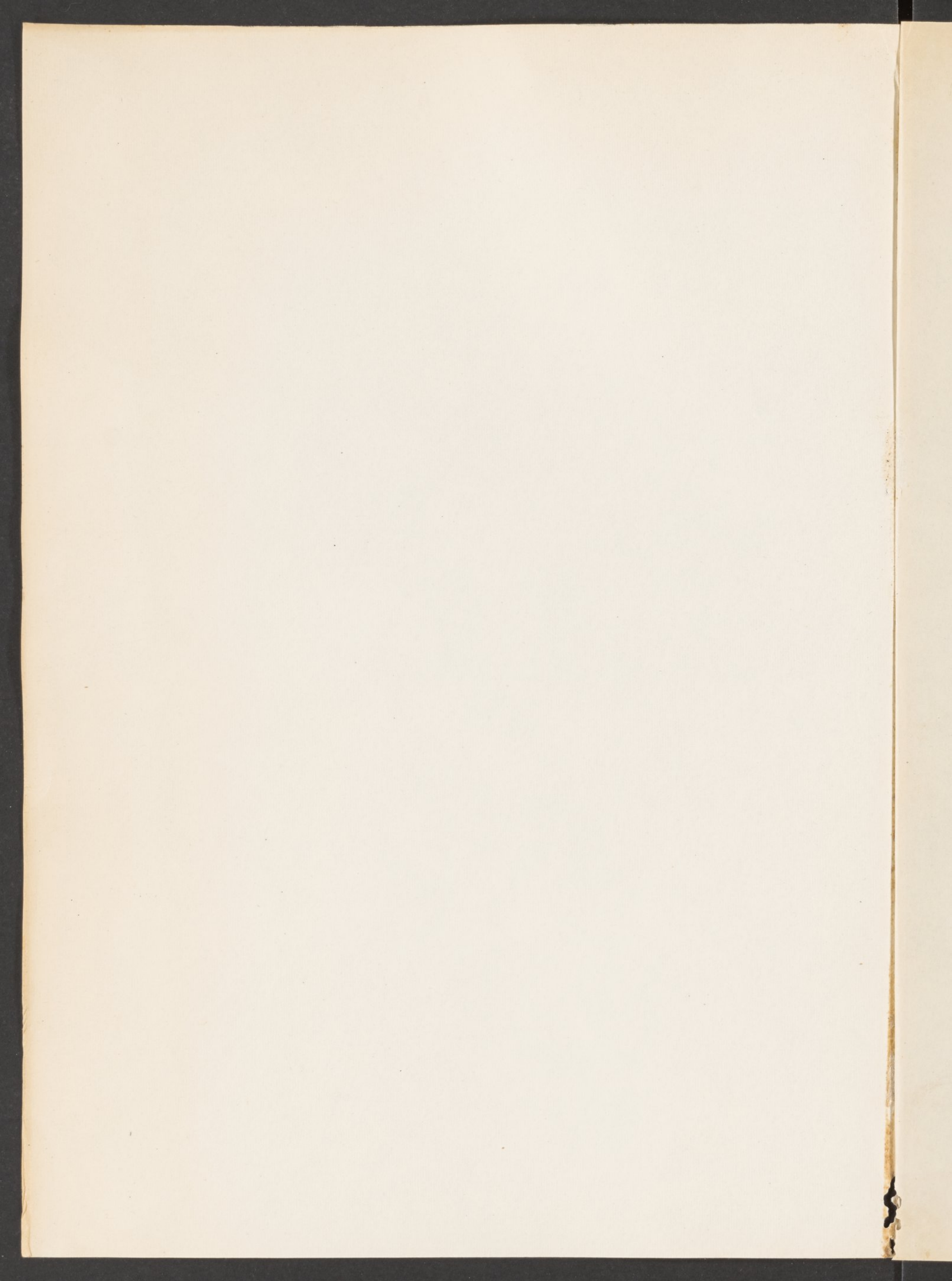
(ع)

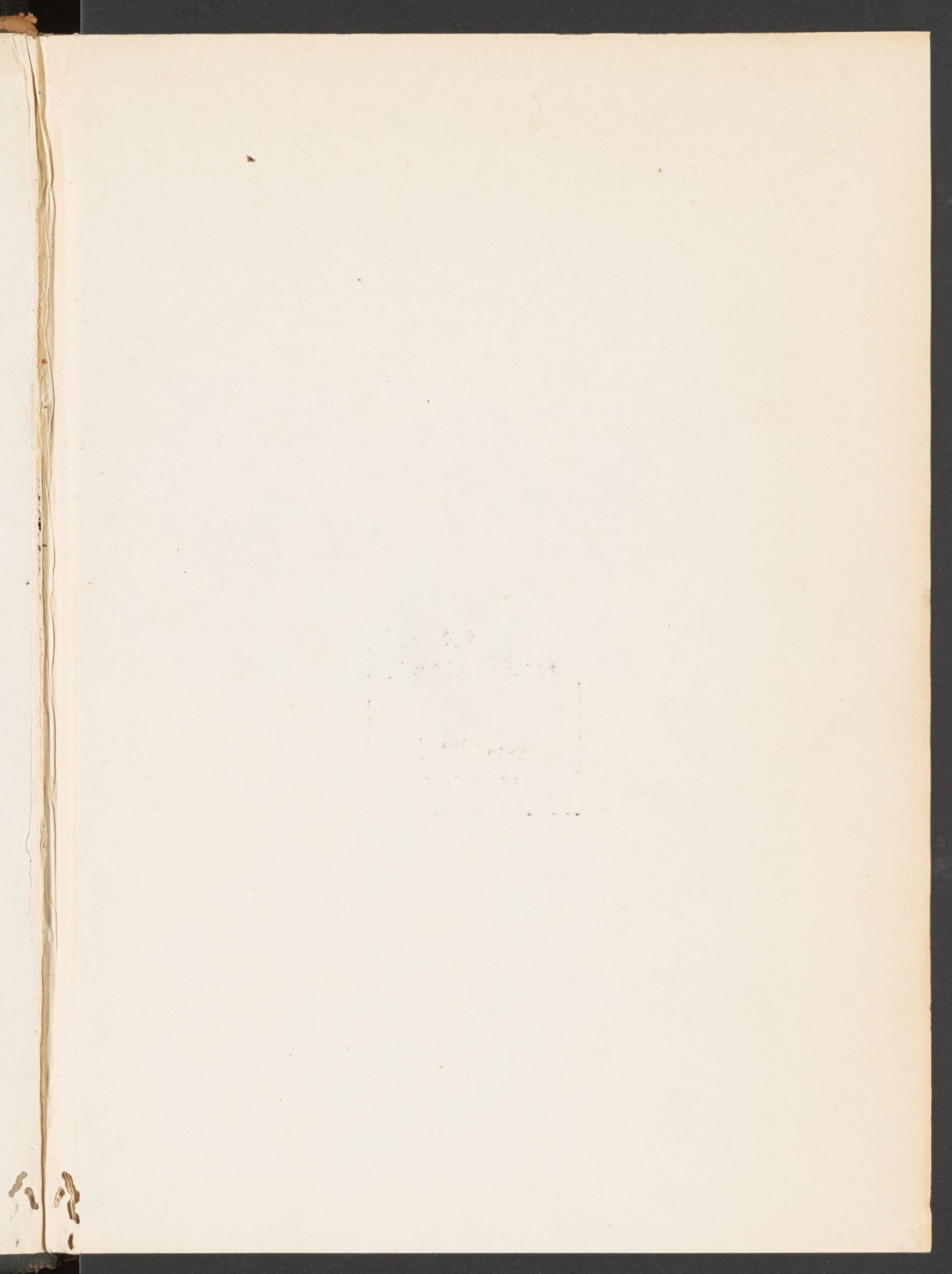
(ل)

(م)

تصـــويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
م ٥	١	وقفى	وقضوا
م ٣٠	١٨	المفر	المعز
م ٣٦	٢١	الـكبر	الـكبير
م ٤٧	١٥	فى عصر	فى عصره
م ٥٣	٥	الحصرى الاحمى	الحصرى الخمى
م ٥٥	٨	وظايف الرياسة	وظايف الرياسة
٥	٣	سلبم بن عمر	سليم بن عمر
٥	٥	٧٢ و / و	٧٢ و / ٣
٥	ه ٨ س ٤	وفى ابن عبد الحكيم	وفى ابن عبد الحكم
٥	ه ١٠	والزيارة	والزيادة
١٢	١٥	عبد الله بن لهبيعة	عبد الله بن لهيعة
١٤	ه ٦	يميد المستمر	بعيد المستمر
١٧	ه ١	وسنعمد هنا	وسنعتمد هنا
١٩	١٢	فأقبلت نهوى	فأقبلت تهوى
٢٣	ه ١	Ceatani	Caetani
٢٤	١٠	مشايح مصر	مشايخ مصر
٤٣	٤	٨٦ ظ / ٢	١٨٦ظ / ٢
٤٧	٧	فرؤى عمر	فرؤى عمرو
٥٨	١	وفاك	وقال
٦٣	١ـ٢	قال : قال كف	قال : كف
٦٥	١٥	قيس بن سعد (	قيس بن سعد (٧)
٧٣	ه ٢ س ٣	Fragmemte	Fragmente
٧٤	ه ١	Vallers	Vollers
٧٥	١٠	ونوالت عليه	وتوالت عليه
٧٦	٢	ودخل ٠ احمد بن طولون	ودخل احمد بن طولون
٧٧	ه ٥ س ٣	Zakey	Zaky
٨٠	١	بارجوخ	يارجوخ
٨٤	١	بارجوخ	يارجوخ
٨٤	ه ٥	أبى بعلى ابن الفراء	ابى يعلى ابن الفراء
٨٤	ه ٥	والخطيب والبغدادى	والخطيب البغدادى
٩٢	ه ٧	(فى سيرة ابن طولون	وفى سيرة ابن طولون
٩٢	ح ٢١	(١)	(٨)
١٠٢	ه ٢	Vallers	Vollers
١٠٣	١٩	وحدثتنى نعمت	وحدثتنى نعت
١٠٩	ه ٣	Pollers	Vollers
١١٠	ه ٧	Hassuan	Hassan
١١٥	٤	لأبى بوسف	لأبى يوسف
١١٧	ه ٢	فى المرجع نفوسه	فى المرجع نفسه
١٢٦	ه ٤	Supplémen	Supplément
١٢٨	١٩	مرج طرطوس	مرج طرسوس
١٢٩	١	المصيضة	المصيصة
١٤٩	ه ١ س ٢	ووسل	ووصل
١٥٢	١٥	محمد بن على -٨-	محمد بن على (٨)
١٥٧	٥	كأن لم يكن	كأن لم يكن
١٥٩	١١	الى أن تودى	إلى أن نودى
١٦٢	١٨	الحسن بن على الرقى	الحسين بن على الرقى
١٦٨	ه ١	الاسكندرية فى مصر	الاسكندر فى مصر
١٧٨	٢١	طاهر بن الحسين	الحسين بن طاهر
١٧٨	٢٥ و ٣٦	وزوج الاخشيد ابنته فاطمة ابنة مزاحم	وزوج الاخشيد ابنته فاطمة ابنه مزاحم
١٨٧	١٤	غلام من غمانى	غلام من غلمانى
١٩١	١٧ و ١٨	أوتوجور	أونوجور
١٩٤	١٦	فاطمته	فاطمة
١٩٩	١	الاحشيد	الاخشيد
١٩٩	٢	أورنوجور	أونوجور
٢٨٠	ه ٦ س ٢	ابن أبى الوفاء	ابن المرصص
٣٢٩	١٩	جمال الدين بن رمضان	جمال الدين بن يغمور





Ibn Saʻīd, ʻAlī ibn Mūsá al-Maghribī, 13th cent.
s.fr. al-Andalusī, Ibn Saʻīd
s.fr. Ibn Saʻīd al-Andalusī

